شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام

mngool.com

الزهراني

تأليف

الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد الفاسي

(٧٥٥-٨٣٢ هـ)

تحقيق

الدكتور علي عمر

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد – القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الفاسي، محمد بن احمد بن على محمد، ١٣٧٣-١٤٢٩
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام/ تأليف الحافظ ابن الطيب تقي الدين محمد الفاسي، تحقيق على عمر
- ط ١ – القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
٢مج : ٢٤ سم
تدمك :977-341-366-7 (مج ١)
ا- مكة المكرمة – تاريخ
ا- عمر، على (محقق)
ب- العنوان
ديوى :٩٥٣,١٢١

رقم الايداع : ٢٠٠٧/٢٠٢٨٢

مقابلة على نسخة خطية قديمة
غير التي روجعت عليها الطبعات السابقة
ومضاف إليها تعليقات وهوامش جديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

لا نعرف عن بدايات التأليف فى تاريخ مكة، وخاصة المؤلفات التى أفاد منها اللاحقون سوى مؤلف فى تاريخ مكة للحسن بن يسار البصرى المتوفى سنة ١١٠هـــ، الذى كتب رسالة عن «فضائل مكة المشرفة» كانت فيما بعد أحد المصادر الرئيسية للفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـــ، فى كتابه شفاء الغرام الذى نقدم له اليوم، وفى كتابه «الزهور المقتطفة فى تاريخ مكة المشرفة».

ومؤلف آخر فى تاريخ مكة لعثمان بن ساج المتوفى سنة ١٨٠هـــ، ويرجح أن كتابه فى تاريخ مكة كان أحد مصادر الأزرقى المتوفى سنة ٢٢٢هـــ، فى كتابه «أخبار مكة».

ثم جاء أبو الوليد الأزرقى فكتب فى «أخبار مكة» وقد استقى كثيرًا من معلوماته الواردة فى كتابه عن عبد الله بن عباس وتلاميذه، حيث كانت لديهم معلومات وفيرة عن مكة.

كما كتب الفاكهى مؤرخ مكة المتوفى سنة ٢٧٢هـــ كتابًا فى «تاريخ مكة» أشاد به الفاسي، حيث ذكر أن كتابه فى أخبار مكة حسن جدا، لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة، وفيه غنية عن كتاب الأزرقى، وكتاب الأزرقى لا يغنى عنه، لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة مفيدة جدًّا لم يذكرها الأزرقى، وأفاد فى المعنى الذى ذكره الأزرقى أشياء كثيرة لم يفدها الأزرقى.

وبعد إسهامات كل من الأزرقى والفاكهى انقطع التأريخ تقريبًا للحجاز منذ أواخر القرن الثالث الهجرى إلا ما يتصدق به عليه المؤرخون الطارئون تكريمًا للمدن المقدسة، وتعريفا بها، وإشادة بفضلها.

وقد أكد على ذلك الفاسى بعد أن ذكر فضل السبق فى تدوين تاريخ مكة لكل من الأزرقى والفاكهى، فقال: «وكانا ـــ أى الأزرقى والفاكهى ـــ فى المائة

الثالثة، ومن عصرهما إلى تأريخه ـ شفاء الغرام ـ خمسمائة سنة ونحو أربعين سنة وأزيد، ولم يصنف بعدهما في المعنى الذى صنفا فيه أحد... وإنى لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقي للتأليف على منوال تاريخه، ومِنْ تَرْكِهِمْ تأليفاً لتاريخ مكة يحتوى على معرفة أعيانها، من أهلهم وغيرهم، من ولاتها وأئمتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها، كما وضع فضلاء غيرها من البلاد».

وكيفما كان الأمر فقد افتتح مدرسة التاريخ في مكة تقى الدين الفاسى، أعظم أساتذتها بآثاره الخالدة، والتى برز فيها فيما بعد: النجم عمر بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ، وعز الدين عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢هـ، وجار الله بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ، وغيرهم.

والدارس لكتابات الفاسى يلحظ أنه شكل بكتاباته مدرسة تاريخية مستقلة عن غيرها عن مدارس الشام ومصر، كما يلحظ أنه أدرك أهمية الأخبار المستقاة من المصادر الرئيسية ثم تتبع حوادث مكة وكتب عنها حسب مشاهداته وإحساساته وما يصله من معلومات.

ويُعَدُّ هذا الصنيع من الملامح المميزة لمدرسة التاريخ في مكة وقتئذ، حيث اتصفت كتابة التاريخ منذ عصر الفاسى بجمع وتلخيص ما أنجزه المؤرخون السابقون، ثم كتابة ما تلا ذلك من الأحداث التاريخية.

وكتابه الذى نقدم له اليوم كان ثمرة مطالعات كثيرة، فالقارئ لهذا الكتاب سوف تتجمع لديه حصّلة غنية من المصادر والمراجع القديمة التى اعتمد عليها الفاسى، وإذا كان أكثر اعتماده على كتابين في أخبار مكة للأزرقى والفاكهى، فهو أيضًا ينقل عن كتب أصبحت مفقودة، وأخرى ما زالت في دور الكتب مخطوطة.

وقد ظل الفاسى لفترات طويلة تجاوزت عصره ـ من أبرز وجوه مكة الفكرية لدى مؤرخى مكة حين يزمع مؤرخوها الحديث عن فضائل مكة وتاريخها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب «شفاء الغرام» كان قد طبع في بيروت سنة ١٩٨٥م بتحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمرى، وبالاطلاع على هذه الطبعة ومقارنتها بالطبعة المصرية التي نشرتها دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م، تبين أن طبعة بيروت نسخة طبق الأصل من الطبعة المصرية في تحقيقها وتعاليقها.

ومثل ذلك حدث في الطبعة التي تلت طبعة بيروت وهي الطبعة التي قامت بنشرها مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة سنة ١٩٩٩م وذكر على غلافها اسم المحقق وهو: مصطفى محمد الذهبي، وبالاطلاع على هذه الطبعة كذلك تبين أنها نسخة طبق الأصل من طبعة بيروت فيما عدا عدة فروق لا قيمة لها في تحرير النص، ومن ذلك يتبين أن كلتا الطبعتين بيروت ومكة يشيع فيهما التصحيف والتحريف إلى حدّ كبير.

على أن الأمر الذى يسترعى النظر أن اسم الدكتور أيمن فؤاد سيد مذكور على غلاف نسخة مكة، ويبدو أن الدكتور أيمن كتب اسمه مجاملا عجلا، وليس مشاركا مسئولا.

فلا أكاد أتصور أن الرجل الذى عاش حياته مؤلفا وباحثا ومحققا يمكن أن يخطئ هذه الأخطاء المشار إليها هنا في الحواشي ويمر بها مرورًا عابرًا دون أن يتدارك ما في النص من تحريف أو تصحيف أو سقط.

هذا وقد استندت في تحقيق نص كتاب «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» إلى نسخة مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط رقم ١٩١١، كُتبت سنة ٨٨٤هـ، وهى أقدم النسخ المخطوطة لهذا الكتاب وأصحها.

كما أشرت في تعليقاتي أحيانا إلى طبعة د. تدمرى بحرف (م) وإلى طبعة د. الذهبي بحرف (هـ).

ولم نأت على كل التحريفات الواردة في الطبعتين لأن في ذلك إثقالا لحواشي الكتاب.

وكان حرصي على سلامة النص أكثر من حرصي على التعريف بالأعلام والبلاد والإسراف في الشرح والتعليق، إذ كان ذلك أهم ما يحتاج إليه العلماء والباحثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة.

القاهرة في مايو ٢٠٠٧

ربيع الآخر ١٤٢٨هـ د. علي عمر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين وهو حسبي وعليه التوكل

الحمد لله الذي جعل مكة المشرفة اعظم البلاد شانا ورفعها محلا ومباركا وامنا

وجعل للمقربين فيها العطيه وكرمها في الفضل حرمة لان فيها البيت

الحرام الذي هو للناس مثابة ورفع المقصود لمن حجه او طاف به من البريه

بالانقياد الخطيه الحمد لله على ما منحه من حج بيته المطهر وما الزم حضر

ذلك الى حمل امر واشهد ان لا اله الا الله الذي جعل مكة وما حولها حرما

واغنى بما جعل زمزم عن الطعام وشفى به سقما واشهد ان نبيه سيدنا محمدا افضل

من قبل الحجر الاسود [illegible] وفي الطواف بالكعبة رمل وصلى خلف المقام الذي قام عليه الخليل

انه وقف بعرفات والمشعر صلى الله عليه وسلم ما رمت الجمار وما تحرج داع في الملتقى

والمستجار وما سعى بين الصفا والمروه محرم ورضي الله عن اله واصحابه الذين سرعهم

راجيا يحن وسلم اما بعد فانه لما وفقني الله تعالى للاشتغال بالعلم الذي يعد

شوقت نفسي كثيرا الى معرفة ما كان يعده الامام ابي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد

ابن الوليد بن عقبة بن الازرق بن ابي عمر الغساني الازرقي المكي مولفا رحمه الله

من اخبار عمارة الكعبة المعظمة وخبر حليتها ومعالمها وما اهدي لها في

الجاهلية وكسوتها وخبر الحجر الاسود وخبر عمارة المسجد الحرام وما فيه من عمارة

موضع مقام ابراهيم عليه السلام وحجر النبي اسمعيل عليه السلام وموضع زمزم

وسقاية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ومنابر المسجد الحرام والمحاريب ومقامات

الائمة واختلاف مذاهبهم للصلاة فيها وعمارة اماكن مباركة بمكة المشرفة

وهي مواضع تقبل بها النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها ومولد النبي صلى الله عليه وسلم

ومولد سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغير ذلك من المواضع المعروفة بالمواليد

والقبور المباركة بمكة كدار سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه ودار خديجة بنت خويلد

ام المؤمنين رضي الله عنها ودار الارقم بن ابي الارقم المخزومي في الدار المعروفة بدار

الخيزران [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بيعة العقبة بيعة رسول

الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] ومسجد الخيف [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible]

[illegible]

[illegible] ذلك ومشاعر الحج والعمرة

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما كان يعد ابو الوليد الازرقي

وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة واصلها [illegible] يوم [illegible] الرحيم

الصالحين والعفو [illegible] [illegible]

[illegible] العاصي [illegible] عفا الله [illegible]

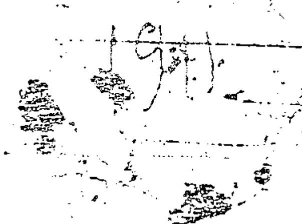
عنها ولمن دعا لها [illegible]

[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

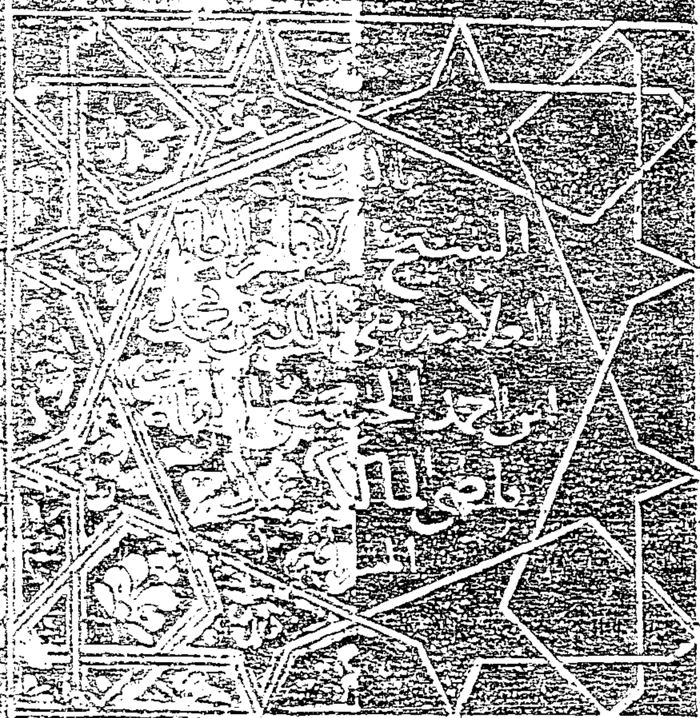
وسلم [illegible]

كتبه مؤلفه [illegible]

[illegible]



كتاب شفاء الغرام



بأخبار البلد الحرام

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله الذى جعل مكة المشرّفة أعظم البلاد شأنًا، وصيّرها محلاً مباركًا وأمنًا[١]، وأجزل للمتقربين فيها العطية، وكم لها فى الفضل مزية، لأن فيها البيت الحرام، الذى هو للناس مثابة وقوام، والمغفور لمن حجه أو طاف به من البرِيَّة، ما اقترفه من الخطيَّة.

أحمده على ما منحنا من[٢] جوار بيته المطهر، وأسأله استمرار ذلك إلى حين أقبر.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك الذى جعل مكة وما حولها حرمًا، وأغنى بماء زمزم عن الطعام، وشفا به سقمًا.

وأشهد أن نبيه سيدنا محمدًا أفضل مَنْ للحجر الأسودَ قبَّل، وفى الطواف بالكعبة رمل، وصلى خلف المقام الذى للخليل فيه أثر، وقف بعرفات والمشعر، صلى الله عليه وسلم ما رُميت الجمار، وما تضرع داع فى الملتزم والمستجار[٣]، وما سعى بين الصفا والمروة مُحْرِم، ورضى الله عن آله وأصحابه الذين توقيرهم واجب على كل مسلم.

أما بعد: فإنه لما وفقنى الله تعالى للاشتغال بالعلم الشريف تَشَوَّفَتْ نفسى كثيرًا إلى معرفة ما كان بعد الإمام أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن الوليد بن عُقبة بن الأزرق بن أبى شمر الغسانى الأزرقى المكى مؤلف كتاب

---

(١) وأمنا: سقطت من المطبوعتين.

(٢) فى طبعة تدمرى: «على منحنا جوار» والمثبت رواية الأصل.

(٣) المراد بالملتزم والمستجار: البيت جميعه.

«أخبار مكة» رحمه الله، من[1] أخبار عمارة الكعبة المعظمة وخبر حليتها ومعاليقها، وما أهدى لها فى معنى الحلية، وكسوتها، وخبر الحجر الأسود، وخبر عمارة المسجد الحرام، وما فيه من عمارة موضع مقام سيدنا إبراهيم ﷺ، وحجر النبى إسماعيل ﷺ، وموضع زمزم، وسقاية العباس بن عبد المطلب ﷺ، ومنابر المسجد الحرام، والمطاف ومقامات الأئمة، وابتداء وقت ترتيبهم للصلاة فيها، وعمارة أماكن بمكة المشرفة، وهى مساجد قيل: إن النبى ﷺ صلى فيها، ومولد النبى ﷺ، ومولد سيدنا على بن أبى طالب ﷺ، وغير ذلك من المواضع المعروفة بمكة بالمواليد، والدُّور المباركة بمكة، كدار سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ، ودار خديجة بنت خُوَيْلد أم المؤمنين رضى الله عنها، ودار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، وهى الدار المعروفة بدار الخيزران، وعمارة مساجد مباركة بظاهر مكة، وهى مسجد البيعة، بيعة رسول الله ﷺ والأنصار بقرب عقبة منى، ومسجد الخيف بمنى، وغير ذلك من المساجد بمنى، ومسجد أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى أحرمت فيه[2] لما اعتمرت بعد حجها بالتنعيم، وعمارة أنصاب حدود الحرم، ومشاعر الحج والعمرة، وهى الصفا والمروة والمشعر الحرام، وغير ذلك، وما كان بعد أبى الوليد الأزرقى من الأوقاف على أهل[3] العلم والفقهاء وغير ذلك من الربط والمدارس وغيرها وتاريخ وقفها، وما كان بعد الأزرقى من الأمطار والسيول بمكة، فعرفت طرفًا جيدًا من ذلك كله، بعضه من كتب التاريخ، وبعضه من رخام وأحجار وأخشاب مكتوب فيها ذلك ثابتة فى الأماكن المشار إليها، وبعضه علمته من أخبار الثقات، وبعضه شاهدته، وعَلِقَ ذلك كله بذهنى، وقيدته فى أوراق مفردة من غير ترتيب، خيفة ذهاب ذلك بالنسيان لما روينا[4] عن أبى حمزة أنس بن مالك الأنصارى خادم رسول الله ﷺ أنه كان

---

(١) م، هـ: «وفى أخبار» ولا وجه له.
(٢) م، هـ: «أحرمت منه».
(٣) م، هـ: «طلبة».
(٤) م، هـ: «لما روى».

يقول: يا بنى قيدوا العلم بالكتاب[1]، ثم بدا لى أن أجمع ذلك مرتبًا، وأضم إليه من تاريخ أبي الوليد الأزرقي ما يلائمه من الأمور التي أشرنا إليها لما في ذلك من كمال الفائدة، ففعلت ذلك وأضفت إلى ذلك أحاديث وآثارًا في فضائل الكعبة، والأعمال المتعلقة بها، وفي فضل الحجر الأسود والركن اليماني، والحجر بسكون الجيم، والمقام، والمسجد الحرام، ومكة، والحرم، وزمزم وغير ذلك من المواضع المباركة بمكة وحرمها مما ذكره أبو الوليد الأزرقي، وأضفت إلى ذلك أمورًا كثيرة مفيدة لم يذكرها الأزرقي، بعضها مما عُني بجمعه الأزرقي، وبعضها لم يعن به.

فمن الأول: أحاديث نبوية وآثار عن الصحابة والسلف وأخبار جاهلية لها تعلق بمكة وأهلها وملوكها وغير ذلك.

ومن الثاني: مسائل فقهية وحديثية، وما علمته من المآثر بمكة وحرمها كالمدارس والربط وغير ذلك، وما علمته من أخبار ولاة مكة في الإسلام على سبيل الإجمال، وأخبار إسلامية تتعلق بمكة وأهلها وولاتها، والحُجَّاج، وكثير من هذه الأخبار ذكره الأزرقي، وذكر أيضًا بعض المآثر وبعض المسائل الفقهية.

وهذا القسم مما يكثر الاغتباط به لأن غالبه لم يحوه كتاب وإليه يتشوف[2] ذوو الألباب، وأضفت إلى ذلك أيضًا ما حررناه في ذَرْع الكعبة والمسجد الحرام وأماكن فيه والأماكن المباركة بمكة [وحرمها من المساجد والمواليد، والدور المباركة][3] وحدود الحرم من جهاتها[4] المعروفة الآن بما فيها من العلامات المبينة لكون الذراع الذى حررناه به هو ذراع الحديد المستعمل في القماش بديار مصر والحجاز، والذراع الذى حرر به الأزرقي هو ذراع اليد، فيستفاد مما ذكرته ذرع ذلك بالوجهين، وبعض ما حررناه ليس في كتاب الأزرقي تحرير له، فلا يعرف

---

(١) م، هـ: «بالكتابة».

(٢) في المطبوعتين: «يتشوق» بالقاف، وتشوف إليه: تطلع.

(٣) ساقط من م.

(٤) م، هـ: «من جهاته».

تحريره إلا مما ذكرناه، فجاء بحمد الله تأليفًا لأشتات الفوائد جامعًا، وفى معناه إن شاء الله مفيدًا نافعًا، يُستغنى به عن كتاب الأزرقى والفاكهى ولا يغنيان عنه.

وللإمام الأزرقى والفاكهى [فضل السبق والتحصيل والتحرير، فإن ما ذكراه هو الأصل الذى انبنى عليه هذا الكتاب، وفى كتاب الفاكهى](١) وهو محمد بن إسحاق بن العباس المكى أمور كثيرة مفيدة جدًّا ليست من معنى تأليف الأزرقى ولا من المعنى الذى ألفناه، وكانا فى المائة الثالثة، والفاكهى تأخر عن الأزرقى قليلاً فى غالب الظن، ومن عصرهما إلى تاريخه خمسمائة سنة(٢) ونحو أربعين سنة وأزيد، ولم يصنف بعدهما فى المعنى الذى صنفا فيه أحد، وقد حدثت بعدهما فى هذه المدة من المعنى الذى ذكرناه عنهما أمور مستكثرة، فلذلك صارت الإحاطة بجمعها متعذرة، وقد بذلنا الجهد فى تحصيل ذلك فظفرنا منه بطرف، وفى النفس على ما لم يُظفر به أسف.

وإنى لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقى للتأليف على منوال تاريخه، ومن تركهم تأليفًا لتاريخ مكة يحتوى على معرفة أعيانها من أهلها وغيرهم من ولاتها وأئمتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها ورواتها كما صنع فضلاء غيرها من البلاد، لبلادهم كتاريخ بغداد للخطيب البغدادى، ومن بعده تاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ مصر للقطب الحلبى وغير ذلك من تواريخ البلاد.

وقد وفقنى الله تعالى لجمع شىء من هذا المعنى حدانى إلى جمعه أنى تشوفت كثيرًا لمعرفة ذلك وتتبعت ما ألفه الناس من التواريخ والطبقات والمعاجم والمشيخات وغير ذلك من تعاليق العلماء، فظفرت فى ذلك ببعض المطلوب، ثم رتبته على ما أدركته من الأمور المناسبة له على ترتيب حروف المعجم خلا المحمَّدين والأحمدين، فإنهم مقدمون على غيرهم، لكون ذلك من أسماء نبينا

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من م.

(٢) ولد الفاسى سنة ٧٧٥هـ، وتوفى سنة ٨٣٢هـ، وقد ألف كتابه «شفاء الغرام» سنة ٨١٦هـ.

المصطفى ﷺ، وهو ﷺ مذكور فى أول التراجم مع شىء من سيرته الشريفة على وجه الاختصار للتبرك بذلك.

وجعلت فى أول هذا الكتاب مقدمة لطيفة تحتوى على مقاصد هذا التأليف، خصتها منه ليكون[1] التأليف الذى هذه المقدمة أوله جامعًا لشىء من أخبار مكة وما فيها، وشىء من أخبار أهلها ومن أشرنا إليهم معهم، وسميت هذا التأليف «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين» ثم إنى استطلته بعد تسويدى لأكثره وترتيب ما بقى منه بذهنى، فاختصرته فى مقدار نصف الحجم، وسميت هذا المختصر «عجالة القرى للراغب فى تاريخ أم القرى».

وأنا أسأل الله أن ييسر لى تبييضهما وتحريرهما وأن ينفع بذلك وينفعنى به ويثيبنى عليه الثواب الجزيل.

وهذا التأليف المحتوى على التراجم لا يخلو من تقصير، سببه ما ذكرته من كونى لم أر مؤلفًا فى معناه، ورأيت ما يدل على أن بعض الناس ألف تاريخًا لمكة، وهو الشريف زيد بن هاشم بن على بن المرتضى العلوى الحسنى، هكذا نسبه الشيخ أبو العباس أحمد بن على الميورقى، وترجمه بوزير مدينة الرسول ﷺ، وذلك فى رسالة كتبها زيد المذكور للشيخ أبى العباس المذكور رأيتها فى كتاب «الجواهر الثمينة على مذهب عالم المدينة» لابن شاس المالكى بخط الميورقى، ووقفه بوج الطائف، وفيها مكتوب بعد البسملة: زيد بن هاشم بن على، ثم قال: وبعد فقد خدم بها العبد الضعيف فى الثلاثاء منتصف شعبان، وبخط الميورقى فوق شعبان سنة ست وسبعين وستمائة، وذكر أشياء ثم قال: وقد خطر للضعيف مع المتاعب التى يعانيها من كل وجه إثبات تاريخه لمكة المشرفة، وقد أثبت منه إلى الآن نحو خمس كراريس. انتهى.

ولم أقف على هذا التاريخ وما عرفت على أى نمط هو، هل هو تراجم فقط، أو هو حوادث فيها ذكر شىء من أخبار مكة والكعبة المعظمة مما يدخل فى هذا التاريخ؟ وسميت هذا التأليف: «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام».

---

(1) م: «لكون».

ورتبته على أربعين بابًا:

الباب الأول: فى ذكر مكة المشرفة وحكم بيع دورها وإجارتها.

الباب الثانى: فى أسماء مكة المشرفة.

الباب الثالث: فى ذكر حرم مكة وسبب تحريمه وعلاماته، وحدوده وما يتعلق بذلك من ضبط ألفاظ فى حدوده ومعانى بعض أسمائها.

الباب الرابع: فى ذكر شيء من الأحاديث والآثار الدالة على حرمة مكة وحرمها وشيء فى الأحكام المختصة بذلك وشيء مما ورد من تعظيم الناس لمكة وحرمها، وفى تعظيم الذنب فى ذلك، وفى فضل الحرم.

الباب الخامس: فى ذكر الأحاديث الدالة على أن مكة أفضل من غيرها من البلاد، وأن الصلاة فيها أفضل من غيرها وغير ذلك من فضلها.

الباب السادس: فى المجاورة بمكة والموت فيها وشيء من فضل أهلها وفضل جُدَّة ساحل مكة وشيء من خبرها وشيء من فضل الطائف وشيء من خبره.

الباب السابع: فى أخبار عمارة الكعبة المعظَّمة.

الباب الثامن: فى صفة الكعبة وذرعها وشاذرواها[1] وشيء من حليتها ومعاليقها وكسوتها وطيبها وخدامها وأسمائهم وهدم الحبشى لها ووقت فتحها فى الجاهلية والإسلام وبيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها.

الباب التاسع: فى بيان مصلى النبى ﷺ فى الكعبة وبيان قدر صلاته هذه ووقتها ومن رواها من الصحابة، ومن نفاها منهم، رضى الله عنهم، وترجيح رواية من أثبتها على رواية من نفاها، وما قيل من الجمع بين ذلك، وعدد دخوله ﷺ الكعبة بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخلها بعد هجرته.

الباب العاشر: فى ثواب دخول الكعبة المعظمة وفيما جاء من الأخبار الموهمة لعدم استحباب دخولها، وفيما يطلب فيها من الأمور التى صنعها ﷺ فيها، وحكم الصلاة فيها، وفى آداب دخولها.

---

(١) وشاذرواها، سقط من م.

الباب الحادى عشر: فى فضائل الكعبة وفضائل الحجر الأسود والركن اليمانى.

الباب الثانى عشر: فى فضائل الأعمال المتعلقة بالكعبة كالطواف بها والنظر إليها والحج والعمرة وغير ذلك.

الباب الثالث عشر: فى الآيات المتعلقة بالكعبة المعظمة.

الباب الرابع عشر: فى شىء من أخبار الحجر الأسود.

الباب الخامس عشر: فى الملتزم والمستجار والحطيم وما جاء فى استجابة الدعاء فى ذلك وغيره من الأماكن الشريفة بمكة وحرمها.

الباب السادس عشر: فى شىء من أخبار مقام إبراهيم الخليل عليه السلام.

الباب السابع عشر: فى شىء من خبر حجر إسماعيل عليه السلام، وفيه بيان المواضع التى صلى فيها النبى ﷺ حول الكعبة.

الباب الثامن عشر: فى شىء من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذرعه.

الباب التاسع عشر: فى عدد أساطينه وصفتها وعدد عقوده وشرفاته وقناديله وأبوابه وأسمائه ومنايره[1] وفيما صنع فيه لمصلحة أو لنفع الناس به وفيما فيه الآن من المقامات وكيفية صلاة الأئمة بها وحكمها.

الباب العشرون: فى أخبار زمزم وسقاية العباس رضي الله عنه.

الباب الحادى والعشرون: فى ذكر الأماكن المباركة بمكة وحرمها.

الباب الثانى والعشرون: فى الأماكن التى لها تعلق بالمناسك.

الباب الثالث والعشرون: فيما بمكة من المدارس والربط والسقايات والبرك المسبلة[2] والآبار والعيون والمطاهر[3] وغير ذلك من المآثر وما فى حرمها من ذلك.

---

(١) المناير: المآذن.

(٢) المجعولة وقفا يردها كل من يشاء.

(٣) المطاهر: الأمكنة المعدّة لقضاء الحاجات والوضوء والإستحمام وغيرها من أنواع الطهارة.

الباب الرابع والعشرون: في ذكر شيء من خبر بني المحض بن جندل ملوك مكة ونسبهم وذكر شيء من أخبار العماليق ملوك مكة ونسبهم، وذكر ولاية طَسْم البيت الحرام.

الباب الخامس والعشرون: في ذكر شيء من خبر جرهم، ولاة مكة، ونسبهم وذكر من ملك مكة من جرهم ومدة مُلْكِهم لها، وما وقع في نسبهم من الخلاف وفوائد متعلقة بذلك، وذكر من أخرج جرهمًا من مكة، وكيفية خروجهم منها وغير ذلك من خبرهم.

الباب السادس والعشرون: في ذكر شيء من خبر النبي إسماعيل ﷺ وذكر ذبح إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام.

الباب السابع والعشرون: في ذكر شيء من خبر «هاجر» أم إسماعيل ﷺ، وذكر أسماء أولاد إسماعيل وفوائد تتعلق بهم، وذكر شيء من خبر بني إسماعيل، وذكر ولاية نابت[1] بن إسماعيل للبيت الحرام.

الباب الثامن والعشرون: في ذكر ولاية إياد بن نزار بن معد بن عدنان للكعبة وشيء من خبره، وذكر ولاية بني إياد بن نزار للكعبة، وشيء من خبرهم وخبر مُضَر، ومن ولي الكعبة من مضر قبل قريش.

الباب التاسع والعشرون: في ذكر من ولي الإجازة بالناس من عرفة ومزدلفة ومنى من العرب في ولاية جُرْهم وفي ولاية خزاعة وقريش على مكة.

الباب الثلاثون: في ذكر من ولي إنساء[2] الشهور من العرب بمكة، وذكر صفة الإنساء، وذكر الحمس والحلة، والتَّلَمُّس.

الباب الحادي والثلاثون: في ذكر شيء من خبر خزاعة، ولاة مكة في الجاهلية، ونسبهم ومدة ولايتهم لمكة، وأول ملوكهم بها، وغير ذلك من خبرهم،

---

(١) تحرف في م إلى: «ثابت».

(٢) إنساء الشهور: تأخير الأشهر الحرم إلى ما بعدها.

وشيء من خبر عَمرو بن عامر ماء السماء الذى تنسب إليه خزاعة على ما قيل، وشيء من خبر بنيه وغير ذلك.

الباب الثانى والثلاثون: فى ذكر شيء من أخبار قريش بمكة فى الجاهلية، وشيء من فضلهم وما وصفوا به، وبيان نسبهم وسبب تسميتهم بقريش، وابتداء ولايتهم للكعبة وأمر مكة.

الباب الثالث والثلاثون: فى ذكر شيء من خبر بنى قُصَىٍّ بن كلاب بن مُرَّة وتوليتهم لما كان بيده من الحجابة، والسقاية والرفادة، والندوة، واللواء، والقيادة، وتفسير ذلك.

الباب الرابع والثلاثون: فى ذكر شيء من خبر الفِجار والأحابيش.

الباب الخامس والثلاثون: فى حلف الفضول وخبر ابن جدعان الذى كان هذا الحلف فى داره، وذكر أجواد قريش وحكامهم فى الجاهلية، وتملك عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى عليهم، وشيء من خبره.

الباب السادس والثلاثون: فى ذكر فتح مكة المشرفة وفوائد تتعلق بخبر فتحها.

الباب السابع والثلاثون: فى ذكر ولاة مكة المشرفة فى الإسلام.

الباب الثامن والثلاثون: فى ذكر حوادث تتعلق بمكة فى الإسلام.

الباب التاسع والثلاثون: فى ذكر شيء من أمطار مكة وسيولها فى الجاهلية والإسلام، وذكر شيء من أخبار الصواعق بمكة، وذكر شيء من أخبار الغلاء والرخص والوباء.

الباب الأربعون: فى ذكر الأصنام التى كانت بمكة وحولها، وشيء من خبرها، وذكر شيء من خبر أسواق مكة فى الجاهلية والإسلام، وذكر شيء مما قيل من الشعر فى التشوق إلى مكة المشرفة، وذكر متنالها المنيفة.

وأنا أسأل من كل واقف على هذا المختصر وأصله المسامحة عما فيهما من التقصير وإصلاح ما فيهما من الغلط بعد التحرير فسبب الغلط فى الغالب النسيان،

وقد جُبل عليه كل إنسان، وسبب التقصير ما ذكرته من أنى لم أر مؤلفًا فى المعنى الذى قصدت جمعه مما كان بعد الأزرقى والفاكهى أستغنى به.

وأسأل الله أن يمنحنى على ما قصدت الثواب الجزيل بمحمد سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين.

وقد رأيت أن أذكر إسنادى فى تاريخ الأزرقى لكثرة المنقول منه فى هذا الكتاب، وإذا كان ذلك متصلاً إليه بالإسناد فهو مما يستجاد، وأخبرنى به أبو المعالى عبد الله بن عمر الصوفى بقراءتى عليه فى القاهرة عن أبى زكريا يحيى بن يوسف القرشى إجازة إن لم يكن سماعًا: أن أبا الحسن على بن هبة الله الخطيب وعبد الوهاب بن ظافر الأزدى أنبآه عن أبى طاهر أحمد بن محمد الحافظ، قال: أخبرنا به المبارك بن عبد الجبار المعروف بابن الطيورى، قال: أخبرنا به أبو طالب محمد بن على بن الفتح العشارى، قال: أخبرنا به أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى موسى الهاشمى، قال: أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال: أخبرنا به أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى... فذكره.

الباب الأول

في ذكر مكة المشرفة وحكم بيع دورها وإجارتها

مكـــة المشرفة بلدة مستطيلة كبيرة تسع من الخلائق ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل فى بطن وادٍ مقدَّس، والجبال محدقة بها، كالسور لها ولها مع ذلك ثلاثة أسوار: سور فى أعلاها ويعرف بسور باب المَعْلاة، وفيه بابان أحدهما لا باب له ويكون فى الغالب مسدودًا، وسوران فى أسفلها أحدهما يُعرف بسور باب الشبيكة، وفيه باب كبير وخوخة صغيرة لا باب لها، والسور الآخر يعرف بسور باب الماجن، ويعرف أيضًا بسور باب اليمن لأنه على طريق البر إلى اليمن.

وكان أحصن[1] هذه الأسوار على ما رأينا سور باب الشبيكة لكماله بالبناء فيما بين الجبلين اللذين بينهما السور المذكور، ولا كذلك سور باب المعلاة وسور باب الماجن، والخلل فى سور باب الماجن أكثر، ولقصر جُدُر هذين السورين فى مواضع، ولا كذلك سور باب الشبيكة، وقد عُمِّر سور باب المعلاة وسور باب الماجن حتى كمل بناؤهما من الجبل إلى الجبل، إلا أن فى سور باب المعلاة موضعًا متخللاً من البناء مما يلى البركة المعروفة ببركة الصارم، وارتفع جُدُر السورين عما كانا عليه، ويذكر أنهما يرفعان أكثر ويعمل لهما شرفات، ويكمل الخلل الذى فى سور باب المعلاة وهذه العمارة فى النصف الثانى من سنة ست عشرة وثمانمائة من جهة الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسنى نائب السلطنة ببلاد الحجاز أدام الله له الرفعة والإعزاز.

وسبب ذلك أن ابن أخيه السيد رميثة بن محمد بن عجلان هجم على مكة ودخلها فى طائفة من أصحابه فى ضحوة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ومال إليه جماعة من المولدين [الذين][2] كانوا بمكة وخرجوا جميعًا منها، ولم يحدثوا بها كبير حدث لتخوفهم من وصول السيد حسن ابن عجلان إليهم فيستأصلهم لكثرة من معه وقلتهم، وكانت مدة مكثهم بمكة ساعة فلكية أو أزيد، ولما توجه رميثة لمكة لم يكن لعمه علم به، ولما علم بذلك

(١) تحرف فى م إلى: «أحسن».

(٢) ساقط من م.

أتى مكة مسرعًا ودخلها من درب المعلاة، ورأى أوائل عسكره أصحاب رميثة خارجين من مكة فتبعهم السيد حسن فى عسكره قليلا ثم أعرض عنهم، رحمة لهم، وكان بين الفريقين بعد ذلك منازلات وأمور كثيرة.

ثم إن بعض عسكر السيد حسن هدم عدة مواضع من سور باب المعلاة من جانبيه، منها موضع كبير يلى الجبل الشامى عند البرج الذى هناك سعته نحو عشرة أذرع حتى اتصل الهدم بالأرض، ومنها موضع نحوه من الجانب الآخر متصل ببركة الصارم، وذلك فى يوم الثلاثاء خامس وعشرين شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة، ثم أعيد بناء جميع ما تهدم من هذا السور كما كان، فى بقية شوال[1].

وفى أول ذى القعدة من السنة المذكورة، وفى يوم هدم ذلك أحرق باب المعلاة بالنار حتى سقط إلى الأرض، وكان عمل بكنباية[2] من بلاد الهند فى سنة ست وثمانين وسبعمائة وأهدى للسيد أحمد بن عجلان وركّبه على باب المعلاة عنان بن مغامس بن رميثة فى سنة تسع وثمانين لما ولى إمرة مكة بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان، وسبب إحراقه وهدم ذلك أن عسكر السيد رميثة بن محمد بن عجلان منعوا عسكر عمه السيد حسن من دخول مكة لما ولى إمرة مكة عوض رميثة فى ثامن عشر من رمضان هذه السنة، وبأمره كان بناء ما هدم، وبأمره عوض عن الباب المحترق بباب جيد وركب فى محله فى يوم الجمعة ثانى عشر القعدة من السنة المذكورة، وهذا الباب كان لبعض دور السيد حسن بمكة، وكان ينقص عن مقدار باب المعلاة، فزيد فيه ما كمله وأحكمت الزيادة فيه[3].

وكان لمكة سور من أعلاها دون سورها اليوم قريبًا من المسجد المعروف بمسجد الراية، وموضع باب هذا السور، على ما ذكر لى غير واحد، فيما بين الدارين المتقابلين المنسوبتين لمسعود بن أحمد المعروف بالأزرق المكى التى بإحداهما الآن ذيب مشروعة لا سقف عليها فى محاذاة ركنى الدارين مما يلى الردم، وإذا

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٥٣٣.

(٢) فى المطبوعتين: «بكلكته» والمثبت رواية الأصل وإتحاف الورى.

(٣) إتحاف الورى ٣/ ٥٣٢.

كان محل باب السور فى محاذاة هذين الركنين فالظاهر، والله أعلم، أن محل بقية السور يحاذى بابه من جانبى الباب، وأنه من الجبل الذى إلى جهة القرارة، ويقال له لعلع إلى الجبل المقابل له الذى إلى جهة السوق، أى سوق الليل، لأن التحصن بهذا السور لا يتم إلا بأن يكون هكذا.

وفى الجبلين المشار إليهما آثار بناء تدل على اتصال السور بهما، وبعض هذا السور الآن على ما بلغنى فى[1] بعض البيوت المحاذية له لأن بعض الناس أرانى فى بعض الدور المنسوبة للراتكيين[2] جدارًا عريضًا ذكر أنه من السور الذى كان هناك ونقل ذلك عن بعض أقاربه، ويقال الآن لموضع باب السور المشار إليه الدرب الدارس، ويقال لهذا السور فيما مضى السور الجديد، لأنى وجدت بخط مسند مكة وموثقها عبد الرحمن بن أبى حرمى الكاتب العطار ما يقتضى ذلك.

ومن موضع باب السور المشار إليه بالأرض عند ركنى الدارين المشار إليهما مما يلى الردم إلى الجدار القبلى من المسجد المعروف بمسجد الراية مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعًا وربع ذراع، بالذراع الحديد يكون ذلك[3] بذراع اليد الآتى تحريره مائة ذراع وأربعين ذراعًا وستة أسباع ذراع.

ومن موضع باب السور، الذى أشرنا إليه، إلى جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب بنى شيبة تسعمائة ذراع، بتقديم التاء، وعشرون ذراعًا ونصف ذراع بالحديد، ويكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع واثنين وخمسين ذراعًا.

وما عرفت متى أنشئت[4] هذه الأسوار لمكة ولا من أنشأها ولا من عمرها، غير أنه بلغنى أن الشريف أبا عزيز قتادة بن إدريس الحسنى أحد أجداد السيد حسن المذكور عمرها، والله أعلم بصحة ذلك، وأظن أن فى دولته عمر السور الذى كان بأعلى مكة، وفى دولته سهلت العقبة[5] التى بنى عليها سور باب

---

(١) م: «من».

(٢) كذا فى الأصل، وفى م، هـ: «للراكيين».

(٣) ذلك: سقطت من م.

(٤) م: «نشأت».

(٥) فى المطبوعتين: «العقبى» والمثبت رواية الأصل وهى الصواب.

الشبيكة وأصلحت، وذلك من جهة المظفر صاحب إربل فى سنة سبع وستمائة، ولعله الذى بين السور الجديد الذى كان بأعلى مكة، والله أعلم.

ورأيت فى بعض التواريخ ما يقتضى أنه كان لمكة سور فى زمن المقتدر بالله العباسى، وما عرفت هل هو هذا السور من أعلى مكة وأسفلها أو من إحدى الجهتين؟ والله أعلم.

وطول مكة، من باب المعلاة إلى باب الماجن على خط الردم والمسعى والسوق المعروف بسوق العلافة(١) ومسيل وادى إبراهيم، أربعة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين، وذلك ذراع اليد الآتى ذكره فى حدود الحرم وهو ينقص عن ذراع الحديد ثُمن ذراع الحديد.

وطول مكة من باب المَعْلاة إلى باب الشبيكة على خط الردم والمسعى ومسيل وادى إبراهيم إلا أنه ينحرف عنه إلى باب الشبيكة فى الزقاق الذى يخرج منه على البيت المعروف ببيت ابن عرفة بالشبيكة، أربعة آلاف ذراع وستمائة ذراع واثنان وتسعون ذراعًا بتقديم التاء وذلك بذراع اليد المشار إليه.

ومن باب المَعْلاة إلى باب الشبيكة أيضًا على خط الردم يعدل منه من سوق اللبن(٢) والحشيش إلى السويقة، ثم إلى الشبيكة أربة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعًا بتقديم السين، وذلك بذراع اليد المشار إليه وما عرفت أن أحدًا قبلى اعتبر ذلك، وذكرناه فى أصل هذا الكتاب [مقدار ذلك بالأميال على قول من قال إن الميل ألف ذراع، وهو قول ابن حبيب المالكى](٣) ويقع فى بعض نسخ ابن الحاجب لتشهيره قول من قال إنه: ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع وهو أصح ما قيل فى الميل على ما ذكره ابن عبد البر فيما نقله عنه صاحب «التوضيح» الشيخ خليل المالكى وقول من قال إنه: أربعة آلاف وهو الذى يعتمده أهل

---

(١) واسمه الآن: السوق الصغير.

(٢) م: «سوق الين» هـ: «سوق الليل» والمثبت رواية الأصل، ولدى الأزرقى سوق اسمه: سوق اللبانين.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من م.

الحساب وعليه أكثر الناس على ما قال القاضي أبو الوليد الباجي فيما نقله عنه صاحب «التوضيح» أيضًا، وقول من قال: إنه ستة آلاف ذراع، وهو قول الأصمعي ومتابعيه من الشافعية وغيرهم.

وذكر الفاكهي ما يقتضي أن الناس فيما مضى كانوا لا يتجاوزون في السُّكْنَى البئر التي عند المسجد الذي عند الردم، بأعلى مكة، لأنه قال في الترجمة التي ترجم عليها بقوله: ذكر المواضع التي تستحب فيها الصلاة بمكة وآثار النبي ﷺ فيها وتفسير ذلك... ومنها مسجد بأعلى مكة عند الردم عند بئر جبير بن مُطعم ابن عدي بن نوفل، ويقال لها: البئر العليا، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه، ثم قال سمعت بعض أهل مكة من الفقهاء يقولون: كان الناس لا يجاوزون في السكنى في قديم الدهر هذا البئر، إنما كان الناس فيما دونها إلى المسجد وما فوق ذلك خال من الناس، وقال عمر بن أبي ربيعة أو غيره يذكر هذا البئر:

نَزَلَتْ بمكة في قبائل نَوْفَلِ ... ونَزَلْتُ خلف البئر أبعد منـزل

حَذَرًا عليها من مقالة كاشح ... ذَرِب اللسان يقول ما لم يفعلِ[(١)]

وسمعت أبا يحيى بن أبي ميسرة يقول: كان آخر البيوت عند الردم نحوًا من هذا الموضع، واحتج في ذلك بقول عطاء: إذا جاوز الردم «يعني الحاج» صنع ما شاء. اهـ.

والمسجد المشار إليه هو المسجد المعروف بمسجد الراية، والبئر المشار إليها لعلها البئر التي عند هذا المسجد وهي معروفة عند الناس ويستقون منها، ويُحتمل أن تكون البئر التي كانت بقرب بئر ابن المرة بقرب هذا المسجد من أعلاه، وهي الآن خافية لأنها طُمَّت[(٢)] من نحو اثني عشر عامًا، وهي منه أبعد من البئر الموجودة الآن، والأول أقرب، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٤/ ١٩، والبيتان في ديوانه ص١٧٧.

(٢) كذا في الأصل، ومثله في م، وفي هـ: «طمست» وبهامشها: «طمت» تصحيف، ولا أرى ما بهامش (هـ) صوابا، وطَمَّ الشيءَ طمًّا غَمَرَه وغطَّاه، يقال: طَمَّ الترابُ البئرَ.

وللناس اليوم منازل كثيرة مسكونة فوق هذا المسجد، والبئر المشار إليها من جانبي الوادي، وهي من الجانب الذي يكون على يمين الصاعد من مكة المشرفة.

ومن الجبال المحدقة بمكة أخشباها، وهما أبو قُبيس والجبل الأحمر، على ما ذكر الأزرقي[1]، لأنه قال: أخشبا مكة أبو قبيس، وهو الجبل المشرف على الصفا إلى السويداء إلى الخندمة، ثم قال بعد ذكر شيء من خبر أبي قبيس: والأخشب الآخر الجبل الذي يقال له الأحمر، وكان يسمى في الجاهلية «الأعرف» وهو الجبل المشرف وجهه على قعيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير. اهـ.

وذكر ابن الأثير والمحب الطبري في أخشبي مكة مثل ما ذكره الأزرقي، وذكر القاضي عياض في المشارق، وياقوت في مختصره لمعجم البلدان[2]، ما يقتضي خلاف ذلك في الأحمر.

أما القاضي فلأنه قال: الأخشبان جبلان يضافان مرة إلى مكة ومرة إلى المدينة، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان، ويقال: بل الجبل الأحمر المشرف هنالك ويسميان الجبجبان، وقال ابن وهب: الأخشبان: الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد. اهـ.

وقوله: ومرة إلى المدينة، لعله ومرة إلى منى، بدليل ما حكاه عن ابن وهب، والله أعلم.

وأما ياقوت فقال: باب: الأخشب موضعان، الأخشب الشرقي والأخشب الغربي وهما الأخشبان، فالشرقي هو أبو قبيس، والغربي قعيقعان، وقيل: بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك، وقد بسطا في المعجم[3]. اهـ.

وأبو قبيس: بقاف مضمومة وباء موحدة مفتوحة وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة، واختلف في سبب تسميته بذلك فقيل: سمي برجل من إياد على ما قيل يقال له أبو قبيس كان أول من بنى فيه، فلما صعد فيه البناء سمي جبل أبي

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ٢٦٦.

(٢) المشترك وضعا والمفترق صقعا ص١٦.

(٣) معجم البلدان ١/ ١٢٢.

قبيس، ذكر هذا القول الإمام الأزرقى[١] بمعنى ما ذكرناه، قال: ويقال اقتبس منه الركن فسمى أبا قبيس، والأول أشهرهما عند أهل مكة، ولم يذكر الأزرقى فى سبب تسميته أبا قبيس غير هذين القولين، وقيل إن أبا قبس الذى سمى به هذا الجبل المشار إليه من مذحج، ذكر ذلك النووى نقلاً عن ابن الجوزى، لأنه قال فى التهذيب: حكى ابن الجوزى فى سبب تسميته بذلك قولين، الصحيح منهما أن أول من نهض يبنى فيه رجل من مَذحِج يقال له أبو قبيس، فلما صعد بالبناء فيه سُمى أبا قبيس، والثانى ضعيف أو غلط فتركناه.

والقول الذى ترك النووى ذكره هو القول الذى أشار إليه الأزرقى بقوله: ويقال اقتبس منه الركن فسمى أبا قبيس، لأن المحب الطبرى قال فى القرى فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ما جاء فى فضل مكة وحرمها وأنها خير أرض الله فى الباب الأربعين: واختلف فى سبب تسمية أبى قبيس بذلك فقيل، إنه أول من نهض يبنى فيه رجل من مذحج يقال له أبو قبيس فسُمّى به وقيل: لأنه اقتبس منه الركن فسمى بذلك، والأول أصح، ذكرهُ فى «مثير العزم»[٢]. انتهى.

ومثير العزم هو «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» تأليف الحافظ أبى الفرج بن الجوزى على ما هو مشهور فى نسبة هذا الكتاب إلى ابن الجوزى، ويتأيد ذلك بأن المحب الطبرى قال فى القرى بعد أن أخرج حديثاً فى الباب الأول منه: خرجه ابن الجوزى مسنداً فى كتاب «مثير العزم الساكن». اهـــ.

وإذا كان ما ذكره المحب الطبرى فى تسمية أبى قبيس مذكوراً فى «مثير العزم الساكن» صح ما ذكرناه فى بيان القول الذى ترك النووى ذكره، والله أعلم.

وذكر الفاكهى القولين فى الرجل الذى بنى فى أبى قبيس أولاً، هل هو من إياد أو من مذحج؟ وسماه قبيساً، وهذا يخالف ما ذكره الأزرقى من أنه أبو قبيس، ولعله سقط لفظ أبى فى كتاب الفاكهى[٣]، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٠٢، ٢٠٣.
(٢) القرى للمحب الطبرى ص٦٤٨.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٤/ ٤٧.

فيتحصل في نسبه قولان وفي اسمه قولان، وقيل في سبب تسمية هذا الجبل بأبي قبيس غير ما ذكر لأن أبا القاسم السهيلي قال في روضه: وثور جبل من جبال مكة، وثبير أيضًا جبل من جبالها، ذكروا أن ثبيرا كان رجلاً من هذيل مات في ذلك الجبل فعرف به الجبل، كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالخ رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه مية، فنذرت ألا تكلمه، وكان شديد الكلف بها، فحلف ليقتلن قبيسًا، فهرب منه إلى الجبل المعروف به وانقطع خبره، فإما مات وإما تردى منه، فسمي الجبل أبا قبيس.

وذكر السهيلي: أن ابن هشام ذكره في خبر طويل في غير السيرة لابن إسحاق.

وقيل في سبب تسميته: إن النار التي بأيدي الناس اقتبست منه، وذلك أن سرْجَتَيْن(١) نزلتا من السماء فوقعتا نارًا فاقتبس منهما آدم النار التي بأيدي الناس، ذكر ذلك محمد بن إبراهيم الوراق في كتاب «مباهج الفكر ومناهج العبر» وهذا معنى ما ذكره، وذكر الوراق: أنه يقال له أبو قابوس وشيخ الجبال، ولم أقف على هذا الكتاب الذي ذكر الوراق فيه ما حكيناه عنه في أبي قبيس، وإنما وجدته بخط بعض أصحابنا نقلاً عنه.

وأبو قبيس: اسم لموضعين: أحدهما هذا الجبل، والآخر حصن بحلب قبالة شَيْزَر، ذكره ياقوت في مختصره لمعجم البلدان(٢).

وسنذكر من الأخبار المتعلقة بأبي قبيس غير ما ذكرناه هنا عند ذكره في الباب الحادي والعشرين من هذا الكتاب.

والأحمر الذي قيل فيه إنه أحد أخشبي مكة بحاء وراء مهملتين بينهما ميم، ومنه على ما قيل بنى الخليل إبراهيم عليه السلام الكعبة على ما رويناه عن عبد الله بن

(١) م، هـ: «سَرْحَتَيْن» بالحاء المهملة، تحريف.

(٢) المشترك وضعا ص١١.

عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وروينا ذلك عن أبى قلابة فى تاريخ الأزرقى[١].

والأحمر اسم لثلاثة مواضع على ما ذكر ياقوت فى معجم البلدان، لأنه قال: باب: الأحمر ثلاثة مواضع، الأول الأحمر، جبل مشرف على قعيقعان، كان يُسمى فى الجاهلية الأعرف.

الثانى: الأحمر حصن بسواحل الشام، كان يعرف بعثليث.

الثالث: الأحمر ناحية بالأندلس من ناحية سرقسطة يقال له البرج الأحمر!!.

وقعيقعان الذى قيل: إنه أحد أخشبى مكة، قال ياقوت فى تعريفه لما ذكر المواضع التى سُميت قُعَيْقَعَان: [وقعيقعان][٢]: بضم القاف وفتح العين[٣]. انتهى.

وذكر النووى ما يوافق ذلك لأنه قال بعد أن ذكر محله من الروضة، هو بضم القاف الأولى وفتح العين وبعدها ياء مثناة من تحت ساكنة وكسر القاف الثانية: وهو جبل مكة المعروف، مقابل لأبى قبيس[٤]. انتهى.

وقوله: وقول ياقوت فى تعريف قعيقعان هذا: إنه مقابل أبى قبيس يفهم أنه أخشب مكة الآخر، والله أعلم.

والأخشب فى اللغة: كل جبل خشن غليظ، ذكر ذلك ابن الأثير، وهو فى صحاح الجوهرى بمعنى ذلك، وسمى قعيقعان لقعقعة سلاح مضاض بن عمرو الجرهمى وقومه فيه لما خرجوا لقتال قطورا على ما سنذكر فى خبرهم فى الباب الخامس والعشرين، وقيل لقعقعة سلاح تبع لما قدم مكة لتعظيم حرمة البيت بعد أن كان له فيه رأى غير ذلك.

وقُعَيْقَعَان اسم خمسة مواضع، ذكر ياقوت فى مختصره لمعجم البلدان منها ثلاثًا: هذا، ومنها موضع على اثنى عشر ميلاً من مكة على طريق الجرف إلى

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٦٧.

(٢) ساقط من م، هـ.

(٣) المشترك وضعا ص٣٥٥.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج٢ ص١١٠.

اليمن، ونقل ذلك عن عرام، وعندها قرية بها ماء وزروع ونخيل، ومنها جبل بالأهواز، منه نحتت أساطين جامع البصرة. انتهى ما ذكره ياقوت بالمعنى[١].

والموضعان اللذان لم يذكرهما ياقوت هما موضع مشهور يليه واد مشهور قرب الطائف، وحصن باليمن بين ذمار وإرياب، أفادنيه من يعتمد عليه من الأصحاب، وفيه الجبال بمكة والخارجة عنها، لا يعرف منها بما ذكره الأزرقى من أسمائها إلا القليل، ولذلك أعرضنا عنها[٢].

وبمكة أبنية كثيرة، ولم يذكر منها إلا الأماكن المباركة والمآثر، وإنما أعرضنا عن ذكر ما سوى ذلك من الأبنية لأنها إنما تعرف بمن هى فى أيديهم، وتعريفها بهم لا يجزئ إلا فى الوقت الحاضر لأجل نقلها من أيديهم بالبيع وغيره، وتشتهر بمن صارت إليهم وتنسى معرفتها بمن كانت به معروفة من قبل فى الغالب، كما جرى للأزرقى فى تعريفه رباع مكة فإنها لا يعرف الآن منها بما ذكره الأزرقى إلا النادر كما سيأتى بيانه، ووقع فيما ذكرناه من أمر مكة ذكر المعلاة فنذكر حدَّها وحد ما يعرف من مكة بالمسفلة.

وقد ذكره الأزرقى فى تاريخه لأنه قال «المعلاة وما يليها من ذلك»[٣]:

حد المعلاة من شق مكة الأيمن ما جاوز دار الأرقم بن أبى الأرقم، والزقاق الذى على الصفا يصعد منه إلى جبل أبى قبيس مصعدًا فى الوادى، فذلك كله من المعلاة ووجه الكعبة والمقام وزمزم وأعلى المسجد.

وحد المعلاة من الشق الأيسر من زقاق البقر الذى عند الطاحونة ودار عبد الصمد بن على اللبان، مقابل دار يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى يقال لها: دار العروس مصعدًا إلى قعيقعان، ودار جعفر بن محمد، ودار العجلة وما جاز سيل قعيقعان إلى السويقة وقعيقعان مصعدًا فذلك كله من المعلاة.

وحد المسفلة من الشق الأيمن من الصفا إلى أجيادين فما أسفل منه فذلك كله من المسفلة.

---

(١) المشترك وضعا ص٣٥٥.

(٢) هـ: «عنه».

(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٦٦.

وحدّ المسفلة من الشقّ الأيسر من زقاق البقر منحدرًا إلى دار عمرو بن العاص ودار ابن عبد الرزاق الجمحي ودار زبيدة، فذلك كله من المسفلة، فهذه حدود المعلاة والمسفلة. انتهى.

وهذه الدور التي ذكرها الأزرقي لا يُعرف منها الآن غير دار الأرقم ودار العجلة، وأما دار عمرو المشار إليها فلعلها من الموضع المعروف بخرابة قريش، لأنها بقرب باب المسجد الحرام الذي يقال له باب عمرو بن العاص على ما ذكر الأزرقي، وهو الباب المعروف بباب السدة، وتولى بيع ذلك من عصرنا أناس كثيرون من ذرية عمرو بن العاص ﷺ، غالبهم يسكن الموضع المعروف بالوهط من بلاد الطائف، ومنهم صارت للشهاب بركوت المكين وعمر فيها عمارة حسنة جدًا، لا يوجد مثلها بمكة، وأدار عليها حائطًا مرتفعًا من جميع جوانبها، وكان ابتداء عمارته لذلك في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة[1].

ولعل زقاق البقر المذكور في حد المعلاة والمسفلة هو الزقاق الذي يصعد منه إلى الموضع المعروف بمعبد الجنيد والله أعلم.

وأظن أن دار العجلة يَنقص مقدارها عما كان في زمن ابن الزبير لكونها ذُكرت في حد المسفلة والمعلاة، ولا يكون كذلك إلا أن يكون منها الموضع المعروف بدار أبي سعيد، والله أعلم.

وإذا خفي غالب الدور التي ذكرها الأزرقي في حد المسفلة والمعلاة فكيف بما ذكره من تعريف رباع مكة كلها بمن تُنسب إليه، وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن تعريف رباع مكة بمن هي في أيديهم لا يجدى إلا في الوقت الحاضر، والله أعلم.

وحَوْز أهل المسفلة في عصرنا من جهة الصَّفَا يمتد إلى الميل الذي بمنارة المسجد الحرام المعروفة بمنارة باب علي، وكان يمتد حوزهم إلى المطهرة الناصرية بالمسعى على ما قيل، وحوزهم من جهة دار العجلة إلى الدار المعروفة بدار أبي سعيد، وهي ملاصقة للدار العجلة.

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٤٨٢.

وذكر الفاكهي ما يقتضي تفضيل المعلاة على المسفلة لأنه قال: «ذكر فضل المعلاة على المسفلة» إلخ، حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا حمزة بن عتبة اللهبي قال: سمعت أن النبي ﷺ لما حد المشاعر بالمعلاة والمسفلة والجمار والصفا والمروة والسعي والركن والمقام والحجر، برز إلى أسفل مكة فنظر يمينًا وشمالاً فقال: «ليس لله تبارك وتعالى فيما هاهنا حاجة» يعني من المشاعر[(١)]. انتهى.

وهذا خبر غريب، ولذلك أوردناه، والله أعلم بصحته.

وأول دار بُنِيَتْ بمكة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة دار الندوة، بناها قصي بن كلاب لما ملك مكة ليحكم فيها، يجتمع فيها هو وقومه للمشورة، واقتدت به قريش من بعده في الاجتماع للمشورة بها تبركًا برأيه، ودخلت كلها في المسجد الحرام دفعات، وذكر الزبير بن بكار عن أبي سفيان بن أبي وداعة السَّهْمي أن سعيد بن عمرو بن هصيص السهمي أول من بنى بمكة بيتًا، وأنشد لأبي سفيان شعرًا يدل عليه وهو قوله:

فأول من بوَّأ بمكة بيته ... وسوَّر فيها ساكنًا بأثاف[(٢)]

ولم يذكر أنه جعل بابها إلى مسجد الكعبة، والله أعلم.

وينبغي لمن بنى بمكة بيتًا أن لا يرفع بناءه على الكعبة، فإن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يأمر بهدمه، وهذا في تاريخ الأزرقي[(٣)] لأن فيه ما جاء في أسماء الكعبة ولم سميت الكعبة، وأن لا يبنى بناء يشرف عليها، ثم قال: حدثني جدي عن ابن عيينة عن ابن شَيْبَةَ[(٤)] الحَجَبي عن شيبة بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتًا مشرفًا على الكعبة إلا أمر بهدمه، ثم قال: قال جدّي: لما أن بني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهم داره التي بمكة

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٣/ ٩٩.

(٢) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص١٦.

(٣) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٧٩.

(٤) تحرف في الأصل والمطبوع إلى: «نبيه» وصوابه لدى النهروالي وهو ينقل عن المصنف ومثله كذلك لدى ابن فهد في حُسْنِ القرى ص٩.

على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر قوامه أن لا يرفعوها فيشرفوا بها على الكعبة، وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة فتكون دونها إعظامًا للكعبة أن يشرف عليها، قال جدي: فلم يبق بمكة دار لسلطان ولا لغيره حول المسجد الحرام تشرف على الكعبة إلا هدمت أو خربت إلا هذه الدار فإنها على حالها إلى اليوم(١).

وبمكة عين جارية من أعلاها إلى أسفلها ويختلف جريانها إذا كثر فيها الماء وصل إلى البركة المعروفة ببركة الماجن وإذا قلّ بلغ سوق الليل، وهذه العين معروفة عند الناس بعين «بازان» بباء موحدة وزاي معجمة بينهما ألف.

وبمكة آبار كثيرة غالبها مسبلة، وسقايات وبرك، وسيأتي ذكر ذلك كله بأوضح من هذا.

وبها حمّامان، أحدهما لأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المُرِّي بأجياد، وقفه على رباطه بالمَرْوَة، والآخر لا أعرف من يُنسب إليه، ولعله الحمام الذي بناه الجواد وزير صاحب الموصل، وكان بمكة على ما ذكره الفاكهي ستة عشر حمامًا، وبين الفاكهي مواضعها من البلد، وليس منها الآن شيء معروف.

وذكر أن بأجياد منها ثلاثة، وأن بشعب ابن عامر اثنين، وشعب ابن عامر هو الشعب المعروف بشعب عامر بأعلى مكة.

وذكر الفاكهي بعد عَدِّه لهذه الحمامات حمامًا آخر قال: يقال إنه بالصفا فتصير به الحمامات التي كانت بمكة إن صح أمره سبعة عشر حمامًا(٢)، والله أعلم.

ولمكة مخاليف كثيرة معروفة إلى الآن، منها وادي الطائف ويشتمل على قرى كثيرة، وسيأتي شيء من خبره، ووادي لِية ويشتمل على قرى كثيرة، ووادي مر، ويقال له مر الظهران والهَدَة، هدة بني جابر، ووادي نخلة، وهذه الثلاثة الأودية تشتمل على قرى كثيرة فيها نخل وأشجار وعيون جارية، وفيها مواضع كثيرة متخربة تدل على أنها كانت معمورة بالعيون وغير ذلك، وما عرفت أول من أنشأ

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٨٢.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٣/ ١٠١.

هذه العيون، وأقدم قرى وادى مر ذكرًا سروعة لأنها مذكورة فى كتاب الفاكهى فى ذكر فضل جُدَة(١).

ورأيت لأرض حسان ذكرًا فى مكتوب مبيع فيها فى عشر السبعين، بتقديم السين، وخمسمائة، وإلا ففى عشر الثمانين، الشك منى.

وذكر السُّهَيْلى خلافًا فى تسميته بمَرّ قال: وسُمّى مَرًّا لأن فى عرق من الوادى من غير لون الأرض شبه الميم الممدودة بعدها راء خلقت كذلك، قال ويذكر عن كثير سميت مَرًّا لِمَرارتها(٢) ولا أدرى ما صحة ذلك(٣). اهـ.

ونقل الحازمى عن الكِندى أنّ مَرًّا اسم للقرية، والظهران اسم للوادى(٤). انتهى.

ومن مر إلى مكة فيما قال البكرى: ستة عشر ميلا(٥)، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: أحد وعشرون، حكاه ابن وضاح، والله أعلم(٦).

وبعض وادى نخلة يعرف بنخلة الشامية، وبعضه يعرف بنخلة اليمانية فمن الشامية البردان، والتنضب(٧) وبشراك وخيف بنى عمير، وما يلى ذلك(٨).

ومن اليمانية سُوَلَة(٩) والزَّيْمة(١٠) ويقال لنخلة: بستان ابن عامر، ذكر ذلك ابن سيد الناس فى سيرته لما ذكر سرية عبد الله بن جحش ﷺ إلى نخلة(١١)، ويقال لنخلة: بستان بنى عامر، كذا فى كتب الحنفية، ولعله تصحيف(١٢)، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ٥٤.
(٢) تحرف فى م، ب إلى: «سميت من المرار لها» وهو تحريف قبيح، صوابه من الأصل والروض الأنف الذى ينقل عنه المصنف، وحسن القرى وهو ينقل عن السهيلى كذلك.
(٣) الروض الأنف ١/ ١٨٤.
(٤) حسن القرى ص١٢ وهو ينقل عن المؤلف.
(٥) معجم ما استعجم ٤/ ١٢١٢.
(٦) حسن القرى ص١٢ نقلا عن المؤلف.
(٧) البردان والتنضب: قريتان أو عينان عليهما زروع ونخيل بأعلى نخلة الشامية.
(٨) حسن القرى ص١٢ نقلا عن المؤلف.
(٩) سولة: قلعة على رابية بوادى نخلة تحتها عين جارية ونخيل.
(١٠) الزيمة: قرية بوادى نخلة من نواحى مكة.
(١١) عيون الأثر ١/ ٢٢٨.
(١٢) حسن القرى ص١٢ نقلا عن المؤلف.

ووادى نخلة من مكة على ليلة، وقد ذكر ابن خرداذبه فى كتابه «المسالك والممالك»[١] فى مخاليف مكة مما لم يذكر غيره فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، لأنه قال: ومخاليف مكة نجد والطائف ونجران، قال الشاعر:

وكعبةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عليك ... حتى تُناخى بأبوابها

وقرن المنازل الذى يقول فيه الشاعر:

أَلَمْ تسأل الربْعَ أن ينطقا ... بقَرْن المنازل قد[٢] أخْلَقَا[٣]

وبالغيل[٤] وعكاظ[٥] ولية[٦] وتربة[٧] وبيشة[٨] وتبالة[٩] والهجيرة[١٠] ولِينَة[١١] وجُرَش[١٢] والسَّرَاة[١٣].

ومخاليفها بتهامة: ملكان[١٤] وعَشَم[١٥] ويسر[١٦] وعك[١٧] انتهى[١٨].

---

(١) المسالك والممالك ص١٣٣.

(٢) فى المطبوعتين: «إن» وفى الأصل: «إذ» والمثبت من المسالك والممالك الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) المسالك والممالك ص١٣٣.

(٤) الغيل: موضع فى صدر يلملم، ويلملم واد فى مكة على ليلتين منها.

(٥) عكاظ: نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال.

(٦) ليّة: وادى لية مشهور من جهة الشرق بالطائف.

(٧) تربة — بالضم ثم الفتح — واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها.

(٨) بيشة: واد من أودية الحجاز المشهورة، من عمل مكة مما يلى اليمن.

(٩) تبالة: موضع فى جنوب بيشة على مسيرة ليلة منها.

(١٠) الهجيرة: موضع بتلك النواحى.

(١١) م، هـ: «ولنية» تحريف، صوابه من الأصل وياقوت، ولديه: لينة: بالكسر ثم السكون ونون: موضع فى بلاد نجد وماؤها عذب زلال، ولدى صاحب القاموس: لينة — بالكسر: ماء بطريق مكة، وانظر للملك حسن القرى ص١٣.

(١٢) جرش: واقعة فى المنطقة المسماة بعسير اليوم.

(١٣) السراة: يطلق على جبال الحجاز الفاصلة بين تهامة ونجد وبها سُمّى الحجاز.

(١٤) مَلَكان: بالتثنية وفتح اللام جبل بالطائف، وبكسر اللام واد هذيل، وكلاهما بالحجاز.

(١٥) عشم: قرية متيامنة من قرى تهامة.

(١٦) يُسُر: بضم الياء والسين، نقب تحت الأرض به ماء، وموقعه بالدهناء.

(١٧) علك: اسم لقبيلة وربما كانت من قبائل عسير، يضاف إليها مخلاف باليمن.

(١٨) أورده جار الله بن فهد فى حسن القرى – ص١٤ بنصه.

وبعض ما ذكره ابن خرداذبه من هذه المخاليف لا يُعرف، ولا يبعد أن يكون تصحف.

وقد ذكر جماعة من الفقهاء الشافعية أن الطائف ووجًّا وما ينضاف إليهما منسوبة إلى مكة معدودة من أعمالها، نقل ذلك النووى فى الروضة، ونص كلامه فى كتاب عقد الجزية والهدنة: قال الإمام، يعنى إمام الحرمين، أبا المعالى الجوينى: قال الأصحاب: الطائف ووجٌّ وهو وادى الطائف وما ينضاف إليهما منسوبة إلى مكة معدودة من أعمالها، وخيبر من مخاليف المدينة. انتهى.

ونجران ليست من الحجاز وإن كانت من مخاليف مكة فيما قيل، وممن ذكر أنها ليست من الحجاز الجوهرى فى صحاحه لأنه قال: نجران بلد باليمن. انتهى.

وفى المهذب[1] للشيخ أبى إسحاق الشيرازى: وأما نجران [فليست من الحجاز. انتهى. ونجران][2] فيما قال النووى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة، وكانت منــزلاً للنصارى[3].اهـــ.

وذكر النووى ما يقتضى أن فيما ذكره ابن خرداذبه من أن نجران من مخاليف مكة، نظرًا لأنه قال: وأما قول الإمام الحافظ أبى بكر الحازمى فى كتابه «المؤتلف والمختلف» فى الأماكن: إن نجران من مخاليف مكة من صوب اليمن، فيه تساهل.

والتساهل الذى فى كلام الحازمى يلزم مثله فى كلام ابن خرداذبه على مقتضى قول النووى، وقد يقال: لا تساهل فى كلام الحازمى لأنه لا يلزم من قولهم إن نجران من مخاليف مكة من صوب اليمن أن يكون نجران من الحجاز، لجواز أن تكون مخاليف مكة فى الحجاز واليمن وأن سبب عد نجران وما دونها إلى مكة فى مخاليف مكة كون ولاية والى مكة فيما مضى كانت تمتد إلى ذلك، وهذا

---

(١) فى المطبوعتين: «التهذيب» تحريف، صوابه من الأصل، وقد ورد النص على الصواب لدى ابن فهد فى حُسن القرى ص٥١، كما ورد لدى النووى فى تهذيبه ج٢ ق٢ ص١٧٦ وعبارته: «قال فى المهذب: «وأما نجران فليست من الحجاز».

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ج٢ ق٢ ص١٧٦.

لا مانع منه، لأن المأمون العباسي ولى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن العباس العباسي مكة والمدينة وأضاف إليهما بلاد عك، ولعل ذلك اتفق لغيره من ولاة مكة العباسيين، ويتأيد ما ذكره بما ذكره ابن خرداذبه فى مخاليف مكة، والله أعلم.

وكلام النووى يوهم أن بعد نجران من مكة لكونها باليمن يخرجها عن أن تكون من أعمال مكة، وليس كذلك؛ لأن مجرد القرب من مكة لا يقتضى أن يعد فى أعمال مكة ما هو أقرب إليها من نجران كخُلَيص مثلاً، لأن خُلَيْصا لم تعد فى أعمال مكة وهى منها على يومين، وذكروا أن منتهى عمل مكة من جهتها جنابذ ابن صيفى بين عسفان ومَرّ الظهران كما سيأتى فى كلام الفاكهى، وليست جنابذ ابن[1] صيفى معروفة الآن.

وإذا كان مجرد القرب من مكة ليس موجبًا لعد ما قرب منها من أعمالها، فالظاهر أن المُراعَى فى عد ما ذكره العلماء فى أعمال مكة، وإن كان بعيدًا عنها كثيرًا، كون ولاية والى مكة فيما مضى شملت ذلك، فيقبل من الفاكهى وابن خرداذبه وغيرهم ما ذكروه فى أعمال مكة، وإن كان بعيدًا جدًّا عنها لكونه من أطراف الحجاز وبلاد اليمن كنجران وعك وغير ذلك، والله أعلم.

وذكر الفاكهى شيئًا مفيدًا فى مخاليف مكة، ونص ما ذكره: ذكر حدود مخاليف مكة ومنتهاها، وتفسير ذلك وأعمال مكة ومخاليفها كثيرة، ولها أسماء نقصر عن ذكرها لاختصار الكتاب، ولكنا نذكر منتهى حدودها التى تنتهى إليه، فآخر أعمالها مما يلى طريق المدينة موضع يقال له جنابذ ابن صيفى فيما بين عسفان ومر، وذلك على يوم وبعض يوم، وآخر أعمالها مما يلى طريق الجادة فى طريق العراق الغُمَيْر وهو قريب من ذات عرق وذلك على يوم وبعض يوم، وآخر أعمالها مما يلى طريق اليمن فى طريق تهامة اليوم موضع يقال له ضنكان، وذلك

---

(١) الجنابذ: «القباب التى أقيمت على سقايات لابن صيفى فى هذا الموضع فاشتهرت به، وصيفى المشار إليه هو الذى يقال له: أبا السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقد رسمت فى المطبوعتين هكذا: «جنابذ بن صيفى» على أن جنابذ اسم شخص لا موضع.

على عشرة أيام من مكة، وقد كان آخر أعمالها فيما مضى بلاد عَك داخلاً فى اليمن إلى قريب من عدن، وآخر أعمالها مما يلى اليمن فى طريق البحر، وطريق صنعاء موضع يقال له نَجْران، فهو آخر مخاليفها، وأبعده من مكة، ونجران على عشرين يومًا من مكة، وهى أرض طيبة عذبة [وقد كان بينهم وبين النبى ﷺ صلح] انتهى[١] باختصار، والله أعلم.

وأما قول الفاكهى: إن نجران على عشرين يومًا من مكة فهو مخالف لما سبق من قول النووى: إن نجران من مكة على سبع مراحل. انتهى.

وكلام الفاكهى يوهم أن نجران من مكة أبعد مما بين بلاد عك ومكة، ولم يرد ذلك الفاكهى لأن قوله وقد كان آخر أعمالها فيما مضى بلاد عك داخلاً إلى اليمن إلى قريب من عدن يقتضى أن بلاد عك قريبة من عدن، ونجران ليست بهذه الصفة.

وأما قول الفاكهى إن نجران أبعد مخاليف مكة فمراده به بعد بلاد عك لأنها كانت أبعد أعمال مكة، ثم صار أبعدها نجران، وأدرك ذلك الفاكهى فقال: إن نجران أبعد مخاليف مكة وبذلك يعلم أن لا تناقض فى كلام الفاكهى، وليس كل ما ذكره الفاكهى وابن خرداذبه فى مخاليف مكة معدودًا اليوم من أعمال مكة لأن كثيرًا من ذلك ليس لأمير مكة الآن فيه كلام.

وأبعد مكان عن مكة لأميرها الآن فيه كلام الحَسَبة بحاء وسين مهملتين وباء موحدة وهى بلدة فى صوب اليمن على طريق تهامة وبينها وبين قَنَونَى[٢] يومان، وبين حَلْى[٣] يومان وكلامه فيها باعتبار أن له على مزارعها كل سنة مائة غرارة مكية، وله مثل ذلك على بلدة يقال لها دوقة[٤] على يوم من الحسبة، وله مائتا

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٠٦ – ١٠٧ وما بين حاصرتين منه.
(٢) قنونى: هى بلدة القنفذة، وهى ميناء من موانئ الحجاز الجنوبية.
(٣) حَلْى: مدينة باليمن على ساحل البحر، بينها وبين السرّين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام.
(٤) دوقة: واد على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا، بينه وبين يلملم ثلاثة أيام.

غرارة على الوداين[١]، وله مثل ذلك على الليث[٢] ويبعث أمير مكة إلى كل من هذه الأماكن من يقبض ذلك من أهلها[٣].

وأبعد مكان بعد هذه الأماكن عن مكة لأميرها فيه كلام الآن، وادى الطائف ووادى لية، ولأمير مكة فيهما من الكلمة والعادة على أهلها أكثر مما له على الأماكن السابق ذكرها، ووادى الطائف ووادى لية داخلان فى ولاية قاضى مكة، وله بهما نواب، وأبعد مكان عن مكة فى صوب المدينة لأمير مكة الآن فيه كلام وادى الهدة هَدَة بنى جابر، وهو على مرحلة من مر الظَّهْران.

وولاة مكة الآن يأخذون ما يغرق فى البحر فيما بين جُدَّة ورابغ، ويرون أن ذلك يدخل فى عملهم، وجدة من أعمال مكة فى تاريخه وفيما قبله، وهى على مرحلتين من مكة، وسيأتى ذكر شىء من خبرها.

وما يناسب ذكره فى هذا الكتاب بيان الحجاز لتكرر ذكره فيه، وهو مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها.

وبهذا فسر الإمام الشافعى فى «الأم» الحجاز فيما نقله عنه البندنيجى، وفى دخول اليمن فى الحجاز قولان، وقيل: إن تبوك وفلسطين من الحجاز، وقيل: إن حدود الحجاز ما بين جبال طيئ إلى طريق العراق، وسمى حجازًا لأنه حجز بين تهامة ونجد، قاله ابن الكلبى والأصمعى وغيرهما.

واليمامة المشار إليها من اليمن على مرحلتين من الطائف وعلى أربع من مكة، قاله النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات»[٤] فعلى هذا لا تكون البلاد المعروفة ببجيلة من الحجاز لأنها عن الطائف أبعد مما بين الطائف واليمامة.

وبلاد بجيلة واليمامة فى جهة واحدة وهى جهة نجد اليمن، ولكن بلاد بجيلة أكثر دخولاً فى اليمن من اليمامة فلا يستقيم عد بلاد بجيلة فى الحجاز، والله أعلم.

---

(١) الوداين: بلدة فى جبال السراة قرب مدائن لوط.

(٢) واد بأسفل السراة.

(٣) الزهور المقتطفة ص٢٢.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج٢ ق٢ ص٢٠١.

وأهل مكة إلى الآن لا يطلقون الحجاز إلاّ على الطائف وما قرب منه كَلَّـيَّةَ، ولا يطلقون ذلك على بلاد بجيلة، وأصل ذلك لكونها داخلة في اليمن، والله أعلم.

والمخاليف المذكورة في حد الحجاز هي مخاليف مكة والمدينة واليمامة.

والمخاليف قرى مجتمعة، والمخاليف بفتح الميم والخاء جمع مخلاف بكسر الميم، ومكة من تهامة، قاله النووى[1].

ذكر حكم بيع دور مكة وإجارتها

اختلف العلماء رحمهم الله في ذلك فحكى الشيخ أبو جعفر الأبهرى عن الإمام مالك: أنه كره بيعها وكراها، فإن بيعت أو أكريت لم يفسخ.

وقال اللخمى: اختلف قول مالك في كراء دور مكة وبيعها فمنع من ذلك مرة، نقل ذلك عن الأبهرى واللخمى ابن رشد في مقدماته، وذكر أنه لم يختلف قول مالك وأصحابه في أن مكة افتتحت عنوة، وأنهم اختلفوا هل مَنَّ بها على أهلها فلم تقسم لما عظم الله من حرمتها أو أقرت للمسلمين، قال: وعلى هذا جاء الاختلاف في كراء بيوتها. اهـ.

وجواز البيع والكراء في دور مكة ينبنى على القول بالمنّ بها على أهلها، ومَنْعُ ذلك ينبنى على القول بأنها فرقت للمسلمين، وفي هذا القول نظر لأن غير واحد من علماء الصحابة وخُلَفائهم رضى الله عنهم عملوا بخلافه في أوقات مختلفة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ اشترى دُورًا بمكة ووسع بها المسجد الحرام، وكذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ابن العوام ﷺ، واشترى أمير المؤمنين معاوية ﷺ دار الندوة ودار أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بمكة، وغير ذلك من دورها، وكل ذلك منقول من تاريخ الأزرقى، وبعضه في غيره، واشترى لعمر ﷺ عاملهُ على مكة دارًا للسجن بها على ما رويناه في صحيح البخارى، لأنه قال: باب الربط والحبس في

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج ١ ص٤٤.

الحرم، واشترى نافع بن عبد الحارث دارًا للسجن بمكة من صفوان بن أمية على أن عمر إن رضي[١].

وروى الأصيلي وأبو ذر على أن عمر رضي[٢].

وروى القابسي على إن رضي عمر فالبيع بيعه، وإن لم يرض عمر فلصفوان أربعمائة درهم[٣].

وعند أبي ذر في روايته أربعمائة دينار، وروى في بعض النسخ: المسجد بدل الحرام، وفي بعض النسخ دار السجن، بالإضافة وفتح السين، وروى أيضًا بالبيع، فالبيع بيعه. انتهى.

نقلت هذه الروايات من خط مشايخنا، وروينا ذلك متصلا في تاريخ الأزرقي، وأفاد فيه غير ما في البخاري، لأن الأزرقي قال فيما رويناه عنه: حدثني جدي قال: ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن عبد الرحمن بن فروخ، أن نافع بن عبد الحارث ابتاع من صفوان بن أمية دار السجن، وهي دار أم وائل لعمر بن الخطاب ﷺ بأربعة آلاف درهم، فإن رضي عمر فالبيع له، وإن لم يرض عمر فلصفوان أربعمائة[٤]. انتهى.

ونافع بن عبد الحارث هذا هو الخزعي، عامل عمر بن الخطاب على مكة، كان من كبار الصحابة وفضلائهم على ما ذكر ابن عبد البر، ولا يمترى في أنه لم يقدر ما فعل إلا برضى أمير المؤمنين عمر بذلك وإذنه فيه، ومن المعلوم ضرورة أن أمير المؤمنين عمر ﷺ كان في العلم والورع، بالمحل الأعلى، ولا ريب في أنه ومن

---

(١) في متن هـ: «ارتضى» وبهامشها «أن عمر إن رضي» وأتبعه بقوله: وهو خطأ.

قلت: ما في الهامش هو الصواب، وهو رواية الأصل، ولدى الأزرقي ٢/ ١٦٥: «أن نافع بن الحارث ابتاع من صفوان بن أمية دار السجن... لعمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم، فإن رضي عمر فالبيع له، وإن لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم»

(٢) في هـ: «على أن عمر ﷺ» تحريف صوابه من أخبار مكة للأزرقي والأصل.

(٣) هـ: «وإن عمر ﷺ لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم» والمثبت رواية الأصل، وانظر لذلك أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٦٥.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٦٥.

ذكرنا من علماء الصحابة رضى الله عنهم أعلم ممن بعدهم مما يصلح فى أرض مكة، وأنه لو كان عندهم علم عن النبى ﷺ بأنها أقرت للمسلمين لما أقدموا على ما فعلوا، ويبعد جدًّا أن يصح ذلك عن النبى ﷺ ويخفى عليهم وعلى غيرهم من علماء الصحابة رضى الله عنهم، فإنه لم يحفظ عن غيرهم أنه أنكر على أحد منهم ما فعل، ولو كان عندهم علم بخلاف ما فعل المشار إليهم لما سكتوا عن الإنكار عليهم.

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ من أكل أجر بيوت مكة فإنما يأكل نارًا، فقد اختلف فى رفعه إلى النبى ﷺ ووقفه على عبد الله، والصحيح أنه موقوف عليه على ما ذكر ذلك الدارقطنى، وعلى وقفه فلا حجة فيه على تحريم كرائها، وبتقدير رفعه فليس ذلك لعدم الملك، وإنما هو بحسب المكتسب، كما نهى ﷺ عن كسب الحَجّام.

وإنما كان الكراء فيها خبيثًا لما فيه من ترك مواساة المحتاجين من الحجاج بالسكنى، وقد قال السُّهَيْلى بوجوب السكنى بمكة للحجاج كما سيأتى بيانه.

وأما حديث علقمة بن نضلة الكنانى، ويقال الكندى: توفى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وما تُدْعَى رباع مكة إلا السوائب، هكذا عند ابن ماجه، ولفظه عند الأزرقى: كانت الدور والمساكن على عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ما تكرى ولا تباع، ولا تُدعى إلا السوائب، ومن احتاج سكن، ومن استغنى أسكن[1]. انتهى.

فإنه لا دلالة فيه على نهى النبى ﷺ وأبى بكر وعمر، رضى الله عنهما، عن بيع دور مكة وكرائها، وإنما فيه دلالة على عدم وقوع ذلك فى زمن المشار إليهم، ولا يلزم عن عدم وقوع ذلك فى زمنهم منعه، إذ الإنسان يترك ما يجوز له فعله دهرًا طويلاً، على أن دلالة حديث علقمة على عدم وقوع بيع دُور مكة وكرائها فى زمن المشار إليهم، معارضة بما وقع من شراء عمر وعثمان، رضى الله عنهما،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٦٣.

لدور مكة، ووقع ذلك فى عهد النبى ﷺ، لأن الفاكهى قال فى كتابه «أخبار مكة»: حدثنا حسين بن حسن قال: كتبت إلى عبد الرحمن بن مهدى أسأله عن كراء دور مكة وشرائها، قال: فكتب إلىَّ: إنك كتبت إلىَّ: تسألنى عن أشْرِيَة دور مكة وكرائها، فأما الشراء فقد اشترى الناس وباعوها على عهد النبى[١] ﷺ. انتهى.

وحسين بن حسن هو المَرْوَزى صاحب ابن المبارك، قال فيه أبو حاتم: صدوق، وقد روى عنه الترمذى والنسائى، وإذا تعارض ذلك مع حديث علقمة فهو مقدم على حديث علقمة، لأن حديث علقمة حاصله الشهادة على نفى ذلك، وفى مثل هذا يقدم المثبت، ويتعين حمل حديث علقمة على أن فى عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان، رضى الله عنهم، كان الغالب من فِعْل الناس بمكة تَرْكهم بيع دُورهم بمكة وكرائها لعدم الحاجة إلى ذلك، وتَوْسِعة على الوافدين والمحتاجين، ولما كان وقوع خلاف ذلك نادرًا لم يستحضره علقمة فى حال تحديثه بحال دور مكة، ونفاه فى حديثه، والله أعلم.

وعلقمة لا صحبة له، وإن كان ابن عبد البَرّ قد ذكره فى الصحابة فى كتابه المسمى بالاستيعاب، وذكره ابن حبان فى أتباع التابعين، وذكر ابن منده أنه تابعى، والله أعلم.

وفى شراء عمر ومن ذُكر معه دلالة واضحة على أن مكة مملوكة لأهلها، إما لمنِّ النبى ﷺ بها على أهلها، كما هو أحد القولين عند القائلين بأنها فتحت عَنْوَةً[٢]، أو لأنها فتحت صلحًا، والوجه الأول أصوب، لأن فتحها صلحًا يخالف ظاهر الأحاديث الواردة فى صفة فتح مكة، ويخالف قول جمهور [العلماء][٣] رحمهم الله فى أنها فُتحت عَنْوة، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ٢٥٦.

(٢) الروض الأنف ٤/ ١٦٦.

(٣) ساقط من م.

وذكر السُّهَيْلى ما يقتضى ترجيح ما قيل من أن النبى ﷺ منَّ بمكة على أهلها مع كونه دخلها عَنْوة، وسيأتى ذلك قريبًا.

وقد نقل الإمامان: ابن الحاج وابن عطية المفسران المالكيان عن الإمام مالك ما يقتضى أنها مملوكة لأهلها وذكرا بعض الحُجَّة على ذلك، فأما ابن الحاج فإنه قال: وأباحت طائفة من أهل العلم بيع رباع مكة وكراء منازلها، منهم طاوس، وعمرو بن دينار، وهو قول مالك والشافعى، ثم قال: والدليل على صحة قول مالك ومن قال بقوله فذكر دلائل على ذلك، ثم قال: وقوله ﷺ فى حجة الوداع: «هل ترك لنا عقيل منـــزلاً» مما يدل أنه ملْك لأربابه، وأن عمر بن الخطاب ﷺ ابتاع دار السجن بأربعة آلاف درهم، وأن دور أصحاب رسول الله ﷺ فيها إلى اليوم بأيدى أعقابهم، منهم أبو بكر الصديق والزبير بن العوام وحكيم بن حزام وعمرو بن العاص وغيرهم، رضى الله عنهم، وقد بيع بعضها وتُصُدِّق ببعضها، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك إلا فى أملاكهم، وهم أعلم بالله ورسوله ممن بعدهم. انتهى.

وأما ابن عطية فإنه قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (سورة الحج: الآية ٢٥) أجمع الناس على الاستواء فى المسجد الحرام، واختلفوا فى مكة، فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وسفيان الثورى وجماعة معهم إلى أن الأمر كذلك فى دُور مكة، وأن القادم له النـــزول حيث وَجَّه وعلى رب المنـــزل أن يؤويه شاء أو أبى، وكان كذلك الأمر فى الصدر الأول، ثم قال: وقال جمهور من الأئمة منهم مالك: ليست الدور كالمسجد، ولأهلها الامتناع بها والاستبداد، وهذا هو العمل اليوم، ثم قال بعد أن ذكر الخلاف فى فتحها: هل هو عَنْوة أو صُلْح، فمن رآها صُلْحًا فإن الاستواء فى المنازل عنده بعيد، ومن رآها عنوة أمكنه أن يقول الاستواء فيها قرره الأئمة الذين لم يُقْطِعوها أحدًا، وإنما سكنى من أسكن من قبل نفسه، قال: وظاهر قوله ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من منـــزل؟» يقتضى أنّ لاَستواء بها وإن كانت متملكة ممنوعة على النازلين، ثم قال:

ومن الحجة له لتملك أهلها أن عمر ﷺ اشترى من صفوان بن أمية دار السجن بأربعة آلاف درهم، ويصح مع ذلك أن يكون الاستواء في وقت الموسم للضرورة والحاجة، فيخرج الأمر حينئذ عن الاعتبار بالعنوة أو بالصلح. انتهى.

وذكر السُّهَيْلي، وهو من أئمة المالكية المعتبرين، ما يقتضى أن مكة مملوكة لأهلها، ونذكر كلامه لما فيه من الفائدة، ونصه: فصل: «ونذكر هاهنا طرفًا من أحكام أرض مكة، فقد اختلف، هل افتتحها رسول الله ﷺ عنوة أو صلحًا؟ ليبتنى على ذلك الحكم: هل أرضها مِلْكٌ لأهلها أم لا؟ وذلك أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يأمر بنــزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج، فإن ذلك لا يحل لهم، وقال مالك رحمه الله: إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لا ينهاهم أحد، وروى أن دور مكة كانت تدعى السوائب، وهذا كله مُنْتَزع من أصلين: أحدهما: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾.

وقال ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم: الحرم كله مسجد، والأصل الثانى أن رسول الله ﷺ دخلها عَنْوة، غير أنه مَنَّ على أهلها بأنفسهم وأموالهم، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد كما ظن بعض الفقهاء، فإنها مخالفة لغيرها من وجهين، أحدهما: ما خص الله به رسوله ﷺ فإنه قال: ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (سورة الأنفال: الآية ١) والثانى: ما خص به الله مكة المشرفة، فإنه جاء لا تحل غنائمها ولا يلتقط لقطتها وهى حرم الله وأمنه، فكيف يكون أرضها أرض خراج، فليس لأحد افتتح بلدًا أن يسلك به سبيل مكة، فأرضها إذًا ودورها لأهلها، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموا، وأن لا يأخذوا منهم كراءً فى مساكنها، فهذا حكمها، فلا عليك بعد هذا، فتحت عنوة أو صلحًا، وإن كان ظواهر الحديث أنها فُتحت عَنْوة[1]. انتهى».

---

(١) الروض الأنف ٤/ ١٦٦، ١٦٧.

وإيجاب السُّكنى بمكة للحجيج وترك أخذ الأجرة منهم على ما ذكره السُّهَيْلى لا يُنافى كون مكة مملوكة لأهلها، لأن الإنسان يجب عليه بذل ماله لحاجة غيره إليه فى مسائل كثيرة، منها بذل الخيط لخياطة جُرح، وبذل فضل الطعام والماء لمن اضطر إلى ذلك لسقى زرع أو غيره، وبذل العُمُد والخشب لحفظ جدار الغير إذا خشى سقوطه، ويجب الضمان فى ذلك على من منع منهم، وفى أخذهم الثمن عن ذلك خلاف، وإيجاب ذلك حق للمواساة، فينـــزل عليه ما قيل فى دُور مكة، والله أعلم، على أن كلام السُّهَيْلى لا يفهم أن ما ذكره من الحكم فى دور مكة يكون فى حق غير الحاج، وقد وافق السُّهَيْلى على الاستدلال باشتراء عمر وعثمان رضى الله عنهما الدُّور بمكة لتوسعة المسجد، على أن دُور مكة مملوكة لأهلها لأنه قال: وفى اشتراء عمر وعثمان الدُّور التى زاداها دليل على أن رباع مكة مملوكة لأهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء والكراء إن شاءوا، وفى ذلك اختلاف. انتهى.

وحكى ابن رشد فى كراء دُور مكة أربع روايات، وهى:

إجازة ذلك، وهو الظاهر من مذهب ابن القاسم فى «المدونة».

ومنع ذلك، وهو ظاهر قول مالك فى سماع ابن القاسم منه فى كتاب الحج، والكراهة مطلقًا.

والكراهة فى أيام الموسم خاصة، حكاه الداودى عن مالك، انتهى بالمعنى من كتاب «المقدمات» لابن رُشد.

ونقل عنه ابن جماعة فى منسكه ما يقتضى أنه حكاه فى كتاب «البيان» الخلاف فى بيع دور مكة وإجارتها لأنه قال: وذكر ابن رشد فى البيان والتحصيل عن مالك ثلاث روايات: منع بيع دُور مكة وكرائها، والإباحة، وكراهة كرائها فى أيام الموسم خاصة. انتهى.

وليس فى كلام ابن رشد فى البيان ما يشعر بذكر خلاف فى البيع كما فهم ابن جماعة، وليس فى كلام ابن رشد أيضًا ما يشعر ببيان القول الأرجح فى الكراء، ونقل القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه عن القاضى أبى على سند بن عنان المالكى الأزدى صاحب «الطراز» ما يقتضى ترجيحًا فى ذلك، لأنه قال عقب ما

نقله ابن رشد: ونقل سند فى «الطراز» أن مذهب مالك المنع، وفيه إن قصد بالكراء الآلات والأخشاب جاز، إن قصد البقعة فلا خير فيه. انتهى.

وكلام ابن الحاج فى منسكه يُشْعِر بترجيح القول بجواز بيع دُور مكة وإجارتها على المذهب، لاقتصاره على ذلك فى النقل عن الإمام مالك: ولاستدلاله على صحة ما نسبوه لمالك، وكذلك ابن عطية لاقتصاره فى النقل عن مالك، على أن لأهل دُور مكة الامتناع بها والاستبداد، ولا يبعد ترجيح جواز ذلك على القول بأن مكة فتحت عنوة، كما ذكرناه، من فعل خيار السَّلَف له، وفعل الخيار من الخلف له فى كل عصر، وحيث جاز بيع دُور مكة فيجوز فيها الكراء والهبة والوقف والشفعة والقسمة وغير ذلك من الأحكام التى تجوز فى الأملاك، فإن قيل: يعارض ذلك بالنسبة إلى الشُّفْعَة قول مالك رحمه الله فى المدوَّنة: ولا شُفعة فى أرض العَنْوة ولا يجوز بيعها. انتهى. لأن هذا يقتضى أن يكون هو الحكم فى مكة، لأنها عنده فُتحت عَنْوة، فالجواب أن مكة، وإن كانت فُتحت عَنْوة، فقد مَنَّ النبى ﷺ بها على أهلها، كما هو الراجح فى ذلك، ففارقت بذلك غيرها من البلاد التى افتُتِحَتْ عَنْوة، والله أعلم.

ويفارق مكة أيضًا غيرها من البلاد فى كراء دُورها فإنه مع القول بجوازه لا يخلو من كراهته، خصوصًا فى أيام الموسم، لأجل التوسعة بذلك على الحجيج، وورد عن كثير من السَّلَف كراهة كراء بيوت مكة، وعن بعضهم التخفيف فى ذلك فى حق المضطر إليه، والله أعلم.

واختلف مذهب الإمام أبى حنيفة فى أرض مكة فروى عنه كراهة بيعها، فقيل: لا يجوز البيع وذكر قاضيخان أنه ظاهر الرواية، وقيل: يجوز مع الكراهة، وأجاز ذلك صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن، وعليه الفتوى على ما قال الصدر الشهيد الحنفى، وبه جَزم حافظ الدين النسفى فى كتابه «الكنـــز».

واختلف مذهب أبى حنيفة أيضًا فى إجارة أرضها، فروى عنه وعن محمد بن الحسن عدم جواز ذلك، وروى عنهما جواز ذلك مع الكراهة.

واختلف في ذلك أيضًا مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فروى عنه جواز ذلك ومنعه، وذكر الموفق بن قُدامة الحنبلي أن رواية الجواز أظهر في الحجة.

وذكر ابن المُنجا، من الحنابلة، أن رواية المنع هي المذهب، ولم يختلف مذهب الشافعي في جواز بيع دُور مكة وإجارتها، لأنها عنده فُتحت صُلحا، وقال بعضهم عنه: فُتحت بأمان، والأمان في حكم الصُّلح.

وقال صاحب «الحاوي الكبير» القاضي أبو الحسن المعروف بالماوردي الشافعي: عندي أن أسفلها دخله خالد بن الوليد عَنْوة، وأعلاها فُتِح صُلْحًا. انتهى.

قال النووي: والصحيح الأول. انتهى، وفي صحته نظر، لأن الفتح صُلحًا إنما يكون بالتزام أهل البلد المفتَتَحة ترك القتال، ولم يلتزم ذلك أهل مكة عند فتحها، بل أعدوا جميعًا لقتال المسلمين عند فتحها، ولم يقبلوا تأمين النبي ﷺ لهم، والدليل على ذلك ما رويناه في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة ﷺ، فذكر حديثا في فتح مكة قال فيه: ووبَّشت قريش أوباشًا لها وأتباعًا فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا، فقال رسول الله ﷺ: ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال: حتى توافوني بالصفا قال: فانطلقنا، فما شاء أحد منا أن يقتل أحدًا إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئًا، قال: فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قُريش بعد اليوم، ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. انتهى باختصار.

وفي هذا دلالة صريحة على ما ذكرناه من عدم التزام قريش ترْك قتال المسلمين يوم فتح مكة، وفي ذلك يضًا دلالة على أن ذلك وقع منهم يوم دخل النبي ﷺ مكة، وما كان ذلك منهم بعد تأمين النبي ﷺ وهو بمر الظهران، لأنَّا روينا في مغازي موسى بن عقبة أن أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حرام قالا للنبي ﷺ بعد أن أسلما بمَرّ الظهران: يا رسول الله ادْعُ الناسَ إلى الأمان، أرأيت إنْ اعتزلت قريش وكفت أيديها آمنون هم يا رسول الله؟ قال ﷺ: من كف يده وأغلق داره

فهو آمن، قالوا فابعثنا نؤذّن فيهم بذلك، قال: انطلقوا فمن دخل دارك يا أبا سفيان ودارك يا حكيم وكف يده فهو آمن، قال: ودار أبي سفيان بأعلى مكة ودار حكيم بأسفل مكة.

ورويناه في سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام وروايته عن البكائي عنه أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ بعد إسلام أبي سفيان بمرّ الظّهران: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» انتهى.

ورويناه في هذين الكتابين ما يقتضى أن النبي ﷺ استثنى في تأمينه رجالاً ونساء من أهل مكة أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة لجرائم لهم اقتضت ذلك.

ومن الأحاديث الدالة على عدم التزام قريش بمكة ترك قتال المسلمين يوم فتحها، وعلى عدم قبولهم تأمين النبي ﷺ بعد أن بلغهم تأمينه لهم، ما ذكره الفاكهي لأنه قال: حدثنا محمد بن إدريس بن عمر من كتابه قال: حدثنا سليمان ابن حرب قال: حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة... فذكر حديثًا طويلاً في قصة الفتح، وفيه قال: فقال أبو سفيان واصباح قريش، فقال العباس: يا رسول الله لو أذنت لي فأتيت أهل مكة فدعوتهم وأمنتهم وجعلت لأبي سفيان شيئًا يُذْكَر به؟ قال: فانطلق العباس رضي الله عنه حتى ركب بغلة رسول الله ﷺ الشهباء، فانطلق فقال ﷺ ردوا عليَّ عمي، فإن عم الرجل صِنْوَ أبيه قال: فانطلق العباس حتى قدم على أهل مكة فقال: يا أهل مكة أسلموا تَسْلموا، قد استبطنتم بأشهب بازل، قال: وقد كان رسول الله ﷺ بعث الزبير من قِبَل أَعْلَى مكة، وبعث خالد بن الوليد من قِبَل أسفل مكة، فقال لهم العباس: هذا الزبير من قبل أعلى مكة وخالد بن الوليد من قبل أسفل مكة، وخالد وما خالد، وخُزاعة المُخزعة الأنوف، قال: ثم قال: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قال ثم جاء رسول الله ﷺ فتراموا بشيء من النبل، ثم إن رسول الله ﷺ ظهر عليهم فأمَّن الناس إلا خزاعة عن بني بكر، قال: وذكر أربعة: مقيس بن صُبَابة،

وعبد الله بن أبي سرح، وابن خطل، وسارة، مولاة بني هاشم، قال حماد: وسارة لا أدري في حديث أيوب أو في حديث غيره قال: فقاتلتهم خُزاعة إلى نصف النهار، فأنزل الله عز وجل: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا ﴾ الآية والتي بعدها (سورة التوبة: الآيات ١٣ - ١٥) ثم قال بعد قوله: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ قال خزاعة ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ قال خزاعة ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ قال خزاعة[١]. انتهى.

وفي هذا الخبر مخالفة لما ذكره ابن عقبة وابن إسحاق من أمر النبي ﷺ بالكف عن قتال من لم يقاتل يوم فتح مكة إلا من استثناهم، وسيأتي ما يدل للخبر الذي ذكره الفاكهي، والله أعلم.

ومن الأخبار الدالة على جمع قريش بمكة لقتال المسلمين يوم فتح مكة ما ذكره موسى بن عُقْبة في مغازيه، لأنه قال في خبر الفتح: وبأسفل مكة بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مَنَاة وهُذَيْل، ومن كان معهم من الأحابيش استنصرت قريش بهم، فأمروهم أن يكونوا بأسفل مكة، ثم قال: واندفع خالد بن الوليد حتى دخل مكة من أسفلها، فلقيته بنو بكر بن وائل فقاتلوا، فهُزِموا وقُتِل من بني بكر قريبًا من عشرين، ومن هُذَيْل ثلاثة أو أربعة، وانهزموا.

وذكر ابن إسحاق في سيرته تهذيب بن هشام ما يقتضي ترك التزام قريش لقتال المسلمين يوم فتح مكة لأنه قال في خبر فتحها: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسًا بالخندمة ليقاتلوا، ثم قال ابن إسحاق بعد ذكره خبر الحماس ابن قيس: فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئًا من قتال، فقتل كُرز بن جابر أحد بني محارب بن فِهْر، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقًا غير طريقه، فقتلا جميعًا، ثم قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ٢١٣ - ٢١٤.

ابن أبي بكر قالا: وأصيب من جُهَيْنة سَلَمَة بن المَيْلاء من خيل خالد، وأصيب ناس من المشركين قريبًا من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا[١]. انتهى.

فإن قيل ما ذكره ابن إسحاق من جمع سهيل وصفوان وعِكْرِمة أناسًا لقتال المسلمين بمكة يوم فتحها لا يقتضي نسبة ذلك لغيرهم من قريش، ويكون ذلك مبينًا لما وقع مجملاً في حديث أبي هريرة من جمع قريش أوباشًا لقتال المسلمين يومئذ كما سبق ذِكْرُه.

فالجواب أنه يبعد جدًا أن يكون سهيل وصفوان وعكرمة انفردوا بذلك عن قومهم من كراهة قومهم لذلك، ولعل سبب نسبة ذلك إليهم دون من لم يذكر من قومهم كونهم الداعين لذلك، ولو سلم كراهة غيرهم لذلك فلا يكفي ممن كره ذلك سكوته بل لا بد من إنكاره بالقول والفعل بأن ينحاز عمن فعل ذلك ويعلم به الإمام، ولم يُرْوَ خبرٌ تقوم به حُجَّة تدل على أن أحدًا من أهل مكة أنكر على سهيل وصفوان وعكرمة فعلهم هذا، ولا على التزام من كان بمكة من المشركين ترك قتال المسلمين عند فتح مكة، ولو وقع ذلك لَحُفِظ كما حفظ ما كان يشبه ذلك مما جرى في عام الحُدَيبية، والله أعلم.

وإذا لم يقم دليل على التزام أهل مكة ترك قتال المسلمين يوم فتحها، وقام الدليل على فعلهم خلاف ذلك من جمعهم لقتال المسلمين تعين أن يكون فتح مكة عَنْوة، كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة: فمن ذلك قوله ﷺ في حديث أبي هريرة السابق: ترون أوباش قريش وأتباعهم، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال: حتى توافوني بالصفا، قال: فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحدًا إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئًا، قال فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وقال مسلم في بعض طرق هذا الحديث: حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٤٠٧، ٤٠٨.

بهز، حدثنا سليمان بن المغيرة بهذا الإسناد، وزاد فى الحديث: ثم قال بيديه بإحداهما على الأخرى احصدوهم حصدًا.

ومن ذلك ما رواه مسلم بسنده إلى عبد الله بن رباح أنه قال: يا أبا هريرة لو حدثتنا عن رسول الله ﷺ فقال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح فجعل خالد بن الوليد على المُجَنِّبَة اليمنى، وجعل الزبير على المُجَنِّبَة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادى، فقال: يا أبا هريرة ادع لى بالأنصار فدعوتهم فجاءوا يهرولون، فقال: يا معشر الأنصار هل ترون أوباش قريش؟ قالوا: نعم، قال: انظروا إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا، وأخفى بيده، ووضع يمينه على شماله وقال: موعدكم الصفا، قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه، قال: وصعد رسول الله ﷺ الصفا، وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: يا رسول الله من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن... وذكر بقية الخبر.

ومن ذلك ما ذكره أبو داود فى سننه على ما رويناه عنه، قال: حدثنا مسلم ابن إبراهيم قال: حدثنا سلم بن مسكين قال: حدثنا ثابت البنانى عن عبد الله بن رباح الأنصارى، عن أبى هريرة ﷺ قال: إن النبى ﷺ لما دخل مكة سرَّح الزبير ابن العوام وأبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد على الخيل وقال: يا أبا هريرة اهتف بالأنصار قال: اسلكوا هذا الطريق فلا يشرفن لكم أحد إلا أنمتموه، فنادى مناد: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن.

وعمد صناديد قريش فدخلوا الكعبة فغص بهم وطاف النبى ﷺ وصلى خلف المقام ثم أخذ بجنبى الباب فخرجوا فبايعوا النبى ﷺ على الإسلام.

ويشير إلى بيان موضع الدلالة على أن فتح مكة عنوة من حديث أبى هريرة هذا، فمن ذلك قوله فيه، يعنى النبى ﷺ بيديه بإحداهما على الأخرى، احصدوهم

حصدًا، كذا في رواية مسلم عن عبد الله بن هاشم عن بهز عن سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة.

ومن ذلك قوله فيه قال: يعني النبي ﷺ: انظروا إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا وأحفى بيديه ووضع يمينه على شماله، كذا في رواية مسلم عن الدارمي عن يحيى بن حسان عن حماد بن سلمة عن ثابت بسنده.

ووجه الدلالة من قول النبي ﷺ هذا، وإشارته بيده أن ذلك متضمن الحث على قتال المشركين عند إرادته فتحها.

ومن ذلك قوله فيه، فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه، لأن معنى ذلك ما ظهر لهم أحد إلا قتلوه، فوقع إلى الأرض، أو يكون المعنى أسكتوه بالقتل كالنائم، يقال: نامت الريح إذا سكنت، وضربه حتى سكت، أى مات، ونامت الشاة وغيرها ماتت، قال الفراء: النائمة الميتة، وقيل في معنى أناموه معنى يخالف ما ذكرناه، سنذكره فيما بعد مع بيان ما فيه من النظر.

ومن ذلك قول أبي سفيان بن حرب: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، وفي رواية أبيدت، ومعناها كمعنى أبيحت، والمعنى في ذلك أى استؤصلت قريش بالقتل وأفنيت، وخضراؤهم بمعنى جماعتهم، ويُعَبَّر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخُضْرة، ومنه السواد الأعظم، والإبادة على الوجه المشار إليه دليل على أنّ فتح مكة عَنْوة، لأن فتح مكة صلحًا ينافي ذلك، والله أعلم.

ومن ذلك سؤال أبي سفيان من النبي ﷺ الأمان لمن دخل دار أبي سفيان ولمن ألقى السلاح ولمن أغلق بابه، وإجابة النبي ﷺ له إلى ما سأله.

وجه الدلالة من هذا على أن فتح مكة عَنْوة أنه لو كان فتحها صلحًا لم يسأل أبو سفيان أمانًا مخصوصًا مع الاستغناء عنه بالأمان العام الذى هو مقتضى الصلح، كيف وفي الحديث ما يدل على أن الموجب لسؤال أبي سفيان الأمان المخصوص هو ما رأى من إبادة المسلمين لجماعة قريش بالقتل يوم فتح مكة، ولا يفعل المسلمون ذلك بالمشركين إلا حيث لم يكن لهم ذمّة أو كانت لهم فنقضوها، وهذا أظهر لأن النبي ﷺ أمن أهل مكة نحو التأمين الذى سأله فيه أبو سفيان حين

سأله في ذلك العباس بن عبد المطلب ﷺ بمر الظهران، تكرمة لأبي سفيان، وقد سبق ذكرنا لذلك.

وكان سؤال أبي سفيان للنبي ﷺ في الأمان، وذكره له حال قريش والنبي ﷺ على الصفا بعد فتح الله عليه مكة، لأن في حديث أبي هريرة قال: وصعد رسول الله ﷺ الصفا، وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: يا رسول الله من دخل دار أبي سفيان فهو آمن؟ وذكر بقية الخبر، وقوله في الحديث الذي فيه هذا الكلام قبل ذكره: فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه، يرد على من قال إن قوله ﷺ انظروا إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا، أن ذلك كان قبل الفتح بيوم، ثم حل الصلح في غده لما تقدم من أن معنى قوله فما أشرف يومئذ أحد إلا أناموه، أي قتلوه، ولم يكن ذلك إلا في يوم فتح مكة.

وقد أشار الإمام المازرى إلى الرد بذلك على قائل المقالة المشار إليها، وأيضًا فلا يلزم من قوله إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا أن يكون ذلك وقع قبل الفتح بيوم لإمكان أن يكون ذلك وقع في آخر الليلة التي وقع الفتح في صبيحتها، وأيضًا فما ادعاه قائل هذه المقالة من حصول صلح في يوم فتح مكة قبل حصول القتال في هذا اليوم لا يقوم عليه دليل، والله أعلم.

ونشير إلى ضبط ألفاظ في حديث أبي هريرة وهي المجنبة والبياذقة، فأما المجنبة فبميم مضمومة وجيم مفتوحة ونون مكسورة، وأما البياذقة فبباء موحدة ثم ياء مثناة تحتية وألف وذال معجمة وقاف، ووقع في بعض الطرق: الساقة بدل البياذقة، وقال بعض الرواة: الشارفة بشين معجمة وألف وراء مهملة وفاء، وفسره بالذين يشرفون على مكة.

قال القاضي عياض: وليس هذا بشيء لأنهم أخذوا في بطن الوادي، والساقة: بسين مهملة بعدها ألف وقاف، وهم الذين يكونون آخر العسكر على ما قاله القاضي، والبياذقة هم الحُسَّر، كما في رواية مسلم عن شيبان عن سليمان بن المغيرة لأن المعنى فيهما واحد، لأنهم الرجال الذين لا دروع لهم، والبياذقة فارسي

معرب على ما قيل، وهم أصحاب ركاب الملك ومن ينصرف فى أموره، سُمُّوا بذلك لخفتهم وسرعة حركتهم على ما قيل، والحسر: بحاء مهملة مضمومة وسين مشددة مهملة.

ومن الدلائل على أن فتح مكة عنوة ما رويناه عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوب، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟ قلت: أم هانئ بنت أبى طالب، قال: مرحبا بأم هانئ، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمانى ركعات ملتحفا فى ثوب، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمى على بن أبى طالب أنه قاتل رجلاً أجرته، فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، قالت أم هانئ: وذلك ضحى، أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه وهو مما اتفق على صحته، ووجه الدلالة منه على أن مكة فتحت عنوة وأنه لو كان فتحها صلحًا لم يَخْفَ ذلك على علىٍّ بن أبى طالب ﷺ لمكانه من النبى ﷺ، ولما أقدم على قتل من دخل فى الأمان الذى هو مقتضى الصلح، فإن ذلك يغنى عن جيرة أم هانئ، ولما سألت أم هانئ النبى ﷺ إنفاذ جيرتها.

وقد أشار الإمام المازرى إلى نحو ما ذكرناه من الاستدلال بهذا الحديث على أن فتح مكة عَنْوة، والرجل الذى أجارته أم هانئ كما فى هذا الحديث قيل: إنه ابنها جعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومى، لأن الحافظ أبا القاسم السهيلى لما ذكر أم هانئ بنت أبى طالب قال: ولها ابن من هبيرة آخر اسمه يوسف، وثالث، وهو الأكبر، اسمه جعدة، وقيل إياه عَنَتْ فى حديث مالك زعم ابن أمى علىٌّ أنه قاتل رجلاً أجرته، فلان بن هبيرة[1]، انتهى.

ونقل ذلك الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه[2] عن الحافظ بن عبد البر، لأنه قال فى ترجمة جعدة بن هبيرة هذا، وقال ابن عبد البر أيضًا: يقال إنه الذى أجارته أم هانئ يوم الفتح فلان ابن هبيرة، انتهى.

---

(١) الروض الأنف ٤/ ١٦٩.
(٢) تهذيب الكمال ٤/ ٥٦٦.

ولم أر كلام ابن عبد البر فى كتاب «الاستيعاب» بعد تتبُّعى لذلك فى ترجمة جعدة بن هبيرة، وفى ترجمة أمه أم هانئ فى تراجمها الثلاث، ولعله ذكر ذلك فى غير الاستيعاب، والله أعلم.

وجاء حديث عنها أنها أجارت رجلين من بنى مخزوم يوم الفتح، فتفلّتَ علىٌّ ليقتلهما، وهذان الرجلان هما الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة المخزوميان، قاله الخطيب البغدادى؛ وقيل هما الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية ابن المغيرة، ذكره ابن أبى إسحاق فيما حكاه ابن بشكوال، والله أعلم.

ومما يدل لذلك أيضًا قوله ﷺ يوم فتح مكة فى خطبته بها، لما ذكر حُرْمَة مكة وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم تحل لى إلا ساعة من نهار، وذكر بقية الحديث، وهو مُخرَّج فى الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما، قال الخطابى: إنما أحل له فى تلك الساعة إراقة الدماء لا دم صيد وغيره مما حرم به بالحرم من قطع شجر وتنفير صيد.

قال المحب الطبرى: ويحتمل العموم، فإن انتشار العسكر لا يخلو من تنفير صيد ودوس خلا وقطعه، وغير ذلك والعمد والخطأ فيه سواء، وقد استدل بهذا من قال إن فتح مكة عَنْوة(١)، انتهى.

ومما يدل على أن مكة فتحت عنوة قوله ﷺ فى خطبته بمكة يوم فتحها: يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وهذه الخطبة فى السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام، وتظهر الدلالة من ذلك على أن فتح مكة عنوة ببيان معنى قوله ﷺ: أنتم الطلقاء، ومعنى ذلك المطلوقون من الاسترقاق، أشار إلى ذلك ابن الأثير فى «نهاية الغريب» لأن فيها قال فى حديث حُنَيْن حين خرج إليها ومعه الطُّلَقَاء [هم] الذين خلّى عنهم يوم الفتح فتح مكة، أطلقهم ولم يسترقّهم، وَاحِدهم(٢) طليق، فعيل بمعنى

---

(١) القرى ص٦٤١.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «وأحدهم» وهو تحريف قبيح، صوابه من الأصل وابن الأثير.

مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله، الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف، كأنه ميز قريشًا بهذا الاسم حيث هو أحسن من العتقاء[١]، انتهى.

وإذا كان هذا معنى الطلقاء خطاب النبي ﷺ لقريش بهذا الخطاب يقتضى أنهم كانوا حين خوطبوا بذلك فى الأسر المقتضى للاسترقاق لولا أن النبى ﷺ تفضل عليهم بالإطلاق، ولولا ذلك لم يكن لاستعلامه ﷺ قريشًا عما يتوقعونه منه محل لخطاب قريش بذلك بعد تأمينهم، وهذا من أظهر الدلائل على فتح مكة عنوة، ويبعد الانفصال عنه بجواب شاف إلا أن يقال: إن ذلك مرسل، والمرسل لا يُحتَجُّ به، ولو سلم ذلك، فالدلالة على فتح مكة عنوة ناهضة من غيره من الدلائل التى ذكرناها، والله أعلم...

وقد ذكر الأزرقى خطبة النبى ﷺ بمكة يوم فتحها بلفظ يقرب من لفظها السابق فى المعنى وزيادة فيها، ونص ما ذكره الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: حدثنى جدى أحمد بن محمد وإبراهيم بن محمد الشافعى قالا: أخبرنا مسلم ابن خالد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين، عن عطاء بن أبى رباح، والحسن بن أبى الحسن وطاوس أن النبى ﷺ دخل يوم فتح مكة البيت فصلى فيه ركعتين، ثم خرج وقد لبط الناس حول الكعبة فأخذ بعضادتى الباب، فقال ﷺ: الحمد لله الذى صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ماذا تقولون وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيرًا ونظن خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت فاسمح، قال: فإنى أقول كما قال أخى يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٢) انتهى باختصار[٢].

ومما يدل على أن فتح مكة عنوة ما رويناه فى مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأنه قال: حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر، فأذن لهم حتى صلى العصر، ثم قال: كفوا السلاح، الحديث بطوله.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ١٣٦ وما بين حاصرتين منه.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٢١.

وذكره الفاكهي لأنه قال: حدثنا حسن بن حسين أن ابن أبي عدي حدثنا حسين الـمُعلِّم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة عنوة قال: كفوا السلاح إلاَّ خزاعة عن بني بكر، فأذن لهم حتى صلَّى العصر، ثم أمرهم أن كفوا السلاح، حتى إذا كان من الغد لقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر بالمزدلفة فقتله، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قام فينا خطيبًا وظهره إلى الكعبة فقال: إن أعتى الناس على الله من عَدَا في الحرم ومن قتل غير قاتله، ومن قتل بذحول الجاهلية[١]. انتهى باختصار.

ويحيى شيخ الإمام أحمد بن حنبل هو يحيى بن سعيد القطان، الإمام المشهور أحد الأعلام، وحسين شيخه الـمُعلِّم، وثقه غير واحد، وأخرج له الجماعة، وعمرو ابن شعيب وإن لم يُخَرَّج له من الجماعة البخاري ومسلم فقد وثقه يحيى ابن مَعين وإسحاق بن راهويه وصالح جَزَرَة[٢] وغيرهم من الأئمة، وقد احتج به غير واحد من الأئمة لأني وجدت بخط الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: قال البخاري: رأيت أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحاق بن راهويه يحتجون بحديث عمرو بن شعيب، قال البخاري: مَنِ النَّاسُ بعدهم! وقال الشيخ محيي الدين النووي: الصحيح المختار الاحتجاج به، وقال الدارقطني وغيره: قد ثبت سماع شعيب عن جده عبد الله بن عمرو. انتهى ما وجدته بخط الحافظ الذهبي[٣].

وإذا تقرر ذلك فيكون الحديث المشار إليه صحيح الإسناد، ووجه دلالته على أن فتح مكة عنوةً أنه يقتضي إباحة القتال فيها يوم فتحها غالب هذا اليوم، وذلك ينافي أن يكون صُلْحًا أو بأمان، والله أعلم.

ومما يدل على أن فتح مكة عَنْوة ولو لم يقع فيه قتال أن دخول النبي ﷺ ومن معه إليها من المسلمين كان على وجه القهر لأهلها لأنهم عدوا دخوله ﷺ عام الحُدَيبية عنوة على ما ذكره ابن إسحاق في السيرة، لأنه ذكر أن قريشًا قالوا لبديل

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ٢١٩.

(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «حرزة» وهو تحريف قبيح وصوابه من الأصل وتاريخ الإسلام.

(٣) تاريخ الإسلام وفيات (١٠١ – ١٢٠) ص٤٣٤.

ابن ورقاء الخزاعى ومن معه من خزاعة حين أبلغوهم عن النبى ﷺ أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرًا للبيت [معظمًا لحرمته، وإن كان جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدًا ولا تحدث][1] بذلك عنا العرب.

وذكر ابن إسحاق أيضًا أن عروة بن مسعود الثقفى قال للنبى ﷺ لما بعثته إليه قريش بالحديبية: إنها قريش خرجت معها العُوذ[2] المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، ويعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنوة أبدًا[3]، انتهى.

وإذا كان دخول النبى ﷺ عند أهل مكة، مع كونه لم يقصد فيه قتالاً، وإنما قصد أداء نُسُك العُمْرة التى أحرم بها، وعورض فى هذا، فكيف بدخوله ﷺ إلى مكة وقت فَتَحَها الله عليه، والقصد بدخوله يومئذ إظهار الإسلام بها، وإنقاذها من المشركين، ومعه من المسلمين فى دخول مكة يوم الفتح أضعاف من كان معه من المسلمين يوم الحديبية، لأن عدد أصحاب الحديبية ألف وأربعمائة على ما فى مسلم وغيره، وقيل: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون، وقيل: ألف وستمائة، وقيل: ألف وثلاثمائة، وعدد المسلمين يوم الفتح عشرة آلاف، وقيل: اثنا عشر ألفًا، والله أعلم.

وقد حاول النووى رحمه الله، الجواب عما فى حديث أبى هريرة، وحديث أم هانئ من الألفاظ التى تدل على أن فتح مكة عنوة، وفيما حاوله من الجواب نظر نشير إليه بعد ذكر كلامه لأنه قال فى الجواب عن أمر النبى ﷺ بحصد المشركين وقتل خالد لهم «وأما قوله ﷺ احصدوهم، وقتل خالد من قتل فهو محمول على من أظهر من كفار مكة قتالاً» انتهى.

وتأويل النووى لقوله ﷺ: احصدوهم، إما أن يقتضى أن المأمور بحصدهم لإظهار القتال معروفون بأسمائهم أو غير معروفين بأسمائهم، والأول لا يقوم عليه

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وبعضه ساقط من طبعة الذهبى.

(٢) العُوذ: بالذال المعجمة: جمع عائذ، وهى الحديثة النتاج من الإبل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمدًا.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣١٣.

دليل، والثانى مسلم، وهو يقتضى أن المأمور بحصدهم غير محصورين، فيكون الأمر بالحصاد عامًّا فى جميع المشار إليهم، وهو دليل على الفتح عنوة، لأن الصلح لو وقع منع من ذلك، ولا يعارض كون الأمر بحصد المشار إليهم عامًّا فى جميعهم الأمر الوارد بعدم مبادأة المشار إليهم بالقتال، كما هو مقتضى الخبر الذى رويناه فى مغازى موسى بن عُقْبة، وسيرة ابن إسحاق، ولفظ ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة. انتهى. لأن المنع فى مبادأة المشار إليهم بالقتال لا يقتضى تخصيص أحد منهم بترك قتاله، وإنما عدم مبادأتهم بالقتال رفقًا بهم أجمعين، رجاء إسلامهم، فيكثر بهم عدد المسلمين، ويحتمل أن يكون الأمر بعدم مبادأتهم بالقتال كان قبل أن يبلغ النبى ﷺ عن قريش أنهم لم يقبلوا تأمينه، وجمعوا الأوباش لقتاله، كما هو مقتضى حديث أبى هريرة السابق فى فتح مكة، لأن فيه: وَوَبَّشَت قريش أوباشًا وأتباعًا فقالوا نقدم هؤلاء، فإنْ كان لهم شىء كنا معهم، فإن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا. انتهى. وأنه لما بلغ النبى ﷺ ذلك عن قريش أمر بحصدهم، كما فى حديث أبى هريرة، ويتأيد ذلك بأن القتال المأذون فيه فى حديث أبى هريرة أبلغ من القتال المأذون فى الخبر الذى ذكر ابن إسحاق، لقوله فى حديث أبى هريرة: احصدوهم حصدًا، وذلك يقتضى الإبلاغ فى القتل، وإذا حُمِل الخبران على ما ذكرناه لم يبق بينهما تعارض، والله أعلم.

وقال النووى فى الجواب عن تأمين النبى ﷺ لمن دخل دار أبى سفيان ومن ألقى سلاحه وتأمين أم هانئ: وأما أمان من دخل دار أبى سفيان ومن ألقى سلاحه وأمان أم هانئ، فكله محمول على زيادة الاحتياط بالأمان. انتهى.

وهذا الكلام يُشْعِر بأنّ النبى ﷺ أمّن أهل مكة أمانًا عامًّا، وخص منهم بالتأمين من دخل دار أبى سفيان، ومن ألقى سلاحه، ومن أجارته أم هانئ، فإن زيادة الاحتياط لهؤلاء بالأمان لا يكون إلا بأن يكون تأمين النبى ﷺ [على هذه

الصفة، وفي ذلك نظر، لأنه لم يرد خبر يشعر بأن النبي ﷺ](١) أمَّن أهل مكة أمانًا عامًّا، وإنما أمن من دخل دار أبي سفيان، ودار حكيم، ومن دخل المسجد، ومن أغلق بابه عليه، ومن ألقى سلاحه، على ما يتحصل من مجموع الأخبار التي سبق ذكرها، واستثنى من ذلك جماعة من الرجال والنساء بجرائم اقتضت ذلك.

وقال النووي في الجواب عن هَمِّ علي بن أبي طالب بقتل الرجلين اللذيْن أجارتهما أم هانئ: وأما هَمُّ علي بن أبي طالب بقتل الرجلين اللذيْن أجارتهما أم هانئ فلعله تأول فيهما شيئًا أو جرى منهما قتال أو نحو ذلك. انتهى.

وهذا الكلام يقتضي أن عليًّا أراد قتل الرجلين لتأوله فيهما ما يوجب ذلك، أو لأنه جرى منهما قتال، وغاية ما يتأول عليٌّ فيهما أنهما مستحقان القتل لفعلهما ما يوجب ذلك من قبل، والأصل خلاف ذلك، ولو سلم فمستحق القتل لا يقتل بغير مؤامرة الإمام، والأصل أيضًا أنه لم يجر منهما قتال في يوم فتح مكة، وإذا دار الأمر بين التأويل لسيدنا علي بشيء على خلاف الأصل، وبين التأويل له بما يوافق الواقع، فالتأويل له بالموافق أولى، وهو كون الفتح عَنْوة، ولا لوم في القتل فيهما، والله أعلم.

وقال النووي في الجواب عن قوله في حديث فتح مكة: فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه، ومن قال: فُتحت صُلحًا، يعني مكة، يقول: أناموه أي ألقوه على الأرض من غير قتل إلا من قاتل، والله أعلم. انتهى. وفي هذا التأويل نظر من أوجه.

منها: أن القصد بالإلقاء إلى الأرض من غير قتل هو الإرهاب، وهو يحصل بدون ذلك، مثل الإشارة بالسيف وشبهه، فيجتزى بذلك إذا كان الفتح صُلْحًا.

ومنها: أن الإلقاء إلى الأرض يبعد وقوعه من غير زيادة عليه في حق كل من عارض المسلمين يوم فتح مكة بقتال، وإنما يتأتى ذلك من الراكب للراكب، ومن الماشي للراكب، ومن الماشي للماشي، وأما من الراكب للماشي فيبعد تأتيه في

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

حتى كل من عارض، إلا إن نزل الراكب عن فرسه، وفى وقوع ذلك من كل راكب لكل ماش عارض بقتال بُعْدٌ، والله أعلم.

ومنها: أن ما ذكره أبو سفيان من إثارة قريش واستباحتها يقتضى أن المفعول فيهم يومئذ أعظم من إلقائهم إلى الأرض من غير قتال، لأن ذلك لا يعبر عنه بما ذكره أبو سفيان، والله أعلم.

وقد ذكر النووى رحمه الله حجة الشافعى على أن مكة فتحت صلحًا، قال: واحتج الشافعى بالأحاديث المشهورة أنه ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخوله مكة. انتهى. وهذا الصلح المشار إليه لا يخلو من أمرين: أحدهما: أن يكون المراد به تأمين النبى ﷺ أهل مكة على الصفة التى سبق ذكرها، والآخر: أن يكون عقد منهم عقد هدنة كما وقع فى عام الحُدَيْبِيَة، فإن كان الأول فإطلاق الصلح إنما يكون إذا انضم إليه التزام أهل مكة لموجب التأمين، وهو الكف عن قتال المسلمين يوم فتح مكة، ولا يقوم دليل على التزام أهل مكة لذلك، ويقوم الدليل على خلافه، لأن فى حديث أبى هريرة السابق فى خبر فتح مكة، إن قريشًا جمعوا أوباشًا وقالوا نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذى سُئلنا. انتهى.

والذى سئلوا هو الكف عن القتال، فدل ذلك على أنهم لم يلتزموه، ولم يرد خبر يُشْعِر بأن أحدًا من قريش أنكر على سُهَيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل، جمعهم لقتال المسلمين يومئذ، ولا أن أحدًا من قريش تبرأ مِمَّن جمع لذلك، مُشْعِر برضا الجميع بذلك، والله أعلم.

وإن كان المراد الثانى، فهو غير معروف، فضلاً عن أن يكون فيه أحاديث مشهورة، ويبعد جدًّا أن يكون فى ذلك حديث مشهور ويخفى ذلك حتى لا يُعْرَف له محل فى كتب العلماء، وأيضًا فعقد الهدنة إنما يكون بسؤال من اضطر إليها، والاضطرار إليها فى الفتح للمشركين، لوفور قوة المسلمين يومئذ ولم يسأل المشركون ذلك مشافهة ولا مراسلة، لأنه لم يحضر عند النبى ﷺ بمر الظهران، مِمَّن كان على الشرك، غير أبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وكان معهما بديل

ابن ورقاء الخزاعى، ولم يكن حضورهم إليه لأداء رسالة عن قريش، وإنما قريش بعثتهم ليتحسسوا لهم أخبار رسول الله ﷺ، على ما ذكره ابن إسحاق، فإنما غيبت عليهم لأن النبى ﷺ سأل الله عز وجل عند توجهه من المدينة أن تعمى الأخبار عن قريش حتى يَبْغَتَها فى دارها، فاستجاب الله دعوته، ولم يشعر بهم أحد من أهل مكة، إلاَّ وهم بمر الظَّهران، وكانوا فى وَجَلٍ من النبى ﷺ لنقضهم عهد الحُديبية، لأن بعضًا قاتل ليلاً مع كنانة خزاعة حلفاء النبى ﷺ، ورفد بعضهم كنانة بالسلاح[1].

وذكر موسى بن عُقبة ما يقتضى أن بعض المسلمين أخذوا أبا سفيان ومن معه قهرًا وأحضروهم إلى النبى ﷺ، فأسلموا، وأن أبا سفيان وحكيمًا سألا النبى ﷺ الأمان لمن كَفَّ من قريش عن قتاله، فأجابهم النبى ﷺ إلى ذلك، والذى حملهم على ذلك الرغبة فيما يصلح لقومهما، ولم يكن لمن خرج مخرجهما أن يعقد على من وراءه عقد هدنة إلاَّ بعد إعلام من وراءه بما رأى، وأن يثق منهم فى ذلك بالرضا، وقد أنكر بعض العلماء أن يكون أهل مكة عقدوا مع النبى ﷺ صلحًا عند فتحها، لأنه ذكر أن حال أهل مكة جرى فى أرضها وفى أنفسهم وفى أموالهم مجرى حال أهل الصلح، لا أنهم عقدوا معه صلحًا، إذ لم يأت أثر فى شيء من هذا لمصالحتهم إياه، وبالله التوفيق. انتهى بلفظه إلاَّ قليلاً، فبالمعنى.

وهذا فى شرح مسلم للإمام المازرى، أو للقاضى عياض على الشك منى، لبعد العهد بذلك، والله أعلم.

وقد ذكر النووى حجة الشافعى على جواز بيع دور مكة وإجارتها، فقال: قوله ﷺ: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، استدل به الشافعى وموافقوه على أن دور مكة مملوكة يصح بيعها وإجارتها، لأن أصل الإضافة إلى الآدميين يقتضى الملك وما سوى ذلك مجاز. انتهى.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٠٠.

وفى هذا الاستدلال نظر لأنه ليس فى معنى قوله ﷺ: من دخل دار أبى سفيان، إشعار بإضافة غيرها من دور مكة لأهلها من مسلمة الفتح، حتى تكون دورهم مملوكة لهم، كملك أبى سفيان، وإذا كان كذلك لم ينهض من قوله ﷺ من دخل دار أبى سفيان دلالة على ملك غير أبى سفيان من مسلمة الفتح لدورهم بمكة، لكون ذلك لا يدل لملك غيره، وهذا يخالف رأى من استدل به على أن دُور مكة مملوكة لأهلها، ويبعد أن يقاس على دار أبى سفيان غيرها من دُور مكة التى كانت لغيره من مسلمة الفتح، لأن ملك أبى سفيان لداره لا ينبغى أن يُختَلَف فيه، لكونه أسلم قبل أن يدخل النبى ﷺ إلى مكة بمر الظهران، وبإسلامه أحرز نفسه وماله، ومثله فى ذلك حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعى، لأنهما أسلما معه بمر الظهران على خلاف فى بديل، فإنه قيل: أسلم قبل الفتح، وغيره من مسلمة الفتح فى ملكهم لدُورهم بمكة خلاف بين أهل العلم سببه الخلاف فى فتح مكة، هل هو عنوة أو صلح، وفى كونه صلحًا نظر سبق بيانه، وأقرب ما يُستدَل به على ملك دور مكة، كون النبى ﷺ مَنَّ بها على أهلها فلم يقسمها، والله أعلم.

ورأيت فى شرح مسلم المشار إليه ذكر السبب الذى لأجله قيل: إن مكة فتحت صلحًا، لأن فيه: وإنما شُبِّهَ على القوم لأجل أنه ﷺ لم يستبح أموالها ولا قسمها بين الغانمين، فلما رأى الشافعى هذا، وخروجه عن الأصل اعتقد أنه صلح، وهذا لا تعلق له فيه، لأن الغنيمة لا يملكها الغانمون بنفس القتال على قول كثير من أصحابنا، وللإمام أن يخرجها عن الغانمين ويمن على الأسرى بأنفسهم وحريمهم وأموالهم، وكأنه ﷺ رأى من المصلحة عد الفتح والاستيلاء عليهم أن يُبْقِيَهم لحُرْمة العشيرة وحُرْمة البلد، وما رجا من إسلامهم وتكثير عدد المسلمين بهم، فلا يرد ما قدمناه من الأدلة الواضحة بمثل هذا المحتمل، وفى شرح مسلم المشار إليه.

وقال بعض أصحاب الشافعى بقوله: إن النبى ﷺ دخل مكة صلحًا، أى فعل فيها فعله فيمن صالحه، فملكه نفسه وماله وأرضه، لأنه لم يدخلها إلا بعد أن أمَّن

أهلها كلهم، وهذا من قول أصحابه اعتذار من قوله الذى انفرد به، وميل إلى قول الجماعة من افتتاحها عنوة، وإنما مَنَّ عليهم وعفا عنهم وملَّكهم أموالهم. انتهى.

وقد رأيت ما يدل على أن الإمام الشافعى لم ينفرد بقوله: إن مكة فُتحت صلحًا لأنى رأيت فى نسخة من المهذَّب للشيخ أبى إسحاق الشيرازى، بخط سليمان بن خليل، حاشية بخطه أولها: ومذهب الشافعى أن رسول الله ﷺ فتح مكة صلحًا بأمان قومه لهم قبل دخوله؛ وروى ذلك عن أبى بن عبد الرحمن بن مجاهد، وذكر بقية الحاشية، وفوقها مكتوب بخط ابن خليل أيضًا، صورته من الشامل. انتهى.

وأظن أن الشامل المشار إليه هو الشامل للشيخ أبى نصر الصباغ الشافعى، وقد بيَّض ابن خليل بين أبى وبين ابن عبد الرحمن، وما عرفت من المشار إليه بذلك، هل هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أو غيره؟ والله أعلم.

وقد طال الكلام فيما يتعلق بتحقيق فتح مكة، ولكن يحصل بذلك من الفوائد ما لا يوجد مجتمعًا فى غير هذا المحل، وظهر بذلك رَجَحَانُ كونها فُتحت عنوة، والله أعلم.

الباب الثاني

في أسماء مكة المشرفة

لـــمكة المشرفة أسماء كثيرة، وقد عنى الناس بجمعها، ولم أر لأحد في ذلك مثل ما رأيت لشيخنا العلامة اللغوى قاضى اليمن مجد الدين الشيرازى، ولكنه أغْرَبَ فيما ذكره، وفاته مع ذلك أسماء أخرى.

أنبأني شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى، أحسن الله إليه، قال في كتابه «تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين» في باب النون الناسَّة والناشة من أسماء مكة شرفها الله وعظمها، فيما ذكره كراع النمل في المنتخب من تأليفه، وهو من جهابذة اللغويين، ثم قال بعد شرح معنى هذين الاسمين:

ومن أسماء مكة شرَّفها الله تعالى وعظَّمها: العروض، والسيل مثال خيل ونيل، ومخرج صدق، والبنية، وهذه عن ياقوت، والمعاد، وأم رُحْم، بالراء المهملة، وأم راحم، وأم زحم، وهذى بالزاى، وأم صبح، وأم القرى، والبلد، والبلدة، والبلد الأمين، والبلد الحرام، والرتاج، والناسة، والناشة، وحرم الله تعالى، وبلد الله تعالى، وفاران، وهذه عن ياقوت الحموى، والباسّة، والناسة والبساسة، والنساسة، وطيبة، والقادس، والمقدسة، وقرية النمل، ونقرة الغراب، وقرية الحمس، وصلاح، كقطَام منوَّنة، والحاطمة، وكوثى، وسبوحة، والسلام، والعذراء، ونادرة، والوادى، والحرم، والنجز، والقرية، وبكة، ومكة، والعَرْش، والعُرْش، والعُرُش، والعريش، والعروش، والحُرمة، بالضم وبالكسر، وهذه النسبة عن ابن عديس، ذكره في كتابه الباهر.

قال شيخنا القاضى مجد الدين: وقد ذكرت في شرح صحيح الإمام البخارى رحمه الله ما يتعلق باشتقاق كل اسم منها، مقرونة بشواهد وفوائد، فلْيُنْظَر إن شاء الله تعالى.

قلت: قرية النمل، ونقرة الغراب، علامتان لموضع زمزم حين أُمر عبد المطلب بحفرها، وعدهما بعضهم اسمين لزمزم مجازًا، فإن كان شيخنا القاضى مجد الدين لحظ كونهما اسمين لزمزم، وسمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض،

وهو مجاز شائع، فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة الصفا والمروة والحَزْوَرَة، وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة.

وقوله: وقرية الحمس إن كان لحظ في تسمية مكة بذلك أن الحُمْس كانوا سكان مكة قبل، فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة قرية العمالقة، وقرية جُرْهُم لكونهما كانوا سكان مكة قبل الحُمس، اللهم إلاَّ أن يقال: إن تسمية مكة بقرية النمل، ونقرة الغراب، وقرية الحُمس، منقول عن أهل اللغة فلا يقاس عليه غيره، والله أعلم.

ومن أسماء مكة التي لم يذكرها شيخنا القاضي مجد الدين: برة، ومنها بساق، ومنها البيت العتيق، ومنها الرأس، ومنها القادسية، ومنها المسجد الحرام، ومنها المعطشة، ومنها المكتان، ومنها النابية، ومنها أم روح، ومنها أم الرحمن، ومنها أم كوثى، وسنذكر من ذكر هذه الأسماء من العلماء.

ذكر معاني بعض أسماء مكة وعزو بعضها لأهل العلم

اختُلفَ في مكة بالميم، وبكة بالباء، هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ والأول قول الضَحاك فيما حكاه المحب الطبرى[1]، وقول مجاهد فيما حكاه عنه الماوردى[2]، واحتج ابن تيمية لتصحيحه بأن الباء تُبدل من الميم، كضرب لازم ولازب.

واختلف القائلون بالثاني، فقيل: بكة بالباء، موضع البيت، ومكة بالميم، القرية، وهذا يُرْوى عن إبراهيم النخعى.

وقيل بكة بالباء، موضع البيت، ومكة بالميم الحرم كله، وهذا يروى عن يحيى ابن أبي أنيسة.

وقيل: بكة بالباء ما بين الجبلين، ومكة بالميم الحرم كله.

---

(١) القرى ص ٦٥٠.

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٩٩، ٢٠٠.

وقيل بكة بالباء الكعبة والمسجد الحرام، ومكة بالميم ذو طوى، وهذا يُروى عن زيد بن أسلم، وقيل بكة بالباء البيت وما حواليه مكة بالميم، وهذا يروى عن مجاهد، وهذه الأقوال رويناها فى تاريخ الأزرقى، ولم يبين فيه قائل القول الثالث من هذه الأقوال، والله أعلم بالصواب.

واختلف فى معنى تسميتها مكة بالميم، فقيل: لأنها تمك الجبارين، أى تُذْهب نخوتهم.

وقيل: لأنها تمك الفاجر عنها، أى تُخرِجُهُ.

وقيل: كأنها تُجْهِد أهلها من قولهم: تمككت العظم إذا أخرجت مخه.

وقيل لأنها تجذب الناس إليها من قولهم: امتك الفصيل ما فى ضرع أمه إذا لم يُبْقِ فيها شيئاً.

وقيل: لقلة مائها[1].

واختُلف فى معنى تسميتها بكة بالباء فقيل: لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها، أى تدقها، والبك الدق، وقيل لازدحام الناس بها، قاله ابن عباس رضى الله عنهما.

وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين[2]، قاله الترمذى.

وهذان الاسمان لمكة مأخوذان من القرآن العظيم، وأخذ منه عدة أسماء منها أم القرى، قاله الضحاك فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ (الأنعام: ٩٢).

واختُلفت فى سبب تسميتها بذلك، فقيل: لأن الأرض دُحِيَتْ من تحتها، قالها ابن عباس.

وقيل: لأنها أعظم القُرى شأنًا.

وقيل: لأن فيها بيت الله، ولما جرت العادة بأن الملك وبلده مُقَدَّمان على جميع الأماكن، سمى أما لأن الأم متقدمة[3].

---

(١) القرى، ص٦٥٠، ٦٥١.

(٢) القرى ٦٥٠، ٦٥١.

(٣) القرى ٦٥١.

وقيل: لأنها قبلة تؤمُّها جميع الأمة.

ومنها: القرية، قاله مجاهد فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ (سورة النحل: آية ١١٢) والقرية اسم لما تجمع جماعة كثيرة من الناس، من قولهم قريت الماء فى الحوض، إذا جمعته فيه، ويقال للحوض مقراة.

ومنها: البلد، قال الله تعالى ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ (سورة البلد: آية ١) قال ابن عباس: هى مكة، وقال بلغنى أن النبى ﷺ قال: هى مكة، ذكر ذلك عنه الفاكهى[1] ونقل عن ابن عباس أنه قال، فى تفسير هذه الآية: إنها مكة. انتهى.

والبلد فى اللغة الصدر، أى صدر القرى.

ومنها: البلد الأمين، قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾.

قال الفاكهى فيما رواه بسنده إلى ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ قال: يعنى مكة، وروى ذلك بسنده عن زيد بن أسلم[2].

ومنها: البلدة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾ (سورة النمل: آية ٩١) قال الواحدى فى الوسيط: هى مكة، وقاله ابن برجان فى تفسيره.

وقال ياقوت فى معجم البلدان «باب» البلدة ثلاثة مواضع، الأول فى قوله تعالى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (سورة سبأ: آية ١٥) أراد بها مكة. انتهى.

وذكر الفاكهى ما يخالف ذلك لأنه قال: حدثنا أبو يحيى بن ميسرة قال: حدثنا خالد بن يحيى قال: حدثنا سفيان قال: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة، قال هى منًى، قال أبو يحيى: وكذلك العرب تسميها البلدة إلى اليوم. انتهى. والله أعلم.

ومنها: مَعَاد بفتح الميم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص: ٨٥) كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس، لأنه

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٢٨٠.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٢٨١.

قال: حدثنا محمد بن مقاتل قال: أخبرنا يعلى قال: حدثنا سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما: لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ، قال: إلى مكة. انتهى.

فهذه ثمانية أسماء لمكة مأخوذة من القرآن العظيم، ولم يذكر المحب الطبرى من أسمائها المأخوذة من القرآن إلا خمسة، لأنه قال: سمى الله تعالى مكة بخمسة أسماء، بكة، ومكة، والبلد، والقرية، وأم القرى. انتهى.

وأما تسمية مكة الباسّة بالباء الموحدة والسين المهملة فقاله مجاهد، لأنها تبس من ألحد فيها أى تهلكه أن تحطه، من قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ (سورة الواقعة: آية ٥) ذكره ابن جماعة.

وأما تسميتها الناسة، بالنون والسين المهملة، فذكره الماوردى قال: ومعناه أى تنس من ألحد فيها، أى تطرده وتنفيه، وحكاه صاحب «المطالع» والنووى، وذكره ابن جماعة قال: والناسة قيل لأنها تنس الملحد، أى تطرده، وقيل: لقلة مائها، والنس اليبس.

وأما تسميتها النساسة، بالنون وتشديد السين الأولى، فهو مقتضى كلام المطالع، والمعنى فى ذلك، والله أعلم كالمعنى فى الناسة بالنون.

وأما تسميتها الحاطمة، فذكره الأزرقى عن إبراهيم بن أبى يحيى، وصاحب المطالع، وابن خليل، والنووى، وقال: لحطمها المُلْحدين.

وأما تسميتها: صلاح، بصاد مهملة مفتوحة، وحاء مهملة، فحكاه مُصْعَب الزُّبَيْرِى وقال: سُمّيت بذلك لأمنها، وأنشد له قول أبى سفيان بن حرب بن أمية لابن الحضرمى:

أبا مطرٍ هَلُمَّ إلى صلاح فيكفيك النَّدَامَى من قريش[1]
وتنـزلَ بلدةً عَزَّتْ قديمًا وتأمن أنْ يزورَك ربُّ جيش

وصلاح مبنى على الكسر، كحَذَام وقَطَامِ ونظائرهما، وقد يُصْرَف، واستُدل على صرفه بقول أبى سفيان السابق.

(١) الأحكام السلطانية، للماوردى ص ٢٠٠.

وأما تسميتها العرش، بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة، فذكره كراع فيما حكاه عنه ابن جماعة، وأشار إلى ذلك صاحب «المطالع».

وأما تسميتها العريش، بزيادة ياء مثناة من تحت، فذكره ابن سيده فيما حكاه عنه ابن جماعة.

وأما تسميتها القادس فذكره صاحب «المطالع» قال: والقادس من التقديس لأنها تطهر من الذنوب.

وأما تسميتها المقدسة فذكره صاحب «المطالع» والنووى[١]، والمعنى فيه كالذى قبله.

وأما تسميتها كُوثى فذكره الأزرقى[٢] عن مجاهد والسُّهَيْلى ولم يَعْزُه، وصاحب المطالع إلاّ أنه قال: باسم بقعة، منها منـزل بنى عبد الدار. انتهى.

وأفاد الفاكهى أنّ كُوثى فى ناحية قُعَيْقِعَان، قال: وقيل كوثى، جبل بمنى[٣]. انتهى. وكُوثى مضمومة وثاء مثلثة.

وأما تسميتها الحرم بحاء وراء مهملتين، فذكره سليمان بن خليل فى منسكه.

وأما تسميتها رتاج، براء مهملة وتاء مثناة من فوق وألف وجيم، فذكره المحب الطبرى فى شرح التنبيه، فيما نقله عنه ابن جماعة.

وأما تسميتها أم رُحم، براء مهملة مضمومة، فذكره مجاهد فيما حكاه عنه الماوردى، لأن الناس يتراحمون فيها ويتوازعون.

وأما تسميتها أم زحم، بزاى معجمة من الازدحام، فذكره الرشاطى.

وأمّا تسميتها أمّ صُبْح، فذكره ابن الأثير فى كتابه «المرصع» على ما وجدت بخط قاضى طرابلس شمس الدين محمد بن أحمد النويرى.

وأما تسميتها بُساق، فذكره ابن رشيق فى العُمْدَة فى تفسير قول أمية بن حُرثان:

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج٢ ص١٥٦.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٨١.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٢٨١.

سَأَسْتَأْدى[1] على الفاروق ربًّا   له عَمَدَ الحَجيجُ إلى بُسَاقِ[2]

ثم قال ابن رشيق: وقد قيل إنّ بُساق بلد بالحجاز. انتهى. وبُساق موحَّدة وسين مهملة وألف وقاف.

وأما تسميتها بَرّة، فذكره سليمان بن خليل فى منسكه ولم يَعْزُهُ، ولم يذكر له معنى.

وأما تسميتها البيت العتيق، فذكره الأزرقى[3] عن إبراهيم بن أبى يحيى، وصاحب المطالع، وابن خليل، ولعل ذلك من تسمية الكل باسم البعض، وهو مجاز شائع، لكن يرد على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كلها إذا لحظ هذا المعنى.

وأما تسميتها الرأس، فذكره الإمام السُّهَيْلى، وصاحب المطالع، والنووى، وقال: لأنها أشرف الأرض كرأس الإنسان.

وأما تسميتها القادسة، فذكره ابن جماعة ولم يَعْزُهُ.

وأما تسميتها المسجد الحرام، فذكره ابن خليل فى منسكه، وفى القرآن العظيم ما يشهد له، وحكاه عبد الله بن عبد الملك ابن الشيخ أبى محمد المرجانى عن ابن مسدى.

وأما تسميتها المُعطِّشة فذكره ابن خليل ولم يَعْزُهُ، ولم يذكر له معنى.

وأما تسميتها المكتان، فذكره شيخنا بالإجازة أديب الديار المصرية برهان الدين القيراطى فى ديوان شعره البديع، ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الأسدى:

بيطن المكتين على رجائى   حديثك أن أرى منه خروجا

وللسُّهَيْلى على ذلك كلام حسن، لأنه قال بعد أن ذكر هذا البيت: ثَـنَّى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحًا وظواهر، ثم قال: وإنما مقصد العرب فى هذه

---

(١) فى المطبوعتين: «سأستعدى» والمثبت من الأصل ومثله لدى ابن رشيق الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) العمدة لابن رشيق ١/ ٧٥.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٨٠.

الإشارة إلى جانبى كل بلدة، أو الإشارة، إلى أعلى البلد وأسفلها فيجعلوها اثنتين على هذا المعنى. انتهى. وقال السُّهَيْلى فى موضع آخر، بعد أن ذكر شيئًا من حال عبد الله ابن سعد بن أبى سرح القُرشى العامرى، وهو الذى يقول فى حصار عثمان بن عفان ﷺ.

أرى الأمرَ لا يزداد إلاَّ تفاقمًا وأنصارنا بالمكتين قليل
وأسلمنا أهلُ المدينة والهوى إلى أهل مصر والذليل ذليل

وأما تسميتها النابية، فذكره الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره على ما وجدت بخط بعض أصحابنا فى حاشية كتاب «تحبير الموشين» لشيخنا مجد الدين قاضى القضاة عند كلامه على أسماء مكة، ونص الحاشية: «وذكر ابن كثير فى تفسيره أن من أسماء مكة النابية بالنون والباء».

وأما تسميتها أم رَوْح فقد قاله ابن الأثير فى كتابه «المرصع» على ما وجدت بخط شمس الدين النويرى المقدَّم ذِكْره.

وأما تسميتها أم الرحمن فذكره عبد الله بن عبد الملك المرجانى وعزاه لابن العربى.

وأما تسميتها أم كوثى فذكره ابن المرجانى ولم يَعْزُهُ، ولم يذكر له معنى، وقد بان لما ذكرناه فى هذا التفصيل معرفة من ذكر الاثْنى عشر اسمًا التى ذكرناها فى أسماء مكة ولم يذكرها شيخنا القاضى مجد الدين، مع معنى بعضها، وبان به أيضًا معرفة من ذكر بعض أسماء مكة التى ذكرها شيخنا القاضى مجد الدين مع بعض معانيها أيضًا، وبعض الأسماء الغريبة التى لم أرها لغيره إلاَّ فى كلام المعنى فيه واضح، وهى أم راحم وأم الرحم، فإن ذلك فى معنى أم رحم، بالراء المهملة، والبلد الحرام لحرمة مكة، وبلد الله لاختياره لها على غيرها، وطيبة لطيبها، وذكر هذا الاسم فى أسماء مكة الحافظ علاء الدين مغلطاى فى سيرته، وصلاح منونة لأنها من معنى صلاح بلا تنوين، والسلام من هذا المعنى.

والوادي، من قول عمر بن الخطاب لنافع بن عبد الحارث الخزاعي عامله على مكة لما لقيه بعسفان، حين استخلف على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزي: من استخلفتَ على أهل الوادي؟.

ولم يذكر النووي من أسماء مكة إلا ستة عشر اسمًا، قال: ولا يُعرف في البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الأرض. انتهى باختصار.

قال عبد الله المرجاني في تاريخه للمدينة المسمى (بهجة الأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار) بعد ذكره لأسماء مكة.

ومن الخواص قيل: إذا كتبت بالدم على الجبين «مكة وسط الدنيا والله رءوف العباد» انقطع الدم. انتهى.

الباب الثالث

فى ذكر حرم مكة وسبب تحريمه وتحديده وعلاماته وحدوده وما يتعلق بذلك من ضبط ألفاظ فى حدوده ومعنى بعض أسمائها

ذكر الحرم وسبب تحريمه

أمَّا حَرَم مكة فهو ما أحاط بها وأطاف بها من جوانبها، جعل الله حُكْمه حُكْمَهَا فى الحُرْمة تشريفًا لها، أشار إلى ذلك الماوردى[١]، وابن خليل، والنووى[٢]، واختُلِف فى سبب تحريمه، فقيل: إنّ آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشيطان، فاستعاذ بالله منه، فأرسل الله ملائكة حفّوا بمكة من كل جانب، ووقفوا فى موضع أنصاب الحرم يحرسون آدم، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حَرَمًا[٣].

وقيل: لأنّ الخليل عليه السلام لما وضع الحجر الأسود فى الكعبة حين بناها أضاء الحجر يمينًا وشمالاً وشرقًا وغربًا، فحرم الله الحرمَ من حيث انتهى نورُ الحجر الأسود.

وقيل: لأن الله سبحانه وتعالى حين قال للسموات والأرض: ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١) لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم، ولذلك حرمها.

ذكر هذا القول السُّهيلى، وذكر الأزرقى[٤] فيما يشهد للقولين الأولين، وقيل غير ذلك.

ذكر علامات الحرم

للحرم علامات بينة، وهى أنصاب مبنية فى جميع جوانبه خلا حَدِّه[٥] من جهة جُدَّة وجهة الْجِعْرَانَة فإنّه ليس فيهما أنصاب.

---

(١) الأحكام السلطانية ص١٩٩.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج١ ص٨٢.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٤/ ١٥.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٢٧.
(٥) أخطأ محققا المطبوع هنا خطأ فاحشا، حيث قرأ د. تدمرى هذه الكلمة «حَدَّة» على أنها مكان بين جُدة ومكة، وتبعه فى هذا الخطأ ــ د. الذهبى دون إعمال فكر وروية، وقد أثقلا الهوامش بشرحهما لهذا الخطأ، هذا والمثبت هنا من الأصل وهو الصواب، ويدعمه قول =

وأول من نصب ذلك الخليل عليه السلام بدلالة جبريل له ثم قُصَيّ بن كلاب، وقيل نصبها إسماعيل عليه السلام بعد أبيه الخليل، ثم قُصَيّ، وهذا يُرْوَى عن ابن عباس، ذكره عنه الفاكهي[1]، وغيره.

وقيل: إنّ عدنان بن أد أول من وضع أنصاب الحرم حين خاف أن يدرس الحرم، ذكره الزبير بن بكار.

ونصبتها قريش بعد أن نزعوها، والنبي ﷺ بمكة قبل هجرته، ونصبها النبي ﷺ عام الفتح، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم معاوية، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر الراضي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين اللَّذَيْن بالتنعيم في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة[2] واسمه عليها مكتوب، ثم أمر المظفر صاحب إربل بعمارة اللَّذَيْن هما حد الحرم من جهة عَرَفَة في سنة ستٍّ وعشرين وستمائة، ثم الملك المظفر صاحب اليمن في سنة ثلاث وثمانين وستمائة[3]، ولم يذكر الأزرقي القول بتنصيب إسماعيل عليه السلام لأنصاب الحرم، ولا نصب عدنان، ولا نصب المهدي لها، ولا تاريخ السنة التي أمر فيها عمر وعثمان بنصب ذلك، وكان أمر عمر عثمان بنصب ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة، وأمر عثمان بذلك في سنة ستٍّ وعشرين، على ما ذكره ابن الأثير فيهما.

وقال الأزرقي فيما رويناه بالسند المتقدم: أنصاب الحرم على رأس الثنية ما كان في وجهها من هذا الشق، فهو حرم، وما كان في ظهرها فهو حل.

وذكر الأزرقي للحرم علامة أخرى، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: وكل وادٍ في الحرم فهو يسيل في الحل، ولا يسيل وادي الحل في الحرم إلاَّ في

= المصنف في النسخة الخطية من الزهور المقتطفة: «وهي أنصاب مبنية في جميع جوانبه إلا جهة الجعرانة وجُدَّة».

(١) أخبار مكة للفاكهي ٢/ ٢٧٣.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٢/ ٢٧٥.

(٣) إتحاف الورى ٣/ ١١٧.

موضع وادى التنعيم عند بيوت نفار[1]. انتهى. ذكر ذلك الأزرقى فى آخر الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ذكر الحرم وكيف حرم.

وذكر الفاكهى ما يقتضى أن سيل الحل يدخل إلى الحرم من عدة مواضع، لأنه قال: ذكر ما يسكب من أودية الحل فى الحرم، وبيّن هذه المواضع، وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب.

ذكر حدود الحرم وضبط ألفاظ فيها

ذكر الأزرقى، رحمه الله، حدود الحرم من جهاته الست[2]، وذكرها غيره إلا أنه خالف الأزرقى فى مقدار بعضها وأخل بذكر بعضها، وقد تلخص لى مما رأيته للناس فى حدود الحرم أن جميع حدوده مختلف فيها على ما سنبينه.

فأما حده من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن نَمِرَة ففيه أربعة أقوال: نحو ثمانية عشر ميلاً على ما ذكره القاضى أبو الوليد الباجى، وأحد عشر ميلاً على ما ذكره الأزرقى[3] والفاكهى[4] وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه الخراسانى فى كتاب «المسالك والممالك»[5] والمحب الطبرى[6] نقلاً عن الأزرقى وسليمان بن خليل، إلا أنه ذكره بصيغة التمريض.

وتسعة أميال بتقديم التاء، على ما ذكره شيخ المذهب أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى فى كتاب «النوادر» وسليمان بن خليل وصدر به كلامه، والمحب الطبرى بعد أن حكى ما ذكره الأزرقى.

---

(١) كذا فى الأصل: ومثله لدى الفاكهى ٥/ ٨٩، والنووى ق٢ ج ١ ص٨٢ وقيده بكسر النون ولدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف: «غفار» ومثله لدى ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف ص٣٠٦ ولديهما: «الحصحاص مقبرة المهاجرين المعروف اليوم بأضاة بنى غفار، وهى التى قال النبى ﷺ أتانى جبريل وأنا بأضاة بنى غفار فقال: يا محمد...».

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣٠.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣١.

(٤) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٨٦.

(٥) المسالك والممالك ص١٣٢.

(٦) القرى ص٦٥١.

وسبعة أميال بتقديم السين على الباء على ما ذكره الماوردى فى كتاب «الأحكام السلطانية»[١] له، والشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى مهذبه، والنووى فى إيضاحه، وتهذيب الأسماء واللغات[٢] له، وفيما قالوه نظر قوى يقتضى بُعد استقامة قولهم على ما سيأتى بيانه.

وذكر النووى فى التهذيب أن الأزرقى انفرد بما قاله فى حد الحرم من طريق الطائف، وقال: إن الجمهور قالوا سبعة[٣]. انتهى بالمعنى.

ولم ينفرد الأزرقى بقوله بموافقة ابن خرداذبه له على قوله، بل لا يُعرف له فيما قاله مخالف قبله ولا معاصر له ولا بعده غير الماوردى وصاحب المهذب، ولو خالف الأزرقى غيرهما لنقل ذلك كما نقلت مخالفتهما للأزرقى، وقد تبعهما على ذلك النووى وغيره من المتأخرين ولم يذكر ذلك سليمان بن خليل، ولا المحب الطبرى، وذلك مُشْعِرٌ رضاهما لهذا القول لأنهما ذكرا فى حدود الحرم ما قاله ابن أبى زيد وغيره، وكان ذِكْرهما لذلك أولى، لكون قائله من الشافعية، ولا يقال لعل ذلك خفى عليهما، فإن ذلك مشتهر جدًّا، والله أعلم.

وأما حده من جهة العراق ففيه أربعة أقوال.

أحدها: سبعة أميال، بتقديم السين على ما ذكره الأزرقى.

وثمانية أميال، على ما ذكره ابن أبى زيد المالكى فى «النوادر».

وعشرة أميال، على ما ذكره سليمان بن خليل.

وستة أميال، على ما ذكره أبو القاسم بن خرداذبه[٤].

وذكر الأزرقى أن الحد فى هذه الجهة على ثنية خَلّ بالمُقَطَّع، فأما خَل فبخاء معجمة مفتوحة.

وأما المُقَطَّع فبضمّ الميم وفتح الطاء المشددة، على ما وجدت بخط سليمان بن خليل فيهما.

---

(١) الأحكام السلطانية ص٢٠٨.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج١ ص٨٢.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج١ ص٨٢.

(٤) المسالك والممالك ص١٣٢.

ووجدت بخط المحب الطبرى فى «القرى» على الخاء من خل نقطة من فوق وعلى اللام شدة، ووجدت بخطه ضبط المَقْطَع بفتح الميم وإسكان القاف[١].

ووجدت فى غير موضع من تاريخ الأزرقى على الخاء من خل نقطة من فوقها، ورأيت فى «الإيضاح» للنووى و «تهذيب الأسماء واللغات» له، عوض خل جبل بجيم وباء موحدة، ولا يبعد أن يكون ذلك تصحيفًا، والله أعلم.

وذكر الأزرقى أن سبب تسمية اسم المُقطَّع بذلك أنهم قطعوا منه أحجار الكعبة فى زمن ابن الزبير، وقيل لأنهم كانوا فى الجاهلية إذا خرجوا من الحرم علقوا فى رقاب إبلهم من قشور شجر الحرم، وإن كان راجلا[٢] علق فى رقبته فأمنوا حيث توجَّهوا ويقال: هؤلاء وفد الله، تعظيمًا للحرم، فإذا رجعوا فدخلوا الحرم قطعوا ذلك [هناك][٣] فسمى المَقْطع[٤].

وأما حده من جهة الجِعْرانة ففيه قولان: تسعة أميال، بتقديم التاء، كما ذكره الأزرقى[٥] وبريد، وهو اثنا عشر ميلاً، على ما ذكره ابن خليل، وحكايته هذا القول بصيغة التمريض بعد ذكره للقول السابق، والجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء على ما هو الصواب فى ضبطها، وسيأتى لذلك مزيد بيان.

وذكر الأزرقى أن حد الحرم من جهة الجعرانة فى شعب آل عبد الله بن خالد ابن أسيد. انتهى.

وعبد الله بن خالد بن أسيد المنسوب إليه هذا الشعب هو فيما أحسب ابن أخى عتاب بن أسيد بن أبى العاص الأموى القُرَشى أمير مكة، لأنه كان لعبد الله المذكور بمكة شهرة لولايته لأمر مكة وغير ذلك، ونسب إليه بها مقبرة بأعلى مكة وهى التى دُفن فيها عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، والله أعلم.

---

(١) القرى ص٦٥٢.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «رجل».
(٣) ساقط من المطبوعتين.
(٤) اخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣١.

وذكر سليمان بن خليل أن عبد الله بن خالد المنسوب إليه هذا الشعب هو عبد الله بن خالد بن أسيد الخزاعي، وذكر ابن جماعة ما يخالف ذلك أيضًا، لأنه قال لما ذكر حد الحرم من هذه الجهة: ومن طريق الجعرانة في شعب آل عبد الله القسري، انتهى.

وما أشرْنا إليه من نسبة هذا الشعب لعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص أشبه بالصواب من نسبته لغيره، لأن التعريف إنما يكون في الغالب بأشهر الأحوال وليس لمن نسب إليه ابن الخليل هذا الشعب، ولا لمن نسبه إليه ابن جماعة من الشهرة، مثل ما لمن نسبناه إليه، والله أعلم بالصواب.

وحد الحرم من هذه الجهة لا يعرف موضعه الآن، إلا أن بعض أعراب مكة زعم أنه في مقدار نصف طريق الجعرانة، وسُئل عن سبب معرفته لذلك فقال: إن الموضع المشهور الذي أشار إليه في محاذاة أعلام الحرم من جهة نخلة، وهي جهة العراق، والله أعلم بصحة ذلك.

وأما حده من جهة التنعيم ففيه أربعة أقوال:

ثلاثة أميال، على ما ذكره الأزرقي[1] وابن خرداذبه[2] والماوردي[3] وصاحب المهذب وغيرهم.

ونحو أربعة أميال، على ما ذكره ابن أبي زيد في «النوادر» عن غير واحد من المالكية.

وأربعة أميال، على ما قال الفاكهي[4].

وخمسة أميال، على ما ذكره أبو الوليد الباجي، ونص كلامه: وأما التنعيم فإني أقمت بمكة وسمعت أكثر الناس يذكرون أنها خمسة أميال، ولم أسمع في ذلك اختلافًا مدة مقامي بها، ولو كان بين التنعيم ومكة أربعة أميال لوجب أن يكون

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٣٠، ١٣١.
(٢) المسالك والممالك ص١٣٢.
(٣) الأحكام السلطانية ص٢٠٨.
(٤) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ٦١.

بين مكة والحديبية على هذا التقدير[١] قريب من خمسة عشر ميلاً، لأنها أزيد من ثلاثة أمثالها. انتهى.

وفي هذا القول نظر، وكذا في القول الذى ذكره الفاكهى، والقول الذى ذكره ابن أبي زيد، على ما سيأتى بيانه.

ووقع فيما ذكره ابن أبي زيد فى حد الحرم من هذه الجهة ما يقتضى أنه إلى منتهى التنعيم لأنه قال: ومن غير الموازنة لغير واحد من أصحابنا أن حد الحرم مما يلى المدينة نحو أربعة أميال إلى منتهى التنعيم. انتهى.

وذكر الأزرقى ما يخالف ذلك لأنه قال: ذكر حدود الحرم عن طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نفار على ثلاثة أميال[٢]. انتهى.

وذكر المحب الطبرى فى شرحه للتنبيه ما يرجح ما ذكره الأزرقى لأنه ذكر أن التنعيم أمام الحل قليلاً، وأن من فسره بطرف الحل أطلق اسم الشيء على ما قرب منه. انتهى.

وإذا كان من فسر التنعيم بطرف الحل متجوزًا فى تفسيره فكيف بمن جعل منتهى التنعيم أول الحل من جهة المدينة، كما هو مقتضى ما ذكره ابن أبي زيد، والله أعلم، ونفار المذكورة فى حد الحرم من هذه الجهة فى كلام الأزرقى، بنون مكسورة وفاء وألف وراء مهملة على ما ذكر غير واحد.

وأما حَدُّهُ من جهة جُدَّة ففيه قولان:

عشرة أميال، على ما ذكر الأزرقى[٣] وابن أبي زيد.

ونحو ثمانية عشر ميلاً، على ما ذكر الباجى فى مقدار ما بين مكة والحُدَيبِية، بتخفيف الياء الثانية على الصواب فيها، ومنتهى حد الحرم من جهة جُدة، كما نقل ابن أبي زيد فى «النوادر».

---

(١) تحرف فى هـ إلى: «التعدى».

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣٠، ١٣١.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣١.

وذكر الأزرقي أن منتهى الحد في هذه الجهة منقطع الأعشاش[1]، والأعشاش جمع عش، وبعضها في الحل وبعضها في الحرم، وكذلك الحديبية على ما قاله الشافعي وابن القصار.

وقال الماوردي[2] إنها في طرف الحل، وقال مالك إنها في الحرم، وهي والأعشاش لا يُعرفان اليوم، ويقال: إن الحديبية هي البئر التي تعرف ببئر شميس في طريق جدة، والله أعلم.

وأما حده من جهة اليمن ففيه قولان:

سبعة أميال بتقديم السين، على ما ذكره الأزرقي[3] وابن أبي زيد وسليمان ابن خليل.

وستة أميال، على ما وجدت بخط المحب الطبري في «القرى»[4] ورأيت ذلك في ثلاث نُسَخ من القرى، وأخشى أن يكون وهمًا، ولا يقال سَبْق قلم، لأنه في القرى بعد ذكره لذلك القول الذي ذكره الأزرقي وابن أبي زيد، والله أعلم.

وموضع الحد في هذه الجهة طرف أضاة لِبْن في ثنيّة لبن، على ما ذكره الإمام الأزرقي، هذه الأضاة تُعرف اليوم بأضاة ابن عقش، وفيها علامة مبنية لمعرفة حد الحرم.

والأضاة مستنقع الماء، وهي بهمزة مفتوحة وضاد معجمة على وزن فتاة، ولِبْن بكسر اللام وسكون الباء الموحدة، قاله الحازمي، وضبطها سليمان بن خليل بفتح اللام والباء على ما وجدت بخطه في غير موضع من منسكه، والله أعلم.

هذا ما رأيته للناس في حدود الحرم بالأميال، ورأيت في ذلك لبعض الحنفية ما يُستغرب جدًّا لأن القاضي شمس الدين السروجي الحنفي حكى في مناسكه عن

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٣١.
(٢) الأحكام السلطانية ص٢٠٨.
(٣) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٣١.
(٤) القرى ص٦٥٢.

أبي جعفر الهِنْدُواني[١] أنه قال: مقدار حد الحرم من جهة المشرق ستة أميال، ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلاً، قال صاحب المحيط: وفيه نظر، فإن ذلك هو التنعيم، قريب من ثلاثة أميال من مكة.

ومن الجانب الثالث ثلاثة عشر ميلاً، ومن الرابع أربعة وعشرون ميلاً انتهى.

والظاهر والله أعلم أن قائل هذا الكلام أراد بحده من جهة المشرق جهة العراق، وبالحد الثاني جهة التنعيم، وبالحد الثالث جهة اليمن، والحد الرابع جهة جُدَّة، وإنما كان ما ذكره هذا القائل مستغربًا لنقصه في حده من جهة المشرق، وكثرة الزيادة في حده من الجهات الثلاث، وإنما لم أذكر ذلك مع ما ذكره غيره في حدود الحرم، لعدم تصريح قائل ذلك بجوانب الحرام التي حددها، وقد اعتبرت بما قاله الناس في تحديد الحرم من جميع جهاته المعروفة الآن، وهي جهة الطائف على طريق عرفة من بطن نَمرة عُرنَة، وطريق العراق، وطريق التنعيم، وطريق اليمن، وكان اعتبارنا لذلك بحبل[٢] مقدر على الذراع المعتبر في أميال مسافة القصر، وهو ذراع اليد على ما ذكره المحب الطبري في شرحه للتنبيه، وذكر أن مقداره أربعة وعشرون أصبعًا، كل أصبع ست شُعَيْرات مضمومة بعضها إلى بعض. انتهى. كذا وجدت بخطه.

وأشار إلى ذلك النووي في تحرير التنبيه، وغلط النووي القدر في قوله: إن الأصبع ثلاث شُعَيرات، ومقدار الذراع المشار إليه من ذراع الحديد المستعمل في القماش بمصر ومكة الآن: ذراع إلا ثُمْن ذراع، هكذا اعتبره جماعة من أصحابنا بذرع أيديهم، ثم اعتبروا ذلك بشعير معتدل مرصوص، فجاء كما قال المحب الطبري ومن وافقه، وكان اعتبارهم لذلك بحضوري.

(١) تحرف في طبعة الذهبي إلى: «الهنداوي» وفي طبعة تدمري إلى: «الهنداني» وصوابه من الأصل والسمعاني ١٢/ ٣٥٠.

(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «بجبل» بالجيم، وصوابه من الأصل.

ذكر تحديد حد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من طريق نمرة

من جدار باب بنى شيبة إلى العَلَمين اللذين هما علامة لحد الحرم من جهة عرفة سبعة، بتقديم السين، وثلاثون ألف ذراع ومائتا[1] ذراع وعشرة أذرع وسُبْعا ذراع بذراع اليد: يكون ذلك أميالاً: عشرة أميال وثلاثة أخماس ميل وخُمُس سُبْع خمس ميل يزيد سبعى ذراع، هذا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع، وهو الذى ينبغى أن يُعتبر فى حدود الحرم، لكونه غالبًا أقرب إلى موافقة ما هو المشهور فى قدرها، فإنها إذا اعتبرت على القول بأن مقدار الميل ألفا ذراع يزيد مقدارها نحو مثل ما هو المشهور فيها، وإذا اعتبرت على القول بأن الميل ستة آلاف ذراع ينقص مقدارها عما هو مشهور فيها نحو نصف ذلك، واعتبار ذلك على هذين القولين مشكل جدًّا لكثرة الزيادة وكثرة النقص، على أن اعتبار ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع لا يخلو من إشكال إلا أن الأمر فيه قريب لتأتى الجواب عنه، ويتأيد كون اعتبار ذلك على هذا القول أولى لكونه أصح الأقاويل فى مقدار الميل، على ما ذكره ابن عبد البر، والله أعلم.

ولا يعكر على ما أشرنا إليه من ترجيح اعتبار هذا القول فى حدود الحرم ما يقع فى الاعتبار عليه من الزيادة والنقص المقتضيين مخالفة ما هو مشهور فى حدود الحرم، لأن الزيادة والنقص يكونان فى الغالب شيئًا يسيرًا، وربما كان ذلك لشدة المدّ فى الحبل المقيس به وإرخائه، أو لأجل ارتفاع الأرض وانخفاضها، أو لأجل اعتبار غيرنا لذلك من موضع غير الموضع الذى اعتبرنا منه، مثل أن يكون اعتبارنا وقع من باب بنى شيبة، والأزرقى اعتبر من موضع بينه وبين المصلاة فى غير اعتباره لحد الحرم من جهة عرفة، ومن عتبة باب المصلاة إلى العلمين اللذين هما حد

(١) فى المطبوعتين: «ومائة».

الحرم من هذه الجهة خمسة وثلاثون ألف ذراع وثلاثة وثمانون ذراعًا وثلاثة أسباع ذراع بذرع اليد، يكون ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع عشرة أميال وسُبْع سُبْع ميل وخُمُس سُبْع عشر ميل وخُمُس خُمْس سُبْع عشر ميل.

ولم يعتبر الأزرقى حد الحرم من هذه الجهة من باب المَعْلاة، وإنما اعتبره من باب بنى شيبة، ووقع له ما يوهم أن حد الحرم من هذه الجهة ينتهى إلى دون قبلة مسجد نَمِرة بخمسة وعشرين ذراعًا لأنه ذكر أن حد الحرم من هذه الجهة على أحد عشر ميلاً، وذكر مواضع هذه الأميال إلى عرفة، فقال فى موضع الميل الحادى عشر: وموضع الميل الحادى عشر فى حد المكان الذى يدور حول قبلة مسجد عرفة مسجد إبراهيم خليل الرحمن ﷺ وبينه وبين جُدُر المسجد خمس وعشرون ذراعًا. انتهى.

وذلك يقتضى أن يكون العَلَمَان المشار إليهما فى غير الحد، وذكر الأزرقى ما يوهم أن حد الحرم من هذه الجهة ينتهى إلى دون العلمين اللَّذَيْن هما علامة حد الحرم من هذه الجهة، بمقدار ستمائة ذراع وواحد وستين ذراعًا، لأنه قال: ومن حد الحرم إلى مسجد عَرَفَة ألف ألف ذراع وستمائة ذراع وخُمْسا ذراع. انتهى.

وإنما كان حد الحرم من هذه الجهة ينتهى إلى دون العَلَمَين المشار إليهما بالقدر الذى ذكرناه، لأنا اعتبرنا مقدار ما بين العلمين المشار إليهما والجدار القبلى من مسجد عرفة، فكان ذلك ألف ذراع وسبعمائة ذراع، بتقديم السين، وثلاثة أذرع بذراع الحديد، ويكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع وتسعمائة ذراع بتقديم التاء، وستة وأربعين ذراعًا، وذلك يقتضى أن يكون العَلَمان المشار إليهما فى غير الحد، والعَلَمان المشار إليهما هما اللذان إلى مكة أقرب من العَلَمين اللذين إلى عرفة أقرب، وكون العلمين المشار إليهما علامة لحد الحرم من هذه الجهة، أشبه بالصواب من كون حد الحرم دونهما إلى مكة، أو أمامهما إلى جهة عرَفَة قريبًا من المسجد المنسوب إليهما، كما يوهم كلام الأزرقى فى الموضعين، لأن فى العَلَمين المشار إليهما حجرين، مكتوب فى كل منهما: اللَّهُمَّ أيِّد بالنصر والظفر

عبدك الشاكر لأنعمك يوسف بن عمر، فهو الآمر بتجديد هذا العَلَم الفاصل بين الحل والحرم، وفيه مكتوب أيضًا أن ذلك في سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

ويوسف بن عمر المشار إليه هو الملك المظفر صاحب اليمن، والعادة جرت بأن بناء مثل ذلك لا يكون إلا عن أخبار مستفيضة أو علامة قديمة كانت قبل ذلك، فخربت وجُدد عوضها في محلها، والله أعلم.

وأما النظر الذي أشرنا إليه في قول من قال إن قدر الحرم من هذه الجهة على سبعة أميال، بتقديم السين، فبيانه أن قدر الحرم من هذه الجهة على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع يزيد على عشرة أميال، سواء اعتبرت المسافة من باب بني شيبة أو من باب المَعْلاة، ويجري هذه الزيادة يظهر مما سبق قريبًا، وإن قدر الحرم من هذه الجهة على القول بأن الميل أربعة آلاف ذراع يكون تسعة أميال، بتقديم التاء، وخُمس ميل وعشر وربُع عُشْر عشر ميل يزيد سُبْعَي ذراع، هذا إن اعتبرنا المسافة من باب بني شيبة.

وإن اعتبرنا المسافة على هذا القول من باب المَعْلاة، ويكون قدْر الحرم من هذه الجهة ثمانية أميال ثلاثة أرباع ميل وخُمُس عُشْر ميل وسبعة أسباع عُشْر عُشْر عشر ميل، يزيد سُبْعَي ذراع.

وأنّ قدْر الحرم من هذه الجهة على القول بأن الميل ألف ذراع، يكون ثمانية عشر ميلاً وثلاثة أخماس ميل ونصف عُشْر عُشْر ميل، يزيد سُبْعَي ذراع، هذا باعتبار المسافة من باب بني شيبة ويكون ذلك على هذا القول باعتبار المسافة من باب المَعْلاة سبعة عشر ميلاً ونصف ميل وخُمُس خُمُس وستة أسباع خُمُس عُشْر عُشْر ميل.

وأنّ قدْر الحرم من هذه الجهة على القول بأنّ الميل ستة آلاف ذراع يكون ستة أميال وخُمس ميل وسُدُس عُشْر عُشْر ميل يزيد سُبْعَي ذراع، هذا باعتبار المسافة من باب بني شيبة، ويكون ذلك باعتبارها من باب المَعْلاة على هذا القول خمسة أميال ونصف ميل وثُلث خُمُس خُمُس ميل وخُمُسَيْ سُبْع عُشْر عُشْر ميل.

وإذا تقرّر أنّ مقدار الحرم من هذه الجهة ما ذكرناه على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل، ظهر بذلك بُعد استقامة قول من قال إن مقدار الحرم من هذه الجهة سبعة أميال بتقديم السين، لكون ذلك يخالف مقتضى هذه الأقوال باعتبار كثرة الزيادة على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل غير القول بأنه ستة آلاف ذراع، وباعتبار كثرة النقص على مقتضى القول بأن الميل ستة آلاف ذراع، فإن النقص يكون على مقتضاه أربعة أخماس ميل إلا عشرة أذرُع باليد تقريبًا، فى اعتبار المسافة من باب بنى شبة، ويكون النقص على مقتضى هذا القول أيضًا فى اعتبار المسافة من عتبة باب المعلاة ميلاً وقريبًا من سُدُس ميل، والله أعلم.

واعلم أنه وقع للنووى، رحمه الله، ما يقتضى أن حد الحرم من هذه الجهة على خلاف قوله أنه سبعة أميال بتقديم السين، لأنه قال فى «الإيضاح» واعلم أن بين مكة ومنى فرسخًا، وذكر معنى ذلك فى غيره من كُتُبه.

وتظهر المخالفة بين ذلك وبين قوله إن حد الحرم من هذه الجهة على سبعة أميال، بتقديم السين، ببيان مقدار ما بين مكة ومِنًى، ومقدار ما بين مِنًى والعَلَمين اللَّذين هما علامة حدّ الحرم من جهة عرفة.

فأما مقدار ما بين مكة ومِنًى فهو ثلاثة عشر ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانية وستون ذراعًا، وذلك من جدار باب بنى شيبة إلى طرف العَقَبَة التى هى حد مِنًى من أعلاها مما يلى جمرة العَقَبَة.

وأما مقدار ما بين مِنًى والعلمين المشار إليهما فذلك ثلاثة وعشرون ألف ذراع وثمانمائة ذراع واثنان وأربعون ذراعًا وسُبْعا ذراع، وذلك من طرف العَقَبَة المشار إليها إلى العلمين المشار إليهما.

وإذا تقرر ذلك فالذى من عقبة مِنًى إلى العلمين المشار إليهما قدر ما بين مكة ومِنًى، باعتبار المسافة من باب بنى شيبة مرتين ينقص ألفى ذراع وثمانمائة ذراع وثلاثة وتسعين ذراعًا، بتقديم التاء، ويلزم على مقتضى قول النووى: أن بين مكة ومِنًى فرسخًا، أن يكون ما بين طرف العقبة المشار إليها، والعلمين المشار إليهما خمسة أميال وثلث ميل يزيد سبعة وسبعين ذراعًا باليد، ويضم مقدار ما بين عقبة

منى والعلمين المشار إليهما إلى مقدار ما بين مكة وعقبة منى، فيصير جملة ذلك ثمانية أميال وثلث ميل وسبعة وسبعين ذراعًا، ويكون ذلك مقدار الحرم من هذه الجهة، على مقتضى قول النووى: إن بين مكة ومنى فرسخًا، ويعارض ذلك مع قول النووى: إن حد الحرم من جهة عرفة سبعة أميال بتقديم السين، ويقوى به النظر الذى أشرنا إليه فيما ذكره فى حد الحرم من جهة عرفة، والله أعلم.

وربما كان مقدار حد الحرم من هذه الجهة على مقتضى قول النووى أن بين مكة ومنى فرسخًا أكثر من هذا المقدار، إذا كان الاعتبار لما بين مكة ومنى من باب المَعْلاَة، لأنّ من عتبة باب المَعْلاَة إلى طرف العَقَبَة المشار إليه أحد عشر ألف ذراع ومائتى ذراع وواحدًا وأربعين ذراعًا وسُبْع ذراع، ومقدار ما بين منى والعَلَمين بالنسبة إلى مقدار ما بين مكة ومنى مرتان، بزيادة ألف ذراع وثلاثمائة وستين ذراعًا، يزيد، فيكون مقدار ما بين منى والعلمين المشار إليهما ستة أميال وثُلث ميل، بزيادة مائة ذراع وأربعة عشر ذراعًا، إذا كان مقدار ما بين مكة ومنى فرسخًا، وكان الاعتبار لذلك من باب المعلاة ويضم مقدار ما بين منى والعلمين إلى مقدار ما بين مكة ومنى فيصير جملة ذلك تسعة أميال وثلث ميل، بزيادة مائة ذراع وأربعة عشر ذراعًا، ويكون ذلك مقدار الحرم من هذه الجهة على مقتضى النووى، وإن بين مكة ومنى فرسخًا، والله أعلم.

واعلم أن قول النووى أن بين مكة ومنى فرسخًا، فيه إشارة إلى أنه لم يعتبر فى ذلك قول من قال: إن الميل ستة آلاف ذراع، لأنه لو اعتبر ذلك لزم أن يكون ما ذكره فى مقدار ما بين مكة ومنى غير مستقيم، لأن المسافة تنقص عن الثلاثة الأميال، وهى مقدار الفرسخ ميلاً وثمن ميل وثمانية أذرع وستة أسباع ذراع، فى اعتبار المسافة من باب المَعْلاَة، وينقص فى اعتبارها من باب بنى شيبة ثلاثة أرباع ميل وسدس ثُمن ميل وستة أذرع وأربعة أسباع ذراع، وإذا دار الأمر بين حمل كلام النووى على وجه مستقيم وحمله على وجه لا يستقيم فحمله على الأول أولى، والله أعلم.

ذكر تحديد حد الحرم من جهة العراق

من جدار باب بني شيبة إلى العَلَمين اللَّذَيْن هما علامة حد الحرم في طريق العراق، وهما العلمان اللذان بجادة وادي نخلة سبعة وعشرون ألف ذراع ومائة ذراع واثنان وخمسون ذراعًا باليد يكون ذلك أميالاً، على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: سبعة أميال بتقديم السين وخمسة أسباع ميل وثلاثة أسباع عشر ميل يزيد ذراعين.

ومن عتبة باب المَعْلاَة إلى العَلَمين المشار إليهما خمسة وعشرون ألف ذراع، وخمسة وعشرون ذراعًا باليد، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: سبعة أميال بتقديم السين وسُبع ميل ونصف سُبْع عُشْر ميل.

وما ذكره الأزرقي في مقدار الحرم من هذه الجهة يمكن أن يتمشى على اعتبار المسافة من باب المَعْلاَة ليسارة الزيادة على السبعة الأميال في اعتبار المسافة من باب المَعْلاَة.

وما ذكره ابن أبي زيد في كون مقدار الحرم من هذه الجهة ثمانية أميال، يمكن أن يتخرج على اعتبار المسافة من باب بني شيبة ليسارة النقص عن الثمانية الأميال في اعتبار المسافة من باب بني شيبة.

ويبعد تخرج ما ذكره ابن خرداذبه في أن مقدار الحرم من هذه الجهة ستة أميال، وأبعد من ذلك ما ذكره سليمان بن خليل في أن مقدار الحرم من هذه الجهة عشرة، والله أعلم.

ذكر تحديد حد الحرم من جهة التنعيم

وهي طريق المدينة وما يليها، من جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب العُمْرة إلى أعلام الحرم في هذه الجهة التي في الأرض لا التي على الجبل اثنا عشر ألف ذراع وأربعمائة ذراع وعشرون ذراعًا بذراع اليد، يكون ذلك أميالاً على

القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: ثلاثة أميال وخُمْسَيْ ميل وسُبْعِ ميل وخُمس خُمْس سُبْع ميل.

ومن عتبة باب الشبيكة إلى الأعلام المشار إليها عشرة آلاف ذراع وثمانمائة ذراع واثنا عشر ذراعًا، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وثلاثة أخماس سُبْع ميل وخُمْس عُشْر عُشْر ميل، وسبع عُشْر ميل.

وما ذكره الأزرقي في مقدار حد الحرم من جهة التنعيم، لعله اعتبره من موضع باب الشبيكة أو ما قرب منه، فإن الزيادة قليلة في اعتبار المسافة من هذا الموضع، على مقدار ما ذكره في حد الحرم من هذه الجهة.

وأمّا قول من قال: إنّ مقدار الحرم من هذه الجهة أربعة أميال فيبعد تخريجه على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع، لأنّا إن اعتبرنا المسافة من باب الشبيكة كان النقص عن الأربعة أميال أربعة أخماس ميل وعُشْر ميل وعُشْر [عشر][1] ميل وثلاثة أذرع، وإن اعتبرناها من باب العمرة نقصت المسافة نصف ميل إلا مائة وسبعين ذراعًا.

ويبعد أيضًا تخريج ذلك على القول بأن الميل أربعة آلاف ذراع لأن المسافة تنقص عن ذلك ميلاً إلاّ عُشْر ميل ونصف عُشْر عُشْر ميل، على اعتبار المسافة من باب العُمْرة.

وأما على اعتبارها من باب الشبيكة، فينقص ميلاً وأزيد من رُبع ميل.

وكذلك يبعد تخريج قول من قال: إنّ قدر الحرم من هذه الجهة نحو أربعة أميال، لأنه في معنى القول بالأربعة.

وأبعد من هذا كله كما ذكره الباجي من أن مقدار الحرم من هذه الجهة على خمسة أميال، لأنه لا يتخرج إلاّ على القول بأن الميل ألفا ذراع، وفي التخريج عليه

---

(١) ساقط من المطبوعتين.

نظر، وعلى أن الاعتبار في ذلك من باب الشبيكة، ومع ذلك فتزيد المسافة على الخمسة الأميال بمقدار خُمُسَيْ ميل.

وأما على اعتبار المسافة من باب العُمْرة فتزيد المسافة ميلاً ونحو رُبع ميل، وهذا هو النظر الذي أشرنا إليه في هذه الأقوال، والله أعلم.

ذكر تحديد حد الحرم من جهة اليمن

من جدر[1] باب المسجد الحرام المعروف بباب إبراهيم إلى علامة حد الحرم من هذه الجهة أربعة وعشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وتسعة أذرُع، بتقدم التاء، وأربعة أسباع ذراع، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: سبعة أميال يزيد سبعة أذرع وأربعة أسباع ذراع.

ومن عتبة باب مكة المعروف بباب الماجن إلى حد الحرم في هذه الجهة اثنان وعشرون ألف ذراع وثمانمائة ذراع وستة وسبعون ذراعًا بتقدم السين وأربعة أسباع ذراع.

ومقدار ذلك من الأميال على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: ستة أميال ونصف ميل ورُبع سُبْع ميل يزيد ذراعًا وأربعة أسباع ذراع.

وقد حررنا مقدار الحرم من جميع جهاته الأربع المعروفة على مقتضى الأقوال الأربعة في مقدار الميل، وذكرنا ذلك في أصل هذا الكتاب.

واقتصرنا في هذا الكتاب على ذكر ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع، لرجحانه وطَلَبًا للاختصار، وقد نظم بعضهم في حدود الحرم أبياتًا وهي:

---

(١) في المطبوعتين: «جدار» والمثبت رواية الأصل.

وللحرم التحديد من أرض طيبة ... ثلاثة أميال إذا رُمْتَ إتقانه[1]
وسبعة أميال عِراق وطائف ... وجُدّة عَشْر ثم تِسْعٌ جعرانه
ومن يمن سبعٌ بتقديم سينها ... فَسَلْ ربَّك الوهّاب يرزقك غفرانه
وقد زيد في حَدٍّ لطائف أربعٌ ... ولم يرض جمهور لذا القول رجحانه

والبيتان الأولان لا أعرف ناظمهما، والبيتان الآخران لجدى لأمّى[2] قاضى القضاة كمال الدين أبى الفضل محمد بن أحمد النويرى الشافعى، قاضى مكة وخطيبها وعالم الحجاز فى عصره، تغمده الله برحمته، على ما وجدت فى تأليف له بخط بعض مشايخنا يُسمى المسلم بدية الحر المسلم، وبعض الناس يُنشد بيت جدّى الأول على غير ما ذكرناه فيقول:

ومن يمن سبع بتقديم سينها ... وقد كملت فاشكر لربك إحسانه

وهذا هو المشهور عند الناس.

ويجمع بين هذا الاختلاف بأن يكون جدى قال ذلك على الوجهين.

وكأن جدى قصد بالبيت الأول فى نظمه إفادة حد الحرم من جهة اليمن لكون ناظم البيتين الأولين لم يتعرض فيهما لحد الحرم من جهة اليمن، كما وقع للماوردى فى «الأحكام السلطانية»[3] والشيخ أبى إسحاق الشيرازى فى مهذّبه، وكأن جدى قصد بالبيت الثانى من نظمه أن يفيد فى حد الحرم من جهة الطائف على طريق عَرَفة، ما قيل من أنه أحد عشر ميلاً، كما ذكره الأزرقى فى تاريخه[4]، وأن الراجح فى حد الحرم فى هذه الجهة قول مَن قال إنه سبعة أميال، بتقديم السين على الباء، كما قال الماوردى[5] والشيخ أبو إسحاق الشيرازى والنووى[6]،

(١) منائح الكرم ١/ ٢١٨.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «لجدّى لأبى» وصوابه من الأصل.
(٣) الأحكام السلطانية ص٢٠٨.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣١.
(٥) الأحكام السلطانية ص٢٠٨.
(٦) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج١ ص٨٢.

وقلدهم جدى فى رُجْحَان ذلك، وفى كون ذلك راجحًا نظرٌ لما سبق بيانه من بعد استقامة قولهم، خصوصًا، النووى رحمه الله، لاضطراب كلامه فى ذلك، وسبب ذلك، والله أعلم، تقليدهم فى ذلك مع بُعْدهم عن المكان، وعدم اعتبارهم لذلك، ولو اعتبر كلٌ من هؤلاء الأئمة هذا الأمر كما اعتبرناه لَظَهَرَ له صحة ما قلناه، وإنما قلدوا فى ذلك فلم يستقم قولهم، وقد طال الكلام فى هذا الأمر، ولكن لموجبات اقتضت ذلك.

وكان شيخنا العلامة المفنن[1] المصنف المفتى كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدَّمِيْرِى المصرى المكى الشافعى، رحمه الله، ينشد عن جدى رحمه الله قوله:

ومن يَمْنٍ سبع... البيت

ثم يقول الأوْلَى أن يقال:

ومن يمن سبع بتقدم سينها لذلك سيل الحل لم يعد بنيانه

وهذا النصف الأخير له على ما ذكره لى صاحبنا الإمام صلاح الدين خليل ابن محمد الأقفهسى أبقاه الله، وذكر لى أن شيخنا كمال الدين كان يعلل ذلك بما فيه من الفائدة فى كون سيل الحل لا يدخل الحرم، بخلاف شطر بيت جدى فليس فيه إلا الدعاء، وهذه الفائدة ذكرها غير واحد من العلماء، إلا أنها معترضة بما ذكره الأزرقى من أن سيل الحل يدخل الحرم من جهة التنعيم فقط، وقد سبق كلام الأزرقى فى هذا المعنى، ويعارضها أيضًا ما ذكره الفاكهى وقد سبق ذكره.

وسمعت بعض أصحابنا ينشد بيت الشيخ كمال الدين هذا بتغيير فى لفظه لأنه نقل عن شيخنا الدميرى أنه قال:

ومن يمن سبع وكرز لها اهتدى لذلك سيل الحل لم يعد بنيانه

انتهى، وكرز المشار إليه هو كرز بن علقمة الخُزاعى.

---

(١) فى طبعة الذهبى: «المغنى» تحريف.

وليس هو أول من نصبها فى الإسلام، لأن جماعة من الصحابة سبقوه إلى ذلك، منهم تميم بن أسد عام الفتح بأمر النبى ﷺ.

ومنهم فى زمن عمر حُوَيْطب بن عبد العُزَّى، وسعيد بن يربوع، ومخرمة بن نوفل، وأزهر بن عبد عوف الزُّهْريان، كذا فى الأزرقى[٢] والفاكهى[٣].

وفى الفاكهى أيضًا عن الزبير بن بكار، أن صبيحة بن الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعيد بن تيم، أحد القرشيين اللَّذين بعثهم عمر بن الخطاب يجددون أنصاب الحرم.

ومنهم فى زمن عثمان حُوَيْطب بن عبد العُزَّى، وسعيد بن يربوع وعبد الرحمن بن هرمز ونفر من قريش، وكان هؤلاء يجددونها فى كل سنة، كذا فى الأزرقى والفاكهى، وليس فيهما ذكر نصب كرز لأنصاب الحرم، وإنما ذكر ذلك ابن عبد البرّ، وذكر أن ذلك وقع فى زمن معاوية فى ولاية مروان على مكة، وما عرفتُ لأى معنى ذكر شيخنا الدُّمَيرى نصب كرز دون غيره ممن هو أشهر منه، وكان الأَوْلَى أن يقول:

ومن بعد سبع تميم لها اهتدى لذلك سبل الحل لم يعد بنيانه

لكونه فعل ذلك بأمر النبى ﷺ، وما مر للجاهلية فإن لتحديد بُعدها أثرًا، والله أعلم.

ولم أر أحدًا تعرض لمقدار الحرم إلا أبا القاسم بن خرداذبه، الخراسانى فى كتابه «المسالك والممالك»[١] لأنه قال: وطول الحرم حول مكة سبعة وثلاثون ميلًا، وهى التى تدور بأنصاب الحرم، انتهى، وهى فائدة حسنة إنْ صحَّت، والله أعلم بحقيقة ذلك.

---

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٢٩.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٢٧٣.

(١) المسالك والممالك ص١٣٢.

الباب الرابع

في ذكر شيء من الأحاديث والآثار الدالة
على حرمة مكة وحرمها
وشيء من الأحكام المختصة بذلك، وذكر شيء
مما ورد في تعظيم الناس لمكة وحرمها
وفي تعظيم الذنب في ذلك وفي فضل الحرم

روينا في تاريخ الأزرقي عن مجاهد قال: إن هذا الحرم حرم حذاؤه من السموات السبع والأرضين السبع، وروينا فيه عن قتادة قال: ذكر لنا أن الحرم حرم حياله إلى العرش[١].

وروينا في مُسْنَد الشافعي عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله سبحانه حرم مكة ولم يحرمها الناس، ولا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرًا، فإن ارتخص أحد فقال: أحلت لرسول الله ﷺ، قال: إن الله سبحانه أحلها لي ولم يحلها للناس، وإنما أُحلت لي ساعةً من نهار، ثم هي حرام حرمتها بالأمس» انتهى. باختصار، وأخرجه البخاري ومسلم بالمعنى.

وروينا في مُسْنَد أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إنّ هذا البلد حرام، حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحُرْمة الله إلى يوم القيامة، ما أُحل لأحد فيه القتل غيرى، ولا تحلّ لأحد بعدى فيه حتى تقوم الساعة، وما أُحل لى منه إلا ساعة من نهار، فهو حُرْمة الله عز وجل إلى أن تقوم الساعة، لا يعضد شوكه ولا يُختَلَى خلاه، ولا يُنَفّر صيده، ولا يُلْتَقَطُ لُقَطَتَه، إلا لمُعَرِّف، قال: فقال العباس، وكان من أهل البلد قد علم الذى لا بد لهم منه: إلا الإذخرَ يا رسول الله، فإنه لا بد لهم منه، فإنه للقبور والبيوت، فقال رسول الله ﷺ: إلا الإذخر» أخرجاه بالمعنى.

وروينا في مسند أحمد بن حنبل عن أبي هريرة ﷺ أن النبى ﷺ لما فتح مكة قال: «لا يُنَفَّرُ صَيْدُها ولا يُختَلَى شوكُها: ولا تحل ساقطتُها إلا لمنشد» فقال العباس: إلا الإذخر، فإنما نجعله لقبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله ﷺ: «إلاّ الإذخر» أخرجاه أيضًا.

وفى لفظ لهما ولأحمد: لا يُعْضَدُ شجرُها بدل قوله: لا يُختَلَى شوكُها، وفى ألفاظ الأحاديث الواردة فى هذا المعنى اختلاف.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٢٤، ١٢٥.

وقد اقتضت هذه الأحاديث أمورًا، منها: منع اختلاء خلا مكة، والخلا، مقصور: الكلأ الرطب، فإذا يبس فهو حشيش وهشيم، ما خلا الإذخر فإنه يجوز كما في الحديث للحاجة إليه في سقف البيوت والقبور والصباغة وما في معناه، وهو نَبْت مشهور طيب الرائحة، وفي معنى الإذخر: السنا للحاجة إليه في الدواء، كما في المدونة والموازية من كتب أصحابنا المالكية، والصحيح من مذهب الشافعي حل أخذ نبات الحرم لعلف الدابة وللدواء.

ومنها: منع عضد شجر مكة، أي قطعها، وأرخصَ مالكٌ في قطع العصا والعصاتين من شجر الحرم.

ومنها: منع تنفير صيد مكة، أي لا يُصاح عليه فينفر، قاله المحب الطبري، ونقل عن عكرمة أنه قال لرجل: أتدرى ما تنفير صيدها؟ هو أن تنحيه من الظل وتنـــزل مكانه، ونقل معنى ذلك عن سفيان بن عُيَيْنَة، قال: ولا خلاف أنه لو نفره وسلم فلا جزاء عليه، لكنه أثِم بارتكابه النَّهْي.

ومنها: منع اصطياد صيد مكة.

ومنها: أن لُقَطَتَها لا تُملك، كما هو الأصح من مذهب الشافعي، وهو رأي بعض المالكية، وعند الأئمة الثلاثة أن حكم مكة في لُقَطَتها كغيرها من البلاد، وقد جاءت أحاديث تقتضي امتناع هذه الأمور بالمدينة النبوية، لكن لمكة في ذلك على المدينة مزية من ثلاثة أوجه:

الأول: وجوب الجزاء في صيد مكة بالإجماع بخلاف المدينة ففيه خلاف.

الثاني: وجوب الجزاء في شجر مكة عند الشافعي وابن حنبل.

الثالث: أنه لم يقل أحد من علماء الأمة، فيما علمت، بعدم تملك لُقَطَة المدينة.

ولمكة أيضًا أحكام تخصها وأحكام تشاركها المدينة فيها.

فمن الأحكام التي تخص مكة أن الصلاة فيها تضاعف على الصلاة في غيرها، لأحاديث صحيحة وردت في ذلك يأتي ذكرها.

ومنها: تضاعف ثواب القُرُبَات بها، لحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما يأتى ذكره.

ومنها: تضاعف السيئة بها، كما قال مجاهد وأحمد بن حنبل فيما حكاه عنهما المحب الطبرى فى «القرى»(١) ومثل ذلك نقل عن غيرهما، والصحيح من مذهب العلماء أن السيئة بمكة كغيرها، والله أعلم.

ومنها: أن الإنسان يؤاخذ بهمِّه بالسيئة بمكة وإن كان نائيًا عنها، كما هو مقتضى الحديث الذى رويناه فى مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ، ولفظه فى المُسْنَد: حدّثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا شعبة عن السُّدّى أنه سمع مرة أنه سمع عبد الله قال شعبة ورفعه لى ولا أرفعه للمنقول فى قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ (سورة الحج آية ٢٥) قال: لو أنّ رجلاً هَمَّ بإلحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عذابًا أليمًا، انتهى.

ووجه اختصاص مكة بهذا الحُكم أنّ غيرها من البلاد إذا همّ الإنسان فيها بسيئة لا يؤاخذ بها إلا إذا عملها، كما هو مقتضى حديث ابن عباس، رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل فى كتاب الحسنات والسيئات، «وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإنْ هَمَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» وهذا الحديث فى الصحيحين، وهو بظاهره يقتضى عموم البلاد فى هذا الحكم، فيدخل فى ذلك مكة، ولكن حديث ابن مسعود المشار إليه يخصها، والله أعلم.

وكنت غفلت عن ذكر هذه الخصوصية فكتب إلىَّ بعض علماء عصرنا ممن وقف على بعض هذا الكتاب يذكرها لى، ونص ما كتبه إلى: رأيت مختصر مولانا لأخبار مكة وذكرتم تخصيص الحرم بأشياء ولم تتعرضوا لمن همَّ فيه بسيئة، فإنهم ذكروا فى خصائصه العقوبة على مريد السيئة، ومَن همَّ بها، وروينا فى ذلك حديثًا مرفوعًا وهو من حديث ابن مسعود فى مُسند أحمد وغيره، وهو حديث إسناده

---

(١) القرى ٦٥٩.

صحيح، ثم قال: وهذه المسألة ذكرها ابن أبي حاتم في تفسيره وبسط فيها القول، انتهى باختصار.

وذكر ذلك أيضًا أبو اليُمْن بن عساكر في فضل منى، عند الكلام على ما اختصت به مكة من الأحكام، ونص كلامه: وإن من أراد فيها الإلحاد ولم يعمل به أذاقه الله من أليم العذاب، وزاد أيضًا من خصائصها عدم استباحة غنائمها.

ومنها: أن صلاة النافلة التي لا سبب لها لا تُكره بمكة في وقت الكراهة، كما هو مذهب الشافعي رحمه الله، لحديث من رواية جُبَير بن مُطْعِم عن النبي ﷺ في ذلك، ولفظه عند الدارقُطْني: «يا بني عبد مَنَاف لا تمنعوا أحدًا يصلي عند هذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار» وأخرجه ابن حبان بمعناه، ولفظه عند أصحاب السنن الأربعة، وابن حنبل، وابن حبان أيضًا يا بني عبد مناف [إن] وَلِيتُم من هذا الأمر شيئًا فلا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت وصلى أي ساعة شاء من ليل أو نهار.

وجوز البيهقي في المراد بالصلاة احتمالين:

أحدهما: أن يكون المراد بالصلاة الطواف خاصة، وقال: إنه هو الأشبه بالآثار.

والاحتمال الآخر: أن يكون المراد جميع الصلوات.

ولفظ حديث الدارقُطْني يرد الاحتمال الأول الذي ذكره البيهقي أنه أشبه بالآثار، قال القاضي عز الدين بن جماعة: وتأول بعضهم الصلاة على الدعاء وفيه بُعد، ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهي، كما هو مذهب المالكية والحنفية، والله أعلم.

ومنها: أن صلاة العيد تُصَلَّى بالمسجد الحرام لا في الصحراء كما في سائر البلاد.

ومنها: وجوب قصدها في كل سنة على طائفة من الناس لإقامة شعائر الحج.

ومنها: أنها لا تُدْخَل إلا بإحرام، على تفصيلٍ في ذلك مقرر في كُتُب الفقه.

ومنها: أنه لا يجوز إحرام المقيم فى الحرم بالحج خارجه، كما هو مذهب الشافعى، على ما نقل النووى فى الإيضاح، وهذا لفظه.

ومنها: اختصاصها بنحر هدايا الحج.

ومنها: لزوم النحر بمكة لنادرة فيها، ومنها: اختصاص حمام مكة فى الجزاء بشاة من غير حكم إذا أصيب فى الحرم، كما هو مذهب مالك والشافعى.

ومنها: أن الخارج يتبع الصيد فإذا دخل الحرم تركه، ذكر ذلك ابن الحاج عن بعض المفسرين.

ومنها: ائتلاف الظباء والسباع فيه، ذكره المحب الطبرى[1].

ومنها: أمن الظباء والوحوش والسباع بها حتى إنَّ الطيور لتحوز الحد فيعرض لها من السباع ما لا يعرض لها إذا جاز شيء منها الحدود. انتهى.

ذكر ذلك الحافظ وقال: قالوا: ومنها: كون أهل مكة لا دَمَ عليهم فى التمتُّع والقران عند مالك والشافعى وأكثر العلماء، لكونهم من حاضرى المسجد الحرام، خلافًا لأبى حنيفة، ومنها: أن أهلها لا يقاتَلُون إذا بَغَوْا فيها عند بعض العلماء، لكن يُضَيَّقُ عليهم حتى يرجعوا عن ذلك، بل قال القفال المَرْوَزى، وهو من كبار الشافعية: أنه يمتنع قتال الكفار بمكة إذا تحصنوا فيها، وهو مقتضى مذهب مالك على ما ذكره ابن شاس وابن الحاجب.

ففى «الجواهر» لابن شاس: ولا يجوز قتال الحاصر مسلمًا كان أو كافرًا، وكذا فى مختصر ابن الحاجب.

ومذهب أكثر العلماء جواز قتال الكفار والبُغاة بمكة تقديمًا لحق الله تعالى، لأن قتال الكفار من الحقوق التى لا يجوز إضاعتها، وصحح ذلك النووى، وأجاب عن الأحاديث الصحيحة الواردة فى تحريم القتال بمكة أن معناها تحريم نصب القتال عليهم، بما يعمّ كالمنجنيق وغيره إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك، بخلاف ما إذا

(١) القرى ٦٦١.

تحصن كفار فى بلد آخر فإنه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شىء، وقال: إن الشافعى نص على هذا التأويل.

ومنها: عند أبي حنيفة أن القاتل عَمْدًا إذا لجأ إلى الحرم لا يُقْتل ما دام فيه، لكن يُضَيّق عليه حتى يخرج منه ليُقْتَل خارج الحرم.

ومنها: عنده أن الزانى المُحْصَن إذا لجأ إلى الحرم لا يُقام عليه الحد ما دام فيه، بل يُضَيَّق عليه حتى يخرج منه ليُقْتَلَ خارج الحرم.

ومنها: عنده: أن الحربى إذا لجأ إلى الحرم بغير أمان لا يُقتل فيه، بل يُضَيَّق عليه حتى يخرج منه.

ومذهب أبي حنيفة فى هذه الثلاث المسائل هو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، ومذهب مالك والشافعى أن الحرم لا يمنع من استيفاء القصاص والحدود.

ومنها: أن القاتل فى الحرم يغلظ عليه الدِّية بزيادة ثُلثها، سواء كان القتل عمدًا أو خطأً عند الشافعية والحنابلة، على ما نقل عنهم ابن جماعة فى منسكه، وفيما نقله عن الشافعية نظر، لأن الصحيح عندهم أن القاتل فى الحرم يغلظ عليه الدية باعتبار التثليث، وهى أن تكون ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة، وذلك لا يفهمه نقل ابن جماعة، والله أعلم.

ومنها: أنه يمنع من خالف دين الإسلام من دخول الحرم مقيمًا كان أو مارًّا كما هو مذهب الشافعى، وأكثر الفقهاء على ما نقل الماوردى[1]، وجوز ذلك أبو حنيفة إذا لم يستوطنوه، ويجوز عند مالك للكافر دخول الحرم مجتازًا لتجارة وشِبْهها لا مستوطنًا، والأصل فى ذلك، ما روينا عن أبي داود عن رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

ووجه الدليل أن الحجاز هو نفس الجزيرة فى قول طائفة من العلماء، وقال طائفة منهم: إن الحجاز بعض الجزيرة، وقالوا: إن المراد بما أطلقه ﷺ من الجزيرة

---

(١) الأحكام السلطانية ص٢١١.

الحجاز لقوله ﷺ: «أخرجوا المشركين واليهود من الحجاز، وأهل نَجْران من جزيرة العرب».

ومنها: على ما قال ابن الصلاح من الشافعية: لا يجوز أخذ شيء من مساويك الحرم.

وذكر ابن الحاج من أصحابنا أنه لا بأس بأخذ السواك من الحرم.

ومنها: أن المستنجى بحجارة الحرم مسيء على ما قال الماوردى، ويجزيه ذلك.

ومنها: أنه لا يحل حمل السلاح بمكة لغير ضرورة، وعند مالك والشافعى؛ لحديث جابر ﷺ لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة، والحديث فى الصحيحين.

ومنها: أنه لا يجوز استقبال الكعبة ولا استدبارها عند قضاء الحاجة فى الصحراء إذا لم يكن ثَمَّ ساتر، لنهى النبى ﷺ عن ذلك فى رواية أبى أيوب الأنصارى فى الصحيحين، وفى رواية أبى هريرة ﷺ فى صحيح مسلم وغيره.

ومنها: أن الله أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة، وأن لا يأخذوا منهم أجرًا على نزولهم فى مساكنها، كما هو مفهوم من كلام أبى اليُمْن ابن عساكر فى فضل مِنًى، وتقدم من كلام السهيلى فى الباب الأول ما يؤيد ذلك.

ومنها: أنه يمتنع على المهاجر منها الإقامة بها إلاَّ ثلاثة أيام بعد الصدر، كما روى العلاء بن الحضرمى عن النبى ﷺ بمعناه.

ومن الأحكام التى تشارك المدينة فيها مكة: تحريم قطع الرطب من شجرها وحشيشها وتنفير صيدها واصطياده، وإن كان لا جزاء فى صيد المدينة كما سبق بيانه لأحاديث صحيحة فى ذلك.

ومنها: أنه يحرم دفن المشرك فيها، فإن دُفن نُبش ما لم يتقطع، نقل ذلك عن النووى الشيخ خليل الجندى المالكى فى منسكه.

ومنها: أنه يحرم إخراج ترابها وحجرها، على ما نقل الشيخ خليل الجندى عن ابن الصلاح، ونص كلامه لما ذكر خصائص الحرمين: قال ابن الصلاح: ويختصان

بتحريم إخراج الحجر والتراب، ويُكره إدخال ذلك من الحل وخلط ذلك بمثله، ولا يجوز اتخاذ المساويك من أراك الحرم، زاد النووى: ويختصان بتحريم دفن المشرك، ولو دُفن نبش ما لم يتقطع. اهـ.

وما ذكره ابن الصلاح من تحريم إخراج تراب الحرم وحجارته إلى خارجه نص عليه الشافعي في «الجامع الكبير» وفى «الأم» وصححه النووى فى «الروضة» وإنْ كان نقل في شرح المهذب عن الأكثرين من الشافعية، أن ذلك مكروه.

وقال المحب الطبرى: إن كراهية إخراج تراب الحرم إلى الحل كراهية تحريم عندنا. انتهى[1].

والواجب على من أخرج ذلك من الحرم رده إليه، ولا ضمان عليه فى ترك الرد، وأما كراهيه إدخال تراب الحل وأحجاره إلى الحرم [فلئلا تحدث لها حرمة لم تكن لها.

وما ذكره ابن الصلاح من كراهية إدخال تراب الحل وأحجاره إلى الحرم][2] نص عليه النووى فى روضته ومناسكه، وذكر فى المجموع أن الأصحاب متفقون على أن ذلك من باب الأولى، وفيه نظر، لأن صاحب البيان نقل عن الشيخ أبي حامد أنه قال: لا يجوز إدخال شيء من تراب الحل وأحجاره إلى الحرم. انتهى.

والعلة فى كراهية ذلك لئلا تحدث لها حرمة لم تكن، ومذهب الحنابلة: كراهة إخراج تراب الحرم وحَصَاه إلى الحل، وإدخال ذلك من الحل إلى الحرم، والإخراج أشد على ما قاله أحمد، وحُكْم حَرَم مكة فى ذلك حُكْم مكة من غير خلاف.

وقد اختلف العلماء فى مكة وحَرَمها، هل صار ذلك حرمًا آمنًا من الجبابرة والخوف والزلازل بسؤال الخليل عليه السلام، أم لم يزل ذلك حرمًا آمنًا منذ خلق الله السموات والأرض، وهو الصحيح على ما ذكره النووى وغيره، لحديث ابن عباس وأبي هريرة وأبى شريح الخزاعى، رضى الله عنهم، وإنما سأل الخليل عليه السلام

(١) القرى ص٦٣٧.
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تلدمرى.

ربَّه تبارك وتعالى أن يجعل ذلك آمنًا من الجدْب والقحْط، وأن يرزق أهله من الثمرات، واحتجّ القائلون بالأول: بحديث عبد الله بن زيد بن عاصم أنّ النبى ﷺ قال: «إنّ إبراهيم حرَّم مكة وإنّى حرَّمت المدينة» الحديث، كما فى الصحيحين.

وأجاب القائلون بالثانى عن هذا الحديث، بأن إبراهيم أظهر التحريم بعد أن كان مهجورًا، والله أعلم بالصواب.

ذكر شىء مما ورد فى تعظيم الناس لمكة وحرمها وفى تعظيم الذنب فى ذلك

روينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عباس أنه قال: حج الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيمًا للحرم[1].

وروينا فيه عن ابن جريج قال: كان الرجل يلقى قاتل أخيه أو ابنه فى الكعبة أو فى الحرم أو فى الشهر الحرام فلا يعرض له[2].

وروى أبو على بن السَّكَن فى سُنَنِه: أن النبى ﷺ لما كان بمكة إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس.

ويُروى أن الشيخ أبا عمرو الزجاجى، أحد كبار مشايخ الصُّوفية، أقام بمكة أربعين سنة لم يَبُلْ ولم يتغوَّط فى الحرم[3].

ويُروى أن الإمام أبا محمد عبيد الله بن سعيد الشنتجالى جاور بمكة دهرًا، وكان إذا أراد قضاء الحاجة خرج من الحرم.

ومن الأخبار الواردة فى تعظيم الذنب فى الحرم، ما رويناه فى تاريخ الأزرقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضى الله عنهما، أنه كان يقول: إن من الإلحاد فى الحرم أن يقول: كلا والله وبلى والله[4].

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣٧.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٤٠.

(٣) الزهور المقتطفة ص٤٢.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٣٢.

وروينا عن عمر بن الخطاب أنه قال: يا أهل مكة لا تحتكروا الطعام، فإن احتكار الطعام بها للبيع إلحاد.

وروينا مثل ذلك عن ابنه عبد الله بن عمر، وروينا عن عمر أنه قال: لأن أخطئ سبعين خطيئة بركية أحب إليّ من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة[1]. انتهى.

وركية حاذية لذات عرق، ميقات أهل العراق، وروينا عن عبد الله بن عمرو ابن العاص، رضى الله عنهما، الإلحاد فى الحرم ظلم الخادم.

وقد جاء فى هلاك من ظلم بمكة من الأمم أو استخف بحرمته أخبار كثيرة سنذكر منها شيئًا فيما بعد، إن شاء الله تعالى.

وجاء فى النجاة من الذنب بالالتجاء إلى الحرم حديث رويناه عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ ولفظه قال: «لما عقر ثَمود النَّاقَة فأخذتهم الصَّيْحَةُ، لم يبق تحت أديم السماء منهم أحد إلا أهلكته إلا رجلاً واحدًا كان فى حرم الله، عز وجل، فمنعه الحرم، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال: أبو رغال، أبو ثقيف، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه» أخرجه أحمد فى مُسْنَده ومسلم وأبو حاتم بن حبّان فى صحيحيهما.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٢٥٦.

الباب الخامس

في ذكر الأحاديث الدالة على أن مكة المشرفة أفضل من غيرها من البلاد وأن الصلاة فيها أفضل من غيرها وغير ذلك من فضلها

أخبرني إبراهيم بن محمد الصوفي سماعًا بالمسجد الحرام قال: أخبرنا أحمد بن أبي طالب الصالحي عن أبي المنجا عبد الله بن عمر البغدادي وأبي بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب، قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ابن شعيب السِّجْزي(١)، قال: أخبرنا الفقيه أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد السرخسي قال: أخبرنا إبراهيم بن خُزَيم(٢) قال: أخبرنا عبد بن حميد الحافظ، قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم الزهري قال: حدثني أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه أخبره أنه سمع النبي ﷺ وهو على راحلته بالحَزْوَرَة بمكة يقول لمكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحبّ أرضِ الله إليَّ، ولولا أني أُخرِجْتُ منكِ ما خرجت».

وأخبرتني الأصيلة أمّ أحمد فاطمة بنت العز محمد بن أحمد الحنبلي(٣) قراءة عليها وأنا أسمع بدمشق في الرحلة الثالثة(٤)، أن القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي أنبأها وتفردت عنه قالت: أخبرنا الحافظ ضياء الدين المقدسي قال: أخبرنا زاهر بن أحمد الثقفي قال: أخبرنا غانم بن خالد قال: [أخبرنا عبد الرزاق ابن منصور قال أخبرنا ابن المقرئ أخبرنا ابن قتيبة حدثنا عيسى بن حماد زغبة](٥) حدثنا الليث عن عقيل عن محمد بن مسلم أن أبا سلمة(٦) أخبره عن عبد الله بن عدي بن الحمراء ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ على راحلته واقفًا بالحَزْوَرَة

---

(١) [ ]) تحرف في طبعة تدمري إلى: «السنجري» وتبعه في تحريفه د. الذهبي.

(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «حزيم» بالحاء المهملة، وصوابه من الأصل وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٢٥٩.

(٣) تحرف في المطبوعتين إلى: «الجيلي».

(٤) تحرف في المطبوعتين إلى: «الثانية».

(٥) ما بين حاصرتين ساقط من المطبوعتين.

(٦) تحرف في المطبوعتين إلى: «أبا مسلمة».

يقول: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أُخرجْتُ منك ما خرجت».

وأخبرتنى عاليا أم محمد بنت المُنَجَّا سماعًا عن القاضى أبى الفضل المقدسى قال: أخبرنا الحافظ الضياء قال: أخبرنا أبو جعفر الصيدلانى وفاطمة بنت سعد الخير قالا: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله قالت: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله قال: أخبرنا أبو القاسم الطبرانى قال: حدثنا أبو زُرْعَة الدمشقى قال: حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا شُعَيب بن أبى حَمْزة، وبه قال الطبرانى: وحدثنا عبد الرحمن بن جابر البُحْترى قال: حدثنا بشر بن شعيب قال: حدثنا أبى عن الزهرى قال: أخبرنى أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى ﷺ يقول، وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة «والله إنكِ خير أرض الله، وأحبّ أرض الله إلى الله، ولولا أنى أُخرجْتُ منك ما خرجت» أخرجه الترمذى والنسائى عن قُتَيْبَة بن سعيد عن الليث، وأخرجه ابن ماجه عن زُغْبَة، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن محمد بن الحسن بن قُتَيْبَة عن زغبة عن الليث، فوقع لنا به بدلاً للترمذى والنسائى، وموافقته لابن ماجه وابن حبان، مع العُلوّ فى ذلك، ولله الحمد.

وأخرجه النسائى عن إسحاق بن مسعود الكوسج عن يعقوب بن أبى إبراهيم الزهرى، فوقع لنا بدلاً له عاليًا، وقال الترمذى: إن حديث ابن الحمراء حديث حسن صحيح على ما نقل عنه المحب الطبرى فى القرى[1]، ومن خطه نقلت ذلك، ولما ذكر هذا الحديث قال: وعن عبد الله بن عدى بن الحمراء، ثم رأيت فوق الحمراء حفر باب وفوق الضرب ما صورته الخيار، وهذا عجب منه، فإن الحديث مشهور عن ابن الحمراء، والله أعلم، وقال الترمذى عقب حديث ابن الحمراء: رواه محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة: وحديث الزهرى عندى أصح. انتهى.

---

(١) القرى ص٦٤٧.

ورويناه فى «المعجم الكبير» للطبرانى من حديث محمد بن عبد الله بن مسلم الزهرى ابن أخى الزُّهْرى عن عمه محمد بن مسلم الزُّهْرى عن محمد بن جبير عن عبد الله بن عدى، وشذ ابن أخى الزهرى فى ذلك، على ما قال صاحبنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى، أمتع الله بفوائده، وما ذكره الترمذى من أن محمد بن عَمْرو رواه عن أبى سلمة عن أبى هريرة، لم أره هكذا، وإنما رأيته عنه عن أبى سلمة عن النبى ﷺ مرسلاً، هكذا رويناه فى الجزء الثانى من حديث على بن حجر السعدى عن إسماعيل بن جعفر عن محمد بن عمرويه، وفى تاريخ الأزرقى عن جده عن سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج عن محمد ابن عمرويه، ولعل محمد بن عمرو فى الرواية التى ذكرها عنه الترمذى سلك فيها جادة إسناده المتكرر فى غير ما حدثت له عن أبى سلمة عن أبى هريرة، والله أعلم.

وفى رواية محمد بن عَمْرو المرسَلَة التى فى تاريخ الأزرقى، أن النبى ﷺ قال ذلك عام الفتح على الحَجُون[1]، ولا تضاد بين هذه الرواية على تقدير ثبوتها، وبين الرواية التى فيها أن النبى ﷺ قال ذلك وهو واقف بالحَزْوَرَة لإمكان الجمع بين الروايتين، بأن يكون قاله على الحَجُون فى الفتح وبالحَزْوَرَة حين خرج من مكة فى عُمْرة القضية، لأنه أراد الإقامة بمكة ليبنى فيها بزوجته ميمونة بنت الحارث الهلالية، فأبت عليه قريش ذلك، وظن بعض [أهل عصرنا أن النبى ﷺ قال ذلك حين خرج من مكة للهجرة إلى المدينة، وليس كذلك لأن فى بعض][2] طُرُق الحديث التى أخرجناها أن النبى ﷺ قال ذلك وهو على راحلته بالحَزْوَرَة، ولم يكن النبى ﷺ بهذه الصفة حين هاجر إلى المدينة لأن الأخبار الواردة فى هجرته ﷺ تقتضى أنه ﷺ خرج من مكة مستخفيًا، ولو ركب بالموضع المشار إليه لأشعر ذلك بسفره، والقصد خلاف ذلك، والله أعلم.

والحَزْوَرَة بحاء مهملة مفتوحة وزاى معجمة، وعَوَامّ مكة يُصَحِّفُون الحَزْوَرَة ويقولون: عَزْوَرَة بعين مهملة، وهذا التصحيف من قدم، لأنى رأيت ذلك مكتوبًا

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٥٦.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من المطبوعتين، وهو سقط أخل بالمعنى.

فى حجر رباط رامشت بمكة، وتاريخه سنة تسع وعشرين وخمسمائة، والحَزْوَرَة الرابية الصغيرة والجمع الحزاور، وكان عندها سوق الحناطين بمكة، وهى فى أسفلها عند منارة المسجد الحرام التى تلى أجياد، وما وقع للطبرانى من أن الحَزْوَرَة فى شرقى مكة تصحيف، صوابه: سوق مكة، كما وقع مصرحًا به فى مُسْنَد أحمد ابن حنبل من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء، وما ذكرناه فى موضع الحَزْوَرَة هو المشهور المعروف على ما ذكره الأزرقى، وذكر عن بعض المكيين أن الحَزْوَرَة بفناء دار الأرقم، يعنى دار الخيزران التى عند الصفا، ونقل عن بعضهم أنها بحذاء الردم فى الوادى، والله أعلم.

والحَزْوَرَة مخففة على وزن قَسْوَرَة، وذكر الدارقُطْنى أن تخفيف الحزورة هو الصواب، وأن المحدثين يفتحون الزاى ويشددون الواو، وهو تصحيف، نقل ذلك عنه صاحب «المطالع» قال: وقد ضبطناه بالوجهين عن ابن سراج. انتهى.

وأفاد الفاكهى سبب تسمية الحزورة لأنه قال: لما ذكر ولاية ابن نزار للكعبة وبيته، فكان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد، فبنى صرحًا بأسفل مكة عند سوق الحناطين اليوم وجعل فيه أمَةً له يقال لها الحزورة، فبها سُمِّيت حزورة مكة[1]. انتهى.

وقد روينا نحو حديث ابن الحمراء من رواية أبى هريرة وابن عباس، رضى الله عنهم، وعبد الله بن عمرو بن العاص، فأما حديث أبى هريرة ﷺ فأخبرنى به الحافظان أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين وأبو الحسن على بن أبى بكر المصريان سماعًا بالقاهرة قالا: أخبرنا عبد الله بن محمد المقدسى قال: أخبرنا على بن أحمد الحنبلى عن محمد بن معمر القُرَشى وأخته عائشة قالا: أخبرنا سعيد بن أبى الرجاء قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن النعمان قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم المقرئ الحافظ، قال: أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعى قال: أخبرنا محمد بن يحيى ابن أبى عمر قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٥.

عن أبي هريرة ﷺ قال: وقف رسول الله على الحَزْوَرَة فقال: «قد علمت أنك خير أرض الله وأحبّ الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» أخرجه النسائي عن سَلَمة بن شبيب عن عبد الرزاق بن همام، فوقع لنا بدلاً له عاليًا، ورواه أحمد بن حنبل في مُسْنَده، عن عبد الرزاق به، وعن إبراهيم بن خالد الصنعاني، عن رباح بن زيد عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة، عن بعض الصحابة، ولم يذكر صاحبنا الحافظ أبو الفضل العسقلاني، أبقاه الله، أن رواية معمر شاذة، يعني روايته لهذا الحديث عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، قال: والظاهر أن الوهم فيه من عبد الرزاق لأن معمرًا كان لا يحفظ اسم صحابيه كما جاءت رواية رباح عنه، وعبد الرزاق سلك الجادة فقال: عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ثم قال: وإذا تقرر ذلك علم أن لا أصل له من حديث أبي هريرة، والله أعلم. انتهى.

وروينا نحوه في الثالث من حديث المخلص السقا ابن أبي الفوارس، وفي «المنتقى» من سبعة أجزاء من حديث المخلص أيضًا من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة ﷺ، أخبرني به القاضي المفتي أبو بكر بن الحسين الشافعي سماعًا بطيبة عن أحمد بن أبي طالب إذنًا وكتابة، وأنبأني به محمد بن عبد الرحمن القضاعي في كتابه أن أحمد بن أبي طالب أخبره سماعًا، قال: أخبرنا أحمد ابن يعقوب المارستاني إذنًا، قال: أخبرنا أبو المعالي بن النحاس عن أبي القاسم بن البُسْرِي[1] قال: أخبرنا أبو طاهر المُخَلِّص قال: حدثنا يحيى بن محمد قال: حدثنا أحمد ابن محمد بن سنان قال: حدثنا مؤمَّل بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا ثابت عن عبد الله بن رباح الأنصاري قال: خرجت في وفد فيه أبو هريرة... فذكر عن أبي هريرة في حديث ذكره أنه قال: لما قدمنا مكة أتته الأنصار، وهو قائم على الصفا، فجلسوا حوله، فجعل يقلب بصره في نواحي مكة

(١) تحرف في المطبوعتين إلى: «البشرى» بالشين المعجمة.

وينظر إليها ويقول: والله لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن قومي أخرجوني ما خرجت.

وبه إلى المخلص قال: حدثنا يحيى بن محمد قال: حدثنا أحمد بن سنان بالرملة قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا ثابت قال: حدثنا عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ مثله.

وبه قال ابن صاعد: هذان الخبران لم يأت بهما في هذا الحديث إلا مؤمل بن إسماعيل. انتهى. وإسناد هذا الحديث فيه نظر، لأن مؤمل بن إسماعيل الذي تفرد به كثير الخطأ على ما قال أبي حاتم، وفيه نظر أيضًا، لمكان غيره فيه، وإنما أوردناه لغرابته، والله أعلم.

وأما حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، فأخبرني به المسندان: الإمام المفتي أبو أحمد إبراهيم بن محمد اللخمي، ومحمد بن حسن بن علي القرشي، المصريّان سماعًا على الثاني، وأجازه مشافهة من الأول، أن الحافظ أبا الفتح اليعمري أخبرهما سماعًا قال: قرأت على أبي حفص عمر بن عبد المنعم القواس من غوطة دمشق: أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري قال: أخبرنا أبو الحسين بن المسلم قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب قال: أخبرنا ابن جُمَيْع قال: حدثنا إبراهيم بن معاوية قال: حدثنا عبد الله بن سليمان قال: حدثنا نصر ابن عاصم قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا طلحة عن عطاء عن ابن عباس[1]، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أما والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت، وعاليًا عمر بن حسن المزي في إذنه العام، قال: أخبرنا عمر بن عبد المنعم المذكور بسنده السابق، أخرجه الترمذي في المناقب عن محمد بن موسى البصري عن فضيل بن سليمان، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن الحسن بن سفيان عن فضيل بن الحسين الجحدري عن فضيل بن سليمان عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير وابن

---

(١) تحرف في المطبوعتين إلى: «عطاء بن عباس».

الطفيل كلاهما عن ابن عباس، وقال الترمذى: حسن صحيح غريب فى هذا الوجه.

وأما حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، فذكره الفاكهى فى كتابه «أخبار مكة» ولفظه: وحدثنا ميمون بن الحكم الصنعانى قال: حدثنا محمد بن جعشم عن ياسين بن معاذ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: بعث رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على أهل مكة فقال له رسول الله ﷺ: أتدرى أين بعثتك؟ بعثتك على أهل الله، ليس بلد أحبّ إلى الله عز وجل ولا إلىّ منها ولكنّ قومى أخرجونى فخرجت، ولو لم يُخرِجونى لم أخرج، وحدثنا عبد الله بن عمران قال: حدثنا سعيد بن سالم قال: حدثنا عثمان بن ساج قال: أخبرنى يحيى بن أبى أنيسة عن ابن شهاب الزهرى قال: أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ بنحو من حديث ميمون[1]. انتهى.

وحديث عبد الله بن عدى بن الحمراء السابق هو حجة القائلين بأفضلية مكة على غيرها من البلاد والأماكن، ما خلا المكان الذى دُفن فيه النبى ﷺ فإنه أفضل بقاع الأرض بالإجماع، على ما نقل القاضى عياض فى شرح مسلم، حتى إنه أفضل من موضع الكعبة على ما صرح به أبو اليُمْن بن عساكر فى إتحافه، وممن قال بأفضلية مكة على غيرها من البلاد الإمام أبو حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل فى أصح الروايتين عنه، وابن وهب وابن حبيب من المالكية، وقال العبدى: إنه مذهب أكثر الفقهاء، وقال ابن عبد البرّ: إن ذلك يُرْوَى عن عمر وعلى وابن مسعود وأبى الدرداء وجابر وغيرهم من الصحابة، قال: وهم أوْلَى أن يُقلّدوا ممن جاء بعدهم قال: وحسْبك بفضل مكة أن فيها بيت الله الذى رضى بحط الأوزار للعباد بقصده فى العمر مرة، ولم يقبل من أحد منهم صلاة إلاّ باستقبال جهته إن قدر على التوجه إليها، وهى قبلة المسلمين أحياءً وأمواتًا. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ٦٧.

قلت: الفضل الثابت لمكة ثابت لجميع حرمها، كما ذكره المحب الطبرى فى «القرى لقاصد أم القرى» وضعف ابن عبد البَرّ بعضَ الأحاديث المستدَلّ بها على أن المدينة أفضل من مكة، وذلك الحديث الذى أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال حين خرج من مكة إلى المدينة: اللهم إنك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد إلىّ فأسكنى أحبَّ البلاد إليك، الحديث، قال فيه ابن عبد البَرّ أنه لا صحّ ولا يختلف أهل العلم فى نكارته ووضْعه. انتهى.

وعلى تقدير صحّته فلا دلالة فيه لمن استدلّ به على ما ذَكَره المحبّ الطبرى، لأنه لما ذكر اختلاف العلماء فى تفضيل المدينة على مكة فى الفصْل الذى عقده لفضل مسجد المدينة والصلاة فيه، قال: وما احتجّوا به من قوله ﷺ: أخرجتنى من أحب البلاد أو البقاع إلىّ فأسْكنّى فى أحبّ البقاع إليك، محمول على أنه أراد أحبَّ البقاع إليك بعد مكة، بدليل حديث النسائى وابن حبّان المتقدّم فى فضل مكة، يعنى حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء، فإنه دلّ علىَ أنها أحبّ أرض الله إلى الله، على أن هذا الحديث نفسه لا دلالة فيه، لأن قوله: وأسْكنّى فى أحبّ البقاع إليك، هذا السياق يدل فى العرف على أن المراد بعد مكة، فإن الإنسان لا يسأل عما خرج منه، فإن قال: أخرجتنى فأَسكنّى، يدل على إرادة غير الخروج منه، فيكون مكة مسكوتًا عنها فى الحديث. انتهى.

وحديث رافع بن خَديج ﷺ: أشهدُ لَسَمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «المدينة خير من مكة» كما فى مُعْجَم الطبرانى، قال فيه ابن عبد البَرّ ضعيف الإسناد ولا يحتجّ به، وقيل: إنه موضوع، وذكره الذهبى فى فضل البلدان وقال: حديث واه مُنْكَر. انتهى. وهذان الحديثان أشهر الأحاديث المستدَلّ بها على أنّ المدينة أفضل من مكة، وممن قال بذلك الإمام مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه، خلا مَن ذكرنا، ونقل القاضى عياض ذلك عن عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر أهل المدينة، والله أعلم.

ولا ريب فى أن مكة والمدينة أفضل من سائر البلاد، لإجماع الناس على ذلك، كما ذكره القاضى عِياض، كما أن بيت المقدس أفضل من سائرها بعد مكة

والمدينة للإجماع، ومستند الإجماع فى ذلك أحاديث مشهورة ثابتة فى الصحيحين وغيرهما، والله أعلم.

ذكر الأحاديث الدالة على أن الصلاة بمسجد مكة أفضل من الصلاة فى غيره من المساجد

روينا فى ذلك أحاديث من حديث أنس بن مالك وجابر بن عبد الله الأنصاريَّين وعبد الله بن الزُّبير بن العوام وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبى هريرة وأبى الدرداء وأمّ الدرداء وعائشة رضى الله عنهم، وقد أخرجنا هذه الأحاديث فى أصل هذا الكتاب بأسانيدنا، ونقتصر هنا على عَزْوِهَا لكتب أهل العلم.

فأمّا حديث أنس وجابر، رضى الله عنهما، ففى سُنَن ابن ماجه، وإسناده فى حديث جابر صحيح، على ما قال ابن جماعة فى منسكه، وحديث ابن الزبير فى مواضع يأتى ذكرها، وحدث ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما فى مُسْنَد ابن حنبل، وحديث أبى الدرداء ﷺ فى «المعجم الكبير» للطبرانى بسَنَد حَسَن على ما قال بعض مشايخنا، وحديث أم الدرداء رضى الله عنها فى الإتحافً لابن عساكر، وحديث عائشة رضى الله عنها فى «المعجم الأوسط» للطبرانى، وحديث ابن الزبير أعلاها عندى، وقد أخبرنى به إبراهيم بن محمد الصوفى سماعًا بمكة أن أحمد بن أبى طالب الصالحى أخبره عن ابن اللتى وابن بهروز قالا: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرنا الداودى قال: أخبرنا الحموى قال أخبرنا إبراهيم بن خُزَيم[(١)] قال: حدَّثنا عَبْد بن حُمَيد الحافظ قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد عن حبيب المعلم عن عطاء عن عبد الله الزبير[(٢)] رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «حزيم» بالحاء المهملة.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «عبد الله الزبير».

وأخبرنيه أعلى من هذا على بن محمد الخطيب عن أبى بكر الدَّشْتِى[1] قال: أخبرنا الحافظ بن خليل قال: أخبرنا الرازانى[2] قال: أخبرنا الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أخبرنا عبد الله بن فارس قال: أخبرنا يونس بن حبيب قال: حدثنا أبو داود الطيالسى قال: حدثنا الربيع بن صبيح قال: سمعت عطاء بن أبى رباح يقول: بينما ابن الزبير يخطبنا إذ قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة فى مسجدى، هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام تفضُل بمائة صلاة، قال عطاء: فكأنه مائة ألف، قال قلت: يا أبا محمد هذا الفضل الذى يذكر فى المسجد الحرام وحده أو فى الحرم؟ قال: بل فى الحرم فإن الحرم كله مسجد، ورويناه فى «إتحاف الزائر» لأبى اليُمْن بن عساكر من حديث شبابة بن سَوَّار[3] عن الربيع بن صبيح به، إلا أن فيه: وصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف، ورويناه فى مُسْنَد ابن حنبل والبزار ومعجم الطبرانى الكبير بألفاظ مختلفة، ويتحصل من طرف حديث ابن الزبير ثلاث روايات: إحداها أن الصلاة بالمسجد الحرام تفضل على الصلاة بمسجد المدينة بمائة صلاة كما فى مُسْنَد عبد ابن حميد وابن حنبل والبزار، وإحدى روايتى الطبرانى فى الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح.

والرواية الأخرى: أن الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على الصلاة بمسجد المدينة بألف صلاة كما فى مُسْنَد الطيالسى وإتحاف ابن عساكر، وحديث ابن الزبير من رواية حماد بن زيد أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن الحسن بن سفيان عن محمد بن عبد الله بن حسان، عن حماد بن زيد، فوقع لنا عاليًا، وقد روى موقوفًا على ابن الزبير، ومن رفعه فهو أحفظ وأثبت من جهة النقل على ما قاله ابن عبد البر، وصحَّح هذا الحديث وقال: إنه الحجة عند التنازع، وإنه نص فى موضع الخلاف قاطع عند من أُلْهِمَ رُشْدَه و لم تملْ به عصبيته. انتهى.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الوشتى».
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الرازى» وصوابه من السمعانى ٦/ ٤١.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «سواد».

وحديث كل من أنس وجابر وأبى الدرداءِ رضى الله عنهم فى الصلاة فى المسجد الحرام يقتضى تفضيل الصلاة بالمسجد الحرام على الصلاة بمسجد المدينة كحديث ابن الزبير الذى فى «مُسْنَد الطيالسى» وإتحاف ابن عساكر، وحديث ابن عمر ليس فيه بيان ما تفضل الصلاة به فى المسجد الحرام على الصلاة فى غيره، وإنما يقتضى أن الصلاة فيه أفضل من غيره، وحديث أبى هريرة يقتضى أن الصلاة فيه أفضل من الصلاة فى مسجد المدينة بمائة صلاة، هذا مُقْتَضَى حديث ابن عُمر، وأبى هريرة فى كتاب الفاكهى[1].

وقد ورد فى فضل الصلاة بالمسجد الحرام ثواب أكثر من هذا، لأن الفاكهى قال: حدثنى عبد الله بن منصور، عن عبد الرحيم بن زيد العمى، عن أبيه، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال: من صلى فى المسجد الحرام حول بيت الله الحرام فى جماعة كتب الله له خمسا وعشرين مرة، مائة ألف صلاة تكون ألفى ألف صلاة، ومن صلى فى المسجد الحرام أو فى بيته أو فى الحرم، كتب الله له مائة ألف صلاة، قيل له أو قال رجل من التابعين: أَعَنْ رأيك هذا يا بن عباس، أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: بل عن رسول الله[2] ﷺ. انتهى. وعبد الرحيم ضعيف.

وقال الفاكهى أيضًا: وحدثنى محمد بن صالح البلخى قال: حدثنا أبو مطيع الحَكَم بن عبد الله القُرَشى قال: حدثنا المسيَّب، عن المبارك بن حسان، عن الحسن ومعاوية بن قُرَّة قالا: الصلاة فى المسجد الحرام بألفى ألف صلاة وخمسمائة صلاة والصلاة فى الحرم كله بمائة ألف صلاة[3]. انتهى.

وروينا عن الجَنَدىّ فى كتاب «فضائل مكة» له قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد بن معقل[4]، عن

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٩٦.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٩٢.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ١٠٦.
(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «مغفل» وصوابه من الأصل والتقريب.

وهب ابن منبه قال: وجدت مكتوبًا فى التوراة: من شهد الصلوات الخمس فى المسجد الحرام كتب الله له بها اثنا عشر ألف ألف وخمسمائة ألف صلاة، وروى الجندى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: آية ١٠٦) حديثًا يقتضى أن المراد بذلك الصلوات الخمس جماعة فى المسجد الحرام ولفظه: حدثنا عبد الله بن أبى غسان، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ ثم قال: هى الصلوات الخمس فى الجماعة فى المسجد الحرام.

ولنذكر فوائد تتعلق بحديث ابن الزُّبير رضى الله عنهما، وما شابهه.

منها: أن ابن كنانة المالكى وغيره من المالكية قالوا فى قوله ﷺ: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، كما فى الصحيحين إنه يقتضى أن الصلاة بمسجده ﷺ أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بألف صلاة خلا المسجد الحرام، فإن الصلاة فى مسجده ﷺ أفضل من الصلاة فى المسجد الحرام بدون الألف ليستقيم لهم بذلك ما رووا من تفضيل الصلاة بالمدينة على الصلاة بمكة، وحديث ابن الزبير وما شابهه من الأحاديث التى ذكرناها يدفع هذا التأويل لأنها تقتضى تفضيل الصلاة بمكة على الصلاة بالمدينة، والله أعلم، ومنها أن النقاش المفسر حسب الصلاة بالمسجد الحرام على مقتضى حديث: إنَّ الصلاة فيه أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بمائة ألف صلاة، فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عُمْر خمسٍ وخمسين سنة وستَّة أشهر وعشرين ليلة، وصلاة يوم وليلة وهى خمس صلوات فى المسجد الحرام عمر مائتى سنة وسبعة وتسعين وسنة وتسعة أشهر وعشر ليال. انتهى.

قلت: رأيت لشيخنا بالإجازة الإمام بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الصاحب المصرى الآثارى كلامًا حسنًا فى هذا المعنى، لأنه قال فيما أنبأنا به أن كل صلاة بالمسجد الحرام فُرَادى بمائة ألف صلاة كما ورد فى الحديث، وكل صلاة فيه جماعة بألفى ألف صلاة وسبعمائة ألف صلاة، والصلوات الخمس فيه

بثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة صلاة، وصلاة الرجل منفردًا فى وطنه غير المسجدين المعظمين، كل مائة سنة شمسية بمائة وثمانين ألف صلاة، وكل ألف سنة بألف ألف صلاة وثمانمائة ألف صلاة، فتلخص من هذا أن صلاة واحدة فى المسجد الحرام جماعةً يفضُلُ ثوابُها على ثواب من صلى فى بلدة فرَادَى، حتى بلغ عمر نوح عليه السلام نحو الضِّعْف، وسلام على نوحٍ فى العالمين، وهذه فائدة تساوى رحلة، ثم قال: هذا إذا لم تُضِف لى ذلك شيئًا من أنواع البر، فإنْ صام يومًا وصلى الصلوات الخمس جماعةً وجعل فيه أنواعًا من البر وقلنا بالمضاعفة، فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه. انتهى.

ومنها: أن للعلماء المالكية وغيرهم خلافًا فى هذا الفضل، هل يعم الفرض والنفل، أو يختص بالفرض؟ وهو مقتضى مشهور مذهبنا ومذهب أبى حنيفة، والقول بالتعميم مذهب الشافعى على ما صرح به النووى.

ومنها: أن للعلماء خلافًا فى المراد بالمسجد الحرام، فقيل: مسجد الجماعة الذى يحرم على الجُنُب الإقامة فيه، حكاه المحب الطبرى، وذكر أنه يتأيد بقوله ﷺ: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، والإشارة بمسجده إلى مسجد الجماعة فينبغى أن يكون المستثْنَى كذلك. انتهى.

وقيل: المراد بالمسجد الحرام الحرم كله، قال المحب الطبرى[1]: ويتأيد بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (سورة الحج: آية ٢٥) أو قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ (سورة الإسراء: آية ١) وكان ذلك من بيت أم هانئ. انتهى.

وقيل: المراد بالمسجد الحرام الكعبة خاصة، ذكره المحب الطبرى عن بعضهم وأبهمه، قال: واختاره بعض المتأخرين من أصحابنا، وذكر أنه يتأيد بحديث أبى

---

(١) القرى ص٦٥٧.

هريرة ﷺ: صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا الكعبة، أخرجه النسائى انتهى باختصار.

وذكر بعض الحفاظ من أصحابنا أن فى بعض طُرُق هذا الحديث إلاَّ مسجد الكعبة، وعلى هذا فلا تستقيم الدلالة بالحديث الذى ذكره المحب الطبرى[1] على أن المراد بالمسجد الحرام الكعبة خاصة، والله أعلم.

ومنها: هذا التضاعف بالنسبة إلى الثواب لا بالنسبة إلى إسقاط الفوائت، كما يتخيله كثير من الجهال، ولذلك نبهنا عليه، وممن صرح بذلك النووى فى شرح مسلم، وقد ظهر بما ذكرناه من الأحاديث وكلام العلماء تفضيل مكة على سائر البلاد، وأن ثواب الصلاة فيها أفضل من ثوابها فى غيرها، وجاءت أحاديث تدل على تفضيل ثواب الصوم وغيره من القربات بمكة على ثواب ذلك فى غيرها، إلا أنها فى الثبوت ليست كأحاديث فضل مكة والصلاة فيها، وحديث تفضيل الصوم بمكة على غيرها، رويناه فى مسند ابن ماجه، وفى تاريخ الأزرقى وفى «المجالس المكية» للميانشى، من حديث ابن عباس، رضى الله عنهما، وعنه ورد تضاعف حسنات الحرم على غيرها، لأنَّا روينا عن زاذان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: من حج من مكة ماشيًا حتى يرجع إليها كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، فقال بعضهم لابن عباس: وما حسنات الحرم؟ قال: كل حسنة بمائة ألف حسنة. انتهى. رواه البيهقى بسنده إلى عيسى ابن سوادة عن إسماعيل بن أبى خالد عن زاذان وقال: تفرد به عيسى بن سوادة، وهو مجهول. انتهى.

قلت: لم ينفرد به عيسى بن سوادة، كما ذكر البيهقى، لأنَّا رويناه فى الأربعين المختارة لخطيب مكة: الحافظ ابن مسدى، وغيرها من حديث سفيان بن عُيَيْنَة عن إسماعيل بن أبى خالد الذى رواه عنه ابن سوادة، وقال ابن مسدى: هذا حديث حسن غريب. انتهى.

---

(١) القرى ص٦٥٧.

ورواه الحاكم من الوجه الذى رواه البيهقى وصحح إسناده، وقال المحب الطبرى بعد أن أخرج هذا الحديث: وهذا الحديث يدل على أن المراد بالمسجد الحرام فى فضل تضعيف الصلاة الحرم جميعه، لأنه عم التضعيف فى جميع الحرم، وكذلك حديث تضعيف الصلاة عممه فى جميع مكة، وحكم الحرم ومكة فى ذلك سواء باتفاق، إلاّ أن يخص المسجد بتضعيف زائد على ذلك، فتقدر كل صلاة بمائة ألف صلاة فيما سواه، والصلاة فيما سواه بعشر حسنات فتكون الصلاة فيه بألف ألف حسنة، والصلاة فى مسجد النبى ﷺ بمائة ألف حسنة، ويشهد لذلك ظاهر اللفظ[١]، والله أعلم.

قال: وعلى هذا تكون حسنة الحرم بمائة ألف حسنة، وحسنة مسجده: إما مسجد الجماعة وإما الكعبة على اختلاف القولين بألف ألف، ويقاس بعض الحسنات على بعض أو يكون ذلك خصِّيصًا للصلاة، والله أعلم. انتهى.

وروينا عن الحسن البصرى ما يقتضى تضاعف الحسنة بمكة إلى مائة ألف حسنة لأنه قال: صوم يوم بمكة بمائة ألف، وصدقة درهم بمائة ألف، وكل حسنة بمائة ألف. انتهى.

وذكر المحب الطبرى أن فيما تقدم من أحاديث مضاعفة الصلاة والصوم بمكة دليلاً على اطراد التضعيف فى جميع الحسنات إلحاقًا بهما، قال: ويؤيد ذلك قول الحسن[٢]. انتهى.

---

(١) القرى ص٦٥٨.
(٢) القرى: ص٦٥٨.

الباب السادس

فى المجاورة بمكة والموت بها وشىء من فضل أهلها وشىء من فضل جدة ساحل مكة وشىء من خبرها وشىء من فضل الطائف وشىء من خبره

ذكر المجاورة بمكة

المجاورة

بمكة مُستَحَبَّة عند أكثر العلماء، منهم الشافعى، وأبو يوسف، ومحمد ابن الحسن صاحبا أبى حنيفة، وابن القاسم صاحب مالك لأنه قال: إن جوار مكة مما يُتَقَرَّبُ به إلى الله كالرباط والصلاة، نقل ذلك عنه ابن الحاج المالكى فى منسكه، واستحبها أيضًا أحمد بن حنبل، لأنه رُوى عنه قال: ليت لى الآن مجاورة بمكة.

وممن كره المجاورة بمكة أبو حنيفة، وفهم ذلك ابن رشد المالكى من كلام وقع لمالك.

وسبب الكراهة عند من رآها من العلماء على ما قال المحب الطبرى فى «القرى» خوف الملل وقلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان، وخوف ارتكاب ذنب هنالك، فإن المعصية ليست كغيرها وتهيج الشوق بسبب الفراق[1].

قال أبو عمرو الزجاجى: من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشىء سوى الله تعالى فقد ظهر خُسْرانُه.

وقال المحب أيضًا: ولم يكره المجاورة أحمد بن حنبل فى خلق كثير، وقالوا إنها فضيلة، وما يخاف من ذنب، فيقابل بما يرجى لمن أحسن من تضعيف الثواب، وقد نزل بها من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة وخمسون رجلاً سردهم المحب فى «القرى»[2].

وذكر النووى فى «الإيضاح» أن المختار استحباب المجاورة بمكة، وعلل كراهة من كرهها من العلماء بنحوٍ مما قال المحب، ثم قال: وأما من استحبها فلما فيها من تضاعف الحسنات والطاعات، وقد جاور بها ممن يُقتدَى به من سلف الأمة وخَلَفِها خلائق لا يحصون، انتهى.

---

(١) القرى: ص٦٦١.

(٢) القرى ص٦٦٢.

قلت: يدل لاستحباب المجاورة بمكة رغبة النبى ﷺ فى سكناها، كما فى حديث عبد الله بن الحمراء، وابن عباس، وأبى هريرة، وابن عمر، رضى الله عنهم.

وتمنى بلال ﷺ العود إلى أماكن، بعضها بمكة وبعضها حولها، حيث يقول:

ألا ليت شِعْرِى هل أبيتنَّ ليلةً ... بفخٍّ وحولى إذْخِرٌ وجليلُ؟

وهل أرِدْن يومًا مياه مَجَنَّة ... وهل تَبْدُوَنْ[١] لى شامة وطفيل؟

هكذا رويناه فى تاريخ الأزرقى[٢].

وفى البخارى: بوادٍ، عوض قوله بفخ، وقد سبق أن الإذخر نَبْتٌ معروف طيب الرائحة، والجليل النمام، وقبل النمام إذا جل، وفخ هو وادى الزاهر لأن ياقوتًا فى معجم البلدان قال لما ذكر فخ: قال السيد عُلَىّ بن وهاس العلوى: فى وادى الزاهر، فيه قبور جماعة من العلويين قتلوا فيه فى وقعة كانت لهم مع أصحاب موسى الهادى بن المهدى بن المنصور فى ذى الحجة سنة تسعٍ وستين ومائة، وللشعر فيه مراث كثيرة. انتهى.

وعُلَىّ بن وهاس هذا من فُضلاء مكة ممن أخذ عن الزمخشرى، ولأجله صنف «الكشاف» على ما قيل، ومدحه الزمخشرى فى «الكشاف».

وسيأتى فى الباب الأربعين إن شاء الله تعالى ذكر مَجَنَّة وشامة وطفَيْل، ويدل لذلك قول عائشة رضى الله عنها: لولا الهجرة لسكنتُ مكة، إنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمرَ بمكان قط أحسن منه بمكة.

وروينا ذلك فى تاريخ الأزرقى[٣].

ويدل لذلك ما روينا عن الجندى فى فضائل مكة له، قال: حدثنا أبو صالح محمد بن زنبور قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة، عن مطر، عن أبى الطُفَيل قال: قال

---

(١) ضبطت النون فى تبدون فى المطبوع بالتشديد، وهو غير صحيح عروضيا، والأبيات من الطويل.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٩١.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٥٣.

ابن عباس رضى الله عنهما: أقمْ بمكة وإنْ أكلت بها العضَاه، يعنى الشجر، ويدل لذلك أمور أخَر ذكرناها فى أصل هذا الكتاب مع أشياء أخر تتعلق بحكم المجاورة بمكة، وفيما ذكرناه هنا من ذلك كفاية.

ذكر شىء مما جاء فى الموت بمكة

روينا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ... فذكر أحاديث ثم قال: ومن مات بمكة فإنما مات فى سماء الدنيا، إسناده ضعيف.

وروينا عن الحَسَن البصرى فى رسالته المشهورة أن النبى ﷺ قال: من مات بمكة فكأنما مات فى سماء الدنيا.

وروينا فى «فضائل مكة» للجندى عن محمد بن قيس بن مخرمة عن النبى ﷺ قال: من مات بمكة بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة.

وروينا فيه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعًا من جملة حديث يتعلق بالكعبة قال فيه: إن آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل، فقال: يا رب، أسألك من حج هذا البيت من ذريتى لا يشرك بك شيئًا أن تُلْحقَهُ بى فى الجنة، فقال الله تعالى: يا آدم، من مات فى الحرَم لا يُشْرِك بى بعثته آمنًا يوم القيامة، وروينا فيه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات فى أحد الحرمين بُعثَ يوم القيامة فى الآمنين». وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات بمكة أو فى طريق مكة بُعثَ من الآمنين» ذكره ابن جماعة فى منسكه، قال: يُرْوَى أن سيدنا رسول الله ﷺ سأل الله تعالى عمّا لأهل بقيع الغَرْقَد؟ فقال: لهم الجنة، فقال: يا رب ما لأهل الـمَعْلاَة؟ قال: يا محمد سألتنى عن جوارك فلا تسألنى عن جوارى. انتهى.

وسيأتى ذكر شىء من فضل مقبرة الـمَعْلاَة فى الباب الحادى والعشرين.

وروينا فى مُسْنَد الطيالسى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زارنى كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين يوم القيامة».

وروى حاطب بن أبي بلتعة عن النبى ﷺ أنه قال: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن مات فى أحد الحرمين بُعث فى الآمنين يوم القيامة» أخرجه هكذا ابن الحاج المالكى فى مناسكه، وعن سلمان الفارسى عن النبى ﷺ أنه قال: «من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين» أخرجه ابن جماعة.

ذكر شىء مما جاء فى فضل أهل مكة

روينا فى كتاب «النسب» للزُّبير بن بكار قاضى مكة، وفى غيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: بعث رسول الله ﷺ عَتاب بن أَسِيد على مكة فقال له: هل تدرى إلى من أبعثك؟ أبعثك إلى أهل الله(١).

[وروينا فى تاريخ الأزرقى مرسلا عن النبى ﷺ من حديث ابن أبى مليكة ﷺ، قال: إن النبى ﷺ قال لعتاب: «أتدرى على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله، فاستوصِ بهم خيرًا ــ يقولها ثلاثا»](٢).

وروينا فى تاريخ الأزرقى أن عمر بن الخطاب ﷺ عزل عامله نافع بن عبد الحارث الخُزاعى لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى [واشتد عليه غضبه لذلك، ولم يسكن غضبه إلا عندما أخبره أن ابن أبزى قارئ](٣) لكتاب الله تعالى(٤).

ووجدت بخط بعض أصحابنا فيما نقله من خط الشيخ أبى العباس الميورقى ورد أن سفهاء مكة حَشْوُ الجنة.

واتفق بين عالمين فى الحرم منازعةٌ فى تأويل الحديث وسنده، فأصبح الذى طعن فى الحديث ومعناه، قد طُعِنَ أنفُهُ واعْوَجَّ، وقيل له: إى والله سفهاء مكة من

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٥١.
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٥١.

أهل الجنة، سفهاء مكة من أهل الجنة، سفهاء مكة من أهل الجنة، فأدركه رَوْعٌ وخرج إلى الذى كان يكابره فى الحديث من علماء عصره، وأقر على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لا يحيط به خُبْرًا. انتهى باختصار.

وبلغنى أن الرجل المنكر للحديث هو الإمام تقى الدين محمد بن إسماعيل بن أبى الصيف اليمنى الشافعى نزيل مكة ومفتيها، وبلغنى أنه كان يقول: إنما الحديث: أُسَفاء مكة، أى المحزونون فيها على تقصيرهم، والله أعلم.

ومن الأخبار الواردة فى فضل أشراف مكة:

ما ذكره الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الغفار ابن القاضى معين الدين أبى العباس أحمد بن عبد المجيد الشهير بابن نوح الأنصارى الخزرجى الأقصرى المولد القوصى الدار فى كتابه «المنتقى من كتاب التوحيد فى سلوك طريق أهل التوحيد والتصديق والإيمان بأولياء الله تعالى فى كل زمان» لأنه قال: وأخبرتنى الحاجة أم نجم الدين بنت مطروح، وكانت من الصالحات، وكانت زوجة القاضى سراج الدين قالت: حصل لنا غلاء بمكة، شرفها الله تعالى، وأكل الناس الجلود، وكنا ثمانية عشر نفرًا، فكنا نعمل ما مقداره نصف قدح حَسْوَة، فبينما نحن كذلك إذا جاءنا أربع عشرة قطعة دقيق، وجاء خلفها أهل مكة، شرفها الله تعالى، فاقتطعت منها أربع قطع وقلت له: أنت تريد تقتلنا بالجوع، وفرَّق العشْرَ القطع على أهل مكة، فلما كان الليل قام من منامه مرعوبًا، وربما قالت فبكى، فقلت له: ما بالك؟ قال: رأيت الساعة، أو رأيت فى منامى فاطمة بنت النبى ﷺ ورضى عنها وهى تقول: يا سراج تأكل البُرَّ وأولادى جياع!! فقام وفرَّق الأربع قِطَع على الأشراف، وبقينا بلا شىء، وما كنا نقدر على القيام من الجوع. انتهى.

وروينا فى أصل هذا الكتاب من تاريخ الأزرقى وغيره أخبارًا أخر تدل على فضل أهل مكة، تركنا ذِكْرها هنا اختصارًا.

ذكر شيء من فضل جُدّة ساحل مكة وشيء من خبرها

قال الفاكهى: حدثنا عبد الله بن منصور، عن سليم بن مسلم، عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: مكة رباط وجدّة جهاد.

حدثنا إبراهيم بن أبى يوسف، حدثنا يحيى بن سُلَيْم، عن ابن جُرَيْج قال: سمعت عطاء يقول: إنّما جُدَّة خزانة مكة، وإنما يؤتى به إلى مكة ولا يُخْرَجُ به منها.

حدثنا ابن أبى يوسف قال: حدثنا يحيى بن سُلَيم، عن أبى جُرَيْج قال: مكة رباط وجدة جهاد، قال ابن جُرَيْج: إنى لأرجو أن يكون فضل مُرابِط جُدَّة على سائر المرابط، كفضل مكة على سائر البلدان[1].

حدثنا محمد بن على الصايغ، حدثنا خليل بن رجاء قال: حدثنا مسلم أبو يونس قال: حدثنى محمد بن عمر، عن ضوء بن فج قال: كنت جالسًا مع عبَّاد بن كثير فى المسجد الحرام فقلت: الحمد لله الذى جعلنا فى أفضل المجالس وأشرفها، قال وأين أنت عن جُدّة؟ الصلاة فيها سبع عشرة ألف ألف صلاة، والدرهم فيها مائة ألف، وأعمالها بقدر ذلك، يغفر للناظر فيها مد بصره قال: قلت: رحمك الله مما يلى البحر؟ قال: مما يلى[2] البحر.

ثم قال الفاكهى: حدثنا إبراهيم بن أبى وسف قال: حدثنا يحيى بن سليم قال: سمعت عبد الله بن سعيد بن قنديل قال: جاءنا فرقد السَّبَخِى[3] بجُدَّة فقال: إنى رجل أقرأ هذه الكتب، وإنى لأجد فيما أنزل الله، عز وجل، من كتبه: جُدّة أو

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ٥٢، ٥٣.

(٢) الفاكهى ٣/ ٥٣.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى «السنجى» وصوابه من الأصل والفاكهى.

جُدَيْدَة[١] يكون بها قتلى وشهداء، لا شهيد يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم[٢].

وقال بعض أهل مكة: إن الحبشة جاءت جُدَّة فى سنة ثلاث وثمانين فى صدرها، فوقعوا بأهل جُدَّة، فخرج الناس من مكة إلى جدة وأميرهم عبد الله بن محمد بن إبراهيم، فخرج الناس غُزاة فى البحر، واستعمل عليهم عبد الله بن محمد ابن إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى، وجدت هذا فى كتاب أعطانيه بعض المكّيين عن أشياخه يذكر هذا[٣]. انتهى.

وإبراهيم جد عبد الله بن محمد أمير مكة، هذا هو إبراهيم المعروف بالإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، أخو السفاح، والمنصور، وحفيده عبد الله هذا ولى مكة للرشيد بن المهدى بن المنصور العباسى، وعلى هذا فسنة ثلاثة وثمانين المشار إليها فى هذا الخبر سنة ثلاث وثمانين ومائة[٤].

وفى بعض الكتب أن اسم عبد الله هذا عُبَيد الله، والله أعلم بالصواب.

وجُدّة هى الآن ساحل مكة الأعظم، وعثمان بن عفان ﷺ أول من جعلها ساحلاً، بعد أن شاور الناس فى ذلك، لما سئل فيه فى سنة ستٍّ وعشرين من الهجرة، وكانت الشُّعَيْبة ساحل مكة قبل ذلك[٥].

وذكر ابن جُبَيْر أنه رأى بجُدَّة أثر سور مُحْدِق بها، وذكر أن بها مسجدين يُنْسبان لعمر بن الخطاب ﷺ، وأن أحدهما يقال له: مسجد الآبْنُوس لساريتين فيه من خشب الآبنوس[٦]، وهذا المسجد معروف إلى الآن، والمسجد الآخر غير

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «جديدة» وصوابه فى الأصل والفاكهى.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ٥٥.
(٣) الفاكهى ٣/ ٥٥.
(٤) إتحاف الورى ٢/ ٢٣٢.
(٥) إتحاف الورى ٢/ ٢٠.
(٦) رحلة ابن جبير ص٥٠.

معروف، ولعله، والله أعلم، المسجد الذى تقام الجمعة فيه بجدّة، وهو من عمارة الملك المظفّر صاحب اليمن على ما بلغنى.

وذكر ابن جُبَير أيضًا أنه كان بجدة موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر أنها منـــزل حواء أم البشر زوج آدم عليهما السلام(١). انتهى.

ولعل هذا الموضع هو الموضع الذى يقال له قبر حواء، وهو مكان مشهور بجدّة أن لا مانع من أن تكون نزلت فيه ودُفنت فيه، والله أعلم.

وأستبعد أن يكون قبر حوّاء بالموضع المشار إليها لكون ابن جبير لم يذكره، وما ذاك إلاّ لخفاية عليه، فهو فيما بعد رحلته من الزمن أخفى، والله أعلم.

وروى الفاكهى بسنده إلى ابن عبّاس رضى الله عنهما أن قبر حوّاء بجدّة. انتهى باختصار، وبها دُور كثيرة.

ذكر شىء من فضل الطائف وخبره

أخبرنى أبو هريرة ابن الحافظ الذهبى بقراءتى عليه فى الرحلة الأولى بغوطة دمشق أن يحيى بن محمد بن سعد الأنصارى أخبره سماعًا وتفرد بالسماع منه قال: أخبرنا أبو المنجّا بن اللّتى وغيره قال: [أنبأنا أبو حفص عمر بن عبد الله الحربى، قال: أنبأنا أبو غالب محمد بن عبيد الله العطار، قال:](٢) أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد البزار قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستَوَيْه النحوى قال: أخبرنا أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفَسَوِى قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى القرشى ثم الأسدى قال: حدثنا عبد الله بن الحارث بن عبد الملك المخزومى قال: حدثنى محمد بن عبد الله بن إنسان عن أبيه عن عروة بن الزبير عن الزبير بن العوام ﷺ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّةَ، قال الحُمَيْدى: مكانٌ بالطائف، حتى إذا كنا عند السدْرة وقف رسول الله ﷺ عند طرف القرن الأسود حذوِها فاستقبل نَخِبًا، قال الحميدى: مكان بالطائف يقال له: نخب،

---

(١) رحلة ابن جبير، ٥٠.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

ببصره، ثم وقف حتى اتَّقف[١] الناس، ثم قال: إنّ صيد وَجّ وعضاهه حرم محرم لله عزّ وجلّ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفًا[٢].

روينا هذا الحديث هكذا فى الأول من مشيخة الفَسَوى عن الحُمَيدى، وهو فى سُنن أبى داود ومُسْنَد ابن حنبل، وإسناده ضعيف على ما قال النووى، وقال: قال البخارى: لا يصح[٣].

وقال فى «الإيضاح» ويحرم صيد وَجّ، وهو وادٍ بالطائف، لكنْ لا ضمان فيه، انتهى[٤].

وذكر المحب الطبرى فى تحريم صيد وجّ احتمالين، لأنه قال: وتحريمه يحتمل لأن يكون على وجه الحِمى له، وعليه العمل عندنا، ويحتمل أن يكون حرمه فى وقت ثم نُسخ، قال: ونَخِب بفتح النون وكسر الخاء المعجمة، وادٍ بالطائف، وقيل هو وادٍ بأرض هذيل، قال: والقرن جبل صغير ورأسه مشرف علَى وهدة، قال: ووَجّ بفتح الواو وتشديد الجيم، قيل هو أرض الطائف نفسه يسمى بوَجّ بن عبد الحق، من العمالقة[٥]. انتهى.

ووَحّ، بالحاء، ناحية بعُمان[٦]، ذكره الحازمى من الأماكن فيما حكى عنه النووى، وذكر أنّ وَجًّا بالجيم ربما اشتبه بوَحٍّ، بالحاء، قال: وقال الحازمى: وَجّ

---

(١) تحرف فى الأصل والمطبوع إلى: «حتى اتفق» وصوابه فى النهاية لابن الأثير (وقف) ولديه: «ومنه حديث الزبير: «أقبلت معه حتى اتَّقَفَ الناس» أى حتى وقفوا، يقال: وقَفْته فوقف واتَّقَفَ.

(٢) حسن القرى ص٣٧.

(٣) نقله جار الله بن فهد فى حسن القرى ص٣٧.

(٤) نقله جار الله بن فهد فى حسن القرى ص٣٨.

(٥) القرى ص٦٦٦.

(٦) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «نعمان» ويبدو أنه نقل هذا التحريف عن طبعة د. تدمرى، دون إعمال فكر وروية؛ لأن النص مذكور على الصواب لدى النووى فى تهذيبه ق٢ ج٢ ص١٩٨ وعبارته: «... وربما اشتبه هذا بوح ــ بالحاء المهملة ــ ناحية بعمان كما ورد على الصواب كذلك فى حسن القرى ص٣٨، كما ذكر على الصــواب لدى ياقوت فى معجمه وعبارته: «... وقال الحازمى: وَحّ، ناحية بعُمان».

اسم حصون الطائف، وقيل لواحد منها، قال: وقال فى «المهذّب»[١]: هو وادٍ بالطائف. انتهى.

وقال صاحب «المَطَالع»: هو وادى وَجّ على يومين من مكة[٢]. انتهى.

قال المحب الطبرى: وقد جاء فى الحديث أنّ وَجًّا مقدّس[٣]. انتهى.

وروى الفاكهى: حديثا من رواية خَوْلَة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ آخر وطأة وطئها الله تعالى بوج»[٤].

وقال الفاكهى: قال سفيان، يعنى ابن عُيَيْنَة: تفسيره[٥] آخر غزاة غـزاها رسول الله ﷺ غزوة الطائف، لقتاله أهل الطائف [وحصاره ثقيفًا[٦]. انتهى.

وذكر الشيخ أبو العباس الميورقى ما يوافق هذا التفسير ويزيده إيضاحًا لأنه قال: وروى][٧] فى «الصحاح» للجوهرى: آخر وطأة وطئها الله بوَجّ.

وأحسن ما قيل فى ذلك ما كان شيخنا أبو محمد الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى[٨] يقول: آخر غزوة وطأ الله بها أهل الشرك غزوة الطائف بإثر فتح

---

(١) نقله النووى فى تهذيبه ق٢ ج٢ ص١٩٨، وفى طبعة الذهبى: «وقال فى التهذيب» وبهامشها «فى ط. د/ تدمرى ج١ ص١٤٣ «المهذب» وهو خطأ.

قلت: هذا من صور العبث بتراثنا لأن الصواب هو «المهذب» وهو مذكور لدى النووى فى تهذيبه نقلا عن صاحب المهذب، كما ذكر على الصواب كذلك فى الأصل وفى حسن القرى ص٣٨.

(٢) نقله جار الله بن فهد فى حسن القرى ص٣٩.

(٣) القرى ص٦٦٦.

(٤) الفاكهى ٣/ ١٩٣.

(٥) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن عيينة فى تفسيره» وصوابه لدى الفاكهى وابن فهد فى حسن القرى.

(٦) الفاكهى ٣/ ١٩٣.

(٧) ما بين حاصرتين سقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل وانظر بهجة المهج للميورقى.

(٨) الخطأ فى اسم المنذرى هنا قديم، فقد ورد فى مخطوطة بهـجة المهـج للميورقى ورقـة ١: «... شيخنا أبو محمد ابن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى» وورد فى شفاء الغرام ج١ ص١٤٣ طبعة د. تدمرى: «شيخنا أبو محمد محمد بن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى» ثم تلتها طبعة د. الذهبى فنقلت الاسم محرفا كما هو دون أن يتنبه محققه لذلك، كما=

مكة، شرفها الله تعالى، ذكر ذلك المَيورقى فى جزء ألفه سماه: «بهجة المُهَج فى بعض فضائل الطائف ووَجّ» وفيه أسئلة غريبة[(١)].

ومما ذكره فى فضل الطائف، أنه روى[(٢)] فى قوله عز وجل: ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ (سورة الفتح: آية ٢) أى بفتح مكة، والطائف أهم البلاد عليه وأحبها[(٣)] إليه.

وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الزخرف: آية ٣١) قالوا: هما مكة والطائف، فقرن الله جل جلاله الطائف ببيته، وفى ذلك غاية الفخر الذى تعجز العبارة عن كنهه وقدره وماهيته[(٤)]. انتهى.

وقال الفاكهى فى الآية الأخيرة: إنها نزلت فى مكة والطائف فيما يقال، وحكى فى الرجل قولين: **أحدهما**: أنه عُتْبة بن ربيعة بنت عبد شمس، **والآخر**: أنه [عروة] بن مُعَتِّب[(٥)] الثقفى.

قال: وأما الطائف فهى فى مخاليف مكة، وهى بلد طيب الهواء بارد الماء، كان له خطر عند الخلفاء فيما مضى، وكان الخليفة يوليها رجلاً من عنده، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة[(٦)]. انتهى.

وبالطائف آثار تُنسب للنبى ﷺ، منها السِّدْرة التى انفرجت له نصفين حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين، وذلك لما اعترضته فى طريقه وهو سائر وسنان

= ورد فى الأصل محرفا كذلك، على أن الأمر الذى يسترعى النظر أن المحققين لشفاء الغرام مرّ كلاهما بهذا الاسم دون أن يتنبها لهذا التحريف الشنيع، ويبدو أن الثانى ينقل عن الأول دون إعمال فكرٍ ورَوِيّة، وكيفما كان الأمر فالمنذرى المراد هنا هو الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى زكى الدين أبو محمد، توفى سنة ٦٥٦هـ (طبقات الحفاظ للسيوطى ٥٢٩).
وللمنذرى ابن اسمه محمد بن عبد العظيم ويكنى بأبى بكر (سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص٢١٨).

(١) بهجة المهج ورقة ١.

(٢) فى المطبوعتين «... الطائف وروى» والمثبت رواية الأصل.

(٣) بهجة المهج ورقة ٣.

(٤) بهجة المهج ورقة ٣.

(٥) ضبط ضبط قلم فى المطبوعتين بسكون العين وهو تحريف صوابه ما أثبتناه.

(٦) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ١٩١ وما بين حاصرتين منه.

ليلاً فى غزوة الطائف، على ما ذكره ابن فُورَك، فيما حكاه عنه القاضى عِياض فى «الشفا»[(١)] وبعض هذه السدرة باق إلى الآن، والناس يتبركون به[(٢)].

ومنها مسجد ينسب للنبى ﷺ فى مؤخَّر المسجد الذى فيه قبر السيد عبد الله ابن العباس رضى الله عنهما، لأن فى جداره القبلى من خارجه حجرًا مكتوبًا فيه: أمرت السيدة أم جعفر بنت أبى الفضل أم ولاة عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله ﷺ بالطائف وفيه أن ذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة[(٣)].

والمسجد الذى فيه قبر ابن عباس رضى الله عنهما أظن أن المُستضىء[(٤)] العباسى عمره مع ضريح ابن عباس رضى الله عنهما، واسمه مكتوب فى المنبر الذى فى هذا المسجد، واسم الملك المظفر صاحب اليمن مكتوب فى القبة التى فيها ضريح ابن عباس، رضى الله عنهما، بسبب عمارته لها[(٥)].

وبالطائف مواضع أخر تُنسب للنبى ﷺ معروفة عند أهل الطائف[(٦)].

وذكر الحافظ أبو محمد القاسم ابن الحافظ أبى القاسم على بن عساكر خبرًا فى فضل أهل الطائف نقله عنه[(٧)] المحب الطبرى فى «القرى»[(٨)] ونص ذلك على ما فى القرى عن عبد الملك بن عبّاد بن جعفر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى أهل المدينة وأهل الطائف[(٩)]. انتهى.

---

(١) الشفاء ١/ ١٨٧.

(٢) حسن القرى ص٤١.

(٣) إتحاف الورى ٢/ ٢٤٨.

(٤) تحرف فى المطبوع إلى: «المستعين» وصوابه من الأصل، وذكر على الصواب فى كل المصادر التى تناولت تاريخ الطائف، ومنها: تحفة اللطائف لابن فهد ص١٤٠.

(٥) تحفة اللطائف ص١٤٠.

(٦) تحفة اللطائف ص١٤٠.

(٧) تحرف فى المطبوعتين إلى: «نقله عن» وهو خطأ لأن الطبرى متأخر (ت٦٩٤) وابن عساكر توفى سنة ٦٠٠هـ.

(٨) القرى ص٦٦٦.

(٩) أخرجه صاحب الكنز ج١٤ ص٣٩٩.

واختلف فى سبب تسمية الطائف بالطائف فقال السُهَيْلى: ذكر بعض أهل النّسب أنّ الدمُّون بن الصّدف، واسم الصدف مالك بن مالك بن مربع بن كندة من حضرموت، أصاب دمًا من قومه، فلحق ثقيفًا فأقام بها وقال لهم: ألا أبنى لكم حائطًا يطيف ببلدكم، فبناه فسُمّى به الطائف[١]، ذكره البكرى[٢] واعترض عليه السُّهَيْلى فما ذكره فى نسب الدمُّون، وأفاد شيئًا من خبره وخبر ولده: وذكر ابن الكلبى ما يوافق هذا القول[٣].

وقيل فى تسمية الطائف إن جبريل عليه السلام طاف به حول الكعبة على ما ذكر بعض المفسرين لأنه قال فى تفسير قوله تعالى فى سورة (ن) ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ (سورة القلم: آية ١٩) أن جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت، ثم أنزلها الله تعالى حيث الطائف اليوم فسُمّيت باسم الطائف الذى طاف عليها وطاف بها. انتهى باختصار من كتاب السُهَيْلى[٤].

ونقل الميُورقى عن الأزرقى: أن الطائف سُمّى بالطائف لطواف جبريل به سبْعًا حول البيت لما اقتلعه من الشام، لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام حيث يقـول: ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٢٦) والله أعلم الصواب.

وقد أتينا على جملة من فضل الطائف وخبره.

ومن غريب خبره ما ذكر الميُورقى عن الفقيه أبى محمد عبد الله بن حَمُّو البخارى[٥] عن شيخ الخدّام بالحرم النبوى بدر الشهابى أنه بلغه أن ميضَأة وقعت فى عين الأزرق فى الطائف، فخرجت بعين الأزرق بالمدينة على ساكنها السلام[٦].

---

(١) الروض الأنف ٤/ ٢٤٩.
(٢) معجم ما استعجم ٢/ ٥٥٧.
(٣) نقله ابن فهد فى حسن القرى ص٤٣.
(٤) الروض الأنف ٤/ ٢٥٠.
(٥) تحرف فى المطبوع إلى: «النجارى» وصوابه لدى الميورقى الذى ينقل عنه المصنف.
(٦) بهجة المهج للميورقى ص٢١ وهذا من الأوهام التى كانت شائعة فى هذا العصر.

الباب السابع

فى أخبار عمارة الكعبة المعظمة

لا شك أن الكعبة المعظَّمة بُنيت مرات، وقد اختُلف فى عدد بنائها، ويتحصل من مجموع ما قيل فى ذلك أنها بُنيت عشر مرات: منها بناء الملائكة عليهم السلام، ومنها بناء آدم ﷺ، ومنها بناء أولاده، ومنها بناء الخليل إبراهيم ﷺ، ومنها بناء العمالقة، ومنها بناء جُرْهُم، ومنها بناء قُصَىّ بن كلاب، ومنها بناء قريش، ومنها بناء عبد الله بن الزُّبير بن العوّام الأسدى ﷺ، ومنها بناء الحجاج بن يوسف الثقفى، وإطلاق العبارة بأنه بنى الكعبة تجوُّزٌ لأنه لم يبن إلا بعضها، كما سيأتى بيانه، ولم أذكر ذلك إلاَّ لكون السُّهَيْلى والنووى ذكرا ذلك فى عدد بناء الكعبة[1].

ووجدت بخط عبد الله بن عبد الملك المرجانى أن عبد المطلب جد النبى ﷺ بنى الكعبة بعد قُصَىّ وقبل بناء قريش، ولم أر ذلك لغيره، وأخشى أن يكون وهمًا، والله أعلم.

فأما بناء الملائكة للكعبة فذكره الأزرقى فى تاريخه[2] وذكر أن ذلك قبل خلق آدم ﷺ، واستدل على ذلك بخبر رواه عن زين العابدين، وذكر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أيضًا ما يدل لبناء الملائكة للكعبة.

وذكر النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات»[3] بناء الملائكة للكعبة، وعدَّ ذلك أول بنائها، ولم يذكر بناء آدم للكعبة، وذلك عجيب منه، لأن بناء آدم فى الشهرة كبناء الملائكة أو أشهر، وإن كانا غير ثابتين، وكلا البنايتين على تقدير صحتهما تأسيس، والله أعلم.

فأما بناء آدم ﷺ فروينا فيه خبرًا مرفوعًا فى كتاب «دلائل النبوة» للبيهقى، ولفظه: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادى قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: حدثنا أبو صالح الجهنى

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٣٦، تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج٢ ص١٢٤.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٢ - ٣٣.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج ٢- ص ١٢٤.

قال: حدثنى ابن لَهيعة، عن يزيد، عن أبى الخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما: ابنيا لى بيتًا، فخط لهما جبريل، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى أجابه الماء فنودى من تحته: حسبك يا آدم، فلما [بنياه أوحى][(١)] الله إليه أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجة نوح، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه» قال البيهقى: تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعًا.

وذكر الأزرقى بناء آدم للكعبة واستدل له بخبرين رواهما عن ابن عباس رضى الله عنهما فى أحدهما أنه بناه من خمسة أجبُل: لبنان، وطُور زيتا، وطور سيناء، والجودى، وحِراء، حتى استوى على الأرض، وفى الآخر: كان آدم عليه السلام أول من أسس البيت وصلى فيه[(٢)].

وفى مصنف عبد الرزاق أن آدم بنى البيت من هذه الخمسة الجبال وأن رَبَضَه[(٣)] كان من حراء.

قال المحبّ الطبرى: والربض هنا هو الأساس المستدير بالبيت.

وذكر الأزرقى بسنده إلى ابن إسحاق ما يدل لبناء آدم الكعبة فى أثناء خبر بناء الخليل عليه السلام للكعبة[(٤)] واختُلفَ هل بناء الملائكة قبل بناء آدم أو بناء آدم قبل الملائكة؟ وذكر الأزرقى رحمه الله ما يشهد للقولين، وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٧.

(٣) فى متن طبعة الذهبى: «رَبَضَه» وبهامشه فى طبعة تدمرى: «مَربضة» وهو خطأ.

قلت: الذى فى طبعة تدمرى مَرْبضَه: والمَرْبض: اسم مكان، والرَّبَضُ: مأوى الغنم.

(٤) الأزرقى ١/ ٦٤.

ذكر البيت المعمور الذى أنزله الله على آدم وشىء من خبره

روينا فى تاريخ الأزرقى عن مقاتل يرفع الحديث إلى النبى ﷺ فى حديث حدَّث به أن آدم ﷺ قال: أىْ رب، إنِّى أعرف شقوتى، إنى لأرى شيئًا من نورك يُتعبد فيه فأنزل الله عز وجل عليه البيت المعمور على عرض البيت وموضعه من ياقوته حمراء، ولكن طولها كما بين السماء والأرض وأمره أن يطوف بها، فأذهب الله عنه الغم الذى كان يجد قبل ذلك، ثم رُفع على عهد نوح[1].

وأما بناء آدم للكعبة فذكره الأزرقى لأنه روى بسنده إلى وهب بن منبه قال: لما رُفعت الخيمة التى عزَّى الله بها آدم ﷺ من حلية الجنة حين وُضعت له بمكة فى موضع البيت، ومات آدم ﷺ، فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتًا بالطين والحجارة، فلم يزل معمورًا يعمرونه هم ومن بعدهم، حتى كان زمن نوح ﷺ، فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بُوِّئ لإبراهيم ﷺ. انتهى.

وقال الحافظ أبو القاسم السُّهَيلى فى الفصل الذى عقده لبنيان الكعبة: وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات:

الأولى: حين بناها شيث بن آدم ﷺ. انتهى.

قلت: هذا يخالف ما تقدم فى من بنى الكعبة أولاً هل هو الملائكة أو آدم؟ ولعل البيت عند من قال: إنَّ شيثًا أول من بنى الكعبة كون بنائه كان بيتًا بالطين والحجارة، بخلاف بناء آدم، فإنه كان بناء لأساس البيت كما فى خبر بنيانه، وأنزل الله عليه من الجنة البيت الذى كان يطوف به، وهو البيت المعمور، كما سبق، ولعله الخيمة المشار إليها فى خبر وهب بن منبه، والله أعلم.

ولعل سبب نسبة هذا البناء لشيث بن آدم كونه كان وصى ابنه، كما يُرْوَى عن وهب بن منبه، والله أعلم.

---

(١) الأزرقى ١/ ٥١.

وأما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت كما فى القرآن العظيم والسنة الشريفة، وهو أول من بنى البيت على ما ذكر الفاكهى[١] عن على بن أبى طالب رضي الله عنه، وجزم به الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره، وقال لم يجئ خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيًّا قبل الخليل. انتهى.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن إسحاق أن الخليل لما بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة أذرع وعرضه فى الأرض اثنين وثلاثين ذراعًا من الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى عنده الحجر من وجهه، وجعل عرض ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى اثنين وعشرين ذراعًا، وجعل طول ظهرها من الركن الغربى إلى الركن اليمانى أحدًا وثلاثين ذراعًا، وجعل عرض شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين ذراعًا، وجعل بابها بالأرض غير مبوب، وحفرها فى بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانة للبيت، وكان يبنى وإسماعيل ينقل له الحجارة على رقبته[٢].

وذكر ابن الحاج المالكى فى منسكه شيئًا من خبر بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة فقال: وكان صفة بناء إبراهيم عليه السلام للبيت أنه كان مدوَّرًا من ورائه، وكان له ركنان وهما اليمانيان فجعلت قريش حين بنوه أربعة أركان. انتهى.

وروينا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: أما والله ما بنياه بقصب ولا مدر ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه ولكنهما أعلياه وطافا به.

وروينا عن عثمان بن ساج أنه بلغة أن الخليل بنى الكعبة من سبعة أجبُل.

وروينا عن أبى قُلابة أنه بناه من خمسة أجبل: حراء، وثَبير، ولبنان، والطور، والجبل الأحمر.

وروينا عن قتادة قال: ذكر لنا أنه ـــ يعنى الخليل ـــ بناه من خمسة أجبل: من طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان، والجُودِى، وحراء، قال: وذكر لنا أن قواعده من حراء. انتهى.

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٢٥.
(٢) الأزرقى ١/ ٦٤.

ويروى أنه أسس البيت من ستة أجبل: من أبى قُبَيْس، ومن الطُّور، ومن القدس، ومن ورقان، ومن رَضْوَى، ومن أُحُد. انتهى.

قلت: هذا يعكر على الحكمة التى ذكرها السُّهَيلى فى كون الخليل بنى الكعبة من خمسة أجبُل على ما قيل، لأنه قال بعد أن ذكر أن الخليل عليه السلام بنى الكعبة من خمسة أجبل هى: طور زيتا، وطور سيناء، والجودى، ولبنان، وحراء: «وانتبه لحكمة الله تعالى كيف جعل بناءها من خمسة أجبل: فشاكل ذلك معناها، إذ هى قبلة الصلوات الخمس وعمود الإسلام، وقد بُنى على خمس»[١]. انتهى.

وأما بناء العمالقة وجُرْهُم للكعبة فذكره الأزرقى لأنه روى بسنده عن على ابن أبى طالب رضي الله عنه قال فى خبر بناء إبراهيم للكعبة: ثم انهدم فبنته العمالقة، ثم انهدم فبنته قبيلة من جُرْهُم، ثم انهدم فبنته قريش[٢]. انتهى.

وذكره الفاكهى لأنه روى بسنده عن على رضي الله عنه قال: أول من بنى البيت إبراهيم، ثم انهدم فبنته جُرْهُمْ، ثم هُدم البيت فبنته العمالقة، ثم هُدم فبنته قريش[٣].

قلت: هذا يقتضى أنّ جُرْهُمًا بَنَى البيت قبل العمالقة، والخبر الأول يقتضى أن العمالقة بَنَتْه قبل جُرْهُم، وبه جزم المحب الطبرى فى «القرى» والله أعلم.

وذكر المسعودى ما يقتضى أن الذى بنى الكعبة من جُرْهُم هو الحارث بن مُضاض الأصغر، لأنه لما ذكر خبرهم قال فيه: إن الحارث هذا زاد فى بناء البيت ورفعه كما كان عليه من بناء إبراهيم[٤]. انتهى. والله أعلم بحقيقة ذلك.

وأما بناء قُصَى بن كلاب، فذكره الزبير بن بكار قاضى مكة فى كتاب «النسب» لأنه قال: وقال غير أبى عبيدة من قريش عبد العزيز بن عمران العنبسى: أخذ قُصَىّ فى بنيان البيت وجمع نفقته ثم هدمها فبناها بنيانًا لم ين أحد ممن بناها مثله، وجعل وهو يبنيها يقول:

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٤١.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٦٢.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٨.
(٤) مروج الذهب ٢/ ٥٠.

أبنى ويبنى الله يرفعها ولبين أهل ورَّاثها بعدى
بنيانها وتمامها وحجابها بيد الإله وليس للعبد

فبناها وسَقَفَها بخشب الدوم الجيد وبجريد النخل، وبناها على خمسة وعشرين ذراعًا، فلذلك يقول أعشى بكر بن وائل:

حَلَفْتُ بِثَوْبَىْ راهب الشام والتى بناها قُصَىّ وابن جُرهُم
لئن شب نيران العداوة بيننا ليرتحلنّ منّى على ظهر شَيْهَم[(١)]

وذكر الزبير بن بكار فى مواضع أخر ما يشهد له، وسيأتى ذكره فى خبر قُصَىّ، ونقل ذلك كله عن الزبير، الفاكهى فى كتاب أخبار مكة، وقال بعد ذكره لخبر عبد العزيز بن عمران: يعنى بالشيهم: القنفذ.

وذكر الفاكهى بناء قُصى عن غير الزبير لأنه قال فى خبر قُصَىّ: وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة حدثنا عبد الله بن يزيد، عن ابن لَهيعة، عن محمد بن عبد الرحمن أبى الأسود قال: بلغنى أنّ قُصَىّ بن كلاب بنى البَيت بعد بناء إبراهيم ثم بنته قريش[(٢)]. انتهى.

وذكر أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقى فى مغازيه أن قُصَىّ بن كلاب بنى البيت، وجزم به الماوردى فى «الأحكام السلطانية» لأنه قال: فكأن أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم ﷺ قُصَىّ بن كلاب وسَقَفَها بخشب الدُّوم وجريد النخل[(٣)]. انتهى.

ولم يذكر ذلك الأزرقى، رحمه الله، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وأما قول عبد العزيز بن عمران فى الخبر الذى ذكره الزبير بن بكار: وبناها على خمسة وعشرين ذراعًا، ففيه نظر، لأنه إن أراد به أن قُصَيًّا جعل ارتفاع الكعبة خمسة وعشرين ذراعًا كان مخالفًا لما اشتهر فى الأخبار من أن الخليل عليه السلام جعل طولها تسعة أذرع، وأن قريشًا زادت فى طولها تسعة أذرع، وإن أراد أنّ قُصَيًّا جعل عرضها خمسة وعشرين ذراعًا فالمعروف أن عرضها من الجهة الشرقية

---

(١) الخبر والشعر فيه تحريف وسقط فى المطبوعتين، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على رواية الأصل وتاريخ الكعبة المعظمة — ص ٣٨ ومنائح الكرم ١/ ٣٧٠.
(٢) الفاكهى ٥/ ٢٦٥.
(٣) الأحكام السلطانية ص٢٠٣.

والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعًا فى بناء الخليل لها، بل يزيد على خلاف فى مقدار الزيادة، وإن أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها فى هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعًا ثلاثة أذرع أو أزيد، وكل من بنى الكعبة بعد إبراهيم لم يبنها إلا على قواعده، غير أن قريشًا اقتصرت من عرضها فى الجهة الشرقية والغربية أذراعًا عن أساس إبراهيم عليه السلام، لأمر اقتضاه الحال، وصنع ذلك الحجاج بعد ابن الزبير عنادًا، كما سيأتى بيانه.

وأما بناء قريش الكعبة فهو ثابت كما فى السُّـنّة الشريفة الصحيحة عن النبى ﷺ وحضره ﷺ وهو ابن خمس وثلاثين سنة، كما جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء، وقيل ابن خمس وعشرين سنة، كما جزم به موسى بن عقبة فى مغازيه وابن جماعة فى منسكه، ونقله مُغْلَطَاى عن تاريخ يعقوب بن سفيان، وقيل: ابن ثلاثين سنة، حكاه ابن خليل فى منسكه وجزم به، وهذا القول غير معروف وأظنه سقط من كتابه لفظة «خمس» بين ابن وبين ثلاثين، والله أعلم.

وقيل: إنه ﷺ كان حين بناء قريش للكعبة غلامًا، ذكر هذا القول الأزرقى، لأنه قال فى ترجمة ترجم عليها بقوله: ذكر ما كان عليه ذرع الكعبة حين صار إلى ما هو عليه إلى اليوم من خارج وداخل: ثم بَنَتْها قريش فى الجاهلية والنبى ﷺ يومئذ غلام(١). انتهى.

وذكر الفاكهى ما يوافق ذلك وفيما ذكره بيان لِسِنِّ النبى ﷺ حين كان غلامًا، لأن الغلام يقع على الصبى من حين يولد لى حين يبلغ، وما ذكره الفاكهى فى ذلك مذكور فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ذكر ما كانت عليه الكعبة فى عهد إبراهيم عليه السلام من الطول والعرض إلى يومنا هذا، لأنه قال: ثم بَنَتْها قريش فى الجاهلية، وقد كتبنا بناءها فى موضع بناء قريش الكعبة والنبى ﷺ يومئذ قد ناهز الحلم(٢). انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٨٨.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٦.

وهذا القول والقول الذى ذكره ابن خليل غريبان لمخالفتهما المشهور فى سنّه ﷺ حين بَنَتْ قريش الكعبة، وهو ما ذكره ابن إسحاق أو ما ذكره ابن عقبة، ولم أر من ذكر ذلك القول الذى ذكره ابن خليل، والله أعلم.

وهو ﷺ الذى وضع الحجر الأسود موضعه من الكعبة حين اختلفت قريش فى ذلك، وكان سبب بنائهم لها لوهنها من الحريق الذى أصابها حين جمرت، والسيل العظيم الذى دخلها وصدع جدرانها بعد توهُّنها بالحريق، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذرعًا، منها تسعة أذرُع زائدة على طولها حين عمرها الخليل عليه السلام، واقتصروا من عرضها أذرعا جعلوها فى الحجر، لقصر النفقة الحلال التى أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ورفعوا بابها ليُدْخِلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، وكبسوها بالحجارة وجعلوا فى داخلها ست دعائم فى صفّين ثلاث فى كل صف من الشق الذى يلى الحجر إلى الشق اليمانى، وجعلوا فى ركنها الشامى من داخلها درجة يُصْعَد منها إلى سطحها، وجعلوها سطحًا، وجعلوا فيه ميزابا يصب فى الحجر.

هذا ملخص بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقى فى خبر بناء قريش[1]، وقد ذكرناه بكماله فى أصل هذا الكتاب، مع ما ذكره ابن إسحاق فى ذلك وفوائد أخر تتعلق بذلك.

وذكر الأزرقى والفاكهى فى القدر الذى زادته قريش فى طول الكعبة على بناء الخليل عليه السلام أمرًا يُستَغرب، أما الأزرقى فإنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ما جاء فى ذكر بناء قريش الكعبة فى الجاهلية: حدثنى جدى عن داود بن عبد الرحمن العطار قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم القارى، عن أبى الطفَيْل فذكر خبرًا فى بنيان قريش للكعبة، وفيه: ثم هدموها وبنوها عشرين ذراعًا طولها. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٥٧ وما بعدها.

وأما الفاكهى فإنه قال: وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة بن زهر قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، عن عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن عثمان بن أبى سليمان عن أبيه، عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال: قال عثمان بن عفان ﷺ، وكان عالمًا بأمر الجاهلية وبنيان البيت قال: إن قريشًا لما هدمت الكعبة فجعلوا ينوها بأحجار الوادى تحملها قريش على رقابها، فرفعوها فى السماء عشرين ذراعًا، وكانوا ينقلون الحجارة من أجياد(١). انتهى باختصار.

ووجه الغرابة فى ذلك مخالفته لما ذكر الأزرقى والفاكهى وغيرهما، من أن قريشًا جعلوا طول الكعبة لما بنوها ثمانية عشر ذراعًا.

وذكر الفاكهى أيضًا فيمن وضع الحجر الأسود فى الكعبة حين بَنَتْها قريش أمرًا يُسْتَغْرب أيضًا لأنه قال فى أثناء خبر ذكره: وزعم عباد بن عبد الرحمن الأعرج مولى ربيعة بن الحارث قال: حدثنى من لا أتّهم عن حسان بن ثابت، وكان قد شهد بناءها قال: رأيت عبد المطلب بن هاشم جالسًا على سور الكعبة، وهو شيخ كبير قد رُبط له حاجباه، وهم يختصمون فى الركن ليرفعوه إليه، فلما قضى فيه رسول الله ﷺ ما قضى، ورفعته قريش فى الثوب حتى وضعه رسول الله ﷺ بيده، فرفعه إلى عبد المطلب، وكان هو الذى وضعه بيده، فقال له محمد بن على حين حدثه: والله ما سمعت هذا من أحد من أهل بيتى، وما سمعت أحدًا يذكر إلا أن رسول الله ﷺ هو الذى وضعه بيده(٢).

قال عثمان: قال محمد وحُدِّثْتُ عن بعض أهل العلم أن عبد المطلب أخذه بيده وجعلت قريش أيديها تحت يده، ثم رفعوا حتى انتهوا به إلى موضعه، فوضعه النبى ﷺ بيده، كل ذلك قد سمعناه فى الركن(٣). انتهى.

ووجه الغرابة فى كون عبد المطلب وضع الحجر الأسود فى الكعبة حتى بَنَتْها قريش، فمخالفته لما اشتهر من أن النبى ﷺ هو الذى وضع الحجر الأسود بيده فى

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٧.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٧.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨.

الكعبة حين بَنَتْها قريش على ما هو مشهور فى خبر بنائهم، ويتأيد ذلك بأن عبد المطلب مات وللنبى ﷺ ثمان سنين، وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة أيام، وقيل تسع سنين وقيل عشر سنين، وقيل ست سنين، وقيل ثلاث سنين، والكعبة بُنيت وللنبى ﷺ خمس وثلاثون سنة، وقيل خمس وعشرون سنة على ما هو المشهور فى سنه حين بَنَتْها قريش، وإذا كان كذلك فلا يكون عبد المطلب وضع الحجر الأسود بيده حين بَنَتْها قريش ولا حضر بناءهم لها، على أن الفاكهى ذكر فى موضع آخر ما يقتضى أن عبد المطلب حضر بناء قريش ذكر ذلك فى خبر تبع.

وأما بناء ابن الزبير للكعبة فإنه ثابت مشهور، وسبب ذلك توهُّن الكعبة من حجارة المنجنيق التى أصابتها حين حوصر ابن الزبير بمكة فى أوائل سنة أربع وستين من الهجرة لمعاندته يزيد بن معاوية، وما أصابها مع ذلك من الحريق بسبب النار التى أوقدها بعض أصحاب ابن الزبير فى خيمة له، فطارت الرياح بلهب تلك النار فأحرقت كسوة الكعبة والساج الذى بُنى فى الكعبة حين عمرتها قريش، فضعفت جدران الكعبة، حتى إنها لينقض من أعلاها إلى أسفلها ويقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها، ولما زال الحصار عن ابن الزبير لإدبار الحُصَين بن نُمَير من مكة بعد أن بلغه موت يزيد بن معاوية رأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها فوافقه على ذلك نفر قليل وكره ذلك نفر كثير، منهم ابن عباس رضى الله عنهما.

ولما أجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة إلى منًى مخافة أن يصيبهم عذاب، وأمر ابن الزبير رضى الله عنهما جماعة من الحبشة فهدمتها رجاء أن يكون فيهم الحبشى الذى أخبر النبى ﷺ أنه يهدمها، فهدمت الكعبة أجمع حتى بلغت الأرض، وكان هدم ابن الزبير لها يوم السبت فى النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين، وبناها على قواعد إبراهيم وأدخل فيها ما أخرجته منها قريش فى الحِجر، وزاد فى طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش فى طولها على بناء الخليل وذلك تسعة أذرع، فصار طولها سبعة وعشرين ذراعًا، بتقديم السين، وهى سبعة وعشرون مدماكًا، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض، أحدهما بابها الموجود اليوم، والآخر المقابل له المسدود، واعتمد فى ذلك وفى إدخاله فى الكعبة ما

أخرجته قريش منها فى الحجر حين أخبرته به خالته عائشة رضى الله عنها يأتى ذكره، وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد وجعل لها درجة فى ركنها الشامى يصعد منها إلى سطحها، وجعل فيها ميزابًا يصب فى الحجر، وجعل فيها روازن للضوء، هذا ملخص[1] بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقى فى خبر بناء ابن الزبير للكعبة[2]، وما ذكره من أن زيادة ابن الزبير تسعة أذرُع فى طول الكعبة هو المشهور.

وروينا فى صحيح مسلم من حديث عطاء بن أبى رباح أن ابن الزبير رضى الله عنهما زاد فى طول الكعبة عشرة أذرع، وفيه ما يقتضى أنه لم يهدم الكعبة فى الوقت الذى ذكره الأزرقى.

وصرح ابن الأثير فى «كامله» بأن عمارة ابن الزبير للكعبة كانت سنة خمسٍ وستين، ثم قال: وقيل كانت عمارتها فى سنة أربع وستين.

وهذا يوافق ما ذكره الأزرقى، والقول الأول موافق لما فى مسلم، لأن فيه من حديث عطاء بن أبى رباح قال: لما احترق البيت زمان يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام، وكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس فى الموسم، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس أشيروا علىَّ فى الكعبة، أنقضها ثم أبنيها أو أصلح ما وهى منها؟ فقال له ابن عباس رضى الله عنهما: إنى أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتًا أسلم الناس عليه وحجارة أسلم الناس عليها، وبُعث عليها النبى ﷺ، فقال ابن الزبير: لو أن أحدكم احترق بيته ما رضى حتى يجدده، فكيف بيت ربكم؟ إنى مستخير ربى ثلاثًا ثم عازم على أمرى، فلما مضت الثلاثة أجمع رأيه أن ينقضها، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد عليه أمر من السماء حتى صعد رجل فألقى منه حجارة، فلما لم ير الناس أصابه شىء تتابعوا، فنقضوه حتى بلغ به الأرض. انتهى باختصار.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ملحق».
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٠١ وما بعدها.

ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقى أنه يقتضى أن ابن الزبير لم يهدم البيت حتى صدر الناس من الموسم، وصدورهم منه كان بعد حجهم، وزمن الحج غير الزمن الذى ذكره الأزرقى أن ابن الزبير هدم فيه البيت، وقد سبق ذلك قريبًا، والله أعلم بالصواب.

وتكون عمارة ابن الزبير للبيت على مقتضى حديث عطاء فى آخر ذى الحجة من سنة أربع وستين، وفى سنة خمسٍ وستين، وذلك يوافق ما جزم به ابن الأثير من بناء الكعبة، والله أعلم.

ولم أر فى تاريخ الأزرقى ذكر الوقت الذى فرغ فيه ابن الزبير من بناء الكعبة وهو سنة خمس وستين على ما ذكره المسبحى فى تاريخه على ما وجدت بخط الحافظ رشيد الدين ابن الحافظ زكى الدين المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى، والله أعلم.

وذكر المحب الطبرى ما يقتضى أن فراغ ابن الزبير من عمارة الكعبة كان فى ليلة سابع عشر من رجب من سنة أربعٍ وستين، لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ما جاء فى عمرة التنعيم فى الباب الثامن والثلاثين من القرى بعد أن ذكر اعتماد ابن الزبير من التنعيم لما فرغ من بناء الكعبة[1].

وذكر أبو الوليد أن هدم الكعبة كان يوم السبت فى النصف من جمادى الآخرة سنة أربعٍ وستين، والظاهر أن ابتداء البناء عقيبه بعد الفراغ منه، وأهل مكة يعتمرون فى ليلة سبعٍ وعشرين من رجب فى كل سنة، وينسبون هذه العُمْرة إلى ابن الزبير، ولا يبعد أن يكون بناء الكعبة امتد إلى هذا التاريخ، فإن تطابق الناس على ذلك يأثره الخلف عن السلف، وفعله كل سنة بأسبابه تدل على صحة النسبة إليه، وأنه اعتمر فى ذلك الوقت، وأن الفراغ من بناء الكعبة كان فى هذا التاريخ، والله أعلم.

---

(١) القرى، ص٦٢٢.

وقد اختلفت الأخبار فيمن وضع الحجر الأسود فى موضعه من الكعبة حين بناها ابن الزبير، فقيل: وضعه عبد الله بن الزبير بنفسه، ذكر ذلك الأزرقى فى خبر رواه عن الواقدى بسنده لأن فيه: فلما بلغ البناء موضع الركن جاء ابن الزبير حتى وضعه بنفسه وشده بالقصبة. انتهى.

وقيل وضعه عباد بن عبد الله بن الزبير، وهذا فى خبر رواه الأزرقى ذكر فيه أن عبد الله بن الزبير أمر ابنه عبادًا وجبير بن شيبة أن يجعلا الركن فى ثوب ويخرجاه وهو يصلى بالناس فى صلاة الظهر فى يوم شديد الحر، لئلاً يعلم الناس بذلك فيتنافسوا فى وضعه فيه، ففعلا ذلك، وفيه: فكان الذى وضعه فى موضعه هذا عباد بن عبد الله بن الزبير، وأعانه عليه جبير بن شيبة.

وقيل: وضعه حمزة بن عبد الله بن الزبير بأمر أبيه، نقل ذلك السهيلى[1] عن الزبير بن بكار.

ورأيت فى تاريخ الأزرقى وكتاب الفاكهى ما يقتضى أن الحَجَبَة وضعوه فى موضعه ومعهم حمزة بن عبد الله بن الزبير، والله أعلم بالصواب.

فيتلخص من ذلك أربعة أقوال فيمن وضع الحجر الأسود حين بنى ابن الزبير الكعبة.

وأما بناء الحَجّاج للكعبة فهو أيضًا ثابت مشهور، ذكره الأزرقى وغيره، وملَخّص ذلك أن الحجاج بعد محاصرته ابن الزبير وقتله كتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره أنّ ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابًا آخر، واستأذنه فى رد ذلك على ما كان عليه فى الجاهلية، فكتب إليه عبد الملك أن يسد بابها الغربى ويهدم ما زاد فيها ابن الزبير من الحجر، ويكبسها به على ما كانت عليه، ففعل ذلك الحجاج.

وبناؤه فى الكعبة الجدار الذى من جهة الحجر بسكون الجيم والباب الغربى المسدود فى ظهر الكعبة عند الركن اليمانى وما تحت عتبة الباب الشرقى، وهو

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٤٦.

أربعة أذرُع وشبر على ما ذكر الأزرقى، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير، وهذا ملخص مما ذكره الأزرقى فى ذلك بالمعنى[١].

وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة على ما ذكره ابن الأثير، وقيل: سنة ثلاث وسبعين على ما ذكر الذهبى فى العِبَر.

ثم إنَّ عبد الملك بن مروان ندم على ما وقع منه فى أمر الكعبة، وقال: ودِدْتُ والله أنى كنت تركت ابن الزبير وما تحمل حين أخبره الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى أنه سمع من عائشة رضى الله عنها حديثًا عن النبى ﷺ الذى اعتمده ابن الزبير فيما فعله فى الكعبة.

أخبرنى بحديث عائشة رضى الله عنها الزاهد عبد الرحمن بن أحمد المصرى سماعًا بالقاهرة فى الرحلة الأولى: أن يونس بن إبراهيم العسقلانى أخبره سماعًا عن أبى الحسن بن الحسين البغدادى عن أبى بكر بن الزاغونى ونصر بن نصر العكبرى، قال الزاغونى: أخبرنا ابن نصر الزينى وقال العكبرى: أخبرنا أبو القاسم بن البسرى قالا: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا بكار بن عُيَيْنَة قال: حدثنا أبو داود الطيالسى قال: حدثنا سليم بن حَيَّان[٢] قال: حدثنا سعيد بن مِيْنَاء عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال: أخبرتنى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض وجعلت لها بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا، ولزدت ستة أذرع من الحجر فى البيت فإن قريشًا استقصرت ذلك لما بَنَت البيت.

وقد اختلفت الروايات فيما تركته قريش من الكعبة فى الحجر، وسنذكر ذلك فى أخبار الحجر.

---

(١) الأزرقى ١/ ٢١٠.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «حِبّان» وصوابه لدى المزى ١١/ ٣٤٨.

ذكر شيء من حال الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج وما صنع فيها من العمارة وما عمل لها من الأساطين والميازيب والأبواب بعد ابن الزبير والحجاج

اعلم أنه لم يغير أحد من الخلفاء والملوك فيما مضى من الزمان وإلى الآن ما بناه ابن الزبير والحجاج فيما علمناه، ولو وقع ذلك لنقل، فإن ذلك مما لا يخفى لعظم أمره، والذى غُير فيها بعدهما ميزابها غير مرة وبابها غير مرة كما سيأتى بيانه، وبعض أساطينها، وما دعت الضرورة إلى عمارته فى جدرها وسقفها ودرجتها التى يصعد منها إلى سطحها وعتبتها ورخامها، وهو مما حدث فى الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج.

وذكر الأزرقى أن الوليد بن عبد الملك أول من فرش الكعبة بالرخام وأزَّر به جدرانها، ونقل ذلك عن ابن جريج لأنه قال: قال ابن جُرَيْج: وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذى فى بطنها، فوزَّر به أيضًا جدرانها، وفرشها بالرخام، وأرسل به من الشام، ثم قال الأزرقى: فجميع ما فى الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبد الملك. انتهى[١].

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان يحب أن يردها على ما بناها ابن الزبير، حين أخبره بذلك خليفته الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان لما سأله عن ذلك، ولم يمنع سليمان من ذلك إلا كون الحجاج صنع ذلك بأمر أبيه عبد الملك بن مروان، ذكر هذا الخبر الأزرقى[٢].

ويروى أن الخليفة الرشيد، وقيل جده المنصور أراد أن يغير ما صنعه الحجاج فى الكعبة، وأن يردها إلى ما صنع ابن الزبير، فنهاه عن ذلك الإمام مالك بن أنس

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢١٣.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٢٠.

رحمه الله، وقال له: نشدتك الله لا تجعل بيت الله ملعبة للملوك، لا يشأ أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس. انتهى بالمعنى.

وكأن مالك لحظ فى ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وهى قاعدة مشهورة معتمدة.

ونشير إلى ما علمناه من العمارات التى وقعت فى الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج.

فمن ذلك: انفتاح الجدار الذى بناه الحجاج من وجه الكعبة ودبرها وترميمه، ذكر ذلك إسحاق بن أحمد الخزاعى أحد من روى عن الأزرقى فى تاريخه، ونص كلامه: وأنا رأيتها، وقد عمر الجدار الذى بناه الحجاج مما يلى الحجر فانفتح من البناء الأول الذى بناه ابن الزبير مقدار نصف أصبع من وجهها ومن دبرها وقد رمم بالجص الأبيض. انتهى.

وذكر ذلك [فى موطن آخر بمعناه، وكلام الخزاعى هذا يحصل أمرين: **أحدهما**: أن يكون ما ذكره][1] من انفتاح الجدار وترميمه وقع فى عصره، **والآخر**: أن يكون وقع ذلك قبله ورآه كما ذكر، والله أعلم.

ووقع فيما ذكره الأزرقى ما يقرب من هذا، ومن ذلك ما وقع فى سطح الكعبة، على ما ذكر الأزرقى، لأنه قال: وكانت أرض سطح الكعبة بالفسيفساء، ثم كانت تكف عليهم إذا جاء المطر، فقلعته الحجبة بعد سنة مائتين، وشدوه بالمرمر المطبوخ والجص وشيدته تشييدًا.

ومن ذلك عتبة باب الكعبة السفلى، على ما ذكره الأزرقى لأنه قال لما ذكر العمارة المتعلقة بالكعبة فى زمن المتوكل العباسى، وهى فى سنة إحدى وأربعين ومائتين: وكانت عتبة باب الكعبة السفلى قطعتين من خشب الساج، فدثرتا ونخرتا من طول الزمان عليهما فأخرجهما، يعنى المندوب للعمارة إسحاق بن سلمة الصايغ، وصير مكانهما قطعة من خشب الساج، وألبسهما صفائح فضة[2].

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) الأزرقى ١/ ٣٠١.

انتهى. ومن ذلك رخامتان أو ثلاث فى جدران الكعبة، قلع ذلك إسحاق بن سَلَمَة، وأعاد نصبه بجص صنع فى التاريخ المشار إليه، ذكر ذلك الأزرقى أيضًا[(١)].

ومن ذلك ما وقع بعد الأزرقى، وهو عمارة سقف الكعبة والدرجة التى بباطنها وكلاهما فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة[(٢)].

ومن ذلك عمارة رخامها فى عُشْر الخمسين وخمسمائة فى غالب ظنى، وهذه العمارة من جهة الوزير جمال الدين المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل.

ومن ذلك ما وقع فى سنة تسع وعشرين وستمائة وما عرفت المعمور فى تلك السنة من الكعبة هل هو فى سقفها أو أرضها وجُدُرها كإصلاح رخامه فى ذلك وغيره، والله أعلم، وهذه العمارة من جهة المستنصر العباسى لأن فى جُدُر الكعبة اليمانى من داخلها رخامة مكتوبًا فيها بعد البسملة: أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، وفيها بعد الدعاء له فى شهور سنة تسع وعشرين وستمائة.

ومن ذلك رخام الكعبة بأمر الملك المظفر صاحب اليمن، واسمه مكتوب بسبب ذلك فى الكعبة فى رخامة فى وسط الجدار الغربى، ونص المكتوب: أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم العبد الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن عمر بن على ابن رسول، وفيها بعد الدعاء له بتاريخ شوال سنة ثمانين وستمائة[(٣)].

ومن ذلك إلصاق رخام خُشِى سقوطه فى بعض جدرانها من داخلها فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى أول سنة اثنتين وثمانمائة[(٤)].

ومن ذلك مواضع فى سطحها كان يكثر وكف المطر منها إلى سفلها، منها موضع عند الطابق الذى [على الدرجة التى يُصعد منها إلى سطحها ومنها موضع عند الميزاب وكان الفتح الذى][(٥)] فى هذا الموضع متسعا مضرا يصل الماء منه إلى الجُدُر الشامى من الكعبة، لقربه منها، وينـــزل الماء منه فى وسط الجدار، ومواضع

(١) الأزرقى ١/ ٣٠٦.
(٢) إتحاف الورى ٢/ ٥١٠.
(٣) إتحاف الورى ٣/ ١١٣.
(٤) إتحاف الورى ٣/ ٤١٦.
(٥) ما بين حاصرتين ساقط من: د.

بقرب بعض الروازن التى للضوء، وكان إصلاح المواضع المذكورة بالجبس بعد قلع الرخام الذى هناك وأعيد فى موضع وأبدل بعضه بغيره، وأصلحت الروازن كلها بالجبس، وكانت الأخشاب المطبقة بأعلى الروازن التى عليها البناء المرتفع فى سطح البيت قد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك، وأعيد البناء الذى كان عليها كما كان، إلا أن الروزن الذى يلى باب الكعبة فإن خشبه لم يغير، وكان الروزن الذى يلى الركن الغربى قد تخرب بعض الخشب الذى فى جوفه مما يلى السقف والكسوة التى فى جوف الكعبة، وكانت الكسوة التى تليه قد زال تشبكها فشمرت، وكان الروزن يلى الركن اليمانى منكسرًا فقلع وعوض بروزن جيد، وجد فى أسفل الكعبة وأُصلح فى الدرجة أخشاب متكسرة، وشاهدت إصلاح كثير من هذه الأمور وأنا بسطح الكعبة مع من صعد لعمل ذلك، وذلك فى أيام متفرقة فى العشر الأوسط من شهر رمضان سنة أربع عشرة وثمانمائة عقب مطر عظيم حصل بمكة فى أوائل هذا العشر، وصار يخرج بسببه من باب الكعبة إلى الطواف كأفواه القرب(١).

ومن ذلك أن فى النصف الأخير من ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة أصلحت الروازن التى بسطح الكعبة ورخامة تلى ميزابها، لأن الماء كان ينتقع عليها لخراب ما تحتها، فقلعت وأزيل ما تحتها من الخراب، وأعيد إلصاقها بعد إحكام هذا الإصلاح(٢).

ومن ذلك فى هذا التاريخ أن الأخشاب التى بسطح الكعبة المعدَّة لربط كسوتها تخربت فقُلعت وعُوض عنها بأخشاب جيدة محكمة، وركبت فيها الحلق الحديد التى يشد بها كسوة الكعبة، ووضعت الأخشاب بسطح الكعبة فى مواضعها قبل ذلك(٣).

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٤٨٨.

(٢) إتحاف الورى ٣/ ٥٨٧، تاريخ الكعبة المعظمة ص١٧٤.

(٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص٢١٢.

ومن ذلك أن فى صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة قلع الرخام الذى بين جُدر الكعبة الغربى والأساطين التى بالكعبة لتخرُّبه، وأعيد نصبه محكمًا كما كان بالجص، وأصلح رخام آخر فى بعض جدران الكعبة لتخربه، وكتب بسبب ذلك فى لوح رخام يقابل باب الكعبة، ومعنى المكتوب فيه: تقرب إلى الله تعالى برخام هذا البيت الشريف المطهر العبد الفقير إلى الله تعالى الملك الأشرف برسباى فى سنة ست وعشرين وثمانمائة[1]. انتهى.

والملك الأشرف المشار إليه هو صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين فى هذا التاريخ، زاده الله نصرًا وتوفيقًا.

ومن ذلك أن الأسطوانة التى تلى باب الكعبة ظهر بها ميل فخيف من أمرها، فاجتمعنا بالكعبة الشريفة مع جماعة من قضاة مكة والأمير المندوب من مصر فى السنة الماضية لعمارة المسجد الحرام، أحسن الله إليه، وغيره من الأعيان بمكة والعارفين بالعمارة، وكشف من فوق السارية المذكورة، فوجدت صحيحة، فحمدنا الله تعالى كثيرًا على ذلك، ورُدت حتى استقامت، وأحكم ذلك كما كانت أولاً، فلله الحمد، والأمير المشار إليه هو الجناب العالى السيفى مقبل القديدى الملكى الأشرفى صاحبنا، أحسن الله إليه، وكان إصلاح هذه الأسطوانة فى يوم السبت سادس عشر صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة، وإصلاح الرخام فى أيام من الشهر المذكور.

ومما غُير فى الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج عتبة الباب السفلى، لأن الأزرقى ذكر أنها جعلت قطعة واحدة من خشب الساج، كما سبق ذكره، وعتبة الكعبة الآن السفلى حجر منحوت، وما ندرى متى كان ذلك، وقد خفى علينا من المعنى الذى ذكرناه من أمر عمارة الكعبة كثير لعدم تدوين من قبلنا لذلك، ويدخل فى المعنى الذى ذكرناه من عمارة الكعبة العمارة الواقعة فى شاذروانها، وقد بينا ما علمناه من ذلك فى الباب الذى بعد هذا فى الترجمة المتعلقة بالشاذروان.

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٥٩٧، العقد الثمين ١/ ٥٠.

وأما الأساطين فواحدة فيما علمت، على ما ذكر الفاكهى، لأنه قال: حدثنى أبو على الحسن بن مكرم قال: حدثنا عبد الله بن بكر قال: حدثنى أبى: بكرُ بن حبيب قال: جاورت بمكة فعابت أسطوانة من أساطين البيت، فأخرجت، وجىء بأخرى لِيُدْخِلُوها مكانها، فطالت عن الموضع، وأدركهم الليل، والكعبة لا تفتح ليلاً، فتركوها مائلة ليعودوا من غد فيصلحوها، فجاءُوا من غد فأصابوها أقوم من القدح. انتهى. ولم يذكر ذلك الأزرقى، ولم أر من ذكر ذلك غير الفاكهى، وهو غريب جدًا، والله أعلم، وفيه كرامة للبيت زاده الله شرفًا.

وأما الميازيب فميزاب عمله الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط المشهور بمكة وصل به خادمه مثقال بعد موته مع تابوته فى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وميزاب أنفذه الخليفة المقتفى العباسى فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أو فى التى بعدها، وجعل عوض ميزاب رامشت، ومنها ميزاب عمله الناصر العباسى، وهو الآن فى الكعبة لأن اسمه مكتوب فيه، وهو خشب مبطن برصاص فى الموضع الذى يجرى فيه الماء، وظاهره مما يبدو للناس مطلى بفضة، وأصلح الموضع الذى يجرى فيه الماء منه فى العُشْر الأوسط من شهر رمضان سنة أربع عشرة وثمانمائة، بعد قلع اللوح الذى فوقه يستر مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان، وطول هذا الميزاب بما منه فى جدار الكعبة، يزيد على أربعة أذرع بالحديد، مقدار ثمن الذراع أو أكثر، الشك منى فى مقدار الزيادة بعد تحريرى لذلك فى التاريخ الذى ذكرنا فيه إصلاحه، وأحدث عهد حلى فيه هذا الميزاب سنة إحدى وثمانين وسبعمائة.

وأما الأبواب فباب عمله الوزير جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور المعروف بالجواد، سنة خمسين وخمسمائة، ورُكِّب عليها فى سنة إحدى وخمسين، وكتب عليه اسم الخليفة [المقتفى العباسى وحلاه الجواد حلية حسنة بحيث إنه كان بستوقف الأبصار الحسن](١) حليته، على ما ذكر ابن جبير فى أخبار

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

رحلته[١]، وذكر فيها صفة حليته، وكلام ابن الأثير يوهم أن الذى صنع للكعبة الباب فى هذا التاريخ الخليفة المقتفى، لأنه قال فى أخبار سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة: فيها قلع الخليفة المقتفى لأمر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابًا مصفحًا بالنقرة المذهبة، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتًا يدفن فيه إذا مات. انتهى.

وليس ما ذكره ابن الأثير من نسبة هذا الباب للمقتفى معارضًا لما ذكره ابن جبير من نسبته للجواد، لأن الجواد إنما صنعه بأمر المقتفى، وأضاف إليه هذا الباب بكتابة اسمه عليه، وإنما نبهنا على ذلك، لئلا يتوهم أن كلا منهما صنع للكعبة بابًا، لأنه يبعد أن يعمل كل منهما للكعبة بابًا فى تاريخ واحد بسبب واحد وهو اتخاذ الباب الأول تابوتًا للدفن، فإن الجواد عمل تابوتًا على ما قيل من الباب الذى كان قبل بابه، حمل فيه إلى المدينة الشريفة ودفن بها، ولم يكن يتمكن من ذلك إلا بموافقة المقتفى عليه، وإظهاره أن للمقتفى رغبة فى عمل الباب الذى قبل بابه تابوتًا، ولأجل ذلك نسب هذا الأمر للمقتفى كما ذكر ابن الأثير، والله أعلم.

ومنها: باب عمله الملك المظفر صاحب اليمن، وكان عليه صفائح فضة زنتها ستون رطلاً، وصارت لبنى شيبة، ومنها باب عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، وركب على الكعبة بعد قلع باب الملك المظفر فى ثامن عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وكان عليه من الفضة خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم على ما ذكره البرزالى، وذكر أن هذا الباب من السنط الأحمر[٢].

ومنها: باب عمل فى سلطنة ولده الملك الناصر حسن، وذلك فى سنة إحدى وستين وسبعمائة، وهو من خشب الساج، عُمل بمكة واستمر فى الكعبة إلى تاريخه[٣]، إلا أنه فى سنة ست وسبعين وسبعمائة، قلع منها لعمل الحلية التى هى

---

(١) رحلة ابن جبير ص٦٧.
(٢) إتحاف الورى ٣/ ٢٠٣.
(٣) النجوم الزاهرة ١٠/ ٣١٦.

فيه الآن، وعوض عنه بباب قديم كان للكعبة[١]، وهو الآن فى حاصل زيت الحرم، ولعله باب الكعبة الذى عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم أعيد إليها الباب الذى عمل بمكة فى دولة الناصر حسن بعد تحليته فى التاريخ الذى ذكرناه على ما أخبرنى به والدى أعزه الله، وذكر أن مقدار هذه الحلية [اثنان وثلاثون ألف درهم أو ثلاثة وثلاثون لا يزيد عن ذلك، وأنه شاهد تحرير هذه الحلية][٢] لما كان مشارفًا على عملها، وأظن أنه حلى فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة[٣]، والله أعلم.

واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون مكتوب فى هذا الباب بأسفله، واسم حفيده الملك الأشرف شعبان بن حسين فى بعض فياريز من الباب، وفى بعض فياريز الباب، وهو الجانب الذى يكون على يمين الداخل إلى الكعبة، مكتوب اسم الملك المؤيد أبى النصر شيخ صاحب مصر، نصره الله، لأن بعض خواصه قدم إلى مكة فى أول يوم من ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة، فرأى جانب الباب المشار إليه محتاجًا إلى الحلية، فحلاه بفضة وطلاها بالذهب، وكتب فى ذلك اسم الملك المؤيد نصره الله، ومقدار الفضة التى حُلى بها الموضع المشار إليه مائة درهم ونيف وتسعون درهمًا، على ما أخبرنى به بعض من صاغ ذلك، وكان عمل ذلك والفراغ منه قبل الطلوع إلى عرفة فى أيام من العشر الأول من ذى الحجة من سنة ست عشرة وثمانمائة[٤]، واستحسن ذلك ممن صنعه، فالله يزيده رفعة، واسم الملك المظفر صاحب اليمن على مفتاح قفل باب الكعبة الآن، وفى القفل أيضًا فيما أظن لأن فيه كتابة ممحوّة، والله أعلم.

ولنختم هذا الفصل بفائدة فى بيان أول من بوب الكعبة: أول من بوّبها أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، على ما ذكر الزبير بن بكار لأنه قال: وقال محمد

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٣٢١.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٣) إتحاف الورى ٣/ ٣٣٤.

(٤) إتحاف الورى ٣/ ٥١٠.

ابن حسن: حدثني عيسى بن عبد الله عن أبيه قال: أنوش بن شيث بن آدم أول من غرس النخلة وبوب الكعبة وبذر الحبة. انتهى.

وذكر ذلك السهيلي رحمه الله لأنه قال: أنوش وتفسيره الصادق وهو بالعربية أنش، وهو أول من غرس النخلة وبوب الكعبة وبذر الحبة[١]. انتهى.

وروينا في تاريخ الأزرقي ما يقتضي أن تبعا الحميري أول من بوب الكعبة لأنه قال في أثناء خبر نقله عن ابن إسحاق في بناء إبراهيم الكعبة: وجعل بابها في الأرض غير مبوب الكعبة حتى كان تُبَّع أسعد الْحِميَرى هو الذى جعل لها بابًا وغلقًا فارسيًا، وذكر معنى ذلك في موضع[٢] آخر.

وذكر الفاكهي ما يخالف ذلك لأنه قال: وحدثنا أحمد بن صالح عن الواقدى قال: كان البيت قد دخله السيل من أعلى مكة، فانهدم، فأعادته جُرْهُم على بناء إبراهيم، وجعلوا له مصراعين وقفلاً، فاستخفت جُرْهُم بأمر البيت، وعملوا أمورًا وأحدثوا أحداثًا لم تكن[٣]. انتهى.

ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقي أنه يقتضي أن جُرْهُمًا جعلوا للكعبة بابًا، وهو المصراعان المشار إليهما في هذا الخبر، والزمن الذى صنعوا فيه ذلك هو زمن ولايتهم للكعبة، وولايتهم لها قبل ولاية خزاعة، وولاية خزاعة لها قبل ولاية قريش، والباب الذى عمله تُبَّع هو في زمن ولاية قريش على ما أشار إليه الفاكهي وغيره في خبر تُبَّع الذى صنع باب الكعبة الذى ذكره الأزرقي، والله أعلم.

وذكر بعضهم ما يخالف ما ذكره الزبير والسُّهَيلي في كون أنوش أول من بذر الحبة، لأن القطب الحلبي ذكر أنه رأى بخط أبي علي الحسين بن الأشرف أحمد ابن القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني أول من زرع الحبة آدم عليه السلام، فإنه كان يحرث ويزرع، روى أن الشعير من زرع حواء، والحنطة من زرع آدم عليه السلام، وأنها تألمت في ذلك، وقال: ذكروه في كتب التاريخ. انتهى.

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٧.
(٢) الأزرقي ١/ ١٣٤.
(٣) الفاكهي ٥/ ٢٢٥.

الباب الثامن

فى صفة الكعبة المعظمة وذرعها وشاذروانها وحليتها ومعاليقها وكسوتها وطيبها وأخدامها وأسمائها وهدم الحبشى لها ووقت فتحها فى الجاهلية والإسلام وبيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها

ذكر صفة الكعبة وما أحدث فيها من البدعة

أما أرض الكعبة وجدرانها من داخلها فمرخَّمة برخام ملون، وقد ذكر الأزرقى رحمه الله عدد الرخام الذى فى أرض الكعبة وجدارها وألوانه، ونقل عن ابن جُرَيْج أنّ الوليد بن عبد الملك بن مروان أول من رخّم أرض الكعبة وجدرانها برخام بعث به من الشام[١].

وفى الكعبة الآن ثلاث دعائم من ساج على ثلاثة كراسى، وفوقها ثلاثة كراسى، وعلى هذه الكراسى ثلاث جوائز من ساج، ولها سقفان بينهما فُرْجَة، وفى السقف أربعة روازن، نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل للوضوء، وفى ركنها الشامى درجة من خشب يُصْعَد منها إلى سطحها، وعدد الدرج الذى فيها ثمان وثلاثون مَرْقَاة، وسقفها الأعلى مما يلى السماء مرخم برخام أبيض، وطلى بنورة فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بأمر أمير يقال له باشه، من أمراء مصر، لما ندبه لعمارة المسجد وغيره بمكة الأمير بَرَكَة مدبّر المملكة بالديار المصرية[٢] مع الملك الظاهر قبل سلطنته، ثم كشطت النورة فى سنة إحدى وثمانمائة بأمر الأمير بيسق، ويطيف بسطحها إفْرِيز مبنىٌّ بالحجارة على جُدُرها من جميع جوانبها، يأتى تحرير ذَرْعُه فيما بعد إنْ شاء الله تعالى، ويتصل بهذا الإفْرِيز أخشاب فيها حلق من حديد، يربط بها كسوة الكعبة، وبابها من ظاهره مصفح بصفائح فضة مموهة بالذهب، وكذلك أفاريز الباب وعتبته العليا مطلية بفضة، زنتها على ما بلغنى ألف درهم وثمانمائة درهم، وفيها مكتوب اسم مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر صاحب الديار المصرية، واسم أبيه الملك الظاهر، وأضيف إلى كل منهما الأمر بعمل هذه الحلية، وفيها مكتوب أيضًا اسم الأمير أيتمش[٣] الذى جعله الملك الظاهر أتابكًا لولده واسم الأمير يشبك الذى كان

---

(١) الأزرقى ١/ ٢٩٧، ٣٠٤.
(٢) إتحاف الورى ١/ ٣٣٤.
(٣) بدائع الزهور ١/ ٢/ ٣٢١.

خازندار الملك الظاهر ثم لابنه الملك الناصر، ثم صار دوادارًا للملك الناصر وأتابكًا له، واسم الأمير بيسق الآمر بهذه الحلية.

وأما ما أحدث فيها من البدعة فهو البدعة التى يقال لها العروة الوثقى، والبدعة التى يقال لها سرة الدنيا، وقد ذكرهما الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله لأنه قال: وقد ابتدع من قريب بعض الفجرة والمحتالين فى الكعبة المكرمة أمرين باطلين عظم ضررهما على العامة.

أحدهما ما يذكرونه من العروة الوثقى عمدوا إلى موضع عالٍ من جدار البيت المقابل لباب البيت فسموه بالعروة الوثقى، وأوقعوا فى قلوب العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى، فأحوجوهم إلى أن يقاسوا فى الوصول إليها شدة وعناء، ويركب بعضهم فوق بعض، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجال ولامسوها، فلحقهم بذلك أنواع من الضرر دنيا ودينًا.

الثانى مسمار فى وسط البيت سرته سرة الدنيا، وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم عن سرته وينبطح بها على ذلك الموضع حتى يكون واضعًا سرته على سُرَّة الدنيا، قاتل الله واضع ذلك ومختلقه وهو المستعان. انتهى بنصه من منسك ابن الصلاح، ونقل ذلك عنه النووى فى «الإيضاح» ما يخالف بعض ذلك فى اللفظ ويوافقه فى المعنى.

قلت: وهذان الأمران لا أثر لهما الآن فى الكعبة، وكان زوال البدعة التى يقال لها العروة الوثقى فى سنة إحدى وسبعمائة، لأن الإمام جمال الدين المطرى فيما أخبرنى عنه القاضى برهان الدين بن فرحون ذكر أن الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن على بن محمد المعروف بابن حِنَّا توجه إلى مكة فى أثناء سنة إحدى وسبعمائة، فرأى فيها ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام، ويتعلق الناس بعضهم على بعض، وحمل الناس على أعناق الرجال للاستمساك بالعروة الوثقى فى زعمهم؛ فأمر بقلع ذلك المثال، وزالت تلك البدعة، والمنة[1] لله تعالى. انتهى.

---

(١) إعلام الورى ٣/ ١٣٢.

ذكر ذرع الكعبة من داخلها وخارجها

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: ذرع البيت من خارج طولها فى السماء سبعة وعشرون ذراعًا، وذَرْع طول وجه الكعبة من الركن الأسود إلى الركن الشامى خمس وعشرون ذراعًا، وذَرْع ظهرها من الركن اليَمَانى إلى الركن الغربى خمس وعشرون ذراعًا، وذرع شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرون ذراعًا، وذرع شقها الذى فيه الحجر من الركن الشامى إلى الركن الغربى أحد وعشرون ذراعًا، وذرع جميع الكعبة مكسرًا أربعمائة ذراع وثمانية عشر ذراعًا، وذرع نفذ[١] جدار الكعبة ذراعان، والذراع أربع وعشرون إصبعًا[٢].

ثم قال الأزرقى: ذَرْع طول الكعبة فى السماء من داخلها إلى السقف الأسفل مما يلى الكعبة ثمانية عشر ذراعًا ونصف، وطول الكعبة فى السماء إلى السقف الأعلى عشرون ذراعًا، وذَرْع داخل الكعبة من وجهها من الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامى، وفيه باب الكعبة تسعة عشر ذراعا وعشر أصابع وذرع ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى وهو الشق الذى يلى الحجر خمسة عشر ذراعًا وثمانية عشر إصبعا، وذرع ما بين الركن الغربى إلى الركن اليمانى وهو ظهر الكعبة عشرون ذراعًا وست أصابع، وذرع ما بين الركن اليمانى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود ستة عشر ذراعًا وست أصابع[٣].

وذكر الأزرقى رحمه الله: ذرع ما بين الأساطين التى فى الكعبة، فقال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: ذرع ما بين الجدار الذى بين الركن الأسود والركن اليمانى إلى الأسطوانة الأولى أربعة أذرُع ونصف، وذرع ما بين الأسطوانة الأولى إلى الأسطوانة الثانية أربعة أذرُع ونصف، وذْرع ما بين الأسطوانة الثانية إلى

---

(١) فى المطبوعتين: «نقد» ولا وجه له.
(٢) الأزرقى ١/ ٢٨٩.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٩٠.

الأسطوانة الثالثة أربعة أذرُع ونصف، وذرع ما بين الأسطوانة الثالثة إلى الجدار الذى يلى الحجر ذراعان وثمان أصابع[١]. انتهى.

وقد حرَّر ذرع الكعبة الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراقة العامرى فى كتابه «دلائل القبلة» لأنه قال: اعلم أن الكعبة البيت الحرام مربعة البنيان، فى وسط المسجد، ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعًا، وعرض الجدار من جهها قرابة أربعة وعشرين ذراعًا، وهو بناء الحجاج بن يوسف الثقفى، وكان عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما حين ولى مكة جعل عرضه ثلاثين ذراعًا يزيد على ذلك أقل من ذراع، بعد[٢] أن كشف عن قواعد إبراهيم الخليل عليه السلام وبنى عليها، ثم قال: وعرض وجهها وهو الذى فيه بابها أربعة وعشرون ذراعًا، وعرض مؤخرها مثل ذلك، وعرض جدارها الذى يلى اليمن، وهو فيما بين الركن اليمانى والركن العراقى، وهو الذى فيه الحجر الأسود عشرون ذراعًا، ثم قال: وعرض جدارها الذى يلى الشام، وهو الذى فيما بين الركن الشامى والركن العراقى واحد وعشرون ذراعًا. انتهى[٣].

وإنما ذكرنا ما ذكره ابن سراقة العامرى من ذرْع الكعبة لأن فيه مخالفة لما ذكره الأزرقى فى ذرْع شقها الشرقى وشقها الغربى، وذلك ينقص عما ذكره الأزرقى فى ذرْع ذلك ذراعًا، وفى النسخة التى رأيتها من كتاب ابن سراقة لحن فى التعبير عن ذرْع بعض ما نقلته عنه، فكتبته هنا على ما وجدته فى النسخة وذلك واضح لمن تأمله.

وذكر ابن جبير فى أخبار رحلته ما يستغرب فى طول الكعبة، لأنه ذكر أن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيـــبـــى زعيم الشيبيين الذين هم سدانة البيت أخبره أن ارتفاعه فى الهواء من الصَّفْح[٤] الذى يقابل باب الصفا وهو بين

---

(١) الأزرقى ١/ ٢٩٢.

(٢) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «وبعد».

(٣) تاريخ الكعبة المعظمة لباسلامة ص٩٧.

(٤) الصفح: الجانب والوجه.

الحجر الأسود واليمانى تسع وعشرون ذراعًا وسائر الجوانب ثمان وعشرون بسبب انصباب السطح إلى الميزاب[١]. انتهى بنصه.

وما عرفت كيف يستقيم هذا الذرع، وذكر ذرْع جهات الكعبة وأمورًا يتعلق بها بالأقدام والخطا، وقد ذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب.

وذكر ابن خرداذبه فى عرض الكعبة ما يخالف ما ذكره الأزرقى لأنه قال عند ذكر الكعبة، طول البيت أربعة وعشرون ذراعًا وشبْر فى ثلاثة وعشرين ذراعًا وشِبْر، ثم قال: وسُمكه فى السماء سبعة وعشرون ذراعًا[٢]. انتهى.

وهذا الكلام يقتضى أن قوله أولاً طول البيت المراد به عرضه لقوله فيما بعد: وسمكه فى السماء فإن هذا ذرْع طوله، وإذا تقرر ذلك فإن أراد ابن خرداذبه بقوله: طول البيت بيان ذرع شقه الشرقى والغربى فقد خالف الأزرقى فى ذلك، لأن الأزرقى ذكر أن ذرع كل من هذين الشقين خمسة وعشرون ذراعًا، وإن أراد بذلك بيان ذرع شقها الشامى واليمانى، فقد خالف فى ذلك ما ذكره الأزرقى، لأنه ذكر أن ذرع الشق الشامى واحد وعشرون واليمانى عشرون، والوجه الأول أقرب إلى مراد ابن خرداذبه، وإنما ذكرناه لغرابته، والله أعلم.

وقد حرر طول الكعبة من داخلها وخارجها القاضى عز الدين ابن جماعة بذراع القماش المستعمل بمصر فى زمنه، وهو المستعمل فى زمننا، وذلك فى سنة ثلاث[٣] وخمسين وسبعمائة فقال فيما أخبرنى به عنه خالى رحمهما الله: ارتفاعها[٤] من أعلى الملتزم إلى أرض الشاذروان ثلاثة وعشرون ذراعًا ونصف ذراع وثلث ذراع، وبين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين الركن الشامى،

---

(١) رحلة ابن جبير ص٥٦.

(٢) المسالك والممالك ص١٣٢.

(٣) فى متن هـ: «فى سنة ثمان وخمسين» وبهامشها: «فى طبعة د/ تدمرى ١/ ١٧٨ «ثلاث» وهو خطأ.

قلت: الخطأ ما فى متن هـ. والصواب ما فى متن طبعة د. تدمرى، ومثله فى الأصل، وتاريخ الكعبة المعظمة ص٩٨ نقلا عن المؤلف.

(٤) تحرف فى هـ إلى: «ارتفاعهما» وصوابه من الأصل.

ويقال له العراقى من داخل الكعبة ثمانية عشر ذراعًا وثلث أذرع وقيراطان، ومن خارجها خمسة أذرع وثُلث، وعرضه من داخلها ثلاث أذرُع ورُبع وثُمن، ومن خارجها ثلاثة أذرع وربع، وعرض العتبة نصف ذراع وربع.

وارتفاع الباب الشريف عن أرض الشاذروان ثلاثة أذرُع وثُلث وثمن، ومن الركن الشامى والغربى من داخل الكعبة خمسة عشر ذراعًا وقيراطان، ومن خارجها ثمانية عشر ذراعًا ونصف وربع، وبين الغربى واليمانى من داخلها ثمانية عشر ذراعًا وثلثًا ذراع وثمن ذراع، ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعًا، ومن الركن اليمانى والركن الأسود، ومن داخلها خمسة عشر ذراعًا وثلث ذراع، ومن خارجها تسعة عشر، بتقديم التاء على السين، وربع. انتهى.

ووقع فيما ذكره ابن جماعة تسمية الركن الشامى الذى يلى وجه الكعبة بالعراقى، وذلك يخالف ما ذكره ابن سراقة فى الركن العراقى، ورأيت ما يدل لما ذكره ابن جماعة كما سيأتى ذكره فى الباب الخامس عشر من هذا الكتاب.

وذكر ابن جبير فى غير موضع من رحلته ما يوافق ما ذكره ابن جماعة فى ذلك(١)، والله أعلم.

وقد حرّرت ما حرّره الأزرقى وابن جماعة من ذرع الكعبة، مع أمور أخر تتعلق بها، وفيما حررناه مخالفة لبعض ما حرره.

ونذكر ما حرّرناه لبيان معرفة الاختلاف، ومعرفة أمور أُخر تتعلق بالكعبة حرّرناها لم يحررها الأزرقى ولا ابن جماعة، وكان تحريرنا لذلك بذراع الحديد الذى حرّر به ابن جماعة، ومنه يظهر معرفة ما حرّره الأزرقى، لأن تحريره كان بذراع اليد، وهو ينقص عن ذراع الحديد ثُمن ذراع بالحديد كما تقدم بيانه فى باب حدود الحرم، واتفق تحريرنا لذلك فى ضحوة يوم الجمعة ثانى عشر ربيع [الآخر سنة أربع عشرة وثمانمائة](٢).

---

(١) رحلة ابن جبير ص٥٦ وما بعدها.

(٢) ساقط من هـ.

ذكر ذَرْع الكعبة من داخلها بذراع الحديد

طول جدارها الشرقي فى السقف الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعًا، بتقديم السين، ونصف ذراع إلاَّ قيراطًا، وعرضه من الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى جدار الدرجة الذى فيه بابها خمسة عشر ذراعًا وثُمن ذراع، وذرْع بقية هذا الجدار يُعرف تقريبًا من جدار الدرجة الغربي، لكونه فى محاذاة بقية هذا الجدار، وذرْع جدار الدرجة الغربي المشار إليه ثلاثة أذرع وقيراط فيكون ذرْع الجدار الشرقى على التقريب ثمانية عشر ذراعًا وسُدس ذراع.

وطول الجدار الشامى من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعًا بتقديم السين أيضًا، وعرض هذا الجدار من جدار الدرجة الغربي إلى ركن الكعبة الغربي أحد عشر ذراعًا وقيراط، وذرع بقيّة هذا الجدار يُعرف تقريبًا من جدار الدرجة اليمانى، لكونه فى محاذاة بقية هذا الجدار، وذرْع جدار الدرجة المشار إليه ثلاثة أذرُع إلاَّ ثُمنًا، فيكون ذرْع الجدار الشامىّ على التقريب أربعة عشر ذراعًا إلا قيراطين.

وطول جدارها الغربى من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعًا بتقديم السين أيضًا، وربُع ذراع وثُمن ذراع، وعرض هذا الجدار من الركن الغربي إلى الركن اليمانى ثمانية عشر ذراعًا وثلث ذراع.

وطول جدار الكعبة اليمانى من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعًا بتقديم السين ونصف ذراع وقيراطين، وعرض هذا الجدار من الركن اليمانى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود أربعة عشر ذراعًا وثلثا ذراع.

ومن وسط جدار الكعبة الشامى إلى وسط جدارها اليمانى ثمانية عشر ذراعًا وثلث.

ومن وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى أربعة عشر ذراعًا ونصف ذراع وثُمن ذراع، وما بين الجدار الشرقى وبين كرسىّ الأسطونة الأولى التى تلى اليمن، وباب الكعبة سبعة أذرع، بتقديم السين على الباء، وثُمن، وكذلك ما بينه وبين كرسىّ الأسطوانة الوسطى، وما بينه وبين كرسى الأسطوانة التى تلى

الحجر سبعة أذرُع بتقديم السين أيضًا وقيراط، وبين كلٍّ من كراسى هذه الأساطين وما يقابله من الجدار الغربى سبعة أذرع، بتقديم السين أيضًا، إلاَّ أنه ينقص فى ذرْع ما بين كرسى الأسطوانة الوسطى، وما يحاذيها من الجدار الغربى المذكور قيراطين، وبين كرسي الأسطوانة الأولى التى تلى باب الكعبة، وبين جدار الكعبة اليمانى أربعة أذرُع وثُلث، وما بين كرسيها وكرسى الأسطوانة الوسطى أربعة أذرع وربُع وثُمن، وما بين كرسى الوسطى وكرسى الأسطوانة الثالثة التى تلى الحجر بسكون الجيم أربعة أذرُع ونصف، وما بين كرسى هذه الأسطوانة الثالثة والجدار الشمالى الذى يليها ذراعان وربع.

وذرْع تدوير الأسطوانة الأولى التى تلى الباب ذراعان[1] وربُع وثُمن، وذرْع تدوير الوسطى ذراعان ونصف ذراع وربُع ذراع، وذرْع تدوير الأسطوانة التى تلى الحجر ذراعان ونصف وقيراطان، وهى مثمَّنة، وطول فتحة الباب من داخله مع الفياريز ستة أذرع، طوله من خارجه بغير الفياريز ستة أذرع إلاَّ ربع وذرع فتحة الباب من داخل الكعبة مع الفياريز ثلاثة أذرع وثلث إلاَّ قيراط، وطول كل من فردتى الباب ستة أذرع إلا ثُمن، وعرض كل منهما ذراعان إلاَّ ثلث، وذرْع عرض القبّة ذراع إلاَّ ربع، وسعة فتحة باب الدرجة الذى يُصعَد منه إلى أعلى الكعبة من أسفله ذراع وقيراطان، ومن أعلاه ذراع وثُمن، وارتفاع الباب عن الأرض ذراعان ونصف ذراع وسُدس ذراع وثُمن ذراع.

ذكر ذرْع الكعبة من خارجها بذراع الحديد

طول جدارها الشرقى من أعلى الشاخص على سطحها إلى أرض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعًا وثُمن ذراع، وعرض هذا الجدار من الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامى الذى يقال له العراقى أحد وعشرون ذراعًا وثُلث ذراع، ومن عتبة باب الكعبة إلى أرض الشاذروان تحتها ثلاثة أذرُع ونصف، وارتفاع الشاذروان تحتها رُبع ذراع وقيراط، وطول جدارها الشامى من أعلى

(١) فى هـــ: «ذراعا».

الشاخص فى سطحها إلى أرض الحجر ثلاثة وعشرون ذراعًا إلا ثمن ذراع، وعرض هذا الجدار من الركن الشامى إلى الركن الغربى سبعة عشر ذراعًا بتقديم السين ونصف ذراع ورُبع ذراع، وطول جدارها الغربى من أعلى الشاخص فى سطحها إلى الأرض ثلاثة وعشرون ذراعًا، وعرض هذا الجدار من الركن الغربى والركن اليمانى أحد وعشرون ذراعًا وثلثا ذراع، وطول جدارها اليمانى من أعلى الشاخص فى سطحها إلى الأرض كالجهة الشرقية ثلاثة وعشرون ذراعًا وثمن ذراعًا، وعرض هذا الجدار من الركن اليمانى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود ثمانية عشر ذراعًا وسُدس ذراع.

ذكر ذرْع سطح الكعبة

من وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى أربعة عشر ذراعًا ورُبع ذراع وثُمن ذراع، ومن وسط جدارها الشامى إلى وسط جدارها اليمانى ثمانية عشر ذراعًا إلاَّ ذراع، وارتفاع الشاخص فى الجهة الشرقية ذراع إلاَّ ثُمن، وعرضه ذراعان إلاَّ سُدُس، وارتفاع الشاخص فى الجهة الشامية ذراع وثمن، وعرضه ذراعان إلاَّ ثُمن، وارتفاع الشاخص فى الجهة الغربية ذراع، وعرضه ذراع ونصف وثمن، وارتفاع الشاخص فى الجهة اليمانية ثُلُثا ذراع، وعرضه ذراع ونصف وقيراط، وما ذكرناه فى ذرع عرض الكعبة من داخلها وخارجها ينقص عما ذكره ابن جماعة فى ذلك.

وما ذكرناه فى طولها من خارجها ينقص عما ذكره ابن جماعة فى ذلك، لأن ما ذكرناه ينقص فى طولها من خارجها ثلثى ذراع وقيراطًا، وينقص فى ذرع عرض جدارها الشرقى من خارجها ذراعين إلاَّ قيراطين، وينقص فى عرضه من داخلها نصفًا وقيراطًا، وينقص فى ذرع عرض جدارها الشامى من خارجها ذراعًا، وينقص من عرضه من داخلها ذراعًا وسُدسًا، وينقص فى ذرْع عرض جدارها الغربى من خارجها ذراعًا وثُلث ذراع، وينقص فى عرضه من داخلها ثلث ذراع وثُمن ذراع، وينقص فى ذرع عرض جدارها اليمانى من خارجها

ذراعًا وقيراطين، وينقص فى عرضه من داخلها ثلثى ذراع، وكل ذلك بذراع الحديد.

ذكر شاذروان الكعبة وحكمه
وشىء من خبر عمارته

أما شاذروان الكعبة فهو الأحجار الملاصقة بالكعبة التى عليها البناء المسنم المرخم فى جوانبها الثلاثة: الشرقى والغربى واليمانى وبعض حجارة الجانب الشرقى لا بناء عليه، وهو شاذروان أيضًا، وأما الحجارة الملاصقة بجدار الكعبة الذى يلى الحجر فليست شاذروانًا، لأن موضعها فى الكعبة بلا ريب كما سبق بيانه.

والشاذروان هو ما نقصته قريش من عرض جدار أساس الكعبة حتى ظهر على الأرض كما هو عادة الناس فى الأبنية، أشار إلى ذلك الشيخ أبو حامد الإسْفرايينى وابن الصلاح والنووى، ونقل ذلك عن جماعة من الشافعية وغيرهم والمحبّ الطبرى، وذكر أن الشافعى أشار إلى ذلك فى «الأم» ونقل عنه أنه قال: إن طاف عليه أعاد الطواف. انتهى.

وقد اختلف العلماء فى حكم الشاذروان، فذهب الشافعى وأصحابه إلى وجوب الاحتراز منه وعدم إجزاء طواف من لم يحترز منه، وهو مقتضى مذهب مالك على ما ذكر ابن شاس[1] وابن الحاجب وشارحه الشيخ خليل وتلميذه صاحب الشامل وغيرهم من متأخرى المالكية، وأنكر ذلك بعض متأخرى المالكية ولم يثبته فى المذهب، ومذهب الحنابلة أن الاحتراز منه مطلوب، إلاّ أن عدم الاحتراز لا يفسد الطواف، ومذهب أبى حنيفة أنه ليس من البيت على مقتضى ما نقل القاضى شمس الدين السروجى من الحنفية عنهم وهو اختيار جماعة من محققى العلماء على ما ذكر القاضى عز الدين بن جماعة.

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى «ابن شاش».

قلت: ينبغي الاحتراز منه لأنه إن كان من البيت كما قيل، فالاحتراز منه واجب، وإلاّ فلا محذور فى ذلك، كيف والخروج من الخلاف مطلوب، وهو هنا قوىّ، والله أعلم.

وبعض الناس يعارض القول بأنّ الشاذروان من البيت، بكون ابن الزبير ﷺ بنى البيت على أساس إبراهيم ﷺ كما جاء فى خبر بنيانه، وهذا المعارض لا يخلو من حالين[1]: **أحدهما**: أن يدعى أن ابن الزبير استوفى البناء على جميع أساس جدران البيت بعد ارتفاعه عن الأرض، **والآخر**: أن يدعى أن البناء إذا نقص من عرض أساسه بعد ارتفاعه عن الأرض لا يكون مبنيًّا على أساسه، والأول لا يقوم عليه دليل لأن ما ذكر من صفه بناء ابن الزبير البيت لا يقتضى أن يكون بناء البيت مستوفيًا على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها عن الأرض، ولا ناقصًا عن أساسها، ووقوع هذا فى بيانه أقرب من الأول، لأن العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لما فى ذلك من مصلحة البناء، وإذا كان هذا مصلحة البناء فلا مانع من فعله فى البيت لما بنى فى زمن ابن الزبير ﷺ، والله أعلم.

نعم فى بِنَاءِ ابن الزبير له على أساس إبراهيم دليل واضح على أنه أدخل فى البيت ما أخرجته منه قريش فى الحجر، فإنه بنى ذلك على أساس إبراهيم لا أساس قريش.

والثانى غير مسلم، لأن الجدار إذا اقتصر من عرضه بعد ارتفاعه عـــن الأرض لا يخرجه ذلك عن كونه مبنيًّا على أساسه، وهذا مما لا ريب فيه وإنكاره مكابرة، والله أعلم.

ولم أدر متى كان ابتداء البناء فى الشاذروان، ولم يُبْن مرّة واحدة وإنما بُنى دفعات، منها فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ولم أدر ما بُنى منه فى هذه السنة، ومنها فى سنة ست وثلاثين وستمائة، على ما ذكر ابن خليل فى منسكه، وبيّض[2] لما بين سنة وثلاثين، وذكر أن فى هذه السنة خُتم الشاذروان عند الحجر الأسود، ومنها فى آخر عُشر الستين وستمائة أو فى أوائل عُشر السبعين وستمائة، لأنّ

---

(١) فى م، هـــ: «حالتين».

(٢) فى المطبوعتين: «وينص لما» ولا وجه له.

القاضى بدر الدين ابن جماعة ذكر أنه رأى الشاذروان فى سنة ست وخمسين وستمائة، وهو[1] مصطبة يطوف عليها بعض العوام، ورآه فى سنة إحدى وستين وقد بُنى عليه ما يمنع من الطواف عليه على هيئته[2] اليوم، هكذا نقل عنه ولده القاضى عز الدين، فيما أخبرنى به عنه خالى، رحمهم الله تعالى.

وذكر القاضى عز الدين ابن جماعة فيما أخبرنى عنه خالى أيضًا، أن ارتفاع الشاذروان عن أرض المطاف فى جهة باب الكعبة ربع ذراع وثُمن ذراع، وعرضه فى هذه الجهة نصف وربع.

وذكر الأزرقى أن طول الشاذروان فى السماء ستة عشر أصبعًا، وعرضه ذراع. انتهى[3].

وقد نقص عرضه كما ذكر الأزرقى فى بعض الجهات وأفتى المحب الطبرى عالم الحجاز فى وقته، بوجوب إعادة مقداره على ما ذكره الأزرقى، وله فى ذلك تأليف نحو نصف كراس سماه «استقصاء البيان فى مسألة الشاذروان».

ذكر حلية الكعبة المعظمة ومعاليقها

أول من حلاها فى الجاهلية على ما قيل عبد المطلب جدّ النبىّ ﷺ بالغزالين الذهب اللذيْن وجدهما فى زمزم حين حفرها، ذكر ذلك الأزرقى واضطرب كلامه فى أول من حلاها فى الإسلام، فنقل عن جدّه أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أول من ذهب البيت فى الإسلام، وذكر فى موضع آخر بما يخالف ذلك لأنه قال: وبعث عبد الملك بن مروان بالشمسيتين، وقدحين من قوارير، وضرب على الأسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفايح[4]. انتهى.

---

(١) فى المطبوعتين: «وهى».
(٢) فى المطبوعتين: «على هيئة اليوم».
(٣) الأزرقى ١/ ٣٠٩.
(٤) الأزرقى ١/ ٢١١، ٢٢٤.

وذكر المسبحى ما يقتضى خلاف ما ذكره الأزرقى فى أول من حلى الكعبة فى الإسلام، لأنه قال فى أخبار سنة خمس وستين من الهجرة: وفيها استتم ابن الزبير بناء الكعبة، ويقال: إنه بناها بالرصاص المذوَّب المخلوط بالورس، وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب ومفاتيحها ذهبا[١]. انتهى. نقلت ذلك هكذا من خط الحافظ رشيد الدين ابن الحافظ ركن الدين المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى، وإنما ذكرنا ذلك بنصه لما فيه من إفادة تاريخ عمارة ابن الزبير للكعبة، ولما فيه من أنه بناها بالرصاص مع الورس، وذلك مما لم يذكره الأزرقى فى خبر عمارته، والله أعلم.

[وقال الفاكهى فى الأوليات بمكة: وأول من عمل الذهب على باب الكعبة فى الإسلام: عبد الملك بن مروان[٢]. اهـ.

وذكر الفاكهى أن الوليد بن عبد الملك أول من جعل الذهب على ميزاب الكعبة[٣]. اهـ.][٤].

وذكر الأزرقى صفة الحلية التى عملت بأمر الوليد ومقدارها لأنه قال: فلما كان فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسْرى بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابى الكعبة صفائح الذهب، وعلى ميزاب الكعبة، وعلى الأساطين التى فى باطنها وعلى الأركان فى جوفها[٥].

وذكر الأزرقى أن الأمين محمد بن هارون الرشيد الخليفة العباسى أرسل إلى سالم بن الجراح[٦] عامل له على صوافى[٧] مكة بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٧٧، وتحرف فى المطبوعتين إلى: «ومفاتحها ذهب».
(٢) الفاكهى ٣/ ٢٣٧.
(٣) الفاكهى ٣/ ٢٤٢.
(٤) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٥) الأزرقى ١/ ٢١٢.
(٦) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الخجاج» وصوابه من الأصل والأزرقى والجامع اللطيف.
(٧) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «موالى» وهو تحريف قبيح، وصوابه من الأصل والأزرقى.

صفايح الذهب على بابي الكعبة، فقلع ما كان على الباب من الصفايح، وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار، فضرب عليه الصفائح التى هى عليه اليوم، يعنى فى زمنه، والمسامير وحلْقَتَىْ باب الكعبة، وعلى الفياريز والعتب[1].

وذكر الأزرقى أن الحَجَبَة كتبوا إلى الخليفة المتوكل العباسى رقعة ذكروا فيها أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبَّستان ذهبًا وزاويتين فضة، وأن ذلك لو كان ذهبًا كله كان أحسن وأزين، وأن قطعة مركبة على بعض جدران الكعبة شبه المنطقة فوق الإزار الثانى من الرخام، وذكروا أنه لو كان بدل تلك القطعة فضة مركبة فى أعلى إزار الكعبة فى تربيعها كان أبهى وأحسن، وذكر الأزرقى أن المتوكل أنفذ لعمل ما كتب به إليه إسحاق بن سلمة الصائغ.

قال: وعمل إسحاق الذهب على زاويتى الكعبة من داخلها فكان ما كان هنالك من الفضة ملبسًا وكسر الذهب الذى كان على الزاويتين الباقيتين وأعاد عمله فصار ذلك أجمع على مثال واحد منقوشة مؤلفة ثابتة وعمل منطقة من فضة، وركبها فوق إزار الكعبة فى تربيعها كلها منقوشة مؤلفة جليلة ثابتة يكون عرض المنطقة ثلثى ذراع، وجعل لها طوقًا من ذهب منقوشًا متصلاً بهذه المنطقة، ثم قال: وفى أعلى هذه المنطقة رخام منقوش، فألبس ذلك الرخام ذهبًا رقيقًا من الذهب الذى يُتَّخذ للسقوف، قال: وكان فى الجدار الذى فى ظهر الباب يمنة من دخل الكعبة رزّة كُلاّب من صُفْر[2] يُشَدّ به الباب إذا فتح بذلك الكلاب، لئلا يتحرك عن موضعه، فقلع ذلك الصفر وصير مكانه فضة، وألبس ما حول باب الدرجة فضة مضروبة، قال: وكانت عتبة الباب السفلى قطعتين من خشب الساج قد رَثّتا ونُخِرَتا من طول الزمان عليهما، فأخرجهما وصيّر مكانهما قطعة واحدة من خشب الساج وألبسها صفائح فضة.

---

(١) الأزرقى ١/ ٢١٢.

(٢) الصُفْر: النحاس، وضبطت فى هـ ضبط قلم: «الصُّفَّر»!.

قال الأزرقي: وأخبرني إسحاق بن سلمة الصايغ أنه بلغ ما كان في الزوايا من الذهب والطوق الذي حول الجزعة نحو من ثمانية آلاف مثقال، وأن ما في منطقة الفضة وما كان على عتبة الباب السفلي من الصفائح وعلى كرسي المقام من الفضة نحو من سبعين ألف درهم، وما ركب من الذهب الرقيق على جدران الكعبة وسقفها نحو من مائة حق يكون في كل حق خمسة مثاقيل، هذا ما ذكره الأزرقي في خبر حلية الكعبة[1].

وأفاد السهيلي في تحلية الوليد بن عبد الملك للكعبة أمرًا لم يفده الأزرقي، وفي كلامه ما يقتضي أنه ليس أول من حلاها في الإسلام، ولنذكر كلامه لإفادة ذلك، ونصه:

ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد في حليتها، وصرف في ميزابها وسقفها ما كان في مائدة سليمان عليه السلام من ذهب وفضة، وكانت قد احتُملت على بغل قوي فتفسخ تحتها، فضربَ منها الوليد حلْية الكعبة، وكانت قد احتُملت إليه من طُلَيْطِلَة من جزيرة الأندلس، وكانت لها أطواق من ياقوت وزبرجد[2]. انتهى.

ولنذكر ما علمناه من خبر حليتها بعد الأزرقي على الترتيب، فمن ذلك أن وفد الحَجَبَة كتبوا إلى الخليفة المعتضد العباسي يذكرون أن بعض عمال مكة كان قد قلع ما على عضادَتَيْ باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير واستعان به على حرب وأمور كانت بمكة بعد العلوي الخارجي بها في سنة إحدى وخمسين ومائتين.

فكانوا يسترون العضادتين بالديباج، وأن بعض العمال بعده قلع مقدار الربع من أسفل ذهب بابَي الكعبة وما على الأنف، واستعان به على فتنة كانت بين الحناطين والجزارين بمكة في سنة اثنتين وستين ومائتين، وجعل ذلك فضةً مضروبة مموَّهة بالذهب، على مثال ما كان عليها، فإذا تمسح به في أيام الحج، بدت الفضة حتى تجدد تمويهها في كل سنة، وأن المعتضد أمر بعمل ذلك، وعمل ما رُفع إليه،

---

(١) الأزرقي ١/ ٣٠١.
(٢) السهيلي ١/ ٢٤٣.

فعمل ذلك، ومن ذلك أن أم المقتدر الخليفة العباسى أمرت غلامها لؤلؤًا بأن يلبس جميع الأسطوانة الأولى التى تلى باب الكعبة الذهب، لأن التى تليها كانت ملبَّسة بصفائح الذهب، وبقيتها مموهة، وذلك فى سنة عشر وثلاثمائة، ومن ذلك أن الوزير جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور، المعروف بالجواد، وزير صاحب مصر أنفذ فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة رجلاً من جهته يقال له الحاجب، ومعه خمسة آلاف دينار لعمل صفائح الذهب والفضَّة فى داخل الكعبة وفى أركانها.

وممن حلاها الملك المظفر صاحب اليمن وحِلْيته لبابها، وقد تقدم مقدار الحلية التى كانت على الباب الذى صنعه لها، وحلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن، وأُخبِرْتُ عمن رأى اسم الملك المجاهد مكتوبا بقلم غليظ فى أعلى الحائط الذى فوق باب الكعبة من داخلها، وقد تقدم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى صاحب مصر حلَّى باب الكعبة الذى عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وثلاثمائة درهم، وأن حفيده الملك الأشرف شعبان بن حسين حلى باب الكعبة فى سنة ست وسبعين وسبعمائة، فهذا ما علمته من حِلْية الكعبة بعد الأزرقى.

ذكر معاليق الكعبة وما أهدى إليها فى معنى الحلية

قال المسعودى فى أخبار الفُرس: وكانت الفُرس تُهدى إلى الكعبة أموالاً فى صدر الزمان وجواهر، وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفًا وذَهَبًا كثيرًا، فدُفن فى زمزم، وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السِّيَر أن ذلك كان لجُرْهُمْ حين كانت بمكة، وجُرْهُمْ لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها، ويُحتمل أن يكون لغيرها، والله أعلم. انتهى.

ويقال: إن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَى بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة القُرَشىّ أول من جعل فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة، وذكر ذلك صاحب «المورد العذب الهنى».

وذكر الأزرقى رحمه الله أشياء أهديت للكعبة لأنه قال: حدثنا محمد بن يحيى عن الواقدى عن أشياخه قال: لما فتح عمر بن الخطاب ﷺ مداين كسرى كان مما

بعث إليه هلالان، فبعث بهما من يعلقهما فى الكعبة، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمسيتين وقَدَحَيْن من قوارير، ثم قال: وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين، وبعث الوليد بن يزيد بالسرير الزينبى، وبهلالين، ثم قال: وبعث أبو العباس، يعنى السفاح، بالصحفة الخضراء، وبعث أبو جعفر، يعنى أخاه المنصور، بالقارورة الفرعونية، وبعث المأمون بالياقوتة التى تعلق كل سنة فى وجه الكعبة فى الموسم سلسلة من ذهب، وبعث أمير المؤمنين جعفر المتوكل بشمسية عملتها من ذهب، مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد، وسلسلة تعلّق فى وجه الكعبة فى كل موسم.

وقال الأزرقى: حدثنى سعيد بن يحيى البلخى قال: أسلم ملك من ملوك التّبت وكان له صنم من ذهب يعبده فى صورة إنسان، وكان على رأس الصنم تاج من ذهب مكلّل بخرز الجواهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد، وكان على سرير مرتفع عن الأرض على قوائم، والسرير من فضة، وعلى السرير فرشة الديباج، وعلى أطراف الفرش آزار من ذهب وفضة مرخاة، والآزار على قدر الكرسى فى وجه السرير، فلما أسلم ذلك الملك، أهدى السرير والصنم إلى الكعبة، هذا ما ذكره الأزرقى فى معاليق الكعبة، وما أهدى إليها فى معنى الحلية.

ومما أهدى لها من هذا القبيل فى عهد الأزرقى، ومما لم يذكره: قفل فيه ألف دينار، أهداه إليها المعتصم العباسى، ذكر ذلك الفاكهى لأنه قال: ذِكْر قفل الكعبة، وقال بعض المكيين: إن أمير المؤمنين المعتصم بالله بعث إلى الكعبة بقفل فيه ألف دينار فى سنة تسع عشرة ومائتين، وعلى مكة يومئذ صالح بن العباس، فأرسل صالح إلى الحَجَبَة فدعاهم ليقبضهم القفل، فأبى الحجبة أن يأخذوه، فأجبرهم على ذلك، وأراد أن يأخذ قفلها [الأول ويرسل به إلى الخليفة فكلموه فتركه عليهم، وأذن لهم فى الخروج إليه، فخرجوا إليه فكلموه فيها فترك قفلها][1] هذا الذى عليها، وأعطاهم القفل الذى كان بعث إليها، فقسموه بينهم. انتهى.

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

وذكر المسبحى هذا القفل، وفيما ذكره ما يُفْهَم منه غير ما ذكره الفاكهى: لأنه قال فى أخبار سنة تسع عشر ومائتين وفيها وصل طاهر بن عبد الله بن طاهر حاجًّا فى عدد كثير من الجند بقفل فيه ألف مثقال من ذهب، فقفل به البيت ونزع قفله الذى كان عليه، وكان مطليًّا، ويقال: إن الحجاج عمله. انتهى. نقلت ذلك من خط الرشيد بن المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى.

ومما أهدى لها من هذا القبيل فى عهد الأزرقى أو بعده بقليل، طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت وغير ذلك، مع ياقوتة خضراء كبيرة، ذكره الفاكهى، لأنه قال: وأسلم ملك من ملوك السند فى سنة تسع وخمسين ومائتين، فبعث إلى الكعبة بطوق من ذهب فيه مائة مثقال مكلل بالزمرد والياقوت وبالماس، وياقوتة خضراء وزنها أربعة وعشرون مثقالاً، فدفعها إلى الحَجَبَة، فكتبوا فى أمرها إلى أمير المؤمنين المعتمد على الله، وأخذوا الدُّرَّة فأخرجوها وجعلوها فى سلسلة من ذهب، وجعلوها فى وسط الطوق مقابلة الياقوت والزُمرُّد، فجاء كتاب أمير المؤمنين بتعليقها، فعلقت مع معاليق الكعبة فى سنة تسع وخمسين ومائتين. انتهى.

ومما عُلِّق فى الكعبة فى عهد الأزرقى أو بعده بقليل، قصبة من فضة فيها كتاب، فيه بيعة جعفر بن المعتمد وبيعة أبى أحمد الموفق، ذكر ذلك الفاكهى، لأنه قال: ثم قدم الفضل بن عباس الهاشمى مكة فى موسم سنة إحدى وستين، ومعه كتاب فيه بيعة جعفر ابن أمير المؤمنين المعتمد، وبيعة أبى أحمد الموفق بالله أخى أمير المؤمنين المعتمد على الله، فعمل لذلك قصبة من فضة، فيها ثلاثمائة وخمسون درهمًا فضة، ثم أدخل الكتاب فيها، وجعل على رأس القَصَبَة ثلاث رزات، وجعل للرزات ثلاث سلاسل من فضة، ثم دخل الكعبة يوم الاثنين لأربع ليالٍ خَلَوْن من صفر، ومعه محمد بن يحيى صاحب شرطته، وهو يومئذ على الخَرَاج والبريد والصوافى، فأقاما فيها حتى علقت هذه القصبة مع معاليق الكعبة، وذلك فى صفر سنة اثنتين وستين ومائتين. انتهى.

وأفاد الفاكهى فى صفة الياقوتة التى بعثها المأمون ما لم يفده الأزرقى، وهى أنها أكبر من الدُّرة اليتيمة، لأنه قال: وبعث أمير المؤمنين المأمون بالياقوتة التى

كانت تعلق كل سنة فى وجه الكعبة بسلسلة من ذهب، وهى أكبر من الدرة اليتيمة، حدثنى حسن بن حسين الأزدى، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع قال: وَزَنْتُ الدُّرّة اليتيمة، فإذا وزنها مثقالان ونصف ورُبع وعُشر. انتهى.

ومما أهدى لها من هذا القبيل بعد الأزرقى قناديل بعث بها المطيع العباسى، كلها فضة، خلا قنديلاً منها كان ذَهَبًا، زنته ستمائة مثقال، وذلك فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة[١].

ومن ذلك قناديل ومحاريب أهداها إلى الكعبة صاحب عُمَان، على ما ذكر أبو عبيد البكرى فى كتاب «المسالك والممالك» ونص كلامه: وقد أهدى صاحب عُمان إلى الكعبة بعد العشرين وأربعمائة محاريب مبنية زِنة المحراب أزْيَدُ من قنطار، وقناديل فى نهاية الإحكام، وسُمِّرت المحاريب فى الكعبة مما يلى بابها[٢]. انتهى.

ومن ذلك قناديل ذهب وفضة، أهداها للكعبة الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ومن ذلك قفل ومفتاح أهداه إليها الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر، وركب عليها القفل المذكور.

ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش، كل حلقة وزنها ألف مثقال، وفى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات، وبينها ست قطع بلخش فاخر، بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خربندا[٣] ملك التتر على يد الخاجى بولاواج[٤] فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة، ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة منعه منه أمير الركب المصرى فى هذه السنة، وقال: هذا لا يمكن إلا بإذن السلطان، يعنى صاحب مصر، إذ ذاك وهو الناصر محمد بن قلاوون، فقال الخاجى مولاواخ: إن الوزير على شاه كان نَذَر متى ظفر بخواجه

---

(١) الجامع اللطيف ص١٠٦.
(٢) المسالك والممالك للبكرى ١/ ٣٧٠.
(٣) فى م: «خدا بنده» وفى هـ: «خرابنده» وكلاهما تحريف وصوابه من الأصل وإتحاف الورى.
(٤) تحرف فى المطبوعتين «مولاواخ» وصوابه من الأصل وإتحاف الورى.

رشيد الدولة وقتله أن يعلق على باب الكعبة حلقتين، فيقال إنه أذن له فى تعليقهما زمنًا قليلاً، ثم رُفعتا، وأخذهما إذ ذاك رميثة بن أبى نُمَىّ من آل قتادة.

ومن ذلك على ما أخبرنى به بعض فقهاء مكة: أربعة قناديل كبار، كل قنديل منها على ما ذكر فى مقدار الدورق، بمكة اثنان منها ذهبًا، واثنان فضة، والمُهدى لذلك هو السلطان شيخ أوَيْس صاحب بغداد، وذلك فى أثناء عشر السبعين وسبعمائة على ما ذكر، وذكر أن ذلك عُلّق فى الكعبة زمنًا قليلاً، ثم أزيل، وأخذه أمير مكة عجلان بن رميثة. انتهى بالمعنى.

وأهدى الناس بعد ذلك للكعبة قناديل كثيرة، والذى فى الكعبة الآن من المعاليق ستة عشر قنديلاً، منها ثلاثة فضة، وواحد ذهب، وواحد بلور، واثنان نحاس، والباقى زجاج حلبى، وهو تسعة بتقديم التاء.

وليس فى الكعبة الآن شىء من المعاليق التى ذكرها الأزرقى ولا مما لم يذكره مما ذكرناهُ سوى الستة عشر قنديلاً وليس فيها شىء من حلقة الذهب والفضة التى كانت فى أساطينها وجدرانها، بسبب توالى الأيدى عليه من الولاة، وغيرهم على ما ذكر الأزرقى فى تاريخه، ووقع ذلك بعده أيضًا، فمن ذلك ما وقع لأبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى حين خرج عن طاعة الحاكم بأمر الله، ودعا لنفسه بالإمامة وتلقب بالراشد، لأنه أخذ من حليتها وضربها دنانير ودراهم، وهى التى تسمى الفتحية، وأخذ بعد ذلك المحاريب التى أهداها للكعبة صاحب عُمَان.

ومن ذلك ما وقع لمحمد بن جعفر المعروف بابن أبى هاشم الحسينى، لأنه فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لما لم يصله شىء من جهة المستنصر العُبَيْدى صاحب مصر لاشتغاله عنه بما هو فيه من القحط الذى كاد بسببه أن يستولى الخراب على إقليم مصر(١).

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٤٧٢.

وقد ذكر الأزرقى فى عقوبة من اجترأ على ذلك وفى التحذير منه أخبارًا منها ما نقله عن جده أحمد بن محمد الأزرقى عن عبد الله بن زرارة أنه كان مال الكعبة يُدْعَى الأبرق، ولم يخالطه مال قط إلاّ محقه[1]، ولم يرزأ منه أحد إلاّ بان النقص من ماله، وأدنى ما يصيب صاحبه أن يشدد عليه الموت.

ومنها: أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة، فاشتد عليه النــزع جدًّا، حتى مكث أيامًا ينتزع نزعًا شديدًا، فقال له أبوه: لعلك أصبت من الأبرق شيئًا، يعنى مال بالكعبة، فقال: أربعمائة دينار، فأشهد أن عليه للكعبة أربعمائة دينار، فسرى عن الفتى، ثم لم يلبث أن مات[2]، هذا معنى الخبرين باختصار، وبالجملة فلا يجوز أخذ شيء من حلية الكعبة لا للحاجة ولا للتبرك، لأن ما جُعل للكعبة وسُبل لها جرى مجرى الأوقاف، ولا يجوز تغييرها عن وجوهها، أشار إلى ذلك المحب الطبرى فى «القرى» قال: وفيه تعظيم للإسلام وترهيب على العدو. انتهى.

ذكر كسوة الكعبة المعظمة

كُسيت الكعبة فى الجاهلية والإسلام أنواعًا من الكسى، منها الخصف والمعافر والملاء والوصائل والعصب، كساها ذلك تُبَّع الْحِمْيرى، على ما ذكر ابن إسحاق، وذكر ابن جُرَيْج أنه كساها العصب، وأنه أَول من كسا الكعبة كسوة كاملة، وذكر السُّهَيْلى أنه كساها المُسوحَ والأنطاع[3].

ومنها: على ما ذَكَرَتْ أم زيد بن ثابت الأنصارى مطارف خزّ خُضْر وصُفْر وكرار وأكسية من أكسية الأعراب، وسقاف شعر، ومنها على ما ذكر عمر بن الحكم السلمى، وصايل وأنطاع وكرار خز ونمارق عراقية.

---

(١) فى هـ: «ولم يخالط مالاً قط محقه» والمثبت رواية الأصل ومثلها لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) الأزرقى ١/ ٢٤٧.

(٣) الروض الأنف ١/ ٧٨.

ومنها: حبَرَات يمانية، كساها ذلك أبو ربيعة المخزومى، وكساها ذلك قريش حين بنوا الكعبة كما فى خبر أبى نجيح، وفى رواية أنهم كسوها حينئذ الوصايل، ومنها أنماط، فهذه كسوتها فى الجاهلية على ما ذكره الأزرقى[١]، وأما كسوتها فى الإسلام على ما ذكر الأزرقى فثياب يمانية كساها النبى ﷺ ذلك، وقباطى من مصر كساها ذلك عمر وعثمان، وكساها عثمان أيضًا بُرُودًا يمانية، وهو أول من ظاهر لها بين كسوتين.

وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب ما كان يُجَلِّل[٢] به بُدْنَه من القباطى والحبرات والأنماط، وكساها معاوية الديباج والقباطى والحبرات، فكانت تُكْسَى الديباجَ يوم عاشوراء والقباطىَ فى آخر رمضان للفطر.

وكساها يزيد بن معاوية الديباج الخسروانى، وكساها الديباج أيضًا ابن الزبير وعبد الملك بن مروان، ويقال فى كل من هؤلاء الثلاث إنه أول من كسى الكعبة الديباج، وكساها ابن الزبير حين فرغ من بنائها القباطى، وكساها المأمون ثلاث كُسًا، الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطى يوم هلال رجب، والديباج الأبيض

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٤٩ وما بعدها.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يُحَلِّى».

لدى الفاكهى ٥/ ٢٣٢ موضحا: «... عن ابن عمر أنه كان يكسو بُدْنَه القباطى والحبرات يوم يقلّدها، فإذا كان يوم النحر نزعها ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان فناطها على الكعبة» ومثله لدى ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف ص١٠٠، وكذا فى تاريخ الكعبة المعظمة ص١٨٦، ولدى ابن الأثير فى النهاية (جلل) ومنه حديث ابن عمر رضى الله عنهما «أنه كان يُجَلِّلُ بُدْنَه القَباطىَّ».

والبَدَنَة ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانا، وكانوا يسمّنونها لذلك، وجمعها بُدْن ــ وفى التنزيل ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾.

والجُلّ: ما تُلْبَسُهُ الدابةُ لتصان به.

ولدى الأزرقى ١/ ٢٥٣ مفسرا: «كان ابن عمر يكسو بدنه إذا أراد أن يحرم القباطى والحبرة، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها، فإذا كان يوم النحر نزعها ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان فناطها على الكعبة».

ولديه كذلك ١/ ٢٥٤: «كان ابن عمر يجلل بدنه بالأنماط فإذا نحرها بعث بالأنماط إلى الحجبة فيجعلونها على الكعبة قبل أن تكسى الكعبة.

الذى أحدثه المأمون يوم سبع وعشرين من رمضان للفطر، وهكذا كانت تُكْسَى فى زمن المتوكل العباسى، وكساها حسين الأفطس العلوى كسوتين من قز رقيق، إحداهما صفراء، والأخرى بيضاء أمر بعملها أبو السرايا، هذا ملخص بالمعنى مما ذكره الأزرقى فى كسوة الكعبة فى الجاهلية والإسلام.

وممن ذكر الأزرقى أنه كسا الكعبة أبو بكر الصديق ﷺ، ولم يذكر صفة كسوته، ولا وقت كسوة عبد الله بن عمر بن الخطاب للكعبة، ولا أن على بن أبى طالب كسا الكعبة(١)، ولم أر من صرح بأنه كساها، ولعله اشتغل عن ذلك بحروبه فى تمهيد أمر الدين مع الخوارج، والله أعلم.

ووقع فيما ذكره الأزرقى من كسوة الكعبة ذكره القباطى والوصايل والحَبْرات والعصب والأنماط.

فأما القباطى فهى جمع قبطية بالضم، وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض، كان منسوبًا إلى القبط، وهم أهل مصر، والضم فيها من تغيير النسب، وهذا فى الثياب، وأما فى الناس فقبطى بالكسر لا غير.

وأما الوصايل فثياب حُمْر مخطَّطة يمانية.

وأما الحَبرات فجمع حَبْرة، وهو ما كان من البُرُود مخطَّطًا يقال له: بُرْد حَبْرة، وبُرْد حَبْرٍ على الوصف وعلى الإضافة، وهو من ثياب اليمن.

وأما العصبُ فهو بُرُود يمانية يُعْصَب غَزْلُها، أى يُجْمَع ويُشَدُّ ثم يُصْبَغ ويُنْسَج فيأتى موشى(٢) لبقايا عصب منه أبيض لم يأخذه(٣) صبغ يقال له بُرد عصب وبُرود عصب بالتنوين والإضافة، وأما الأنماط فضرب من البُسُط، واحدها نمط، ذكر تفسير ذلك كله على ما ذكرنا من يُعتَمَد من العلماء.

---

(١) الأزرقى ١/ ٢٥٣.

(٢) فى ط تدمرى: «فنأى موسى» وفى طبعة النهى: «بنأى» وكلاهما تحريف قبيح صوابه من الأصل.

(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ثم يأخذه».

وممن كسا الكعبة على ما قيل ولم يذكره الأزرقى: إسماعيل النبى عليه السلام، أخبرنى خالى عن ابن جماعة قال: وقد روى عبد الرزاق، عن ابن جُرَيْج قال: وزعم بعض علمائنا أن أول من كسا الكعبة إسماعيل النبى عليه السلام، والله أعلم بذلك، انتهى باختصار.

ومنهم عدنان بن أد، وهو أول من كساها على ما قيل، لأن الزبير بن بكار قال فى كتابه «النسب» ويقال: إن عدنان بن أدّ خاف أن يُدْرَس الحَرَم، فوضع أنصابه، فكان أول من وضعها وأول من كسا الكعبة أو كُسيت فى زمانه. انتهى.

ومنهم خالد بن جعفر بن كلاب على ما ذكر السُّهَيْلى[1] نقلاً عن الماوردى، ونص كلام السُّهَيْلى بعد أن ذكر شيئًا فى كسوة الكعبة، ويزيد هنا ما ذكره الماوردى قال: أول من كسا الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كلاب وجد لطيمة تحمل البر، ووجد فيها أنماطًا فعلقها على الكعبة[2]. انتهى.

وسبقهما إلى ذلك الفاكهى لأنه قال: وحدثنا محمد بن أبى عمر وعبد الجبار ابن العلاء، يزيد أحدهما على صاحبه، فقالا: حدثنا سفيان عن مسعر عن خشرم قال: أصاب خالد بن جعفر لطيمة فى الجاهلية فيها نمط من ديباج، فأرسل به إلى الكعبة وبُسط عليها[3]. انتهى.

ومنهم أم العباس بن عبد المطلب كسَتْها الحرير والديباج على ما ذكر أبو عبيدة فيما نقله عنه ابن الحاج فى منسكه، ونقل عن أبى عبيدة أن سبب كسوها للكعبة أنها أضلت العباس صغيرًا، فنذرت إذا وجدته أن تكسو الكعبة، فلما وجدته كستها ذلك، وهى أول عربية كست الكعبة الديباج على ما ذكر السُّهَيْلى وغيره، وذكر الزبير بن بكار أن الذى أضلته أم العباس، ونذرت أن تكسو البيت إن رده الله عليها ابنها ضرار بن عبد المطلب، شقيق العباس، وذكر

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٤٣.
(٢) الأحكام السلطانية ص٢٠٥.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٣١.

أنها كانت تنشده بأبيات، ثم قال: فأتاها به رجل من الخُدّام فكست البيت ثيابًا بيضًا، والله أعلم.

وكسيت الكعبة بعد الأزرقى أنواعًا من الكساء، فمن ذلك الديباج الأبيض الخُراسانى والديباج الأحمر الخراسانى، على ما ذكر ابن عبد ربه فى «العقد» ولنذكر كلامه بنصه لإفادته ذلك وغيره من أمر كسوة الكعبة، قال بعد أن ذكر شيئًا من خبرها: والبيت كله مستور إلا الركن الأسود فإن الأستار تفرج عنه مثل القامة ونصف، وإذا دنا وقت الموسم كُسى القباطى وهو ديباج أبيض خُراسانى، فيكون فى تلك الكسوة ما دام الناس مُحْرِمين، فإذا أحل الناس ذلك يوم النحر حل البيت فكسى الديباج الأحمر الخراسانى، وفيه دارات مكتوب فيها حَمْد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه، فيكون كذلك إلى العام المقبل، ثم يُكْسَى أيضًا على حال ما وصفت، فإذا كثُرَت الكسوة فخُشِى على البيت من ثقلها خُفِّف منها، فأخذ ذلك سَدَنَةُ البيت وهم بنو شيبة، انتهى كلام صاحب العقْد بنصه[1]، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة على ما ذكره الذهبى فى «العبر»[2] وغيرها، ورأيت فى كتابه «العقد» ما يقتضى أنه عاش بعد ذلك سنين كما بيناه فى أصل هذا الكتاب، والله أعلم.

ومن ذلك الديباج الأبيض فى زمن الحاكم العُبَيْدى، وفى زمن حفيده المستنصر العُبَيْدى، كساها ذلك الصُّلَيْحى صاحب اليمن ومكة، وكساها أبو النصر الإستراباذى كسوة بيضاء من عمل الهند فى سنة ست وستين وأربعمائة[3]، وكسيت فى هذه السنة الديباج الأصفر، وهذه الكسوة حملها السلطان محمود بن سبكتكين، ثم ظفر بها نظام الملك وزير السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى، فأرسل بها إلى مكة، وجعلت فوق كسوة أبى النصر.

---

(١) العقد الفريد ٦/ ٢٥٧.

(٢) العبر ٢/ ٢١١.

(٣) إتحاف الورى ٢/ ٤٧٥.

وكسيت أيضًا كسوة خضراء، وذلك فى مبدأ خلافة الناصر العباسى، ولعلها كانت تكسى ذلك من قبل، والله أعلم.

وكسيت فى زمنه أيضًا كسوة سوداء، وفيها طراز أصفر، وكان قبل ذلك أبيض، واستمرت فيما أحسب تُكْسَى الديباج الأسود إلى الآن، إلا أن فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة كُسيت ثيابًا من القطن مصبوغة بالسواد، كساها ذلك العفيف منصور بن منعة البغدادى شيخ الحرم بمكة لما تمزقت كسوتها من الريح الشديدة التى وقعت بمكة فى هذه السنة، ووجدتُ بخطِّ المَيُورقى ما يقتضى أن هذه الريح كانت فى سنة أربع وأربعين وستمائة والله أعلم.

ولما عُرِيَت الكعبة فى هذا التاريخ أراد صاحب اليمن الملك المنصور أن يكسوها، فقال له ابن منعة لا يكون هذا إلا من جهة الديوان، يعنى الخليفة العباسى، ولم يكن عند ابن منعة شىء لأجل ذلك، فاقترض ثلاثمائة مثقال، واشترى بها الثياب المشار إليها، وصبغها بالسواد، وركب فيها الطرز القديمة التى كانت فى كسوة الكعبة، وكساها بذلك.

وفى سنة عشر وثمانمائة أحدثت فى جانب الكسوة الشرقى من الكعبة جامات منقوشة بالحرير الأبيض، وصنع ذلك فى سنة إحدى عشرة وفى سنة اثنتى عشرة، وفى سنة ثلاث عشرة، وفى سنة أربع عشرة، وترك ذلك فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وجعلت كسوة هذا الجانب كلها سوداء من غير جامات كما كانت أولاً وكذلك فى سنة ست عشرة وثمانمائة، وفى سنة سبع عشرة وثمانمائة، وفى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة، ثم جعلت فى كسوة الجانب الشرقى جامات منقوشة من الحرير الأبيض فيما تحت الطراز إلى تحت الكسوة فى كل شقة من هذا الجانب، وذلك فى سنة تسع عشرة وثمانمائة، وعمل فى هذه السنة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحُسْن أحسن من الستاير الأولى التى شاهدناها.

والجامات المشار إليها مكتوب فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، بالبياض، وكان ذلك مكتوبًا فى الشقاق التى أحدثت سنة عشرة وثمانمائة [وذلك دوائر،

واستمرت الجامات البيض المشار إليها خمس سنين متوالية بعد سنة تسع عشرة وثمانمائة][(١)].

ثم أزيلت وعُوِّض عنها بجامات سُود فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

وفى كسوة الكعبة طراز من حرير أصفر، وكان قبل ذلك أبيض على ما أدركناه، وأول ما عمل أصفر قبل سنة ثمانمائة بسنة أو سنتين، وفى الطراز مكتوب آيات من القرآن العظيم، فى الجانب الشرقى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران: الآيتان: ٩٦، ٩٧) وفى الجانب الغربى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة: الآيتان ١٢٧، ١٢٨) وفى الجانب اليمانى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة المائدة: آية ٩٧) وفى الجانب الشامى اسم صاحب مصر وأمره بعمل الكسوة، وهذا الطراز المذكور فى نحو الربع الأعلى من البيت، وذكر بعض العلماء حكمة حسنة فى سواد كسوة الكعبة، لأنا روينا عن ابن أبى الصيف مفتى مكة أن بعض شيوخه قال له: يا محمد تدرى لِمَ كُسِىَ البيت السواد؟ فقال: لا، قال: كأنه يشير إلى أنه فَقَدَ أناسا كانوا حوله فلبس السواد حزنًا عليهم، وهذا معنى كلام ابن أبى الصيف، ولمهْلهل الدمياطى الشاعر فى سواد كسوة الكعبة والقفل:

يروق لى منظر البيت العتيق إذا
بدا لطرفى فى الإصباح والطفل

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

كأنّ حلته السوداء قد نسجت
من حبة القلب أو من أسود المقل[١]

وكسوها فى هذه السنة، وفيما قبلها من سبعين سنة من الوقف الذى وقفه السلطان الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر أيام سلطنته، على كسوة الكعبة فى كل سنة، وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوى فى كل خمس سنين مرة، وهذا الوقف قرية بنواحى القاهرة فى طرف القليوبية مما يلى القاهرة اشتراها الملك الصالح من بيت المال، ووقفها على ما ذكر فيه، ولم يكسها أحد من الملوك بعد ذلك إلا أخوه الملك الناصر حسن، إلا أن كسوته لم تكن لظاهر الكعبة، وإنما هى لباطنها، وهى الكسوة التى فى جوفها الآن، وبلغنى أنها كانت أطول من هذا بحيث تصل إلى الأرض، وهى الآن ساترة لمقدار النصف الأعلى وسقفها، وهى حرير أسود، وفيها جامات مزركَشَة بالذهب، ما خلا شقة من السقف بين الأسطوانتين اللتين تليان الباب، فإنها كمخة حرير حمراء، وفى وسطها جامة كبيرة مزركشة بالذهب، وكان إرسال السلطان حسن بهذه الكسوة فى سنة إحدى وستين وسبعمائة.

وبلغنى أنه كان فى جوف الكعبة قبلها كسوة للملك المظفر صاحب اليمن، والملك المظفر أول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بنى العباس من بغداد، وذلك فى سنة تسع وخمسين وستمائة، واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر، وانفرد بكسوتها فى بعض السنين، وكان المتولى لذلك غالبًا.

وأول من كساها من ملوك مصر بعد بنى العباس الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقْدارى الصالحى، وأول سنة كسا فيها الكعبة سنة إحدى وستين وستمائة.

وممن كسا الكعبة من غير الملوك الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة، كساها من الحبرات وغيرها، فكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار

---

(١) البيتان فى المطبوعتين فيهما تحريف وسقط، وقد اعتمدنا فى تكملتها وتصويبهما على رواية الأصل، وهما من البسيط.

مغربية: على ما قال ابن الأثير، وقيل: بأربعة آلاف دينار، وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.

والكعبة تُكْسَى فى عصرنا هذا يوم النحر من كل سنة، إلا أن الكسوة فى هذا اليوم تُسْدَل عليها من أعلاها، ولا تُسْبَل حتى تصل إلى منتهاها على العادة، وهى شاذروان الكعبة إلا بعد أيام من يوم النحر، ويأخذ سَدَنَتُها بنو شيبة يوم النحر ما بقى على الكعبة من كسوتها القديمة، وهو مقدار نصفها الأعلى، وأخذهم للنصف الأسفل فى سابع عشرى ذى القعدة من كل سنة.

وذكر ابن جُبَير فى أخبار رحلته ما يُفهم أن كسوة الكعبة تُشَمَّرُ اليوم السابع والعشرين من ذى القعدة، ولا تُقْطَع، لأنه قال بعد أن ذكر فتح الكعبة فى هذا اليوم فتحًا عامًّا للسرور فى هذا اليوم المذكور الذى هو السابع والعشرون من ذى القعدة شُمِّرت أستار الكعبة المقدسة إلى نحو قامة ونصف من الجدار من الجوانب الأربعة، ويسمُّون ذلك إحرامًا لها، فيقولون أَحْرَمَتِ الكعبة، وبهذا جرت العادة دائمًا فى الوقت المذكور من الشهر[1]. انتهى.

وفى هذا مخالفة لما يفعله الحجبة اليوم من وجهين:

أحدهما: أنهم يشمِّرون كسوة الكعبة فى اليوم الخامس والعشرين من ذى القعدة فى كل سنة من جوانبها الأربعة، إلى عتبة الباب السفلى، وكانوا يصنعون ذلك بعد العصر فى هذا اليوم، ثم صاروا يصنعونه فى أول النهار.

والوجه الثانى: أنهم فى اليوم السابع والعشرين من ذى القعدى فى كل سنة يقطعون كسوة الكعبة من فوق الباب مع ما شمروه من قبل، وكلام ابن جُبَير لا يقتضى قطع ذلك فى السابع والعشرين، وإنما يقتضى تشميره فيه، ولعل ذلك لكون الحُجَّاج الذين تكثر رغبتهم فى تحصيل كسوة الكعبة بالشراء وغيره، وهم الحجاج العراقيون لا يصلون للحج غالبًا إلا موافين ليوم عَرَفَة، ويقصدونها قبل مكة، خيفة فوات الوقوف، وإذا كان كذلك فلا فَوْت على الحَجَبَة فى ذلك

---

(١) رحلة ابن جبير ص١٤٨.

الزمان فى تأخيرهم قطع كسوة الكعبة فى السابع والعشرين، وتأخير قطعها إلى أيام منى، أو أخذ الكسوة فيها جملة عند وصول الكسوة الجديدة، ولعل سبب قطع الحَجَبَة للكسوة أى كسوة، الكعبة فى السابع والعشرين من ذى القعدة كون الحُجَّاج من مصر والشام صاروا يقدمون إلى مكة فى أوائل العشر الأول من ذى الحجة، فإذا أخر الحَجَبَة قطع ذلك أو أخذوا الكسوة جملة إلى أيام منى فات الحَجَبَة بعضُ مقصودهم من بيع الكسوة فى العُشْر الأول من ذى الحجة، والله أعلم.

وذكر ابن جُبَيْر ما يقتضى أن الكعبة لا تُكْسَى فى يوم النّحْر، وإنما تُكْسَى فى يوم النّفْر الثانى، لأنه قال: وفى يوم النحر المذكور سيقت كسوة الكعبة المقدَّسة من عمل الأمير إلى مكة على أربعة جمال تقدمها القاضى الجديد بكسوة الخليفة السوادية والرايات على رأسه والطبول تمرّ وراءه» ثم قال: «فوضعت الكسوة فى السطح المكرم أعلى الكعبة» فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك المذكور اشتغل الشيبيون بإسبالها خضراء يانعة تُقَيِّد الأبصار حُسْنًا، ثم قال بعد وصفه للكسوة: «فكملت كسوتها وشُمِّرت أذيالها الكريمة صونا لها من أيدى الأعاجم وشدة احتذائها وقوة تهافتها عليها وانكبابها[(١)]. انتهى.

وهذا يخالف ما يُفْعَل اليوم من إسدال الكسوة على الكعبة وتشميرها فى يوم النحر، وما يفعل اليوم من كسوة الكعبة فى يوم النحر يوافق ما ذكره ابن عبد ربه، وفى هذا العصر من نحو أربع سنين لا يؤتى بكسوة الكعبة من منى فى يوم النحر، وإنما يأتى أمير الحاج المصرى ومعه أعلام والدبادب والبوقات تضرب معه حتى يدخل المسجد، ويخرج إليه كسوة الكعبة من جوفها، فتُنْشر فى المسجد فى صحته مما يلى الشق اليمانى تبرز كسوة كل شق، ويرفعها أعوان الأمير مع الحَجَبَة إلى أعلى الكعبة، حتى تكمل، وتُسْدَل على الكعبة على الصفة السابقة، وموجب وضعها فى الكعبة قبل الحج صونها من السرقة لأنه قبل ذلك سُرق بعضها من محل

---

(١) رحلة ابن جبير ص١٦٣. وفى المطبوعتين: «وانصبابها» وفى الأصل: «وأنصابها» وما أثبتناه من ابن جبير.

الأمير بمنى، ثم عادت إليه بشيء بذله، وصار الأمراء بعده يضعونها فى الكعبة عند توجُّههم من مكة إلى الموقف، وفى سنة ثانى عشر وثمانمائة كُسيت الكعبة فى رابع ذى الحجة إسبالاً على نصفها الأعلى، ولم تُكْسَ فى سنة تسع عشرة إلا فى يوم النحر، على العادة القديمة التى أدركناها، وكُسيت فى سنة عشرين وثمانمائة فى ثالث ذى الحجة، وكذلك فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ثم كُسيت فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فى يوم النحر ضُحًى.

ونختم هذه الترجمة بمسألة تتعلق بكسوة الكعبة، وهى أن العلماء اختلفوا فى جواز بيع كسوة الكعبة، فنُقل جواز ذلك عن عائشة وابن عباس وجماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم، ومنع من ذلك ابن القاصّ[1] وابن عبدان من الشافعية.

وذكر الحافظ صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْدى العلائى الشافعى فى قواعده أنه لا يتردد فى جواز ذلك الآن، لأجل وقف الإمام ضيعة معينة على أن يُصْرَف رَيْعُها فى كسوة الكعبة، والوقف بعد استقرار هذه العادة، والعلم بها، فينـزل لفظ الواقف عليها، قال: وهذا ظاهر لا يعارضه المنقول المتقدم. انتهى باختصار.

وكان أمراء مكة يأخذون من السَّدَنة ستارة باب الكعبة فى كل سنة، وجانبًا كبيرًا من كسوتها، أو ستة آلاف درهم كاملية عوضًا عن ذلك، فسمح لهم بذلك الشريف عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نُمَى لما ولى إمارة مكة فى آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وجرى على ذلك الأمراء من بعده فى الغالب، ثم إن السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته لمكة صار يأخذ منهم ستارة باب الكعبة وكسوة مقام إبراهيم ويهدى ذلك لمن يرجوه من الملوك وغيرهم.

ذكر طيب الكعبة وأخدامها

وروينا من تاريخ الأزرقى عن عائشة رضى الله عنها قالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره، وروينا فيه عنها أيضًا قالت: لأن أطيب الكعبة أحب إلىَّ من أن أهدى لها ذهبًا وفضة.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن القاضى» وصوابه من الأصل، وانظر فى ترجمة ابن القاصّ: طبقات السبكى ٣/ ١٠٦.

وروينا فيه عن أبي نجيح قال: إن معاوية بن أبي سفيان أجرى للكعبة وظيفة الطيب بكل صلاة، وكان يبعث لها بالمجمر والخلوق فى الموسم وفى رجب، وأخدمها عبيدًا، ثم اتبعت ذلك الوُلاةُ بعده[١]، وروينا فى تاريخ الأزرقى أن عبد الله بن الزبير كان يجمر الكعبة كل يوم برطل من مجمر، ويجمر الكعبة كل جمعة برطلين من مجمر[٢].

وقال المحب الطبرى: المَجْمَر[٣] ما يتجمر به، وهو العود الرطب، وبالضم ما يُتَجَمَّر به، والخُلُوق طيب معروف يُتَّخَذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، ويغلب عليه الصفرة والحُمْرة[٤]، وقال: قال الإمام أبو عبد الله الحليمى: رُوى عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يُسْتَشْفَى به، وقال: قال عطاء: كان أحدنا إذا أراد أن يستشفى به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر، ثم أخذه، ذكره ابن الصلاح فى منسكه. انتهى.

وذكر النووى أنه لا يجوز أخذُ شىء من طيب الكعبة لا للتبرُّك ولا لغيره، ومن أخذ شيئًا من ذلك لزمه رده، فإن أراد التبرُّك أتى بطيب من عنده، فمسحها به ثم أخذه. انتهى.

ذكر أسماء الكعبة المعظمة

للكعبة المعظَّمة أسماء شريفة: منها الكعبة، ومنها بكة، بالباء الموحَّدة، ومنها البيت الحرام، ومنها البيت العتيق، ومنها قادس، ومنها نادر، ومنها القرية القديمة، وهذه الأسماء الأخيرة الثلاثة مذكورة فى تاريخ الأزرقى.

وسُميّت الكعبة لتكعيبها وهو تدويرها.

قال القاضى عياض فى «المشارق» لما ذكر الكعبة قال: الكعبة هو البيت نفسه لا غير، سُمّى بذلك لتكعيبها وهو تربيعها، وكل بناء مرتفع مربع كعبة.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٥٤.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٥٧.
(٣) المجْمَر: كمنْبَر.
(٤) القرى – ص٥٢٢.

وقال النووى: سُمّيت بذلك لاستدارتها وعُلُوّها، وقيل لتربيعها فى الأصل. انتهى.

وممن قال إنها سُمّيت بالكعبة لكونها على حلقة الكعب ابن أبى نجيح وابن جُرَيْج، وسُمّيت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة، وقيل غير ذلك.

واختلف فى معنى البيت العتيق فقيل: لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة فلم ينله جبار قط، أو لم يقدر عليه جبار، وقيل غير ذلك، والصحيح الأول على ما ذكر ابن جماعة.

ومن أسمائها: البَنِيَّة[1] بباء موحدة ونون وياء مثناة من تحت مشددة، ذكر هذا الاسم لها القاضى عياض فى «المشارق» لأنه قال فى حرف الباء لما ذكر البيت العتيق: والبَنِيَّة اسم للكعبة. انتهى.

وذكر ابن الأثير فى «النهاية»[2] ما يدل لذلك، لأنه قال: وفى حديث البراء ابن مَعْرُور: رأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة منى بظهر يريد الكعبة، وكانت تُدْعَى بنيّة إبراهيم عليه السلام لأنه بناها، وقد كثُر قَسَمُهُم برب هذه البَنِيَّة. انتهى.

وذكر الأزرقى ما يشهد بذلك، لأنه روى خبرًا عن الواقدى فيه أذان بلال للظُّهر يوم فتح مكة على ظهر الكعبة، وسماع قريش لذلك، وإنكارهم له، وفيه قال الحكم ابن أبى العاص: هذا والله الحدث[3] الجليل أن يصبح عبد بنى جُمَح ينهق على بنية أبى طلحة[4]. انتهى.

وأبو طلحة هو عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن نصر بن كلاب حاجب الكعبة، ولذلك أضافها الحكم إليه، والله أعلم.

---

(١) ضبطت فى المطبوعتين ضبط قلم بضم الباء وفتح النون، وهو خطأ صوابه فى النهاية لابن الأثير، ولدى صاحب القاموس: «والبَنِيَّةُ ـــ كغَنِيَّةٍ: الكعبة لشرفها».

(٢) النهاية ١/ ١٥٨.

(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الحديث» وصوابه من الأصل.

(٤) الأزرقى ١/ ١٥٧.

ومن أسمائها: الدوار بضم الدال المهملة وفتحها وتشديد الواو وبعدها ألف وراء مهملة، ذكر ذلك ياقوت فى مختصره لمعجم البلدان[١]، وذكر أن ابن القطان حكى الوجهين الذين ذكرهما فى ضبطه، وذكر أن دوار أيضًا: شجرة باليمامة، وضبطه بالوجهين أيضًا، وذكر هذا الاسم شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى فى كتابه «الوصل والمنى فى فضل منى».

ومن أسمائها: المسجد الحرام لقوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٤٤) والمراد به الكعبة بلا خلاف، وقد ورد إطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة، وبينا ذلك فى الباب الخامس.

ذكر هدم الحبشىّ الكعبة فى آخر الزمان

روينا فى مُسْنَد أحمد بن حنبل، وفى «المعجم الكبير» للطبرانى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حلْيتها ويجردها من كسوتها، ولَكَأَنى أنظر إليه أصلع أقرع يضرب عليها بمسْحاته ومِعْوَله.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول: كأنى به أُصَيْلع أُقَيْرَع قائمًا عليها يهدمها بمسْحاته.

وروينا فى تاريخ الأزرقى أيضًا أنه قال: والذى نفسى بيده إنى لأنظر إلى صفته فى كتاب الله عزّ وجلّ أُفَيْحَج أُصَيْلَع، قائمًا يهدمها بمسْحاته[٢]، وروينا فى تاريخ الأزرقى عن على بن أبى طالب أنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُحال بينكم وبينه، فكأنى أنظر إليه حَبَشِيًّا أُصَيْلع أُصَيْمَع[٣] قائمًا عليها يهدمها بمسْحاته.

---

(١) المشترك وضعا ص١٨٣.
(٢) الأزرقى ١/ ٢٧٦.
(٣) الأزرقى ١/ ٢٧٦.

وروينا فيه وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة.

وروينا فى صحيح البخارى عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: كأنى به أسود أفحج يقلعها حَجَرًا حجرًا.

وجزم السُهَيْلى بأن تخريب الحبشة للكعبة يكون بعد رفع القرآن، وذلك بعد موت عيسى عليه السلام على ما ذكر ابن جماعة، قال: وصححه بعض العلماء المتأخرين، ونقل عن الحليمى أن ذلك فى زمن عيسى عليه السلام، والله أعلم.

ذكر وقت فتح الكعبة فى الجاهلية والإسلام

روينا فى تاريخ الأزرقى عن سعيد بن عمرو الهذلى عن أبيه قال: رأيت قريشًا فى الجاهلية يفتحون الكعبة يوم الاثنين والخميس[1]، وذكر ذلك الفاكهى، وذكر أيضًا أنها كانت تُفتح فى الجاهلية يوم الجمعة لأنه قال: حدثنا أحمد بن صالح بن سعيد عن محمد بن عمرو السلمى، حدثنى عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمر عن أبيه قال: رأيت قريشًا فى الجاهلية يفتحون البيت يوم الاثنين ويوم الجمعة[2]. انتهى.

وروينا فتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس عن عثمان بن طلحة الحجبى من طريق ابن سعد.

وذكر ابن جبير فى رحلته، وكانت سنة تسع وسبعين وخمسمائة أن الكعبة تُفْتَح كل يوم اثنين ويوم جمعة إلا فى رجب فتُفْتَح كل يوم[3]. انتهى.

قلت: وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن، وفتحُها يوم الاثنين متروك، إلا أنه وقع فى شهر رمضان وشوال وذى القعدة من سنة إحدى وثمانمائة[4].

---

(١) الأزرقى ١/ ١٧٤.
(٢) الفاكهى ٥/ ٢٣٣.
(٣) رحلة ابن جبير ص١١٥.
(٤) إتحاف الورى ٣/ ٤١٢.

واختص النساء بدخولها فى هذا اليوم لأمر أوجب ذلك، وتفتح الكعبة غير يوم الجمعة أيضًا، وذلك فى أوقاتٍ متعددة من كل سنة منها: فى بكرة اليوم الثانى عشر من ربيع الأول من كل سنة، ومنها: فى بكرة اليوم التاسع والعشرين من رجب من كل سنة، ويختص النساء بدخولها فى هذا اليوم أكثر من الرجال، وذلك قبل غسلها، ومنها: فى بكرة يوم عيد الفطر، ومنها: فى بكرة السادس والعشرين من ذى القعدة، ولا يدخلها فى هذا اليوم إلا الأعيان من الناس، وفتحها فى هذا اليوم لأجل غسلها، ومنها: فى زمن الموسم، وذلك فى بعض ليالى الثمان الأول من ذى الحجة من كل سنة، وفى بعض هذه الأيام.

وفتحها فى هذه الأوقات لأجل البر الذى تأخذه الحَجَبَة ممن يرغب فى دخولها، ثم لا تفتح فتحًا عامًّا إلا بعد انقضاء ذى الحجة فى أول جمعة من السنة التى تلى ذلك، إلا أنهم فى سنة أربع عشرة وثمانمائة فتحت الكعبة بعد سفر الحجاج من مكة، وقبل دخول سنة خمس عشرة، وصنع مثل ذلك الحَجَبَة فى سنة خمس عشرة، وذلك للرغبة فى أخذ البر من الداخلين إليها.

وذكر ابن جبير من أوقات فتح الكعبة التى أشرنا إليها فتحها فى اليوم التاسع والعشرين من رجب، وذكر أنها تغسل فى ثانى هذا اليوم لأجل ما لعله أن يكون وقع من حَدَث الصغار الذين يدخلون مع أمهاتهم فى اليوم التاسع والعشرين من رجب، وذكر أن للنساء احتفالاً كثيرًا فى دخول الكعبة فى هذا اليوم(١).

وذكر ابن جبير فتح الكعبة أيضًا فى يوم عيد الفطر بُكْرَة(٢)، ولم يذكر فتحها فى السادس والعشرين من ذى القعدة، وذكر أنها تفتح فى السابع والعشرين من ذى القعدة فتحًا عامًّا، وأن فى هذا اليوم شُمِّرت كسوتها من جوانبها الأربعة التشمير الذى يسمونه إحرام الكعبة، ثم قال: ولا تفتح من حين إحرامها إلا بعد الوقفة، ثم قال بعد أن ذكر أن كسوة الكعبة وضعت على سطحها فى يوم النحر وأسبلت عليها فى يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المذكور وشمرت أذيالها صونًا

---

(١) رحلة ابن جبير ص١١٧، ١١٨.

(٢) رحلة ابن جبير ص١٣٧.

لها من أيدى الأعاجم، وفى هذه الأيام يُفتح البيت الكريم كل يوم للأعاجم العراقيين والخراسانيين وسواهم من الواصلين مع الأمير العراقى[١]. انتهى.

وفى هذا دلالة على أن الكعبة تُفتح فى أيام الموسم، وهو فى زمن ابن جُبَير بعد الحج لأن الحجاج العراقيين ما يصلون غالبًا إلا موافين ليوم عرفة.

ونختم هذه الترجمة بحُكْم سدَانة الكعبة ما يأخذه سَدَنَتُها ممن يدخلها، وللمحب الطبرى فى ذلك كلام شاف فنذكره، ونص كلامه:

الحجابة منصب بنى شيبة، ولاَّهم رسول الله ﷺ إياها، كما ولى السقاية للعباس، ثم قال: وسدانة البيت خدْمته[٢]، وتولى أمره وفتْح بابه وإغلاقه، ويقال: سَدَن يسْدُن سدَانة فهو سادن، والجمع سَدَنَة، ثم قال: قال العلماء: لا يجوز لأحد أن ينـــزعها منهم، قالوا: وهى ولاية رسول الله ﷺ، وأعظم مالك أن يشرك معهم غيرهم[٣].

قلت: ولا يَبْعُدُ أن يقال هذا إذا حافظوا على حُرْمته ولازموا فى خدمته الأدب، أما إذا لم يحافظوا على حُرْمته فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتْك حُرمته، وربما تعلق الجاهل الغبى الذى المعكوس الفهم بقوله ﷺ: «وكلوا بالمعروف» فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت، ولا خلاف بين الأمة فى تحريم ذلك، وأنه من أشنع البدَع وأقبح الفواحش، وهذه اللفظة إنْ صحّت رواية فيُستَدَلّ بها على إقامة الحُرْمة، لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف، وإنما الإشارة، والله أعلم، إلى ما يقصدون به من البر والصلة على وجه التبرر، فلهم أخذه، وذلك أكل بالمعروف لا محالة، أو إلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يقومون به من خدمته، والقيام بمصالحه، فلا يحل لهم منه إلا قدر ما يستحقونه، والله أعلم.

ثم قال بعد أن ذكر أحاديث تتعلق بالحجر، بسكون الجيم، وفيها ما يقتضى أن سبب رفع قريش لباب الكعبة ليمنعوا من شاءوا، وفى قوله ﷺ: فعل ذلك قومك ليُدْخِلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، وقوله: وألصق بابها بالأرض، دلالة

---

(١) رحلة ابن جبير ص١٦٤.
(٢) تحرف فى هـــ إلى: «خدمتهم».
(٣) القرى ـــ ص٥٠٦.

على أن الناس غير محجوبين عن البيت، وأنه لا يحل منعهم، وما يأخذه السَّدَنَة على ذلك لا يطيب لهم إلا بطيب نفس من الدافعين، وإنما تجب أجرتهم على ما يتولونه من القيام بمصالحه من بيت المال.

قال أبو العالية الرياحي فى قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ قال: السهم المضاف إلى الله تعالى إنما هو لبيت الله تعالى، وأكثر أهل العلم على أنه أضاف الخُمسِ إلى نفسه لشرفه، وسهم الله وسهم رسول الله ﷺ واحد. انتهى. ذكر ذلك مفرقا فى موطنين من الباب الثامن والعشرين من كتابه «القرى»[1].

وعزا المحب الطبرى الخبر الذى فيه «وكلوا بالمعروف» إلى سنن سعيد بن منصور، وهو فى طبقات محمد بن سعد، كاتب الواقدى من حديث عثمان بن طلحة، وسيأتى ذلك فى الباب السابع والثلاثين من هذا الكتاب، إن شاء الله.

والأصل فى غسل الكعبة لتطهيرها وفى الجملة ذكر الفاكهى ما يدل له لأنه قال فى ترجمة ترجم عليها بقوله: ذكر أذان بلال بن رباح على الكعبة ورُقية فوقها يوم الفتح للأذان: حدثنى محمد بن على المَرْوزى، حدثنا عبد الله بن موسى، حدثنا موسى بن عُبَيْدَة عَنْ عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: أمر رسول الله ﷺ بلالا فرقى على ظهر الكعبة فأذن بالصلاة، وقام المسلمون فتجرروا فى الأزر وأخذوا الدلاء، وارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهْرَها وبطنها، فلم يدعوا أثرًا من آثار المشركين إلاّ محوه وغسلوه[2]. انتهى.

وإنما ذكرنا هذا الخبر فى هذه الترجمة لما وقع فيها من غسل الحَجَبَة للكعبة، ويكون هذا الخبر كالشاهد بذلك، والله أعلم.

ذكر بيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها

أخبرنى بذلك خالى قاضى الحرمين محب الدين النُّوَيرى سماعًا من القاضى عز الدين بن جماعة سماعًا، أنه نقل ذلك من خط والده فى الدائرة التى ذكر فيها صفة الكعبة، وما يحتاج إلى معرفة تصويره، وأن والده ذكر أنه كتبها فى شهر ربيع

---

(١) القرى ــ ص ٥٠٨.
(٢) الفاكهى ٥/ ٢٢١.

الآخر سنة اثنتين وستين وستمائة قال: جهة القبلة لأهل البصرة والأهواز وفارس وكرمان وأصبهان وسجستان وشمالي بلاد الصين وما على سمت ذلك وهو من باب الكعبة إلى الحجر الأسود، فمن جعل القطب على أذنه اليمنى والشولة إذا تدلت للغروب بين عينيه، ومشرق الصيف خلف كتفه الأيمن والدَّبور على خده الأيمن والجنوب على خده الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمذان والري ونَيْسَابور وخُراسان وَمَرْو وخُوَارزم وبُخَارَى ونسا وفرغانة والشاش وماهان، وما كان على سمْت ذلك ما بين مصلّى آدم إلى قرب باب الكعبة، فمن جعل بنات نعش الكبرى إذا طلعت خلف أذنه اليمنى والهَقْعَة إذا طلعت بين كتفيه إلى خلف أذنه اليسرى، والقطب على كتفه الأيمن، وريح الصبا على الأيسر، والشمال على عاتقه الأيمن والجنوب على خده الأيسر، استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل الرُّها والمَوْصل ومَلَطْيَة وسميساط وسِنْجار والجزيرة وديار بكر، وما كان على سمت ذلك إلى القبلة يستقبلون من الركن الشامي إلى مصلى آدم، فمن جعل فيها القطب على أذنه اليسرى ومشرق الشتاء خلف أذنه اليسرى وريح الصبا على كتفه الأيسر والشمال على خده الأيمن والجنوب على عينه اليسرى استقبل القبلة إن شاء الله.

وجهة القبلة لأهل الشام كلهم إلا ما ذكر عن اليمين ودمشق في هذا القسم وهي حمص وحماة وسَلَمْية وحلب ومنبج وحَرَّان ومَيّافارقين وما والاها من البلاد، وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامي، موقفهم موقف أهل المدينة ودمشق كما تقدم، لكنهم يتياسرون شيئًا يسيرًا، والجهة شاملة للجميع إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل جانب الشام الغربي ووسطه غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة ودمشق وفلسطين وعكا وصيدًا وما والى ذلك من السواحل على سمْته، وهي من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربي فمن جعل بها سُهَيلاً إذا طلع بين عينيه وبنات نعش إذا غربت خلفه، والنسر الواقع إذا طلع على أذنه

اليسرى، فقد استقبل القبلة هذا فى الجانب الغربى من الشام، أما المدينة ودمشق وما والاها من أوسط الشام، فمن جعل بنات نعش الكبرى إذا طلعت خلف أذنه اليسرى والجدى على فقار ظهره مائلاً إلى عينه قليلاً والهَقْعَة إذا طلعت عن شماله والصبا على خده الأيسر والجنوب تلقاء وجهه فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل مصر وصعيدها الأعلى وسواحلها السفلى أسوان وإسنا وقوص والفسطاط والإسكندرية والمحلة ودمياط وتنيس وبرقة وطرابلس وصفد وساحل المغرب والأندلس، وما كان على سمته، وهو ما بين الركن الغربى والميزاب، فمن جعل بنات نعش إذا غربت خلف كتفه الأيسر، وإذا طلعت على خده الأيسر والقطب على أذنه اليسرى، ومشرق الشتاء تلقاء وجهه والدَّبور خلف كتفه الأيمن، فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل الشمال من بلاد البُجَاة والنُّوبة وأواسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد إفريقية وأوسط بلاد البربر وبلاد الجريد إلى البحر المحيط وهى جهة جُدَّة وعيذاب وجنوب أسوان، وهي من دون الركن الغربى بثلث الجدار إلى الركن الغربى، فمن جعل بها الثريا إذا طلعت على عينه اليسرى، والصَّبا على عينه اليمنى فقد استقبل القبلة إن شاء الله.

وجهة القبلة لأهل جنوب بلاد البُجاة، وبلاد دهلك وسواكن وبلاد البلين والنوبة إلى بلاد التكرور وما وراء ذلك وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم إلى البحر المحيط، وهى من دون الباب المسدود إلى ثلثى الجدار، فمن جعل بها الثريا إذا طلعت بين عينيه والقطب على عينه اليسرى وخده الأيسر والصبا على عينه اليمنى، والدبور خلف أذنه اليسرى، ومغرب الشولة خلف كتفه الأيمن ومشرق الشتاء على خدّه الأيمن ومشرق الصيف على الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل الحبشة والزنْج والزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد وكان على سمتها وهى من الركن اليمانى إلى ثلثى الجدار

وهو آخر الباب المسدود، فمن جعل بها الثريا إذا طلعت على جنبه الأيمن والقطب على الأيسر، والصبا على خده الأيمن، والدبور على كتفه الأيسر، والجنوب على الأيمن، ومغرب الشولة خلف كتفه الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل اليمن بأسره ظفار وحضرموت وصنعاء وعُمان وَصَعْدَة والشجر وسبأ وما والاها وما كان على سمتها، وهى من دون الركن اليمانى بسبعة أذرع إلى الركن اليمانى فمن جعل فيها القطب بين عينيه وسهيلاً إذا طلع خلف أذنه اليمنى، وإذا غرب خلف اليسرى ومشرق الشتاء على أذنه اليمنى ومغرب الشتاء على اليسرى والشمال تلقاء وجهه والجنوب خلف ظهره والصبا على خده الأيمن والدبور على الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل بلاد السند وجنوب بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل التهائم والسِّند والبحرين وما والاها وكان على سمتها، وهى من دون مصلى النبى ﷺ إلى ثلثى هذا الجدار، فمن جعل بنات نعش إذا طلعت على خده الأيمن ومطلع النسر الواقع على أذنه اليمنى ومغرب بنات نعش بين عينيه فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

وجهة القبلة لأهل وسط بلاد الصين وأهل واسط والهند والمهرجان وكابل والمهديان والتتار والمغل والقندهار وما والاها وكان على سمتها، وهو من الركن الأسود إلى دون مصلى النبى ﷺ، فمن جعل بها بنات نعش الكبرى إذا طلعت على خده الأيمن والقطب على عاتقه الأيمن والصبا خلف أذنه اليمنى فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى.

انتهى ما ذكره القاضى عز الدين بن جماعة عن أبيه من بيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها.

ووجدت فى الكتاب الذى ألفه الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراقة العامرى لمعرفة دلائل القبلة فى جميع البلدان بابًا فى هذا المعنى، وعرضه على ما ذكره ابن جماعة، فإذا بين ما ذكره ابن سراقة وابن جماعة اختلاف كثير فى اللفظ والمعنى

والزيادة والنقص وغير ذلك، فرأيت أن أذكر ما ذكره ابن سراقة ليحيط بذلك علماء النظر فى هذا الكتاب.

أنبأنى بكتاب ابن سراقة المُسْندان: محمد بن محمد بن عبد الله وإبراهيم بن أبى بكر بن عمر الصالحيان إذنًا مكاتبة عن أبى القاسم شهاب بن على المحسنى أن أبا محمد عبد الوهاب بن ظافر الأزدى أخبره سماعًا قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازى قال: أخبرنا أبو صالح محمد بن أبى عيسى بن الفضل السمرقندى بمصر قال: أخبرنا الفقيه محمد بن سراقة العامرى قال: باب ذكر البلدان ومواقعها من جهات الكعبة وما يستدل به أهل كل بلد عليها: اعلم أن أهل القادسية والكوفة وبغداد وحلوان وهمذان والرى ونَيْسابور ومَرْوَ وخُوارزم وبُخَارى والشاش وفرغانة وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون من الكعبة من مصلى آدم إلى بابها، فمن كان فى إحدى هذه البلاد أو على خطها وأراد التوجُّه إليها جعل بنات نعش الكبرى إذا طلعت على أذنه اليمنى والهَقْعَة إذا طلعت بين كتفه إلى خلف أذنه اليسرى والقطب على كتفه الأيمن وريح الصبا على كتفه الأيسر والشمال على عاتقه الأيمن إلى قفاه والدبور على صفحة خده الأيمن والجنوب على خده الأيسر، فمن استدل ببعض هذه الدلائل فى إحدى هذه البلدان أو فيما كان على سمتها من البلاد من بر أو بحر أو سهل أو جبل فقد استقبل جهة القبلة التى أمر باستقبالها.

واعلم أن أهل البصرة والأهواز وفارس وأصبهان وكرمان وسجستان وبُسْت إلى بلاد الصين وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من باب الكعبة إلى الركن العراقى، فمن كان فى إحدى هذه البلاد وفيما كان على سمتها وأراد التوجُّه إلى الكعبة جعل القطب على أذنه اليمنى والنسر الواقع خلفه والشولة إذا نزلت للغروب بين عينيه أو مشرق الشمس خلف كتفه الأيمن ومَهَبّ الصبا على كتفه الأيسر والشمال على أذنه اليمنى والدبور على خدّه الأيمن والجنوب على عينه اليسرى، فمتى فعل ذلك فقد استقبل جهة الكعبة.

واعلم أن أهل السند والهند والمهرجان وكابل والقندهار والملتان وما كان على سمت ذلك من البلاد فهم يستقبلون فى صلاقم من الركن العراقى إلى مصلى النبى ﷺ، فمن جعل فى إحدى هذه البلاد ومن كان من البلاد على سمتها بنات نعش إذا طلعت على خده الأيمن والقطب على عينه اليمنى وريح الصبا خلف أذنه اليمنى والشمال على خده الأيمن والدبور على خده الأيسر والجنوب على كتفه الأيسر فقد استقبل جهة الكعبة.

واعلم أن أهل اليمن والسدير والتهائم إلى عدن والبحرين إلى عمان وحَضْرَمَوْت والشحر وصنعاء ونجديه وصعدة وما كان على سمت ذلك من البلاد يستقبلون فى صلاقم من موضع مصلى النبى ﷺ إلى الركن اليمانى، فمن كان فى إحدى هذه البلاد فجعل القطب بين عينيه أو سُهَيلاً إذا طلع على أذنه اليمنى، وإذا غرب خلف أذنه اليسرى ومشرق الشتاء على أذنه اليمنى والصبا على كتفه الأيمن والشمال تلقاء وجهه والدبور على جنبه الأيسر والجنوب على كتفه الأيسر فقد استقبل جهة الكعبة.

واعلم أن أهل بلاد الحبشة وجزائر فرسان وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاقم من الركن اليمانى إلى الباب المسدود، فمن كان فى إحدى هذه البلاد أو فيما كان من البلاد على سمتها فجعل الثريا إذا طلعت بين عينيه والشعرى والعيوق إذا طلعت على جنبه الأيمن أو القطب على أذنه اليسرى أو ريح الصبا على عينيه والشمال تلقاء وجهه أو الدبور عن شماله أو الجنوب خلفه كان مستقبلاً لجهة الكعبة.

واعلم أن بلاد أهل النوبة والبجة إلى البحر المحيط وما وراء ذلك من بلاد السودان وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاقم من الباب المسدود إلى دون الركن الغربى بسبعة أذرع، فمن جعل فى إحدى هذه البلاد أو فيما كان على سمتها من البلاد العيوق إذا طلع بين عينيه أو الثريا على عينه اليمنى أو الشولة إذا غربت بين كتفيه أو القطب على صفحة خده الأيسر أو مشرق الصيف قبالته أو مغرب الشتاء خلفه أو ريح الصبا على عينه اليمنى أو الشمال

على حاجبه الأيسر أو الدبور على أذنه اليسرى أو الجنوب على كتفه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة.

واعلم أن أهل الأندلس والمغرب من أهل إفريقية وطرابلس وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من دون الركن الغربى بسبعة أذرع إلى الركن الغربى، فمن جعل فى إحدى هذه البلاد وما كان على سمتها الثريا إذا طلعت بين عينيه والشعرى على عينه اليمنى أو العَيُّوق إذا غرب خلف قفاه أو ريح الصبا قبالته، أو الدبور خلف ظهره أو الشمال على كتفه الأيسر أو الجنوب على كتفه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة.

واعلم أن أهل الإسكندرية ومصر إلى القيروان إلى تاهرت والسوس والمغرب الأقصى إلى البحر الأسود وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من الركن الغربى إلى ميزاب الكعبة، فمن جعل إحدى هذه البلاد الأحمرة إذا طلعت بين عينيه أو بنات نعش إذا غربت على كتفه الأيسر، وإذا طلعت على أذنه اليسرى أو الشمال خلف أذنه اليسرى أو ريح الصبا على جبينه الأيسر أو الشمال خلف أذنه اليسرى أو الدبور خلفه أو الجنوب على عينه اليمنى فقد استقبل جهة الكعبة.

واعلم أن أهل مدينة رسول الله ﷺ وأهل الحجاز والرملة وبيت المقدس وفلسطين وما كان على سمت ذلك من البلاد يستقبلون فى صلاتهم ميزاب الكعبة، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن استقبال القبلتين بالغائط أو بالبول لأن من كان بالمدينة واستقبل الكعبة فقد استدبر صخرة بيت المقدس، وقد كانت قبلة، ومن استدبر الكعبة فقد استقبل الصخرة، وكأنَّ فى نهيه عن استدبار القبلتين نهيًا عن استقبال الكعبة واستدبارها، ثم قال: ولكن شرقوا أو غربوا لتكون الكعبة عن يمينه وبيت المقدس عن شماله أو الكعبة عن شماله وبيت المقدس عن يمينه، فهذا خاص لأهل المدينة وما كان على سمتهم، فمن كان فى إحدى هذه البلاد فجعل بنات نعش إذا غربت خلفه أو سهيلاً إذا طلع بين عينيه أو النسر الواقع إذا طلع على أذنه اليسرى، وإذا غرب خلف أذنه اليمنى أو ريح الصبا على عينيه اليسرى أو

الشمال خلف أذنه اليسرى أو الدبور خلف أذنه اليمنى والجنوب على حاجبه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة.

واعلم أن أهل الشام[1] كلها خلا الرملة وبيت المقدس وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من ميزاب الكعبة إلى الركن الشامى، فمن جعل فى إحدى هذه البلاد بنات نعش الكبرى إذا طلعت خلف أذنه اليسرى، أو الجدى إذا علا على منكبه الأيسر، أو الهَقْعَة إذا طلعت عن شماله، أو الصبا على صفحة خده الأيسر، أو الشمال على مرجع الكتف الأيمن، أو الدبور على أذنه اليمنى، إلى ما يلى قفاه، أو الجنوب تلقاء وجهه، كان مستقبلاً لجهة الكعبة.

واعلم أن أهل مَلَطية وسميساط والجزيرة وإرْمينية إلى باب الأبواب، وما كان من البلاد على سمت ذلك منهم يستقبلون فى صلاتهم من الركن الشامى إلى مُصَلّى آدم عليه السلام، فمن جعل فى إحدى هذه البلاد، وما كان من البلاد على سمتها العيوق إذا طلع خلف أذنه اليسرى إلى قفاه، وإذا غرب على جنبه الأيمن، أو القطب على أذنه اليمنى إلى خلف قفاه، أو مشرق الشتاء على العظم الذى خلف أذنه اليسرى، أو ريح الصبا على كتفه الأيسر، أو الشمال على صفحة خده الأيمن أو الدبور على عاتقه الأيمن، أو الجنوب على عينه اليسرى، فقد استقبل جهة الكعبة، ولا بد لمن أراد استعمال ما ذكرته فى كتابى هذا أو العمل به من معرفة ما ذكرته من الكواكب، وهى يسيرة فيعرفها بأعيانها، وكذلك الرياح ومهابها فإنه يصل إلى بغيته ومراده إن شاء الله تعالى. انتهى.

ووقع فيما ذكره ابن جماعة وابن سراقة ما يقتضى أن مصلى آدم عليه السلام فى جهة الكعبة الشرقية فيما بين بابها والركن الشامى الذى يلى الحِجْر، بسكون الجيم، وأن مصلى النبى ﷺ فيما بين الركن اليمانى والحجر الأسود، وذلك يحتاج إلى زيادة بيان رجاء معرفته، فيحصل الفوز بالصلاة فيه، وليس فى كلام ابن جماعة ما يقتضى ذلك، وفى كلام ابن سراقة ما يقتضى زيادة بيان فى ذلك لأنه قال فى

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الشمال» وصوابه من الأصل والجامع اللطيف ص١٣٤.

أوائل كتابه المذكور: ومن الباب، أي باب الكعبة، إلى مصلى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه، وأنزل الله عليه التوبة، وهى مواضع الخلوق من أزرار الكعبة أرجح من تسعة أذرع، وهناك كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام، وصلى النبى ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، ثم قال ابن سراقة: وبين موضع الخلوف وهى مصلى آدم عليه السلام وبين الركن الشامى ثمانية أذرع. انتهى.

وقال ابن سراقة فى بيان مصلى النبى ﷺ بين الركن اليمانى والحجر الأسود، وعرض جدارها يعنى الكعبة الذى يلى اليمن، وهو فيما بين الركن اليمانى والركن العراقى وهو الذى فيه الحجر الأسود عشرون ذراعًا، وإلى وسط هذا الجدار كان يصلى النبى ﷺ قبل هجرته إلى المدينة. انتهى.

والذراع الذى أشار إليه ابن سراقة [هو ذراع اليد وهو ينقص عن ذراع الحديد ثمن ذراع، كما سبق ذكره، فى حدود الحرم، وقد تحرر لى مما ذكره ابن سراقة][1] فى ذرع، ما بين الركن الشامى ومصلى آدم عليه السلام أن يكون مصلى آدم ظنًّا بقرب الحُفْرة المرخَّمة التى فى وجه الكعبة، بحيث يكون من المصلى إلى الحُفْرة ثلاثة أذرُع إلاَّ ثُلُث ذراع بالحديد، ويُعرف أيضًا مصلّى آدم بأن بينه وبين الحُفْرة المشار إليها ست رخامات من الرخام الذى هو الآن شاذروان الكعبة إلاَّ أربع أصابع، وتحت الرخام ثلاثة أحجار صُفْر، إلاَّ أن الحجَر الثالث يزيد على الست الرخامات فوقه قليلاً، وكان تحريرى لذلك مع من يُعتَمَد عليه من أصحابنا فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمانمائة، بعد أن اعتبرنا ما ذكره ابن سراقة فى ذلك، فوافق لأنا ذرعنا مقدار ثمانية أذرع باليد، ووضعناه عند طرف ركن الكعبة الشامى ومددناه إلى حيث انتهى من جدار الكعبة، ثم ذرعنا ذلك بذراع الحديد فجاء سبعة أذرع، بتقديم السين، وثُمن ذراع بالحديد، فعرفنا بذلك أن موضع منتهى الثمانية الأذرُع باليد أو السبعة بتقديم السين والثُّمن بالحديد موضع مصلى آدم ظنًّا، وهو الموضع الذى أشرنا إليه، والله أعلم.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

وحررنا فى التاريخ المذكور موضع مصلى النبى ﷺ بين الركن اليمانى والحجر الأسود، وعلى مقتضى ما ذكره ابن سراقة من أنه فى وسط هذا الجدار، فإذا هو موضع الرخامة البيضاء المكتوب فيها: أمر بتجديد المطاف الشريف العبد الفقير الراجى عفو ربه الغفور الملك المنصور لاجين، وبعد ذلك سطر مكشوط، وإنما كان هذا الموضع موضع مصلى النبى ﷺ فى هذه الجهة على ما ذكر ابن سراقة فى تحريره، لأنا ذرعنا ما بين الحجر الأسود وهذه الرخامة فوجدناه ثمانية أذرع وثمن بالحديد، وكذلك ما بين هذه الرخامة وبين الركن اليمانى، فعرفنا بذلك أن هذه الرخامة وسط هذا الجدار، وأنها على مقتضى ما ذكر ابن سراقة موضع مصلى النبى ﷺ فى هذه الجهة، والله أعلم، على أنى رأيت ما يدل بخلاف ما ذكره ابن سراقة فى تحرير موضع مصلى آدم فى الجهة الشرقية، وهو أيضًا يخالف ما ذكره ابن جماعة فى ذلك، لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه: حدثنى محمد بن يحيى قال: حدثنى هشام بن سليمان المخزومى، عن عبد الله بن أبى سليمان المخزومى أنه قال: طاف آدم عليه السلام سبعًا بالبيت حين نزل، ثم صلى وجاه باب الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنوبى، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤالى، اللهم إنى أسألك إيمانًا يباشر قلبى ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى، والرضا بما قضيت علىَّ، قال: فأوحى الله إليه: يا آدم قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك، ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلاَّ كشفت غمومه وهمومه، وكففت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهى راغمة، وإن كان لا يريدها.

وروينا فى «دلائل اليقين» لابن أبى الدنيا بسنده، عن عون بن خالد قال: وجدت فى بعض الكتب أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليمانى ركعتين ثم قال: اللهم إنى أسألك إيمانًا يباشر قلبى ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلاَّ ما كتبت لى، رضيت بما قسمت لى، فأوحى الله إليه: يا آدم إنه حق علىَّ أن لا

يلزم أحد من ذريتك هذا الدعاء إلاَّ أعطيته ما يحب ونجيته مما يكره، ونزعت أصل الدنيا والفقر من بين عينيه وملأت جوفه حكمة.

وهذان الخبران يقتضيان أن موضع مصلى آدم غير الموضع الذى يقتضيه كلام ابن سراقة وابن جماعة، فإن الخبر الذى ذكره الأزرقى يقتصى أنه وجاه باب الكعبة، والخبر الذى ذكره ابن أبى الدنيا يقتضى أنه عند الركن اليمانى، وعلى مقتضى هذا الخبر فركوع آدم عند الركن اليمانى يحتمل أن يكون عند الركن اليمانى مما يلى الحجر الأسود، ويحتمل أن يكون عند الركن اليمانى مما يلى الجهة الغربية فى المستجار، وقد رأيت ما يدل على أنه صلى فى المستجار، لأن الفاكهى قال: ذِكْر الموضع الذى تاب الله تعالى فيه على آدم عليه السلام وهو بين الركن والحِجْر، وتفسيره وكان يذكر بعض أهل مكة عن أشياخه أن الموضع الذى تاب الله تعالى فيه على آدم موضع الشقة الثالثة من كسوة الكعبة فى وجه الباب الذى يلى الركن الشامى عند باب الحجر.

وقال بعض الناس إن الموضع الذى تاب الله فيه على آدم دُبُر الكعبة عند الباب الذى فتح ابن الزبير من دُبُرها عند الركن اليمانى، والقول الأول أحب إليهم وأعجب من أجل الحديث. انتهى. وفيه دلالة لما ذكر ابن سراقة فى موضع مصلى آدم فى الجهة الشرقية، والله أعلم.

وللنبى ﷺ مصليات أُخَر عند الكعبة فى جهتها الشرقية وغيرها، يأتى التنبيه عليها فى الباب السابع عشر إن شاء الله تعالى.

الباب التاسع

فى بيان مصلى النبى ﷺ فى الكعبة المعظمة

وقدر صلاته فيها، ووقتها، ومن رواها من الصحابة،
ومن نفاها منهم، وترجيح رواية من أثبتها على رواية من نفاها
وما قيل من الجمع بين ذلك، وعدد دخوله الكعبة بعد هجرته
إلى المدينة، وأول وقت دخلها بعد هجرته

ذكر بيان مصلى النبي في الكعبة

أخبرني إبراهيم بن محمد المؤذن سماعًا بالمسجد الحرام أن أحمد بن أبي طالب الحجار الصالحي أخبره عن ابن اللتي وابن هارون قالا: أخبرنا أبو الوقت السجزي قال: أخبرنا أبو الحسن الداودي قال: أخبرنا أبو محمد بن حمويه قال: أخبرنا إبراهيم بن خزيم قال: أخبرنا عبد بن حميد قال: حدثني سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع عن ابن عمر قال: قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح فنـزل بفناء الكعبة، وبعث إلى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح، ففتح له الباب، فدخل رسول الله ﷺ البيت وعثمان بن طلحة وأسامة وبلال، فلما خرجوا ابتدرهم الناس، فقلت لبلال: أصلى رسول الله ﷺ في البيت؟ قال: نعم، قلت: أين؟ قال: بين العمودين المقدمين تلقاء وجه، أخرجه مسلم في صحيحه عن قتيبة بن سعيد، وأبي الربيع الزهراني[1] وأبي كامل الجحدري، عن حماد فوقع له عاليًا بدرجة.

ووقع لنا أعلى من هذا بدرجة، من حديث إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي عن نافع، عن ابن عمر، أخبرني به أبو هريرة بن الذهبي الحافظ بقراءتي عليه بغوطة دمشق في الرحلة الأولى: أن عيسى بن عبد الرحمن بن المُطْعَم أخبره سماعًا في الثالثة وأجازه، والقاضي تقي الدين سليمان بن حمزة الحنبلي إجازة قالا: أخبرنا ابن اللتي قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرتنا لُبْنى بنت عبد الصمد الهرثمية قالت: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال: أخبرنا أبو القاسم البغوي قال: حدثنا مُصْعَب قال: حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقها عليهم ومكث فيها، قال عبد الله بن عمر: فسألت بلالاً حين خرج ماذا صنع رسول الله ﷺ؟ قال: جعل عمودًا عن يمينه وعمودين عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة، ثم صلى.

هذا حديث مُتَّفَقٌ على صحته وثبوته من حديث مالك، ووقع لنا عاليًا جدًّا من حديثه، وقد أوضح ابن عمر ﷺ مصلى النبي ﷺ في الكعبة إيضاحًا أكثر مما

---

(١) تحرف في المطبوعتين إلى: «الزهري».

فى هذا الحديث، لأن البخارى قال فيما رويناه عنه: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل ويجعل الباب قَبَل الظَّهْر، يمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذى قِبَل وجهه قريب من ثلاثة أَذرع، فيصلى، يتوخّى المكان الذى أخبره بلال أن رسول الله ﷺ صلى فيه، وليس على أحد بأس أن يصلى فى أى نواحى البيت شاء.

وروينا فى تاريخ الأزرقى أن معاوية استدعى ابن عمر وهو فى الكعبة فـقال: يا أبا عبد الرحمن أين صلى رسول الله ﷺ عام دَخَلَها؟ فقال: بين العمودين المقدمين، اجعل بينك وبين الجدر ذراعين أو ثلاثة. انتهى باختصار.

ولشيخنا الحافظ الحُجّة أبى الفضل العراقى كلام حسن فى تعيين مصلَّى النبى ﷺ فى الكعبة لأنه قال فيما أنبأنا به بعد ذِكْر الأحاديث الواردة فى هذا المعنى: فتلخص من هذه الطرق أن مصلى النبى ﷺ من البيت أن الداخل من الباب يسير تلقاء وجهه حتى يدخل إلى أن يجعل بينه وبين الحائط ثلاثة أذرع أو ذراعين أو ما بينهما لاختلاف الطرق فيه، قال: وينبغى أن لا يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع، فإن كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مُصَلاَّهُ، وإن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلِّى وذراعاه فى مكان قدمى النبى ﷺ، فهذا أولى من التقديم عنه، والله أعلم.

ذكر قدر صلاة النبى فى الكعبة فى دخولها هذا

أما قدر هذه الصلاة فركعتان على ما رويناه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعن بلال من رواية ابن عمر، وعن جابر بن عبد الله، كما رويناه فى «شرح معانى الآثار» للطحاوى، وعن عمر أيضًا، كما رويناه فيه عن عبد الرحمن ابن صفوان عن عمر وجماعة ممن كان مع النبى ﷺ حينئذ، وعن عثمان بن طلحة أيضًا، كما رويناه فيه، وهى مقتضى حديث شيبة بن عثمان الحجبى، وعبد الله بن عباس، ولا يثبت عنه وعبد الرحمن بن صفوان القرشى وعثمان بن طلحة الحجبى

وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، كما سيأتى مبيّنًا فى الترجمة التى بعد هذه الترجمة، ونشير هنا لحديث ابن عمر وبلال لموجب اقتضى ذلك.

فأما الحديث المروى عن ابن عمر فى ذلك من غير ذكْر بلال فيه، فإنا رويناه فى مسْنَد أحمد بن حنبل، لأن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال فى مُسْنَد أبيه: وجدت فى كتاب أبى: حدثنا يزيد قال: أخبرنا شعبة عن سماك، يعنى الحنفى، قال: سمعت ابن عمر يقول: صلى رسول الله ﷺ فى الكعبة ركعتين.

وأما الحديث الذى رويناه عن بلال فى ذلك من رواية ابن عمر ففى صحيح البخارى، لأنه قال فى كتاب الصلاة: حدثنا مسدد قال: حدثنا عيسى عن سيف قال: سمعت مجاهدًا قال: أتى ابن عمر فقيل له: هذا رسول الله ﷺ دخل الكعبة، فقال ابن عمر: فأقبلت والنبى ﷺ قد خرج، فوجد بلالاً قائمًا بين الناس، فسألت بلالاً فقلت: هل صلى رسول الله ﷺ فى الكعبة؟ فقال: نعم، ركعتين بين الساريتين اللتين عن يسارك إذا دَخَلْتَ، ثم خرج فصلى فى وجه الكعبة ركعتين، وأخرجه النسائى أيضًا فقال: أخبرنا سليمان قال: حدثنا أبو نُعَيم قال: حدثنا سيف بن سليمان... فذكره، ورويناه ذلك فى سُنَن النسائى أيضًا من رواية السائب بن عمر عن ابن أبى مليكة عن ابن عمر، أنه سأل بلالاً: هل صلى رسول الله ﷺ فى الكعبة؟ فقال: نعم ركعتين بين الساريتين.

ورويناه ذلك فى «سُنَن الدارقُطْنى» من رواية زهير بن معاوية عن ابن الزبير عن ابن أبى مليكة عن ابن عمر فى حديث ابن الزبير، فسألت بلالاً فأخبرنا أن رسول الله ﷺ: صلى ركعتين.

ورويناه فى الصحيحين ما يقتضى أن ابن عمر نسى أن يسأل بلالاً عن قدر صلاة النبى ﷺ فى الكعبة، وذلك من جملة حديث أخرجه البخارى عن شريح بن النعمان عن فليح عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد وأبى الربيع الزهرانى وأبى كامل الجحدرى كلهم عن حماد بن زيد عن أيوب السختيانى عن نافع عن ابن عمر، ورويناه ذلك أيضًا فى سُنَن ابن ماجه، وفى رواية ابن ماجه: ثم لمت نفسى أن لا أكون سألته، يعنى بلالاً، كم صلى رسول الله ﷺ؟ فتكون

هذه الأحاديث معارضة للأحاديث التى تقتضى أن ابن عمر سأل بلالاً عن قدر صلاة النبى ﷺ هذه، وقد سبق ذكر هذه الأحاديث.

وذكر شيخنا العراقى فى الجمع بين هذا الاختلاف ثلاث احتمالات واستبعد منها اثنين وسكت عن الثالث، وهو على ما قال فيما أنبأنى به، ويُحتمل أن ابن عمر وإن كان سمع من بلال أنه صلى ركعتين لم يكتف بذلك فى أنه لم يصل غيرهما، لأن من صلى أربعًا أو أكثر يصدُق عليه أنه صلى ركعتين، على القول بأن مفهوم العدد ليس بحجة كما هو المرجح فى الأصول، فلعلَّ الذى نسى أن يسأل عنه بلالاً فى أنه هل زاد على الركعتين شيئًا أم لا؟ والله أعلم.

ذكر من روى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة يوم فتح مكة من الصحابة ومن نقلها منهم

روى هذه الصلاة بلال وجابر بن عبد الله وشيبة بن عثمان الحجبى وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عباس، على ما قيل، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبو هريرة وعائشة وعبد الرحمن بن صفوان القرشى وعثمان بن طلحة الحجبى وعمر ابن الخطاب.

ونفاها أسامة، على المعروف عنه، والفضل بن عباس وأخوه عبد الله بن عباس، على ما صح عنه، وليس فى حديث أكثر الصحابة المثبتين لهذه الصلاة والنافين لها فى أن ذلك وقع فى يوم فتح مكة، وإنما ذلك مبين فى حديث ابن عمر السابق وحديث جابر، كما سيأتى، وغيره، فيحمل على ذلك حديث من لم يقع فى حديثه بيان زمن الصلاة المشار إليها، لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضًا، والمجمل منها يرد إلى المبين، وقد أشار إلى ذلك النووى فى شرح مسلم، لما تكلم على قوله فى حديث ابن عمر: قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح ونزل بفناء الكعبة، هذا دليل على أن المذكور فى أحاديث الباب من دخوله ﷺ الكعبة وصلاته فيها كان يوم الفتح، وهذا لا خلاف فيه، ولم يكن يوم حجة الوداع. انتهى.

ويتأيد ذلك بما رويناه فى تاريخ الأزرقى قال: حدثنى جدى قال: سمعت سفيان، يعنى ابن عُيَيْنَة، يقول: سمعت غير واحد من أهل العلم يذكرون أن رسول الله ﷺ إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حجّ ولم يدخلها[1]. انتهى. وإذا تقرر ذلك فنشير إلى شىء من أحاديث الصحابة المشار إليهم.

فأما حديث بلال ففى الصحيحين وغيرهما من رواية ابن عمر عنه.

وأما حديث جابر بن عبد الله، فرويناه فى «شرح معانى الآثار» للطحاوى قال: حدثنا فهد قال: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال: حدثنا شبابة عن مغيرة بن مسلم عن ابن الزبير عن جابر قال: دخل النبى ﷺ يوم الفتح فصلى فيه ركعتين.

وأما حديث شيبة فرويناه فى «معجم ابن قانع» ولفظه: حدثنا حامد بن محمد، حدثنا القواريرى: حدثنا محمد بن حمدان، حدثنا أبو بشر عن مسافع بن شيبة عن أبيه قال: دخل النبى ﷺ الكعبة فصلى فيها ركعتين ورأى فيها تصاوير فقال: يا شيبة أَلْغِ هذا، فاشتد ذلك على شيبة فقال له رجل: اطْلِه بزَعْفَران، ففعل، وسيأتى شيبة فى الباب الذى بعده فى حديث آخر فى المعنى.

ورويناه أيضًا فى «شرح الآثار» للطحاوى ونصه: حدثنا ابن أبى داود قال: حدثنا محمد بن الصباح قال: حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن عبد الرحمن بن الزجاج قال: أتيت شيبة بن عثمان فقلت: يا أبا عثمان إن ابن عباس يقول: إن رسول الله ﷺ دخل الكعبة فلم يُصَلِّ، قال: بلى، صلى ركعتين عند العمودين المقدمين، ألزق بهما ظهره.

وحدثنا فهد قال: حدثنا محمد بن سعيد أخبرنا عبد الرحمن بن سليمان عن عبد الله بن مسلم... فذكرناه بإسناده.

وأما حديث ابن الزبير فرويناه فى مُسْنَد أحمد بن حنبل، ولفظه: حدثنا عثمان قال: حدثنا حماد عن عبد الله بن أبى مليكة قال: إن معاوية قدم إلى مكة فدخل الكعبة، فبعث إلى ابن عمر يسأله أين صلى النبى ﷺ؟ فقال: صلى بين الساريتين

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٧٣.

بحيال الباب، فجاء ابن الزبير فرج الباب رجًّا شديدًا ففتح له، فقال لمعاوية: أما أنك قدم علمت أنى كنت أعلم مثل الذى تعلم ولكنك حسدتنى.

وأما حديث ابن عباس فرويناه فى «سُنَن الدارقُطنى» ولفظه: حدثنا الحسين ابن إسماعيل قال: حدثنا عيسى بن أبى حرب الصفار قال: حدثنا يحيى بن أبى بكير عن عبد الغفار بن القاسم قال: حدثنى حبيب بن أبى ثابت قال: حدثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ البيت فصلى بين الساريتين ركعتين، ثم خرج فصلى بين الباب والحِجْر ركعتين، ثم قال: هذه القبلة، ثم دخل مرة أخرى، وأقام فيه يدعو، ثم خرج ولم يصلِّ، وكتب الدارقطنى على حاشية هذا الحديث: عبد الغفار ضعيف. انتهى.

وروينا هذا الحديث فى «معجم الطبرانى الكبير» وفى إسناده أبو مريم، روى عن صغار التابعين، وبقية رجاله وُثِّقُوا، وفى بعضهم كلام.

وروينا عن ابن عباس ما يدل لذلك أيضًا فى مُسْنَد بلال للحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى، ولفظه: حدثنا سعيد بن سليمان قال: حدثنا عبد الله بن المؤمل قال: سمعت ابن أبى مليكة يحدث عن ابن عباس قال: صلى رسول الله ﷺ فى الكعبة، وكان بلال والفضل على الباب فقال بلال: سجد، وقال الفضل: إنما كان يركع.

وأما حديث عبد الله بن عمر من غير ذكر بلال فأخبرنى به الحافظ أبو أحمد ابن الحسين الحاكم إجازة إن لم يكن سماعًا قال: أخبرنا به محمد بن أزبك البدرى بقراءتى عليه بظاهر دمشق فى الرحلة الثالثة قال: أخبرنا محمد بن عبد المؤمن الصُّورى قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن قدامة قال أخبرنا أحمد بن المقرب الكَرْخى ونفيسة بنت أبى غالب البزار قالا: أخبرنا طراد بن محمد الزينبى قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون النرسى قال: حدثنا محمد بن عمرو بن البَخْترى قال: حدثنا أحمد بن عبيد الجشمى قال: حدثنا عارم أبو النعمان قال: حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ صلى فى جوف الكعبة، هكذا رواه عن عارم عن حماد، وخالفه قتيبة لأنه رواه عن حماد

فزاد فى إسناده بلالاً، ورواية قتيبة أخرجها الترمذى عنه وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الطحاوى فى «شرح معانى الآثار» حدثنا أبو مرزوق قال: حدثنا وهب هو ابن جرير قال: حدثنا شعبة عن سماك الحنفى قال: سمعت ابن عمر يقول: صلى رسول الله ﷺ فى البيت، وسيأتى من ينهاك فلا تسمع قوله، يعنى ابن عباس، وقال أيضًا: حدثنا فهد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن سماك الحنفى قال: سمعت ابن عباس يقول: لا تجعل سائر البيت خلفك وائتم به جميعًا، وسمعت ابن عمر يقول: صلى رسول الله ﷺ فيه.

وأما حديث عبد الرحمن بن صفوان فرويناه فى «معجم الكبرانى الكبير» ولفظه قال: رأيت رسول الله ﷺ وأصحابه، فدخلت بين رجلين منهم فقلت: كيف صنع رسول الله ﷺ حين دخل البيت؟ قال: صلى ركعتين بين الأسطوانتين عن يمين البيت، ورجال الطبرانى رجال الصحيح على ما ذكر شيخنا أبو الحسن الحافظ.

ورويناه فى «مُسْنَد البزار» ولفظه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قلت: لألبسن ثيابى، وكانت دارى على الطريق... فذكر الحديث، إلى أن قال: فلما خرج رسول الله ﷺ سألت من كان معه: أين صلى رسول الله ﷺ؟ قال: ركعتين عند السارية الوسطى عن يمينها.

ورويناه فى «سُنَن أبى داود السجستانى».

ورويناه عن شيوخه عن جماعة لم يسموه فى «شرح معانى الآثار» للطحاوى قال: حدثنا ربيع الجِيزىّ[1] قال: حدثنا عبد الله بن الحميدى قال: حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن يزيد بن أبى الزناد عن مجاهد عن ابن صفوان أو عبد الله بن صفوان قال: سمعت أن رسول الله ﷺ يوم الفتح قد قدم، فجمعت علىَّ ثيابى

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الخبرى» بالخاء المهملة والباء الموحدة وصوابه من توضيح المشتبه ٢/ ٤٩٠.

فوجدته قد خرج من البيت، فقلت: أين صلى رسول الله ﷺ من البيت؟ قالوا: تجاهك، قلت: كم صلى؟ قالوا: ركعتين.

وأما حديث عثمان بن طلحة فهو فى «صحيح مسلم» على الشك، لأنه روى بسنده إلى ابن عمر قصة دخول النبى ﷺ الكعبة، ثم قال: فأخبرنى بلال أو عثمان بن طلحة أن رسول الله ﷺ صلى فى جوف الكعبة، ووقع فى بعض نُسَخ مسلم، على ما قال النووى: بلال وعثمان بن طلحة، ويعضد ذلك رواية فى مسلم يأتى ذكرها، ولكن فيها علة، وهى أن بعض رواتها نُسب فيها إلى الوهم.

وروينا حديث عثمان بن طلحة فى المعنى من غير شك فى مُسْنَد أحمد بن حنبل، ولفظ حديثه: أن النبى صَلَّى فى البيت وجاهك حين تدخل بين الساريتين، ورجال أحمد رجال الصحيح، ورواه الطبرانى فى «المعجم الكبير» أيضًا.

ورويناه أيضًا فى «مُعْجَم ابن قانع» ولفظه: حدثنا محمد بن يونس قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عثمان بن طلحة أن رسول الله صلى فى البيت بين الساريتين.

ورويناه أيضًا فى «شرح معانى الآثار» للطحاوى، ونصه: حدثنا على بن عبد الرحمن حدثنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا هشام بن عروة عن عروة عن عثمان بن طلحة قال: إن رسول الله ﷺ دخل البيت فصلى فيه ركعتين وجاهك بين الساريتين، وحسَّن شيخنا أبو الفضل الحافظ الحديث الذى من رواية ابن قانع.

وأما حديث عمر بن الخطاب فرويناه فى «سُنَن أبى داود السجستانى» ولفظه: حدثنا زهير بن حرب قال: حدثنى جرير عن يزيد بن أبى الزناد عن مجاهد عن عبد الرحمن بن صفوان قال: قلت لعمر بن الخطاب: كيف صنع رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة؟ قال: صلى ركعتين، ورواه الطحاوى فى «شرح معانى الآثار» فقال: حدثنا معلى بن شيبة قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى قال: أخبرنا جرير... فذكره بلفظه، إلا أنه قال: قال ابن أبى الزناد، ولم يقل: ابن الخطاب،

وقال أيضًا: حدثنا ابن أبي داود حدثنا أبو الوليد حدثنا جرير بن عبد الحميد... فذكره بإسناده مثله، غير أنه قال: عبد الله بن صفوان.

وأما حديث أبي هريرة فرويناه فى «مُسْنَد البزّار» ولفظه قال: لما كان يوم الفتح بعث رسول الله ﷺ إلى أمّ عثمان بن طلحة أن ابعثي بالمفتاح، أى مفتاح الكعبة، فقالت: لا، واللات والعُزَّى لا أبعث به إليك، فقال قائل ابعث إليها قسرًا، فقال ابنها عثمان: يا رسول الله إنها حديثة عهد بكُفْر فابعثنى إليها حتى آتيك به، قال: فذهب فقال: يا أَمَتَاه إنه قد جاء أمر غير الذى كان، وإنه إن لم تُعْطِ المفتاحَ قُتِلْتِ، قال: فأخرجته فدفعته إليه، فجاء به يسعى، فلما دنا من النبى ﷺ فابتدر المفتاح بين يديه فقام النبى ﷺ، فجثا عليه بثوبه فأخذه، ثم جاء إلى الباب، أحسبه قال: ففتحه، ثم قام عند أركان البيت وأرجائه يدعو، ثم صلى ركعتين بين الأسطوانتين، فى إسناد هذا الحديث فى «مُسْنَد البزّار»: زيد بن عوف وهو ضعيف.

وأما حديث عائشة فرويناه فى «سُنن البيهقى» ولفظه: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن عبد الجبار بن مالك اللخمى بتنِّيس قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسى حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أن عائشة قالت: دخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها، وأخرج هذا الحديث الحاكم فى «المستدرك» بهذا الإسناد، وقال صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وأما حديث أسامة الموافق لهم فى إثبات الصلاة فرويناه فى «شرح معانى الآثار» للطحاوى أيضًا قال: حدثنا حسين بن نصر قال: حدثنا ابن أبي شريح قال: أخبرنى محمد بن جعفر قال: أخبرنى العلاء بن عبد الرحمن قال: كنت مع أبي فلقيت عبد الله بن عمر فسأله أبي وأنا أسمع: أين صلى رسول الله ﷺ حين دخل

البيت؟ فقال ابن عمر: دخل النبى ﷺ بين أسامة وبلال فلما خرجا سألتهما أين صلى؟ يعنى رسول الله ﷺ، فقال: على جهته حدثنا ابن خزيمة حدثنا أحمد بن أشكاب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة عن أبى الشعثاء عن ابن عمر قال: رأيته دخل البيت حتى إذا كان بين الساريتين مضى حتى لزق بالحائط فقام فصلى فجئت فقمت إلى جنبه، فصلى أربعًا فقلت: أخبرنى أين صلى رسول الله ﷺ من البيت؟ فقال: ههنا أخبرنى أسامة أن رسول الله ﷺ صلى، فهذه أحاديث الصحابة المثبتين لصلاة النبى ﷺ فى الكعبة.

وأما أحاديث الذين نفوها فإن حديث أسامة منها رويناه فى «سُنَن النَّسائى» ولفظه: أخبرنا حاجب بن سليمان المنبجى عن عبد المجيد بن أبى رواد حدثنا ابن جُرَيْج عن عطاء عن أسامة بن زيد قال: دخل رسول الله ﷺ الكعبة فسبح فى نواحيها وكبَّر ولم يُصَلِّ، ثم خرج فصلى خلف المقام ركعتين، ثم قال: هذه القِبْلَة، ورويناه فى صحيح مسلم من رواية عطاء عن عبد الله بن عباس عن أسامة.

وأما حديث الفضل بن عباس فى نفى الصلاة فرويناه فى كتاب «الطبقات» لمحمد بن سعد كاتب الواقدى ولفظه: حدثنا موسى بن داود عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن الفضل أن النبى ﷺ دخل البيت فكان يسبح ويكبر ويدعو ولا يركع.

قال شيخنا أبو الفضل الحافظ بعد إخراجه لهذا الحديث من هذا الطريق: ورجاله رجال مسلم إلا أن موسى بن داود الضَّبِّى(١) قاضى طرطوس(٢) تكلم فيه، وقد قيل إنه تفرد عن حماد بن سلمة، وأخرجه أيضًا شيخنا أبو الفضل الحافظ من مُعْجَم ابن قانع ثم قال بعد إخراجه له من طريقه: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

ورويناه فى «مُسْنَد أحمد بن حنبل» ولفظه: عن ابن عباس أن الفضل بن عباس أخبره أنه دخل مع النبى ﷺ وأن النبى ﷺ لم يصل فى الكعبة ولكنه لما خرج

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الصبيى».
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «طرطوش».

نزل فصلى ركعتين عند باب الكعبة، ورواه الطبرانى بمعناه فى «الكبير» ورجاله رجال أحمد، ورجال أحمد رجال الصحيح.

وأما حديث عبد الله بن عباس فى نفى الصلاة من غير إسناده ذلك إلى أسامة وأخيه الفضل فرويناه فى صحيحى البخارى ومسلم، أما البخارى فأخرجه عن إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عباس قال: لما دخل النبى ﷺ البيت دعا فى نواحيه كلها، والمشهور عن عبد الرزاق بهذا الإسناد عن ابن عباس عن أسامة، وكذا رواه النسائى وغيره، وأما مسلم فقال: أخبرنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا همام قال حدثنا عطاء عن ابن عباس أن النبى ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سَوَارٍ، فقام عند كل سارية فدعا ولم يُصَلِّ.

ذكر ترجيح رواية من أثبت صلاة النبى فى الكعبة على رواية من نفاها وما قيل فى الجمع بين ذلك

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البَرّ رواية ابن عمر عن بلال أن النبى ﷺ صلى فى الكعبة أولى من رواية ابن عباس عن أسامة أنه لم يصل لأنها زيادة مقبولة، وليس قول من قال من لم يفعل بشهادة... إلى آخر كلامه، وقال السُّهَيْلى فى «الروض الأُنُف»: وأما دخوله ﷺ الكعبة وصلاته فيها فحديث بلال أنه صلى فيها، وحديث ابن عباس أنه لم يصل فيها، وأخذ الناس بحديث بلال لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفاها، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافى، ومن تأول قول بلال: إنه صلى أى دعا فليس بشىء، لأن فى حديث ابن عمر أنه صلى فيها ركعتين، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان لأنه ﷺ دخلها يوم النحر فلم يصل، ودخلها من الغد فصلى فيها، وذلك فى حجة الوداع، وهو حديث مَرْوِىّ عن ابن عمر بإسناد حسن خرَّجه الدارقُطْنى وهو من فوائده[١]. انتهى.

(١) الروض الأنف ٤/ ١٧٢.

وقال الشيخ محيى الدين النووى: أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مُثْبَت، فمعه زيادة علم، فوجب ترجيحه، قال: وأما نفى أسامة فيشبه أهُم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء، فرأى أسامة النبى ﷺ، يدعو، ثم اشتغل أسامة فى ناحية من نواحى البيت والنبى ﷺ فى ناحية أخرى، وبلال قريب منه، ثم صلى النبى ﷺ فرآه بلال لقربه منه، ولم يره أسامة لبعده واشتغاله بالدعاء، وكانت صلاته خفيفة، فلم يرها أسامة لإغلاق الباب، مع بُعْده واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيها عملاً بظنه، وأما بلال فتحققها وأخبر بها، والله أعلم. انتهى من شرح مسلم.

وقال فى المجموع وهو شرح المهذب: قال العلماء: الأخذ برواية بلال فى إثبات الصلاة أولى، لأنه مُثْبَت وقُدِّم على النافى، فإن بلالاً كان قريبًا من النبى ﷺ حين صلى معه، وراقبه فى ذلك فرآه يصلى، وكان أسامة متباعدًا مشتغلاً بالدعاء والباب مغلق ولم ير الصلاة، فوجب الأخذ برواية بلال لأن معه زيادة علم. انتهى.

وقال المحب الطبرى: وقد اختلف بلال وأسامة فى صلاة النبى ﷺ فى البيت، وحكم العلماء ترجيح حديث بلال لأنه أثبت، وضبط ما لم يضبطه أسامة، والمثبت مقدم على النافى، ثم قال: ويحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته، وقد روى ابن المنذر عن أسامة أن النبى ﷺ رأى صورًا فى الكعبة، فكنت آتيه بماء فى الدلو يضرب به الصور، فأخبر أنه كان يخرج لنقل الماء، وكان ذلك فى يوم الفتح وصلاته ﷺ فى الكعبة إنما كانت يوم الفتح لا فى حجة الوداع، قال أبو حاتم بن حبان: والأشبه عندى أن يُحْمَل الخبران على دخولين متغايرين: أحدهما يوم الفتح وصلى فيه، والآخر فى حجة الوداع ولم يصل فيه، من غير أن يكون بينهما تضاد. انتهى.

وقال القاضى عز الدين بن جماعة فى هذا المعنى فيما أخبرنى به خالى عنه: قال ـــ يعنى أحمد بن حنبل: حدثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال: قال أسامة بن زيد: دخلت مع رسول الله ﷺ البيت فجلس فحمد الله وأثنى عليه وكبر

وهلل وخرج ولم يصلّ، ثم دخلت معه فى اليوم الثانى فقام ودعا ثم صلى ركعتين، ثم خرج فصلى ركعتين خارجا من البيت مستقبل وجه الكعبة، ثم انصرف وقال: هذه القبلة، وكذلك رواه أحمد بن منيع فى مسنده والدارقطنى وغيرهم، وهو كلام شاف كاف فى الجمع بين الأحاديث، فنحمد الله على التوفيق للجمع به، فإن ذلكَ من أجلّ الفوائد، فإن بعض كبار العلماء قال يحتمل أن يكون أسامة غاب عنه ﷺ بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته.

قال ابن جماعة بعد أن ذكر كلامًا للنووى فى «المجموع» فى الجمع بين حديث بلال وأسامة: سبق ذكرنا له وهذا يحتاج إلى نقل ولم أقف عليه، ولا ضرورة تدعو إليه، والله أعلم، ثم قال بعد أن ذكر كلام ابن حبّان السابق فى الجمع بين اختلاف بلال وأسامة، وكلامه وكلام الشيخ محيى الدين — يعنى النووى — ومن نقل عنهم يدل على أنهم لم يطلعوا على ما جمعنا به. انتهى.

وقال الطحاوى فى «شرح معانى الآثار» فإنْ كان هذا الباب يؤخذ من طريق تصحيح تواتر الأخبار فإن الأخبار قد تواترت أن رسول الله ﷺ قد صلى فى الكعبة ما لم يتواتر بمثله أنه لم يصل، وإن كان يؤخذ بأن أسامة بن زيد الذى حكى عنه ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة خرج منها ولم يصل، فقد روى عنه ابن عمر وبلال وجابر وشيبة بن عثمان وعثمان بن طلحة ما يوافق ما روى ابن عمر عن أسامة، فذلك أولى مما تفرد به ابن عباس عن أسامة، وقال الطحاوى أيضًا: فكان ينبغى لما تضادّت الروايات عن أسامة وتكافأت أن يرفع، ويثبت ما روى عن بلال إذا كان لم يختلف عنه فى ذلك.

هذا ما رأيته للناس من ترجيح حديث بلال فى إثبات صلاة النبى ﷺ فى الكعبة على حديث من خالفه فى ذلك وما قيل فى الجمع بين هذا الاختلاف، وما ذكروه من الترجيح متجه، ومما لعله أن يكون مرجحًا لذلك أيضًا من حيث المعنى على ما ظهر لى أن الكعبة المعظمة كالمسجد الحرام فى استحباب التحية لمن

دخلها. والتحية للمسجد الحرام الطواف لمريده أو الصلاة فيه، والطواف بالكعبة من داخلها غير مشروع فلم يبق لها تحية إلا الصلاة فيها، كتحية سائر المساجد، فكيف يدخلها النبي ﷺ ولا يصلى فيها مع بُعْد عهده من دخولها، فإنه من حين هاجر إلى المدينة لم يدخلها، وبين هجرته ودخوله هذا ثمان سنين، ومع طول مكثه ﷺ فى الكعبة فى دخوله هذا، فإن فى مسلم من حديث ابن عمر فى قصة دخول النبى ﷺ الكعبة ومن معه أنهم لبثوا فى البيت مليا قال النووى: أى طويلاً.

وفى البخارى عن ابن عمر من رواية نافع أن النبى ﷺ مكث نهارًا طويلاً فى الكعبة حين دخلها يوم الفتح وطول المكث بمكان يستدعى الجلوس فيه غالبًا، ويبعد كل البُعد أن النبى ﷺ لم يجلس فى الكعبة فى دخوله هذا، أو أن يجلس فيها بغير صلاة، وقد نهى ﷺ فيما صح عنه الداخل إلى المسجد عن الجلوس فيه من غير صلاة، ومما يؤيد كونه ﷺ صلى فى الكعبة فى دخوله هذا إغلاق الباب عليه فيه كما فى الصحيحين[1] وغيرهما، من حديث ابن عمر، للحكمة التى ذكرها العلماء فى إغلاق الباب فى دخوله هذا، وهى لئلا يُكْثر الناس عليه، فلا يتمكن من الصلاة فى الكعبة على ما يريد ﷺ، وقيل: الحكمة فى ذلك ليصلى ﷺ إلى كل جهة من الكعبة، فإن الباب إذا كان مفتوحًا وليس أمامه قدر مؤخرة الرَّحْل لم تصحّ الصلاة إليه لعدم استقبال شىء من الكعبة، ذكر هذين القولين المحب الطبرى فى «القرى» واستظهر القول الأول، وذكر أنه يتأيد بكون النبى ﷺ لم يصل فى الكعبة أكثر من ركعتين على ما صح عنه.

وأما الأوجه التى نقلناها عن العلماء فى الجمع بين اختلاف خبر بلال وأسامة وابن عباس فى صلاة النبى ﷺ، فإن أقربها إلى الصواب ما قيل: إن النبى ﷺ صلى فى الكعبة لما غاب عنه أسامة ليأتيه بماء يمحو به الصور التى رآها فى الكعبة فرأى ذلك بلال، فأثبت الصلاة، ولم يره أسامة فنفاها، وإنما كان هذا الوجه أقرب إلى الصواب من الوجوه الأخر، لقيام الدليل على ما يؤيده، وهو الحديث الذى رويناه

(١) البخارى ٣/ ٣٧١، ٣٧٢ فى الحج، ومسلم برقم ١٣٢٩ فى الحج.

فى «مُسْنَد أبى داود الطيالسى» ولفظه: حدثنا ابن أبى ذئب عن عبد الرحمن ابن مهران قال: حدثنى عمير مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد قال: دخلت على رسول الله ﷺ فى الكعبة، ورأى صُوَرًا، فدعا بدلو من ماء، فأتيته به، فجعل يمحوها ويقول: قاتل الله قومًا يصورون ما لا يخلقون.

قلت: رجال هذا الحديث ثقات، فإن ابن أبى ذئب: هو محمد بن عبد الرحمن الإمام المشهور، وشيخه عبد الرحمن بن مهران، وثقه النسائى وابن سعد وابن حبان وشيخه عمير روى له البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، ويتأيد هذا الحديث بالحديث الذى رواه ابن المنذر فى هذا المعنى ولم أر سنده فيه. والله أعلم.

وأما الوجه الذى ذكره النووى فى الجمع بين الاختلاف فى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة فإنه وإن جاز وقوعه، ففيه بُعْدٌ لأن النبى ﷺ لما دخل الكعبة هو وأسامة وبلال ومن دخل معه، إما أن يكون اشتغل بعد دخوله بالصلاة فيها قبل اشتغاله بغيرها مما صنعه فى الكعبة، أو بدأ قبل الصلاة بالذكر والدعاء ونحو ذلك مما صنعه فى الكعبة، فإن كان الأول فكيف يخفى صلاته على أسامة؟ وإن كان الثانى، وهو مقتضى كلام النووى، فالحال يقتضى أن أسامة يلزم النبى ﷺ ليقتدى به فيما يسمعه من دعواته الخيرية الجامعة النافعة وحسن ثنائه على الله تعالى، وأن لا ينفرد عنه بمكان فى الكعبة يدعو فيه ويذكر حتى لا يعلم ما يصنعه النبى ﷺ.

وأما الوجه الذى ذكره ابن حبّان فى الجمع بين الاختلاف فى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة فإن فيه نظرًا لأن النبى ﷺ دخل الكعبة يوم فتح مكة، ودخل يومئذ معه أسامة وبلال وعثمان بن طلحة والفضل بن عباس على خلاف فى الفضل، وحديث دخول الفضل معهم فى مسند أحمد بن حنبل «وسنن النسائى».

ولفظ أحمد: حدثنا هشيم قال: أخبرنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن العباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال... الحديث.

وإسناد هذا الحديث صحيح، ولكن فى صحيح مسلم ما يخالفه، على ما سيأتى بيانه.

وثبت من حديث ابن عمر أن بلالاً أثبت صلاة النبى ﷺ فى الكعبة لما دخلها يوم فتح مكة، وثبت من حديث أسامة والفضل نفى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة، وليس فى حديثهما التصريح بالزمن الذى نفيا فيه الصلاة، وهو يحتمل أن يكون الوقت الذى ثبت دخولهما فيه مع النبى ﷺ الكعبة، وأن يكون فى حجة الوداع لما قال ابن حبان، والأول أشبه بالصواب لأنه إذا دار الأمر بين حمل حديثهما من نفى الصلاة على زمن ثبت دخولهما فيه إلى الكعبة، وبين حمل ذلك على زمن لم يثبت لهما فيه دخول، فحمله على الزمن الذى ثبت دخولهما فيه أولى، وفى حمله على الوجه الذى ذكره ابن حبان إشكال، لأن ذلك يستلزم دخول النبى ﷺ الكعبة فى حجة الوداع، ودخول أسامة ومن نفى معه صلاة النبى ﷺ فى الكعبة ولم يرضها يُشْعر بذلك، فكيف يحمل على ذلك حديث من نفى الصلاة فى الكعبة، كما قال ابن حبان.

ولا يعارض ذلك الحديث، حديث عائشة المقتضى لدخول النبى ﷺ الكعبة فى حجة الوداع ولفظه: قالت: خرج النبى ﷺ من عندى وهو قرير العين طيب النفس فرجع إلىَّ وهو حزين، فقلت له، فقال: إنى دخلت الكعبة ووددْتُ أنى لم أكن دخلت، إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى، لأن فى إسناد هذا الحديث مَن نُسِب إلى الضَّعْف، وهو إسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصُّفَيْراء[1] المكى راويه عن ابن أبى مليكة، عن عائشة، قال فيه ابن معين وأبو حاتم: ليس بالقوى، ورواه ابن مهدى، وقال يحيى القطان: تركته ثم كتبت عن سفيان، نقل هذا كله الذهبى فى «الميزان» وذكر له هذا الحديث، وحديث آخر له عن ابن أبى مليكة عن عائشة أيضًا: ما رأيت رسول الله ﷺ رافعًا يديه حتى يبدو ضبعاه إلا لعثمان بن عفان إذا دعا له.

وذِكْرُهُ لهذين الحديثين مُشْعِرٌ بأنّ فى صحتهما نظرًا وذلك، والله أعلم لكون الترمذى صحح هذا الحديث وحسنه، وكذا الحاكم، لأنه أخرجه فى مُسْتَدْرَكه

(١) بالمهملة والفاء، مصغر، قيده صاحب التقريب، وتحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن أبى الصغير».

على الصحيحين، ومما يقوى النظر فى صحة هذا الحديث أن أفعال النبى ﷺ فى حجته نُقلت بأسانيد صحيحة لا وهن فيها، ولم يُذكر فيما نُقل من أفعاله ﷺ فى حجته بمثل ذكر دخوله ﷺ إلى الكعبة فى حجته، ولو وقع ذلك لذكر كما ذُكِر بالإسناد الصحيح مجيئه ﷺ إلى زمزم، وإرادته النـزع منها وشربه من السقاية، ودخول النبى ﷺ الكعبة فى حجته لو وقع، أولى بالذكر من هذه الأمور، ولا يعارض ما أشرنا إليه ما ذكره البخارى فى صحيحه فى باب الزيارة يوم النحر، لأنه قال: ويذكر عن أبى حسان عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يزور البيت أيام مِنًى، لأن زيارة البيت لا تستلزم دخوله، ويصدق على الطواف به، وأيضًا فإن هذا تعليق بصيغة التمريض، والاحتجاج به يتوقف على ثبوته، والله أعلم.

ومما يقوى النظر فى حديث عائشة المشار إليه، إنكار غير واحد من أهل العلم دخول النبى ﷺ فى حجته على ما ذكر عنهم[1] سفيان بن عُيَيْنَة، والله أعلم.

وبتقدير صحته فليس فيه ما يُشْعِر بأن من نفى الصلاة، أى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة دخل معه النبى ﷺ الكعبة فى حجة الوداع، حتى يكون من نفى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة محمولاً على هذا الزمن كما قال ابن حبّان، ولا يقتضى التعارض بين حديث من أثبت صلاة النبى ﷺ فى الكعبة وحديث من نفاها، بالتوفيق الذى ذكره ابن حبان، لِفَقْد دليل يدل على ما ذكره من أن الزمن الذى أثبت فيه بلال ومن وافقه الصلاة فى الكعبة غير الزمن الذى نفى فيه أسامة ومن وافقه الصلاة فيها وقيام الدليل على أن الزمن الذى أثبت فيه بلال ومن وافقه الصلاة، به متّجه، وهو يوم فتح مكة، كما سبقى بيانه، ويتعارض حينئذ خبرُ بلال ومَن وافقه وخبر أسامة ومن وافقه فى ذلك، ويضاف إلى الترجيح أو التوفيق بما هو متجه كما سبق بيانه.

---

(١) فى متن طبعة الذهبى: «منهم» وبهامشها: تحرفت فى طبعة تدمرى إلى: «عنهم» وهو تصحيف.
قلت: الصواب ما فى طبعة تدمرى.

وبالجملة، فقد خُولف ابن حبان فيما نحا إليه من دخول النبي ﷺ الكعبة في حجة الوداع، كما ذكر سفيان بن عُيَيْنَة، وفي كون النبي ﷺ لم يصل في الكعبة لما دخلها في حجة الوداع، كما ذكر البيهقي، والله أعلم بالصواب.

وأما الوجه الذي ذكره السُّهَيْلي[1] في الجمع بين اختلاف حديث بلال وابن عباس في صلاة النبي، صلى ﷺ في الكعبة ففيه نظر من أوجُه:

الأول: أنّ كلامه يقتضي حمل حديث بلال في إثبات الصلاة على زمن، وحمل حديث ابن عباس في نفيها على زمن غيره، وفي ذلك من النظر مثل النظر الذي فيما ذكره ابن حبان، وهو حمل حديث من أثبت الصلاة على زمن، وحديث من نفاها على زمن، لاتحاد الزمان الذي وقع فيه ذلك.

والوجه الثاني: أن كلام السُّهَيْلي يقتضي أن إثبات الصلاة ونفيها في زمنين في حجة الوداع، ووجه النظر في ذلك أنه لا ريب في أن إثبات بلال لصلاة النبي ﷺ في الكعبة كان يوم الفتح، كما رُوى في حديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما، وابن عباس إن كان المراد به الفضل فنفيه للصلاة محمول على الزمن الذي ثبت فيه دخوله، وهو زمن الفتح.

وإنْ كان المراد به عبد الله بن عباس فلم يثبت له دخول في الفتح، ولا في حجة الوداع، فيكون نفيه لصلاة النبي ﷺ في الكعبة، مستندًا إلى قول أخيه الفضل وأسامة، فإنه روى عنهما ذلك، وقد سبق أن نفيهما محمول على الزمن الذي ثبت فيه دخولهما إلى الكعبة، وهو زمن الفتح، فيكون كذلك نفي عبد الله بن العباس، وإذا تقرر ذلك لم يستقم ما ذكره السُّهَيْلي من أن إثبات بلال للصلاة في الكعبة، ونفي ابن عباس لها في حجة الوداع، وأنى يستقيم ما ذكره، وهو يقتضي إثبات دخولين للنبي ﷺ في حجة الوداع إلى الكعبة، وفي إثبات دخوله إليها مرة واحدة في حجة الوداع نظر سَبَقَ بيانُه، فكيف بدخوله فيها مرتين؟ وليس في الحديث الذي أشار إليه السُّهَيْلي في الجمع لما ذكر ما يقتضي أن ذلك في الزمن الذي

(١) الروض الأنف ٤/ ١٧٢.

ذُكِرَ، ويظهر ذلك بذكر الحديث، ولفظه فى كتاب الدارقُطْنى: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا وهب بن منبه عن خاله عن ابن أبى ليلى عن عكرمة ابن خالد عن يحيى بن جعدة عن عبد الله بن عمر قال: دخل النبى ﷺ البيت، ثم خرج وبلال خلفه، فقلت لبلال: هل صلى رسول الله ﷺ؟ قال: لا، فلما كان الغد دخل، فسألت بلالاً هل صلى؟ قال: نعم ركعتين، استقبل الجذعة وجعل السارية الثانية عن يمينه.

وكتب الدارقطنى على حاشية هذا الحديث: ابن أبى ليلى ليس بالحافظ. انتهى. فهذا الحديث كما ترى ليس فيه بيانُ زمن دخول النبى ﷺ إلى الكعبة، فإن حملنا الحديث على أن ما فيه من الدخولين والصلاة فى أحدهما جرى فى حجة الوداع فى يوم النحر، ومن الغد كما فهم السُّهَيْلى لم ينهض من الحديث دلالة على ذلك لاحتمال أن يكون اليومان اللذان دخل فيهما النبى ﷺ، وجرى فيهما ما ذكر فى الحديث هما يوم النحر ويوم النفر الأول، أو يوم النفر الأول ويوم النفر الثانى، أو هما فيما بين قدومه مكة وخروجه منها للوقوف بعرفة، وكان قدومه بمكة صبيحة الرابع من ذى الحجة، وليس فى الحديث الذى ذكره الدارقطنى على تقدير حمله على حجة الوداع ما يمنع من هذه الاحتمالات، إلاَّ أن فى البخارى ما يمنع الاحتمال الأخير، وإن احتمله الحديث الذى ذكره الدارقطنى لأنه فى صحيحه: حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا فضيل حدثنا موسى بن عقبة قال: أخبرنى كريب عن عبد الله بن عباس قال: قدم النبى ﷺ مكة فطاف وسعى بين الصفا والمَرْوَة، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عَرَفَة.

وروى البخارى ذلك أيضًا فى موضع آخر فى صحيحه بهذا الإسناد ومع أمور أخر تتعلق بحجة النبى ﷺ، وإذا امتنع الاحتمال الأخير نفى ما عداه، مع احتمال آخر، وهو ما ذكره السُّهَيْلى، وكون ما ذكره هو الواقع، مع تجويز غيره يحتاج إلى دليل ترجيح ما ذكره، وهو متعدد، والله أعلم.

وإنْ حَمَلْنا الحديث الذى ذكره الدارقُطْنى على أن ما فيه من الدخولين، والصلاة فى إحداهما جرى فى زمن الفتح لم يستقم ما ذكره السُّهَيْلى من أن النبى

ﷺ دخل الكعبة فى يوم النحر من حجة الوداع، ولم يصل بها فى هذا اليوم ودخلها فى ثانى يوم النحر وصلى بها فيه، لكون ذلك يخالف مقتضى ما يُحْمَل عليه الحديث، من أن ما فيه جرى فى زمن الفتح، ويخالف أيضًا ما صح عن بلال من كون النبى ﷺ صلى فى الكعبة لما دخلها يوم فتح مكة كما سبق.

الوجه الثالث: أن كلام السُّهَيْلى يقتضى أن إسناد الحديث الذى أشار إليه حَسَن، وذلك لا يستقيم لضعْف فى إسناد الحديث، وفى علة أخرى وهى النكارة فى متنه، لأنا إذا حملناه على زمن الفتح فإنه يقتضى أن النبى ﷺ لم يصل فى الكعبة حين دخلها يوم فتح مكة، وإنما صلى فيها حين دخلها فى اليوم الثانى، وذلك يخالف ما صح عن ابن عمر من دخول النبى ﷺ الكعبة فى يوم فتح مكة وصلاته بها فى هذا اليوم، على ما أخبر به بلال كما هو مقتضى الحديث السابق، وهو فى «صحيح مسلم».

وروينا مثل ذلك من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن ابن عمر فى «مُسْنَد الحُمَيْدى»[1] وعن عُبَيْد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب فى «سُنَن البيهقى».

وإذا كان كذلك فالحديث الذى أخرجه الدارقطنى [منكر لمخالفته ما رواه الأئمة الثقات عن نافع عن ابن عمر، أما الضعف الذى فى إسناد الحديث الذى أخرجه الدارقطنى][2] فلأجل رواية محمد بن أبى ليلى بسبب سوء حفْظه واضطراب حديثه وكثرة أخطائه فيه، وإن كان صَدُوقًا، قال عنه شُعْبة: ما رأيت أحدًا أسوأ حفْظًا من ابن أبى ليلى.

وقال أحمد بن حنبل: كان سيئ الحفْظ، مضطّرب الحديث، وقال أبو حاتم[3]: كان سيئ الحفْظ شُغل بالقضاء وساء حفْظُه، لا يُتَّهَم بشىء من الكذب، إنَّما يُنْكر عليه كثرة الخطأ يُكْتَب حديثه ولا يُحْتَجُّ به، وقال ابن حبان: كان

(١) ١/ ٨٢ برقم ١٤٩.
(٢) ما بين حاصرتين سقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٣) الجرح والتعديل ٧/ ٣٢٢.

ردىء الحفظ فاحش الخطأ، فكثر الخطأ فى حديثه، فاستحق التَّرْك، وقال الدارقُطْنىَ: ردىء الحِفْظ كثير الوهم، وقال أبو أحمد الحاكم: غالب أحاديثه مقلوبة. انتهى.

ومن كان فى الحفظ بهذه الصفة فالحجة به غير ناهضة، فيما يرويه من الحديث، فكيف إذا عارض ما يرويه حديثًا صحيحًا كما فى هذه المسألة، وحينئذ إنما يحتج بالحديث الصحيح، لأن له مزية توجب الترجيح، على أنى لم أر ما يدل لرواية ابن أبى ليلى عن عكرمة بن خالد، ولا لرواية عكرمة عن يحيى بن جعدة، ولا لرواية يحيى عن ابن عمر، والله أعلم بصحة ذلك.

ومن أوجُه النظر فيما ذكره السُّهَيْلى من الجمع، ما أشار إليه من حمله حديث ابن عباس فى نفى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة، على أنه نفى ذلك فى يوم النحر من حجة الوداع لكونه لم يردْ عن ابن عباس ما يُشْعِر بدخول النبى ﷺ الكعبة فى حجة الوداع، بل ورد عن ابن عباس ما يقتضى خلاف ذلك، على ما رويناه فى «معجم الطبرانى» ولفظ الحديث الوارد عنه فى ذلك: حدثنا محمد بن جابان الجُنْديسابورى قال: حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا زهير عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن النبى ﷺ لم يدخل البيت فى الحج ودخل عام الفتح، فلما نزل صلى أربع ركعات أو قال: ركعتين بين الحجْر والباب، مستقبل الكعبة، وقال: هذه القبلة، وجابر هو الجُعْفى ضعفة جماعة ووثقه شُعْبة.

وأما الوجه الذى ذكره ابن جماعة فى الجمع بين اختلاف حديث بلال وأسامة فإن فى استقامته نظرًا، لأن الحديث الذى جمع به يقتضى أن النبى ﷺ دخل الكعبة مرتين، فصلى فى الثانية ولم يصل فى الأولى، وهو محمول على أن ذلك كان فى زمن الفتح، لما سبق من كلام النووى، وإذا كان ذلك فالصلاة التى نفاها أسامة فى اليوم الأول إن كانت هى الصلاة التى أثبتها بلال فى يوم فتح مكة، على ما ذكر ابن عمر، فأسامة وبلال مختلفان فى هذه الصلاة، ولا ينتفى اختلافهما فيها بإثبات أسامة صلاة النبى ﷺ فى غير اليوم الذى أثبت بلال فيه الصلاة، لكونها غير

الصلاة التى أثبتها بلال، واختلافهما إنما هو فى الصلاة فى اليوم الأول لا فى اليوم الثانى، وإنما كان يتجه الجمع بالحديث الذى جمع به ابن جماعة، لو ورد من حديث ابن عمر أن الصلاة التى أثبتها بلال كانت فى زمن الفتح، من غير تعرض لبيان اليوم الذى وقعت فيه، وأما مع تبيين ابن عمر اليوم الذى أثبت بلال فيه الصلاة فإن الجمع بالحديث المشار إليه لا يستقيم، والله أعلم.

وقد روى عن أسامة خبر يُوهم أن النبى ﷺ صلى فى الكعبة فى دخوله إليها يوم الفتح، ورويناه فى مُسْنَد بلال، للحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى، وفى صحيح مسلم، ولفظ مسلم: وحدثنى حميد بن مسعدة قال: حدثنا خالد، يعنى ابن الحارث، قال: حدثنا عبد الله بن عون عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه انتهى إلى الكعبة، وقد دخلها النبى ﷺ وبلال وأسامة، وأجاف عليهم عثمان بن طلحة الباب قال: فمكثوا فيه مليًّا، ثم فتح الباب، فخرج النبى ﷺ، فرقيت الدرجة ودخلت البيت، فقلت: أين صلى رسول الله ﷺ؟ قالوا: هاهنا، وأُنسيت أن أسألهم كم صلى.

وهذا الحديث يقتضى أن ابن عمر سأل بلالاً وأسامة وعثمان عن صلاة النبى ﷺ فى الكعبة فى دخوله هذا، وأنهم جميعا أخبروا ابن عمر بها، وذلك وهم من بعض رُواة هذا الحديث، لأن القاضى عياض نقل عن الدارقطنى أنه قال: وَهِمَ ابن عَوْن هنا، وخالفه غيره، فأسندوه عن بلال وحده، قال القاضى: وهذا هو الذى ذكره مسلم فى باقى الطرق، فسألت بلالاً فقال... إلا أنه وقع فى رواية حرملة عن ابن وهب، فأخبرنى بلال أو عثمان بن طلحة أن رسول الله ﷺ صلى فى جوف الكعبة، هكذا هو عند عامة شيوخنا، وفى بعض النُّسَخ: وعثمان بن أبى طلحة، قال: وهذا يعضد رواية ابن عون، والمشهور انفراد بلال برواية ذلك، والله أعلم. انتهى.

وقد طال الكلام فى ترجيح خبر بلال على خبر أسامة، وما قيل من الجمع بين ذلك، ولكن لموجبات اقتضاها الحال، واشتمل ذلك على فوائد يغتبط بها من له على تحصيل العلم إقبال.

وأما ترجيح خبر بلال على خبر الفضل بن عباس المعارَض بخبر بلال فى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة يوم فتح مكة، فصحة حديث بلال فى ذلك عند أهل الحديث من غير اختلاف بينهم فى ذلك، واختلافهم فى صحة حديث الفضل، لاختلاف حديث ابن عمر فى دخول الفضل الكعبة يوم فتح مكة مع النبى ﷺ وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة، فإنا روينا فى صحيح مسلم من صحيح ابن شهاب الزُّهْرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، ولم يدخلها معهم أحد، ثم أغلقت عليهم... وذكر الحديث إلى آخره، وهذا يقتضى أن الفضل لم يدخل مع المذكورين الكعبة.

وفى مُسْنَد أحمد بن حنبل ما يعارض ذلك، لأنه قال فيما رويناه عنه: حدثنا هُشَيْم أخبرنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد... وذكر الحديث، وروى ذلك النسائى، لأنه قال فيما رويناه عنه: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرنا هُشَيْم عن ابن عون... فذكره، وهذا الإسناد وإن صح ففيه نظر، لأنَّ رواية هُشَيْم له شهادة على ما ذكر شيخنا الحافظ العراقى عن بعض مشايخه، ونقل عنه تضعيف حديث الفضل، وأيضًا، فإن للحديث الذى يرويه مسلم مزيّة فى الصحة على ما يرويه غيره من الأحاديث الصحيحة غير ما فى صحيح البخارى فإنه أميز فى الصحة مما فى مسلم عند محققى أهل الحديث، وعلى تقدير ثبوت دخول الفضل الكعبة مع النبى ﷺ ومن ذكر معه، وثبوت حديثه فى نفى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة فى دخوله إليها يوم الفتح، فلا معارضة بين حديث الفضل وبلال فى الصلاة المشار إليها، لأن نفى الفضل لها إنما هو باعتبار كونه لم يرها لا باعتبار كونها لم تقع، لأنا روينا فى تاريخ الأزرقى عن عبد المجيد بن أبى رواد أن الفضل دخل مع النبى

ﷺ الكعبة يوم الفتح وبعثه النبي ﷺ فأتى بذنوب من ماء زمزم ليطمس به الصُّوَر التى فى الكعبة[١]، قال عبد المجيد: فصلّى خلافه ولذلك لم يره صلّى.

وروينا فيه أيضًا ما يؤيد ذلك لأن فيه من حديث الزُّهرى أن النبى ﷺ دخل البيت يوم الفتح، وأرسل الفضل بن عباس فجاء بماء زمزم، ثم أمر بثوب فبل بالماء، فأمر بطمس تلك الصُّور[٢]. انتهى. فتكون صلاته ﷺ كانت فى الكعبة يوم الفتح حين غاب الفضل عنه للأمر الذى ندبه إليه، ويتفق بذلك خبره مع خبر بلال، والله أعلم.

وأما ترجيح خبر بلال على خبر عبد الله بن عباس فى نفيه لصلاة النبى ﷺ يوم الفتح، فلأن بلالاً حضر مع النبى ﷺ حين صلى وشاهد صلاته، وأخبر بها وابن عباس لم يحضر مع النبى ﷺ، واعتمد فى كون النبى ﷺ لم يصل فى الكعبة على خبر أسامة له بذلك، كما ثبت فى صحيح مسلم، ورواية من حضر القصة مقدمة على من غاب عنها، وقد أشار إلى ترجيح خبر بلال على خبر الفضل بن عباس وأخيه عبد الله بما ذكره شيخنا الحافظ العراقى رحمه الله

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٦٥.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٦٥.

ذكر عدد دخول النبى الكعبة الشريفة بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخل الكعبة فيه بعد هجرته

أما عدد دخول النبى ﷺ الكعبة بعد هجرته، فروينا فى ذلك أخبارًا يُتَحَصَّل من مجموعها أن النبى ﷺ دخل الكعبة بعد هجرته أربع مرات، وهى يوم فتح مكة، وفى ثانى يوم الفتح، وفى حجة الوداع، وفى عُمرة القضية، وفى كلٍّ من هذه الدخلات خلاف، إلاَّ الدخول الذى فى يوم الفتح.

ونشير إلى الأخبار الواردة فى هذه الدخلات، فأما دخوله فى يوم الفتح فرويناه فى صحيح مسلم وغيره، كما سبق فى حديث ابن عمر، ولفظ حديثه عند مسلم، قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح فنـــزل بفناء الكعبة، وأرسل إلى عثمان بن طلحة... فجاء بالمفتاح ففتح الباب، قال: ثم دخل النبى ﷺ وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة، وذكر الحديث.

ولا تضاد بين حديث ابن عمر هذا وحديثه فى صحيح مسلم الذى قال فيه: أقبل رسول الله ﷺ عام الفتح على ناقة لأسامة حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة فقال: ائتنى بالمفتاح... الحديث، فى قصة دخول النبى ﷺ الكعبة وصلاته فيها، لأن المراد بعام الفتح فى هذا الحديث يوم الفتح كما فى الحديث السابق، لأن الأحاديث تفسر بعضها بعضًا، والمجمل منها يرد إلى المبين.

وقد أشار الإمام النووى إلى اتفاق الخبرين لأنه قال فى شرح مسلم: قوله: قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح فنـــزل بفناء الكعبة، هذا دليل على أن هذا المذكور فى أحاديث الباب من دخوله ﷺ الكعبة، وصلاته فيها كان يوم الفتح، وهذا لا خلاف فيه، ولم يكن يوم حجة الوداع. انتهى.

وفى هذا الدخول وقع الاختلاف فى كون النبى ﷺ صلى فيه، وأما دخوله ﷺ فى ثانى يوم الفتح، ففى مُسْنَد أحمد بن حنبل ما يدل له لأنه قال: حدثنا هُشَيْم قال: أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال: قال أسامة بن زيد: دخلت مع رسول الله

ﷺ البيت، فجلس فحمد الله وأثنى عليه وكبر وهلل، وخرج ولم يصل، ثم دخلت معه فى اليوم الثانى، فقام ودعا... الحديث، وقد سبق فى هذا الباب بكماله.

وأما دخوله ﷺ فى حجة الوداع، فرويناه فى سنن أبى داود وابن ماجه وجامع الترمذى والمستدرك للحاكم، من رواية إسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصُّفَيراء عن ابن أبى مليكة عن عائشة، وسبق ذلك فى الترجمة التى قبل هذه الترجمة، مع بيان ما فى هذا الحديث من الوهن.

[وأما دخول النبى ﷺ الكعبة فى عمرة القضية فذكر المحب الطبرى فى القرى: عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب ما يقتضى ذلك، لأنه قال فى باب العمرة، وهو الثامن والثلاثون فى ترجمة ترجم عليها بما جاء فى عُمْرة الحديبية وعمرة القضية: وعن هشام عن أبيه أن خِرَاش بن أمية حلق رأس رسول الله ﷺ عند المروة ثم دخل البيت][(١)].

وعن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ لما قضى نُسُكَه دخل البيت، فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالظُّهْر على ظهر الكعبة، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثًا، فلما كان ظهر اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو بن حُوَيْطب بن عبد العُزَّى[(٢)]، ورسول الله ﷺ جالس فى مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عُبادة، فقال: يا محمد قد انقضى أجلك فاخرج عنا، قال: وماذا عليكم لو تركتمونى فأعرست عندكم وصنعت لكم طعامًا؟ وكان قد تزوج بميمونة الهلالية من طريقه، وذكر مناشدة سهيل النبى ﷺ فى الخروج من مكة، وخروج النبى ﷺ إلى سرف، وتعريسه فيه بميمونة، ولم يذكر المحب الطبرى من خرَّج هذا الخبر ولا الخبر الأول، وهما يقتضيان دخول النبى ﷺ الكعبة فى عُمْرة القضية، وخبر سعيد بن المسيب أصرح لما فيه من القضايا التى وقعت فى عمرة القضية على ما جاء فى غير هذا الخبر، وهى تزويج النبى ﷺ ميمونة، وسؤال سهيل بن عمرو النبى ﷺ فى الخروج من مكة وجواب النبى ﷺ له، على نحو ما فى هذا الخبر، ولست واثقًا بصحة ما

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل، وانظره فى القرى ص ٦٢٠.
(٢) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «عبد الحىِّ» وهو تحريف قبيح صوابه من الأصل والقرى.

فيه من دخول النبى ﷺ الكعبة وأذان بلال الظهر عليها، وعلى تقدير صحتها فلأنهما يخالفان ما رويناه فى الصحيحين، عن إسماعيل بن أبى خالد قال: قلت لعبد الله بن أبى أوفى: أدَخَلَ النبى ﷺ فى عُمْرته؟ قال: لا. انتهى.

والمراد بهذه العُمْرة عُمْرة القضية على ما قال العلماء، كما قال النووى منهم فى شرح مسلم وغيره.

وسيأتى ذِكْر السبب الذى لأجله لم يدخل النبى ﷺ الكعبة فى هذه العُمْرة، ولم أر أحدًا من أهل العلم قال بدخول النبى ﷺ الكعبة فى عُمْرة القضية، كما هو مقتضى هذين الخبرين وإنما ذكرناهما لغرابتهما.

وأما دخوله ﷺ الكعبة فى يوم الفتح وحجة الوداع فهو رأى أبى حاتم بن حبان، لأنه جمع بذلك بين اختلاف بلال وأسامة فى صلاة النبى ﷺ فى الكعبة، ونص كلامه، والأشبه عندى أن يُحْمل الخبران على دخولين متغايرين، أحدهما يوم الفتح وصلى فيه، والأخرى فى حجة الواع ولم يصل فيه. انتهى.

[وقد وافق ابن حبان، على ما ذكره، من دخول النبى ﷺ فى حجة الوداع: البيهقى، لأنه قال: إن النبى ﷺ صلى فى داخل الكعبة فى حجة الوداع، حكى ذلك عن البيهقى: ابن جماعة فى منسكه.

وأما دخول النبى ﷺ الكعبة فى ثانى يوم فتح مكة، كما هو مقتضى حديث أسامة الذى جمع به ابن جماعة: فلم أر أحدا من أهل العلم قال به إلا ابن جماعة فى منسكه][(١)].

وأما أول وقت دخل فيه النبى ﷺ الكعبة بعد هجرته، فيوم فتح مكة، لأنه لم يدخلها فى عُمْرة القضية، على مقتضى حديث ابن أبى أوفى السابق ذِكْره فى الصحيحين، ولا يعارض ذلك الخبران المقتضيان لدخول النبى ﷺ الكعبة فى عُمْرة القضية، لأنهما لو صحًّا لكان ما فى الصحيحين... إلخ، مقدمًا عليهما، فكيف وفى صحتهما نظر.

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وأما السبب الذى لم يدخل النبى ﷺ لأجله الكعبة فى عُمْرة القضية، فذكر النووى فيه كلامًا لغيره لا يخلو من نظر، لأنه قال لما تكلم على حديث ابن أبى أوفى: قال العلماء: وسبب عدم دخوله ﷺ ما كان فى البيت من الأصنام والصُّوَر، ولم يكن المشركون يتركونه لتغييرها، فلما فتح الله تعالى عليهم مكة دخل البيت وصلى فيه، وأزال الصُّوَر قبل دخوله، والله أعلم. انتهى.

قلت: فى هذا الكلام ما يقتضى أن النبى ﷺ لم يدخل الكعبة يوم فتح مكة حتى أخرج منها ما كان ينبغى إخراجه من الصُّور وغير ذلك، ووقع فى مُسْنَد أبى داود والسجستانى من حديث ابن عباس ما يدل لذلك.

وقد روينا ما يخالف ذلك لأن أبا داود الطيالسى قال فى مُسْنَده: حدَّثنا ابن أبى ذئب عن عبد الرحمن بن مهران قال: حدثنى عُمَيْر مولى ابن عباس عن أسامة ابن زيد، قال: دخلت مع رسول الله ﷺ فى الكعبة، ورأى صُوَرًا فدعا بدلوٍ من ماء، فأتيته به، فجعل يمحوها ويقول: قاتل الله قومًا يصورون ما لا يخلقون، ورجال هذا الحديث يُحتَجُّ بهم، وهو يقتضى أن النبى ﷺ دخل الكعبة فى الفتح والصُّور فيها، وأنه أزالها بعد دخوله، ويدل لذلك أيضًا ما رويناه فى تاريخ الأزرقى عن عبد العزيز بن أبى رواد، من أن النبى ﷺ بعث الفضل بن عباس بعد دخوله معه الكعبة ليأتيه بماء ليطمس به الصُّوَر التى فى الكعبة[1] ويدل لذلك أيضًا قول ابن إسحاق فى السيرة فى قصة الفتح: فلما قضى، يعنى النبى ﷺ، طوافه دعا بعثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففُتِحَت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها ثم طرحها. انتهى.

وهذا يقتضى أن النبى ﷺ دخل الكعبة وفيها الصُّوَر، وأنه دخل الكعبة حين فُتِحَت له فى هذا التاريخ، ولم يشتغل بشىء سوى ذلك، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٦٥.

الباب العاشر

فى ثواب دخول الكعبة المعظمة

وفيما جاء من الأخبار الموهمة لعدم استحباب دخولها وفيما يطلب فيها من الأمور التى صنعها النبى ﷺ وفى حكم الصلاة فيها وفى آداب دخولها

أخبرني أحمد بن عمر البغدادي بقراءتي عليه بالقاهرة، والقاضي المفتي أبو بكر ابن الحسن الشافعي بقراءتي عليه بطيبة، كلاهما عن الحافظ أبي الحجاج المزي قال: أخبرنا الدَّرَجي قال: أنبأنا الصيدلاني قال: أخبرتنا فاطمة الجوزدانية[١] قالت: أخبرنا ابن رِيذَة[٢] قال: أخبرنا الطبراني قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن عبد الله بن المؤمل قال: حدثنا عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل البيت فصلى فيه دخل في حَسَنَة وخرج من سيئة مغفورًا له» وفي لفظ: «مَن دخل البيت خرج مغفورًا له».

وروى الفاكهي أخبارًا في فضائل دخول البيت والصلاة فيه، لأنه قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن قال: حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عمر في دخول البيت دخول في حسنة وخروج من سيئة مغفورًا له.

حدثنا محمد بن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد الكريم وحدثنا أبو بشر حدثنا ابن أبي الصيف حدثنا إسماعيل بن كثير أبو هاشم جميعًا عن مجاهد قال: دخول البيت حسنة وخروجه خروج من سيئة مغفورًا له.

وقال الفاكهي أيضًا: حدثني أحمد بن محمد القرشي عن يوسف بن خالد قال: حدثنا غالب القطان عن هند بن أوس قال: حججت فلقيت ابن عمر فقلت إني أقبلت من الفج العميق أردت البيت العتيق، وأنه ذكر لي أن مَن أتى بيت المقدس يصلي فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال ابن عمر: رأيت البيت من دخله، فصلى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

---

(١) تحرف في المطبوعتين إلى: «الجوزانية».
(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «ابن زيدة».

وقال الفاكهى: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا الغازى قال: حدثنا سفيان عن ابن جُرَيْج عن عطاء قال: لأن أصلى ركعتين فى الكعبة أحب إلى من أن أصلى أربعًا فى المسجد الحرام.

وقال الفاكهى: حدثنا أحمد بن حميد عن الحسين بن الوليد قال: حدثنا عباد ابن راشد عن الحسن قال: الصلاة فى الكعبة تعدل مائة ألف صلاة. انتهى.

ورويْنا عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة قال: قال رسول الله ﷺ: من دخل الكعبة، دخل فى رحمة الله عز وجل، وفى حمى الله تعالى وفى أمن الله عز وجل، ومن خرج خرج مغفورًا له[1]. انتهى.

وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السِّلَفى لنفسه بعد دخول الكعبة:

أَبُعْدَ دخول البيت والله ضامن ... بنفى قبيحٍ، والخطايا الكوامنُ
فحاشاه، كلا، بل يسامح كلها ... ويرجع كلٌّ، وهو جذلان آمنُ[2]

وقد اتفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت، واستحسن مالك كثرة دخولها، لأنَّ فى مناسك ابن الحاج قال ابن حبيب: وأخبرنى مُطْرِف عن مالك أنه سُئل عن الصلاة فى البيت وعن دخوله كلما قدر عليه الداخل، فقال له: ذلك واسع حسن. انتهى.

ورويْنا ذلك فى «تاريخ الأزرقى» عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، على ما قيل، وصدقة بن يسار، ووردت أخبار استدل بها بعض العلماء على عدم استحباب دخول الكعبة، وقد ذكرها المحب الطبرى مع الجواب عنها فى كتاب «القرى» وذكرنا ذلك بنصه فى أصل هذا الكتاب، ونشير هنا لشىء من ذلك: أنبأت عمن أنبأه المحب الطبرى قال: باب دخول الكعبة، وهو الباب الثامن والعشرون من كتابه «القرى» حجة من قال: لا يستحب، عن عائشة، قالت: خرج رسول الله ﷺ من عندى وهو قرير العين طيب النفس، ثم رجع إلىَّ وهو حزين، فقلت له فقال: «إنى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن

---

(١) نقله فى الجامع اللطيف ص٩٥.

(٢) الجامع اللطيف ص٩٦.

فعلت، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي» أخرجه أحمد، والترمذي وصححه، وأبو داود[١].

وقد استدل بهذا الحديث من كره دخول البيت ولا دلالة فيه، بل نقول: دخوله ﷺ، دليل على الاستحباب، وتمنيه عدم الدخول فقد علله بالمشقة والشفقة على أمته، وذلك لا يرفع حكم الاستحباب، ثم قال المحب: وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: اعتمر رسول الله فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس، فقال له رجل: أَدَخَلَ رسول الله ﷺ الكعبة؟ قال: لا، أخرجاه وَبَوَّب عليه البخاري، باب من قال لم يدخل الكعبة، وأجاب المحب الطبري عن هذا الحديث بأن عدم دخول النبي ﷺ الكعبة في عمرته هذه يجوز أن يكون لعذر، قال: ولعله تركه شفقة على أمته، كما دل عليه الحديث المتقدم[٢]. انتهى.

قلت: هذا الاحتمال بعيد، والاحتمال الأول هو الصواب، لموافقته ما ذكره العلماء في سبب كون النبي ﷺ لم يدخل الكعبة في عُمْرته المشار إليها، وهو عدم تمكنه ﷺ من أن يزيل من الكعبة ما كان فيها من الأوثان والصُّوَر، لكون مكة في أيدي المشركين وحكمهم إذا ذاكروا، والله أعلم.

وأما ما يُطلَب في الكعبة من الأمور التي صنعها النبي ﷺ، فهو التكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله عز وجل، والدعاء والاستغفار، لأحاديث وردت في ذلك، منها ما رويناه عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج، فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين وقال: هذه القبلة، أخرجه البخاري ومسلم، وفي مسلم عن ابن جُرَيْج قلت لعطاء: ما نواحيه؟ أفي زواياه؟ قال: بل في كل قبلة من البيت، وعند النسائي في هذا الحديث: سبَّح في نواحيه وكبَّره وقوله: قُبُل البيت، وهو بضم القاف والباء الموحَّدة، ويجوز إسكان الباء كما في نظائره، ومعناه على ما قيل: ما استقبلك فيها، وقيل مقابلها.

وفي معنى قوله ﷺ «هذه القبلة» ثلاثة احتمالات:

---

(١) القرى — ص٤٩٤.

(٢) القرى — ص٤٩٥.

أولها: أن معنى ذلك أن أمر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا يُنْسَخ بعد اليوم وصلُّوا إليه أبدًا.

والاحتمال الثانى: أن معنى ذلك أن النبى ﷺ علمهم سُنَّة موقف الإمام، وأنه يقف فى وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها، وإن كانت الصلاة فى جميع جهاتها مُجْزِية، وهذان الاحتمالان أبداهما الإمام أبو سليمان الخطابى... إلخ.

والاحتمال الثالث: أبداه الإمام النووى فى «شرح مسلم» بعد ذِكْره لهذين الاحتمالين، وهو أن معناه: هــذه الكعبة هى المسجد الحرام الذى أمرتم باستقباله لا كل الحَرَم ولا مكة، ولا كل المسجد الذى حول الكعبة، بل هى الكعبة نفسها فقط، والله أعلم. انتهى. ومعنى قول عطاء: بل فى كل قبلة من البيت أى فى كل موضع من البيت قبلة، أو كل موضع من البيت قبلة، وذكر ذلك المحب الطبرى، قال: ويكون قد دار النبى ﷺ فى البيت جميعه داعيًا ذاكرًا.

ومن الأحاديث الواردة فى المعنى الذى أشرنا إليه ما رويناه فى «سُنَن النسائى» أيضًا من حديث أسامة بن زيد أنه دخل مع النبى ﷺ البيت، فمضى، يعنى النبى ﷺ، حتى إذا كان بين الأسطوانتين اللتين يليان باب الكعبة جلس فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره، ثم قام حتى أتى ما استقبل من دُبُر البيت فوضع وجهه وخده عليه فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره، ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله، والمسألة والاستغفار، ثم خرج. انتهى باختصار.

وروينا من حديثه أيضًا فى «سُنَن النسائى» قال: دخلت مع رسول الله ﷺ البيتَ فجلس فحمد الله وأثنى عليه وكبر وهلل ثم قام إلى ما بين يديه من البيت فوضع صدره عليه وخده ويديه، ثم هلل وكبر ودعا، ثم فعل ذلك بالأركان كلها، ثم خرج. انتهى باختصار، وأخرجه أحمد أيضًا.

وروينا عن ابن عباس قال: دخل النبى ﷺ الكعبة وفيها ست سوار فقام عند كل سارية فدعا ولم يصل، أخرجه البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل.

وروينا فى مُسْنَده عن الفضل بن عباس أن رسول الله ﷺ قام فى الكعبة وسبح وكبر ودعا الله عز وجل واستغفر ولم يركع ولم يسجد، وروينا عن الفضل أيضًا أنه كان مع رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة، قال: فلم يصل فيها ولكنه لما دخلها وقع ساجدًا بين العمودين ثم جلس يدعو. انتهى. ولا تضاد بين قوله فى هذا الحديث: وقع ساجدًا، وبين قوله فى الحديث الذى قبله: ولم يسجد، لاحتمال أن يكون أراد بقوله: ولم يسجد أى فى صلاة، ويؤيده قوله ولم يركع، والركوع إنما يكون فى صلاة، ويكون سجود النبى ﷺ فى الكعبة على تقدير ثُبوت الحديث المتضمن لذلك شكرًا لله تعالى، وقد أشار المحب الطبرى إلى التوفيق بين هذين الحديثين بما ذكرناه، والله أعلم.

ومن الأمور التى قيل إن النبى ﷺ صنعها فى الكعبة، صبه الماء على جسده ﷺ، ذَكَرَ ذلك الفاكهى لأنه قال: حدثنا سَلَمَةُ بن شبيب أبو عبد الرحمن قال: حدثنا زيد بن الحُبَاب قال: سمعت أبا قدامة عامر الأحول يقول: إن رسول الله ﷺ دعا بدلو من ماء فصبه عليه فى الكعبة. انتهى. وهذا غريب جدًّا، ولذا ذكرناه، والله أعلم بصحته، ولا أعلم أحدًا من أهل العلم قال باستحبابه، والله أعلم.

ومن الأمور التى صنعها النبى ﷺ فى الكعبة، على ما قيل: إنه ألصق بها بطنه وظهره، كما رويناه فى مُعْجَم ابن قانع لأنه قال: أخبرنا حسين بن اليمانى قال: حدثنا سهل بن عثمان العسكرى قال: أخبرنا عبد الرحمن بن سليمان عن عبد الله ابن مسلم بن هرمز عن عبد الرحمن الزجاج قال: أتيت شيبة بن عثمان، فقلت: يا أبا عثمان، زعموا أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة فلم يصل فيها، فقال: كذبوا، لقد صلى بين العمودين ركعتين ثم ألصق بها بطنه وظهره. انتهى.

وقد أشار شيخنا الحافظ العراقى إلى استحباب هذا الفعْل فى الكعبة، ويدل لذلك ما رويناه فى مُسْنَد الشافعى عن عُرْوة بن الزُّبير أنه كان إذا طاف بالبيت استلم الأركان كلها وألصق بطنه وظهره وجنبه بالبيت... إلخ، ورأيت لغير واحد من العلماء ما يقتضى عدم استحباب ذلك، لأن المحب الطبرى قال فى «القرى» ما جاء فى كراهية أن يلصق ظهره إلى الكعبة: عن عطاء، وقد سئل عن ذلك فكرهه،

وعن إبراهيم قال: كانوا يكرهون أن يسند ظهره، أخرجهما سعيد بن منصور(١). انتهى.

ورأيت أيضًا لإمامنا مالك ما يقتضى أن ذلك غير مطلوب، لأنه قال: لا يعتنق شيئًا من أساطينه، يعنى البيت، وقد دخله ﷺ ولم أسمع أنه اعتنق شيئًا من أساطينه. انتهى.

والدلالة من كلام مالك على كراهيته ذلك ظاهرة، لأن اعتناق أساطين الكعبة كإلصاق البطن والظهر بها، والله أعلم.

وأما ما سوى ذلك من الأمور التى صنعها رسول الله ﷺ فى الكعبة، كما هو مذكور فى هذه الأحاديث، فلا أعلم بين أهل العلم اختلافًا فى استحبابه، إلا سجدة الشكر فى الكعبة، كما هو مقتضى حديث الفضل، ففيها خلاف بين أهل العلم: فإن مشهور مذهب مالك أن سجود الشكر مكروه من حيث الجملة، ومقتضى ذلك أن لا يفعل فى الكعبة، على أن حديث الفضل الذى فى هذه السجدة مختلف فى ثبوته، والله أعلم.

ذكر حكم الصلاة فى الكعبة

استحب جمهور العلماء الصلاة فى الكعبة لأنه ثبت أن النبى ﷺ صلى فيها، ومنع طائفة من العلماء، منهم ابن عباس، كما حكاه عنه القاضى عياض، ونقله النووى عن جماعة من العلماء وفى شرح مسلم، لأنه قال: وقال محمد بن جرير، وأصبغ المالكى وبعض أهل الظاهر: لا تصح فيها صلاة أبدًا لا فريضة ولا نافلة، قال: ودليل الجمهور حديث بلال. انتهى. واختلف المستحبون للصلاة فى الكعبة، فبعضهم قال بذلك فى الفريضة والنافلة بشرط يأتى ذكره فى الفريضة، وبعضهم قصر ذلك على النفل غير المؤكد، وهذا مذهب الإمام مالك، ولم أر فيما وقفت عليه من كتب المالكية ما يشهد لصحة ما نقله النووى عن أصبغ بن الفرج، أحد أئمة المالكية، والذى رأيته منقولاً عنه فى كتب المذهب أن من صلى الفريضة فى الكعبة أعاد أبدًا من غير نظر إلى كون المصلى فيها عامدًا أو ناسيًا، وقد اختلف المذهب، وصحح صلاة الفريضة فى الكعبة ابن عبد الحكم، واستحب أشهب ألا

---

(١) القرى ـــ ص٣١٨.

تُصَلَّى الفريضة فى الكعبة، فإن صُلِّيَتْ فيها صحت، وصوَّب هذا القول اللخمى، لأنه لما ثبت أن النبى ﷺ صلى فى الكعبة النافلة وجب مساواة الفريضة لها، فإن أمرهما فى الحضر واحد من جهة الاستقبال، ومشهور المذهب أن صلاة الفريضة لا تصح فى الكعبة وإن صلاها فيها أعاد الصلاة، واختلف شيوخ المذهب فى الإعادة هل تكون فى الوقت أو أبدًا؟ وهو مقتضى قول أصبغ، واختلف فى الإعادة فى الوقت، هل هى فى حق الناسى، وهو قول ابن حبيب، ورأى ابن يونس وجماعة، وقيل: إن ذلك فى حق العامد والناسى، وهو رأى القاضى عبد الوهاب واللخمى وابن عتاب، ويلحق بالفريضة نوافل فى كونها لا تُصَلَّى فى الكعبة، وهى السنن كالعيدين والوتر وركعتى الفجر وركعتى الطواف الواجب، فإن صُلِّيَتْ هذه النوافل فى الكعبة فلا تجزى على المذهب المشهور، وتجزى على رأى أشهب وابن عبد الحكم.

واختلف الحنابلة فى صحة صلاة الفريضة فى الكعبة، والأصح عندهم أنها لا تصح فيها، وكذلك عندهم النذر المُطْلَق قالوا: فإن نَذَرَ الصلاة فى الكعبة صحت فيها، وعندهم خلاف فى صحة النافلة فى الكعبة، والأصح عندهم فيها الصحة وعندهم فى كونها فى الكعبة مستحبة أو جائزة روايتان، ولم يخالف مذهب الشافعى فى جواز الصلاة فى الكعبة، سواء كانت فريضة أو نافلة، ومقتضى مذهبه إن فعل النافلة فى الكعبة أفضل من فعلها فى المسجد خارج الكعبة، وكذلك الفريضة بشرط أن لا يرجو المصلى مجيء جماعة خارج الكعبة، قال الشافعى: ما فريضة تفوتنى فى جماعة فأصليها فى موضع أحب إلىّ منه، يعنى البيت الحرام، لأن البقاع إذا فضلت بقربها منه فبطنه أفضل منها.

ومذهب أبى حنيفة جواز صلاة النافلة والفريضة فى الكعبة، وأن النافلة فى الكعبة مستحبة، وحيث صحت الصلاة فى الكعبة فللإنسان أن يصلى فى جوفها إلى أى جوانبها شاء، هكذا فى النوادر من كتب أصحابنا المالكية، وفيه: أحب إلىّ أن يجعل الباب خلف ظهره ثم يصلى إلى أى موضع شاء بعد أن يستدبر الباب، وكذلك فعل النبى ﷺ. انتهى. وهذا مذهب الشافعى، وعند الحنابلة أن الصلاة إلى

الباب صحيحة إذا كانت له عتبة شاخصة، وعندهم وجهان فيما إذا صلى إلى سترة فى لبن منظوم أو شبهه غير متصل اتصال البناء، وصحح أبو البركات الصحة فى هذه الصور، وإذا أقيمت الجماعة فى الكعبة فلمن ائتم بالإمام فيها خمسة أحوال فى الوقت:

الأول: أن يكون وجه المأموم إلى وجه الإمام.

الثانى: أن يكون ظهره إلى ظهره.

الثالث: أن يكون وجه المأموم إلى ظهر الإمام.

الرابع: أن يكون بجنبه غير متقدم عليه.

الخامس: أن يكون ظهر المأموم إلى وجه الإمام، فيصح فى جميع الأحوال غير الحالة الخامسة فلا يصح فيها على الأصح من مذهب الشافعى، ومذهب أبى حنيفة فى هذه المسألة كمذهب الشافعى.

وعند الحنابلة وجهان فى صحة صلاة المأموم إذا تقابل هو والإمام، وقاس أبو البركات من الحنابلة المنع على ما إذا كان قفا المأموم فى وجه الإمام، وإذا حفرت فى الكعبة حفرة وصلى فيها إنسان صحت صلاته فيها كما قال بعض الشافعية فيما نقل مجلى فى ذخائره، قال مجلى: وذلك إذا لم تجاوز الحفرة قواعد البيت فإن جاوزتها بحيث لا تحاذى ببدنه شيئًا منها لم يصح، وإلا فهو كالصلاة على ظهرها إلى السترة القصيرة، وذكر ابن الرفعة أن فيما قاله مجلى نظرًا، وذكر أنه لا فرق بين أن يتجاوز القواعد إلى سترة أو لا، كما أطلقه الأصحاب.

قال ابن جماعة: وعندى ينبغى أن يفصل فيقال: إن صلى فى الحفرة و لم يحاذ ببدنه شيئًا من الكعبة أو قواعدها وكان قادرًا على إصابة عين البناء لم تصح الصلاة، وإلاَّ صحت، والله أعلم. انتهى.

واختلف العلماء أيضًا فى الصلاة على سطح الكعبة، والمشهور من مذهب مالك منع الصلاة على ظهرها، وأنه أشد من منعها فى بطنها، وذلك لأن المصلى فى بطنها يعيد فى الوقت والمصلى على سطحها يعيد أبدًا، وقيل: إن الصلاة على سطحها كالصلاة فى بطنها فتعاد فى الوقت، وهذا القول حكاه ابن محرز عن

أشهب، وقيل: إن الصلاة على سطحها تصح ولا إعادة على من فعل ذلك، وهذا القول حكاه اللخمى عن أشهب وهو قول ابن عبد الحَكَم، وقيل: إن الصلاة على سطحها تصح إن أقام المصلى شيئًا يقصده، وهذا تأويل القاضى عبد الوهاب على المذهب، وقيل: تصح الصلاة على سطحها إذا كان بين يدى المصلى قطعة من السطح، وهذا الاختلاف فى الفريضة، وأما النافلة على سطح الكعبة فلا تصح على مقتضى مشهور المذهب إذا كانت الصلاة متأكدة كالسُّنَن والوِتْر وركعتى الفجر وركعتى الطَّواف الواجب، لمساواة هذه النوافل للفريضة فى حكم الصلاة فى جوف الكعبة، وفى صحة النفل غير المؤكد فى سطع الكعبة نظر على مقتضى رأى أكثر أهل المذهب فى حملهم النهى الوارد عن النبى ﷺ فى الصلاة على سطح الكعبة.

وأما على رأى ابن عبد الحكم ومن وافَقَه فيصح النفل مطلقًا على سطح الكعبة، وحديث النهى الوارد عن الصلاة فيه رويناه فى مُسْنَد عبد بن حميد بالسند المتقدم إليه فى الباب التاسع، ولفظه: حدثنا عبد الله بن يزيد الـمُقْرِئ حدثنا يحيى بن أيوب عن زيد بن جبيرة عن داود بن حصين عن نافع عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ نهى أن يُصَلَّى فى سبعة مواطن: المَزْبَلَة، والمَجْزَرَة، والمَقْبَرَة، وقارعة الطريق، وفى الحمام، ومعاطن الإبل، وفوق ظهر بيت الله عز وجل، أخرجه الترمذى عن محمود بن غيلان، وابن ماجه عن محمد بن إبراهيم الدمشقى، كلاهما عن المقرئ، فوقع لنا بدلاً لهما عاليًا بدرجة بالنسبة إلى روايتنا العالية لكتابيهما بدرجتين بالنسبة إلى روايتنا لهما المتصلة بالسماع، وزيد بن جبيرة متروك الحديث.

وروينا هذا الحديث من غير طريقه فى سُنَن ابن ماجه بإسناد يقوم بمثله الحجة، ولفظه: حدثنا على بن داود ومحمد بن أبى الحسن قالا: أخبرنا أبو صالح قال: حدثنا الليث قال: حدثنا نافع عن ابن عمر بن الخطاب قال: إن رسول الله ﷺ قال: «سبعة مواطن لا يجوز فيها الصلاة: ظاهر بيت الله، والمقبرة، والمزبلة، والمجزرة، والحمام، ومعاطن الإبل، ومحجة الطريق». انتهى.

[وذكر ابن بشير من أصحابنا المالكية أن المذهب اختلف فى الصلاة على ظهر الكعبة، هل هى منهى عنها على الإطلاق؟ أو بشرط أن لا يجعل المصلى عليها قائمًا يقصده؟ والأول رأى جماعة من أهل المذهب، والثانى تأويل القاضى عبد الوهاب على المذهب. انتهى](١).

ومذهب الشافعى صحة صلاة الفريضة والنافلة على سطح الكعبة بشرط أن يكون بين يدى المصلى شاخص قدر ثلثى ذراع تقريبًا من نفس الكعبة، هذا هو الصحيح من مذهب الشافعى، وفى مذهبه وجه أيضًا: يصح فى السطح وإن لم يكن الشاخص قدر ثلثى ذراع، وقيل: إنما تصح فيه بشرط أن يكون الشاخص قدر قامة المصلى طولاً وعرضًا.

ومذهب الحنفية أن الصلاة على السطح جائزة وإن لم يكن بين يدى المصلى سترة فإن الصلاة فى السطح مكروهة لما فيه من ترك التعظيم، وعندهم أن الصلاة على جدار الكعبة صحيحة إذا كان المصلى متوجهًا إلى سطحها ولا تصح إذا جعل السطح وراءه.

ومذهب الحنابلة أن صلاة الفريضة لا تصح فى سطح الكعبة، وأن النافلة فيه تصح، وأن حكم النافلة على سطحها حكم الفريضة فى بطنها إذا كان الباب مفتوحًا، ومقتضى ذلك أنها لا تصح فى السطح إلاَّ إذا كان هناك شاخص.

وقد حررنا ارتفاع الشاخص فى سطح الكعبة وهو ذراع إلاَّ ثُمْن ذراع فى الجهة الشرقية وفى جهة الحِجْر ـــ بسكون الجيم ـــ ذراع وثُمْن، وفى جهة المغرب ذراع، وفى جهة اليمن ثُلثَا ذراع، وقد سبق تحريرنا لذلك طولا وعرضًا فى الباب الثامن، وقد أثبتنا فيما يتعلق بالصلاة فى وجه الكعبة وعلى سطحها بما فيه كفاية فى ذلك، ويوجد به من الفوائد ما لا يوجد مجتمعًا فى تأليف، ونسأل الله التوفيق لكل خير.

وأما آداب دخول الكعبة فكثيرة:

منها: الاغتسال لما رويناه عن عبد الكريم ابن أبى المُخَارِق(٢).

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة الذهبى.

(٢) بضم الميم والخاء المعجمة قيده ابن حجر فى التقريب.

ومنها: نزع الخُفّ والنَّعْل، لِما روينا فى سُنَن سعيد بن منصور عن عطاء وطاوس ومجاهد، وكره مالك دخولها بالخُفَّيْن والنعلين، وهو قول الحنابلة.

ومنها: أنه لا يرفع بصره إلى السقف لحديث فى ذلك رويناه عن عائشة أخرجه الحاكم فى «المستدرك» وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقد تقدم هذا الحديث فى الباب التاسع، وإنما كره رفع البصر فى الكعبة لأنه يولد الغفلة واللهو عن القصد، أشار بذلك المحب الطبرى فى «القرى».

ومنها: أن لا يزاحم زحمة شديدة يتأذى بها أو يؤذى بها أحدًا، أشار إلى ذلك النووى وغيره.

ومنها: أن لا يكلم أحدًا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن مُنْكر.

ومنها: أن يُلْزِم قلبه الخشوع والخضوع، وعينيه الدموع، إن استطاع ذلك وإلاّ حاول صدهما[1]، ذكر هذين الأمرين المحب الطبرى وهذا لفظه[2].

ومنها: أن لا يسأل مخلوقًا، لما رويناه عن سفيان بن عُيَيْنة قال: دخل هشام ابن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: سلنى حاجتك، قال: أستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره.

وذكر الفاكهى ما يقتضى أن التارك بسؤال هشام فى الكعبة غير سالم بن عبد الله لأنه قال: حدثنا محمد بن أبى عمر قال: قال سفيان بن عُيَيْنة سمعت بعض من يذكر أن بعض الخلفاء هشام بن عبد الملك أو غيره دخل الكعبة عام حج فلم يدع فى الكعبة غير منصور الحجبى، فقال له هشام: سل حاجتك، قال منصور: ما كنت لأسأل غير الله فى بيته، فلم يسأله شيئًا. انتهى.

وحكم النساء فى دخولهن الكعبة حُكم الرجال من غير خلاف أعلمه فى ذلك.

---

(١) فى المطبوعتين: «صورهما» وفى الأصل: «تصورها» والمثبت لدى المحب الطبرى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) القرى، ص٥٠٢.

البــــاب الحادى عشر

فى ذكر شيء من فضائل الكعبة وفضائل ركنيها: الحجر الأسود واليمانى

ذكر شيء من فضائل الكعبة

لا شك أن فضل الكعبة مشهور لوروده فى القرآن العظيم فى غير ما آية، وورده فى السُّـنَّة الشريفة الصحيحة، وإنما أردنا بذكره هاهنا للتبرُّك، فمن الآيات الواردة فى ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (سورة آل عمران: آيتا ٩٦، ٩٧).

واختلف فى معنى كونه أول بيت وُضِع للناس على قولين: **أحدهما**: أنه أول بيت وُضع للعبادة وكان قبله بيوت لغيرها، وهذا يُرْوَى عن على بن أبى طالب، **والآخر**: أنه أول بيت كان فى الأرض.

قال المحب الطبرى: وقوله ﴿ مُبَارَكًا ﴾ أى كثير الخير لما يحصل لمن حجَّه أو اعتمره أو عكف عنده وطاف حوله من الثواب، وقوله: ﴿ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ أى مُتَعَبَّدهم وقبلتهم، وقوله: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ مقام عطف بيان على آيات وبين الجمع بالواحد لاشتماله على آيات أثر قدميه فى الصخرة: وبقاؤه وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين، واختلف فى أمن الداخل، فقيل من دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك، وقيل: من دخله لقضاء النُّسُك معظمًا حُرْمته عارفًا بحقه متقربًا إلى الله عز وجل كان آمنًا يوم القيامة، كما جاء: مَن كَثُرَتْ صلاته بالليل حسُن وجهه بالنهار، يعنى نهار يوم القيامة، وقيل: معناه: أمْن مَن دخله، أى لا يُقْتَصّ منه، كما هو مذهب أبى حنيفة، ويُلجأ إلى الخروج منه وقيل: معناه غير ذلك.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ (سورة المائدة: آية ٩٧) قال المحب الطبرى: أى قوامًا لهم فى أمر دينهم ودنياهم، فلا يزال فى الأرض دين ما حُجَّت، وعندها المعاش والمكاسب، قال: والمراد بتحريم البيت، سائر الحرم، ونُقل عن الضحاك أنه قال: قيامًا للناس: قيامًا لدينهم ومعالم حجهم، قال: ويُرْوَى نحوه عن السُّدّى وقال: قال عكرمة: قيامًا للناس نظامًا لهم.

ومن الأحاديث الواردة فى ذلك ما رويناه عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال: حدثنى جدى عن الزنجى عن أبى الزُّبير المكى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: إنّ هذا البيت دعامة الإسلام، ومن خرج يؤم هذا البيت من حاجٍّ أو مُعتمِر كان مضمونًا على الله عز وجل إن قبضه أن يُدْخِله الجنة، وإنْ رده أن يرده بأجرٍ وغنيمة.

ومنها: ما ورد فى تنــزيل الرحمات على الكعبة كما فى «المعجم الكبير» للطبرانى من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ، ولفظه: «إن الله ينــزل فى كل ليلة ويوم عشرين ومائة رحمة، ينــزل على هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين» ورواه فى الأوسط إلا أنه قال: تنــزل على هذا المسجد مسجد مكة، وفى رواية: وأربعون للعاكفين بدل المصلين، وأخرجه الأزرقى فى تاريخه، يعنى رواية الطبرانى فى الكبير.

ووقع لنا عاليًا جدًّا أخبرنى به ابن الذهبى بقراءتى عليه قال: أخبرنا عيسى المطعم حضورًا وإجازة قال: أخبرنا ابن اللتى قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرتنا بِيبَى[1] قالت: أخبرنا ابن أبى شَرِيح[2] قال حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا عبد الله بن عمران العابدى المخزومى بمكة قال: حدثنا يوسف بن القيض قال ابن صاعد: هكذا كان يسميه، وإنما هو يوسف بن السفر أبو الفيض عن الأوزاعى عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنــزل على أهل هذا البيت، فستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين».

وذكر الشيخ محب الدين الطبرى أنه لا تضاد بين الرواية التى فيها أن الرَّحَمات تنــزل على هذا البيت، وبين الرواية التى فيها أنها تنــزل على مسجد مكة، لأنه يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت، ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٤٤) ويجوز أن يريد

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «لبنى» وصوابه من الأصل والعبر ٣/ ٢٨٧.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن شريح» وصوابه من الأصل والعبر ٣/ ٢٨٧.

مسجد الجماعة، وهو الأظهر، ويكون المراد بالتنـــزيل على البيت التنـــزيل على أهل المسجد، وكذلك قُسِّمت الرحمات على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد، قال: وقوله: فستون للطائفين... إلى آخره، يحتمل من تأويل القَسم بين كل فريقين وجهين:

الأول: قسمة الرحمات بينهم بالسوية على المسمى لا على العمل بالنظر إلى قلته وكثرته وضعفه، وما زاد على المسمى فله ثواب من غير هذا الوجه، ونظير هذا الكلام: أعط الداخلين بيتى مائة دينار، فدخل واحد مرة وآخر مرارًا، فلا خلاف فى تساويهما فى القسم.

الوجه الثانى وهو الأظهر، قسمها بينهم على قدر العمل، لأن الحديث ورد فى سياق الحث والتخصيص وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتى بالأقل والأكثر، واستدل المحب الطبرى على ذلك بأمور معنوية ظاهرة. انتهى.

ومنها: ما رويناه فى «معجم الطبرانى الكبير» عن ابن عباس قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقال: «لا إله إلا الله، ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حُرْمتك، والمؤمن أعظم حُرْمَةً منك، إن الله جعلك حرامًا وحرَّم من المؤمن ماله ودمه وعِرْضَه وأَنْ يُظَنَّ به ظَـــنًّا سيئًا».

ذكر شيء من فضائل الحجر الأسود وما جاء في كونه من الجنة

روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما، ولولا أن طمس نورها لأضاءا ما بين المشرق والمغرب، أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده، وابن حبان فى صحيحه، والترمذى فى جامعه، وقال: حديث غريب: ونقل السُّهَيلى عن الترمذى هذا الحديث إلا أنه قال فيه: إن الركن الأسود والركن اليمانى ياقوتتان، وذكر بقية الحديث بالمعنى، وما نقله السهيلى من أن فى هذا الحديث والركن اليمانى غير معروف، والمعروف فيه الحجر الأسود والمقام، ولعل ذلك من السهيلى سبق قلم، وقد رأيت ما نقلناه عنه فى غير نسخة من تأليفه قال بعد ذِكْره لهذا الحديث: وفى رواية غيره ولإبراء من استلمهما من الخرس والجذام والبرص. انتهى.

وروينا من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسوَّدَتْه خطايا بنى آدم» أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح.

وروينا عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «الحجر الأسود من الجنة» أخرجه النسائى.

وروينا عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «لولا ما طبع الله من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها لاشتفى به من كل عاهة ولألفاه كهيئته يوم خلقه الله تعالى، وإنما غيَّره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة وأنها لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة».

قلت: ذكر شيخنا بالإجازة الإمام بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الصاحب المصرى[1] فى كون الحجر الأسود من ياقوت الجنة دون غيره من

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «المقرى» وصوابه من الأصل، ومثله لدى السنجارى ١/ ٣٠٥ وهو ينقل عن المصنف.

جواهرها حكمة حسنة لأنه قال فيما أنبأنا به: فإن قلت ما الحكمة فى كونه من ياقوتها و لم يكن من غيره من جواهرها، **قلت**: له سر غريب نبهت عليه فى كتاب «الرموز فى كشف أغطية الكون» وأنا ضنين بذلك، ولكن ألوِّح هنا بشىء من قشوره، وذلك أن الشمس فى الفَلَك الرابع المتوسط:

لو لم يكن وسط الأشياء أحسنها

ما اختارت الشمسُ فى أفلاكها الوَسَطا

وهى الممدة لما فوقها وما تحتها من الأفلاك وكذلك المعدة فى الفَلَك الرابع من الأن·ن وهى الممدة لما فوقها وما تحتها ومقرها على النار، ولهذا قال: رسول الله ﷺ: «المعدة بيت الداء» وخلق الله فيها عينًا نباعة بحُمُض مُعينة على الهضم والتبريد.

ومكة فى الفلك المتوسط من الدنيا وهى محل النار وهى الممدة للدنيا، قال الله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ (سورة المائدة: آية ٩٧) أى قوامًا لدينهم ودنياهم، وجعل الحجر من ياقوت الجنة الذى لا يبالى بالنار لكون الياقوت لا يؤثر فيه النار ويحصل منه التبريد المعنوى الحسى:

وطالما أصلى الياقوت جمر غضا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوتُ

ثم سر آخر، وهو أنه نقطة الدائرة الياقوتية المانعة من خراب الدنيا، وهذه نكتة من كشف أغطية الكونين، من أراد كشفها فليُصغ حتى أُسْمِعَه من ذلك من الميراث النبوى ما لا يسمعه من غيرى فى هذا الزمان، والله الموفق(١). انتهى.

---

(١) الخبر فيه سقط وتحريف فى المطبوعتين، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على ما ورد بالأصل ومنائح الكرم للسنجارى ١/ ٣٠٦ وهو ينقل عن المصنف.

ذكر ما قيل من الحكمة فى اسوداد الحجر الأسود بعد بياضه

قال السهيلى بعد أن ذكر شيئًا مما يتعلق بالحجر الأسود، وانتبه من هاهنا إلى الحكمة فى سودته خطايا بنى آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها، وذلك أن العهد الذى فيه هى الفطرة التى فطر الناس عليها من توحيد الله، فكل مولود يولد على تلك الفطرة، وعلى ذلك الميثاق فلولا أن أبويه يهوِّدانه وينصرانه ويُمجِّسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال عن العهد، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا، فاسود من الخطايا قلبُ ابن آدم بعدما كان عليه من ذلك العهد، واسود الحجر بعد ابيضاضه، وكانت الخطايا سببًا فى ذلك، حكمة من الله سبحانه[1]. انتهى.

وقال المحب الطبرى: وقد اعترض بعض الملاحدة فقال: كيف يسوّدُ الحجر خطايا أهل الشرك ولا يبيضه توحيد أهل الإيمان؟ فالجواب عنه من ثلاث أوجه:

الأول: ما تضمنه حديث ابن عباس المتقدم آنفًا: أن الله عز وجل إنما طمس نوره ليستر زينته عن الظلمة، وكأنه لما تغيرت صفته التى كانت كالزينة له بالسواد كان ذلك السواد له كالحجاب المانع من الرؤية وإن رئى جرمه، إذ يجوز أن يطلق عليه أنه غير مرئى، كما يطلق على المرأة المستترة بثوب أنها غير مرئية.

الثانى: أجاب به ابن حبيب فقال: لو شاء الله لكان ذلك، وما علمت أيها المعترض من أن الله تعالى أجرى العادة بأنَّ السواد يصبغ ولا ينصبغ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ.

الثالث: وهو منقاس أن يقال بقاؤه أسود، والله أعلم، إنما كان للاعتبار، لِيُعلم أن الخطايا إذا أثرت فى الحجر فتأثيرها بالقلوب أعظم[2]. انتهى.

---

(١) الخبر فيه تحريف وسقط فى المطبوعتين وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على رواية الأصل والروض الأنف للسهيلى ١/ ٣٤٢ – الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) القرى ـــ ص٢٩٥.

ذكر ما رُئى من البياض فى الحجر الأسود بعد اسوداده

ذكر ابن جبير فى خبر رحلته: أن فى الحجر الأسود نقطة بيضاء صغيرة مشرقة[١] ولم يذكر سواها، وكانت رحلته فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

وقال الفقيه سليمان بن خليل العسقلانى فى منسكه بعد ذكره لشىء يتعلق بالحجر الأسود: قلت أنا: ولقد أدركت فى الحجر الأسود ثلاثة مواضع بيض: فى الناحية التى تلى باب الكعبة المعظمة، إحداها: وهى أكبرهن فى قدر حبة الذُّرَة الكبيرة، والأخرى إلى جنبها وهى أصغر منها، والثالثة إلى جنب الثانية وهى أصغر من الثانية، فإنها فى قدر حبة الدخن.

ثم إنى أتلمح تلك النقطة فإذا هى كل وقت فى نقص. انتهى.

ونقل القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه كلام ابن خليل هذا، وذكر أنه رأى الحجر الأسود فى سنة ثمان وسبعمائة وفيه نقطة بيضاء ظاهرة وأنه لم يرها فى سنة ست وثلاثين إلا بعد جهد. انتهى.

وكنت ذاكرتُ بهذا الأمر من نحو خمس عشرة سنة بعض مشايخنا فذكر لى أن فى الحجر الأسود نقطة بيضاء خفية جدًّا. انتهى. ولم يذكر لى موضعها من الحجر، ولعلها النقطة الموجودة فيه الآن، فإن فى جانبه مما يلى باب الكعبة من أعلاه نقطة بيضاء قدر حبة سمسمة على ما أخبرنى به ثلاثة نفر يعتمد عليهم من أصحابنا الفقهاء المكيين فى يوم الجمعة خامس عشر جُمادى الأول سنة ثمان عشرة وثمانمائة، إلا أن بعضهم لم يخبرنى بذلك إلا فى يوم السبت ثانى تاريخه، وأخبرنى الثلاثة أنهم رأوا ذلك فى يوم الجمعة المذكور، وشكرت لهم، فالله يثيبهم.

---

(١) رحلة ابن جبير ص٦٧.

ما جاء فى شهادة الحجر الأسود
يوم القيامة لمن استلمه بحق

روينا فى مسند الدارمى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ليبعثن الله الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق» وفى رواية: «على من استلمه بحق» أخرجه الترمذى وابن حبان وقال: له لسان وشفتان.

وروينا ما يدل لذلك من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ، وروينا ذلك من حديث سلمان الفارسى موقوفًا عليه.

ما جاء فى تقبيل النبى ﷺ للحجر الأسود واستلامه له

وروينا عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، أخرجه البخارى ومسلم.

وروينا فى تقبيل النبى ﷺ الحجر من حديث عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وغيرهما ما جاء فى السجود عليه.

وروينا فى الترمذى عن ابن عباس أن النبى ﷺ سجد على الحجر، وروينا فى سنن البيهقى عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب قبّله وسجد عليه ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا.

وروينا عن ابن عباس فى مسند الإمام الشافعى: أنه قبّل الركن وسجد عليه ثلاث مرات، وروينا ذلك أيضًا عن طاوس فى تاريخ الأزرقى والبيهقى وغيرهما، ولم ير الإمام مالك السجود على الحجر وقال: هو بدعة، وخالفه الجمهور فى ذلك، والله أعلم.

ما جاء فى الإكثار من استلامه

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه: قال حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى زهير بن محمد عن منصور بن عبد

الرحمن الحجبى عن أمه عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه، إن الله تعالى لا يترك شيئًا من الجنة فى الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة»[١].

ما جاء فى مفاوضة الحجر الأسود

روينا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن» أخرجه ابن ماجه.

قال المحب الطبرى: وقوله: فاوض أى لَابَسَ وخَالَطَ من مفاوضة الشريكين وتفويض كل منهما إلى صاحبه[٢]. انتهى.

ما جاء أن الحجر الأسود يمين الله يصافح بها عباده واستجابة الدعاء عنده

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن أبى إسماعيل عن عبد الملك بن عبد الله بن أبى حسين عن ابن عباس قال: الركن يمين الله عز وجل يصافح بها خلقه، والذى نفس ابن عباس بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله تعالى عنده شيئًا إلا أعطاه إياه[٣]. انتهى.

ورُوى هذا عن النبى ﷺ لأن أبا عبيد القاسم بن سلام روى أن النبى ﷺ قال: «الحجر الأسود يمين الله فى الأرض» ورواه أبو طاهر المخلص فى فوائده فى الجزء الثانى من التاسع وزاد: فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ ومسح الحجر الأسود بيده فقد بايع رسول الله ﷺ، قال المحب الطبرى: ومعنى الحديث، والله أعلم، أن كل ملك إذا قدم عليه قبّلت يمينه، ولما كان الحاج والمعتمر أول ما يقدمان يسن

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٤٢.
(٢) القرى ـــ ص٢٨٠.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٢٦.

لهما تقبيله نزل منـــزلة يمين الملك ويده، ولله المثل الأعلى، وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد، كما أن الملوك تعطى العهد بالمصافحة، والله أعلم[١].

أنشدنى العلامة بدر الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المصرى لنفسه إجازة قوله:

للحجر الأسود كم لاثم … وساجد مرَّغ فيه الجباهْ
تزدحم الأفواه فى وِرْدِه … كأنه ينبوع ماء الحياهْ[٢]

وقوله فيما أنبأنا به فى الحجر الأسود:

كم أودعت أسرار أنس … من علوم الغيوب
يزدحم الأفواه فى لثمه … كأنها تلقطُ حبّ القلوب[٣]

وقوله فيما أنبأنا به:

للحجر الأسود سر خفى … وقد بدا للعين منه شهودْ
عليه قد ضمت قلوب الورى … كأنه سوداء قلب الوجودْ[٤]

وقوله فيما أنبأنا به:

أقول وقد زوحمت عن لثم أسود … من البيت أن يحجب فما السر يحجب
فإنك منى بالمحل الذى به … محل سواد العين أو أنت أقرب

---

(١) القرى ـــ ص٢٨٠.
(٢) منائح الكرم ١/ ٣٠٣.
(٣) فى المطبوعتين: «كـــأنه يلفظ قوت القلوب» والمثبت من منائح الكرم ١: ٣٠٤.
(٤) فى المطبوعتين: «كأنه قلب سواد الوجود» والمثبت من منائح الكرم ١/ ٣٠٤.

ذكر فضل الركن اليمانى
وما جاء فى تقبيله ووضع الخد عليه

روينا فى «سُنَن الدارقُطْنِى» عن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ يقبل الركن اليمانى ويضع خده عليه.

وروينا فى تاريخ البخارى عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا استلم الركن اليمانى قبله.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن مجاهد قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الركن ويضع خدّه عليه[1].

قلت: تقبيل النبى ﷺ الركن اليمانى ووضع خده عليه... إلخ، لا يثبت، وأما استلامه له فثابت.

ما جاء فى استلام النبي للركن اليمانى

روينا فى مسند أحمد بن حنبل وغيره عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر الأسود فى كل طوافه وكان هو يفعله، أخرجه أبو داود والنسائى، وقال المحب الطبرى بعد إخراجه لهذا الحديث: وفيه دلالة على استحباب التقبيل والاستلام فى كل طواف، واستحبه بعضهم فى كل وتر، وروى ذلك عن الشافعى. انتهى.

وقوله: وفيه دلالة على استحباب التقبيل يعنى فى الحجر الأسود لا فى الركن اليمانى والاستلام فيهما، والله أعلم.

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٣٨.

ما جاء فى المزاحمة على استلام الركن اليمانى والحجر الأسود وأن مسحهما كفارة للخطايا

روينا عن ابن عمر أنه كان يزاحم على الركنين، فقيل له فى ذلك، فقال: إن أفعل فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن مسحهما كفارة للخطايا» أخرجه الترمذى، وروينا عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «مسح الحجر الأسود والركن اليمانى يحط الخطايا حطا» أخرجه أحمد بن حنبل وابن حبان فى صحيحه.

ما جاء فى عدم استحباب ذلك للنساء بحضرة الرجال

روينا عن عطاء عن عائشة أنها قالت لامرأة: لا تزاحمى على الحجر، إن رأيت خلوة فاستلمى، وإن رأيتِ زحامًا فكبرى وهللى إذا حاذيت ولا تؤذى أحدًا، أخرجه سعيد بن منصور.

وروينا عن عائشة بنت سعد أنها قالت: كان أبى يقول: إذا وجدت فُرْجَةً من الناس فاستلمى وإلا فكبرى وامضى، أخرجه الإمام الشافعى، وفى البخارى عن عطاء عن عائشة ما يقتضى ترك استلام الحجر للنساء، وهو محمول على ما إذا حضر الرجال كما هو مقتضى الخبر الذى رواه سعيد بن منصور فى سُنَنه، والله أعلم.

ما جاء فى إكثار النبى من استلامه واستغفار الملائكة لمن استلمه

روينا فى تاريخ الأزرقى عن عطاء قال: قيل يا رسول الله: نكثر من استلام الركن اليمانى؟ قال ﷺ: «ما أتيت عليه قط إلا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن استلمه»(١).

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٣٨.

ما جاء فى تأمين الملائكة على الدعاء واستجابة الدعاء عنده

روينا عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «وُكل به سبعون ملكًا، يعنى الركن اليمانى، فمن قال: اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة، اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: آمين» أخرجه ابن ماجه وغيره.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عمر قال: على الركن اليمانى ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما، وإن على الحجر الأسود من الملائكة ما لا يحصى.

وروينا فيه عن مجاهد قال: من وضع يده على الركن اليمانى ثم دعا استجيب له.

وسيأتى فى خبر المستجار وهو عند الركن اليمانى شيء من هذا المعنى.

ما جاء فى أن الركن اليمانى باب من أبواب الجنة

روينا فى تاريخ الأزرقى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: يا بنى أدْنِنى من الركن اليمانى فإنه كان يقال: إنه باب من أبواب الجنة.

وروينا نحوه عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

وذكر السُّهيلى شيئًا فى سبب تسمية الركن اليمانى بالركن اليمانى لأنه قال: وأما الركن اليمانى فسُمى باليمانى فيما ذكر القتبى: لأن رجلاً من اليمن بناه اسمه أُبَىُّ بن سالم، وأنشد:

لنا الركن من بيت الحرام وراثة
بقية ما أبقى أُبَىُّ بنُ سالم[1]

انتهى.

---

(١) فى المطبوعتين:

لنا الركن اليمانى من البيت الحرام وراثة
بقية ما أبقى أبى بن سالم

وهو غير صحيح عروضيا، وصوابه لدى السهيلى فى الروض الأنف ١/ ٢٤٢ ــ الذى ينقل عنه المصنف، والبيت من الطويل.

الباب الثانى عشر

فى فضائل الأعمال المتعلقة بالكعبة

كالطواف بها والنظر إليها والحج والعمرة وغير ذلك

ذكر ما ورد فى ثواب الطواف عمومًا من غير تقييد بزمن

أخبرنى ابن أبى المجد الخطيب عن الدشتى قال: أخبرنا ابن خليل الحافظ قال: أنبأنا الرَّازَانِىّ[(١)] قال: أخبرنا الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أخبرنا ابن فارس قال: أخبرنا يونس بن حبيب قال: أخبرنا أبو داود الطيالسى قال: حدثنا همام عن عطاء بن السايب عن عبد الله بن عُبيد بن عُمَير عن أبيه عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من طاف بهذا البيت سبعًا يحصيه كُتِب له بكل خطوة حسنة ومُحيت عنه سيئة، ورُفعت له درجة، وكان له عدل رَقَبَة» أخرجه الترمذى وحسَّنه.

وأخرج النسائى بعضه، ولفظه: «من طاف بالبيت سبعًا فهو كعدل رقبة، وكذلك أخرجه ابن ماجه، إلا أنه قال: من طاف بالبيت وصلى ركعتين[(٢)]، وفى بعض طرق الحديث: خلف المقام، ومعنى يحصيه أى يتحفظ فيه لئلا يغلط، قاله ابن وضاح وغيره.

وروينا فى صحيح ابن حبان وغيره عن أنس بن مالك قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فى مسجد الخيف فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما عليه ودعوا له دعاء حسنًا ثم قالا: جئناك يا رسول الله نسألك... الحديث بطوله، وفيه: أن النبى ﷺ قال للأنصارى: وأما طوافك بالبيت، فإنك لا تضع قدمًا ولا ترفعها إلا كتب الله تعالى لك بها حسنة ومحابها عنك خطيئة ورفعك بها درجة، وأما ركعتاك بعد الطواف فكعتق رقبة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك، يعنى الحج، فإنك تطوف ولا ذنب عليك.

وأنبأنى أبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن المِزّىّ ابن أخى الحافظ أبى الحجاج المِزّىّ أن أحمد بن أبى طالب الصالحى الحجار أخبره سماعًا وأخبرنى المفتى أبو بكر ابن الحسين الشافعى سماعًا بطيبة عن أحمد بن أبى طالب إذنًا قال: أنبأنا أحمد بن

---

(١) تحرف فى م إلى: «الرازى» وفى هـ إلى: «الدارانى» وصوابه من الأصل والسمعانى ٦/ ٤١.
(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ٩٨٥ برقم ٢٩٥٦ باب فضل الطواف.

يعقوب المارستاني قال: أخبرنا ابن النحاس عن أبي القاسم بن البُسْرِي[١] قال: أخبرنا أبو طاهر قال: حدثنا يحيى هو ابن جماعة قال: حدثنا سفيان، هو ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن يمان[٢] عن شريك عن أبي إسحاق عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» أخرجه الترمذي عن سفيان بن وكيع فوقع لنا موافقة له عالية[٣]، وقال: حسن غريب. انتهى.

والمراد بالخمسين مرة خمسون أسبوعًا، لأنا روينا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من طاف بالبيت خمسين أسبوعًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وهذه الرواية في معجم الطبراني، وساقها منه المحب الطبري بسنده وعزا ذلك أيضًا لمصنف عبد الرزاق وقال: قال أهل العلم، وليس المراد أن يأتي بها متوالية في آن واحد وإنما المراد أن يوجد في صحيفة حسناته ولو في عمره كله. انتهى.

وذكر المحب الطبري أن بعض أهل العلم ذكر أن لعدد الطواف سبع مراتب، **الأول**: خمسون أسبوعًا في اليوم والليلة، للحديث المتقدم، **الثاني**: واحد وعشرون، فقد قيل سبعة أسابيع بعمرة وورد ثلاث عُمَر بحجة، **الثالث**: أربعة عشر، فقد ورد عُمْرتان بحجة، وهذا في غير عمرة رمضان لأن العُمرة فيه كحجة، **الرابع**: اثنا عشر أسبوعًا: خمسة بالنهار وسبعة بالليل، كما تقدم من فعل آدم وفعل ابن عمر، **الخامس**: سبعة أسابيع، **السادس**: ثلاثة أسابيع، **السابع**: أسبوع واحد، والله أعلم، نقل هذا عن المحب الطبري القاضي عز الدين بن جماعة في منسكه وهذا لفظه بحروفه، والأحاديث الواردة في فضل الطواف أكثر من هذا وإنما اقتصرنا على هذه الأحاديث الثلاثة لأنها أجود إسنادًا من غيرها، وفي أخبار مكة للأزرقي وأخبارها للفاكهي وفضائلها للجندي ورسالة الحسن البصري جُمَل كثيرة من فضائل الطواف، وقد ذكرنا بعض ذلك في أصل هذا الكتاب وفيما ذكرناه هنا كفاية.

---

(١) تحرف في م إلى: «اليسرى» وفي هـ إلى: «التسرى» وصوابه في التوضيح ١/ ٥٠٤.
(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «ابن يحيى بن يمان» وصوابه من الأصل والتقريب.
(٣) تحرف في المطبوعتين إلى: «عليه».

ما جاء فى فضل الطواف فى الحر

روينا فى أخبار مكة للجندى عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «من طاف حول البيت سبعًا فى يوم صايف شديد حرُّه، وحسر عن رأسه وقارب بين خطاه وقل التفاته وغض بصره وقل كلامه إلا بذكر الله تعالى واستلم الحجر فى كل طواف من غير أن يؤذى أحدًا كتب الله له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعين ألف حسنة ويعتق عنه سبعين رقبة ثمن كل رقبة عشرة آلاف، ويعطيه الله سبعين ألف شفاعة، إن شاء فى أهل بيته من المسلمين وإن شاء فى العامة، وإن شاء عُجلت له فى الدنيا وإن شاء أخرت له فى الآخرة» هذا حديث ضعيف الإسناد جدًّا.

ما جاء فى الطواف فى المطر

أخبرنى ابن الذهبى قال: أخبرنى المطعم حضورًا وإجازة قال: أخبرنا ابن اللتِّى قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرتنا بيبى[(١)] قالت: أخبرنا ابن أبى شريح[(٢)] قال: حدثنا يحيى هو ابن صاعد قال: حدثنا عبد الله بن عمران العابدى[(٣)] قال: حدثنا داود بن عجلان عن أبى عقال قال: طفت مع أنس بن مالك فى يوم مطير فقال أنس: طفت مع النبى ﷺ فى يوم مطير فقال: استأنفوا العمل فقد كُفيتم ما مضى، أخرجه ابن ماجه وأخرجه الأزرقى عن جده وابن أبى عمر عن داود فوقع لنا بدلاً له عاليا بدرجتين وهو حديث ضعيف الإسناد جدًّا، لمكان أبى عقال وهو هلال بن يزيد.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «لبى» وصوابه من الأصل والعبر ٣/ ٢٨٧.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «شريج» بالجيم المعجمة وصوابه من الأصل والعبر ٣/ ٢٨٧.

(٣) تحرف فى م إلى: «العايدى» وفى هـ إلى: «عبد الله بن عمر، أن العايدى قال» وصوابه من التوضيح ٦/ ٥٦.

ما جاء فى الطواف إذا وقع بعد صلاة الصبح أو العصر وانقضى مع طلوع الشمس أو غروبها

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال: حدثنى جدى عن عبد الرحيم ابن زيد العَمِّى عن أبيه عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب قالا: قال رسول الله ﷺ: طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كلها بالغةً ما بلغت: طواف بعد صلاة الصبح وفراغه مع طلوع الشمس، وطواف بعد صلاة العصر فراغه مع غروب الشمس.

قال المحب الطبرى بعد إخراجه لهذا الحديث: ويحتمل أن يريد بالبعدية ما بعد الطلوع والغروب ولو بلحظة لِتَسَعَ أسبوعًا، ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة، ولعله الأظهر، وإلا لقال: الطواف قبل الطلوع وقبل الغروب، وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه فى الوقتين[1]. انتهى.

وقال المحب الطبرى لما ترجم على هذا الحديث: ما جاء فى فضل الطواف عند طلوع الشمس وغروبها، وهكذا ترجم عليه الأزرقى: ما جاء فى تفضيل الطواف على الصلاة، قال الفاكهى: حدثنا محمد بن نصر المصرى قال: حدثنا أيوب بن سويد الرملى قال: حدثنا محمد بن جابر عن عبد الله بن عمر قال: كان أحب الأعمال إلى النبى ﷺ إذا قدم مكة الطواف بالبيت. وانتهى.

وروينا عن النبى ﷺ حديثًا يدل على تفضيل الطواف على الصلاة ولكن الحديث لا يقوم به حجة لضعف إسناده، فإن فيه يوسف بن السفر وهو متروك، وقد تقدم هذا الحديث فى الباب الحادى عشر، وهو حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله عز وجل فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنـــزل على أهل البيت، فستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين، وقد استدل به على تفضيلَ الطواف على الصلاة الماوردى وسليمان بن خليل، وقال المحب

---

(١) القرى ـــ ص٣٣٥.

الطبرى لما تكلم على هذا الحديث بعد أن ذكر كيفية قسمة الرحمات بين كل فريق إذا تقرر ذلك، فالتفضيل فى الرحمات بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاث أول دليل على أفضلية الطواف على الصلاة، والصلاة على النظر إذا تساووا فى الوصف، هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك فيُخَصّ به.

ومما ورد من الأحاديث المتقدمة فى ذكر فضل الطواف عموم قوله ﷺ: واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، الصلاة خير موضوع، أو نقول: الطواف نوع من الصلاة بشهادة ما تقدم من الأحاديث فى إذكار الشروط، فيكون داخلاً فى عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن، ولا ينكر أن بعض الصلاة أفضل من بعض، وأورد على ذلك سؤالاً وأجاب عنه، ثم قال: ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة، وهو الطواف، على غيره من الأنواع ثبوت الأخصية له بمتعلق الثلاثة وهو البيت الحرام ولا خفاء بذلك، وبذلك بدأ به فى الذكر هنا فى قوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ (سورة الحج: آية ٢٦) فى الآيتين، ولما كانت الصلاة على تنويعها لم تُشْرع إلا عبادة، والنظر قد يكون عبادة إذا قصد التعبُّد به وقد لا يكون، وذلك إذا لم يقترن به قصد التعبّد به تأخر فى الرتبة[1].

وقولنا: إذا تساووا فى الوصف يحترز مما إذا اختلف وصف المتعبدين، فكان الطائف ساهيًا غافلاً والمصلى والناظر خاشعًا يعبد الله كأنه يراه أو كأن الله يراه كان المتصف بذلك أفضل من غير المتصف به، إذ ذلك الوصف لا يعد له عمل جارحة خاليًا عنه وهو المشار إليه، والله أعلم فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (سورة الكهف: آية ٣٠) وسُئل ﷺ عن الإحسان فقال: «أَن تَعبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وكثير من العلماء يذهب فى توجيه اختلاف القسم بين الطائفين والمصلين والناظرين، بأن الرحمات المائة والعشرين قُسّمت ستة أجزاء، فَجُعِل جزء للناظرين وجزآن للمصلين، لأن المصلى ناظر فى الغالب، فجزء للنظر وجزء للصلاة، والطائف لما اشتمل على المعانى الثلاثة، كان له ثلاثة أجزاء: جزء للنظر وجزء للصلاة وجزء للطواف، وهذا القائل لا يثبت للطواف أفضلية على الصلاة وإنما يثبت بقوله كثرة الرحمات له سبب اشتماله على

(١) القرى ــ ص٣٢٦ – ٣٢٧.

الصلاة، وما ذكرناه أولى، وفيما ذكره نظر فإن الطائف الأعمى وكذلك المصلى يناهما ما ثبت للطائف والمصلى، وإن لم ينظرا، وكذا المتعمد ترك النظر فيهما لا ينتقص قسمه بسبب ذلك، فدل ذلك على أن المراد صلاة غير ركعتى الطواف، فإن كثرة الطواف منسوبة إليه إما وجوبًا أو ندبًا فهى منه، وأما النظر فيه فإنْ لم يقترن بقصد التعبد فلا أثر له، وإن قصد به التعبد فالظاهر أنه ينال به أجر الناظر زائدًا على أجر الطواف، والله أعلم[1]. انتهى كلام المحب الطبرى، وهو كلام نفيس متجه شاف فى هذه المسألة.

وفرق فيها بعض العلماء بين الغرباء وأهل مكة فقال: إن الطواف للغرباء أفضل لعدم تأتيه لهم كل وقت والصلاة لأهل مكة أفضل لتمكنهم من الأمرين وهو مذهب مالك وأبى حنيفة وغير واحد من العلماء، والله أعلم بالصواب.

---

(١) القرى ـــ ص٣٢٧ – ٣٢٨.

ما جاء فى تفضيل الطواف على العمرة

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: حدثنا جدى، قال: حدثنا الزنجى عن ابن جُريج قال أخبرنى قدامة بن موسى بن قدامة بن مظعون قال: إنّ أنس بن مالك قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله عن الطواف للغرباء أفضل أم العُمرة؟ فقال: بل الطواف.

قال المحب الطبرى بعد إخراجه هذا الحديث: ومراد أنس، والله أعلم، أن تكرار الطواف أفضل من العمرة، ولا يريد به طواف أسبوع واحد فإنه موجود فى العمرة، وقد ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة عليه ويرون الاشتغال بها أفضل من تكراره والاشتغال به، ويستفرغون وُسْعهم فيها بحيث لا يبقى فى أحدهم مُنَّةٌ[١] يستعين بها على الطواف، وذلك خطأ ظاهر، وأدل[٢] دليل على خطئه مخالفة السلف الصالح فى ذلك قولاً وفعلاً إذْ لم ينقل تكرارها والإكثار منها عن النبى ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين[٣]، واستدل على ذلك المحب الطبرى ثم قال: وقد أفردنا الكلام فى هذه المسألة تأليفًا وبسطنا القول فيه على أنّا لا ندعى كراهة تكرارها بل نقول: إنها عبادة كثيرة الفضل عظيمة الخطر لكن الاشتغال بكثرة الطواف وتكرارها فى مثل مدتها أفضل من الاشتغال بها[٤]، والله أعلم. انتهى كلام المحب الطبرى وتأليفه المشار إليه هو المسمى عواطف النصرة فى تفضيل الطواف على العمرة.

وقال القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه بعد أن ذكر كلام المحب الطبرى هذا: وهو حسن ثم قال: وكيف يكون حال من يجعل نفسه قصيًّا متعبدًا لينال فضيلة القصد والزيارة أفضل من حال من هو بالحضرة مشاهد مقيم يتردد حول

---

(١) تحرف فى م إلى: «منه» وفى هـ إلى: «أحدهم من يستعين» وصوابه من القرى.
(٢) تحرف فى الأصل والمطبوعتين إلى: «وأول» وصوابه من القرى.
(٣) القرى ـــ ص ٣٣٢.
(٤) القرى ـــ ص ٣٣٤.

المقصود والمزار بخطوات ترفع الدرجات وتكسب الحسنات وتمحو الأوزار؟ ولهذا كان رأى السلف الصالح تعهد العمرة دون الاشتغال بها عن الطواف بحيث لا تصير مهجورة، والله أعلم، والخير فى اتباعهم، انتهى كلام ابن جماعة.

وقد أخبرنى عنه خالى سماعًا وقد جنح إلى ذلك أيضًا على ما بلغنى ببعض العلماء المعاصرين لابن جماعة، وهو العلامة شمس الدين أبو أمامة محمد بن على المعروف بابن النقاش الشافعى، وألفيت بخط بعض أصحابنا أن لأبى أمامة بن النقاش هذا تأليفًا جليلاً فى المنع من العمرة [من مكة لمن هو مقيم بها. انتهى. وأستبعد أن يكون لأبى أمامة تأليف فى منع المقيم بمكة من العمرة][1] فإنه لا وجه لذلك، ولعلّ تأليفه فى عدم استحباب تكرار العمرة، والله أعلم.

وللإمام الكبير تقى الدين ابن تيمية كلام يقتضى عدم استحباب تكرار العمرة من مكة وإنكاره لأنه قال: ولم يكن على عهد النبى ﷺ وخلفائه الراشدين أحد يخرج من مكة ليعتمر إلا لعذر، ولا فى رمضان ولا فى غيره، والذين حجوا مع النبى ﷺ ليس فيهم من اعتمر بعد الحج إلا عائشة لعذر، ولا كان هذا من فعل الخلفاء الراشدين. انتهى.

وخالف فى ذلك من أهل عصره على ما بلغنى خطيب دمشق جمال الدين محمود بن جملة الشافعى والشيخ العلامة الولى العارف عبد الله اليافعى وصنف فى ذلك كتابًا سماه الدرة المستحسنة، فى تكرار العمرة فى السنة.

وسُئل شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى عن العمرة والطواف أيهما أفضل؟ وما الذى يفتى به فى ذلك؟ فقال: والمفتَى به فى ذلك أن تكرار العمرة أفضل ولا سيما فى رمضان. انتهى.

وكذلك قال تلميذه العلامة زين الدين الفارسكورى وصنف فى ذلك كتابًا سماه الإنصاف فى تفضيل العمرة على الطواف.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وسمعت بعض مشايخنا يحكى عن بعض العلماء أن المعتمر يمتاز عن الطائف بأمرين، **أحدهما**: الدخول فى دعوة النبى ﷺ بالرحمة للمحلقين والمقصرين، **والآخر**: دعوته ﷺ للحاج والمعتمر بزيادة التشريف والتكريم والتعظيم والبر، هذا معنى ما سمعته من مشايخنا، وهو كلام متجه لأنه كلما اعتمر فاز بذلك، ويعظم الفوز بذلك بتكراره، والله أعلم.

ولعل محل الخلاف ما إذا اشتغل إنسان بالعمرة حتى فرغ منها، وآخر بالطواف مدة اشتغال المعتمر بالعمرة وليس من محل الخلاف الاشتغال عن الطواف بالعمرة فى جميع الزمن أو أكثره بأن يكرر الخروج للتنعيم للعمرة فى اليوم الواحد أو الليلة فلا يبقى فيه بعد ترويح بدنه للطواف إلا نشاط قليل، ولا سيما إنْ كرَّر ذلك فى الأيام والليالى كما يصنع كثير من الناس فى شهر رمضان، حتى إن بعضهم يخرج إلى التنعيم للعمرة فى اليوم الواحد ثلاث مرات، ويُحكى عن بعضهم أكثر من ذلك، وكل هذا لا يُعرف مثله عن السلف المقتدى بهم، هذا سيد الأولين والآخرين ﷺ وأصحابه أقاموا بمكة بعد أن فتحها الله عليهم بضع عشرة ليلة أولها العشر الأخير من رمضان، فما نقل أخبارى عنه ﷺ ولا عن أحد من أصحابه أنه خرج فى هذه المدة إلى التنعيم للاعتمار، ولو وقع ذلك لنقل كما نُقل غيره من أفعالهم، ولم ينقل عمن كان بمكة بعد النبى ﷺ من الصحابة والتابعين تكرار الخروج فى اليوم الواحد إلى التنعيم ولا الخروج إليه للعمرة فى كل يوم إلاّ ما يُرْوَى عن على وابن عمر أنهما كانا يعتمران فى كل يوم وهذا عنهما فى بعض كتب الفقه فيما ذكره القاضى عز الدين ابن جماعة فى منسكه الكبير، قال: وليس لذلك أصل فى كتب الحديث، انتهى.

والذى صح عن بعض الصحابة والتابعين الخروج إلى التنعيم للعمرة من غير تكرار، فالاقتصار على فعل مثل ما نقل عنهم أولى، لأنهم أعرف الناس بأفضل العبادات وأشدهم حرصًا على فعل أفضلها، والله أعلم بالصواب.

ما جاء فى فضل الطائفين

أخبرنى ابن الذهبى بقراءتى عليه قال: أخبرنا الأمين بن النحاس حضورًا وإجازة قال: أخبرنا الساوى قال: أخبرنا السلفى قال: أخبرنا العلاف قال: أخبرنا ابن بشْران قال: أخبرنا الآجرى قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلوانى قال: حدثَنا يحيى بن أيوب العابد قال: حدثنا محمد بن صبيح بن السماك عن عائذ بن بشير عن عطاء قال: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يباهى بالطائفين[١].

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: أكرم سكان السماء على الله الذين يطوفون حول بيته وأكرم سكان الأرض الذين يطوفون حول بيته، ذكر هذا الحديث هكذا سليمان بن خليل فى منسكه، ورويناه فى رسالة الحسن البصرى عن النبى ﷺ، وروينا فيها من قول الحسن: وإن الله عز وجل ليباهى بالطائفين ملائكته، ولو أن الملائكة صافحت أحدًا لصافحت الطائفين حول بيت الله. انتهى باختصار.

قلت: إذا كان الطائف بهذه المزية فينبغى له إخلاص النية وحفظ اللسان عما يؤدى إلى النقصان، وما أحسن قول الشيخ محب الدين الطبرى: واعلم أن التحدث فى الطواف على غير النحو المتقدم فى الفصل قبله خطأ كبير وغفلة عظيمة، من لابس ذلك فقد لابس ما يُمقت عليه خصوصًا أنه صدر ممن نسب إلى العلم والدين، فإنه إذا أنكر على من دونه واحتج به فصار فتنة لكل مفتون، ومن آثر محادثة المخلوق فى أمر الدنيا والإقبال عليه والإصغاء لحديثه على ذكر خالقه والإقبال عليه وعلى ما هو متلبس به من عبادته فهو عين الرأى لأن طوافة بجسده، وقلبه لاه ساه وقد غلب عليه الخوض فيما لا يعنيه حتى استرسل فى عبادته كذلك فهوَ إلى الخسران أقرب منه إلى الربح، ومثل هذا خليق بأن يشكوه البيت إلى الله عز وجل وإلى جبريل، ولعل الملائكة تتأذى به وكثير من الطائفين يتبرئون منه، فعلى الطائف أن يبذل جهده فى مجانبه ذلك. انتهى.

وقال سليمان بن خليل: وليحذر أن يكون ممن وصفه بعض العلماء العاملين فقال:

---

(١) الفاكهى ١/ ٩٤.

يا من يطوف ببيت الله بالجسد   والجسم فى بلد والروح فى بلد!
ماذا فعلت وماذا أنت فاعله   بهرج فى اللقا للواحد الصمد
إن الطواف بلا قلب ولا بصر   على الحقيقة لا يشفى من الكمد

ذكر بدء الطواف بهذا البيت العظيم وما ورد من طواف الملائكة

روينا فى تاريخ الأزرقى أن بعض أهل الشام سأل بمكة زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن بدء الطواف بهذا البيت فقال له على بن الحسين: أما بدء الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (سورة البقرة: آية ٣٠) قالت الملائكة: يا رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون؟ أى رب اجعل ذلك الخليفة منا، فنحن لا نفسد فيها، ولا نسفك الدماء، ولا نتحاسد، ولا نتباغض ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، ونطيعك ولا نعصيك، قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال: فظنّت الملائكة إنما قالوا ردًّا على ربهم عز وجل وأنه قد غضب من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رءوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقًا لغضبه، وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم فنــزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتًا على أربعة أساطين من زبرجد وغشاهن بياقوتة حمراء وسمى البيت الضراح، ثم قال الله عز وجل للملائكة: طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش، قال: فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار أهون عليهم، وهو البيت المعمور الذى ذكره الله عز وجل، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا، ثم إن الله عز وجل بعث ملائكة فقال: ابنوا لى بيتًا فى الأرض بمثاله وقدره، وأمر الله من فى الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، فقال الرجل: بأبى أنت يا بن بنت رسول الله ﷺ[1]. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٣.

وروينا نحوه بالمعنى مختصرًا فى كتاب النسب للزبير بن بكار قاضى مكة، وروينا فى تاريخ الأزرقى وغيره أخبارًا أُخَر تدل على طواف الملائكة بالبيت، فهذا ما رواه الأزرقى بسنده إلى وهب بن منبه قال: وقرأت فى كتاب من الكتب الأولى ذكر فيه الكعبة فوجد فيه أنه ليس من مَلَك بعثه الله إلى الأرض إلا أمره بزيادة البيت فينقض من تحت العرش مُحرِمًا ملبّيًا حتى يستلم الحجر، ثم يطوف سبعًا ويركع فى جوفه ركعتين ثم يصعد[١].

ذكر طواف بعض الجن والدواب والطير بالكعبة

روينا فى تاريخ الأزرقى أيضًا خبرًا فيه أن بعض الجن طاف بالبيت سبعًا وصلى خلف المقام ثم انقلب إلى أهله فقتله شاب من بنى سهم، فثارت بمكة غبرة[٢] وفتنة بين الجن وبين بنى سهم.

وروينا فى تاريخ الأزرقى أيضًا خبرًا فيه أن الأيم[٣] هو الحية الذكر طاف بالبيت سبعًا وصلى ركعتين وراء المقام ثم كوم برأسه كومة بطحاء فوضع ذنبه عليها فسما إلى السماء فما رئى[٤].

وروينا فى تاريخ الأزرقى أن طيرًا طاف على منكب بعض الحجاج أسابيع والناس ينظرون إليه وهو مستأنس منهم، ثم طار وخرج من المسجد الحرام وذلك فى السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ستٍّ وعشرين ومائتين[٥].

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٩.
(٢) فى المطبوعتين: «غيرة» والمثبت من أخبار مكة للأزرقى، ولديه موضحا: «فثارت بمكة غبرة حتى لم تبصر لها الجبال».
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «أثمار» وصوابه لدى الأزرقى.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٧.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٧، ١٨.

ما جاء من أن شرعية الطواف لإقامة ذكر الله

روينا فى مُسْنَد الدارمي بسند صحيح عن عائشة قالت: إنّما جُعِل الطواف بالبيت ورمْى الجمار والسعي بين الصفا والمَرْوَة لإقامة ذكر الله، وروينا فيه عن عائشة عن النبي ﷺ نحوه، وأخرجه المحب الطبرى فى «القرى» عنها مرفوعًا، وزاد بعد قوله ذكر الله تعالى، وإن لم يقترن بها ذكر بالقول، ثم قال: وينبغى للذاكر فى الطواف والتالى أن لا يزيد فى رفع صوته على إسماع نفسه لئلا يشوش على غيره، واستدل على ذلك بما يقوم به الحجة، ثم قال: وفى معنى الطائف من كان فى المسجد قريبًا من الطواف ينبغى له أن لا يرفع صوته بتلاوة ولا ذِكْر لئلا يشوش علي الطائفين(١). انتهى.

ذكر ثواب النظر إلى الكعبة

تقدم فى هذا المعنى حديث ابن عباس عن النبى ﷺ فى تنـــزل الرحمات وفيه: عشرون للناظرين، وروينا فى تاريخ الأزرقى عن عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: النظر إلى الكعبة محض الإيمان(٢).

وروينا فيه عن إبراهيم النخعي: أن حماد بن أبي سلمة قال: [الناظر إلى الكعبة كالمجتهد فى العبادة فى غيرها، وروينا عن يونس بن خباب قال](٣) النظر إلى الكعبة عبادة فيما سواها من الأرض عباده الصائم القائم الدائم القانت(٤).

وروينا فيه عن مجاهد قال: النظر إلى الكعبة عبادة، وروينا فيه عن سعيد بن المسيب قال: من نظر إلى الكعبة إيمانًا وتصديقًا خرج من الخطايا كيوم ولِدته أمه، وروينا فيه عن أبي السائب المدنى قال: من نظر إلى الكعبة إيمانًا وتصديقًا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر، وروينا فيه عن زهير بن محمد قال: الجالس فى المسجد ينظر إلى بيت لا يطوف به ولا يصلى أفضل من المصلى فى بيته لا ينظر إلى البيت، وروينا فيه عن عطاء قال: النَّظر إلى البيت عبادة والنظر إلى البيت كمنـــزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد فى سبيل الله عز وجل.

---

(١) القرى ـــ ص ٣١٢.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٩.
(٣) ما بين حاصرتين ساقط من المطبوع وهو فى الأصل.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٨.

ذكر ثواب الحج والعمرة

روينا فى ذلك عن النبى ﷺ وأصحابه وغيرهم أخبارًا كثيرة مشهورة ثابتة، منها ما رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ قال: «من حجّ لله عز وجل فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه، واللفظ للبخارى، وفى رواية لمسلم «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» ورواه النسائى فقال: من حج أو اعتمر... الحديث، والرَّفَث: الجماع، قاله ابن عمر وابن عباس، وقيل: اسم لكل لَهْوٍ وخنا وزُور وفجُور بغير حقّ، والفسوق: المعاصى، قاله ابن عباس وابن عمر.

ومنها: ما رويناه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» مُتَّفَق عليه، ومعنى: ليس له جزاء إلا الجنة أنه لا يقتصر فيه على تكفير الذنوب بل لا بد أن يبلغ به الجنة.

ومنها: ما رويناه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «الحجة المبرورة تكفر خطايا سنة» أخرجه ابن حبّان فى صحيحه، ومنها: ما رويناه عن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ: «إن الحّج يهدم ما قبله» رواه مسلم.

ومنها: ما رويناه عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكير خَبَثَ الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» رواه الترمذى وصححه النسائى وابن ماجه فى سننهما، وفى رواية لابن أبى خيثمة والطبرانى: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة ما بينهما يزيد فى العمر والرزق».

ومنها: ما رويناه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «وفد الله تعالى ثلاثة: الغازى والحاج والمعتمر» أخرجه النسائى وابن حِبّان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه، وصححه على شرط مسلم، وزاد ابن حِبّان فى بعض طُرُقه: دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم، وفى رواية لابن ماجه «الحُجَّاج وفد الله، إنْ دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم».

ومنها: ما رويناه فى سُنَن البيهقى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج» صححه الحاكم.

ومنها: ما رويناه عن ابن عباس عن النبى ﷺ «عمرة فى رمضان تعدل حجة معى» كذا رويناه عن الطبرانى، وقال الحاكم: إن هذه الرواية صحيحة على شرط البخارى ومسلم، والحديث فى الصحيحين بغير لفظة «معى» إلا أنه فى طريق لمسلم «عمرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة معى» والأخبار الواردة فى فضل العمرة والحج كثيرة جدًا فلا نطول عليها، وفيما ذكرناه من ذلك كفاية، إذ القصد الاختصار.

البـــاب الثالث عشر

فى الآيات المتعلقة بالكعبة

للكعبة المعظمة آيات بينات، منها: بقاء بنائها الموجود الآن، وهو لا يقتضى أن يبقى هذه المدة، على ما بلغنى عن بعض مهندسى عصرنا، قال: وإنما بقاؤها آية من آيات الله تعالى. انتهى. ولَعَمْرِى إنه لصادق، فإن من المعلوم ضرورة أن الريح والمطر إذا تواليا أيامًا على بناء تخرب، ومن المعلوم ضرورة أن الكعبة المعظَّمة ما زالت الرياح العاصفة والأمطار الكثيرة المهولة تتوالى عليها منذ بُنيت وإلى تاريخه، وذلك سبعمائة سنة وخمسون سنة، ولم يحدث فيها بحمد الله تغيُّر أدى إلى خللها، وغاية ما يحدث فيها انكسار فلقة من الركن اليمانى، وتحرك البيت مرارًا لأن الشيخ شهاب الدين أبا شامة المقدسى قال فى «ذيل الروضتين» له فى أخبار سنة اثنين وتسعين وخمسمائة: وفيها وقع من الركن اليمانى قطعة وتحرك البيت مرارًا، وهذا شيء لم يُعْهَد[1]. انتهى.

وقال ابن الأثير فى أخبار سنة خمس عشر وخمسمائة: فيها تضعضع الركن اليمانى من البيت الحرام، زاده الله شرفًا، من زلزلة وانهدم بعضه. انتهى. وذكر مثل ذلك المؤيد صاحب حماة فى أخبار سنة خمس عشرة وخمسمائة، وذكر صاحب «مرآة الزمان» فى سنة سبع عشرة وأربعمائة تشعث البيت الحرام. انتهى. وقال أبو عبيد البكرى فى كتابه «المسالك والممالك» وحدث جماعة أن فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة انكسرت، من الركن اليمانى فلقة قدر أصبع وغفل الناس عن سدها فصارت عند قوم من أهل مكة من الحسنيين فوقع بمكة وباء عظيم عام وموت وكان لا يلبث المريض فوق ثلاثة أيام، وهلك فى أهل الدار الذى اتهم أن الفلقة فيها ثمانية عشر إنسانًا، فرأى بعض الصالحين المجاورين من أهل خراسان فى نومه أن يفقد ما ذهب من الكعبة ويرد فيرفع الله عنهم الوباء، فردت إلى موضعها فارتفع الوباء. انتهى. هذا ما علمته من التوهن الذى أصاب الكعبة، ولا تزال إن شاء الله باقية إلى أن ينفذ فيها أمر الله من تخريب الحبش لها فى آخر الزمان، كما سبق بيانه فى الباب الثامن.

---

(١) الذيل على الروضتين ـــ ص٨.

ومن الآيات المتعلقة بالكعبة المعظمة على ما قال الجاحظ[١] أنه لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن يراه إلا ضحك أو بكى.

ومنها: أن الفرقة من الطير من الحمام وغيره لَيُقْبِل حتى إذا كادت تبلغ الكعبة انفرقت فرقتين فلم يَعْلُ ظهرَها شيء منها، ذكر ذلك الجاحظ[٢] وقال: قالوا: وذكر ذلك أبو عُبَيْد البكرى جزمًا لأنه قال: ومن عجائب مكة أن الحمام وجميع الطير تمر فى طيرانها فإذا قارب أن تُحاذى الكعبة أخذت يمينًا وشمالاً.

ومنها: على ما قال الجاحظ أنه لا يسقط على ظهر الكعبة من الحمام الذى قد أمن إلا وهو عليل أو مريض. انتهى.

وذكر ابن الحاج معنى هذا لأنه قال لما ذكر الآيات المتعلقة بالبيت: ومنها أن الطائر لا يعلو البيت صحيحًا ويعلوه مريضًا للشفاء.

وذكر ذلك أبو عبيد البكرى لأنه قال: ومن عجائب مكة أن الحمام وجميع الطير لا يعلوها البتة ولا ينـــزل على جُدُرها إلا أن يكون مريضًا فيفعل ذلك مستشفيًا، والطير ينـــزل على سائر جُدُر المسجد، وقبة زمزم وغيرها.

وذكر بعضهم أن الطير إذا نزل على الكعبة إمّا يُشْفى أو يموت لحينه، وذكر هذه الآية المحب الطبرى قال: ولولا ذلك لكانت ستارته ــ يعنى البيت الحرام ــ مملوء من قذر هذه كنحوها مما يتعذر الجلوس عليه.

ومنها: على ما ذكر ابن الحاج عن بعض المفسرين أن الغيث إذا كان ناحية الركن اليمانى كان الخصْب باليمن، وإذا كان ناحية الشامى كان الخصب بالشام، وإذ عم البيت كان الخصب بجميع البلدان، وذكر ذلك أيضًا المحب الطبرى بمعناه.

وذكر ذلك الجاحظ، إلا أنه خالف فى بعض ذلك لأنه قال: وإذا أصاب فى أول السنة المطر باب الكعبة من شق العراق كان الخصب تلك السنة بالعراق، وإذا

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الحافظ» وهو تحريف قبيح صوابه من الجامع اللطيف ص٥٢.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ٣/ ١٩٣، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ــ ص٩٨.

أصاب شقّ الشام كان الخصب فى تلك السنة فى الشام، وإذا عم جوانب البيت عم الخصب الجميع.

ومنها: أن مفتاح الكعبة إذا وُضع فى فم الصغير الذى ثقل لسانه عن الكلام يتكلم سريعًا، ذكر ذلك الفاكهى فى أخبار مكة، لأنه قال: وكان من سنة المكيين، وهم على ذلك إلى اليوم إذا ثَقُل لسان الصبى المولود وأبطأ كلامه عن وقته جاءوا به إلى حَجَبَة الكعبة فسألوهم أن يُدْخِلوا مفتاح الكعبة فى فمه، فيأخذه الحَجَبَة فيدخلونه خزانة الكعبة ثم يغطون وجهه، ثم يُدْخَل مفتاح الكعبة فى فمه فيتكلم وينطلق لسانه، ويتكلم سريعًا بإذن الله تعالى، وذلك مجرب بمكة إلى يومنا هذا. انتهى. وأهل مكة يفعلون ذلك إلى الآن.

ومنها: أنها تُفتَح بحضرة خلق كثير إلى الغاية ويدخلها الجميع متزاحمين ويصلون فيها أجمع وتسعهم بقدرة الله تعالى، وما علمت أن أحدًا مات من الزحام إلا خمسة وثلاثين نفرًا ماتوا دفعة واحدة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة على ما ذكره أبو شامة فى «الروضتين» نقلاً عن ابن القادسى عن الحجاج فى هذه السنة، وذكر ذلك أيضًا ابن البزورى من «ذيل المنتظم» وعزاه للحجاج.

ومنها: على ما قيل إنها منذ خلقها الله تعالى لم تخل من طائف من الإنس والجن والملائكة، ذكر ذلك المحب الطبرى وابن جماعة، وسبقهما إلى مثل ذلك السُهَيْلى وأفاد فى ذلك خبرًا غريبًا لأنه قال لما ذكر بناء ابن الزبير للكعبة: وفى الخبر أنه سترها حتى وصل إلى القواعد فطاف الناس بتلك الأستار فلم تَخْلُ قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها[١]. انتهى.

ومنها: ما قال ابن الحاج: وذكر ابن أبى خيثمة قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا ثابت بن يزيد قال: حدثنا هلال بن حبان عن عمرو بن

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٩٩.

ميمون قال: رأيت دخان البيت لا يشد يمينًا ولا شمالاً ولا قُدَّام ولا خلف، يصعد فى السماء. انتهى.

ولعل المراد بالدخان دخان ما يجمر به الكعبة والله أعلم.

ومنها: وقع هيبتها فى القلوب، ومنها حفْظُها من الجبابرة وتذللهم لها والانتقام ممن أرادها بسوء، كما جرى لتُبَّع والهذلَين وأصحاب الفيل وغيرهم ممن أساء الأدب فيها، ونشير هنا لشيء من ذلك على سبيل الاختصار.

ذكر خبر تُبَّع والـــهُذَليين

لما أقبل تُبَّع وهو معان أسعد الحميرى ملك اليمن من الشرق وجعل المدينة النبوية على طريقه لقضاء وَطَر له بها، ثم توجه منها إلى مكة لأنها طريقه لبلده، فلما كان بين أَمَج وعُسْفَان لقيه نفر من هُذَيل من بنى لحيان، فحسنوا له تخريب الكعبة وأن يبنى عنده بيتًا يصرف إليه الحج، فعزم على ذلك، فَدَفَّت[(١)] بهم دوابهم وغشيتهم ظلمة شديدة وريح، فدعى أحبارًا كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم فقالوا: هل هممت لهذا البيت بسوء؟ فأخبرهم بما قال له الهذليون وما أراد أن يفعل، فقالوا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك من معك، هذا بيت الله لم يرده أحد بسوء إلا هلك، قال: فما الحيلة؟ قالوا: تنوى له خيرًا أن تعظمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن إلى أهله، ففعل، فانجلت عنهم الظلمة وسكنت عنهم الريح، وانطلقت بهم دوابهم [وركابهم، فأمر تبع بالهذليين فضربت أعناقهم وصلبهم، وسار حتى قدم مكة فأقام بها[(٢)]] أيامًا ينحر كل يوم مائة بُدْنة، وكسا البيت، هذا ملخص بالمعنى مختصر من كتاب الأزرقى[(٣)].

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «فدقت» بالقاف، وهو تحريف قبيح، صوابه لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف، ومثله لدى المصنف فى الزهور المقتطفة ص١٠٣، ودَفّتِ الإبل: سارت سيرًا ليّنًا.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٣٢.

وذكر الفاكهى أخبارًا من خبر تبع منها أنه قال: حدثنى حسن بن حسين الأزدى قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله عن هشام بن الكلبى قال: أخبرنى جرير بن يزيد البجلى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما أقبل تبع يريد هدم البيت وصَرْف وجوه العرب إلى اليمن فبات صحيحًا فأقبل وقد سالت عيناه على خديه، فبعث إلى الأحبار والسَّحَرة والكُهّان والمنجمين فقال: ما لى فوالله لقد بتُّ ليلتى وما أجد شيئًا، ثم صرت إلى ما ترون، فقالوا: لعلك حدثت نفسك لهذا البيت بسوء؟ فقال: نعم، قالوا: فحدث نفسك أن تصنع به وبأهله خيرًا، ففعل، وقد رجعت عيناه فارتد بصيرًا، وكسا البيت الخصف[1]. انتهى.

وقال السُّهَيْلى: وروى نَقَلَةُ الأخبار: أنّ تُبَّعًا لما عمد إلى البيت يريد تخريبه رُمِيَ بداء تمخَّض منه رأسه قيحًا وصديدًا يثجّ ثجًّا، وأنْتَنَ حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قيد رمح، وقيل: بل أرسلت عليه ريح كتَّعت منه يديه ورجليه وجلده، وأصابتهم ظُلمة شديدة، حتى دَفَّت خَيْلَهم، فسمّى ذلك المكان الدّفُّ، فدعا بالحُزَاة والأطباء فسألهم عن دائه، فهالهم ما رأوا منه، ولم يجد له عندهم فرجًا، فعند ذلك قال له الحبران: لعلّك هممت بشىء فى أمر هذا البيت، فقال: نعم، أردت هدمه، فقالا له: تُبْ إلى الله مما نويت، فإنه بيت الله وحَرَمُه، وأمراه بتعظيم حرمته، ففعل ذلك فبرئ من دائه، وصحّ من وجعه، قال السُّهيلى: وأَخْلِقْ بهذا الخبر أن يكون صحيحًا، فإن الله سبحانه عز وجل يقول: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الحج: آية ٢٥) أى: وَمن هَمَّ فيه بظلم[2].

ثم قال: وقال القُتَبى[3]: كانت قصة تُبع قبل الإسلام بسبعمائة عام انتهى[4].

(١) الفاكهى ٥/ ١٦٠.

(٢) الروض الأنف ١/ ٧٧.

(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «العتبى» بالعين المهملة، وهو تحريف قبيح، صوابه لدى السمعانى فى الأنساب، والسهيلى الذى ينقل عنه المصنف.

(٤) الروض الأنف ١/ ٨٠.

وهذا الذى ذكره القُتَبِىُّ لعله أن يكون موافقًا لما ذكره ابن إسحاق فى السيرة لأنه قال: فكان تُبَّع فيما يزعمون أول من كسا البيت، وأوصى به وُلاته من جُرْهم. انتهى.

ووجه موافقته ذلك لما ذكره القتبى أن من ولاية جُرْهم إلى الإسلام المقدار الذى ذكر القتبى أو نحوه، فإنَّ خُزَاعة وُلُوا البيت بعد جُرْهم خمسمائة سنة، وقيل دون ذلك على ما فى خبرهم، وولاية قريش لأمر مكة قبل الإسلام ما يقصر عن مائة سنة، وربما كانت أزيد من ذلك، وإن كان ذلك فهو المقدار الذى ذكره القتبى أو غيره، ويعكر على ما فى السيرة لابن إسحاق من أن قصة تُبَّع مع الهذليين كانت فى زمن جُرْهُم، على ما نقله الأزرقى عن ابن إسحاق[1]، لأنه قال فى خبر تُبَّع: حدّثنى جدّى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنا ابن إسحاق قال: سار تُبّع الأول إلى الكعبة وأراد هدمها وتخريبها، وخُزاعة يومئذ تلى البيت وأمْرَ مكة، فقامت خُزاعة دونه فقاتلت عنه أشد القتال حتى رجع، ثم تُبع آخر فكذلك، ثم قال: فأما تُبع الثالث الذى أراد هدم البيت فإنما كان فى أول زمان قريش، قال: وكان سبب خروجه وسَيْره أن قومًا من هُذَيل من بنى لِحْيان جاءوه فقالوا: إنّ بمكة بيتًا تعظّمه العرب جميعًا... فذكر القصة.

ونقل عن ابن جُريج وابن إسحاق عن تبّع الثالث ما يوافق ذلك، لأنه قال فى باب ولاية قُصَىّ بن كلاب البيت الحرام وأمر مكة بعد خزاعة بعد أن روى بسنده السابق عن ابن جُرَيج وابن إسحاق: وأما تُبّع الثالث الذى نحر له، وكساه، وجعل له غلقًا، وأقام عنده أياما ينحر كل يوم بُدْنة، إلى أن قال: إنما كان فى عهد قريش. انتهى.

فبان بهذا الاختلاف كلام ابن إسحاق فى زمن قدوم تُبّع إلى مكة، هل هو فى زمن جُرْهُم أو فى أول زمن قريش[2].

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «إسحاق».

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٣٢.

وذكر السُّهَيْلى فوائد تتعلق بهذا الخبر يَحْسُن ذكرها هاهنا، منها أن اسم أحد الحَبْرَين المشار إليهما فى خبر تُبّع «سحيت» والآخر «مُنَبِّـه» وعزا ذلك لقاسم بن ثابت، قال وفى رواية يونس عن ابن إسحاق قال: واسم الحَبْر الذى كلم الملك بليامن، ومنها أنه قال: ومعنى تُبّع فى لغة اليمن الملك المتبوع[1]، وقال المسعـودى: لا يقال للملك تُبّع حتى يملك اليمن، والشحر، وحَضْرَمَوْت، وأول التابعة الحارث الرائش. انتهى.

ذكر خبر أصحاب الفيل

ذكر هذا الخبر جماعة من العلماء مطولاً ومختصرًا، كما ذكرته فى أصل هذا الكتاب، واقتصرت هنا من ذلك على ما ذكرته عن الإمام أبى القاسم الزمخشرى لحُسْن اختصاره مع ما فيه من الفوائد، ونص كلامه: رُوِى أنّ أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قِبَل أصْحَمَة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً، فأغضبه ذلك، وقيل أجّجت رفقة من العرب نارًا، فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف لَيَهْدِمَنّ الكعبة، فخرج من الحبشة ومعه فيل اسمه محمود، وكان فيلاً عظيمًا، واثنا عشر فيلاً غيره، وقيل ثمانية، وقيل كان معه ألف فيل، وقيل كان وحده، فلما بلغ المَغَمّس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثُلُث أموال تهامة ليرجع، فأبى وعبّأ جيشه فقدَّم الفيل، فكانوا إذا قدموه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول، فأرسل الله إليه طيرًا سوداء، وقيل خضراء، وقيل بيضاء، مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحُمّصة، ثم قال: فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دُبُره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه، ففروا فهلكوا فى كل طريق وسهل، وأما أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وأنفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه، حتى بلغ النجاشى، فقص عليه القصة، فلما أتمها وقع الحجر عليه فخر ميتًا بين يديه، وذكر أن أهل مكة احتووا على أموال

---

(١) الروض الأنف ١/ ٧٠ – ٧١.

الحبشة، وأن عبد المطلب جمع من جواهرهم وذَهَبهم ما كان سبب يساره. انتهى باختصار.

وقال السُّهَيلى: وكانت قصة الفيل فى أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة سنة من تاريخ ذى القرنين[1].

وقال أبو عمر بن عبد البر: وأما الخوارزمى محمد بن موسى قال: كان قدوم الفيل مكة وأصحابه لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم قال: وقد قال ذلك غير الخوارزمى، وزاد يوم الأحد، قال: وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة.

ونقل الحافظ الدمياطى عن أبى جعفر محمد بن على أن قدوم الفيل كان فى النصف من المحرم. انتهى. فيتحصل من هذا أنه فى تاريخ قدوم الفيل من شهر المحرم ثلاثة أقوال، هل هو أوله أو نصفه أو لثلاث عشرة ليلة بقيت منه، والله أعلم بالصواب.

وجاء فى هلاك من أراد الكعبة بسوء أخبار أخر، منها ما رويناه عن أم المؤمنين أم سَلَمة عن النبى ﷺ أنه قال: «ليخسفن بقوم يؤمون البيت ببيداء من الأرض».

ومن الأخبار الواردة فى الانتقام ممن أساء الأدب فى الكعبة أو حولها ما رويناه فى السيرة لابن إسحاق وغير ذلك عن عائشة أنها قالت: ما زلنا نسمع أن إسافًا ونايلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين[2] والله أعلم.

ومن ذلك ما رويناه فى معجم الطبرانى عن حُوَيْطب بن عبد العُزَّى قال: كنا جلوسًا بفناء الكعبة فى الجاهلية فأتت امرأة تعوذ به من زوجها، فمد يده إليها فيبست، فلقد رأيته فى الإسلام وأنه لأشَلّ. انتهى.

ومن ذلك ما رويناه فى تاريخ الأزرقى فى خبر ذكره عن ابن جُرَيْج فيه شىء من خبر الحُمْس وغيرهم قال: وجاءت امرأة أيضًا تطوف عريانة، وكان لها جمال،

---

(١) الروض الأنف ١/ ١٢٧.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٨٣.

فرآها رجل فأعجبته، فدخل الطواف فطاف إلى جنبها لأن يمسها، فأدنى عضُدَه من عضُدها، فخرجا من المسجد من ناحية بنى سهم هاربين على وجوههما، فزعين لما أصابهما من العقوبة، فلقيهما شيخ من قريش خارجًا من المسجد فسألهما عن شأنهما، فأخبراه بقصتهما فأفتاهما أن يعودا إلى المكان الذى أصابهما فيه ما أصابهما فيه ليدعوان الله تعالى ويحلفان أن لا يعودا، فرجعا إلى مكانهما فدعوا الله سبحانه وتعالى وأخلصا النية فى أن لا يعودا، فافترقت أعضادهما، فذهب كل واحد منهما فى ناحية. انتهى.

وذكر المحب الطبرى هذا الخبر مختصرًا وعزاه لابن الجوزى، وعزاه ابن الجوزى لغير ابن جُرَيج فنذكر ذلك، كما هو مذكور فى «القرى» ولفظه فيه: وعن مسعود عن علقمة بن مرثد قال: بينما رجل يطوف بالبيت إذ برق له ساعد امرأة فوضع ساعده على ساعدها متلذّذًا به، فلصقت ساعداهما، فأتى بعض الشيوخ فقال: ارجع إلى المكان الذى فعلت فيه فعاهِدْ ربَّ البيت ألا تعود، ففعل فخلّى عنه. انتهى[١].

وذكر السُّهَيْلى هذا الخبر مختصرًا وفيه ما يُفهم منه غير ما سبق، فاقتضى ذلك ما قاله لأنه قال بعد أن ذكر شيئًا من خبر الحُمْس والحلة وطواف الحلة بالبيت عراة: ومما ذكر من تعريهم فى الطواف أن رجلاً وامراة طافا كذلك فانضم الرجل إلى المرأة تلذُّذًا واستمتاعًا، فلصق عضُدُه بعضدها [ففزعا عند ذلك، وخرجا من المسجد وهما ملتصقان فلم يقدر أحد على فك عضده من عضدها][٢] حتى قال لهما قائل: توبا مما كان فى ضميركما، وأخلصا لله التوبة، ففعلا فانحلا أحدهما عن الآخر. انتهى.

---

(١) القرى ـــ ص٢٧٢.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

الباب الرابع عشر

في ذكر شيء من أخبار الحجر الأسود

رويناً في تاريخ الأزرقى عن ابن عباس أن الله تعالى أنزل الركن — يعنى الحجر الأسود والمقام — مع آدم ليلة نزل ليستأنس بهما، وأنه كان يأنس بالحجر.

وروينا فيه عن عائشة عن النبى ﷺ: أكثروا استلام هذا الحجر فإنه يوشك أن يفقد، وفيه ما يقتضى أنه يُرفع إلى الجنة.

وروينا فيه عن النبى ﷺ أول ما يرفع الركن والمقام.

وروينا فيه عن ابن إسحاق وغيره أن الله عز وجل استودع الركن أبا قبيس حين غرّق الأرض زمن نوح ﷺ، وقال: إذا رأيت خليلى يبنى بيتى فأخرجه له، فلما بنى الخليل البيت جاءه جبريل ﷺ بالحجر الأسود فوضعه الخليل موضعه من البيت. انتهى.

وقيل: إن إلياس بن مضر أول من وضع الحجر للناس بعد الغرق، ذكره الزبير ابن بكار، وهذا يخالف ما سبق، والله أعلم.

قال ابن إسحاق بعد أن ذكر إخراج بنى بكر بن عبد مَناة بن كنانة وغبشان منْ خُزاعة جُرْهُم من مكة: فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجر الركن فدفنها[1] فى زمزم، وانطلق هو ومن معه من جُرْهُم إلى اليمن، وذكر الزبير بن بكار معنى ذلك كما سيأتى.

وقال القطب: وقال أبو عبد الله محمد بن عايذ الدمشقى فى مغازيه: عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أنها حدثت أن جُرْهُما كانت أهل البيت، وهم العرب الذين كانوا يتكلمون بالعربية، ونكح إليهم إسماعيل ﷺ. فأحلوا حرم البيت واقتتلوا، حتى كانوا يتفاوتون، فسلط الله عليهم العرب، فخرجوا من مكة إلى اليمن.

وكان حول البيت غَيْضَةٌ والسيل يدخله، ولم يُرفع البيت حينئذ، فإذا قدم الحاج وطئوه حتى يذهب الغيضة، فإذا خرجوا بنيت فقدم قُصَىٌّ فقطع الغيضة

(١) تحرف فى الأصل والمطبوعتين إلى: «فدفنهما» وصوابه لدى ابن هشام الذى ينقل عنه المصنف.

وابتنى حول البيت دارًا، ونكح حبى بنت خليل، فولدت له عبد الدار بن قُصَىّ أول ما ولدت، فسماه عبد الدار بداره تلك، وجعل الحجابة له، لأنه أكبرهم، وعبد مناف بمناف، وجعل السقاية له، والرفادة ودار الندوة لعبد العُزّى، واللواء لعبد قُصَىّ، ويقال عبد بن قُصَىّ.

فقال قصىّ لامرأته: قولى لجدتك تدل بنيك على الحجر، فلم يزل بها حتى قالت: إنى أغفل: أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه، ونزلوا منــزلاً وهو معهم، فبرك الجمل الذى عليه فضربوه فقام، ثم سار فبرك فضربوه فقام، فبرك الثالثة فقالوا: ما برك إلا من أجل الحجر فدفنوه، وذلك فى أسفل مكة، وإنى أعرف حيث برك.

فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم، فأرتهم حيث برك أولاً وثانيًا وثالثًا، فقالت: احفروا هاهنا، فحفروا حتى يئسوا منه، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه، فأتى به قُصىّ فوضعه فى الأرض، وكانو يتمسحون به وهو فى الأرض، حتى بنى قُصَىّ البيت، ومات قُصىّ ودُفن بالحجون. انتهى.

وذكر هذا الخبر الإمام الفاكهى، ويبعد أن يكون صحيحًا لأنه يقتضى أن جُرْهُمًا دفنوا الحجر فى غير زمزم، والمعروف فى دفنهم له أنه فى زمزم كما سبق قريبًا عن ابن إسحاق وغيره.

والمعروف أن القصة التى فى هذا الخبر فى دفن الحجر اتفقت لبنى إياد بن نزار حين أخرجوا من مكة، وأن الحجر لم يستمر مدفونًا إلى عهد قُصَىّ، لأن امرأة من خزاعة أبصرته حين دُفن، وأخبرت بذلك قومها، فأعلم قومهم بذلك مُضر، على أن تكون ولاية البيت لخزاعة، وهذا مذكور فى خبر ذكره الفاكهى عن الكلبى والزُّبير بن بكار لأنه قال: فحدثنا الزُبير بن بكار قال: لما هلك وكيع الإيادى واتضعت إياد، وهى إذ ذاك تلى أمر بيت الله الحرام قاتلوهم وأخرجوهم وأجلوهم ثلاثًا يخرجون عنهم، فلما كانت الليلة الثالثة حسدوا مُضَرًا أن تلى الركن الأسود، فحملوه على بعير فبرك، فلم يقم فغيروه فلم يحملوه على شىء إلا رزح وسقط، فلما رأوا ذلك بحثوا له تحت شجرة فدفنوه، ثم ارتحلوا من ليلتهم، فلما

كان بعد يومين افتقدت مُضَر الركن، فعظم في أنفسها، وقد كانت شرطت على أياد كل امرأة متزوجة فيهم، فكانت امرأة من خزاعة، فيما يقولون، يقال لها: قدامة متزوجة في إياد[١].

ثم قال: فأبصرت إياد حين دفنت الركن، أجمع الزبير وابن الكلبي في حديثهما، كل واحد منهم بنحو من حديث صاحبه، فقالت لقومها حين رأت مشقة ذهاب الركن على مُضَر: خذوا عليهم أن يولوكم حجابة البيت، وأدلكم على الركن، فأخذوا بذلك عليهم، ثم قال: فدلتهم عليه فابتحثوه فأعادوه في مكانه وولوه، فلم يبرح في أيدى خُزاعة حتى قدم قُصَىّ بن كِلاب، فكان من أمره الذى كان. انتهى[٢].

وهذا الخبر أقرب إلى الصحة من الخبر الذى ذكره ابن عائذ، لما تقدم من أن المعروف في القصة التى ذكرها أنها اتفقت لأياد لا لجُرْهُم، والله أعلم.

ذكر ما أصاب الحجر الأسود في زمن ابن الزبير وما صنع فيه من القصة في زمنه وزمن هارون الرشيد

روينا في تاريخ الأزرقى خبرًا طويلاً في خبر بناء الكعبة لابن الزبير، رواه الأزرقى عن جده عن سليمان بن سالم عن ابن جُرَيْج عن غير واحد من أهل العلم ممن حضر بناء ابن الزبير للكعبة قال فيه: وكان الركن قد تصدع من الحريق بثلاث فرق، فانشظت منه شظية كانت عند بعض آل بنى شيبة بعد ذلك بدهر طويل فشده ابن الزبير بالفضة إلاّ[٣] تلك الشظية من أعلاه ــ موضعها بَيِّنٌ من أعلى الركن[٤]. انتهى[٥].

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٤٦.

(٢) الفاكهى ٥/ ١٤٧.

(٣) تحرف في المطبوعتين إلى: «إلى» وصوابه من الأصل والأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٤) في الأصل والمطبوعتين: «من أعلاه بين موضعها في أعلى الركن» والمثبت رواية الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٠٨ - ٢٠٩.

ورويناه فى تاريخ الأزرقى عن جده قال: كان ابن الزبير ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه من الحريق، ثم كانت الفضة قد تزلزلت ونزعت وتعلقت حول الحجر حتى خافوا عليه أن ينقض، فلما اعتمر هارون الرشيد وجاور فى سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التى بينها الحجر الأسود أن ينقب بالماس، فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها، ثم أفرغ فيها الفضة.

ذكر ما أصاب الحجر الأسود فى فتنة القِرْمطى وأخذهم له

ذكر أهل التاريخ أن عدو الله أبا طاهر القرمطى وافى مكة فى سابع ذى الحجة، وقيل فى ثامنه سنة تسع عشرة وثلاثمائة... وفعل فيها هو وأصحابه أمورًا منكَرَة، منها: أن بعضهم ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره، ثم قلعه، وقيل: قلعه جعفر بن أبى علاج[1] البناء بأمر أبى طاهر يوم الاثنين بعد الصلاة لأربع عشرة خلت من ذى الحجة[2]، وذهب به معه إلى بلاده هجر، وبقى موضعه من الكعبة المعظمة خاليًا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك إلى حين رد إلى موضعه من الكعبة المعظمة، وذلك فى يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، على ما ذكره المسبحى، وذكر أن الذى وافى به مكة سنبر بن الحسن القرمطى، وأن سنبرًا لما صار بفناء الكعبة ومعه أمير مكة أظهر الحجر من سقط وعليه ضباب فضة قد عُملت من طوله وعرضه تضبط شقوقًا حدثت عليه بعد انقلاعه، وأحضر معه جصًّا يشد به، فوضع سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص، وقال سنبر لما رده: أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله، ونظر الناس إلى الحجر فتبينوه وقبلوه واستلموه، وحمدوا الله تعالى.

وكان رد الحجر الأسود فى موضعه قبل حضور الناس لزيارة الكعبة يوم النحر، وكان مدة كينونته عند القِرْمطى وأصحابه اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام، هذا معنى كلام المسبحى.

وكان بَجْكَم التركى مدبر الخلافة ببغداد بذل للقرامطة على رد الحجر الأسود خمسين ألف دينار فأبوا وقالوا: أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر[3].

وقيل: إن المطيع العباسى اشتراه بثلاثين ألف دينار من القرامطة.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن فلاح».
(٢) إتحاف الورى ٢/ ٣٧٧.
(٣) إتحاف الورى ٢/ ٣٩٦.

وكلام القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه صريح فى أن المطيع العباسى اشتراه بهذا القدر من أبى طاهر القرمطى، وفيه نظر، لأن أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، على ما ذكره ابن الأثير وغيره، والله أعلم.

ذكر ما صنعه الحجبة فى الحجر الأسود بإثر رد القرامطة له

ذكر المسبحى أن فى سنة أربعين وثلاثمائة قلع الحَجَبَة الحجر الأسود الذى نصبه سنبر، وجعلوه فى الكعبة خوفًا عليه، وأحبوا أن يجعلوا له طوقًا من فضة يشد به، كما كان قديمًا حين عمله ابن الزبير، فأخذ فى إصلاحه صانعان حاذقان فعملا له طوقًا من فضة وأحكماه.

ونقل المسبحى عن محمد بن نافع الخزاعى أن مبلغ ما على الحجر الأسود من الطوق وغيره ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهمًا ونصف على ما قيل. انتهى. وهذه الحلية غير حلية الحجر لأن داود بن عيسى بن «فُلَيْتَة» الحسنى أمير مكة أخذ طوق الحجر الأسود قبيل عزله من مكة فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة، على ما ذكر أبو شامة فى ذيل الروضتين، وذكر ذلك غيره.

ولم أتحقق أن الحجر الأسود قُلع من موضعه بعد ردِّ القرامطة له إلى يومنا هذا، غير أن بعض فقهاء المصريين أخبرنى أن الحجر الأسود قُلع من موضعه فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة لتحليته فى هذه السنة من الحلية التى أبدلها الأمير سودون باشا، ورأيت غير واحد من المكيين ينكر ما ذكر على هذا الفقيه المصرى، وهو يثبت ذلك ويقول: إنه شاهده مقلوعًا، وقد سمع ذلك منه قبلى غير واحد من فقهاء مكة، وأخبرنى بعضهم بذلك عنه، فسألت المخبر له فأخبرنى به وحققه، وكان إخباره لنا بذلك فى موسم سنة أربع عشرة وثمانمائة لما ورد إلى مكة قاضيًا للركب المصرى وهو الفقيه نور الدين المتوفى، وله إلمام بالفقه ويستحضر فيه بعض المختصرات، والله أعلم بصحة ذلك.

ذكر ما أصاب الحجر الأسود بعد فتنة القرامطة من بعض الملحدة مثلهم

ذكر أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الرحمن العلوى أنه فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة يوم النفر الأول، قام رجل فقصد الحجر الأسود فضربه ثلاث ضربات بدبوس فَتَنَخَّشَ(١) وجه الحجر من تلك الضربات، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار... وتشقق وخرج مكسره أسمر يضرب إلى صُفرة محببًا مثل الخشخاش، فأقام الحجر على ذلك يومين، ثم إن بنى شيبة جمعوا الفُتات وعجنوه بالمسك واللَّك(٢) وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك. انتهى باختصار.

وذكر ابن الأثير هذه الحادثة فى أخبار سنة أربع عشرة وأربعمائة، والله أعلم بالصواب.

ذكر صفته وقدر ما بينه وبين الأرض

ذكر المسبحى أن أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعى دخل الكعبة فيمن دخلها للنظر إلى الحجر الأسود لما كان فى الكعبة بإثر رد القرامطة له، وأنه تأمل الحجر الأسود فإذا السواد فى رأسه دون سائره، وسائره أبيض، قال: وكان مقدار طوله فيما حررت مقدار عظم ذراع، أو كالذراع المقبوضة الأصابع، والسواد فى وجهه غير ماض فى جميعه. انتهى. وما ذكره العلوى فى صفة الحجر يخالف هذا، والله أعلم.

وذكر ابن عبد ربه فى «العقد» ما يوافق ما ذكره الخزاعى فى صفة الحجر الأسود وما يخالفه فى مقدار طوله، لأنه قال: وذكر أيضًا عن بعض المكيين حديثًا يرفعه إلى شيخه أنه نظر إلى الحجر الأسود بعد أن هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه فقدروا طوله ثلاثة أذرع، وهو ناصع البياض فيما ذكروا إلا وجهه الظاهر،

---

(١) فى طبعة الذهبى: «وتبخشن» وفى طبعة تدمرى: «وتبخش» وكلاهما تحريف صوابه لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٢/ ٤٤٩. «ونخش فلان الشيء فتنخش: أى قشره فتقشر».

(٢) اللك: صبغ أحمر تفرزه بعض الحشرات على بعض الأشجار فى جزر الهند الشرقية، يذاب فيكون منه دهان.

واسوداده فيما ذكروا، والله أعلم، لاستلام أهل الجاهلية له ولطخه بالدم[١].
انتهى. بنصه.

وذكر الأزرقى أن ذرع ما بين الحجر الأسود إلى الأرض ذراعان وثلثا ذراع.

وذكر ابن جماعة فيما أخبرنى به عنه خالى أن ارتفاع الحجر من أرض المطاف ذراعان وربع وسدس ذراع بذراع القماش المستعمل بمصر فى زمنه.

ذكر شيء من الآيات المتعلقة بالحجر الأسود

للحجر الأسود آيات بينات:

منها: حفظ الله تعالى له من الضياع منذ أهبط إلى الأرض، مع ما وقع من الأمور المقتضية لذهابه، كالطوفان، ودفن بنى إياد، وذكر ابن جماعة أن الحجر الأسود أزيل من موضعه غير مرة ثم رده الله إليه، قال: وقع ذلك من جُرْهُم وإياد والعماليق والقرامطة، ولم أر ما ذكره عن العماليق، والله أعلم.

ومنها: أنه على ما قيل: هلك تحته لما حمله القرامطة أربعون جملاً، فلما أعيد حُمل على قعود هزيل فسمن، ذكر هذا القول الذهبى، وقيل: هلك تحته لما حُمل إلى هجر ثلاثمائة بعير، وقيل خمسمائة بعير، والله أعلم.

ومنها: أنه يطفو على الماء.

ومنها: أنه لا يسخن من النار.

ذكر هذين القولين ابن أبى الدم فى الفِرق الإسلامية، فيما حكاه عنه ابن شاكر الكتبى المؤرخ، ونقل ذلك عن بعض المحدثين، ورفعه إلى النبى ﷺ، والله أعلم، وقد بسطنا ذلك فى أصل الكتاب.

---

(١) العقد الفريد ٦/ ٢٥٨.

الباب الخامس عشر

فى الملتزم والمستجار والحطيم

وما جاء فى استجابة الدعاء فى هذه المواضع وغيرها من الأماكن بمكة المشرفة وحرمها

ذكر الملتزم

الملتزم هو ما بين الحجر الأسود والباب، على ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تاريخه، ويقال له: المدعى والمتعوَّذ، على ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تاريخ الأزرقى أيضًا، وروينا عنه حديثًا مرفوعًا فى استجابة الدعاء فيه، ورويناه مُسْنَدًا فى الأربعين المختارة لابن مسدى، ولفظ الحديث على ما روينا: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الملتزم موضع يُستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبدٌ الله تعالى فيه إلاَّ استجاب له».

ذكر المستجار

هو ما بين الركن اليمانى إلى الباب المسدود فى دُبُر الكعبة، هكذا سماه ابن جُبَيْر فى رحلته[1]، والمحب الطبرى فى «القرى» وسبقهما إلى تسميته بالمستجار الفقيه محمد بن سراقة فى كتابه «دلائل القبلة» لأنه قال: وبين الركن اليمانى وبين الباب المسدود فى ظهر الكعبة أربعة أذرع، ويسمَّى ذلك الموضع المستجار من الذنوب. انتهى. ويقال له: المتعوَّذ، ويقال له: الملتزم، على ما رُوى عن ابن الزبير، ويقال: ملتزم عجائز قريش على ما رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما، روينا ذلك عنه فى تاريخ الأزرقى، وروينا فيه عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما: من قام عند ظهر البيت فدعا استُجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، قال المحب الطبرى: ومثل هذا القول من معاوية ﷺ لا يكون إلا عن تلقٍّ من لسان النبوة. انتهى.

وروينا فى «مجابى الدعوة» لابن أبى الدنيا عن الشعبى قال: إن عبد الله بن الزُّبير وأخاه مُصْعَبًا وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن عمر بن الخطاب دعوا فى هذا الموضع فلم يذهب الشعبى من الدنيا حتى رأى كلا منهم قد أُعطى ما سأل،

---

(١) رحلة ابن جبير ــ ص٦٣.

وبشر عبد الله بن عمر بالجنة ورتب له، وكان دعا بها، وكان يقف للدعاء، والمتعوِّذ فيه جماعة من كبار السلف منهم: عمر بن عبد العزيز، والقاسم بن محمد.

ذكر الحطيم

اختلف فى الحطيم وفى سبب تسميته بذلك، فقيل: إنه ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل، وهو مقتضى ما حكاه الأزرقى عن ابن جُرَيْج، وفى كتب الحنفية أن الحطيم الموضع الذى فيه الميزاب.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: الحطيم الجدار.

قال المحب الطبرى يعنى جدار حجر الكعبة، قال: وقد قيل الحطيم هو الشاذروان، سُمّى بذلك لأن البيت رُفع وتُرك هو محطومًا، فيكون فعيلاً بمعنى مفعول، قال: وقد قيل: لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت فيه من الثياب، فيبقى حتى يتحطم من طول الزمان، فيكون فعيلاً بمعنى فاعل. انتهى.

وقيل فى سبب تسميته أنه سُمّى بالحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان، فقل من دعا هنالك على ظالم إلا هلك، وقل من حلف هنالك آثمًا إلا عُجِّلت له العقوبة[١]، روينا ذلك عنه فى تاريخ الأزرقى ومن فضائل الحطيم ما ذكره الفاكهى لأنه قال: وحدثنى أحمد بن صالح قال: حدثنا محمد بن عبد الله عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى النبى ﷺ: أى البقاع خير؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: قلت: يا رسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام؟ قال: صدقت، إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام، وإن فيما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة، فمن صلى فيه أربع ركعات نودى من بطنان العرش: أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل[٢]. انتهى.

ومن فضائل الحطيم أن فيه قبر تسعة وتسعين نبيًّا لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: حدثنى جدى قال: حدثنا يحيى بن سُلَيم عن ابن خيثم[٣] قال: سمعت عبد الرحمن بن سابط يقول: سمعت عبد الله بن ضمرة[٤] السلولى يقول: ما

---

(١) الأزرقى ٢/ ٢٤.
(٢) الفاكهى ١/ ٤٦٨.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «خثيم».
(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «حمزة».

بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيًّا جاءوا حُجّاجًا فقُبِضوا هنالك.

وحدثني مهدى بن أبي المهدى قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم عن حماد بن مسلم عن عطاء بن السايب عن محمد بن سابط عن النبى ﷺ قال: كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فيتعبد فيها النبيُّ ومن معه حتى يموت، فمات بها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وقبورهم بين زمزم، والحجر.

وذكر الأزرقى خبرًا يقتضى أن فى الحطيم قبر تسعين نبيًّا وسمى منهم فى هذا الخبر غير من لم يسم فى الخبر الذى رواه عن ابن سابط لأنه قال: وأخبرنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج... فذكر أخبارًا، ثم قال: قال عثمان: وأخبرنى مقاتل قال: فى المسجد الحرام بين زمزم والركن قبر تسعين نبيًّا، منهم هود وصالح وإسماعيل وقبر آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام فى بيت المقدس. انتهى.

وذكر الأزرقى خبرًا يقتضى أن قبر إسماعيل فى الحجْر، وسنذكر هذا الخبر وغيره من الأخبار الموافقة له والمخالفة له فى أخبار الحِجْر، وذلك فى الباب السابع عشر من هذا الكتاب.

وذكر الأزرقى خبرًا يوهم أن فى الحطيم قبور عَذَارَى بنات إسماعيل عليه السلام لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه: حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن الزهرى أنه سمع ابن الزبير على المنبر يقول: إن هذا المحدودب قبور عَذَارى بنات إسماعيل عليه السلام، يعنى مما يلى الركن الشامى من المسجد الحرام، قال: وذلك الموضع يسوى مع المسجد فلا ينشب أن يعود محدودبًا منذ كان. انتهى.

وإنما كان هذا الخبر مُوهِمًا لِما ذكرناه، لأنه يحتمل أن تكون القبور المشار إليها مما يلى الركن الشامى من جهة الحجر الأسود، وأن تكون مما يلى الركن الشامى مما يلى الحِجْر بسكون الجيم، فعلى الاحتمال الأول تكون القبور المشار إليها فى الحطيم، وعلى الثانى لا تكون فيه، وذلك على اعتبار بناء الكعبة على

أساس إبراهيم من جهة الحِجْر، وأما على اعتبار بنائها اليوم فقد تكون القبور المشار إليها فى الحطيم على كَلا الاحتمالين، والله أعلم.

وقد ذكر هذا الخبر الفاكهى فى «أخبار مكة» بنحوه، وذكر الخبر الذى رواه الأزرقى عن عبد الله بن ضُمْرة، وفى خبر الفاكهى أن ابن ضُمْرة يرويه عن كعب، يعنى كعب الأحبار، وابن سابط راوى الخبر ليس بصحابى.

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن فيما بين دار الندوة وباب بنى سهم — يعنى باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة — قبور قوم صالح الذين آمنوا به ورحلوا معه إلى مكة وأقاموا بها حتى ماتوا، قال: وكذلك فعل هود ومن آمن معه وشعيب ومن آمن معه، وعزا هذا الخبر لوهب بن منبه، وهو فى تاريخ الأزرقى، إلا أن فى الخبر الذى ذكره الأزرقى: فتلك قبورهم فى غربى الكعبة، بين دار الندوة وبين دار بنى هاشم، كذا رأيته فى نسختين من تاريخ الأزرقى، ودار بنى هاشم وصوابه: وباب بنى سهم كما فى خبر الفاكهى، لأن به يستقيم الكلام والله أعلم.

وهذه القبور وإن لم تكن فى الحطيم فذكرها فى أخباره لمناسبة، وهى كون الموطنين فى المطاف، فيجتمع بذكر ذلك فى هذه الترجمة شيء من فضل المطاف.

ذكر بقية المواضع بمكة وحرمها التى قيل إن الدعاء فيها مستجاب

روينا عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة أنه قال: ويقال: يستجاب الدعاء بمكة فى خمسة عشر موضعًا: أولها عند الملتزَم الدعاء فيه يُستجاب، وتحت الميزاب يُستجاب، وعند الركن اليمانى يُستجاب، وعلى الصفا يُستجاب، وعلى المَرْوَة يُستجاب، وبين الصَّفا والمَرْوَة يُستجاب، وبين الركن والمقام يُستجاب، وفى جوف الكعبة يُستجاب، وبمنى يُستجاب، وبجمع يُستجاب، وبعرفات يُستجاب، وعند الجمرات الثلاث يُستجاب[1]، هكذا وجدت فى نسختى من هذه الرسالة، وهى تقتضى أن المواضع المشار إليها أربعة عشر موضعًا، والظاهر أنه سقط منها موضع يُحتمل أن يكون خلف المقام، ويحتمل أن يكون فى الطواف، لأنه رُوِى

(١) رسالة فى فضائل مكة ورقة ٤.

عن الحسن البصرى عد هذين الموضعين فى المواضع التى يُستجاب فيها الدعاء بمكة، وليس فى الرواية التى ذكر فيها هذين الموضعين ذِكر الركن اليمانى، وفيها لفظتان مخالفتان للرواية التى ذكرناها فى اللفظ.

أحدهما: وعند زمزم، والله أعلم عِوَض قوله بين الركن والمقام.

واللفظة الأخرى: وفى المزدلفة عِوض قوله: وبجَمْع.

وهذه الرواية ذكرها المحب الطبرى فى «القرى» وقال فيه: رُوِى عن الحسن البصرى أن الحجر الأسود يُستجاب عنده الدعاء، فتصير المواضع ستة عشر، وقال: وسيأتى فى فضل التعوذ عند ظهر الكعبة موضع سابع عشر انتهى.

قلت: الموضع الذى أشار إليه المحب هو المُسْتَجار الذى تقدم ذكره.

وقال المحب: والظاهر من عموم اللفظ تعميم الإجابة فى هذه الأماكن، سواء كان متلبسًا بنُسُك أو لم يكن، وهو كذلك إن شاء الله تعالى، وتخصيص بعضٍ دون بعضٍ خلافُ الظاهر، وإذا ثبتت الخصوصية لذات المكان عمت جميع الأحوال(١) والله أعلم.

قلت: فيما ذكره الحسن البصرى من استجابة الدعاء عند جمرة العَقَبَة نظر، لأنَّ الإنسان مطلوب بأن يقف عندها للدعاء فى زمن الرمى، فكيف يُستجاب للإنسان فيما نُهى عن فعله؟ إلاَّ أن يكون مراده بقوله: إن الدعاء يُستجاب عندها، أى قربها، ويدعو الداعى وهو مارٌّ، وفيه بُعْدٌ، والله أعلم.

وذكر شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى أحين الله إليه فى كتابه «الوصل والمُنَى فى فضل مِنَى» مواضعَ أُخَر بمكة وَحَرَمِها يُستجاب فيها الدعاء، لأنه نقل عن النقاش المفسر أنه قال فى منسكه: ويُستجاب الدعاء فى ثَبِير، يعنى ثَبير الذى بلِحْفِه(٢) مغارة الفتح، لأن النبى ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة، ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين أيام إقامتها بمكة، قال: وفى مسجد الكبش زاد غيره وفى مسجد الخَيْف زاد آخر، وفى مسجد النحر بطن مِنى، زاد ابن الجوزى:

---

(١) القرى ــ ص٣١٧.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يلحقه» واللِّحْفُ: أصل الجبل.

وفى مسجد البيعة وهو من منى، وغار المرسلات ومغارة الفتح لأنها من ثَبير، يعنى الموضع الذى يقال له صخرة عائشة بمنى قال: وقال النقاش: يُستجاب الدعاء إذا دخل من باب بنى شيبة وفى دار خديجة بنت خُوَيْلد ليلة الجمعة وفى مولد النبى ﷺ يوم الاثنين عند النـــزول، وفى دار الخيزران عند المختبأ[1] بين العشاءين، وتحت السدرة بعرفة وقت الزوال، وفى مسجد الشجرة يوم الأربعاء، وفى المتكأ غداة الأحد، وفى جبل ثور عند الظهر، وفى حراء وثبير مطلقًا، قيل وفى مسجد النحر. انتهى.

قلت: وقع فيما ذكره شيخنا القاضى مجد الدين أن مسجد البيعة من منى وهو غير مسلَّم، لأنه من وراء العقبة التى هى حد منى بمقدار غلوة أو أكثر ولعل من قال إن مسجد البيعة من منَى يوهم أنه المسجد الذى عند جمرة العَقَبة [وليس كذلك، لأن المعروف فى مسجد البيعة أنه المسجد الذى من وراء العقبة][2] الذى يكون على يسار الذاهب إلى منى، وبينه وبين منى المقدار الذى ذكرناه، وفى جداره القبلى حجران مكتوب فيهما أنه مسجد البيعة، والله أعلم.

ولم يبين شيخنا القاضى مجد الدين موضع السدرة بعَرَفَة ولا مسجد الشجرة ولا المتَّكأ، وما عرفت أنا ذلك تحقيقًا، وأظنّ أنّ المتَّكأ المشار إليه هو الموضع الذى ذكره الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ذكر المواضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة وما فيها من آثار النبى ﷺ وما صح من ذلك، ومسجد بأجياد وهو موضع فيه يقال له المتَّكأ، سمعت جدى أحمد بن محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتَّكأ، وهل يصح عندهما أنّ النبى ﷺ اتكأ فيه، فرأيتهما ينكران ذلك ويقولان: لم يسمع به من ثبت، قال لى جدى: سمعت الزنجى مسلم بن خالد وسعيد بن سالم القداح وغيرهما من أهل العلم يقولون: إن أمر المتكأ، ليس بالقوى عندهم، بل يضعفونه، غير أنهم يثبتون

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «المختبى» وصوابه من الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

أن النبي ﷺ صلى بأجياد الصغير لا يثبت ذلك الموضع ولا يوقف عليه، قال: ولم أسمع أحدًا من أهل مكة يثبت أمر المتَّكأ[١]. (انتهى).

وبأجياد الصغير موضع يقال له الآن المتَّكأ، وهو دكة مرتفعة متسعة منورة ملاصقة لدار يُنْسَب للشيخ يحيى بن على بن بجير الحَجَبى، شيخ الحَجَبَة كان، ويُعرف هذا البيت الآن بسعد الدويدار، فتى الشريف أحمد بن عجلان صاحب مكة.

وأخبرنى بعض فقهاء مكة أنه رأى الشريف عجلان صاحب مكة يُنْكر على جماعة رآهم يلعبون فى الموضع المشار إليه، وأمر باحترام هذا الموضع، وعلل ذلك بأن هذا الموضع يُنْسَب للنبى ﷺ.

وأخبرنى بعض الحَجَبَة عن بعض أقاربه أن النبى ﷺ رُئِىَ بهذا الموضع، وهو على يسار الذاهب إلى رباط ربيع قريبًا منه، وفى كون المتَّكأ المنسوب إلى النبى ﷺ نظر، لأن الأزرقى ذكر ما يقتضى أن المُتكأ فى الشعب الذى فيه بئر عكرمة بأجياد الصغير، وإذا كان كذلك فليس المتَّكأ هذه الدكّة، والله أعلم.

وذكر الفاكهى المُتَّكأ الذى بأجياد بما يوافق ما ذكره الأزرقى، وذكر فيه شيئًا لم يذكره الأزرقى لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله ذِكْر المواضع التى يُستحبّ فيها الصلاة بمكة: ومنها الموضع الذى بأجياد الصغير، وهو الذى يقال له المتكأ.

وبعض الناس يقول: أول ما نزل القرآن فى ذلك الموضع، نزل فيه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (سورة العلق: آية ١) وهى أول سورة نزلت من القرآن. انتهى. وهذا غريب جدًا، ولذلك أوردناه والله أعلم بصحته.

ويقرب باب المسجد الحرام المعروف بباب العُمرة موضع يقال له المتَّكأ، ملاصق لبيت المرشدى قرب المدرسة الأرسوفية الآتى ذِكْرها، وفى طريق التنعيم المعتادة موضع يقال له المتكأ، وهذان الموضعان كلاهما غير المراد، ولعلهما سُميا بذلك للراحة بالاتكاء عندهما من تعب السَّيْر إلى العُمْرة، والله أعلم.

---

(١) الأزرقى ٢/ ٢٠٢.

وأما مسجد الشجرة المشار إليها فهو بالحُدَيبية، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان كما فى القرآن العظيم، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس، ثم غيبت لقطعها، لأن عمر بن الخطاب ﷺ أمر بقطعها حين بلغه أن الناس يأتون إليها ويصلون عندها ويعظموها، ورأى أن هذا الفعل حَدَث، وهذا رُوى عن ابن جُرَيْج فى كتاب الفاكهى، وذكر الفاكهى شيئًا من خبر هذا المسجد، لأنه قال لما ذكر مسجد الحُدَيبية: وهذا المسجد عن يمين طريق جُدّة، وهو المسجد الذى يزعم الناس أنه الموضع الذى كان فيه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو مسجد آل كرز، وثَمّ مسجد آخر وهَلّ[١] الناس فيه بناه يقطين بن موسى فى الشق الأيسر[٢]. انتهى. وهذان المسجدان والحُدَيبية لا يُعْرَفون اليوم، والله أعلم بذلك.

ورأيت فى جزء مترجَم بالثانى من فضائل مكة للجندى من رواية أبى القاسم عبد الله بن على بن عبد الله الطوسى المعروف بكر كان عن أبى منصور طاهر بن العباس بن منصور المَرْوَزى عن المغيرة بن عمرو بن الوليد العدنى عن الجندى، وفى آخره: سمعت أبا منصور يحكى عن أبى سهيل النَّيْسَابورى أنّ المواضع التى يُرْجَى فيها استجابة الدعاء فى المسجد الحرام خمسة عشر موضعًا، وعدَّ منها أربعة عشر: باب بنى شيبة، وباب إبراهيم، وباب النبى ﷺ، وباب الصفا، وزمزم، والمقام، والركن الأسود، والملتزم، ومجاور المنبر: حيث يقف المحمِّدون، وعند الركن العراقى، وتحت الميزاب، والركن الشامى، وما بين الركن الشامى واليمانى، وهو المُستجار، وعند الركن اليمانى.

وقال غيره: إن المواضع التى يُرجَى فيها استجابة الدعاء فى المسجد الحرام ثلاثون موضعًا، ولم يعدها ولم يذكر مواضعها. انتهى.

وباب النبى ﷺ المشار إليه هو الباب المعروف الآن بباب الجنايز، سماه بذلك الأزرقى فى تاريخه لأنه لما ذكر صفته القديمة قال: وهو باب النبى ﷺ الذى كان يخرج منه ويدخل فيه من منـــزله الذى فى زقاق العطارين، يقال له مسجد خديجة بنت خُوَيْلد، رحمة الله تعالى ورضوانه عليها[٣]. انتهى.

وباب إبراهيم هو باب الزيارة التى بالجانب الغربى من المسجد الحرام.

---

(١) فى المطبوعتين: «تصلى» والمثبت من رواية الأصل والفاكهى.
(٢) الفاكهى ٥/ ٨٢ - ٨٣.
(٣) الأزرقى ٢/ ٨٧.

البـــاب السادس عشر

فى ذكر شيء من أخبار المقام

«مقام الخليل عليه السلام»

هذا المقام، هو الحجر الذى وقف عليه الخليل ﷺ، حين بنى الكعبة، وهذا يُرْوَى عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما وقيل: وقف عليه حين أذن للناس بالحج، وقيل: وقف عليه حين غسلت زوجة ابنه إسماعيل رأسَه لما جاء يسأل عن ولده إسماعيل، وهو فى خبر طويل، ضعفه سعيد ابن جبير، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يكون الخليل وقف على ذلك لهذه الأمور كلها، والله أعلم.

وقد ذكر صفته وقدره الأزرقى وابن جبير وابن جماعة وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب واقتصرنا[1] هنا على ما ذكره ابن جماعة لأنه أبلغ فى التحرير:

أخبرنى خالى قاضى الحرمين محب الدين النويرى قال: أخبرنا القاضى عز الدين بن جماعة قال: وقد ذكر الأزرقى أن ذرع المقام ذراع وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع، وحررت لما كنت مجاورًا بمكة المشرفة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة مقدار ارتفاعه من الأرض، فكان نصف ذراع وربع ذراع وثُمن ذراع، بالذراع المستعمل فى زماننا بمصر فى القماش، وأعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع ورُبع ذراع، وموضع غوص القدمين ملبّس بفضة، وعمقه من فوق الفضة سبعة قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش. انتهى.

ذكر حلية المقام

أول من حلى المقام فى خلافة المهدى العباسى لأنه رُفع فانثلم لرخاوة حجره، فكتب الحَجَبة إلى المهدى يعرفونه بذلك وأنهم يخشون عليه أن يتفتت، فبعث المهدى بألف دينار أو أكثر، فضببوا بذلك المقام من أعلاه وأسفله، فلما كان فى خلافة المتوكل زيد فى تحليته بالذهب وجعل ذلك فوق حليته الأولى، وذلك فى مصدر الحاج سنة ستٍّ وثلاثين ومائتين، ثم إن جعفر بن الفضل العباسى عامل مكة، ومحمد بن حاتم قلعا حليته فى خلافة المتوكل وضرباها دنانير ليستعينا بذلك

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «واختصرنا».

على ما قيل فى حرب إسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج من مكة وأفسد بها وبالحجاز فى سنة إحدى وخمسين ومائتين.

ولم تزل حلية المهدى على المقام إلى أن قُلعت عنه فى سنة ستٍّ وخمسين ومائتين فى المحرم لأجل إصلاحه، لأن الحَجَبة ذَكروا لعامل مكة على بن الحسن العباسى أن المقام وَهَى وتسللت أحجاره ويُخشى عليه، وسألوه فى تجديد عمله وتضبيبه حتى يشتد، فأجابهم لسؤالهم وزادهم ذهبًا وفضة على حليته الأولى، فعمل له طوقان من ذهب فيهما ألف مثقال إلا ثمانية مثاقيل وطوق من فضة، وأحضر المقام إلى دار الإمارة وأذيبت له العقاقير بالزئبق، وشُد بها شدًّا جيدًا حتى التصق، وكان قبل ذلك سبع قِطَع قد زال عنها الإلصاق لما قُلعت الحلية عنه فى سنة خمس وخمسين ومائتين لأجل إصلاحه، وكان الذى شده بيده فى هذه السنة يسر[١] الخادم مولى أمير المؤمنين المهتدى[٢] العباسى، وحمل المقام بعد اشتداده بالإلصاق وتركيب الحلية التى عُملت له لشدّه أيضًا عليه إلى موضعه، وذلك يوم الاثنين لثمان ليال خَلَوْن من شهر ربيع الأول سنة ستٍّ وخمسين ومائتين، وكان عمل حليته فى المحرم وصفر من هذه السنة[٣].

وفى أوائل شهر ربيع الأول وُسِّع الطوقان الذهب المشار إليهما لضيقهما، ثم عُملا عليه، ووُضع فى موضعه فى التاريخ المتقدّم ذِكْره، هذا ملخّص بالمعنى مما ذكره الفاكهى فى خبر حلية المقام، وكلامه أبسط مَن هذا، ويذكر كما ذكره فى أصل هذا الكتاب.

وذكر الأزرقى حليته فى زمن المهدى والمتوكل ولم يذكر تاريخ حليته فى زمن المهدى وهى سنة إحدى وستين ومائة، على ما ذكره الفاكهى.

ذكر صفة الموضع الذى فيه المقام والمصلى خلفه

أما صفة الموضع المشار إليه فإنه الآن قبّة عالية من خشب ثابت قائمة على أربعة أعمدة دِقاق حجارة منحوتة بينهما أربعة شبابيك من الحديد من الجهات

---

(١) تحرف فى م إلى: «بشر» وفى هـ إلى: «بشير» وصوابه من الأصل وإتحاف الورى.
(٢) فى الأصل والمطبوعتين: «المعتمد» وصوابه لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٢/ ٣٣٤.
(٣) إتحاف الورى ٢/ ٣٣٣.

الأربع، ومن الجهة الشرقية يُدخَل إلى المقام، والقبة مما يلى المقام منقوشة مزخرفة بالذهب، ومما يلى السماء مبيضة بالنورة.

وأما موضع المصلى الآن فإنه ساباط مزخْرف على أربعة أعمدة، منها عمودان عليهما القبة وهو متصل بها، وهو مما يلى الأرض منقوش مزخرف بالذهب، ومما يلى السماء مبيض بنورة.

وأحدث وقت صُنع فيه ذلك فى شهر رجب سنة عشر وثمانمائة، واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه سبب هذه العمارة، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى صاحب مصر مكتوب فى الشباك الشرقى فى هذا الموضع بسبب عمارته له فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

والمقام بين الشبابيك الأربعة الحديد فى قبة من حديد ثابت فى الأرض، والقبة التى عليها ثابتة أيضًا فى الأرض برصاص مصبوب، بحيث لا يستطاع قلع القبة الحديد التى فوقه إلا بالمعاول وشبهها، ولعل القبة الحديد التى فى جوفها المقام الآن القبة الحديد التى كانت توضع عليه عند قدوم الحاج إلى مكة صونًا لها، لكونها أحمل للازدحام والاستلام على ما ذكره ابن جبير[(١)] وذكر ما يقتضى أن المقام كان عند رحلته إلى مكة غير ثابت وأنه يوضع ويُرفَع، ويُجعل حينًا فى الكعبة فى البيت الذى فيه الدرجة التى يُصعد منها إلى السطح أى سطح الكعبة، ويُجعل أيضًا فى موضعه الذى هو به الآن فى قبة من خشب، فإذا كان الموسم قُلعت قبة الخشب وجُعلت عليه القبة الحديد، ذكر ذلك فى موضعين من رحلته، ونص كلامه الدال على أن المقام غير مؤبَّد موضعه لأن قوله بعد أن ذكر اعتمار مُكْثِر ابن عيسى بن فُلَيْتَة أمير مكة فى شهر رجب من سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وهى السنة التى وصل فيها ابن جبير إلى مكة للحج، فلما فرغ يعنى مُكْثِرًا من الطواف صلى عند الملتزم، ثم جاء إلى المقام وصلى خلفه، وقد أُخرج له من الكعبة

(١) رحلة ابن جبير ص٦٠.

ووضع فى قبته الخشبية التى يصلى خلفها، فلما فرغ من صلاته رُفعت له القبة عن المقام فاستلمه وتمسَّح به، ثم أعيدت القبة عليه[١]. انتهى.

وما عرفت متى جُعل المقام ثابتًا فى القبة على صفته التى هو عليها الآن.

وأما القبة التى فوق القبة الحديد التى المقام فى جوفها فأظن أن الملك المسعود صاحب اليمن ومكة أول من بناها، والله أعلم.

ذكر ذَرْع ما بين المقام والحجر الأسود وما بين المقام والركن الشامى الذى يقال له العراقى

وما بين المقام وبين جدار الكعبة وشاذروانها المقابل للمقام

وما بين المقام وحجرة زمزم وحرف بئر زمزم الطيبة المباركة

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم فى تاريخه أنه قال: وذَرْع ما بين الركن الأسود إلى مقام إبراهيم عليه السلام تسعة وعشرون ذراعًا وتسعة أصابع، وذَرْع ما بين جدار الكعبة من وسطها إلى المقام سبع وعشرون ذراعًا، وذَرْع ما بين شاذروان الكعبة إلى المقام ستٌّ وعشرون ذراعًا ونصف، ومن الركن الشامى إلى المقام ثمانية وعشرون ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا، ثم قال: ومن المقام إلى [جدار حجرة زمزم اثنان وعشرون ذراعًا ومن المقام إلى] حرف بئر زمزم أربع وعشرون ذراعًا وعشرون إصبعًا[٢]. انتهى.

ثم قال القاضى عز الدين بن جماعة فيما أخبرنى به عنه خالى: ومن جدار الشباك الذى داخله المقام إلى شاذروان الكعبة عشرون ذراعًا وثلثا ذراع وثُمن ذراع يعنى بذراع الحديد المتقدم ذكره، وقد حررنا بعض ما حرره الأزرقى فى هذا المعنى، فكان ما بين ركن الكعبة الذى فيه الحجر الأسود وبين الركن اليمانى من أركان الصندوق الذى فيه المقام من داخل الشباك الذى فيه الصندوق أربعة وعشرون ذراعًا إلا سُدس ذراع، وكان ذَرْع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقى

---

(١) رحلة ابن جبير ص١١٦.

(٢) الأزرقى ٢/ ٨٦ وما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

إلى وسط الصندوق المقابل له اثنين وعشرين ذراعًا إلا ربع ذراع، وكان ما بين ركن الكعبة الشامى الذى يلى الحِجْر ــ بسكون الجيم ــ وركن الصندوق الشامى ثلاثة وعشرون ذراعًا، وكان مما بين ركن الصندوق الشرقى إلى ركن البيت الذى فيه بئر زمزم المقابل له خمسة عشر ذراعًا إلا ثُلُث ذراع، وكل ذلك بذراع الحديد المتقدم ذكره.

ذِكْر موضع المقام فى الجاهلية والإسلام

وما قيل فى ذلك ورد عمر بن الخطاب ﷺ له إلى موضعه وهذا حين غيَّره السيل عنه

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال: حدثنى جدى قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبى مليكة يقول: موضع المقام هو هذا الذى هو به اليوم هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر فجُعل فى وجه الكعبة حتى قدم عمر فرده بمحضر من الناس، وذكر الأزرقى ما يوافق قول ابن أبى مليكة فى موضع المقام عن عمرو بن دينار وسفيان بن عُيَيْنة[1].

وروى الفاكهى عن عمرو بن دينار وسفيان بن عُيَيْنَة مثل ما حكاه عنهما الأزرقى بالمعنى[2]، ونقل المحب الطبرى فى «القرى» عن مالك ما يخالف ذلك لأنه قال: وقال مالك فى المدوَّنة: كان المقام فى عهد إبراهيم عليه السلام فى مكانه اليوم وكان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السَّيل، فكان كذلك فى عهد النبى ﷺ وعهد أبى بكر، فلما ولى عمر رده بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخَّروه. انتهى. ثم قال المحب: وفى هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الأزرقى عن ابن أبى مليكة وسياق لفظ حديث الصحيح الطويل وما رُوى نحوه يشهد بترجح قول ابن أبى مليكة، وذلك قوله: ثم تقدم إلى مقام إبراهيم وقرأ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (سورة البقرة: آية ١٢٥) فجعل المقام بينه وبين الكعبة والمتبادر إلى الفهم منه عند سماع هذا اللفظ أنه لم يكن حينئذ ملصقًا بالبيت لأنه لا يقال فى

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٣٥.

(٢) الفاكهى ١/ ٤٥٥.

العُرْف تقدم إلى كذا فجعله بينه وبين كذا إلا فيما يمكن أن يقدمه أمامه وأن يخلفه خلفه وإن كان ملصقًا تعين التقدم لا غير(١). انتهى باختصار.

وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب بقية كلام المحب وكلامًا لمالك فى المعنى وبيّـنّا ما فيه الصواب، والله أعلم.

وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه، وأبو عَرُوبة فى الأوائل له والفاكهى فى كتابه ما يوافق ما ذكره مالك فى أن المقام كان فى وجه الكعبة لاصقًا فى الجاهلية.

فأما موسى بن عقبة: فإنه قال فيما رويناه عنه: وكان زعموا أن المقام لاصق فى الكعبة فأخَّره رسول الله ﷺ فى مكانه هذا. انتهى. ذكر ذلك فى خبر فتح مكة.

وأما أبو عَرُوبة فإنه قال فيما رويناه عنه: حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال: كان المقام إلى جنب البيت، وكانوا يخافون عليه من السيول، وكان الناس يصلون خلفه. انتهى باختصار. لقصة رد عمر للمقام إلى موضعه الآن، وما كان بينه وبين المطلب بن أبى وداعة السهمى فى موضعه الذى حرره المطلب.

وقال أبو عَروبة أيضًا: حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا ابن جُرَيْج قال: سمعت عطاء وغيره من أصحابنا يزعمون أن عمر ﷺ أول من رفع المقام فوضعه فى موضعه الآن، وإنما كان فى قُبُل الكعبة. انتهى.

وأما الفاكهى فقال: حدثنا عبد الله بن أبى سلمة قال: حدثنا عبد الجبار بن سعيد عن ابن أبى سبرة عن موسى بن سعد عن نوفل بن معاوية الديلى قال: رأيت المقام فى عهد عبد المطلب ملصقا بالبيت مثل المهاة(٢)، وروى الفاكهى بسنده إلى عبد الله ابن سلام خبرًا فيه أذان إبراهيم على المقام للناس بالحج، وفيه: فلما فرغ أمر بالمقام فوضعه قبلته فكان يصلى إليه مستقبل الباب، وفيه أن النبى ﷺ قدم مكة من المدينة فكان يصلى إلى المقام وهو ملصق بالكعبة حتى توفى رسول الله ﷺ(٣).

وقال الفاكهى: حدثنا الزبير بن أبى بكر قال: حدثنا يحيى بن محمد بن ثوبان عن سليم عن ابن جُرَيْج عن عثمان بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير أنه قال: كان المقام فى وجه الكعبة وإنما قام إبراهيم عليه حين ارتفع البنيان، فأراد أن

---

(١) القرى- ٣٤٥ - ٣٤٦.
(٢) الفاكهى ١/ ٤٤٢.
(٣) الفاكهى ١/ ٤٤٢ - ٤٤٣.

يشرف على البناء قال: فلما كثر الناس خشى عمر بن الخطاب أن يطئوه بأقدامهم فأخَّره إلى موضعه الذى هو به اليوم حذاء موضعه الذى كان قدام الكعبة(١).

وقال الفاكهى: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه قال عبد العزيز: أراه عن عائشة أن المقام كان فى زمن النبى ﷺ إلى سقع البيت.

قال الفاكهى: وقال بعض المكيين: كان بين المقام وبين الكعبة ممر العنـــز(٢). انتهى.

وليس فيما ذكره مالك وابن عقبة وأبو عَرُوبة والفاكهى من كون المقام كان عند الكعبة بيان موضعه عند الكعبة، إلا أن فى الخبر الذى رواه الفاكهى عن سعيد ابن جبير ما يفهم منه تقريب بيان موضع المقام عند الكعبة لأن فيه ما يقتضى أن موضعه الآن حذاء موضعه الذى كان به قدام الكعبة والمقام الآن فى جوف الصندوق الذى فى جوف الشبابيك الأربعة المتقدم ذِكْرها، ويحاذى الصندوق الذى فيه المقام من وجه الكعبة ذراعان بالحديد ونحو خمسة قراريط بذراع الحديد أيضًا المقدَّم ذكره، والذراعان هما نصف الحفرة المرخمة الملاصقة لشاذروان الكعبة، ونصف الحفرة المشار إليه هنا هو النصف الذى يلى الحجْر ــ بسكون الجيم ــ وما زاد على الذراعين من القراريط التى هى كمال ما يحاذى الصندوق الذى فيه المقام وهى إلى طرف الحفرة بما يلى الحجْر ــ بسكون الجيم ــ وإذا كان كذلك فيكون موضع المقام عند الكعبة تخمينًا والله أعلم.

وفيما بين نصف الحُفْرة مما يلى الحجْر بسكون الجيم والقراريط الزائدة على الذراعين، لأن ذلك يحاذى الصندوق الذى فيه المقام الآن، وإذا كان كذلك فهو يوافق قول من قال: إن موضع المقام الآن حذاء موضعه عند الكعبة، والله أعلم.

وذكر الفقيه محمد بن سُرَاقة العامرى فى كتابه «دلائل القبلة» فى موضع المقام عند الكعبة ما يخالف قول من قال: إن موضعه الذى بحذاء موضعه عند الكعبة، ونصّ ما ذكره ابن سراقة: ومن الباب ــ يعنى باب البيت ــ إلى مُصَلَّى آدم عليه السلام

---

(١) الفاكهى ١/ ٤٥٤.
(٢) الفاكهى ٢/ ٤٥٥.

حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلوق من إزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع، وهناك كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام وصلّى النبى ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأنزل الله عليه ﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾ (سورة البقرة: آية ١٢٥) ثم نقله ﷺ إلى الموضع الذى هو فيه الآن، وذاك على عشرين ذراعًا من الكعبة لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر الناس وليدور الصف حول الكعبة ويُرَى الإمام من كل وجه، ثم حمله السيل فى أيام عمر وأخرجه من المسجد، فأمر عمر رضي الله عنه بردِّه إلى موضعه الذى وضعه رسول الله ﷺ فيه وبين موضع الخلوق وهو مصلَّى آدم وبين الركن الشامى ثمانية أذرع. انتهى.

وقد سبق بعض ما ذكرناه عن ابن سُرَاقة فى الباب الثامن من هذا الكتاب عند بيان مصلَّى آدم عليه السلام، وهذا يقتضى اتخاذ موضع مصلَّى آدم، وموضع الخلوق، وموضع المقام عند الكعبة، وهو على مقتضى ما ذكر ابن سُرَاقة فى ذَرْع ما بينه وبين ركن الكعبة الذى يلى الحِجْر بسكون الجيم، يكون على ذراعين وثُلُثَى ذراع بالحديد من طرف الحُفْرة إلى جهة الحِجْر بسكون الجيم، وعلى هذا فيكون موضع المقام عند الكعبة خارجًا عن الحفرة فى مقدار ذراعين وثُلُثَىْ ذراع، وعلى مقتضى ما قيل من أن موضعه اليوم حذاء موضعه عند الكعبة يكون موضعه عند الكعبة فى مقدار نصف الحُفْرة التى تلى الحجر بسكون الجيم، والله أعلم بالصواب.

وأما الموضع الذى رُبط فيه المقام عند الكعبة لما ذهب به السيل، فقد بينه الفاكهى لأنه قال: فصل وذُكر عن بعض المكيين، أن الموضع الذى رُبط عنده المقام فى وجه الكعبة بأستارها إلى أن حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرده، وذلك أن يَعُدّ[1] الطائف من الحِجْر الشامى من حجارة شاذروان الكعبة إلى أن يبلغ الحجر السابع، فإذا بلغ الحَجر السابع فهو موضعه، وإلا فهو التاسع من حجارة الشاذروان[2] أيضًا. انتهى.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يصد» وصوابه لدى الفاكهى.
(٢) الفاكهى ١/ ٤٦٧.

وذكر الفاكهي في موضع آخر من كتابه ما يقتضي أن هذا علامة للموضع الذي ذكر عبد الله بن السائب المخزومي أنه رأى النبي ﷺ يصلّي عنده يوم فتح مكة، وذكر الأزرقي مثل ذلك، والله أعلم.

وما ذكره ابن سُرَاقة من أن النبي ﷺ ردَّ المقام إلى موضعه الآن، يشهد له ما ذكره ابن عُقْبَة، وما ذكراه مخالف لما ذكره سعيد بن جبير وعطاء وغيرهم من أن عمر ﷺ أول من رده إلى موضعه الآن.

وذكر الفاكهي خبرًا يقتضي أن الوُلاة حَوَّلَتْه إلى مكانه هذا، وهذا يُفهم أن الذي رده غير عمر ﷺ فيتحصل فيمن ردَّه إلى موضعه الآن ثلاثة أقوال: أحدها أنه النبي ﷺ، والثاني أنه عمر، والثالث غير عمر، والله أعلم، والمشهور أنه عمر، وفي الخبر[1] الذي ذكره الفاكهي عن سعيد بن جبير ما يفهم أن رد عمر للمقام إلى موضعه الآن لئلا تطؤه الناس، والمعروف أن رد عمر له إلى موضعه الآن لكون السيل المعروف بسيل أم نهشل أزاله عن موضعه الأول، والله أعلم.

وذكر الفاكهي خبرًا يقتضي أن رجلاً من آل عائذ بن عبد الله بن مخزوم قال: قال لعمر إنه يعلم موضع المقام الأول، والمعروف أن الذي قال ذلك لعمر هو المطلب بن أبي وداعة السهمي، كما ذكر الأزرقي والفاكهي وغيرهما، والله أعلم.

وما ذكره ابن سُرَاقة في ذَرْع ما بين موضع المقام الآن، ووجه الكعبة لا يستقيم، لنقص ما ذكره ابن سُرَاقة في ذلك عما ذكره الأزرقي فيه نقصًا كثيرًا، والذراع الذي حرَّر به ابن سُرَاقة ذراع اليد، وكذلك الأزرقي، وفيما ذكره ابن سُرَاقة نظر من غير هذا الوجه، وذكر ابن جبير في أخبار رحلته ما يقتضي أن الحفرة المرخمة التي في وجه الكعبة علامة موضع المقام في عهد الخليل ﷺ، إلى أن رده النبي ﷺ إلى الموضع الذي هو الآن مصلَّى[2]، وفي هذا نظر، لأن موضع المقام الآن هو موضعه في عهد الخليل ﷺ من غير خلاف عُلم في ذلك، وأما الخلاف ففي موضعه اليوم، هل هو موضعه في زمن النبي ﷺ كما ذكر ابن أبي مليكة أو لا كما قال مالك، والله أعلم.

---

(١) تحرف في المطبوعتين إلى: «وردّ الخبر» وصوابه من الأصل.

(٢) رحلة ابن جبير ـــ ص ٦٠.

وفى كلام ابن جبير نظر من وجه آخر بيناه فى أصل هذا الكتاب، والله أعلم، ولم أر فى تاريخ الأزرقى ذكر السنة التى رد فيها عمر المقام إلى موضعه هذا لما غيَّره عنه السيل، وهو سنة سبع عشرة من الهجرة على ما ذكره ابن جرير وكذا ابن الأثير فى كامله، وقيل: سنة ثمان عشرة، ذكره ابن حمدون فى تذكرته، والله أعلم بالصواب.

ذكر شيء من فضل المقام

لا شك أن فضل المقام مشهور ثابت بنص القرآن العزيز والسُّنَّة الشريفة الصحيحة، فأما القرآن فقوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (سورة آل عمران: آية ٩٧) الآية، والمراد بالمقام فى هذه الآية هذا المقام على الصحيح المشهور، وقيل: المراد مناسك الحج كلها، وقيل: عَرَفة، وقيل: المُزْدَلِفَة، وقيل: الحَرَم كله.

وأما السُّنَّة فتقدم لنا فى فضل الحجر الأسود حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما، ولولا أنْ طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن مجاهد قال: يأتى الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة.

ما جاء فى هلاك من تعرض له بسوء

قال الفاكهى: وقال بعض الناس: إن رجلاً كان بمكة يقال له جُرَيْج ــ يهودى أو نصرانى ــ فأسلم بمكة ففُقد[1] المقام ذات ليلة فطُلب فوُجد عنده، أراد أن يخرجه إلى ملك الروم، قال: فأُخذَ منه وضربت عنق جُرَيْج[2]. انتهى.

وكان أبو طاهر القرمطى يريد أخْذَه فلم يظفر به، لأن سَدَنَة المسجد غيبوه فى بعض شِعاب مكة.

---

(١) فى المطبوعتين: «فقصد» والمثبت لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف.
(٢) الفاكهى ١/ ٤٥٢.

ولا يزال هذا المقام محروسًا بحراسة الله تعالى إلى حين رفعه إلى الجنة، كما هو مقتضى حديث عائشة الذى رويناه فى تاريخ الأزرقى، وقد سبق فى فضل الحجر الأسود.

وحكم المقام مخالف حكم الحجر الأسود فى التمسح به واستلامه وتقبيله، فإن ذلك غير مطلوب فى المقام على ما ذكره العلماء، وفى تاريخ الأزرقى ومنسك القاضى عز الدين بن جماعة ما يدل لذلك، والخير فى اتباع قول العلماء.

الباب السابع عشر

في ذكر شيء من أخبار الحِجْر المكرم

حِجْر إسماعيل عليه السلام

وفيه بيان الموضع الذى صلى فيه النبى حول الكعبة

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن إسحاق قال فى أثناء خبر بناء الخليل عليه السلام للكعبة وجعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشًا من أراك تقتحمه العنز، وكان زربًا لغنم إسماعيل[١]. انتهى.

وقد تقدم فى خبر عمارة الكعبة أن قريشًا أدخلت فى الحجر أذْرُعًا من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التى أعدّوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها، وأن عبد الله بن الزبير أدخل ذلك فى الكعبة حين عمرها، وأن الحجاج أخرج ذلك فيها، وأن عبد الله بن الزبير أدخل ذلك فى الكعبة حين عمرها، وأن الحجاج أخرج ذلك منها، ورده كما كان عليه فى عهد قريش والنبى ﷺ، واستمر الحال على ذلك إلى الآن، وصار بعض الحجر من البيت وبعضه ليس منه.

ويدل لذلك ما رويناه فى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرْك لهدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض، ولجعلت لها بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا، وزِدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشًا استقصرتها حين بُنيت الكعبة، وفى رواية فإنْ بدا لقومك من بعدى أن يبنوه، فهلُمِّى لأُريك ما تركوا منه، فأراها قريبًا من سبعة أذرع، أخرجاه.

وفى مسلم عن الوليد بن عطاء فذكر شيئًا من حريق الكعبة وعمارة ابن الزبير لها ثم قال: قال ابن الزبير: إنى سمعت عائشة تقول: إن رسول الله ﷺ قال: لولا أن الناس حديثٌ عَهْدُهُمْ بكفرٍ وليس عندى من النفقة ما يقوِّى على بنائه لكنتُ أدخلت فيه من الحِجْر خمسة أذرع، قال عطاء: وزاد فيه خمسة أذرع من الحِجْر حتى أبدى أساسها ونظر إليه الناس فبنى عليه البناء. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٦٤.

وذكر الفاكهى حديثًا فيه ما يقتضى: أن الذى تركته قريش من الكعبة فى الحجر أربعة أذرع، لأنه روى حديثًا قال فيه: ولقد دخله رسول الله ﷺ، فلما رأى بنيانه قال النبى ﷺ لعائشة: لولا حداثة قومك بالكفر لهدمته وبنيته على بناء إبراهيم، ولجعلت له بابين ولأدخلت أربعة أذرع من الحجر فيه، وذلك أن أربعة أذرع من الحجر من البيت. انتهى.

وفى إسناد هذا الحديث من لا أعرفه وإنما ذكرناه لغرابته، وسيأتى فى مقدار ما تركته قريش من الكعبة فى الحجر غير ذلك.

والأحاديث الصحيحة التى أشرنا إليها تقتضى أن بعض الحجر من البيت لا كله كما قال بعضهم فيما حكاه المحب الطبرى، وتمسك قائل ذلك بما فى الصحيحين من حديث عائشة قالت: سألت النبى ﷺ عن الحجر أمن البيت؟ قال: نعم، قلت: فما لهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة... الحديث. انتهى. وحديثها هذا لا يعارض أحاديثها التى ذكرناها لأن حديثها هذا مطلق وأحاديثها الأخرى مقيدة، والمطلق يحمل على المقيد، وقد أشار إلى ذلك هنا الشيخ محب الدين الطبرى لأنه قال: والأصح أن القدر الذى فيه من البيت سبعة أذرع، وقد جاء مصرّحًا به فى الحديث عن عائشة فذكر عنها ما سبق بالمعنى مختصرًا، ثم قالت: فيحمل المطلق فيما تقدم على هذا، وإطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن، ذكر ذلك فى شرحه للتنبيه، وقال فى «القرى» بعد أن ذكر ما استدل به: من يرى أن الحجر من البيت، ومن يرى أن بعضه من البيت، وفى هذه الأحاديث دلالة على أن بعض الحجر من البيت ومن يرى حمل المطلق على المقيد يقول: مطلق هذه الأحاديث المتقدمة فى الفصل قبله منـــزلة على هذا ومن لا يراه عمل بها. انتهى.

قلت: يدل لحمل حديث عائشة المطلق على أحاديثها المقيدة، أن العلة فى حديثها المطلق هى العلة فى أحاديثها المقيدة، وهى ترك قريش بعض الكعبة فى الحِجْر حين قصرت بهم النفقة، وأما قوله ﷺ فى حديث عائشة المطلق: ولولا أن قومَك حديثو عهد بجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الحِجْر فى البيت،

فإن حال من قال بأن الحجر كله من البيت لا يخلو من أمرين: إما أن يقول: إن النبى ﷺ أشار بقوله هذا إلى إدخال بعض الحجر فى البيت، أو جميعه، فإن قال بالأول، فقد ناقض قوله: إن الحجر كله من البيت، وإن قال الثانى ففى صحة ذلك نظر لأن فى رواية البخارى عن عائشة: أن النبى ﷺ قال: لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهُدم، وأدخلت فيه ما أُخرِج منه، وجعلت له بابًا شرقيًّا، وبابًا غربيًّا، وبلغت به أساس إبراهيم.

وهذه الرواية تقتضى أن النبى ﷺ يختار رد البيت إلى أساس إبراهيم، وأساس إبراهيم الذى أشار إليه النبى ﷺ هو الذى أدخلته قريش فى الحجْر لقصور النفقة عليهم كما سبق بيانه، لأنه لا خلاف بين أهل العلم بالتاريخ أن البيت كان مبنيًّا فى عصر النبى ﷺ على أساس إبراهيم من جميع جوانبه، إلا من جهة الحجْر كما سبق بيانه، فيكون ﷺ أشار بقوله هذا إلى أساس إبراهيم الذى أدخلته قريش فى الحِجْر، وهو الأساس الذى بنى عليه ابن الزبير كما تقدم فى حديث عطاء فى صحيح مسلم، وذكره الأزرقى فى خبر بناء ابن الزبير للكعبة لأن فيه: فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض كشف عن أساس إبراهيم عليه السلام فوجده داخلا فى الحجر نحوًا من ستة أذرع وشبر، كأنها أعناق الإبل آخذ بعضها بعضًا كتشبيك الأصابع بعضها ببعض يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم فأشهدهم على ذلك الأساس ثم قال: ثم وضع البناء على ذلك الأساس[1]. انتهى.

«**قلت**»: ويدل لذلك أيضًا ما فى بعض طرق الأحاديث، أى أحاديث عائشة المطلقة من أن النبى ﷺ أرى عائشة مقدار ما تركته قريش من الكعبة فى الحِجْر، ولو كان كله من البيت لم يكن لإيرائه ﷺ ذلك لعائشة فائدة، والله أعلم.

واختلاف الروايات عنها فى قدْر ما فى الحِجْر من الكعبة لا يقتضى ترك العمل بما رُوى عنها من أن بعض الحجْر من البيت، وإنما يقتضى أن يعمل فى مقدار ما فى الحِجْر من الكعبة، فأكثروا الروايات فى ذلك، وهى نحو سبعة أذرع كما فى الصحيحين، والله أعلم.

---

(١) الأزرقى ١/ ٢٠٦ - ٢٠٧.

وإنما نبهنا على ذلك لأن كلام الشيخ تقى الدين ابن الصلاح يوهم خلاف ذلك على ما نقله عنه النووى فى «الإيضاح» ونص كلامه: وأما حديث عائشة فقد قال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح: قد اضطربت فيه الروايات ففى رواية فى الصحيحين الحِجْر من البيت، ورُوى ستة أذرع من الحجر من البيت، ورُوى ستة أذرع أو نحوها، ورُوى خمسة أذرع، ورُوى قريبًا من سبع، قال: وإذا اضطربت الروايات تعين الأخذ بأكثرها ليسقط الفرض بيقين. انتهى.

وهذا من ابن الصلاح والنووى [يدل] على أن الطواف لا يصح إلاّ من وراء الحِجْر جميعه، وذكر النووى أن هذا المذهب هو الصحيح، وعليه نص الشافعى قال: وبه قَطَعَ جماهير العلماء من أصحابنا وهذا هو الصواب، لأن رسول الله ﷺ طاف خارج الحِجْر، وهكذا الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة فمن بعدهم. انتهى.

«قلت»: يمكن الانفصال عن استدلال النووى بطواف النبى ﷺ خارج الحِجْر على وجوب الطواف من خارج الحِجْر، وذلك أن الأفعال الصادرة من النبى ﷺ فى حجه لا تخلو من أمرين:

أحدهما: أن يكون فعلها أجمع مطلوبًا على سبيل الوجوب والإخلال بشىء منها مُبْطِل للحج.

والآخر: أن يكون فعلها مطلوبًا، ولكن بعضها يطلب وجوبًا وبعضها يطلب نَدْبًا، وتمييز الواجب من المندوب بدليل[1] خارج، والأول لا سبيل إليه، والثانى حق، وإذا تقرر ذلك فطواف النبى ﷺ من وراء الحجر لا يكون دليلاً على وجوب الطواف هكذا لما وقع من التزام أن بعض أفعاله ﷺ فى الحج واجب وبعضها ليس بواجب، ولا يمكن أن يقوم دليل على وجوب الطواف خارج الحِجْر إذا قطع النظر عن الاستدلال بطواف النبى ﷺ هكذا إلاّ أن يكون حديث عائشة: الحِجْر من البيت، وفى الاستدلال به نظر لما تقدم بيانه من أنه مطلق يحمل على أحاديثها المقيدة التى بيَّن النبى ﷺ فيها مقدار ما فى الحِجْر من البيت، كما سبق بيانه، فبان

(١) فى المطبوعتين: «دليل» والمثبت رواية الأصل.

بهذا الانفصال عن استدلال النووى على وجوب الطواف من خارج الحِجْر بطواف النبى ﷺ، هكذا لعدم نهوض الدلالة من فعله ﷺ.

هذا ويُحتمل ــ والله أعلم ــ أن يكون طواف النبى ﷺ من رواء الحِجْر لأمرين:

أحدهما: أن فى ذلك حسمًا لمادة فساد يقع فى طواف كثير من الطائفين، وذلك أن البيت من جهة الحِجْر لم يكن على قواعد إبراهيم ﷺ، لترك قريش جانبًا من البيت فى الحِجْر، والواجب على الطائف الخروج عنه، فلو طاف النبى ﷺ فى الحِجْر خارجًا عما فيه من البيت لاقتدى به فى ذلك من لا يعرف مقدار ما فى البيت من الحِجْر، فيفسد عليه طوافه لكونه طاف من البيت ولم يطف به.

والأمر الثانى: أنا لو جوَّزنا السلامة من هذا المحذور لمعرفة جميع الخلق بمقدار ما فى الحِجْر من البيت لكان فى طوافه ﷺ من وراء الحِجْر حكمة حسنة من وجهين: أحدهما الراحة من تسور الحِجْر فإن قريشًا أحاطت عليه جدارًا كما فى خبر بنائهم للكعبة، والآخر أن فى ذلك حسمًا لمادة فساد، وهو أن النساء يتسوَّرْن الحِجْر فى الطواف كالرجال وفى تسورهن كشْفٌ لهن وهن مأمورات بالصيانة، فرأى ﷺ أن يطوف من وراء الحِجْر لما فى ذلك من الراحة لأمته دينًا ودنيا، ومثل هذا يقال فى طواف الخلفاء وغيرهم من وراء الحِجْر، وإذا تقرر أن طوافه ﷺ من وراء الحِجْر لهذا المعنى فيكون الطواف هكذا مطلوبًا ندبًا متأكدًا لا وجوبًا لعدم نهوض الدلالة على وجوبه هكذا فى طوافه ﷺ كما سبق بيانه، فإن خالف الإنسان وتسور جدار الحِجْر وطاف فى الحِجْر فيما ليس فيه من الكعبة خصوصًا على رواية سبعة أذرع أو نحوها أو ستة أذرع ففى الجزم بفساد طوافه نظر كثير لا ينهض عليه دليل.

وقد قال بصحة طواف من طاف فى الحِجْر وجعل بينه وبين الكعبة ستة أذرع جماعة من كبار العلماء منهم أبو محمد الجوينى وابنه إمام الحرمين والبَغَوى، وذكر الرافعى أن هذا المذهب هو الصحيح، وقال به اللخْمى من أصحابنا المالكية، وجزم به الشيخ خليل الجندى فى مختصره الذى صنفه لبيان ما به الفتوى، وتلميذه

شيخنا القاضي تاج الدين بهرام المالكي في شامله، ويدل لذلك رواية عائشة التي فيها أن ستة أذْرُع من الحِجْر من البيت وهي في الصحيحين كما سبق بيانه، والله أعلم.

ذكر موضع الحِجْر وصفته وشيء من خبر عمارته وذرْعه وذرْع جداره من داخله وخارجه

وأما موضع الحجر فهو ما بين الركن الشامي الذي يقال له العراقي والركن الغربي.

وأما صفته فهو عرصة مرخمة لها جدار مقوس على صورة نصف دائرة[١].

وأما خبر عمارته فذكر الأزرقي أن المنصور العباسي لما حج دعا زياد بن عُبَيْد الله الحارثي أمير مكة فقال: إني رأيت الحِجْر حجارته بادية، فلا أصبحن حتى يستر جدار الحِجْر بالرخام، فدعا زياد بالعمال فعملوه على السُّرْج قبل أن يصبح، وكان قبل ذلك مبنيًّا بحجارة بادية ليس عليه رخام.

قال: ثم كان المهدي بعد ذلك قد جدد رخامه وذكر الأزرقي أن رخام الحِجْر الذي عُمل في زمن المهدي لم يزل فيه حتى رث في خلافة المتوكل، فقُلع وأُلْبس رخامًا حسنًا، وذكر أن ذلك في سنة إحدى وأربعين ومائتين، وأن ترخيمه زمن المهدي في سنة إحدى وستين ومائة ولم يذكر السنة التي أمر المنصور بعمل رخامه فيها، وأرَّخ ذلك بالسنة التي حج فيها المنصور، وهذا لا يفيد معرفة السنة التي فعل فيها ذلك، لأن المنصور حج وهو خليفة أربع حجات على ما ذكره العتيقي في تسمية أمراء الموسم في سنة أربعين ومائة، ثم في سنة أربعٍ وأربعين ومائة ثم في سنة سبعٍ وأربعين ومائة.

---

(١) اضطربت عبارات هذا الخبر في طبعة تدمري، وتصويبها لدى ابن ظهيرة في الجامع اللطيف ص١٣٢.

وتوجه إلى الحج فى سنة ثمان وخمسين، فمات قبل أن يدخل مكة بعد أن أشرف عليها، وإن كان حج بالناس فى الثلاث السنين المتقدمة، لم يكن تعريف عمارته بالسنة التى حج فيها تعريفًا تامًّا، والظاهر ــ والله أعلم ــ أن ذلك وقع فى سنة أربعين ومائة، لأن فى هذه السنة كان الفراغ من عمارة المسجد التى أمر بعملها المنصور على يدى زياد المذكور كما ذكره الأزرقى فى ذلك.

وعمَّر المعتضد العباسى الحِجْر أيضًا فى خلافته فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين، على ما ذكره إسحاق بن أحمد الخزاعى راوى تاريخ الأزرقى وألحقه فيه، وعُمِّر أيضًا فى أول خلافة الناصر العباسى وذلك فى سنة ست وسبعين وخمسمائة، وعمره أيضًا المستنصر العباسى، وكذلك الملك المظفر صاحب اليمن، وكذلك الملك الناصر محمد بن قلاوون، واسم هذين الملكين واسم المستنصر العباسى مكتوب فى رخام فى أعلى الحِجْر، وفى الرخامة التى فيها خبر عمارة الملك الناصر أن ذلك سنة عشرين وسبعمائة، وعُمِّر أيضًا فى دولة الملك المنصور على بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بأمر الأميرين: بركة، وبرقوق مدبرى دولته، فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة.

ثم عُمِّر فى سنة إحدى وثمانمائة فى العمارة التى أمر بعملها الملك الظاهر برقوق واسمه مكتوب بسبب ذلك، وذلك فى رخامة فى أعلى الحِجْر، وفى فتحة الحِجْر الشرقية، وفى الفتحة الأخرى ذكر بعض ألقابه فى تاريخ العمارة وهو مستهل شهر رمضان سنة إحدى وثمانمائة.

وعُمِّر فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة كثير من رخامه عمارة جيدة بالجبس لتداعى ذلك إلى السقوط، وذلك فى رجب وشعبان من هذه السنة، وغالب ذلك فى جُدُر الحِجْر، ثم عُمِّر كثير من رخامه فى جداره فى ظاهره وباطنه وأعلاه وفى أرض الحِجْر، وذلك من المحرم سنة ست وعشرين وثمانمائة عمارة حسنة بالجص بأمر متولى العمارة صاحبنا الأمير زين الدين مقبل القديدى أثابه الله تعالى.

وقد خفى علينا شىء كثير من خبر عمارة الحِجْر من دولة المعتضد العباسى إلى خلافة الناصر، فإنه لا يبعد أن يخلو فى هذا الزمن الطويل من عمارة، والله

أعلم، وثمن عمَّره الوزير جمال الدين المعروف بالجواد، وذلك فى عُشْر الخمسين وخمسمائة ظنًّا، والله أعلم.

وأما ذَرْعُه فقد ذكره الأزرقى وابن جماعة، فقال الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: عرضه من جدار الكعبة من تحت الميزاب إلى جدر الحِجْر سبعة عشر ذراعًا وثمانية أصابع، وذرع ما بين بابى الحِجْر عشرون ذراعًا، وعَرضه اثنان وعشرون ذراعًا، وذرْع الجدر من داخله فى السماء ذراع وأربع عشرة أصبعًا، وذرْعه مما يلى الباب الذى يلى المقام ذراع وعشر أصابع، وذَرْع جدار الحِجْر الغربى فى السماء ذراع وعشرون إصبعًا، وذرع طول جدر الحجر من خارج مما يلى الركن الشامى ذراع، وذرْعه مما يلى الباب الذى يلى المقام ذراع وعشر أصابع، وذرْع طول الحجر من خارج مما يلى الركن الشامى ذراع وست عشرة أصبعًا، وطوله من وسطه فى السماء ذراعان وثلاث أصابع، وعرض الجدار ذراعان إلاَّ أصبعين وذرْع باب الحِجْر الذى يلى المشرق مما يلى المقام خمس أذرع وثلاث أصابع، وذرْع باب الحِجْرَ الذى يلى المغرب سبع أذرع، وذرْع تدوير الحِجْر من داخله ثمانية وثلاثون ذَراعًا، وذرْع تدوير الحِجْر من خارج أربعون ذراعًا وست أصابع[1]. انتهى كلام الأزرقى.

وأخبرنى خالى عن ابن جماعة قال: ذَرْع دائر الحِجْر من داخله من الفتحة إلى الفتحة إحدى وثلاثون وثُلث، ومن خارجه من الفتحة إلى الفتحة سبع وثلاثون ونصف ورُبع وثُمن، ومن الفتحة إلى الفتحة على الاستواء سبعة عشر ذراعًا، ومن صدر دائر الحِجْر من داخله إلى جدار حِجْر البيت تحت الميزاب خمسة عشر ذراعًا، وعرضَ جدار الحِجْر ذراعان وثلث ذَراع وثُمن ذراع، وارتفاعه عن أرض المطاف مما يلى الفتحة التى من جهة المقام ذراع وثلثا ذراع وثُمن ذراع، وارتفاعه مما يلى الفتحة الأخرى ذراع ونصف وثلث وثُمن، وارتفاعه من وسطه ذراع وثلثا ذراع، وسعة ما بين جدار الحِجْر والشاذروان عند الفتحة التى من جهة المقام أربعة أذرع وثلث، والخارج من جدار الحِجْر فى هذه الجهة عن مسامتة الشاذروان نصف ذراع وثُمن، وسعة الفتحة الأخرى أربعة أذرع ونصف، والخارج من

---

(١) الأزرقى ١/ ٣٢٠.

جدار الحجْر فى هذه الجهة عن مسامته الشاذروان نصف ذراع وثلث ذراع، كل ذلك حُرِّر بذراع القماش المستعمل فى زماننا بمصر. انتهى.

وقد حررنا أمورًا تتعلق بالحجْر، فكان ما بين وسط جدار الكعبة الذى فيه الميزاب إلى مقابله من جدار الحَجْر خمسة عشر ذراعًا، وكان عرض جدار الحِجْر من وسطه ذراعين ورُبْع، وسعة فتحة الحِجْر الشرقية خمسة أذرع، وكذلك سعة الغربية بزيادة قيراط، وسعة ما بين الفتحتين من داخل الحِجْر سبعة عشر ذراعًا وقيراطان، وارتفاع جدار الحِجْر من داخله عند الفتحة الشرقية ذراعان إلاَّ قيراطًا، ومن خارجه عندها ذراعان وقيراطان، وارتفاع جدار الحِجْر من داخله ومن وسطه ذراعان إلاَّ ثلث، وفى خارجه ذراعان وقيراطان، وارتفاع جدر الحِجْر من داخله عند الفتحة الغربية ذراعان إلاَّ قيراطًا، ومن خارجه عندها ذراعان وثُمن ذراع، كل ذلك بذراع الحديد.

وذكر ابن خرداذبه فى ذرْع دَور الحِجْر ما يُسْتَغْرَب لأنه قال: ذرْع دَور الحِجْر خمسون ذراعًا[١]. انتهى.

وإنما كان هذا مستغربًا لمخالفته ما ذكره الأزرقى فى ذلك فإن ما ذكره ابن خرداذبه يزيد على ما ذكره الأزرقى عشرة أذرع.

ذكر ما جاء فى الحِجْر والصلاة فيه

قال الفاكهى: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنى محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ قال لأبى هريرة: يا أبا هريرة إن على باب الحِجْر مَلَكًا يقول لمن دخل فصلى ركعتين: مغفورًا لك ما مضى، فاستأنف العمل، وعلى باب الحِجْر الآخر مَلَك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يُرْفع البيت يقول لمن صلى وخرج: مرحومًا لك إن كنت من أمة محمد ﷺ تقيًّا[٢]. انتهى.

---

(١) المسالك والممالك ـــ ص١٣٣.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ١/ ١٣٧.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عباس رضى الله عنهما: صلوا فى مصلى الأخيار، وسئل عن ذلك ابن عباس فقال: تحت الميزاب[١]، وحكم الصلاة فيما فى الحِجْر من الكعبة حكم الصلاة فى الكعبة، فى كونه من الكعبة، فلا تصح فيه على المشهور من مذهب مالك الفرض ولا النفْل المؤكد كالسُّنن والوِتر وركعتى الطواف والفجر وركعتى الطواف الواجب، ويصح فيه النفل غير المؤكد، ويستحب ذلك فيه كبقية الحِجْر، ويصح فى بقية الحِجْر الفرْض من غير كراهة، ومذهب الشافعى وأبى حنيفة جواز جميع الصلوات فى جميع الحِجْر.

ذكر ما جاء فى الدعاء فى الحِجْر تحت الميزاب

روينا فى تاريخ الأزرقى عن عطاء قال: من قام تحت الميزاب، أى ميزاب الكعبة فدعا استُجيب له، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقد تقدم مثل ذلك عن الحسن البصرى فى الباب الخامس عشر، وفى رواية عنه: من قام تحت مثعب الكعبة، يعنى ميزابها.

وروينا عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة قال: وسمعت أن عثمان بن عفان ﷺ أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألون من أين جئت؟ قالوا: من أين جئت يا أمير المؤمنين؟ قال: ما زلت قائمًا على باب الجنة، وكان قائمًا تحت الميزاب يدعو الله عنده. انتهى.

ومن فضائل الحِجْر، أن فيه قبر إسماعيل عليه السلام، روينا عن ابن إسحاق فى سيرته تهذيب ابن هشام وروايته عن زياد البكائى عن ابن إسحاق قال: وكان عمر إسماعيل عليه السلام فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه فدُفن فى الحِجْر مع أمه هاجر رحمهما الله[٢]. انتهى.

وقال الأزرقى: حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن إسحاق فذكر شيئًا من خبر إسماعيل وذكر أولاده، ثم قال: وكان من حديث جُرْهُم وبنى إسماعيل أن إسماعيل لما توفى دُفن فى الحِجْر مع أمه، وزعموا أنها دُفنت فيه حين ماتت.

---

(١) الأزرقى ١/ ٣١٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥.

وذكر صاحب الاكتفاء أن قبر إسماعيل فى الحِجْر، وأن قبره مما يلى باب الكعبة، وقد اختُلف فى قبر إسماعيل فقيل: إنه فى الحِجْر، وهو قول ابن إسحاق وقيل: إنه فى الحطيم، وقد سبق نقل الأزرقى له عن مقاتل فى أخبار الحطيم، ونقله الفاكهى عن كعب الأحبار وعن ابن سابط.

وقال الفاكهى فى «فضائل مكة» حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا يزيد بن أبى حكيم عن سفيان الثورى عن عطاء بن السائب عن ابن سابط أنه قال: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيًّا، وإن قبر هود، وشعيب، وصالح وإسماعيل، عليهم السلام، فى تلك البقعة.

وقيل: إنه حيال الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود، وهذا القول ذكره المسعودى لأنه قال: وقُبِضَ إسماعيل وله من العمر مائة وسبع وثلاثون سنة، فدُفِن فى المسجد الحرام حيال الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود[1]. انتهى. كذا وجدت فى النسخة التى رأيتها من تاريخ المسعودى فى الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود، وأظن أن لفظة «كان» زيادة من الناسخ، لأنَّ إثباتها لا يستقيم به معنى، والله أعلم.

وما ذكره المسعودى فى قدْر عُمْر إسماعيل يخالف ما ذكره فيه ابن إسحاق، والله أعلم بالصواب، وينبغى توقِّى النوم فيه والاحتراز فيه، من بدعتين أحدثهما الناس لا أصل لهما على ما ذكره ابن جماعة فيما أخبرنى به عنه خالى: إحداهما وقوفهم فى فتحتى الحجر للصلاة والسلام على النبى ﷺ، والأخرى استقبالهم جهة النبى ﷺ فى فتحتى الحجر للدعاء واستدبارهم للكعبة، والمعروف فى آداب الدعاء استقبالها، هذا معنى كلامه قال: والله تعالى يوفقنا لاجتناب البدعة واتباع السُّـنَّة بمنه وكرمه. انتهى.

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٤٨.

ذكر المواضع التى صلى فيها النبى حول الكعبة

قد ذكر المحب الطبرى هذه الأماكن بدلائلها فى كتاب «القرى» وذكرنا ذلك بنصه فى أصل هذا الكتاب، ونشير هنا لشىء من تلك المواضع: الأول خلف مقام إبراهيم عليه السلام، الثانى تلقاء الحجر الأسود على حاشية المطاف كما فى النسائى وابن حبان من حديث المطلب بن أبى وادعة السهمى، الثالث قريبًا من الركن الشامى مما يلى الحِجْر بسكون الجيم، كما فى مُسْنَد أحمد بن حنبل وسُنَن أبى داود من حديث عبد الله بن السائب، الرابع عند باب الكعبة كما فى تاريخ الأزرقى وفوائد تمام الرازى من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ: أمَّنى جبريل عليه السلام عند باب الكعبة مرتين، الخامس تلقاء الركن الذى يلى الحِجْر من جهة المغرب جانحًا إلى جهة المغرب قليلاً، بحيث يكون باب المسجد الذى يقال له اليوم باب العمرة خلف ظهره كما فى مُسْنَد أحمد بن حنبل وسُنَن أبى داود والنسائى وابن ماجه، من حديث المطلب بن أبى وداعة، أنه رأى النبى ﷺ يصلى مما يلى باب بنى سهم والناس يمرون بين يديه، وفى إسناده مجهول.

وباب بنى سهم هو باب العمرة المشار إليه السادس فى وجه الكعبة كما فى الصحيحين، من حديث أسامة بن زيد أن النبى ﷺ لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصلِّ حتى يخرج، فلما خرج ركع قُبُل البيت ركعتين وقال: هذه القبلة، أخرجاه، وقال النسائى: سبح فى نواحيه كلها وكبَّر ولم يصل، ثم خرج وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال: هذه القبلة.

قال المحب الطبرى: وجه الكعبة يطلق على بابها، ولهذا قيل للمحاذى له خلفها دُبُر الكعبة، ثم قال: ويُطلق على جميع الجانب الذى فيه الباب وهو المتعارَف فيه، ثم قال: والظاهر أن هذا الموضع تلقاء المقام فى فناء الكعبة، بحيث يكون المقام خلف المصلى فيه، وقال: ويُحتمل على بُعد أن يكون هذا الموضع هو الموضع الرابع محل إمامة جبريل وجوز فيه المحب وجهًا آخر، وهو أن يكون الموضع الأول هو خلف المقام؛ لأنه يقال فيه وجه الكعبة، ثم قال: وقد ورد

تفضيل وجه الكعبة على غيرها من الجهات، ثم قال: الموضع السابع بين الركنين اليمانيين، ذكره ابن إسحاق فى سيرته فى قصة طويلة، الثامن الحِجْر واستدلاله بحديث: خنْق عُقْبَة بن أبى مُعَيْط النبى ﷺ فى الحِجْر كما فى الصحيحين وذكر فى هذا الفصل صلاة النبى ﷺ فى الكعبة، ثم قال: ووَرد أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليمانى ركعتين وعزاه لليقين لابن أبى الدنيا وتاريخ الأزرقى ثم قال: فصارت المواضع التى صلى فيها النبى ﷺ يقينًا وتخمينًا تسعة مواضع، والعاشر مصلى آدم عليه السلام. انتهى كلام المحب الطبرى[1]. وفيه أمور: منها أن ذكره فى هذا الفصل صلاة النبى ﷺ فى الكعبة لا يلائم الترجمة التى ذكرها، لأنه ترجَم على هذا الفصل بقوله: ذكر مواضع حول البيت روى أن النبى ﷺ صلى فيها، وهذه الترجمة تقتضى أن يذكر فيها المواضع التى صلى النبى ﷺ فيها حول البيت، لا صلاته فى البيت والله أعلم، ومنها أن ذكْره فى هذه الترجمة مصلى آدم عليه السلام غير ملائم، ومنها أن ما ذكره من مصلى آدم فيه احتمال لأن آدم عليه السلام يحتمل أن يكون صلى عند الركن اليمانى مما يلى الحجر الأسود، ويُحتمل أن يكون صلى عند الركن اليمانى مما يلى الباب المسدود فى المستجار، وهذا أقرب والله أعلم، لما سبق من قول الفاكهى.

وقال بعض الناس: إن الموضع الذى تاب الله فيه على آدم دُبُرَ الكعبة عند الباب الذى فتحه ابن الزُبَير من دُبُرها عند الركن اليمانى. انتهى.

ومنها أن ما ذكره فى مصلى آدم عليه السلام عند الركن اليمانى يخالف ما ذكره ابن سُرَاقة وابن جماعة، من أنه فى جهة الكعبة الشرقية، وقد سبق فى الباب الثامن من هذا الكتاب أن مصلَّى آدم عليه السلام فى الجهة الشرقية، وأن بينه وبين الحفرة المرخمة فى هذه الجهة ثلاثة أذرع إلا ثُلث بالحديد، والله أعلم بالصواب.

ومنها أن المحب لم يعين الموضع الذى صلى فيه النبى ﷺ بين الركنين اليمانيين لأنه يحتمل أن يكون ﷺ صلى إلى وسط الجدار، ويُحتمل أن يكون مائلاً عن الوسط إلى جهة الحجر الأسود، ويحتمل أن يكون مائلاً عن الوسط إلى جهة الركن اليمانى، وقد سبق أن ابن سُرَاقة ذكر أن النبى ﷺ صلى إلى وسط الجدار،

---

(١) القرى — ص٣٤٨ وما بعدها.

وتحريره بالوسط من هذا الجدار بأنه الرخامة التى فى شاذروان الكعبة المكتوب فيها أن الملك المنصور لاجين أمر بعمارة المطاف، ومنها أن المحب الطبرى لم يبين أيضًا الموضع الذى صلى فيه النبى ﷺ عند باب الكعبة، وهو يحتمل ثلاثة أوجه: **الأول:** أن يكون صلى وجاه الباب، **والثانى:** أن يكون صلى فى الحفرة المرخمة التى عند باب الكعبة على يمينه، **والثالث:** أن يكون صلّى فى الملتزَم، وفى هذا الوجه بُعْدٌ، والوجه الأول أقرب، لأنه عند الباب حقيقة بخلاف الوجهين الأخيرين، فإنه إنما يصدق عليهما عند باب الكعبة لقربهما منه والله أعلم.

وإنما نبهنا على ذلك لأنه وقع لشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام الشافعى، وشيخ اليمن أحمد بن موسى بن العُجَيْل ما يقتضى أن مصلًّى جبريل بالنبى ﷺ هو الحفرة المرخمة، ولم أقف على كلام ابن العُجَيل، وإنما بلغنى أن الرضى الطبرى إمام المقام شيخ شيوخنا سأل الشيخ أحمد بن موسى بن العُجَيل عن تحقيق ذلك بطريق الكشف، فأخبره أن الحفرة المشار إليها هى مصلى جبريل بالنبى ﷺ.

وأما كلام ابن عبد السلام فذكره عنه ابن جماعة فى منسكه لأنه قال: وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: إن الحفرة الملاصقة للكعبة بين الباب والحجر هى المكان الذى صلى فيه جبريل بالنبى ﷺ الصلوات الخمس حين فرضها الله تعالى على أمته، ولم أر ذلك لغيره، وفيه بُعْدٌ، لأنه لو كان صحيحًا لنبهوا عليه بالكتابة فى الحُفْرة، ولَمَا اقتصروا على مَن أمر بعمل المطاف، والله أعلم. انتهى كلام ابن جماعة، وقد أخبرنى بذلك عنه خالى رحمهما الله.

وفى خبر المقام عند ابن جُبَير[١] رحمه الله أن موضعه اليوم حذاء موضعه فى هذا الباب: الصندوق الذى فيه المقام، إلا أن يجاوز الحفرة مما يلى الحجْر بسكون الجيم، فعلى هذا يكون المقام عند الكعبة فى نصف الحفرة الملاصق للكعبة المشار إليها، وإذا كان هذا موضع المقام عند الكعبة، فيكون النبى ﷺ صلى فيه بعد

---

(١) رحلة ابن جبير ــ ص ٦٠.

خروجه من الكعبة، لأن النسائى روى عن أسامة بن زيد: أن النبى ﷺ بعد خروجه من البيت ركع قبل البيت ركعتين، وفى رواية: أنه ﷺ صلى ركعتين خلف المقام، وهو وقُبُل البيت واحد، لأن المقام كان عند الكعبة على ما قيل، والله أعلم.

ومنها أن كلام المحب الطبرى يقتضى أن المصلى الذى ذكره ابن السائب غير المصلى الذى ذكره أسامة لِعَدِّه ذلك مصلَّيَيْن، وفى ذلك نظر، لأن حديث ابن السائب فى المصلى الذى ذكره موافقٌ لحديث أسامة فى المصلى الذى ذكره، ويظهر ذلك بذِكْر حديثهما، فلفظ حديث ابن السائب عند الأزرقى: حدثنى جدى، حدثنا داود بن عبد الرحمن عن محمد بن جُرَيْج عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابن السائب أن النبى ﷺ صلى يوم الفتح فى وجه الكعبة حذو الطرقة البيضاء، ثم رفع يديه فقال: هذه القبلة. انتهى.

ولفظ حديث أسامة أن النبى ﷺ لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها، ولم يصلِّ حتى خرج، فلما خرج ركع قُبُل البيت ركعتين وقال: هذه القبلة، أخرجاه.

وقال النسائى: سبَّح فى نواحيه وكبَّر ولم يصل، ثم خرج وصلى خلف المقام ركعتين، ثم قال: هذه القبلة.

ولا منافاة بين قولة أسامة فى الحديث الأول: ركع قُبُل البيت، وبين قوله فى الحديث الثانى: وصلى خلف المقام ركعتين، لأن المقام كان فى وجه الكعبة، على ما ذكره ابن عُقْبة فى مغازيه وغيره، ويكون قوله: صلى خلف المقام مفسرًا لقوله: ركع قُبُل البيت لينتفى التعارض بين حديثيه، وهذا أولى من حمل قوله على أنه صلى خلف المقام فى موضعه اليوم، لأنه إذا حُمل على ذلك يُفهم منه التناقض بين الحديثين، والله أعلم.

وإذا كان حديث ابن السائب يقتضى أن النبى ﷺ صلى عند الكعبة فى يوم فتح مكة وقال: هذه القبلة، واقتضى ذلك أيضًا حديث أسامة، ففى ذلك دليل على اتحاد المصلى الذى ذكره أسامة وابن السائب، ويتجه به النظر الذى أشرنا إليه فيما ذكره المحب الطبرى من أن المصلى الذى ذكره أسامة غير المصلى الذى

ذكره ابن السائب، ولا يقال الحديث الذى استدل به المحب الطبرى على المصلى الذى ذكره ابن السائب، غير الحديث الذى ذكره الأزرقى، لأن المحب الطبرى قال فى «القرى» لما ذكره فى المواضع التى صلى فيها النبى ﷺ حول الكعبة، الثالث قريبًا من الركن الشامى مما يلى الحِجْر، عن عبد الله بن السائب أنه كان يقود ابن عباس عند الشقة الثالثة مما يلى الركن الذى يلى الحِجْر مما يلى الباب، فيقول له ابن عباس: أثبت أن رسول الله ﷺ كان يصلى ها هنا؟ فيقول: نعم، فيقوم فيصلى، أخرجه أحمد وأبو داود. انتهى.

وقوله فى هذا الحديث أثبتَ هو بنصب التاء لا برفعها، لأنه يلزم على رفعها أن يكون الحديث من رواية ابن السائب عن ابن عباس، ولا يُعرف لابن عباس فى هذا المعنى حديث، والله أعلم.

وقوله: أثبتَ بألف، يعنى همزة الاستفهام ثم ثاء مثلثة ثم باء موحدة ثم تاء مثناة، من الثبات الذى بمعنى التحقيق للشيء، كأنه يقول له: تحققت أن النبى ﷺ صلى فى الموضع المشار إليه فيقول: نعم، والله أعلم.

وإنما لا يقال الحديث الذى استدل به المحب غير الحديث الذى ذكره الأزرقى، لأن الحديث الذى ذكره المحب يقتضى أن ابن عباس رضى الله عنهما سأل ابن السائب عن موضع مصلى النبى ﷺ فى وجه الكعبة، والحديث الذى ذكره الأزرقى يقتضى إخبار ابن السائب بأن النبى ﷺ صلى يوم فتح مكة فى وجه الكعبة، وأنه رفع يديه وقال: هذه القبلة، وبين المصلى بقوله عدد الطواف، وذلك لا ينافى إثباته صلاة النبى ﷺ عند الشقة الثالثة مقابلة الركن الشامى، لإمكان أن يكون موضع النظر فيه موضع الشقة الثالثة، فعرفه بالوجهين، واختصر فى أخبار ابن عباس بعض القصة، والله أعلم.

ووجدت بخط مفتى الحرم رضىّ الدين محمد بن أبى بكر بن خليل العسقلانى ما يقتضى أن للنبى ﷺ مصلى بين هذه الحفرة وبين الحِجْر ــ بسكون الجيم ــ لأنى وجدت بخط الرضى المذكور ما نصه: أخبرنى الشيخ عثمان بن عبد الواحد العسقلانى المكى عن بعض مشيخة مكة المتقدمين، أن المقام المحمدى الحجر

المشوّبر الذى عند الحفرة التى عند الكعبة على جانبها مما يلى حِجْر إسماعيل وهو الحِجْر الذى إلى جانب هذه الحفرة المذكورة، الدعاء عنده مستجاب.

وأخبرنى المفتى عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد المذكور أن من يدعو خلفه بهذا الدعاء: يا واحد يا واحد يا ماجد يا بَرّ يا رحيم يا غنى يا كريم أتمم علىَّ نعمتك وألبسنى عافيتك، استُجيب له. انتهى.

والحفرة المشار إليها هى السابقة والحجر المشوّبر الذى هو علامة هذا المصلى لا يُعرف الآن، وهو الموضع الثالث الذى ذكره المحب لأنه ليس بين الحفرة المشار إليها، والركن الشامى مصلى للنبى ﷺ غير المصلى الثالث، والله أعلم، والحفرة المشار إليها جُدِّد رخامها الذى هو بها الآن فى سنة إحدى وثمانمائة، وقد حررنا أمورًا تتعلق بذَرْعها فكان طولها من الجهة الشامية إلى الجهة اليمانية أربعة أذرع، وعرضها من الجهة الشرقية إلى جدار الكعبة ذراعان وسُدس، وعمقها نصف ذراع، كل ذلك بذراع الحديد، والحفرة المشار إليها لم ترخم إلا بعد قدوم ابن جُبَيْر إلى مكة، وكان قدومه فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة، لأنه ذكر هذا الموضع فى أخبار رحلته، وذكر أنه علامة موضع المقام فى عهد إبراهيم إلى أنْ صرفه النبىُّ ﷺ إلى الموضع الذى هو الآن مصلى، وأنه مفروش برملة بيضاء. انتهى بالمعنى. فدل ذلك على أنه لم يكن ترخيمًا حين رآه ابن جبير، وقد نبهت فيما سبق على عدم استقامة قوله: إن هذا الموضع موضع المقام فى عهد إبراهيم، والله أعلم بالصواب.

الباب الثامن عشر

في ذكر شيء من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذرعه

وذكر شيء مما ذكره الأزرقي في خبر توسعته

رُوِّينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: حدثنى جدى قال: أخبرنى مسلم بن خالد الزنجى عن ابن جُرَيْج قال: كان المسجد الحرام ليس عليه جدارات محاطة به، إنما كانت الدُّور محدقة به من كل جانب، غير أن بين الدُّور أبوابًا يدخل منها الناس، فاشترى عمر بن الخطاب دُورًا فهدمها، وهدم على مَن قَرُب من المسجد دُورهم، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن، وتمنع من البيع، فوُضعت أثمانها فى خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد؛ ثم أحاط عليه جدارًا قصيرًا وقال لهم عمر: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنـــزل عليكم، ثم كثر الناس فى زمن عثمان، فوَسَّع المسجد، فاشترى من قوم، وأبى آخرون فهدم عليهم[١]. انتهى باختصار.

ولم يذكر الأزرقى السنة التى وسع فيها عمر المسجد الحرام، وهى سنة سبع عشرة من الهجرة[٢] ولا السنة التى وسعه فيها عثمان، وهى سنة ست وعشرين من الهجرة، على ما ذكره ابن جرير وابن الأثير فى تاريخ توسعتهما.

وذكر الأزرقى أن عبد الله بن الزبير وسع المسجد من جانبه الشرقى، وهو أعلاه مما يليه من جانبه الشامى، ومن جانبه اليمانى، وكان مما وسع به فى الجانب الشرقى نصف دار الأزرقى جد الأزرقى، اشترى ذلك ببضعة عشر آلاف دينار[٣].

ثم وسعه أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء من بنى العباس، من جانبه الشامى ومن جانبه الغربى إلى أن أوصله إلى ما هو عليه اليوم، إلا أنه بلغ فيما وسعه من الجانب الغربى إلى باب بنى جُمَح... الذى (هو) فيه الآن فى محاذاته فيما أحسب الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم، ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقًا واحدًا، وكان ابتداء عمل ذلك فى المحرَّم سنة سبع وثلاثين ومائة، والفراغ منه فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة، وكان الذى زاد فيه المنصور الضعف مما كان عليه قبل[٤].

---

(١) الأزرقى ٢/ ٦٨.
(٢) الذهب المسبوك ص١٤.
(٣) الأزرقى ٢/ ٦٩ - ٧٠.
(٤) الأزرقى ٢/ ٧٢ وما بعدها.

ثم وسعه المهدى بن أبي جعفر المنصور، من أعلاه ومن الجانب اليمانى، ومن الموضع الذى انتهى إليه أبوه فى الجانب الغربى، حتى صار على ما هو عليه الآن، خلا الزيادتين فإنهما أُحدثتا بعده، كما سيأتى فى خبرهما، وكان توسعته له فى نوبتين: الأولى فى سنة إحدى وستين ومائة، وفيها زيد فيما زاده أبوه فى المسجد رواقان، والثانية فى سنة سبع وستين، وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة أربع وستين، ولم تكمل هذه الزيادة إلا فى زمن ابنه موسى الهادى لمعاجلة المنية للمهدى بالاخترام، وكان مما عُمل بعد موته بعض الجانب اليمانى وبعض الغربى، وذلك من الأساطين الحجارة فى الجانب اليمانى إلى الموضع الذى انتهى إليه عمل المنصور فى الجانب الغربى.

وأنفق المهدى فى توسعة المسجد الحرام وعمارته أموالاً عظيمة المقدار، لأن ثمن كل ذراع مكسّر دخل فى المسجد الحرام خمسة وعشرون دينارًا، وثمن كل ذراع مكسر دخل فى الوادى خمسة عشر دينارًا، ونقل إليه أساطين الرخام من الشام وغيرها، حتى أُنزلت بجدة، وحُملت منها على العَجَل إلى مكة، إلى غير ذلك من الأمور التى عظُمت فيها نفقته، ولم يكن له فى ذلك نظير، أعظم الله له الأجر، واسمه الآن مكتوب فى مواضع من المسجد الحرام، منها قرب المنارة المعروفة بمنارة باب على التى فيها الميل، وما ذكرناه من حال المسجد الحرام فى ابتدائه وتوسعته حتى صار إلى ما هو عليه الآن، خلا الزيادتين، فهو ملخص بالمعنى، مختصر مما ذكره الأزرقى فى هذا الأمر.

وذكر فى أخبار عمارته من غير توسعة فيه، أن عبد الملك بن مروان رفع جدرانه وسقفه بالساج، وجعل فى رأس كل أسطوانة خمسين مثقالاً ذهبًا، وعمّره عمارة حسنة، وأن ابنه الوليد بن عبد الملك نقض عمل أبيه وعمله عملاً محكمًا، وسقفه بالساج المزخرف، وأزّر المسجد من داخله بالرخام، وجعل له شُرُفًا، وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفائح الشَّبَه[1] من الصفر، وجعل فى

(١) الشَّبَهُ: النحاس الأصفر.

وجوه الطيقان[١] من أعلاه الفسيفساء، وهو أول من عمله فى المسجد الحرام، وأول من نقل إليه أساطين الرخام وذكر أنه عُمِّر فى زمن المتوكل العباسى، هذا معنى ما ذكره الأزرقى فى عمارة المسجد الحرام من غير توسعة.

وذكر السُّهَيْلى فى عمارة المسجد الحرام شيئًا يُستغْرَب، فنذكر ذلك ثم نبين ما فيه، ونص كلام السُّهَيلى: فلما كان ابن الزبير زاد فى إتقانه لا فى سعته، وجعل فيه عَمَدًا من الرخام، وزاد فى أبوابه وحسَّنها، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد، وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جُدَّة، واحتُملت من جُدَّة على العجل إلى مكة. انتهى.

وما ذكره السُّهَيلى من أن الزبير لم يوسع المسجد الحرام فيه نظر، لمخالفته ما هو المشهور فى ذلك، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وما ذكره من أن ابن الزبير جعل فى المسجد عمدًا من الرخام، وأن عبد الملك حمل إليه السوارى، يخالف أيضًا ما ذكره الأزرقى من أن الوليد بن عبد الملك أول من نقل إليه الأساطين الرخام، لكن وقع للأزرقى ما يُفهم خلاف ذلك، لأنه قال: حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن سعيد بن فروة عن أبيه قال: كنت على عمل المسجد فى زمن عبد الملك بن مروان قال: فجعلوا فى رءوس الأساطين خمسين مثقالاً من ذهب، فى رأس كل أسطوانة. انتهى.

ووجه مخالفة ذلك لما سبق أن عمل الذهب فى رءوس الأساطين يقتضى وجودها حين عُمل فيها ذلك، وإذا كانت موجودة فهى ما عمله عبد الملك أو ابن الزبير، وأى الأمرين كان فهو يخالف ما ذكره الأزرقى من أن الوليد بن عبد الملك أول من حمل إليه ذلك، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الطبقات».

ذكر شيء من خبر توسعة المسجد الحرام بعد الأزرقي ومن خبر عمارته بعده

اعلم أنه لم يزد في المسجد الحرام بعد الأزرقي، إلا الزيادتان المعروفة إحداهما بزيادة دار الندوة بالجانب الشمالي، والثانية الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم بالجانب الغربي، ولم يزد فيه بعد المهدي غير هاتين الزيادتين، فأما قول الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه في أخبار سنة إحدى وسبعين ومائة إن الخيزران أم المؤمنين خرجت إلى مكة فأقامت بها حتى شهدت الحج، وقد اشترت الدار المشهورة لها بمكة المشرفة المعروفة بدار الخيزران فزادتها في المسجد الحرام فهو غير مستقيم، لأن الدار المشهورة بالخيزران بمكة إنما هي عند جبل الصفا، وبينها وبين المسجد الحرام طريق مسلوك يزيد على مائة ذراع على مقتضى ما ذكره الأزرقي في مقدار ما بين باب المسجد المعروف بباب الصفا، والصفا هو مبدأ السعي، وهو قرب هذه الدار، فدخولها في المسجد الحرام غير ممكن، وأيضًا قال: إنه لو وقع منها ذلك لاشتهر كما اشتهر توسعة غيرها في المسجد الحرام، ولَذَكَره الأزرقي في تاريخه، كما ذكر ما وقع من غيرها من هذا الأمر والله أعلم.

وأيضًا النقل، فإن إسحاق بن أحمد الخزاعي قال في خبر زيادة دار الندوة إن الساعي فيها كتب إلى وزير المعتضد العباسي يحسّن له جعْل ما بقي من دار الندوة مسجدًا، [ويقول له إن هذه تكرمة لم تهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي وذكر إسحاق الخزاعي شيئًا من خبر هذه الزيادة](١) وملخص ذلك أن الساعي فيها سأل قاضي مكة محمد بن أحمد المقدمي وأميرها عجّ بن حاجّ مولى أمير المؤمنين يعني المعتضد العباسي أن يكتبا فيها بمثل ما كتب، فكتبا، فعُرِضت كتبهم على المعتضد، فأمر المعتضد بعمارة دار الندوة مسجدًا يوصل بالمسجد الكبير، وأخرج لذلك مالاً عظيمًا، فحمل إلى قاضي بغداد يوسف بن يعقوب، فأنفذ بعضه

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمري.

صفائح، وأنفذ بعضه على يد ابنه عبد الله بن يوسف فى وقت الحج، وقدم معه برجل يقال له أبو الهياج الأسدى، فوكله بالعمل، وخلف معه عمالاً وأعوانًا لذلك، فأخرجت القمائم من دار الندوة، وهُدِّمت، ثم أنشئت مسجدًا من أساسها بأساطين وطاقات وأروقة مسقّفة بالساج المذهب المزخرف، ثم فتح لها فى جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابًا، ستة كبار سعة كل باب خمسة أذرع، وارتفاعه إلى السماء أحد عشر ذراعًا، وجعل بين الستة الأبواب الكبار ستة أبواب صغار، سعة كل باب منها ذراعان ونصف، وارتفاعه فى السماء ثمانية أذرُع وثُلُثا ذراع، وجعل لها سوى ذلك ثلاثة أبواب شارعة فى الطريق التى حولها، منها بابان طاقان، وباب طاق واحد، وسوى جُدُرها وسقوفها بالمسجد الحرام، وجعل لها منارة وشرفًا، وفرغ منها فى ثلاث سنين، ولم يبيِّن إسحاق الخزاعى السنة التى فرغ منها فى عمارة هذه الزيادة حين أنشئت، ولعل ذلك فى سنة أربع وثمانين ومائتين على مقتضى ما ذكره من أنه كتب إلى المعتضد سبب إنشائها فى سنة إحدى وثمانين ومائتين.

وذكر أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعى ابن أخى إسحاق الخزاعى أن القاضى محمد بن موسى لما كان إليه إمرة البلد، غيَّر الطاقات التى كانت فى جُدُر المسجد الكبير حين عُمِّرت هذه الزيادة، وقد تقدم ذِكْرها، وجعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها مصعد من ساج بطاقات معقودة بالآجُرِّ الأبيض والجصِّ، ووصله بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من العمل الأول، حتى صار من دار الندوة من مصلٍّ ومستقبل يستقبل القبلة فيراها كلها، عمل ذلك فى سنة ست وثلاثمائة.

وأما الزيادة التى بالجانب الغربى المعروفة بزيادة باب إبراهيم، فذكر أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعى شيئًا من خبرها عند ذكر الأزرقى لباب بنى جُمَح، ونصّ كلامه قد كان هذا على ما ذكر الأزرقى، حتى كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين العباسى، وكان يتولى الحكم بمكة محمد بن موسى، فغير هذين البابين، المعروف أحدهما بالحناطين، والآخر ببنى جُمَح، وجعل ما بين دار زبيدة مسجدًا أوصله بالمسجد الكبير، وعمله بأروقة وطاقات وصحن، وجعل شارعًا على

الوادى الأعظم بمكة، فانتفع الناس به وصلوا فيه، وذلك كله فى سنة ست أو سبع وثلاثمائة. انتهى.

ذكر صفة هذه الزيادة

أما صفة هذه الزيادة فإنها تخالف الزيادة السابقة، لأنه ليس لها رواق غربى، وإنما لها رواق شرقى وشمالى وجنوبى، وموضع الغربى أبواب، وبينهما باب الزيادة، وكل رواق منها شقة واحدة، وغالب الجنوبى مما يلى الجهة الشرقية محوط ببيت فيه شبابيك من خشب، وهو السبيل المنسوب للملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى، وكانت عمارته فى آخر عُشر الستين وسبعمائة على ما بلغنى، ولها صحن، هذا ملخص مختصر من خبر ما زيد فى المسجد الحرام بعد الأزرقى.

وأما ما وقع فيه من العمارات بعده فكثيرة، وقد شرحنا فى أصل هذا الكتاب شيئًا من خبرها واقتصرنا على أعظم ما وقع فيه من العمارة بعد الأزرقى، وسببها أن ذلك فى ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة، ظهرت نار من رباط رامشت بالجانب الغربى من المسجد الحرام، ولم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد وعمت بالحريق الجانب الغربى منه، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعًا، وانتهى الحريق إلى محاذاة باب دار العجلة، وسبب ذلك أن النار لم تجد شيئًا تتعلق به لخلو ذلك الموضع، وهو عمودان عليهما عقود وسقف بسبب سقوطه لتخرُّبه فى السيل المهول الذى كان بمكة فى هذه السنة أيضًا، فصار ما احترق من المسجد الحرام أكوامًا عظامًا تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت العظيم فلا حول ولا قوة إلا بالله ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك فى مدة لطيفة على يد الأمير بيسق الظاهرى أعزه الله، وكان قدومه لذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانمائة، فلما رحل الحاج من مكة فى هذه السنة شرع فى شيل تلك الأكوام العظيمة، حتى فرغت، ثم أخذ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان، إلا أن الأساطين التى بالجانب الغربى حجارة منحوتة، وكذلك الأساطين التى بالجانب

الشامى خلا أساطين يسيرة فى مقدمة الجانب المذكور، فإنها رخام مكسر مُلْصَق بالحديد، وكان الفراغ من عمارة ذلك فى العُشْر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة[1].

وعجب الناس كثيرًا من سرعة عمارة ذلك فى هذه المدة، لأن من رأى ذلك قبل عمارته كان يقطع بأن هذه العمارة إنما تنهض فى مدة سنين باعتبار العادة فى العمارات، فلله الحمد على نعَمه التى لا تُحصى، ولم يبق من ذلك محتاجًا إلى العمارة إلا سقف الجانب الغربى، والذى أوجب تركه أنه لم يوجد بمكة خشب ساج يُسقف به، ولو وُجد بمكة لَمَا جاء الموسم من سنة أربع وثمانمائة، إلا وجميع ذلك فارغ بقدرة الله تعالى.

ولما كان المحرَّم مُفْتَتَحُ شهور سنة سبعٍ وثمانمائة، قدم إلى مكة الأمير بَيْسق المذكور ــ أحسن الله إليه ــ لعمارة هذا السقف وغيره مما تشقق من المسجد الحرام ونهض فى مدة لطيفة بقدرة الله، لأن الأمير بَيْسق المشار إليه جرى على عادته فى علو الهمة وعنى من حين وصوله بتحصيلِ الأخشاب، ثم بتهيئتها لعمل السقف، ثم بتركيبها فى محلها، والخشب الذى سُقِف به ذلك يقال له خشب المعرعر، جيء به إلى مكة من جهة الطائف، وأصلح الأميرِ المذكور فى هذه السنة المواضع كلها التى كانت متشققة بالمسجد الحرام وسقوفًا فيه، فلله الحمد على ذلك.

ثم عُمِّرت أماكن من المسجد الحرام فى سنة خمس عشرة وثمانمائة، فمن ذلك عقدان على أسطوانة واحدة فى الصف الأول من الرواق اليمانى، مقابل المدرسة البنجالية، وأماكن فى سقف المسجد الحرام كثيرة، وكان المتولى لأمر هذه العمارة شيخنا قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى المخزومى المكى من مال تطوع به بعض أهل الخير أثابهم الله.

ثم كثر الشعث والخراب بالمسجد الحرام بعد ذلك، وسقط كثير من سقوفه، ومن ذلك أماكن بالجانب الغربى وموضع بالجانب اليمانى يقابل العَقْدين المشار إليهما.

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٤٢٣.

ومن ذلك سقف بالجانب الشرقى فى موضع يقال له باب العباس، قريبًا من سقف عقدين.

ومن ذلك ما يقابل باب الجنائز ورباط المراغى والسدة نحو أربعة عقود.

ومن ذلك بالجانب الشامى سقف عقد بقرب باب الدريبة، وموضع آخر بهذا الجانب يقابل رباط أم الخليفة الناصر العباسى المعروف بالعطيفية.

ومن ذلك سقف ستة عقود فى محاذاة زيادة دار الندوة فى الرواق الذى يليها، ومن ذلك سقف عقد يقابل باب دار الصحابة، ومن ذلك سقف عقدين بالرواق الغربى من زيادة دار الندوة، ومن ذلك ما فوق أحد بابى الجنائز الذى يلى رباط المراغى المعروف بالقيلانى، إلى آخر جدار المسجد الحرام الذى يلى رباط المراغى، وقد عُمّر من ذلك باب الجنائز عمارة حسنة، مع جدار المسجد الحرام الذى يلى رباط القيلانى، وكان ما بين بابى الجنائز قائمًا لم يسقط قبل عمارته، وإنما تخرب فهُدم ذلك حتى بلغ الأرض، وأزيلت أسطوانتان من رخام كانتا متصلتين بالبناء الذى بين البابين، وبين بابى الجنائز تبزة كبيرة بحجر منحوت من ظاهرها فيما يبدو للناس وباطنها بحجر غشيم، حتى ارتفعت عن الأرض نحو أربعة أذرع بالعمل وبنى فوقها عقدان عليها وعلى جدار المسجد الحرام إلى المدرسة الأفضلية، وجدار المسجد الحرام رباط القيلانى، وهذان العقدان مبنيان بحجارة منحوتة مما يلى المسعى، وفيه رخام وشىء فوق أسقفة البابين مما يلى بطن المسجد، وفوق الدرج عقدان من آجُرٍّ بالنورة، وفى كل عقد عقد لطيف، واستحسنت عمارة ذلك.

وكُتب بسبب هذه العمارة فى لوح من رخام أن ذلك عُمِّر فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فى ذى القعدة، بأمر صاحب مصر الملك الأشرف برسباى على يد الأمير زين الدين مقبل القديدى صاحبنا. ونُصبت الأخشاب فى المواضع الساقطة من هذا الجانب، أعنى الشرقى، وفى الجانب اليمانى، وفى الجانب الغربى، وفى الجانب الشامى بقرب باب الدريبة، وقبالة العطيفية وبقى سقف ذلك الأعلى وإتقانه بالجص والدلك.

وكان بالجانب الشامي في محاذاة باب دار الصحابة في الرواق الأوسط أسطوانة من رخام مشدودة بالحديد والرصاص، فأزيلت وعُوِّض عنها بأسطوانة صحيحة من رخام، هي إحدى الأسطوانتين اللتين كانتا بظاهر باب الجنائز، وبنى في هذا الجانب في الصف الأول الذي يلي بطن المسجد سبعة عقود، وبنى في هذا الجانب عدة عقود في مؤخرة عقد فوق الدكة المنسوبة للفقيه أبي السعود بن ظهيرة، وعقود أُخَر تلي ذلك إلى باب دار الصحابة، وزيد بناء يشد العقود المذكورة في عرض ما تحتها وطوله، واستحسن جميع ذلك.

ومما بُنِي في هذا الجانب ثمانية عقود في العقد الثاني، وثلاثة عقود في الصف الذي يليه بعد إحكام الأساطين التي تحت ذلك جملة المبني من العقود سبعة في الصف الذي يلي بطن المسجد، وثمانية في الذي يليه، وثلاثة في المؤخرة، وبُنِي عقدان قبالة باب الجنائز، وَبَتْرَةٌ بين بابي الجاهدية[1].

وجُددت أبواب بالمسجد الحرام، منها بابان لباب الجنائز، وثلاثة لباب العباس، وثلاثة لباب علي، والباب الأوسط من باب الصفا، وباب العجلة، وباب زيادة دار الندوة المفرد، وأُصلحت مواضع في أبواب المسجد، وعُمِّرت سقوفه، ونُوِّرت أو أكثرها بالنورة، وذلك في سنة ست وعشرين وثمانمائة، إلا قليلاً، ففي سنة خمسٍ وعشرين، وذلك على يد الأمير زين الدين مقبل المذكور[2]، أثابه الله.

ذكر ذرع المسجد الحرام غير الزيادتين

وبالسند المتقدم إلى الأزرقي قال: ذرع المسجد الحرام مكسَّرًا مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع، وذرْع المسجد الحرام طولاً من باب بني جُمَح إلى باب بني هاشم الذي عنده العَلَم الأخضر مقابلَ دار العباس بن عبد المطلب أربعمائة ذراع وأربعة أذرُع، مع جدريه يمرّ في بطن الحِجْر لاصقا بجُدُر الكعبة، وعرضه من باب دار الندوة إلى الجدار الذي يلي الوادي عند باب الصفا لاصقًا بوجه الكعبة ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع، وذرْع عرض المسجد الحرام من المنارة التي عند

---

(١) اضطربت هذه العبارات في المطبوعتين، وصوابها من الأصل.

(٢) إتحاف الورى ٣/ ٥٨٧.

المسعى إلى المنارة التى عند باب بنى شيبة الكبير مائتا ذراع وثمانية وسبعون ذراعًا، وذرْع عرض المسجد الحرام من منارة باب أجياد إلى منارة باب بنى سهم مائتا ذراع وثمانية وسبعون ذراعًا(١). انتهى.

قلت: باب بنى جُمَح لا أثر له الآن، وموضعه فيما أظن بعض الأساطين المتقدمة فى زيادة باب إبراهيم التى فى وزان جدار المسجد من هذا الجانب، والله أعلم.

وباب بنى سهم هو باب المسجد المعروف الآن بباب العُمرة، وقد حررنا ذرْع طول المسجد الحرام وعرضه، فكان طوله من جداره الغربى إلى جداره الشرقى المقابل له ثلاثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعًا وثُمن بذراع الحديد، ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع، وذلك من وسط جداره الغربى الذى هو جدر رباط الخوزى إلى وسط جداره الشرقى عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز، يمر به فى الحِجْر ملاصقًا لجدار الكعبة الشامى، وكان عرضه من جداره الشامى إلى جداره اليمانى مائتى ذراع وستة وستين ذراعًا بذراع الحديد، ويكون ذلك بذراع اليد ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع، وذلك من وسط جداره القديم عند العقود التى يدخل منها إلى زيادة دار الندوة إلى وسط جداره اليمانى، فيما بين باب المسجد المعروف بباب الصفا وبابه المعروف بباب أجياد، ويمر به فيما بين مقام إبراهيم والكعبة، وهو إلى المقام أقرب، حرر لى ذلك جماعة مُعْتَمَدٌ عليهم من أصحابنا، أثابهم الله، وكان تحرير ذلك فى ليلة الخميس السابع عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمانمائة، وقد طابق ما حررناه فى ذرع عرض المسجد ما ذكره الأزرقى فى ذرْعه من وسطه.

وذكر ابن خرداذبه فى ذرْع المسجد طولاً وعرضًا ما يخالف ذلك لأنه قال: وطول المسجد الحرام ثلاثمائة وسبعون ذراعًا، وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعًا. انتهى. وهذا غريب، لذلك ذكرناه.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٨١، ٨٢.

وذكر القاضى عز الدين بن جماعة فى مقدار المسجد الحرام وجهًا آخر، لأنه قال: ومساحة المسجد الحرام ستة أفدنة ونصف ورُبع، والفدان عشرة آلاف ذراع بذراع العمل المستعمل فى البنيان بمصر، وهو ثلاثة أشبار تقريبًا. انتهى.

أخبرنى بذلك عن ابن جماعة خالى رحمهما الله.

وذكر الأزرقى رحمه الله مقدار المسجد الحرام فى زمان ابن الزُّبَير لأنه قال: وحدثنى جدى قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زادان بن فروخ قال: مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وشىء.

قال ابو الوليد: حدثنى جدى وقال: وذلك فى زمن ابن الزبير(١). انتهى.

ونذكر مقدار الجريب لما فى ذلك من زيادة الفائدة فى بيان مقدار المسجد الحرام فى زمن ابن الزبير، وقد ذكر ذلك الماوردى فى «الأحكام السلطانية» والنووى والقلعى وصاحب «الوافى» فأما الماوردى فقال: إنه عشر قصبات فى عشر قصبات، ذرْع كل قصبة ستة أذرع، قال ابن الرفعة بعد ذكره لكلام الماوردى: فإذا ضربت ذلك بالتكسير بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة، وأما النووى والقلعى وصاحب «الوافى» فقالوا: إنه أرض مربعة كل قائمة منها ستون ذراعًا، قال ابن الرفعة بعد ذكره لذلك: وأنت إذا ضربت ذلك فى مثله بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ذراع، وقال ابن يونس: الجريب ستة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع. انتهى.

وعلى ما ذكره الماوردى، ومن وافقه فى مقدار الجريب، يكون المسجد الحرام فى زمان ابن الزبير خمسة وعشرين ألف ذراع ومائتى ذراع، لأن ذلك مقدار سبعة أجربة، ويزيد مقداره على ذلك بزيادة على السبعة الأجربة التى قيلت فى مقداره، وعلى ما ذكره ابن يونس فى مقدار الجريب يكون المسجد الحرام فى زمن ابن الزبير خمسة وأربعين ألف ذراع، ينقص مائتى ذراع، لأن ذلك مقدار السبعة الأجربة على هذا القول، ويزيد مقدار المسجد على ذلك بزيادة على السبعة الأجربة، وأظن أن ما قيل من أن مسجد مكة سبعة أجربة، وشىء فى زمان ابن الزبير، يكون مقداره هذا بعد أن وسَّعه ابن الزبير لا قبل أن يوسعه والله أعلم.

---

(١) الأزرقى ٢/ ٧١.

وقد ذكر الأزرقى فى حد المسجد الحرام وجهًا آخر، لأنه قال فيما رويناه عنه: حدثنى جدى قال: أخبرنا مسلم بن خالد قال: سمعت محمد بن الحارث بن سفيان يحدث عن على الأزْدى قال: سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: إنا لنجد فى كتاب الله عز وجل أن حدَّ المسجد الحرام من الحَزْوَرَة إلى المسعى، وحدثنى محمد ابن يحيى قال: حدثنا هشام بن سليمان عن عبد الله بن عِكْرِمة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال: أساسَ المسجد الحرام الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحَزْوَرَة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد، وقال: والمهدى وضع المسجد على المسعى(١). انتهى.

ذكر ذرْع زيادة دار الندوة

ذرْعها طولاً أربعة وسبعون ذراعًا ــ بتقديم السين ــ إلا ربُع ذراع بذراع الحديد المقدم ذكره، وذلك من جدار المسجد الكبير إلى الجدار المقابل له الشامى منها، وعنده بَاب منارتها، وذرْعها عرضًا من وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى سبعون ذراعًا بتقديم السين، ونصف. وذرْع صحنها طولاً من الأساطين التى فى مقدم الجانب الجنوبى إلى الأساطين التى فى مقدم الجانب الشمالى سبعة وثلاثون ذراعًا، وذرْع عرض صحنها كذلك بزيادة سُدس ذراع، كل ذلك بذراع الحديد.

ذكر ذرْع زيادة باب إبراهيم

أما ذرعها طولاً سبعة وخمسون ذراعًا إلا سُدس ذراع، وذلك من الأساطين التى فى وزان جدار المسجد الكبير إلى العتبة التى فيها باب هذه الزيادة، وأما ذَرعها عرضًا فاثنان وخمسون ذراعًا وربع، وذلك من صدر حائط رباط الخوزى إلى جدار رباط رامشت، المقابل له من جدار دار زبيدة إلى جدار رباط رامشت أيضًا، إلا أنه ينقص من هنا عن الأول ربع ذراع، وذرع صحنها طولاً ستة وثلاثون ذراعًا وربع وثُمن، وذلك من الأساطين الشرقية التى تلى صحنها إلى عتبة باب القبة، وذرع صحنها عرضًا ثلاثة وثلاثون ذراعًا ونصف، كل ذلك بذراع الحديد المشار إليه، وكان تحرير ذرْع ما بين الزيادتين بحضورى.

---

(١) الأزرقى ٢/ ٦٢.

البـــاب التاسع عشر

فى عدد أساطين المسجد الحرام، وصفتها وعدد عقوده، وشرفاته وقناديله وأبوابه وأسمائها، ومنابره، وفيما صنع فيه لمصلحة أو لنفع الناس به، وفيما فيه الآن من المقامات وكيفية صلاة الأئمة بها وحكمها

ذكر عدد أساطين المسجد الحرام غير الزيادتين وصفتها

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه أن عدد الأساطين التى بجوانب المسجد الحرام وأبوابه أربعمائة أسطوانة وأربعة وثمانون أسطوانة، منها على الأبواب عشرون أسطوانة، ووصف الأزرقى جميع هذه الأساطين[1] والأساطين التى هى الآن فى جوانب المسجد الحرام وأبوابه، على غير ما ذكره الأزرقى فى العدد والصفة الآن، لأن فى الجوانب الأربعة من المسجد الحرام غير الزيادتين أربعمائة أسطوانة وتسعة وستين أسطوانة، وعلى أبواب المسجد من داخله وخارجه سبعة وعشرون أسطوانة، فتصير جملة الأساطين بجوانب المسجد الحرام، وما على أبوابه أربعمائة أسطوانة وستة وتسعين أسطوانة، بتقديم التاء على السين، غير ما فى الزيادتين، وذلك يزيد على ما ذكره الأزرقى عشرة أساطين.

وجملة الأساطين التى بالجانب الشرقى ثمانية وثمانون أسطوانة، كلها رخام خلا واحدة فى الصف الأوسط عند باب على، فإنها آجُر محصَّص.

وجملة الأساطين التى فى هذا الجانب الشمالى، ويقال له الشامى، الذى يلى دار الندوة ودار العجلة، مائة أسطوانة وأربع أساطين، منها الأسطوانة الحمراء، وهى الثانية والعشرون من عدد الصف المقدم من هذا الجانب، وجميع الأساطين التى فى هذا الجانب رخام، خلا الأربعة عشر أسطوانة من آخر الصف الأوسط مما يلى دار العجلة وباب السِّدْرة، فإنها حجارة منحوتة.

وجملة الأساطين التى فى الجانب الغربى سبع وثمانون أسطوانة، كلها حجارة منحوتة، وهى مما عُمِل بعد الحريق للمسجد الحرام لتكسُّر أساطينه الرخام التى كانت فيه قبل الحريق.

وجملة الأساطين التى فى الجانب الجنوبى، وهو اليمانى، مائة وأربعون أسطوانة، وجميعها رخام خلا خمسًا وعشرين أسطوانة، فإنها غير رخام، وهى حجارة منحوتة، خلا اثنين فآجُر محصَّص.

وجميع ما فى جوانب المسجد الحرام وأبوابه الآن من الأساطين الرخام، ثلاثمائة أسطوانة وأربعون أسطوانة، وجميع ما فيه من الأساطين غير الرخام مائة أسطوانة

---

(١) الأزرقى ٢/ ٨٢.

وسبع وعشرون أسطوانة كلها حجارة منحوتة، خلا ثلاثة أساطين، فإنها آجُر مجصَّص، وقد تقدم بيان موضع هذه الأساطين، والأساطين الحجارة المنحوتة، وكذا الأساطين الرخام فى جوانب المسجد الحرام وأبوابه.

ذكر عدد الأساطين التى بصحن المسجد الحرام وصفتها

فأما عددها فمائتين وثلاثون أسطوانة، وأما صفتها فأربعة عشر، منها حجارة منحوتة دقيقة، والباقى آجُر مُجَصَّص، وبين كل من الأساطين خشبة ممدودة راكبة عليها، وعلى المقابل لها لأجل القناديل التى تعلّق فيها، وكان فى موضع هذه الأساطين قبل ذلك أخشاب على صفة الأساطين، وعُمِل ذلك للاستضاءة بالقناديل حول الكعبة.

وكلام القاضى عز الدين بن جماعة يوهم أن ذلك وقع بعد العشرين وسبعمائة، وأن الأساطين الحجارة جُعلت فى سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة، ثم ثارت ريح عاصفة فى سنة إحدى وخمسين فألقتها ثم جُدِّدت فيها.

وكلام ابن محفوظ المكى يوهم أن إحداث هذا الدائر للقناديل فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة، والله أعلم، وجُدِّد بعض هذه الأساطين فى عصرنا وفيما قبله غير مرة.

وذكر الأزرقى أنه كان حول الطواف عشرة أعمدة من صفر يستصبح بها على أهل الطواف، بعث بها الواثق العباسى، وأن أول من استصبح لأهل الطواف جده عُقْبة بن الأزرق الغسانى(١).

ذكر عدد أساطين زيادة دار الندوة

عدد أساطين هذه الزيادة ست وستون أسطوانة فى جميع جوانبها الأربعة، منها فى الجهة الشرقية اثنتا عشرة، ومنها فى الجهة الشامية عشرون، ومنها فى الجهة الغربية إحدى عشرة، ومنها فى الجهة الجنوبية ثلاث وعشرون.

---

(١) الأزرقى ١/ ٢٨٦.

ذكر عدد أساطين زيادة باب إبراهيم

عدد أساطين هذه الزيادة سبع وعشرون أسطوانة حجارة منحوتة، منها فى الرواق الشرقى الذى يلى المسجد الكبير سبعة عشر فى صفّين، وأربعة من هذه الأساطين السبعة عشر لاصقة بجدر رباط الخوزى، ورباط رامشت بكل رباط ثنتان، وفى الجانب الشمالى ستة أساطين، واحدة منها لاصقة بجدر الإيوان الغربى، وفى الجانب الجنوبى ستة أساطين، واحدة منها لاصقة بالمنارة، التى كانت بهذه الزيادة، وسيأتى ذِكْر شىء من خبرها، وليس بالجانب الغربى من هذه الزيادة أساطين كما قدمناه فى صفتها.

ذكر عدد طاقات المسجد الحرام وشرفاته وقناديله

أما عدد الطاقات التى بجوانب المسجد الحرام، وهى العقود التى على الأساطين بجوانبه الأربعة غير الزيادتين، فأربعمائة طاق وأربعة وثمانون طاقًا، من ذلك بالجانب الشرقى تسعة وتسعون طاقًا فى ثلاثة صفوف، ومن الجانب الشامى مائة وستة وخمسون فى ثلاثة صفوف، ومن ذلك بالجانب الغربى ثمانية وثمانون فى ثلاثة صفوف، ومن ذلك بالجانب الجنوبى وهو اليمانى مائة وواحد وأربعون فى ثلاثة صفوف.

وفيما ذكره الأزرقى فى عدد طاقات المسجد الحرام مخالفة لما ذكرناه، لأنه قال: وعلى الأساطين أربعمائة طاقة وثمانية وتسعون طاقة، وبيَّن ما فى كل جهة منها، وقد ذكرناها فى أصل هذا الكتاب.

ذكر عدد طاقات زيادة دار الندوة

جملة هذه الطاقات التى على الأساطين بهذه الزيادة فى جوانبها الأربعة: ثمانية وستون طاقًا، منها فى الجهة الشرقية الأربعة عشر فى صفّين، ومنها فى الجهة الشامية أربعة وعشرون فى صفّين، ومنها فى الجهة الغربية أربعة عشر، ومنها فى الجهة الجنوبية أربع وعشرون فى صفّين، فى كل صف منها اثنا عشر، وذلك غير

الطاقات التى فى جدار المسجد الكبير فى هذه الجهة، وهى إحدى عشرة طاقة، وغير ما على الأبواب من الطاقات، والطاقات هى العقود.

ذكر عدد طاقات زيادة باب إبراهيم

عدد طاقات هذه الزيادة ستة وثلاثون طاقاً: منها خمسة على جُدُر دار زبيدة ورباط الخوزى، ومنها خمسة على الجدر المقابل لهذا الجدار، وهو جدر رباط رامشت، والباقى على الأساطين، منها ستة عشر على الأساطين التى فى الجانب الشرقى ثمانية فى كل صنف، ومنها خمسة على الأساطين التى فى الجانب الشمالى، ومنها خمسة على الأساطين التى فى الجانب الغربى.

وأما عدد شُرُفاته التى تلى بطن المسجد الحرام فهى أربعمائة وثلاث عشرة شرافة، وسبعة أنصاف شرافات، منها فى الجانب الشرقى إحدى وثمانون شرافة ونصف، ومنها فى الجانب الشمالى مائة وخمسة وعشرون شرافة ونصفان، ومنها فى الجانب الغربى سبعة وتسعون شرافة وأربعة أنصاف، ومنها فى الجانب الجنوبى مائة وثمانية وعشرون شرافة، وفى نحو النصف من كل جهة من هذه الأربع جهات شباك بير مخرم من آجُر معقود بالنورة.

وأما الشرافات التى على جدر المسجد الحرام من خارجه، فهى اثنان وخمسون شرافة، منها خمس عشرة شرافة على باب المسجد المعروف بباب العباس، ومنها إحدى عشرة شرافة على باب المسجد المعروف بباب على، ومنها إحدى عشرة شرافة على باب المسجد المعروف بباب بازان بالجانب الجنوبى، ومنها ثلاث شرافات على باب أجياد بالجانب الجنوبى أيضًا، ومنها ستٌ شرافات على الباب الذى يليه، ومنها ستٌّ على الباب الذى يليه أيضًا.

وما ذكرناه من عدد الشراريف مخالف لما ذكره الأزرقى فى ذلك، لأنه قال: الشرافات التى على جدران المسجد الحرام مِن خارجه مائتا شرافة واثنتان وسبعون شرافة. انتهى.

ذكر عدد الشرافات التى بزيادة دار الندوة

وبالجوانب الأربع من هذه الزيادة التى ببطنها اثنتان وسبعون شرافة، فى كل جهة ثمانية عشر، وكلها متساوية فى الشكل، إلا التى فى الأركان فإنها مخالفة لها فى الصفة.

ذكر عدد الشرافات التى بزيادة باب إبراهيم

عدد الشرافات التى بجوانب هذه الزيادة مما يلى بطنها، بضع وأربعون، منها عشر فى الجهة الشرقية، ومنها اثنتا عشرة فى الجنوبية، وكذلك فى الشمالية، وفى الغربية ست فى محاذاة القبة، وبقية الصف خال، والظاهر أنه كان هناك شرافات فتخربت، والله أعلم.

وأما عدد قناديل المسجد الحرام الآن المرتبة فيه غالبًا، فهى ثلاثة وتسعون قنديلاً، بتقديم التاء على السين، منها فى الجانب الشرقى سبعة قناديل، ومنها فى الجانب الشمالى أحد عشر قنديلاً، ومنها فى الجانب الغربى سبعة أيضًا، بتقديم السين على الباء كالجانب الشرقى، ومنها فى الجانب الجنوبى ثمانية قناديل، ومنها فى الدائرة التى حول المطاف ثلاثون قنديلاً، ومنها فى مقام الخليل إبراهيم أربعة قناديل، ومنها فى كل مقام من المقامات الأربعة حول المطاف خمسة قناديل، ومنها قنديل على باب بنى شيبة من خارجه، ومنها ثلاثة بزيادة دار الندوة فى كل جانب، منها قنديل خلا الجانب الشرقى منها، فإنه لا قنديل فيه، ومنها قنديل على باب الزيادة بالجانب الغربى المعروف بباب إبراهيم، من داخله، فهذه القناديل المرتبة فى المسجد الحرام غالبًا، ويزاد فيه فى شهر رمضان من كل سنة ثلاثون قنديلاً فى الداير الذى حول المطاف، ويزاد فى هذا الداير فى كل من المقامات الأربعة.

وفى مقام إبراهيم عدة قناديل فى بعض ليالى العَشْر الأخيرة من رمضان، فى كل سنة عند ختْم المصلين فهذه الأماكن للقرآن الكريم ويزاد فى هذا الدائر فى زمن الموسم نظير ما يزاد فيه فى شهر رمضان، ويزاد فى جوانب المسجد الحرام

الأربعة فى زمن الموسم عدة قناديل، فى سلاسل معلقة فى الرواق الأوسط من هذه الجوانب، وهى التى فيها القناديل المرتبة المشار إليها، إلاّ أن فى الرواق الثالث من الجانب الشمالى الذى يلى زيادة دار الندوة ست سلاسل مفرَّقة.

وفى الرواق الأوسط من هذا الجانب أيضًا تسع سلاسل ــ بتقديم التاء على السين ــ وفى الرواق الأوسط من هذا الجانب الجنوبى عشر سلاسل، وفيه من الجانب الشرقى والغربى سلاسل مقطَّعة، وجميع هذه السلاسل لا قناديل فيها.

وعدد قناديل المسجد الحرام وسلاسله الآن ينقص كثيرًا عما ذكره الأزرقى فى قناديل المسجد الحرام، لأنه ذكر أن فيه من القناديل أربعمائة قنديل وخمسة وستين قنديلاً. انتهى.

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام وأسمائها وصفاتها

للمسجد الحرام الآن تسعة عشر بابًا ــ بتقديم التاء على السين ــ تفتح على ثمانية وثلاثين طاقًا، منها فى الجانب الشرقى أربعة أبواب:

الأول: ثلاث طيقان، وهو الباب المعروف بباب بنى شيبة، ويقال له أيضًا باب السلام.

الثانى: طاقان، ويعرف بباب الجنائز، لأن الجنائز يُخْرَج بها منه فى الغالب.

وذكر الأزرقى أنه باب النبى ﷺ الذى كان يخرج منه ويدخل إلى منــزله دار خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فى زقاق العطارين، وذكر أنه كان طاقا واحدًا، ولم أر متى جُعِل له طاقان، إلاّ أنه كان على ذلك من سنة تسعٍ وسبعين وخمسمائة، لأنّ ابن جبير ذكره هكذا فى أخبار رحلته، وكانت فى هذه السنة.

الباب الثالث: ثلاث طيقان يعرف بباب العباس بن عبد المطلب ﷺ، لأنه يقابل داره بالمسعى، وعرَّفه بذلك أيضًا الأزرقى(١) وسماه ابن الحاج فى منسكه باب الجنائز، لأنه قال لما ذكر صفة السعى: ثم يترل عن الصفا ماشيًا حتى يحاذى العَلَم الأخضر، وهو أول بطن الوادى يسعى سعيًا فى الهرولة حتى يجاوز العَلَم

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٧٨.

الأخضر الذى عند باب الجنائز، وهو آخر بطن الوادى فيمشى على هيَنته حتى يأتى المروة. انتهى. ولعل تسميته له بباب الجنائز لأن الجنائز كان يُصَلَّى عَلَيها فيه، كما ذكره الفاكهى، وذكر أيضًا موضعين غيره من أبواب المسجد الحرام كان يصلَّى عندها على الجنائز، وسيأتى قريبًا إن شاء الله تعالى.

الباب الرابع: ثلاث طيقان أيضًا، ويعرف بباب على، وقد عرفه بذلك ابن جبير لأنه قال: وباب على ﷺ[1]، وعرَّفه الأزرقى بباب بنى هاشم.

وبالجانب الجنوبى سبعة أبواب:

الأول: طاقان، ويقال له باب بازان، لأن عين مكةِ المعروفة ببازان قربه، وعرفه الأزرقى بباب بنى عائذ.

الثانى: طاقان ويُعرف بباب البغلة، بباء موحَّدة وغين معجمة، ولم أدر ما سبب هذه التسمية والشهرة، وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان.

الثالث: باب الصفا لأنه يليه وهو خمسة أبواب، قال الأزرقى: ويقال له اليوم باب بنى مخزوم.

الباب الرابع: طاقان، ويعرف بباب أجياد الصغير، وسماه بذلك ابن جُبير، وسماه أيضًا بباب الخلقيين، قال الأزرقى: ويقال له باب بنى مخزوم.

الباب الخامس: طاقان أيضًا، ويعرف بباب المجاهدية، لأن عنده مدرسة الملك المؤيِّد المجاهد صاحب اليمن، ويقال له باب الرحمة، وما عرفت سبب هذه التسمية، وهو من أبواب بنى مخزوم على ما ذكره الأزرقى.

الباب السادس: طاقان أيضًا، ويعرف الآن بباب مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة، لأنها عنده، قال الأزرقى: ويقال لهذا الباب باب بنى تيم.

البالب السابع: طاقان ويعرف الآن بباب أم هانئ بنت أبى طالب، وعرفه بذلك الأزرقى، ويقال له الآن أيضًا باب الملاعبة لأنه بحذاء دار تُنسب للقواد تسمى الملاعبة.

---

(١) رحلة ابن جبير ــ ص٨٢.

ووجدتُ بخط الشيخ أبي طية محمد بن أحمد بن أمين الآقشهرى، نزيل الحرمين الشريفين تعريف هذا الباب بباب الفرج.

وبالجانب الغربى: ثلاثة أبواب:

الأول: طاقان ويعرف بباب عزورة وهى الحَزْوَرَة التى صُحِّفَت بهذه اللفظة كما سبق بيانه، قال الأزرقى: ويقال له باب بنى حكيم بن حِزَام وبنى الزبير بن العوام، والغالب عليه باب الحزامية، لأنه يلى الحزامية.

الثانى: طاق واحد كبير يقال له باب إبراهيم فى الزيادة التى بهذا الجانب، وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب خياط كان عنده على ما قيل، كما ذكر ذلك أبو عُبَيد البكرى فى كتابه «المسالك والممالك» وذكر أن العوام نسبوه إليه.

ووقع للحافظ أبى القاسم بن عساكر وابن جُبَير وغيرهما من أهل العلم ما يقتضى أن إبراهيم المنسوب إليه هذا الباب هو إبراهيم الخليل عليه السلام، وذلك بعيد لأنه لا وجه لنسبته إليه، والله أعلم.

الباب الثالث: طاق واحد، ويُعرف بباب العمرة، لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه فى الغالب، وذكر تسميته بباب العمرة ابن جُبَير فى رحلته، والمحب الطبرى فى «القرى» وسماه الأزرقى بباب بنى سهم.

وبالجانب الشمالى، ويقال له الشامى، خمسة أبواب:

الأول: طاق واحد ويُعرف بباب السدة، وسمَّاه بذلك ابن جبير فى رحلته، وغيره، ويقال له على ما ذكر الأزرقى باب عمرو بن العاص رضي الله عنه.

الثانى: طاق واحد ويُعرف بباب العجلة لكونه عند دار العجلة.

الثالث: طاق واحد بزيادة دار الندوة فى ركنها الغربى.

الرابع: طاقان بالزيادة المذكورة فى جانبها الشامى.

الخامس: طاق واحد يعرف بباب الدريبة عند المنارة التى عند باب بنى شيبة.

فهذه أبواب المسجد الحرام الآن وأسماؤها... وقد ذكر الأزرقى رحمه الله عدد أبوابه وصفاتها وأسماءها، وقد تغير بعده كثير من ذلك فى العدد والصفة والتسمية.

أما العدد فلأنه ذكر أنها ثلاثة وعشرون بابًا، فيها ثلاثة وأربعون طاقًا.

وأما الصفة فلأن بعض الأبواب التى ذكرها زال عن مكانه، وذلك أربعة أبواب بالجانب الغربى وأربعة أبواب بالجانب الشامى، وبعضها تغيرت صفته مع بقائه على مكانه، وأما التسمية فلأنه لا يُعرف منها الآن ما ذكره الأزرقى إلاّ خمسة أبواب: باب بنى شيبة وباب العباس وباب الصفا وباب أم هانئ وباب العجلة، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب كلامه بنصه وبيَّنا ما فيه، مع ما ذكره ابن جبير فى أبواب المسجد الحرام وأسمائه ولم يذكر ابن جبير فيها باب بنى سفيان.

ولم أذكر فى أبواب المسجد الحرام أبواب الدور التى فى المسجد، وإن كان الأزرقى ذكرها لأنها أبواب للدور لا للمسجد، وفى غالب هذه الدور أبواب صغار يخرج منها إلى سطح المسجد، وكانت سُدَّت قبيل سنة ثمانمائة أو فيما بعدها خسمًا لمادَّة مفاسد تقع فى سطح المسجد، ثم فُتحت واستمرت إلى الآن، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم.

ولْنُشِر إلى أبواب المسجد الحرام التى ذكر الفاكهى أن فيها كان يُصَلَّى على الجنائز، وهى: باب بنى شيبة وباب العباس وباب الصفا.

قال الفاكهى: وكان الناس فيما مضى من الزمان يصلون على الرجل المذكور فى المسجد الحرام. انتهى. ومراده بالمذكور المشهور، والناس اليوم يصلُّون على الموتى جميعًا داخل المسجد الحرام، إلاّ أن المذكور من الناس يصلون عليه عند باب الكعبة، ويذكر أنهم كانوا إنما يصلون عند باب الكعبة على الأشراف وقريش، وأدركناهم يصلون عند باب الكعبة على غيرهم من الأعيان، وبعض الناس تشاحح فى ذلك بالنسبة لغير قريش والأشراف، وتشاحح أيضًا فى إخراج غيرهم، وإن عظُم قدره من باب بنى شيبة، ولم أر فى الخروج بالموتى من باب بنى شيبة شيئًا يُستأنس به، وعندى أن الخروج بالموتى من المسجد من الباب المعروف بباب الجنائز أولى، لأنه كان طريق النبى ﷺ من منزل زوجته أم المؤمنين خديجة إلى المسجد الحرام، ولذلك قيل له: باب النبى ﷺ.

وأما الصلاة على الموتى عند باب الكعبة فرأيت فيه خبرًا ذكره الأزرقى يقتضى أن آدم صُلِّى عليه عند باب الكعبة، والذين لا يُصَلَّى عليهم عند باب الكعبة يُصَلَّى عليهم خلف مقام إبراهيم عند مقام الشافعى، وبعضهم يصلَّى عليه عند باب الحزورة، وهم الفقراء الطرحاء، وذلك داخل المسجد الحرام أمام الرواق، لكون ذلك بالقرب من الموضع الذى يغسلونهم فيه، وكونه إلى موضع دفنهم أقرب.

ذكر منائر المسجد الحرام

للمسجد الحرام الآن خمس منائر، منها أربع فى أركانه وواحدة فى زيادة الندوة، وذكر ابن جبير أنه كان بالمسجد الحرام سبع منائر عدَّ فيها هذه الخمسة، ثم قال: وأخرى على باب الصفا وهى أصغرها، وهى علم لباب الصفا وليس يُصعد عليها لضيقها، قال: وعلى باب إبراهيم صومعة[١]. انتهى.

وهذه الصومعة هى التى يقال لها الآن: خزانة القاضى نور الدين على النويرى، وأعلاها الآن منهدم، هدمه بعض أمراء مكة لإشرافها على داره على ما قيل، والله أعلم.

وعمَّر أبو جعفر المنصور من منائر المسجد الحرام منارة باب العمرة، وعمَّر ابنه المهدى منها المنارة التى على باب بنى شيبة، والمنارة التى على باب على، والمنارة التى على باب الحزورة، وعمر الجواد جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور الأصفهانى وزير صاحب الموصل منائر المسجد الحرام على ما ذكره بعض مشايخنا، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وأخبرنى من أعتمده أنه رأى اسمه مكتوبًا فى منارة باب العُمْرة، بما معناه أنه أمر بعمارتها فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وعُمرت منارة باب الحزورة فى زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب مصر[٢]، وكانت سقطت فى سنة

---

(١) رحلة ابن جبير، ص٦٦ — ٦٧.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الموصل» وهو تحريف قبيح جدا، صوابه من الأصل.

إحدى وسبعين وسبعمائة، وسلم الناس منها، فوصل المعمِّرون لعمارتها فى موسم هذه السنة، وفُرِغ منها فى المحرَّم مفتتح شهور سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، وعُمِّرت منارة باب بنى شيبة فى زمن مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق، وذلك بعد أن سقطت فى آخر شعبان سنة تسع وثمانمائة، وابتدئ فى عمارتها سنة عشر، ولم يكمل بناؤها إلاَّ فى آخر ذى القعدة من السنة التى بعدها، واستُحْسِنَت عمارتها.

وذكر الفاكَهى منائر المسجد الحرام الأربعة التى بجوانبه الأربعة، وبدأ بذكرها بمنارة باب بنى سهم، ثم بمنارة باب الحزورة، ثم بالمنارة التى فيها الميل التى يهرول الساعى بين الصفا والمَرْوة عنده، ثم بمنارة باب بنى شيبة؛ وذكر الفاكهى أن فى منارة باب بنى سهم يؤذن صاحب الوقت بمكة[1]، ومراده بصاحب الوقت، والله أعلم، الذى يقال له فى هذا الزمان رئيس المؤذنين، وهذا يخالف ما عليه الناس اليوم بمكة، لأن منارة صاحب الوقت الآن هى منارة باب بنى شيبة، وذكر الفاكهى أن فى منارة باب الحزورة يسحّر المؤذن فى شهر رمضان، ولم يذكر أن ذلك يُصنّع فى غيرها، فدل ذلك على أن اختصاصها به، والذى عليه المؤذنون الآن بمكة أنهم يسحرون فى جميع منائر المسجد الحرام الخمس، وإنما لم يذكر الأزرقى والفاكهى المنارة الخامسة التى بزيادة دار الندوة لحدوثها بعدهما.

ونختم هذه الترجمة بمنائر فى غير المسجد الحرام كان يؤذّن فيها بمكة وظاهرها، ذكرها الفاكهى، ونص ما ذكره الفاكهى: ذِكْر عدد المنارات التى على رءوس الجبال بمكة: وكان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذنون على رءوس الجبال، وإنما كان الأذان فى المسجد الحرام وحده، فكان الناس تفوتهم الصلاة من كان منهم فى فجاج مكة، ونائيًا عن المسجد، حتى كان فى زمن أمير المؤمنين هارون، فقدم عبد الله بن مالك أو غيره من نُظرائه بمكة، ففاتته الصلاة ولم يسمع الأذان، فأمر أن يُتَّخَذَ على رءوس الجبال منارات تشرف على فجاج مكة وشعابها، يؤذّن فيها للصلوات، وأجرى على المؤذنين فى ذلك أرزاقًا، ولعبد الله بن مالك الخزاعى على جبل أبى قبيس المشرف على المسجد الحرام منارة على القبلة بعينها، ومنارة

---

(١) الفاكهى ٢/ ٢٠٣.

أخرى بحذائها مشرفة على أجيّاد، ومنارة إلى جنب المنارة التى على القبلة، وأخرى تحتها، فتلك أربع منارات، ولعبد الله بن مالك منارة على جبل مرازم المشرف على شِعْب ابن عامر، وجبل الأعرج، ثم أمر بُغا مولى أمير المؤمنين الذى يُكْنَى بأبى موسى بمنارة على رأس الفلق، فبُنيت به، ولعبد الله بن مالك منارة أيضًا تشرف على الحزرة، وله هناك منارتان على جبل تفاحة.

ولعبد الله بن مالك منارة على رأس الجبل الأحمر، بناها على موضع منه، يقال له الكبش مرتفع على جبل الأحمر وعليه منارة لبغا أيضًا.

ولعبد الله بن مالك منارة على جبل خليفة بن عمر البكرى ومعها منارة لبُغا أيضًا، ولعبد الله على كُدَىّ منارة تشرف على وادى مكة، ولِبُغا منارة على جبل المقبرة، وله أيضًا منارة على جبل الحزورة، وله منارتان على جبل عمر بن الخطاب، وعلى جبل الأنصار الذى يلى أجياد منارة، وله منارة على ثنية أم الحارث، تشرف على الحصحاص، ولبُغا منارة على جبل معدان، مشرفة على حائط خرمان، وله أيضًا منارة تشرف على الخضراء، وبئر ميمون، ولبُغا منارة أيضًا بمنى عند مسجد الكبش، فكانت هذه المنارات عليها قوم يؤذنون فيها للصلوات وتُجرَى عليهم الأرزاق فى كل شهر، ثم قُطع ذلك عنهم، فترك ذلك بعضهم، وبقى منها منارات يؤذّن عليها، يُجرى على من يؤذن فيها: عبد العزيز بن عبد الله السهمى اليوم. انتهى.

وقد تُرك الأذان على جميع هذه المنارات فى عصرنا، إلاَّ أن فى شهر رمضان يسحر جماعة من الناس على جبال بمكة، فى كل جبل إنسان، ويؤذن كلٌّ منهم فى الجبل الذى يسحِّر عليه، وهى: جبل أبى قبيس، والجبل الذى على القرارة المعروف بِلَعْلَعْ، وفى الجبل الأحمر، ويقال له جبل الحارثى نسبة إلى مؤذن كان يسحِّر فيه ويؤذِّن، وللمؤذنين على هذه الجبال جامكية يسيرة تصل من مصر مع ما يصل لمؤذنى المسجد الحرام وأرباب الوظائف به.

ذكر ما صُنع فى المسجد الحرام لمصلحته أو لنفع الناس به

مما صُنع فى المسجد الحرام لمصلحته قبة كبيرة بين زمزم وسقاية العباس ﷺ، لحفظ الأشياء الموقوفة لمصالح المسجد، وما فيه من الرَّبْعات والمصاحف الشريفة، منها مصحف عثمان ﷺ على ما يقال، وفيها ما يقتضى أنها عُمرت فى زمن الناصر العباسى، وكانت موجودة قبل ذلك على ما ذكر ابن عبد ربه فى «العقْد»[١] وقد تقدم أنه توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وذكرها ابن جُبَير فى أخبار رحلته، وذكر أنها تُنْسَب لليهودية[٢] ولم يبين سبب هذه التسمية والنسبة، وعُمِّر بعضها فى سنة إحدى وثمانمائة.

ومن ذلك المِزْوَلَة التى بصحن المسجد الحرام، وهى من عمل الوزير الجواد، واسمه مكتوب فى اللوح النحاسى المعمول لمعرفة الوقت، وهو بأعلى هذه المزولة، ويقال لها أيضًا ميزان الشمس، وبينها وبين ركن الكعبة الشامى الذى يقال له العراقى ثلاثة وأربعون ذراعًا، بذراع الحديد وثُمن ذراع.

ومنها ظلة للمؤذنين فى سطح المسجد، تُظِلّهم من الشمس، ذكرها الأزرقى[٣] ولا أثر لها الآن.

ومنها فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام، عملها خالد بن عبد الله القَسْرى فى ولايته لمكة بأمر سليمان بن عبد الملك، وساق إليها ماء عذْبًا ضاهى به زمزم، وقيل: إنه عمل ذلك بأمر الوليد بن عبد الملك، ذكر هذا القول السهيلى، والأول ذكره الأزرقى[٤]، ثم بطُلَتْ فلم يبق لها أثر، وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أبطلها داود بن على العباسى لما قدم مكة واليًا عليها لابن أخيه أبى العباس السفاح.

---

(١) العقد الفريد ٦/ ٢٥٨.

(٢) رحلة ابن جبير ص٦٤.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٩٩.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٦٠.

ومما جُعل فى المسجد الحرام لينتفع الناس بذلك، المنابر التى يُخْطَب عليها، وأول من خطب على منبر مكة معاوية بن أبى سفيان، وهو منبر صغير على ثلاث درجات، قدم به من الشام لما حج، وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة قيامًا على أرجلهم فى وجه الكعبة وفى الحِجْر، وكان منبر معاوية يُعمَّر إذا تخرب، ولم يزل يُخطَب عليه حتى حج هارون الرشيد، وأُهدِى له منبر منقوش عظيم فى تسع درجات، أهداه له عامله على مصر موسى بن عيسى، فكان منبر مكة، وجُعل المنبر القديم بعرفة، ثم أمر الواثق العباسى بعمل منبر بمكة، ومنبر بمنى ومنبر بعرفة، هذا ما ذكره الأزرقى من خبر المنابر.

وذكر الفاكهى ذلك، وزاد أن المنتصر بن المتوكل العباسى لما حج فى خلافة أبيه، جعل له منبرًا عظيمًا فخطب عليه بمكة، ثم خرج وخلَّفه بها. انتهى.

وجُعل بعد ذلك عدة منابر للمسجد الحرام، منها: منبر عمله وزير المقتدر العباسى، وكان منبرًا هائلاً استقام بألف دينار، ولما وصل إلى مكة أحرق، لأنه كان بعث به ليخطب عليه للخليفة المقتدى، فمنع من ذلك المصريون، وخطبوا للمستنصر العُبَيْدى صاحب مصر، وأحرقوا المنبر المشار إليه.

ومنها منبر عُمل فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر فى سنة ستٍّ وستين وسبعمائة.

ومنها منبر بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فى سنة سبعٍ وتسعين وسبعمائة، وهو باق يخطب عليه الخطباء إلى تاريخه وأُصلح بعد وصوله إلى مكة غير مرة، ومنها منبرٌ حسن أنفذه الملك المؤيَّد صاحب مصر فى موسم سنة ثمان عشرة وثمانمائة؛ فخُطب عليه فى سابع ذى الحجة[(١)]، وهُجرت الخطبة على الذى قبله، وأنفذ معه درجة حسنة للكعبة، فنُصبت للرُّقى عليها إلى الكعبة وأُعرض عن التى قبلها، وكانت عُملت فى سنة ستٍّ وستين وسبعمائة من قبَل الأشرف شعبان صاحب مصر، وكان مدة الرقى عليها إلى الكعبة اثنتين وخمسين سنة أو تزيد قليلاً، وكان مدة الخطبة على المنبر الذى عُمل فى دولة الأشرف إحدى وثلاثين سنة أو تزيد قليلاً، والله أعلم.

---

(١) إتحاف الورى ٥٢٨.

ذكر صفة المقامات التى هى الآن بالمسجد الحرام ومواضعها منه

أما صفة المقامات فإنها غير مقام الحنفى أسطوانتان من حجارة، عليها عقْد مشرف من أعلاه، وفيه خشبة معترضة، فيها خطاطيف للقناديل، وما بين الأسطوانتين من مقام الشافعى لا بناء فيه، وما بينهما من مقام المالكى والحنبلى مبنى بحجارة مبيضة بالنُّوْرة، وفى وسط هذا البناء محراب، وكان عمل هذه الثلاثة المقامات على هذه الصفة فى سنة سبعٍ وثمانمائة[(١)] رغبة فى بقائها، فقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب.

وأما صفة مقام الحنفى الآن فأربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلا السقف مما يلى السماء مدكوك بالآجُر مطلى بالنَّوْرَة، وبين الأسطوانتين المتقدمتين بناء فيه محراب مرخم، وكان ابتداء عمله على هذه الصفة فى شوال، وفى ذى القعدة من سنة إحدى وثمانمائة، وفرغ منه فى أوائل سنة اثنتين وثمانمائة[(٢)].

وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء من مشايخنا وغيرهم، منهم العلامة زين الدين الفارسكورى الشافعى، وألف فى ذلك تأليفًا حسنًا، ثم أخبرنى بالقاهرة فى أوائل سنة اثنتين وثمانمائة أن شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، وابنه سيدنا ومولانا قاضى القُضاة[(٣)] بالديار المصرية الآن شيخ الإسلام جلال الدين، أبقاه الله ورحم سلفه، وقضاة القضاء بالديار المصرية فى هذه السنة أفتوا بهدم هذا المقام، وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة، وأن ذلك جنحة فيه، وأن ولى الأمر بمصر رسم بهدمه، فعارض فى ذلك بعض ذوى الهوى فتوقف فى ذلك.

وسبب الإنكار فى بناء هذا المقام ما حصل فيه من كثرة شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه فى الليالى الحارة لأجل سقفه إلا بمشقة فادحة، وما يتوقع من إفساد أهل اللهو فيه، لأجل سترته لهم وغير ذلك.

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٤٤٢.
(٢) إتحاف الورى ٣/ ٤١٢.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «القضاء» وصوابه من الأصل.

وأما مواضعها فى المسجد الحرام فإن مقام الشافعى خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام والحنفى بين الركنين الشامى والغربى والمالكى بين الركن الغربى واليمانى والحنبلى تجاه الحجر الأسود.

ذكر ذرْع ما بين كل من هذه المقامات وبين الكعبة

أما مقام الشافعى فبينه وبين جدار الكعبة الشرقى تسعة وثلاثون ذراعًا ونصف ذراع بذراع الحديد، وبينه بين الأسطوانتين المؤخَّرتين من ساباط مقام إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع ونصف.

وأما مقام الحنفى فإن من جدار محرابه إلى وسط جدار الحِجْر اثنين وثلاثين ذراعًا إلا سُدُس ذراع، وقد تقدم فى الباب السابع فى أخبار الحَجْر مقدار ما بين جدار داير الحِجْر من داخله إلى جدار الكعبة، وعرض جدار الحِجْر، فأغنى ذلك بما نذكره هنا، ومن جدار محرابه إلى حاشية المطاف عشرة أذرع ونصف بالعتبة، وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان.

وأما مقام المالكى فإن من جدار المحراب إلى حاشية المطاف بالعتبة عشرة أذرع وثلث.

وأما مقام الحنبلى فإن من جدار محرابه إلى الحجر الأسود ثمانية وعشرين ذراعًا إلا ثُلثًا بعتبة الحاشية، والذراع المحرر به هو ذراع الحديد، وكان تحرير ذلك بحضورى، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب ارتفاع هذه المقامات وذرعها بزيادة فائدة فى ذلك.

ذكر كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات وحكم صلاتهم بها

أما كيفية صلاتهم فإنهم يصلون مُرَتَّبين(١) الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى، وذكر ابن جبير ما يقتضى أن المالكى كان يصلى قبل الحنفى(٢) وأدركناه

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «مرتين» وصوابه لدى ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف ١٨٩.
(٢) رحلة ابن جبير ص٧٨.

كذلك، ثم تقدم عليه الحنفى بعد التسعين ـــ بتقديم التاء على السين ـــ وسبعمائة، واضطرب كلام ابن جبير فى الحنفى والحنبلى، لأنه ذكر أن كلاً منهما يصلى قبل الآخر، وهذا كله فى غير صلاة المغرب، وأما هى فإنهم يصلونها جميعًا فى وقت واحد؛ وسبب اجتماعهم فى هذه الصلاة أنه يحصل للمصلين لَبْسٌ كثير بسبب التباس أصوات المبلغين، واختلاف حركات المصلين، وهذا الفِعْل ضلال فى الدين لِما فيه من المنكرات التى لا تخفى إلا على من غلب عليه الهوى، ولم يزل العلماء ينكرون ذلك قديمًا وحديثًا، نسأل الله زوال البدعة، ثم زالت هذه البدعة بسعْى جماعة من أهل الخير فيها عند ولى الأمر، أثابهم الله تعالى، وذلك أن فى موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ورد أمر السلطان الملك الناصر فرج ـــ نصره الله تعالى ـــ بأن الإمام الشافعى بالمسجد الحرام يصلى المغرب بمفرده دون الأئمة الباقين، فنفذ أمره الشريف بمكة كما رسم به.

واستمر هذا الحال إلى أن ورد أمر الملك المؤيَّد أبى النصْر شيخ صاحب مصر بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا يصلون قبل ذلك، ففعلوا ذلك، وأول وقت فُعِل فيه ذلك ليلة السادس من ذى الحجة من سنة ست عشرة وثمانمائة، وكذلك تجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعى على صلاة العشاء فى رمضان، ويجتمع أيضًا هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام فى صلاة التراويح فى المسجد، ويحصل بسبب اجتماعهم فى ذلك المنكر القبيح الذى كان يقع دائمًا فى صلاة المغرب وأعظم، لكثرة الأئمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما حكم صلاة الأئمة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى فى الفرائض على الصفة التى يصفونها، فاختلف فيه آراء علماء المالكية، لأن الشيخ الإمام أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الجَبَّاب[1] المالكى أفتى فى سنة خمسين وخمسمائة بمنع

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن الحباب» بالحاء المهملة، وصوابه لدى المصنف فى الزهور المقتطفة ص١٤٢ مطبوع، وص٧٠ مخطوط.

الصلاة بأئمة متعددة وجماعات مترتبة بحرم الله تعالى، وعدم جوازها على مذهب العلماء الأربعة.

ثم إن بعض الناس استفتى فى ذلك بعض علماء الإسكندرية، فأفتوا بخلاف ما رآه ابن الجَبَّاب، والذى أفتى بذلك شداد بن المقدم وعبد السلام بن عتيق والشيخ أبو الطاهر بن عوف بن الزُّهْرى.

ولما وقف ابن الجباب على فتاويهم أملى فى الرد عليهم أشياء كثيرة حسنة، ونقل إنكار ذلك عن جماعة من العلماء الشافعية والحنفية والمالكية حضروا الموسم بمكة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، فمن الشافعية أبو النجيب مدرس النظامية، ويوسف الدمشقى صاحب أسعد المِيهَنى[1]، ونقل عنهما أنهما قالا: وأما صلاة المغرب فهى أشنع وأبشع، وحضره العطارى فى بقية فقهاء نيسابور، ومحمد بن جعفر الطائى يعنى صاحب الأربعين، ومن الحنفية الشريف الغزنوى، ومن المالكية عمر المقدسى؛ وأقام الدلالة على فسادها وأنها مخالفة لرأى مالك وأصحابه، وذكر ابن الجباب: أن أبا بكر الطرسوسى ويحيى الزياتى شيخ شداد بن المقدم لم يصليا خلف إمام المالكية بالحرم الشريف ركعة مع كونه مغموصًا عليه قال: ولا شىء أقبح من جهل الإنسان بحال شيوخه.

وأما وقت حدوثهم فلم أعرفه تحقيقًا ورأيت ما يدل على أن الحنفى والمالكى كانا موجودين فى سنة سبعٍ وتسعين وأربعمائة، وأن الحنبلى لم يكن فيه موجودًا، وذلك لأن الحافظ أبا طاهر السِّلفى حج فى هذه السنة، ورأى فيها أبا محمد القزوينى[2] المقرئ إمام مقام الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام، وذكر أنه أول من يصلى من أئمة الحرم المقدس قبل: المالكية والحنفية والزيدية. انتهى.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «البهق» وصوابه من الأصل وطبقات السبكى ٧/ ٢٨.

(٢) فى المطبوعتين: «أبا محمد بن العرضى القروى» والمثبت رواية الأصل.

ووجه الدلالة من هذا على ما ذكرناه من أن الحنبلى لم يكن موجودًا فى هذه السنة عدم ذكر السِّلَفى له وذِكْره لإمام الزيدية، ولو كان الحنبلى موجودًا حينئذ لذكره السِّلَفى، فإنه أولى بالذكر من إمام الزيدية، والله أعلم، ورأيت ما يدل على أنه كان موجودًا فى عُشْر الأربعين وخمسمائة، وقد ذكرت ذلك فى أصل هذا الكتاب، والله أعلم، وكان بعض المتعصبين على الحنابلة قطع حطيمهم من مكة، لأن أبا المظفَّر سِبْط أبى الفرج ابن الجوزى قال فى كتابه «مرآة الزمان»: إن مرجان خادم المقتفى العباسى بعد أن ذكر عنه أنه قال قصدى أن أقلع مذهب الحنابلة لأنه لما حج قلع الحطيم الذى كان لهم بمكة؛ وبطل إمامتهم بها، وبالغ فى أذاهم. انتهى.

الباب العشرون

في ذكر شيء من خبر زمزم
وسقاية العباس رضي الله عنه

ذكر حفر بئر زمزم وعلاجها

أول من أظهر زمزم على وجه الأرض جبريل عليه السلام عند ظمأ إسماعيل عليه السلام سقيًا من الله تعالى، واختلفت الروايات فى كيفية صنع الأمين جبريل حين أخرج ماء زمزم، ففى رواية بحث بعقبه، وفى رواية همز بعقبه، وهاتان الروايتان فى «صحيح البخارى».

ولما أظهر الله ماء زمزم لإسماعيل حوضت عليه أمه هاجر خشية أن يفوتها قبل أن تملأ منه شنّتها، ولو تركته لكان عينًا تجرى، على ما رويناه عن النبى ﷺ فى الصحيح.

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن الخليل عليه السلام حفر زمزم، وقصته كانت بينه وبين ذى القرنين فى زمزم، لأنه قال: حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى، قال: حدثنا سعيد بن سالم قال: حدثنا عثمان بن ساج قال: بلغنا فى الحديث المأثور عن وهب بن منبه قال: كان بطن مكة ليس فيه ماء، وليس لأحد فيه قرار، حتى أنْبط الله لإسماعيل زمزم، فعمرت يومئذ مكة، وسكنها من أجل الماء قبيلة من اليمن يقال لهم جُرْهُم، وليست من عاد كما يقال، ولولا الماء الذى أنبطه الله تعالى لإسماعيل من عمارة لم يكن لأحد بها يومئذ مقام[1].

قال عثمان وذكر غيره: أن زمزم تُدْعَى سابق، وكانت وطأة من جبريل، وكانت سقياها لإسماعيل يوم فرج له عنها جبريل، وهو يومئذ وأمه عطشانان، فحفر إبراهيم بعد ذلك البئر، ثم غلبه عليها ذو القرنين، وأظن أن ذا القرنين كان سأل إبراهيم أن يدعو الله له، فقال: كيف وقد أفسدتم بئرى؟ فقال ذو القرنين: ليس عن أمرى كان، ولم يخبر أحدًا أن البئر بئر إبراهيم، فوضع السلاح وأهدى

---

(١) كذا بالأصل ومثله لدى الفاكهى ٥/ ١٢٢ الذى ينقل عنه المصنف، وفى متن طبعة الذهبى: «لإسماعيل لما أراد من عمارة بيته لم يكن لأحد بها يومئذ مقام» وبالهامش: فى طبعة تدمرى: «لإسماعيل من عمارة لم يكن» وهو غير مفهوم.

قلت: بل المفهوم رواية التدمرى ومثلها لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف، وهى المثبتة هنا.

إبراهيم إلى ذى القرنين بقرًا وغنمًا، فأخذ إبراهيم سبعة أكبُش، فأقرهم وحدهم، فقال ذو القرنين: ما شأن هذه الأكبش يا إبراهيم؟ فقال إبراهيم: هؤلاء يشهدون فى يوم القيامة أن البئر بئر إبراهيم(١). انتهى.

وفى حاشية كتاب الفاكهى فى هذا الحديث مكتوب ما صورته عطاشًا ما أقرأ عبد الله بن عمران عطاشًا، قال أبو عبد الله: والصواب عطشانان(٢). انتهى.

ولم تزل ماء زمزم ظاهرًا ينتفع به سكان مكة، إلى أن استخفّت جُرْهُم بحُرْمة الكعبة والحرم، فدُرِس موضعه ومرت عليه السنون عصرًا بعد عصر، إلى أن صار لا يُعرف.

وقيل إن جُرْهُمًا دفنتها حين نفيت من مكة، ذكره الزبير بن بكار وغيره، والله أعلم، ثم بوّأه الله تعالى لعبد المطلب بن هاشم جد النبى ﷺ لما خصه الله به من الكرامة فأتى فى المنام وأمر بحفرها، وأعلمت له بعلامات استبان بها موضع زمزم فحفرها، وكان حفره لها قبل مولد النبى ﷺ، لأنا روينا من حديث على بن أبى طالب ﷺ أن جده عبد المطلب حين حفر زمزم لم يكن له ولد سوى ابنه الحارث، روينا ذلك عنه فى سيرة ابن إسحاق(٣) بسند رجاله ثقات.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن الزهرى ما يقتضى أن حفر عبد المطلب لزمزم كان بعد مولد النبى ﷺ لأن الأزرقى روى بسنده إلى الزهرى أن حفر عبد المطلب لزمزم كان بعد الفيل(٤) والنبى ﷺ وُلد عام الفيل على الصحيح، والله أعلم.

وروينا فى مُسْنَد البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أبو طالب يعالج زمزم، وكان النبى ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام، وإسناد هذا الحديث ضعيف، وبتقدير صحته، فعلاج أبى طالب غير علاج عبد المطلب، لأن حديث على ﷺ يقتضى أن النبى ﷺ وأبا طالب لم يكونا موجودين حين حفر عبد

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٢٢.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٢٢.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٤٦.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٤٢.

المطلب زمزم، لأنه ذكر فيه أنه لم يكن لعبد المطلب حين حفرها ابن غير ابنه الحارث، والله أعلم.

ذكر علاج زمزم فى الإسلام

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه أنه قال: ثم كان قد قل ماؤها جدًّا، حتى كانت تجم فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وأربع وعشرين مائتين قال: وخرب فيها تسعة أذرع سحًّا فى الأرض فى تقرير جوانبها، ثم قال: وقد كان سالم بن الجراح قد ضرب فيها فى خلافة الرشيد أذرعًا، وكان قد ضرب فيها فى خلافة المهدى أيضًا، وكان عمر بن ماهان وهو على البريد والصوافى فى خلافة الأمين محمد بن الرشيد قد ضرب فيها، وكان ماؤها قد قل حتى كان رجل يقال له محمد بن مشير[1] من أهل الطائف يعمل فيها، قال: فأنا صليت فى قعرها[2]. انتهى باختصار.

ذكر ذرْع بئر زمزم وما فيها من العيون وصفة الموضع الذى هى فيه الآن

وأما ذرْعها فذكره الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: كان ذرع غور زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعًا، وفى قعرها ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبى قبيس والصفا، وعين حذاء المروة، وذكر ذلك الفاكهى[3].

وذكر الفاكهى خبرًا فيه أن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال لكعب الأحبار: فأى عيونها أغزر؟ قال: العين التى تخرج من قِبَل الحِجْر، قال: صدقت[4]. انتهى.

---

(١) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «بشير» وصوابه من الأصل والأزرقى.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٦١.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٧٤.
(٤) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٣٠، ٣١.

وبه إلى الأزرقى قال: فَغَوْرُها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعًا، ذلك كله بنيان، وما بقى فهو جبل منقور، وهو تسعة وعشرون ذراعًا[١].

قلت: هذا مخالف لما تقدم فى غَوْرِها، والله أعلم بالصواب.

وبه إلى الأزرقى قال: وذَرْع حنك[٢] زمزم فى السماء ذراعان وشبر، وذَرْع تدوير فم زمزم أحد عشر ذراعًا، وسعة فم زمزم ثلاثة أذرُع وثلثا ذراع[٣]. انتهى.

وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضورى ارتفاع فم زمزم عن الأرض وسعته وتدويره فكان ارتفاع فمها فى السماء ذراعين إلا ربعًا، وسعته أربعة أذرع ونصف، وتدويره خمسة عشر ذراعًا إلا قيراطين، كل ذلك بذراع الحديد المشار إليه.

وأما صفة الموضع الذى فيه زمزم، فهو بيت مربع، وفى جدرانه تسعة أحواض للماء، يُملآن من بئر زمزم، فيتوضأ الناس منها، إلا واحدًا منها معطلاً، وفى الحائط الذى يلى الكعبة شبابيك، وهذا البيت مسقوف بالساج، ما خلا الموضع الذى يحاذى بئر زمزم، فإنما عليه شباك خشب، ولم أدر من عمل هذا الموضع على هذه الصفة، وهى غير الصفة التى ذكرها الإمام الأزرقى فيه.

وكانت ظلة المؤذنين التى فوق البيت الذى فيه بئر زمزم قد خربت لأكل الأرَضَة لأساطينها الخشب، والأَرَضَة دابة صغيرة كنصف العدسة، تأكل الخشب وتفسده كثيرًا، فشُدَّت الظلة المذكورة بأخشاب تمنعها من السقوط فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، فلما كان السابع من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة هُدمت الظلة المذكورة وأزيل المقرنص الخشبى الذى كان تحتها لِيُصْلَح والدرابزين الذى كان يطيف بها، وبسطح البيت الذى فيه بئر زمزم، فوجد الخشب المقرنص خرابًا لأكل الأرضة له، فاقتضى الحال قلْعه، وأن يُبنى فوق

---

(١) الأزرقى ٢/ ٦١.
(٢) أى ارتفاعه
(٣) الأزرقى ٢/ ٦١.

الجدار الذى يلى الكعبة والجدار الذى يلى مقام الشافعى والجدار الذى يلى الخلوة التى إلى جانب هذا البيت أساطين دقيقة من آجُر بالنَّوْرَة لئلا تفسدها الأرضة كما أفسدت الأساطين الخشب قبلها، ليعمل عليها ظلة للمؤذنين، وأن يقوّى الجدار الغربى من هذا البيت الذى فيه زمزم، وهو الجدار الذى يلى الكعبة، وأن يقوى الجدار الشامى من هذا البيت، وهو الجدار الذى يلى مقام الشافعى بزيادة بناء فى عرضها.

فسلخ الجدران المشار إليها من أعلاها إلى الأرض، وأوسعوا فى أساس الجدار الذى يلى الكعبة نحو ذراع باليد، وذلك لإحكام البناء، ونزلوا به فى الأرض نحو قامة.

وبنوا ذلك مخالطًا للأساس الأول، ووجدوا الأساس الذى يلى مقام الشافعى عريضًا محكم البناء، فبنوا عليه، وأكملوا بناء ما سُلخ من الجدارين حتى اتصل ذلك بالسقف.

وعملوا فى كلٍّ من الجدارين ثلاثة عقود بالنَّوْرَة، وفيما بين كل عقد من العقود التى فى الجدار الذى يلى الكعبة أسطوانة دقيقة من رخام مشدودة بالرصاص.

وتركوا لها محلاً خاليًا من البناء فى الجدار المذكور، وأوسعوا فى الشبابيك التى فى هذين الجدارين وفى الأحواض التى فى هذين الجدارين من داخل البيت لاتساع عرض الجدارين، وبنوا عليهما بحجارة منحوتة كبار يقال لها الفصوص، وبنوا ما فوق العقود بحجارة غير منحوتة، وكل ذلك بالنَّوْرَة.

وسلخوا من الجدار الشرقى من البيت الذى فيه زمزم أيضًا ما فوق العتبة العليا من هذا الجدار إلى أعلاه، وبنوا ذلك بالنَّوْرَة والآجُر، وبنوا بهما أسطوانتين فوق هذا الجدار الشرقى يشدان الدرابزين الخشب المخروط الذى يكون فى ذلك، ولم يكونا قبل ذلك، وكشفوا سقف هذا البيت وأخرجوا من ذلك ما كان متخربًا من الخشب، وعوّضوا عنه بخشب جديد.

وبنوا فوق الجدار الغربى من هذا البيت ثلاث أساطين دقيقة من آجُر بالنَّوْرة، وبنوا أسطوانتين مثل ذلك، إحداهما فى الجدار الشامى، والأخرى فى الجدار اليمانى من هذا البيت، ونصبوا أسطوانة من خشب بين هاتين الأسطوانتين تحاذى الأسطوانة الوسطى من الأساطين الآجُر المشار إليها، وركبوا بين كل أسطوانة من الست الأساطين أخشابًا، وستروا جميع هذه الأخشاب بألواح من خشب مدهونة وركبوا فيما بين الأساطين المشار إليها سقفًا من خشب مدهون، ساترًا لمقدار ما بين الست الأساطين، إلا أنهم جعلوا بعض ما بين الأسطوانة الآجُر الوسطى والأسطوانة الخشب المقابلة لها خاليًا من السقف، وركبوا فى هذا الموضع الخالى قبة من خشب مدهونة، وجعلوا فوقها قبة ساترة لها من خشب وجريد وقصب، وجعلوا رفرفًا من خشب مدهون يليق بهذا السقف الذى هو ظلة للمؤذنين، وأتقنوا تسمير السقف والقبة والرفرف إتقانًا كثيرًا بمسامير زنة كل سبعة منها مَنٌّ من حديد، وزنة بعضها دون ذلك، وبكلاليب من حديد، وجعلوا فوق هذا السقف المدهون سقفًا من خشب غير مدهون، ودكوا ما فوق السقف الأعلى بالآجُر والنَّوْرَة، وطَلَوْا ما فوق الآجُرة بالنَّوْرَة، وطَلَوْا ما فوق القبة التى فى وسط هذا السقف بالجبس، وأتقنوا ذلك، وأصلحوا جميع سطح البيت الذى فيه زمزم بالنَّوْرة والآجُر، وجعلوا درابزين من خشب مخروط يطيف بجميع جوانب البيت الذى فيه زمزم خلا الجانب اليمانى، وجعلوا درابزين أيضًا يطيف بجانبى ظلة المؤذنين اليمانى والشرقى، ولم يكن قبل ذلك درابزين فى هذين الجانبين، وجعلوا شباكًا من حديد فوق بئر زمزم ليمنع من السقوط فيها، بعد أن ضيقوا سعة الفتحة التى كانت تحاذى بئر زمزم بأخشاب مسمَّرة جُعلت هنالك، ولم يكن هناك قبل ذلك شباك من حديد، وجعلوا درابزين من خشب مخروط يطيف بجوانب هذه الشبابيك الأربعة.

وكان قبل ذلك فى موضع هذه الدرابزين أخشاب مرتفعة كالقامة يطيف بما يحاذى البئر من الجوانب الأربعة، مطلية بالنَّوْرَة.

وزنة الشباك الحديدى الذى فوق بئر زمزم الآن اثنان وستون مَنًّا كل مَنٍّ مائتان وستون درهمًا.

وزادوا حديدًا فى بعض الشبابيك التى فى الجدار الغربى من بيت زمزم، ووسعوا الدرجة التى يُصعد منها إلى سطح البيت الذى فيه بئر زمزم وإلى ظلة المؤذِّنين لضيق الدرجة حين عُمِّرت فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة لما عُمرت الخلوة التى إلى جانب هذا البيت سَبيلاً، وجعلوا لهذه الدرجة درابزين خشب غير مخروط، واستحسنت توسعة هذه الدرجة، وكذا جميع ما عُمِّر من جدران بيت زمزم، وما صُنع فى سطحه من ظلة المؤذنين وغيرها استحسانًا كثيرًا، وكان الفراغ من ذلك فى أثناء رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، وكان القائم بأمر مصروف هذه العمارة الجناب العالى الكبير العلائى خواجه شيخ على بن محمد بن عبد الكريم الجيلانى نزيل مكة المشرفة زاده الله رفعة وتوفيقًا.

وكان إلى جانب هذا البيت خلوة فيها بركة تُملأ من زمزم، ويشرب منها من دخل إلى الخلوة، وكان لها باب إلى جهة الصفا ثم سُد وجُعل فى موضع الخلوة بركة مَقْبُوَّة، وفى جدارها الذى يلى الصفا زبازيب يتوضأ الناس منها على أحجار نُصبت عند الزبازيب، وفوق البركة المقبوة خلْوة فيها شباك إلى الكعبة، وشباك إلى جهة الصفا، وطابق صغير إلى البركة، وكان عمل ذلك على هذه الصفة فى سنة سبعٍ وثمانمائة، ثم هُدم ذلك حتى وقع إلى الأرض، فى العُشْر الأول من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثمانمائة، لما قيل من أن بعض الجَهَلَة من العوام يستنجى هناك، وعُمِّر عوض ذلك سبيل لمولانا السلطان الملك المؤيَّد أبى النصر شيخ ــ نصره الله ــ ينتفع الناس بالشراب منه، فتضاعف له الدعاء ولمن كان السبب فى ذلك.

وصفة هذا السبيل بيت مربع مستطيل فيه ثلاثة شبابيك كبار من حديد، فوق كل شباك لوح من خشب بصنعة حسنة: منها واحد إلى جهة الكعبة، واثنان إلى جهة الصفا، وتحت كل شباك حوض فى داخل البيت، وفيه بركة حاملة للماء، وله سقف مدهون يراه من دخل السبيل، وبابه إلى جهة الصفا، وله رفرف خشب

من خارجه مدهون، وفوق ذلك شراريف من حجارة منحوتة، وباطن السبيل منور، وظاهره مرخَّم بحجارة ملونة، وجاءت عمارته حسنة، وفرغ منه فى شهر رجب سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وابتُدئ فى عمله بأثر سفر الحجاج، وفى موضع هذه الخلوة كان مجلس عبد الله بن العباس رضى الله عنهما على مقتضى ما ذكره الأزرقى والفاكهى.

وبين الحجر الأسود إلى وسط جدار البيت الذى فيه بئر زمزم واحد وثلاثون ذراعًا وسُدس بذراع الحديد.

ذكر أسماء زمزم

قال الفاكهى: أعطانى أحمد بن محمد بن إبراهيم كتابًا ذكر أنه عن أشياخه من أهل مكة، فكتبته من كتابه فقال: هذه هى تسمية أسماء زمزم وهى: هزمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل، لا تنــزف ولا تُذَم، وهى بركة، وسيدة، ونافعة، ومضنونة، وعونة، وبشرى، وصافية، وبَرَّة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومغذية، وطاهرة، ومقداة، وحرمية، ومروية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سُقم[١]. انتهى.

ومن أسمائها على ما قيل: طيبة، وتكتم، وشبَّاعة العيال، وشراب الأبرار، وقرية النمل، ونقرة الغراب، وهزمة إسماعيل، وحفيرة العباس: ذكر هذا الاسم ياقوت، لأنه ذكر أن الحفيرة عشرة مواضع، وقال فى عددها: وحفيرة العباس من أسماء زمزم. انتهى من مختصر معجم البلدان[٢] لياقوت وهو غريب. والله أعلم.

ومن أسماء زمزم همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى، ذكر هذا الاسم السهيلى لأنه قال: وذكر أن جبريل همز بعقبه فى موضع زمزم فنبع الماء، وكذلك تسمى زمزم همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى ثم قال: وحكى فى أسماء زمزم: زمازم،

---

(١) الفاكهى ٢/ ٦٧، ٦٨.
(٢) المشترك وضعا ١٤٠، ١٤١.

حكى ذلك عن المطرز، ورأيت فى النسخة التى رأيتها من الروض الأنف وزُمَّزُم مضبوطة بالشكل على الزاى ضمة، وعلى الميم الأولى شدة وفوق الشدة فتحة.

ومن أسماء زمزم «سابق» ذكر ذلك الفاكهى فى خبر رواه عن عثمان بن ساج، وفيه قال عثمان: وذكر غيره يعنى غير وهب بن منبه أن زمزم تُدعى «سابق». انتهى.

وقد اختلف فى تسمية زمزم بزمزم فقيل: لكثرة مائها، قال ابن هشام: والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع، وقيل: إنها سُميت زمزم لأنها زُمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينًا وشمالاً، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء، وهذ يُرْوَى عن ابن عباس رضى الله عنهما فيما ذكر البرقى، وقيل: سُمِّيت زمزم لزمزمة الماء، وهو صوته، قاله الحربى، وقيل: سُميت زمزم لأنَّ الفرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول فزمزمت عليها.

قال المسعودى[1]: والزمزمة صوت يخرجه الفُرْس من خياشيمها عند شرب الماء، وقد كتب عمر ﷺ إلى عماله أن أنهوا الفُرْسَ عن الزمزمة، وأنشد المسعودى:

زمزمت الفُرْسُ على زمزمِ وذلك من سالفها الأقدم

وقيل: إنها غير مشتقة، والله أعلم، وقد ذكرنا بعض معانى بعض هذه الأسماء فى أصل هذا الكتاب.

ذكر فضائل زمزم وخواصه

روينا فى «معجم الطبرانى» بسند رجاله ثقات، وفى صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ: خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وروينا معنى ذلك عن على بن أبى طالب ﷺ فى تاريخ الأزرقى.

---

(١) مروج الذهب ١/ ٢٤٢.

وسمعت العلاّمة زين الدين الفارسكورى يقول: إن شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى قال: إن ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر، وعلل ذلك لكونه غُسل به صدر النبى ﷺ، ولم يكن ليُغْسَل إلاّ بأفضل المياه. انتهى بالمعنى.

وذكر شيخنا الحافظ العراقى أن حكمة غسل صدر النبى ﷺ بماء زمزم ليقوى به ﷺ على رؤية ملكوت السموات والأرض، والجنة والنار، لأن من خواص ماء زمزم أنه يقوى القلب ويُسْكِن الرَّوْع. انتهى.

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عباس: اشربوا من شراب الأبرار، وفسره بماء زمزم، وروينا فيه عن وهب بن منبه معنى ذلك، وروينا فى «المعجم الكبير» للطبرانى من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ أن التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين.

وروينا من حديثه أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم، أخرج هذه الأحاديث الحافظ شرف الدين الدمياطى، وقال فيما أنبئت به عنه: إسناد صحيح.

وروينا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شرب له، إنْ شَرِبته تستشفى به شفاك الله، وإنْ شربته لقطْع ظمئك قطعه الله [وإذا شربته لشبعك أشبعك الله](١) وهى هَزْمَة جبريل وسقيا الله إسماعل.

أخبرنى بهذا الحديث أحمد بن محمد بن عبد الله الْحِمْيَرى وإبراهيم بن [عمر ومحمد بن محمد الصالحيان إذنًا عن الحافظ شرف الدين الدمياطى أن الحافظ يوسف بن](١) خليل أخبره قال: أخبرنا أبو الفتح ناصر بن محمد الوِيْرج قال: أخبرنا إسماعيل بن الفضل الإخشيد قال: أخبرنا أبو طاهر بن عبد الرحيم قال: أخبرنا الحافظ أبو الحسن الدارقُطْنى قال: حدثنا عمر بن الحسن بن على قال: حدثنا محمد ابن هشام بن على المروزى قال: حدثنا محمد بن حبيب الجارودى

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنة عن ابن أبى نَجِيح[١] عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره، أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودى.

قال شيخنا العراقى الحافظ: قد سلم منه فلله الحمد، فإن الخطيب ذكره فى «تاريخ بغداد» وقال: كان صدوقًا.

وحسَّن شيخنا الحافظ العراقى هذا الحديث من هذا الطريق، وقال فى نُكته على ابن الصلاح: إنّ حديث ابن عباس أصح من حديث جابر. انتهى.

ولكن يعكر على ما ذكره شيخنا العراقى ما ذكره الذهبى فى «الميزان» فى ترجمة عمر بن الحسن القاضى الأشنانى شيخ الدارقُطْنى فى هذا الحديث، فإنه قال بعد أن ذكر هذا الحديث عن الدارقُطْنى عن الأُشنانى بسنده: فآفة هذا هو عمر، فلقد أثم الدارقُطْنى بسكوته عنه، فإنه بهذا الإسناد باطل، ما رواه ابن عُيَيْنة قط، هذا والمعروف حديث عبد الله بن المؤمل عن أبى الزبير عن جابر مختصرًا.

وقال الذهبى بعد أن ذكر أن الدارقطنى ضعف الأُشنانى وكذبه وهذا الأُشنانى صاحب بلايا، فمن ذلك قال الدارقطنى... وساق الحديث. انتهى.

وحديث جابر رواه الحافظ الدمياطى بسنده إلى سويد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبى الموالى عن محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ عن النبى ﷺ، وصحح الدمياطى هذا الحديث والإسناد، وفى صحته نظر على ما ذكره الحافظ ابن حجر.

وقد أخرجنا فى أصل هذا الكتاب حديث جابر من طرق، وحديثًا لعبد الله ابن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ فى هذا المعنى، وبينا ما فى ذلك، وذكرنا فيها أخبارًا عمن شرب ماء زمزم لقصْد له فناله، فمن ذلك أن الإمام الشافعى ﷺ شربه للعلم، فكان فيه غايته، وللرَّمى فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة.

---

(١) نجيح: ضبط ضبط قلم لدى التدمرى والذهبى: بضم النون وفتح الجيم وهو تحريف قبيح جدًّا، صوابه لدى ابن حجر فى التقريب.

ومنها ما ذكره الفاكهى لأنه قال: وحدثنى أحمد بن محمد بن حمزة بن واصل عن أبيه أو عن غيره من أهل مكة أنه ذكر أنه رأى رجلاً بالمسجد الحرام مما يلى باب الصفا والناس مجتمعون عليه، فدنوت منه فإذا برجل مكعوم[1] قد عكم نفسه بقطعة خشب، فقلت: ما له؟ فقالوا: هذا رجل شرب سَوِيقًا، وكانت فى السويق إبرة فذهبت فى حلقه، وقد اعترضت فى حلقه، وقد بقى لا يقدر يطبق فمه، وإذا الرجل فى مثل الموت، فأتاه آت فقال له: اذهب إلى ماء زمزم فاشرب منه وجدد النية وسل الله عز وجل الشفاءَ، فدخل زمزم فشرب بالجهد منه حتى أساغ منه شيئًا، ثم رجع إلى موضعه، وانصرفت فى حاجتى، ثم لقيته بعد ذلك بأيام وليس به بأس، فقلت له: ما شأنك؟ فقال: شربت من ماء زمزم، ثم خرجت على مثل حالى الأول حتى انتهيت إلى أسطوانة، فأسندت ظهرى إليها فغلبتنى عينى، فنمت فانتبهت من نومى وأنا لا أحس من الإبرة[2] شيئًا[3]. انتهى.

ومنها أن شيخنا الحافظ العراقى ذكر أنه شرب ماء زمزم لأمور منها الشفاء من داء معين بباطنه، فشفى منه بغير دواء.

ومنها أن أحمد بن عبد الله الشريفى الفراش بالمسجد الحرام بمكة شربه للشفاء من عماء حصل له، فشفى منه، على ما أخبرنى به عنه شيخنا العلامة تقى الدين عبد الرحمن بن أبى الخير الفاسى رحمهم الله.

ومنها أن الفقيه العلامة المدرس المفتى أبا بكر بن عمر بن منصور الأصبحى المعروف بالشنينى ـــ بشين معجمة ثم نون ثم ياء مثناة من تحت ونون وياء للنسبة ـــ أحد العلماء المعتبرين ببلاد اليمن، شرب ماء زمزم لبغية الشفاء من استسقاء عظيم أصابه بمكة، فشفى بأثر شربه له على ما أخبرنى به عنه ولده الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله بمكة، وأخبرنى عن أبيه أنه لما اشتد به الاستسقاء خرج يتعرض لطبيب بمكة، فأعرض عنه الطبيب الذى قصده فانكسر خاطره لذلك، وألقى الله تعالى بباله أن يشرب من ماء زمزم للحديث الوارد فى أنه لما شُرِب له،

---

(١) مكعوم: أى مشدود الفم.

(٢) تحرف لدى التدمرى والذهبى إلى: «الأثر» وصوابه لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٣٥.

فقصد زمزم واستسقى بدلو، فشرب منه حتى تضلع، وأنه بعد أن تضلع منه أحس بانقطاع شيء فى جوفه، فبادر حتى وصل إلى رباط السدْرة ليستنجى به، فما وصل إليه إلاّ وهو شديد الخوف من أن يلوث فى المسجد، فألقى شيئًا كثيرًا، ثم عاد إلى زمزم فشرب منه ثانيًا حتى تضلع وأخرج شيئًا كثيرًا، ثم صح، وبينما هو فى بعض الأيام برباط ربيع بمكة يغسل ثوبًا له وهو يطؤه برجله، وإذا بالطبيب الذى قد أعرض عن ملاطفته فقال له: أنت صاحب تلك العلة؟ قال: نعم، قال له: بِمَ تداويت؟ قال: بماء زمزم، فقال الحكيم: لطف بك، قال: وبلغنى عن ذلك الحكيم أنه قال حين رآه أولاً: هذا ما يعيش ثلاثة أيام، هذا ما أخبرنى به الفقيه عبد الله بن الفقيه أبى بكر الشنينى المذكور عن أبيه، فى خبر مرضه بالاستسقاء وخبر استشفائه بماء زمزم، وهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث «ماء زمزم لِما شُرِب له» مع أنه صحيح الإسناد كما سبق بيانه.

ولم ينصف ابن الجوزى فى ذكْره هذا الحديث فى كتاب «الموضوعات» لكونه صحيحًا أو حسنًا، كما سبق بيانه، ويتعجب من هذا، لأنه روى فى كتاب «الأذكياء» له بإسناده إلى سفيان قصة فيها أنه قال: هذا الحديث صحيح[1]، ولم يتعقب ذلك، وليس بين هذا الحديث وحديث «الباذنجان لما أُكل له» تساوٍ فى الثبوت، لأن حديث ماء زمزم صحيح أو حسن، وحديث الباذنجان غير صحيح، بل هو موضوع، على ما بلغنى عن العلامة الكبير شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلى، وقال لى شيخنا الحافظ نور الدين الهيثمى: إنه موضوع، وضعه بعض الزنادقة ليشين به الشريعة، هذا معنى كلام شيخنا نور الدين الهيثمى.

وأنبأنى شيخنا الحافظ العراقى قال: وأما ما اشتهر على ألسنة الناس، بل على ألسنة كثير من أهل العلم أن حديث الباذنجان لِما أُكل له، أصح من حديث ماء زمزم لِما شرب له، فلا يصح ذلك بوجه من الوجوه، ولم نجد لحديث الباذنجان

(١) الأذكياء ص٩٨.

أصلاً إلاَّ فى أثناء حديث فى «مُسْنَد الفردوس» بإسناد مظلم، وليس له أصل فى كتب الإسلام، وذكر أن مؤلف مُسْنَد الفردوس كثير الأوهام. انتهى مختصرًا.

ورويناه فى خبر ابن عَليك[1] بإسناد ساقط: من خواص ماء زمزم أنه يُبرد الحُمَّى لأمر النبى ﷺ بذلك كما فى سنن النسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما، وهو فى صحيح البخارى على الشك.

ومنها على ما قال الضحاك بن مزاحم أنه يُذْهِب الصُّداع.

ومنها أن المياه العذْبَة تُرفَع وتغور قبل يوم القيَامة إلاَّ ماء زمزم، قاله الضحاك أيضًا، والله أعلم بذلك.

ومنها أنه يفضُل مياه الأرض كلها طبًّا وشرعًا، على ما ذكر شيخنا بالإجازة الإمام بدر الدين ابن الصاحب المصرى، لأنه قال فيما أنبأنا به: وازنت ماء زمزم بماء عين مكة، فوجدت زمزم أثقل منَ العين بنحو الربع، ثم اعتبرتها بميزان الطب فوجدتها تفضُل مياهَ الأرض كلها طبًّا وشرعًا.

ورأيت لشيخنا بدر الدين ابن الصاحب هذا أبياتًا حسنة فى فضل زمزم، رأيت أن أُثبتها هنا، منها قوله فيما أنبأنا به:

شفيت يا زمزم داء السقيم ... فأنت أشفى ما تعاطى النديم
وكم رضيع لك أشواقه ... إليك بعد الشيب مثل الفطيم

ومنها قوله فيما أنبأنا به:

يا زمزم الطَّيِّبة المخبر ... يا من علت غورًا على المُشْتَرى[2]
رضيع أخلافك لا يشتهى ... فطامه إلا لدى الكَوثرِ

ومنها قوله فيما أنبأنا به:

بالله قولوا لنيل مصر ... بأننى عنه فى غناء

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «عكيك» وصوابه من الأصل.

(٢) لدى التدمرى: «المشرب» ومثله لدى الذهبى، ومما تجدر الإشارة إليه أن الذهبى يجارى التدمرى فى جمهرة حواشيه خطأ كانت أم صوابًا دون إعمال فكر وروية، هذا والمثبت رواية الأصل.

بزمزم العذب عند بيت مخلق الشرب بالوفاء[1]

ومنها قوله فيما أنبأنا به:

لزمزم نقع فى الفؤاد وقوة يزيد على ماء الشباب لذى فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ولو أن ماء النيل يجرى على المسك

ومنها أن ماءها يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب، ذكر ذلك ابن الحاج المالكى فى منسكه نقلاً عن الشيخ مكى بن أبى طالب، ونص كلامه: قال الشيخ مكى بن أبى طالب: وفى ليلة النصف من شعبان تُحلّى زمزم ويطيب ماؤها يقول أهل مكة: إن عين سلوان تتصل بها تلك الليلة، وتُبذل على أخذ الماء فى تلك الليلة الأموال، ويقع الزحام فلا يصل إلى الماء إلا ذو جاه وشرف، قال: عاينت هذا ثلاث سنين. انتهى.

ومن خواص ماء زمزم أن يكثر فى ليلة النصف من شعبان فى كل سنة، بحيث إن البئر تفيض بالماء على ما قيل، لكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون، وممن شاهد ذلك الشيخ العالم أبو الحسن المعروف بكرباج، على ما وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد الله الفاسى، نقلاً عن الشيخ فخر الدين التوزرى، عن الشيخ على كرباج.

ومن فضائل بئر زمزم أن الاطلاع فيها يجلو البصر، قاله الضحاك بن مزاحم.

ومن فضائلها أيضًا أن الاطلاع فيها يحط الأوزار والخطايا، لأن أبا الحسن محمد بن مرزوق الزعفرانى من الشافعية ذكر فى كتاب «الإرشاد فى المناسك» له أنه يُستحب لمن جاء إلى زمزم الاطلاع فيها، لأن النظر فيها عبادة وتحط الأوزار والخطايا. انتهى.

ولم أقف على هذا الكتاب، وإنما نقل إلىّ ذلك عنه من اعتمده، وذكر أنه رأى ذلك بخط من يعتمد عليه من حفاظ الحديث.

ورُوى نحو ذلك عن النبى ﷺ مرسَلاً فى حديث الفاكهى لأنه قال: حدثنى إسحاق بن إبراهيم الطبرى قال: حدثنا بقية بن الوليد عن ثور عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: النظر فى زمزم عبادة وهى تحط الخطايا.

---

(١) منائح الكرم ١/ ٤١٥

ومنها أن من حثا على رأسه ثلاث حثيات من ماء زمزم لم تصبه ذلة، ذكر ذلك الفاكهى لأنه قال: وحدثنى قريش بن بشير التميمى قال: حدثنا إبراهيم بن بشير عن محمد بن حرب عمن حدثه أنه أُسر فى بلاد الروم، وأنه صار إلى الملك فقال له: من أى بلد أنت؟ قال: من أهل مكة، فقال: هل تعرف بمكة هَزْمَة جبريل؟ قال: نعم، قال: فهل تعرف بها بَرَّة؟[(١)] قال: نعم، قال: فهل لها اسم غير هذا؟ قال: نعم، هى اليوم تعرف بزمزم، قال: فذكر من جملة بركتها ثم قال: أما أنك إن قلت هذا إنا نجد فى كتبنا أنه لا يحثو رجل على رأسه منها ثلاث حثيات فأصابته ذلة أبدًا[(٢)]. انتهى.

ذكر آداب شربه

يُستحب لشاربه أن يستقبل القبلة، ويذكر اسم الله تعالى، ويتنفس ثلاثًا، ويتضلع منه، ويحمد الله تعالى، ويدعو بما كان ابن عباس يدعو به إذا شرب ماء زمزم، لأن فى مُستدرك الحاكم من حديث ابن عباس السابق: وكان ابن عباس إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهم إنى أسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاءً من كل داء[(٣)]. انتهى. ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحبه من أمر الآخرة فى الدعاء ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة.

ذكر حكمة التطهر[(٤)] بماء زمزم

أما حكم التطهر فإنه صحيح بالإجماع على ما ذكره [الرويانى فى بحره][(٥)] والماوردى فى حاويه، والنووى فى «شرح المهذب».

---

(١) تحرف فى طبعة التدمرى إلى: «بوة» بالواو وهو تحريف قبيح صوابه لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) الفاكهى ٢/ ٣٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين ١/ ٤٧٣.

(٤) فى المطبوعتين: «التطهير» والمثبت رواية الأصل.

(٥) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، وتحرف «الرويانى» فى طبعة الذهبى إلى: «الروميين» وهو تحريف قبيح صوابه من الأصل، وكتاب الرويانى هو المعروف ببحر المذهب وهو من أطول كتب الشافعيين.

وينبغى توقى إزالة النجاسة به، وخصوصًا مع وجود غيره، وخصوصًا فى الاستنجاء به، فقد قيل: إنه يورث الباسور، ويقال: إن ذلك جرى لمن استنجى به، وجزم المحب الطبرى بتحريم إزالة النجاسة به، وإن حصل به التطهير، وأخذ ذلك من كلام الماوردى، ووافقه فى الجزم بذلك وأخذه من كلام الماوردى الشيخ كمال الدين النشائى فى كتابه «جامع المختصرات وشرحه».

ولابن شعبان من أصحابنا المالكية ما يوافق ما ذكره الماوردى فى منع التطهر بماء زمزم، لأنه قال: لا يُغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة. انتهى.

ومقتضى ما ذكره ابن حبيب من المالكية استحباب التوضؤ به، ومذهب الشافعى ﷺ استحباب الوضوء والغسل به، ولم يكره الوضوء به إلا أحمد بن حنبل فى رواية عنه.

وذكر الفاكهى أن أهل مكة يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبرُّكًا به، وذكر أن أسماء بنت أبى بكر الصديق غسلت ابنها عبد الله بن الزبير بماء زمزم[١].

ذكر نقل ماء زمزم إلى البلدان

أما نقله فإنه يجوز باتفاق المذاهب الأربعة، بل هو مستحب عند المالكية والشافعية، والفرق عند الشافعية بينه وبين حجارة الحرم فى عدم جواز نقلها وجواز نقل ماء زمزم أن الماء ليس بشىء يزول فلا يعود، أشار إلى هذه التفرقة الشافعى فيما حكاه عنه البيهقى، والأصل فى جواز نقله ما رويناه فى «جامع الترمذى» عن عائشة أنها حملت من ماء زمزم فى القوارير، وقالت: حمل رسول الله ﷺ فى الأداوى والقِرَب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم[٢].

ورويناه فى «شعب الإيمان» للبيهقى وفى سُنَنه وقال: قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) الفاكهى ٢/ ٤٧، ٤٨.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ٤٩.

ويدل لذلك ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم، أخرجه الطبرانى بسند رجاله ثقات[١] ورويناه فى تاريخ الأزرقى أن النبى ﷺ استعجل سُهَيلاً فى إرسال ذلك إليه، وأنه بعث إلى النبى ﷺ براويتين[٢].

ذكر شىء من خبر سقاية العباس بن عبد المطلب ﷺ

صفة هذه السقاية الآن بيت مربع فى أعلاه قبة كبيرة ساترة لجميعه، والقبة من آجُر معقودة بالنَّوْرَة، وفى أسفل جدرانها خلا الجنوبى شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام، فى كل جهة شباكان من حديد، وفى جانبها الشمالى من خارجها حوضان من رخام مفردان، وباب السقاية بينهما.

وفى هذا البيت بركة كبيرة تُملأ من بئر زمزم، يسكب الماء من البئر فى خشبة طويلة على صفة الميزاب، متصلة بالجدار الشرقى من حجرة زمزم، ويجرى الماء منها إلى الجدار المشار إليه، ثم إلى قناة تحت الأرض حتى يخرج إلى البركة من فوَّارة فى وسطها، وأحدث وقت عُمِّرت فيه هذه القبة سنة سبعٍ وثمانمائة، وسبب عمارتها فى هذه السنة أن القبة التى كانت فى سقف هذه السقاية أكلت الأرضة بعض الخشب الذى كان فيها فسقطت، والأرضة دُوَيْبة صغيرة تأكل الخشب، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب شيئًا من خبر عمارة هذا المكان، وما ذكره الأزرقى فى صفة هذه السقاية، وهو يخالف هذه الصفة، ولذلك تركنا ذكره هنا.

وقد ذكر الأزرقى ذرْع ما بين هذه السقاية وبين الحجر الأسود وذرْع ما بينها وبين جدارات المسجد لأنه قال: ومن الركن الأسود إلى سقاية العباس وهو بيت الشراب خمسة وتسعون ذراعًا، ومن وسط سقاية العباس إلى جدر المسجد الذى بباب المسعى مائة ذراع، ومن وسط السقاية إلى الجدار الذى به باب بنى جُمَح مائتا ذراع وإحدى وتسعون ذراعًا، ومن وسط السقاية إلى الجدار الذى

---

(١) لدى التدمرى: «فى مسند رجاله ثقات» وهو تحريف قبيح، صوابه من الأصل.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٥٠.

يلى دار الندوة مائتا ذراع، ومن وسط السقاية إلى الجدار الذى يلى الوادى خمس وثمانون ذراعًا. انتهى.

وقد حررنا مقدار ما بين هذه السقاية والحجر الأسود فكان ما بين ذلك ثمانون ذراعًا ونصف ذراع، بذراع الحديد، وذلك من الحجر الأسود إلى وسط جدار السقاية الغربى مارًّا من جانب زمزم اليمانى.

الباب الحادى والعشرون

فى ذكر الأماكن المباركة التى ينبغى زيارتها الكائنة بمكة المشرفة وحرمها وقربه

هذه الأماكن مساجد ودور وجبال ومقابر، والمساجد أكثر من غيرها إلا أن بعض هذه المساجد مشتهر باسم المولد، وبعضها باسم الدار، وسيأتى ذكر هذين الأمرين قريبًا، والمقصود ذكره هنا ما اشتهر من ذلك بالمسجد الحرام.

فمن ذلك مسجد بقرب المجزرة الكبيرة من أعلاها على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها، يقال: إن النبى ﷺ صلى فيه المغرب على ما وجدت بحجرين فيه: أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى، وفيه أنه عُمِّر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وفى الآخر أنه عُمِّر فى سنة سبع وأربعين وستمائة، وطول هذا المسجد من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له سبعة أذرع إلا ربعًا، بذراع الحديد المستعمل فى القماش بديار مصر ومكة، وعرضه خمسة أذرع وثُمن، وذلك من الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له، وكان تحرير ذلك بحضورى، وبين باب هذا المسجد وجدار باب بنى شيبة أحد أبواب المسجد الحرام خمسمائة ذراع وعشرة أذرع ونصف ذراع بذراع اليد المقدم ذكره، ويكون ذلك بذراع الحديد أربعمائة ذراع وستة وأربعين ذراعًا وخمسة أثمان ذراع ونصف ثُمن، وحُرِّر[1] ذلك بحضورى أيضًا.

ويوهم بعض أهل العصر أن هذا المسجد هو المسجد الذى ذكر الأزرقى أن عنده قرن مسقلة عند موقف الغنم، وأن النبى ﷺ بايع الناس عنده يوم فتح مكة على ما يقال، وسبب هذا التوهم أن المسجد الذى ذكرنا ذرْعه وشيئًا من خبره بلحْفِ جبل[2] وعنده الآن سوق الغنم، وليس هذا التوهم صحيحًا، لأن الجبل الذى عنده هذا المسجد هو المشرف على المروة، ويسمى جبل الديلمى على ما ذكره الأزرقى، وهو فى شق معلاة مكة الشامى، وقرن مسقلة الذى أشار إليه الأزرقى، ذكره الأزرقى فى شق معلاة مكة اليمانى، ونص كلامه فى أخبار هذه

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «وحدد» وصوابه من الأصل.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يلحق بجبل» وصوابه من الأصل، واللّحف: أصل الجبل.

الجهة: وقرن مسقلة وهو قرن قد بقيت منه بقية بأعلى مكة فى دُبُر دار سَمُرَة عند موقف الغنم بين شعب ابن عامر وحرف دار رابغة فى أصله[١]. انتهى.

وشعب ابن عامر هو الذى تسميه العامة اليوم شعب عامر بأعلى مكة بشقها[٢] اليمانى وبين المكانين بعد كثير، والله أعلم.

ومن ذلك مسجد فوقه يقال له مسجد الراية وعرَّفه بذلك المحب الطبرى فى القرى، وهو من المساجد التى صلى فيها النبى ﷺ على ما يقال، كما ذكر الأزرقى، وذكر أن عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بناه، وفيه الآن لوحان مكتوبان: أحدهما كوفى لا يُعرف، والآخر فيه أن المستعصم[٣] العباسى أمر بعمله فى شعبان سنة أربعين وستمائة، وعمَّره فى أوائل سنة إحدى وثمانمائة الأمير قُطْلُوبَك الحُسَامى المَنْجَكى[٤] عمارته التى هو عليها الآن، وطول هذا المسجد من داخله ستة عشر ذراعًا بالحديد، وذلك من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له، وعرضه ستة أذرع إلا ثلث ذراع، وذلك من الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له، وكان تحرير ذلك بحضورى، وبين باب هذا المسجد وجدار باب بنى شيبة أحد أبواب المسجد الحرام تسعمائة[٥] ذراع وأربعة وعشرون ذراعًا بذراع الحديد، فيكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع وستة وخمسون ذراعًا، وكان تحرير ذلك بحضورى.

ومن ذلك مسجد بسوق الليل قرب مولد النبى ﷺ يقال له المختبأ، يزوره الناس كثيرًا فى صبيحة اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة، ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئًا من خبره.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٧٠.

(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «بشقهما» وصوابه من الأصل.

(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «المعتصم» وصوابه من الأصل، والمستعصم: هو آخر خلفاء بنى العباس فى بغداد، بويع بالخلافة سنة ٦٤٠ وقتله التتار سنة ٦٥٦هـ.

(٤) لدى أبى المحاسن فى الدليل الشافى ٢/ ٥٤٧: «كان من أعيان أمراء الظاهر برقوق، توفى بالينبع من طريق الحجاز سنة اثنتين وثمانمائة.

(٥) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «سبعمائة» وصوابه من الأصل.

وطول هذا المسجد من وسط الجدار إلى وسط الجدار [المقابل له][١] الذى فيه محرابه ثمانية أذرع إلا ثلثا، وعرضه سبعة أذرع وثلث، الجميع بذراع الحديد، وكان تحرير ذلك بحضورى.

ومن ذلك مسجد بأسفل مكة ينسب لأبى بكر الصديق ﷺ ويقال: إنه من داره التى هاجر منها إلى المدينة، والله أعلم.

وقد ذكر ابن جبير هذا المسجد[٢] وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب مع شىء من حال هذا المكان الآن، وهو مكان مشهور بالموضع المشهور بالحجارية، براء مهملة، بأسفل مكة بالقرب من باب الماجن.

ومن ذلك مساجد خارج مكة من أعلاها: منها المسجد الذى يقال له مسجد الإجابة على يسار الذاهب إلى منًى فى شعب بقرب ثنية أذاخر، وهو مسجد مشهور يقال: إن النبى ﷺ صلى فيه، وقد ذكره الأزرقى، وذكر شيئًا من خبر الشعب الذى هو به لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: شعب آل قنفذ هو الشعب الذى فيه دار آل خلف بن عبد ربه بن السايب، مستقبل قصر محمد بن سليمان، وكان يسمى شعب اللئام[٣] وهو قنفذ بن زهير من بنى أسد بن خزيمة، وهو الشعب الذى على يسارك وأنت ذاهب إلى منًى من مكة فوق حائط خرمان، وفيه اليوم دار الخليفتين من بنى مخزوم، وفى هذا الشعب مسجد مبنى يقال إن النبى ﷺ صلى فيه، وينـــزله اليوم فى الموسم الحضارمة[٤]. انتهى.

وهذا المسجد الآن متخرب جدًّا، وجدرانه ساقطة إلا القبلى، وفيه حجر مكتوب فيه أنه مسجد الإجابة، وأن عبد الله بن محمد عمَّره فى سنة عشرين وسبعمائة، وما عرفت عبد الله بن محمد المشار إليه.

وطول هذا المسجد من الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له ثمانية عشر ذراعًا بذراع الحديد، وعرضه كذلك، وحرر ذلك بحضورى، وكثير من الناس

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٢) رحلة ابن جبير ص٩٤.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «اللام» وصوابه لدى الأزرقى والفاكهى ٤/ ١٨٠.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٦، ٢٨٧.

يقصدون زيارة هذا المسجد فى بكرة أول سبت من شهر ذى القعدة الحرام كل سنة، وما عرفت سبب مثابرتهم على زيارته فى هذا اليوم والله أعلم.

ومن ذلك المسجد الذى يقال له مسجد البيعة، وهى البيعة التى بايع رسول الله ﷺ فيها الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه على ما ذكر أهل الأخبار، وهذا المسجد بقرب العَقَبَة التى هى حد مِنًى من جهة مكة، وهو وراء العَقَبَة بيسير إلى مكة فى شعب على يسار الداخل إلى مِنًى، وفيه حجران مكتوب فى أحدهما: أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله ﷺ بعقد عقده له العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وفى الآخر تعريفه بمسجد البيعة، وأنه بُنى فى سنة أربعٍ وأربعين ومائة، وأمير المؤمنين المشار إليه هو أبو جعفر المنصور العباسى.

وعمَّره أيضًا المستنصر العباسى على ما وجدته مكتوبًا فى حجر ملقًى حول هذا المسجد لتخربه، وفيه أن ذلك فى سنة تسع وعشرين وستمائة، وقد ذكره الأزرقى(١) و لم يذكر شيئًا من خبر عمارته فى زمن المنصور.

وصفة هذا المسجد رواقان، كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود، وخلفها رحبة، وله بابان فى الجهة الشامية وبابان فى الجهة اليمانية، وطول الرواق المتقدم من الجهة الشامية إلى الجهة اليمانية ثلاثة وعشرون ذراعًا وعرضه أربعة عشر ذراعًا، والرواق الثانى نحو ذلك، وطول الرحبة من جدارها الشامى إلى اليمانى أربعة وعشرون ذراعًا ونصف ذراع، وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعًا ونصف ذراع، وطول المسجد من محرابه إلى آخر الرحبة ثمانية وثلاثون ذراعًا وسدس، الجميع بذراع الحديد، وأبواب كل رواق التى يدخل منها إلى الآخر(٢) ثلاثة، وأكثر هذا المسجد الآن متخرب، وكان تحرير ما ذكرناه [من ذرعه](٣) بحضورى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٠١.
(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الأرض» وصوابه من الأصل.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

ومن ذلك مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار المنحر بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الصاعد إلى عرفة، وهذا المسجد يُنسب إلى النبى ﷺ على ما يقال، لأن فيه حجرًا مكتوبًا فيه: هذا مسجد سيد الأولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحر هديه، وفيه أن الملك قُطْب الدين أبا بكر ابن الملك المنصور عمر بن على بن [رسول][١] صاحب اليمن، أمر بتجديد عمارته بعد دثاره[٢] فى سنة خمس وأربعين وستمائة.

وهذا المسجد فى قبلته إيوانان[٣] وخلفه رحبة، ولا حائط له من جهة المشرق، وله أربعة أبواب: باب فى الجهة الشامية، وباب فى الجهة اليمانية، وبابان فى حائطه القبلى: واحد عن يمين محرابه وآخر عن يساره، وطول هذا المسجد من المحراب إلى مؤخَّره ثمانية أذرع، وعرضه سبعة أذرع، الجميع بذراع الحديد، وكان تحرير ذرعه[٤] بحضورى.

ومن ذلك المسجد الذى يقال له مسجد الكبش بمنى على يسار الذاهب إلى عرفة، وهو مشهور بمنى، والكبش المشار إليه هو الذى فدى الله تعالى به نبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقيل: إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، حين أراد الخليل عليه السلام ذبحه.

وفى تاريخ الأزرقى زيادة فى خبر هذا المكان[٥] وفيه القولان فى تعيين الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل، قال المحب: والأكثر على أنه إسحاق[٦]. انتهى.

وذكر الفاكهى ما يقتضى أن هذا الكبش نُحر فى غير هذا الموضع، لأنه روى حديثًا بسنده إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه فى قصة ذبح إبراهيم لإسماعيل، وفيه:

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى: وهو فى الأصل.
(٢) فى المطبوعتين: «بعد زيارته» والمثبت رواية الأصل.
(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «بابان» وصوابه من الأصل.
(٤) فى المطبوعتين: «وكان تحرير ذلك بحضورى» والمثبت رواية الأصل.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٧٥.
(٦) القرى: ص٤٥٠.

فنـــزل عليه كبش من ثبير فاضطره إلى الجبل، ثم جاء به حتى نحره بين الجمرتين. انتهى. وسيأتى هذا الخبر فى الباب السادس والعشرين من هذا الكتاب.

وذكر المحب الطبرى ما يؤيد ذلك، ونبين هذا المنحر الذى بين الجمرتين، لأنه نقل عن أبى ذر الهروى خبرًا لفظه: وعن ابن عباس قال: نحر رسول الله ﷺ فى منحر إبراهيم الذى نحر فيه الكبش، فاتخذوه منحرًا، وهو المنحر الذى ينحر فيه الخلفاء اليوم، يُقال: هذا المنحر وكل مِنى منحر[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: تقول اليهود: إن المفدَّى إسحاق، كَذَبَتْ، إنما هو إسماعيل، أخرجه أبو داود، ثم قال: وعنه قال: الصخرة التى بمنى بأصل ثبير هى الصخرة التى ذبح عليها [إبراهيم][2] فداء إسماعيل أو إسحاق. انتهى باختصار. ثم قال: أخرجه أبو سعيد فى شرف النبوة ثم قال: وهذان الحديثان بينهما تضاد لأن حديث أبى سعيد يتضمن أن مكان ذبح إبراهيم فى أصل ثبير، وحديث أبى ذر يتضمن أنه منحر الخلفاء اليوم، وذلك فى سفح الجبل المقابل له. انتهى.

وهذا المنحر هو الدار المعروفة بدار المنحر بمنى بين الجمرتين الأولى والوسطى بقرب المسجد الذى سبق ذكره قبل هذا المسجد، وهى مشهورة بذلك عند الناس، وعندها يُنْحَر هَدْى صاحب اليمن.

والمسجد المعروف بمسجد الكبش ثلاثة أروقة مكشوفة لا سقف لها، وفى كل من المقدمين عقدان، وله أبواب خمسة: اثنان فى جداره القبلى، عن يمين المحراب ويساره، واثنان فى مؤخرى حائطيه[3] الشرقى والغربى، وبابه الخامس خوخة[4] فى جداره المؤخر، وفى الرواق الأوسط بابان يدخل منهما إلى الرواق المقدم، وفى مؤخره عند بابه الذى يلى [باب][5] المشرق حفرة صغيرة فيها حجر مبنى فى الجدار فيه أثر[6] يقال: إنه أثر الكبش الذى فُدى به الذبيح ابن إبراهيم وطول هذا

---

(١) القرى ـــ ص ٤٤٨.
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٣) فى المطبوعتين: «حائطه» والمثبت رواية الأصل.
(٤) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «خويخة» وصوابه من الأصل.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعتين، وهو فى الأصل.
(٦) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «فيه أنه يقال» وصوابه من الأصل.

المسجد من مؤخره إلى جداره القبلى تسعة عشر ذراعًا وربع ذراع، وعرضه ثلاثة عشر ذراعًا وسُدس، الجميع بذراع الحديد، وأكثر هذا المسجد الآن متخرب، وكان كل من رواقيه المقدمين مسقوفًا بثلاث قبب فسقط جميع ذلك، وكان تحرير ذراعه بحضورى.

ومن ذلك مسجد الخيف بمنى، وهو مسجد عظيم الفضل لأحاديث وأخبار وردت فى ذلك، منها ما رويناه فى المعجم الأوسط للطبرانى من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الخيف، والمسجد الحرام، ومسجدى هذا، وهذا الحديث إسناده ضعيف، وإنما أوردناه لهذه الفائدة الغريبة.

ومنها ما رويناه فى «معجم الطبرانى الكبير» من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيًّا منهم موسى، رويناه فى تاريخ الأزرقى.

وروينا عن مجاهد أنه صلى فى مسجد الخيف خمسة وسبعون نبيًّا، ورويناه فى مسند البزَّار من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال: فى مسجد الخيف قبر سبعين نبيًّا، وإسناد رجاله ثقات، وذكر الفاكهى فيما رواه[١] بسنده إلى عروة بن الزبير أن آدم عليه السلام دُفن بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل بباب الكعبة[٢].

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «وذكر الفاكهى فيها رواية بسنده» وصوابه من الأصل.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ٤/ ٢٦٨.

ذكر ما جاء فى استحباب زيارة مسجد الخيف كل سبت

وبالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: حدثنى جدى عن عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقول: لو كنت من أهل مكة لأتيت إلى مسجد الخيف كل سبت(١).

وقال الجَنَدِى(٢): حدثنا محمد بن يوسف حدثنا أبو قرة قال: ذكر ابن جُرَيْج عن عطاء، أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى علىَّ سبت حتى آتى مسجد الخيف فأصلى فيه ركعتين.

ذكر تعيين مصلَّى النبي من مسجد الخيف

وبه إلى ابن جُرَيْج، عن إسماعيل بن أمية، أن خالد بن مُضَرِّس(٣) أخبره أنه رأى أشياخًا من الأنصار يتحرون مصلى النبى ﷺ أمام المنارة قريبًا منها.

وبه إلى الأزرقى قال: قال جدى: الأحجار التى بين يدى المنارة هى موضع مصلَّى النبى ﷺ لم يزل الناس وأهل العلم يصلون هنالك(٤).

ذكر صفة مسجد الخيف الآن وذرعه بذراع الحديد

ذكر الأزرقى ذرع مسجد الخيف بذراع اليد وصفته فى عصره(٥) وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب، مع صفته الآن وذرعه بذراع الحديد المتقدم ذكره،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٧٤.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الجنيدى» وصوابه من الأصل، والجَنَدى: هو المُفَضَّل بن محمد بن إبراهيم الجندى (ت٣٠٨هـ) مؤرخ يمانى الأصل، كان محدث مكة وتوفى بها، من كتبه «فضائل المدينة» و «فضائل مكة» وهو غير محمد بن يوسف الجندى المؤرخ اليمنى (ت٧٣٢هـ) صاحب كتاب «السلوك فى طبقات العلماء والملوك».

(٣) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «مطرس».

(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٧٤.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨١.

وشيء من خبر عمارته بعد الأرزقى رحمه الله، واقتصرنا هنا على ذكر صفته الآن، وذرعه بذراع الحديد لكونه أبلغ فى تعريفه مع ما علمناه من خبر عمارته.

ذكر صفته الآن

هو مسجد كبير مربع فى قبلته أربعة محاريب غير محرابه الكبير: ثلاثة عن يساره، وواحد عن يمينه، ومنبره درج عالية، وفى مقدمه أربعة أروقة مسقوفة بآجُر معقودة بالنَّوْرَة كالأطباق، وله رواق آخر لاصق بجداره [الذى][1] يلى الطريق العظمى غير مسقوف، وبابه الأعظم فى نحو وسط هذا الجدار، وله باب آخر كبير فى جداره المؤخر الذى يلى عرفات، وخوختان فى جداره الذى يلى الجبل، وفى وسطه منارة مربعة بين يديها موضع مصلى النبى ﷺ، محوط بحجارة فيها محراب صغير، وفى طول المسجد فيما بين بابه الكبير والمنارة سقاية كبيرة معقودة فى الأرض، على أعمدة لها خمسة أبواب، ليستقى الناس منها، وعن يمين القبلة من خارج الأروقة ذرج[2] لاصقة بالرواق[3] الذى يلى الطريق يصعد منه إلى أعلى سقف الأروقة المذكورة، وجدران المسجد عالية لها شرافات، وعلى باب المسجد الكبير نُصُب عال قد سقط أكثره، وكذلك سقط جانب من المسجد مما بين بابه الكبير والقبلة، وقبة كبيرة كانت على المحراب سقطت أيضًا مع جانب من وسط حائطه القبلى.

ذكْر ذرْعه

طوله من وسط حائطه القبلى إلى مؤخَّره مائتا ذراع وعشرة أذرع، وعرضه من الجدر الذى فيه بابه الكبير إلى الجدار المقابل له الذى يلى الجبل مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعًا ونصف ذراع، وذرع ارتفاع جداره القبلى من داخله من الأرض أحد عشر ذراعًا، ومن خارجه تسعة أذرع ونصف، وارتفاع جداره الذى

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «درجة» وصوابه من الأصل.
(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «للرواق».

يلى الجبل من داخله ثمانية أذرع إلا ثُلُث [ومن خارجه أربعة أذرع، وارتفاع جداره الذى يلى عرفة من داخله: سبعة أذرع، ومن خارجه: خمسة أذرع إلا ثلث][1] وارتفاع جداره الذى يلى الطريق من داخل المسجد ستة أذرع وربع ذراع، ومن خارجه تسعة أذرع إلا ثلث، وارتفاع باب المسجد الكبير فى السماء سبعة أذرع وسُدس، وعرضه أربعة أذرع إلا سدس، وارتفاع عتبته من خارج نصف ذراع، وارتفاع بابه الذى فى مؤخره فى السماء أربعة أذرع وربع، وعرضه ذراعان.

ذكر ذرع[2] أروقته

ذرع الأروقة التى فى مقدمه من جداره القبلى إلى مؤخرها الذى[3] هو طرف الصحن أحد وثلاثون ذراعًا، وذرع كل رواق منها طولاً من الجدر الذى يلى الطريق إلى الجدار الذى يلى الجبل خمسة وثمانون ذراعًا وثلثا ذراع، وعرضه سبعة أذرع ونصف إلا الرواق الذى يلى الصحن فإنه سبعة فقط، وأما رواقه الملاصق لجدره الذى يلى الطريق فطوله من جدار القبلة إلى باب المسجد الكبير سبعون ذراعًا وسدس ذراع، وعرضه سبعة أذرع ونصف، وطول باقيه من باب المسجد الكبير إلى مؤخره مائة وأربعون ذراعًا وسدس ذراع، وعرضه سبعة أذرع وربع، وفى كل من جانبى هذا الرواق من الأبواب النافذة إلى صحن المسجد ثلاثة أبواب: اثنان متلاصقان، وآخر مفرد يلى باب المسجد الكبير.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «عدد» وصوابه من الأصل.
(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «التى» وصوابه من الأصل.

ذكر عدد أساطينه وصفتها وذرْع ما بينها

أما عددها فهو أربع وثمانون أسطوانة فى[1] أربعة صفوف الأربعة المقدمة منه، منها فى كل صف إحدى وعشرون أسطوانة وهى حجارة مجصَّصة، وذرع ما بين كل أسطوانتين من كل صف خمسة أذرع وثلث، وبعض ذلك يزيد قليلاً.

ذكر عدد عقوده

عدد العقود التى فى الأروقة المقدمة مائة وثمانية وستون عقدًا، منها فى كل رواق اثنان وعشرون فى عرضه، وفى كل صف اثنان وعشرون فى طوله.

ذكر ذرع موضع مصلّى النبى أمام المنارة

ذرعه طولاً من جدار المنارة القبلى إلى أقصى محرابه ثلاثة وعشرون ذراعًا ونصف ذراع وثُمن ذراع، وعرضه عن يمين المصلّى ويساره أربعة وعشرون ذراعًا وربع ذراع، و [سعة][2] محرابه ثمانية أذرع وثُمن، وطوله إلى جهة القبلة ذراعان ونصف، وما بين هذا المحراب وطرف صحن المسجد مما يلى القبلة خمسة وثمانون ذراعًا.

ذكر عدد شرافات المسجد من داخله وخارجه

أما التى من خارجه ففى حائط مؤخره، منها ستة وسبعون شرافة[3]، وفى حائطه الذى يلى الطريق الأعظمى من مؤخر المسجد إلى بابه الكبير اثنتان وسبعون شرافة، منها ثلاث مهدومة، وتمام ما على هذا الحائط من الشرفات أكثر من عشرين، لأنه سقط كثير منها مما يلى الباب.

وعلى الحائط الذى يلى الجبل ستة وتسعون، منها ست مهدومة.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «من» وصوابه من الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٣) الشرافة: زوائد توضع فى أطراف الشىء تحلية له.

وأما الشرافات التى تلى باطن المسجد، فعلى الرواق المؤخر من الأربعة الذى يلى صحن المسجد مائة وثلاث شرافات، منها اثنتان وسبعون من مؤخر المسجد إلى بابه الأعظم، وثلاث وثلاثون تمام ذلك إلى جداره القبلى.

ذكر ذرْع المنارة وصفتها وعدد درجها وما بين المنارة وبين نواحى المسجد

طولها فى المسجد أحد وعشرون ذراعًا وثُمن ذراع، وذرع تربيعها من جهة القبلة ستة أذرع إلا قيراط، ومن مؤخرها كذلك، ومما يلى الجبل إلى بابها ستة أذرع ونصف إلا قيراطين، والمقابل له الذى يلى باب المسجد الأعظم كذلك، وفيها من الطاقات إحدى عشرة طاقة فى كل جهة ثلاث، خلا الجهة التى تلى مؤخر المسجد فاثنتان فقط، وعدد درجها أربع وستون، وبينها وبين جدر المسجد الذى يلى الجبل ثلاثة وثمانون ذراعًا وربع ذراع، وبينها وبين الرواق الملاصق لجدار المسجد الذى يلى الطريق ثمانية وثمانون ذراعًا وربع ذراع، وبينها وبين جدار المسجد المؤخر سبعة وتسعون ذراعًا ونصف، وقد تقدم ما بينها وبين طرف صحن المسجد مما يلى القبلة وما بين ذلك والجدار القبلى.

ذكر ذرْع السقاية المذكورة

طولها تسع وثلاثون ذراعًا ورُبْع ذراع، وبينها وبين محاذاة المنارة ثلاثة وخمسون ذراعًا إلا ثُمن ذراع، وبينها وبين عتبة باب المسجد الكبير اثنان وأربعون ذراعًا وسُدس ذراع، وكان تحرير ما ذكرناه كله من أمر هذا المسجد بحضورى.

وأما خبر عمارة هذا المكان بعد الأزرقى فقد خفى علينا كثير من ذلك، لعدم تدوين مَنْ قِبلنا له، فمن ذلك بعد الأزرقى ـــ ما أحسب ـــ عمارة فى زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى فى سنة ست وخمسين ومائتين، ومن ذلك بعد الأزرقى يقينًا أن الوزير الجواد الأصفهانى عمّره، وأن أم الخليفة الناصر لدين الله العباسى عمّرته، واسمها مكتوب على بابه الكبير، وأن الملك المظفّر صاحب

اليمن عمَّر ما تشعث منه فى سنة أربع وسبعين وستمائة، وفى هذه السنة أمر بإنشاء المنارة التى هى الآن فيه واسمه مكتوب فى لوح فيها إلى الآن، وأن أحمد بن عمر المعروف بابن المرجانى التاجر الدمشقى عمَّره لما كان مجاورًا بمكة فى سنة عشرين وسبعمائة بما زيد على عشرين ألف درهم، وأصلح فيه بعد ذلك مواضع متشعّثة فى عصرنا وفيما قبله، وقد كثر تشعثه فى عصرنا، وزال كثير من ذلك بعمارته فى سنة عشرين وثمانمائة، والذى تطوع بمصروف هذه العمارة ما عرفته، والمتولى لمصروفها الشيخ على البغدادى شيخ رباط مولاتنا[1] جهة فرحان بمكة، ولكن ضيق بابه الكبير الذى يلى الطريق العظمى إلى عرفه ومكة، ولو لم يضيقه كان أحسن للحاجة إلى سعته فى أيام الحج.

ومن ذلك المسجد الذى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد حجها فى حجة الوداع، وهذا المسجد بالتنعيم، واختُلف فيه، فقيل: هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب، وهو المتعارَف عند أهل مكة على ما ذكر سليمان بن خليل، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك، والله أعلم.

وقيل: المسجد الذى بقربه بئر، وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له مسجد على، بطريق وادى مَر الظهران، وفى هذا أيضًا حجارة مكتوب فيها ما يشهد بذلك، والخلاف فى ذلك من قديم ذكره الفاكهى وغيره، ورجح المحب الطبرى أنه المسجد الذى بقربه البئر، وهو الذى يقتضيه كلام إسحاق الخزاعى [وغيره][2] والله أعلم.

وعمَّره على ما ذكر إسحاق الخزاعى: عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى العباسى أمير مكة، ثم العجوز والدة المقتدر العباسى على ما ذكره الخزاعى، ثم زوج الملك المنصور صاحب اليمن، وتاريخ عمارتها فى سنة خمس وأربعين

---

(١) فى المطبوعتين: «موالينا» والمثبت رواية الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وستمائة، أو فى سنة أربع وأربعين وستمائة على ما ذكر المحب الطبرى فى تاريخ عمارتها.

وممن عمر مسجد الهليلجة أبو النصر الأستراباذى عنه وعن أخيه فى سنة ستٍّ وستين وأربعمائة، ثم الملك المسعود صاحب اليمن ومكة فى سنة تسع عشرة وستمائة، وتاريخ عمارته وعمارة أبى النصر فى حجرين مكتوب فيهما ذلك بالمسجد المذكور.

وقد حررنا ذرع هذين المسجدين فكان طول المسجد المعروف بمسجد الهليلجة من وسط المحراب إلى الجدر الذى فى آخر رحبته خمسة وعشرين ذراعًا، وطوله خارجًا عن الرحبة أحد عشر ذراعًا، وعرضه ثلاثة وعشرون ذراعًا وربع ذراع، وبين هذا المسجد وبين أول الأعلام التى فى الأرض لا التى فى الجبل بالتنعيم سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعًا، كل ذلك حُرر بذراع الحديد.

وكان طول المسجد الآخر المنسوب إلى عائشة الذى يلى مسجد الهليلجة المشار إليه من المحراب إلى جدر الرحبة المقابل له أربعة وعشرين ذراعًا وثُلثى ذراع، وعرض الموضع المعبَّر منه من الجدار الذى فيه المحراب إلى طرف العقد مما يلى الرحبة عشرة أذرع وثلثا ذراع، وطول المعبر منه ثلاثة وعشرون ذراعًا وثلاثة أرباع الذراع بالذراع الحديد أيضًا، وذرع ما بين المسجدين المشار إليهما ثمانمائة ذراع، واثنان وسبعون ذراعًا بالذراع المذكور.

ومنها مسجد يقال له: مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مَرِّ الظهر يقال: إنه من المساجد التى صلى فيها النبى ﷺ، بين مكة والمدينة، ذكره شيخنا القاضى زين الدين بن حسين المراغى المدنى فى تاريخه للمدينة المنورة فى المساجد التى نقل أن النبى ﷺ صلى فيها بين مكة والمدينة، ونص كلامه: ومسجد فى

المسيل الذى بوادى مَر الظهران حين يهبط من الصفراوات[1] عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ومَر الظهران هو بطن مَر، المعروف الآن بمسجد الفتح. انتهى.

وممن عمَّر هذا المسجد على ما بلغنى الشريف أبو نمى صاحب مكة، وبلغنى أنه سبق عمه الشريف إدريس بن قتادة إلى عمارته لما بلغه أن عمه يريد أن يعمره، وممن عمره بعد ذلك الشريف حنَاش[2] بن راجح الحسنى، وبيَّضه فى عصرنا من نحو ثمان سنين صاحب مكة: الشريف حسن بن عجلان، بياضه الذى هو به الآن، ورفع أبوابه لصونه عن الغنم وشبهها، أثابهم الله تعالى... فهذه الأماكن المباركة بمكة وحرمها وقربه المعروفة الآن بالمساجد، وقد ذكر الأزرقى مساجد أُخَر لا يُعرف موضعها الآن، وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب.

---

(١) لدى ابن فهد فى حسن القرى ص٧٠ هامش ٤ : ٥ الصفراوات مشرفة على مسيل هذا الوادى ومنها يهبط إليه، وهناك آثار سوق الجاهلية مجنّة المذكور فى شعر الجرهمي:

وهل أرِدَنْ يومًا مياه مَجَنَّة ... وهل يَبْدُوَنْ لى شَامَةٌ وطفيلُ

(٢) فى طبعة تدمرى: «وهاس بن راجح» وفى طبعة الذهبى: «راجح الحسنى» وكلاهما تحريف، صوابه من الأصل، ومثله فى العقد الثمين للفاسى ٤/ ٢٤٩، ولديه: «حنَاش بن راجح الحَسَنى المكى، كان من أعيان الأشراف، وتوفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة» ومثله لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٣/ ٣٣٩.

ذكر المواضع المباركة بمكة المشرّفة المعروفة بالمواليد

هذه المواضع هى مساجد وإنما هى معروفة عند الناس بالمواليد، ولذلك أفردناها عن المساجد بالذكر، فمنها المولد الذى يقال له: مولد النبى ﷺ بالموضع الذى يقال له سوق الليل، وهو مشهور عند أهل مكة.

وذكر الأزرقى أن عقيل بن أبى طالب أخذه لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، ولم يزل بيده ويد أولاده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفى، فأدخله فى داره التى يقال لها دار البيضاء، ولم يزل هذا البيت فى هذه الدار حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون، فجعلته مسجدًا يصلّى فيه، وأخرجته من الدار وشرعته إلى الزقاق الذى فى أصل تلك الدار. انتهى.

وذكر السهيلى ما يستغرب فى تعيين الموضع الذى وُلد فيه النبى ﷺ وفيمن بناه، لأنه قال: ووُلد بالشِّعب، وقيل: بالدار التى عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف[١] أخى الحجاج، ثم بنتها زُبيدة مسجدًا حين حجت[٢]. انتهى.

وذكر الحافظ علاء الدين مُغْلَطَاى فى سيرته ما يُستغرب أيضًا فى تعيين الموضع الذى وُلد فيه النبى ﷺ، لأنه قال فيما أنبئت به عنه: وُلد بمكة، ثم قال: فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف، ويقال: بالشِّعب، ويقال: بالردْم، ويقال: بعُسْفَان[٣]. انتهى.

والمُستغْرَب من ذلك ما قيل من أن النبى ﷺ وُلد بالردْم، وقيل: بعُسَفَان، والقول بأنه وُلد بالردم رواه أبو حفص بن شاهين فى «الناسخ والمنسوخ» لأنه قال: حدثنا أحمد بن عيسى بن السكن، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا يعلى بن

---

(١) فى المطبوعتَين: «وكانت بيد محمد» والمثبت رواية الأصل، ومثلها لدى السهيلى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٨٣.

(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطاى – ص٥٦.

الأشدق، عن عبد الله بن جراد، قال: وُلد رسول الله ﷺ بالرَّدْم، وخُتن بالردم، واستبعث من الردم، وحُمل من الردم.

قال البكرى: رَدْمُ بنى جُمَح بمكة، كانت فيه حرب بينهم وبين بنى مُحَارب ابن فِهْر، فَقَتَلَتْ بنو محارب من بنى جُمَحَ أشدَّ القتل، فسُمى ذلك الموضع [الردم] بما رُدِم عليه من القتلى(١). انتهى.

ذكر شىء مما ورد فى بركة الموضع الذى وُلد فيه النبى

روى الأزرقى بسنده عن بعض من كان يسكن هذا الموضع قبل أن تخرجه الخيزران من الدار البيضاء أنهم قالوا: لا والله ما أصابنا فيه جائحة ولا حاجة، فأُخرجنا منه فاشتد الزمان علينا(٢). انتهى.

ذكر صفة هذا المكان

أما صفته التى أدركناه عليها، فإنه بيت مربع وفيه أسطوانة عليها عقدان، وفى ركنه الغربى مما يلى الجنوب زاوية كبيرة قبالة بابه الذى يلى الجبل، وله باب آخر فى جانبه الشرقى أيضًا، وفيه عشرة شبابيك: أربعة فى حائطه الشرقى، وهو الذى فيه باباه المتقدم ذكرهما، وفى حائطه الشمالى ثلاثة، وفى الغربى واحد، وفى الزاوية اثنان: واحد فى جانبها الشمالى وواحد فى جانبها اليمانى، وفيه محراب، وبقرب المحراب حُفْرة عليها درابزين من خشب، وذرْع تربيع الحُفْرة من كل ناحية ذراع وسُدس، الجميع بذراع الحديد المتقدم ذكره، وفى وسط الحُفرة رخامة خضراء، وكانت هذه الرخامة مطوّقة بالفضة على ما ذكره ابن جبير، وذكر أن سعتها مع الفضة [المتصلة بها] شبرا(٣). انتهى.

---

(١) معجم ما استعجم ٢/ ٦٤٩ وما بين حاصرتين منه.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٩٩.
(٣) الرحلة لابن جبير ـــ ص١٤٥ وما بين حاصرتين منه.

وهذا الموضع جُعل علامة للموضع الذى وُلد فيه النبى ﷺ من هذا المكان، وذرْع هذا المكان طولاً أربعة وعشرون ذراعًا وربع ذراع، وذلك من الجدار الشمالى إلى الجدار المقابل له، وهو الجنوبى الذى يلى الجبل، وذرْعه عرضًا أحد عشر ذراعًا وثمن ذراع، وذلك من الشرقى الذى فيه بابه إلى جداره الغربى المقابل له، وطولاً الزاوية المشار إليها ثلاثة عشر ذراعًا ونصف ذراع وعرضها ثمانية ونصف، الجميع بذراع الحديد، وكان تحرير ذلك بحضورى.

ولم يذكر الأزرقى صفة هذا المكان ولا ذرْعه، وقد خفى علينا كثيرًا من خبر عمارته، والذى علمته من ذلك أن الناصر العباسى عمَّره فى سنة ستٍّ وسبعين وخمسمائة، ثم الملك المظفرّ صاحب اليمن فى سنة ستٍّ وستين وستمائة، ثم حفيده المجاهد فى سنة أربعين وسبعمائة، وفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة من قِبَل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر، وفى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بإشارة مُدَبِّر[1] دولته يلبغا الخاصكى سنة ستٍّ وستين وسبعمائة، وفى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها، من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة، وكانت عمارة هذا المولد بعد موته.

ومنها الموضع الذى يقال له: مولد فاطمة رضى الله عنها بنت النبى ﷺ، وهذا المكان من دار أمها خديجة بنت خُوَيْلد رضى الله عنها فى الزقاق المعروف بزقاق الحِجْر بمكة المشرفة، ويقال: الدار كلها مولد فاطمة رضى الله عنها.

والموضع الذى يقال إن فاطمة رضى الله عنها وُلدت فيه مشهور فى هذه الدار، وطوله خمسة أذرع إلا ثُمنًا، وعرضه من وسط جداره ثلاثة أذرع ورُبع وثُمن، الجميع بذراع الحديد.

وفى هذا الموضع موضع صغير على صفة البركة مدورة، وسعة فمها طولاً من داخل البناء المحوط عليه ذراع، وعرضها كذلك، وفى وسطها حجر أسود يقال:

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «مُدير» وصوابه من الأصل، ومثله لدى أبى المحاسن فى الدليل الشافى ٢/ ٧٩٣.

إنه مسقط رأسها، ولا ريب فى كون فاطمة رضى الله عنها وُلدت فى هذه الدار، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرْعه بحضورى.

ومنها الموضع الذى يقال له مولد على بن أبى طالب ﷺ قريبًا من مولد النبى ﷺ من أعلاه مما يلى الجبل، وهو مشهور عند أهل مكة بذلك لا اختلاف بينهم فيه، ولم يذكره الأزرقى وذكره ابن جبير[1] وعلى بابه مكتوب: هذا مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ، وفيه رُبّى رسول الله ﷺ، أمر بعمله سيدنا ومولانا الإمام أبو العباس أحمد بن الناصر لدين الله أمير المؤمنين فى سنة ثمانٍ وستمائة.

ذكر صفة هذا المكان وذرعه

هذا المكان رواقان بينهما عقدان كالبابين، طول الرواق المقدَّم من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له الذى يلى الجبل أربعة وعشرون ذراعًا ونصف وثُمن ذراع، وطول الرواق المؤخر خمسة وعشرون ذراعًا ونصف، وعرض الرواقين جميعًا خمسة عشر ذراعًا وثلث ذراع، وفى الرواق المقدم ثلاثة محاريب، وفى طرف الرواق المؤخر درجة يصعد منه إلى أعلى هذا الموضع، وهى الآن متخربة، وفى طرف هذا الرواق مما يلى الشرق خوخة صغيرة يدخل منها إلى هذا المكان، وفى طرف الرواق المقدم باب هذا المكان.

وفى هذا المكان من العقود سبعة عقود، غير العقدين اللَّذَين بين الرواقين، منها فى الرواق المقدم ثلاثة، وفى المؤخر أربعة، وفى طرف الرواق المقدم مما يلى الجبل حفرة صغيرة كالبركة، يقال: إنها الموضع الذى وُلد فيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وطولها نصف ذراع، وكذلك عرضها، والذراع المشار إليه هو ذراع الحديد، وكان تحرير ذرْع ذلك بحضورى.

(١) الرحلة ص١٤٥.

ومنها الموضع الذى يقال له مولد حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ورضى عنه، بأسفل مكة، بقرب باب الماجن، وعنده عين مكة المعروفة ببازان، ولم أر شيئًا يدل لصحة ذلك، بل فى صحته نظر، لأن هذا الموضع ليس محلاً لبنى هاشم، والله أعلم.

وطول هذا الموضع خمسة عشر ذراعًا وثلث ذراع، وعرضه سبعة أذرع وربع ذراع وثُمن ذراع، وذلك من الجدر الذى فيه بابه إلى الجدر المقابل له وهو القبلى، وبابه إلى جهة باب الماجن، وهذا المكان الآن خراب جدًّا، ولا سقف له، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرعه بحضورى، والذراع المحرر به هو ذراع الحديد.

ومنها الموضع الذى يقال له مولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجبل الذى تسميه أهل مكة النوبى وهو جبل مشهور بأسفل مكة، ولا أعلم فى ذلك شيئًا يُستأنس به، إلاَّ أن جدى لأمى القاضى أبا الفضل النويرى كان يزور هذا الموضع فى جمع من أصحابه فى ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة فى الغالب، والله أعلم بحقيقة ذلك.

ومنها الموضع الذى يقال له مولد جعفر الصادق بالدار المعروفة بدار أبى سعيد، بقرب دار العجلة، لأن على بابه حجرًا مكتوبًا فيه: هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبى ﷺ، وفيه أن بعض المجاورين أمر بعمارته فى صفر سنة ثلاث وعشرين وستمائة. انتهى.

ويقال لهذا الموضع مولد جعفر بن أبى طالب المعروف بالطيار، والله أعلم بحقيقة ذلك، وطول هذا الموضع من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدر المقابل له وهو القبلى ستة عشر ذراعًا وثُلث ذراع، وعرضه سبعة أذرع إلا ربع ذراع، الجميع بذراع الحديد، وكان تحرير ذلك بحضورى.

ذكر الدور المباركة بمكة المشرفة

بمكة دور مباركة معروفة عند الناس وغالبها مساجد، ولكنها مشهورة عند الناس بالدور، ولذلك أفردناها بالذكر عن المساجد: منها دار خديجة بنت خُوَيْلد أم المؤمنين رضى الله عنها بالزقاق المعروف بزقاق الحِجْر بمكة، ويقال له أيضًا

زقاق العطارين على ما ذكره الأزرقى[١]، وتعرف هذه الدار بمولد فاطمة رضى الله عنها، لكونها وُلدت فيه هى وإخوتها أولاد خديجة من النبى ﷺ على ما ذكره الأزرقى، وذكر أن النبى ﷺ بنى بخديجة فيها، وأنها تُوفيت فيها، ولم يزل النبى ﷺ ساكنًا فيها حتى هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبى طالب، ثم اشتراها من معاوية بن أبى سفيان وهو خليفة، فجعلها مسجدًا يصلَّى فيه[٢]. انتهى المعنى باختصار.

وذكر فى موضع آخر أن معتب بن أبى لهب أخذ بيت خديجة بنت خويلد، فباعه من معاوية بمائة ألف درهم[٣]. انتهى. وهذا يخالف ما ذكره من أن عقيلاً أخذ بيت خديجة، والله أعلم بالصواب.

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقًا فيه سبعة عقود على ثمانية أساطين، فى وسط جداره القبلى ثلاثة محاريب، وفيه ست وعشرون سلسلة فى صفّين، وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات، وبين هذين الرواقين صحن، والرواق الثانى أخصر من الرواق المتقدم، لأن بقربه بعض المواضع التى يقصدها الناس بالزيارة فى هذا الدار، وهى ثلاثة مواضع:

الأول: الوضع الذى يقال له مولد فاطمة رضى الله عنها.

والثانى: الموضع الذى يقال له قبة الوحى، وهو ملاصق لمولد فاطمة.

والثالث: الموضع الذى يقال له المختبأ، وهو ملاصق لقبة الوحى، زعموا أن النبى ﷺ كان يختبئ فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون، والله أعلم بحقيقة ذلك، وذرْع الموضع الذى يقال له المختبأ أربعة أذرع وثلث ذراع، وذلك من الجدار الذى فيه المحراب إلى الجدار المقابل له، وهو طرف جدار قبة الوحى الغربى، هذا ذراعه طولاً، وذرعه عرضًا ثلاثة أذرع وثلثا ذراع، وذلك من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له، وذرع الموضع الذى يقال له قبة الوحى من الجدار

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٧٨.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٩٩.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٤٦.

الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له ثمانية أذرع وثلثا ذراع هذا ذرعه طولاً، وأما ذرعه عرضًا فثمانية أذرع ونصف، بذراع الحديد المقدم ذكره.

وقدْ تقدم ذراع الموضع الذى يقال له مولد فاطمة رضى الله عنها من هذه الدار، وذرع الرواق المقدم من هذه الدار من وسط جداريه على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعًا، هذا ذرعه طولاً، وذرعه عرضًا سبعة أذرع وربع، وذرع ما بين كل أسطوانتين منه خمسة أذرع وربع، وذراع الرواق المؤخر من هذا الدار من جدار قبة الوحى إلى الجدار المقابل له ثلاثة وعشرون ذراعًا، هذه ذرعه طولاً، وذرعه عرضًا عشرة أذرع، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرع هذه المواضع بذراع الحديد وحُرر ذلك بحضورى.

وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عُمِّرت فى خلافة الناصر العباسى، وفى زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر.

وفى الرواق المقدم من هذه الدار أن المقتدى العباسى أمر بعمله، وعُمر بعض هذه الدار فى أول دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق من المال الذى أنفذه أبوه لعمارة المسجد الحرام وغيره، ولم يعمر ذلك إلا بعد موته فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها.

ومما عُمّر فى هذا التاريخ من هذه الدار الموضع المعروف بقبة الوحى بعد سقوطه، وبلغنى أن القبة الساقطة كانت من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير على بابه حجر مكتوب فيه أن هذا الموضع مربد مولد فاطمة رضى الله عنها، وأن الناصر العباسى عمره، ووقفه على مصالح دار خديجة التى إلى جانبه. انتهى بالمعنى.

وحكى بعض الناس أنه رأى النبى ﷺ فى المنام يكثر التردد إلى هذا الموضع، وذكر المحب الطبرى أن دار خديجة أفضل الأماكن بمكة بعد المسجد الحرام، ولا شك فى ذلك، والله أعلم.

ومنها على ما يقال دار لأبى بكر الصديق ﷺ، بهذا الزقاق، وهى مشهورة فيه، وعلى بابها حجر مكتوب فيه: هذه الدار دار صاحب رسول الله ﷺ فى الغار ورفيقه فى الأسفار ــ إلى أن قال الكاتب ــ: أمير المؤمنين أبى بكر الصديق ﷺ، أمر بعمارته طلبًا لثواب الله تعالى، الأمير الكبير نور الدين عمر بن على بن رسول المالكى المسعود فى نعمة السلطان الملك المسعود، وذكر الكاتب ألقابه وألقاب أبيه ثم قال: وذلك فى المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة. انتهى. والآمر بهذه العمارة هو الذى بنى المسجد الذى فيها، والله أعلم.

ولم يذكر الأزرقى هذه الدار للصديق ﷺ، وذكرها ابن جبير فى مشاهد مكة، لأنه قال لما ذكر مشاهدها: ومن مشاهدها الكريمة دار لأبى بكر الصديق ﷺ، وهى اليوم دارسة الأثر ويقابلها جدار فيه حجر مبارك يتبرك الناس بلمسه، يقال: إنه كان يسلم على النبى ﷺ متى اجتاز عليه[(١)]. انتهى.

وذكر خطيب سبتة الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رُشيد ــ بضم الراء المهملة ــ الفهْرى فى رحلته شيئًا من خبر هذه الدار وهذا الحجر، لأنه ذكر أن ممن لقى بمكة المشرقة فقيهَىْ الحرم: الرضا محمد بن أبى بكر ابن خليل وأخاه العلم أحمد، ثم قال: فلما زرناهما جُزْنا بالطريق طريق دارهما بحجر يتبرك الناس بالتمسح به، فسألت علم الدين عنه فقال: أخبرنى عمى سليمان قال: أخبرنى كل من لقيت بمكة أن هذا الحجر هو الذى كلم النبى ﷺ، وهذا الحجر الذى مررنا به هو الذى بجهة باب النبى ﷺ أمام دار أبى بكر الصديق ﷺ، بارزًا هنالك عن الحائط قليلاً[(٢)]. انتهى.

وهذا الحجر إن صح كلامه للنبى ﷺ فلعله الحجر الذى عناه النبى ﷺ فى قوله: «إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علىَّ ليالى بُعثْتُ». انتهى بالمعنى.

وقد اختُلف فى هذا الحجر فقيل: هو الحجر الأسود، وقيل: حجر غيره بمكة لعله هذا، والله أعلم.

---

(١) رحلة ابن جبير ص٩٣.

(٢) ملء العيبة لابن رشيد ٥/ ١٢٩ ــ ١٣٠.

وطول هذا المسجد الذى فى هذه الدار المذكورة ثمانية أذرع، وعرضه ستة أذرع، وذلك من جدار المحراب إلى باب المسجد، وكان تحرير ذرع ذلك بذراع الحديد، وحُرر بحضورى.

ومنها دار الأرقم المخزومى، وهى الدار المعروفة بدار الخيزران عند الصفا، والمقصود بالزيارة منها هو المسجد الذى فيها، وهو مشهور، وهو من المساجد التى ذكرها الأزرقى، وذكر أن النبى ﷺ كان مختبئًا فيه، وفيه أسلم عمر بن الخطاب ﷺ[١]. انتهى.

ولعل هذا الموضع أفضل الأماكن بمكة بعد دار خديجة بنت خويلد، لكثرة مكْث النبى ﷺ فيه يدعو الناس للإسلام مستخفيًا، وإقامته ﷺ بهذا الموضع دون إقامته بدار خديجة، ولذلك كانت أفضل من هذا الموضع، والله أعلم.

وطول هذا المسجد ثمانية أذرع إلا قيراطين، وعرضه سبعة أذرع وثلث، الجميع بذراع الحديد، حُرر ذلك بحضورى، وفيه مكتوب: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ (سورة النور: آية ٣٦) هذا مختبأ رسول الله ﷺ دار الخيزران، وفيه مبتدأ الإسلام، أمرت بتجديده الفقيرة إلى الله تعالى مولاة أمير الملك مفلح سنة ست، وذهب بقية التاريخ، وعمره أيضًا الوزير الجواد [وعمَّره أيضًا المستنصر العباسى، وعمّر أيضًا فى عصرنا فى آخر القرن الثامن من قبل امرأة مصرية][٢] مجاورة يقال لها مرة العصماء، وعُمر أيضًا فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، والذى أمر بهذه العمارة لا أعرفه، والمتولى لصرف النفقة فيها علاء الدين على بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد.

ومن الدور المباركة بمكة دار العباس بن عبد المطلب ﷺ بالمسعى، وفيها العلم الأخضر، وهى الآن رباط للفقراء.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٠٠.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، واستدركته طبعة الذهبى ولكنه ينقص عما هنا كثيرًا.

ومنها: الرباط المعروف برباط الموفق بأسفل مكة [لأنى وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد الله الفاسى أنه سمع الشيخ أبا عبد الله بن مطرف نزيل مكة][1] الولى المشهور يقول: ما وضعت يدى فى حلقة باب الرباط ـ قال جدى: يريد رباط الموفق ـ إلا وقع فى نفسى كم ولىٍّ لله وضع يده فى هذه الحلقة. انتهى.

وبلغنى أن الشيخ خليلاً المالكى كان يقول: إن الدعاء يُستجاب فيه أو عند بابه، وأنه كان يكثر إتيانه للدعاء، والله أعلم.

ومنها الموضع الذى يقال له: معبد الجُنَيْد بلحف الجبل الذى يقال له الأحمر، أحد أخشبى مكة، ويقال له الآن قعيقعان، ويسميه أهل مكة أيضًا جبل أبى الحارث، والله أعلم، وهو مشهور بمكة المشرفة.

ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها

بمكة وحرمها جبال مباركة:

منها الجبل المعروف بجبل أبى قبيس لأن فيه قبر آدم عليه السلام على ما يقال، لأن صاحب «المورد العذب الهنى» قال: [قال][2] وهب، يعنى ابن منبه: حفر له ـ يعنى آدم ـ: فى موضع فى أبى قبيس فى غار يقال له غار الكنـز، فاستخرجه نوح وجعله فى تابوت معه فى السفينة، فلما نضب الماء رده نوح إلى مكانه. انتهى.

وهذا الغار لا يعرف الآن، وقد اختُلف فى موضع قبر آدم على أربعة أقوال:

الأول: أنه كان بأبى قبيس، كما قال وهب.

والثانى: أنه بمسجد الخَيْف، كما قال عروة بن الزبير فيما روى عنه الفاكهى بسنده، وقد تقدم لنا ذلك فى أخبار مسجد الخيف، وفيه أنه دُفن به بعد أن صلى عليه جبريل بباب الكعبة.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

والقول الثالث: [أنه] عند مسجد الخيف، حكى هذا القول الذهبى فى تأليف له ترجم فيه تاريخ مدة آدم وبنيه، رأيته بخط الذهبى قال فيه بعد أن ذكر قولَ وهب السابق فى قبر آدم بالمعنى: وقيل دفنه سام بن نوح عند مسجد الخيف، ولم يحك هذا القول وهب إلا بصيغة التمريض.

والقول الرابع: أنه ببلاد الهند فى الموضع الذى أُهبط إليه من الجنة، وصحح هذا القول الحافظ عماد الدين بن كثير فى تفسيره، والله أعلم.

ووقع فى تاريخ الإمام الأزرقى ما لعله يوهم أن قبر آدم عليه السلام كان فى بيت المقدس [لأن فيه](١) وأخبرنى مقاتل قال: [فى المسجد الحرام بين زمزم قبر تسعين نبيًّا منهم: هود، وصالح، وإسماعيل، وقبر آدم، وإبراهيم، وإسحاق](٢) ويعقوب ويوسف فى بيت المقدس(٣). انتهى.

وفى أبى قبيس على ما يقال قبر شيث بن آدم وأمه حواء، لأن الذهبى قال فى الجزء الذى ألفه فى تاريخ مدة آدم وبنيه ما نصه: وخَلَفَهُ بعده شيث ابنه، وأُنزِلت عليه خمسون صحيفة، وعاش تسعمائة سنة، ودُفن مع أبويه فى غار أبى قبيس. انتهى. ومن خط الذهبى نقلت ذلك، والله أعلم.

وفى أعلى جبل أبى قبيس موضع يقول الناس: فيه انشق القمر للنبى ﷺ، ولم أر ما يدل لصحة هذه المقالة، بل رأيت ما يدل على أن الانشقاق وقع فى هذا الجبل فى غير هذا الموضع الذى يقوله الناس، لأن أبا نُعَيْم روى بسنده إلى عطاء عن ابن عباس أن ذلك كان ـــ انشقاق القمر ـــ ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين: نصفًا على الصفا ونصفًا على المَرْوَة. انتهى.

والصفا من جبل أبى قبيس على ما قال العلماء، وهو بأسفله، ويُرْوَى من حديث ابن مسعود ما يقتضى أن القمر انشق على أبى قبيس من غير بيان موضعه،

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، ومثله لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٧٣.

وهذا فى كتاب الفاكهى، لأنه روى بسنده إلى ابن جُرَيْج عن مجاهد شيئًا فى انشقاق القمر، ثم عقب ذلك بقوله قال: أخبرنى أبو معمر عن عبد الله بن مسعود قال: رأيت القمر ينشق شقين قبل مخرج النبى ﷺ بمكة، شقة على أبى قبيس، وشقة على كُدى وكَدَاء[١]. انتهى باختصار.

وما عرفت المراد بكُدًى وكَدا: هل الثنية السفلى [لمقابلتها][٢] لأبى قبيس، أو مكان آخر، ويتأكد كون الثنية السفلى بأن القطب الحلبى ذكر شيئًا فى انشقاق القمر، قال: كان يرى نصفه على قُعَيْقعان، ونصفه الآخر على أبى قبيس. انتهى.

وقُعَيْقعان عنده الثنية السفلى، وهى على مقتضى ما ذكر المحب الطبرى الثنية التى بُنى عليها باب مكة المعروف بباب الشبيكة، ولعلها من قُعَيْقعان والله أعلم.

وقوله: نصفًا على الصفا، فى الخبر الذى ذكره أبو نُعَيْم، لا يعارض قول ابن مسعود: شقة على أبى قبيس [ولا قول القطب الحلبى: ونصفه الآخر على أبى قبيس][٣] لما سبق من قول العلماء إن الصفاء من أبى قبيس، وقوله: ونصفًا على المروة، لا يوافق كون المراد بكُدًى وكَدَاء فى حديث ابن مسعود الثنية السفلى، وما ذكرناه عن القطب الحلبى مذكور فى كتابه «المورد العذب الهنى فى شرح سيرة عبد الغنى المقدسى» وعليه اعتمدت فى نقل الحديث الذى نقلناه عن أبى نُعَيْم، لأنه فى كتابه المذكور، وقال بعد ذِكْره له: فعلى هذا يكون الانشقاق بنفس بلد مكة. انتهى.

ويدل على وقوع الانشقاق بمكة الحديث الذى رويناه فى مُسْنَد عبد بن حُمَيْد، ولفظه: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فنـزلت: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (سورة القمر: آية ١، ٢) أخرجه الترمذى

---

(١) لدى ياقوت: «كُدًى: بضم الكاف وتنوين الدال، بأسفل مكة عند ذى طُوًى، وكَداء: بالفتح والمدّ بأعلى مكة عند المحصّب من ذى طُوًى» والخبر لدى الفاكهى ٤/ ٤٦.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، واستدركته طبعة الذهبى ولكنه ينقص عما هنا.

عن عبد بن حُمَيْد، فوقع لنا موافقة له عالية بدرجتين بالنسبة إلى روايتنا المتصلة بالسماع، وفى بعض طرق حديث أنس ﷺ، سأل أهل مكة النبى ﷺ أن يُرِيَهُم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما.

وذكر القاضى عياض فى «الشفا»[1] أن مسروقًا روى عن ابن مسعود أن الانشقاق كان بمكة، وروى ذلك أبو يعلى فى مسنده من حديث ابن مسعود على ما نقل بعض مشايخنا، ورويناه من حديث ابن مسعود أيضًا ما يقتضى أن الانشقاق كان بمنى، لأن مسلمًا قال فى صحيحه: وحدثنا منجاب بن الحارث[2] التميمى واللفظ له، أخبرنا ابن مسهر عن الأعمش عَنْ إبراهيم[3] عن أبى معمر عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا، ولا تَعَارُض بين رواية من روى أن الانشقاق كان بمكة، وبين رواية من روى أنه كان بمنى، لأن سبب الانشقاق أن بعض المشركين سأل النبى ﷺ بمنى أن يُرِيَهُم آية فأراهم انشقاق القمر، وأظهره الله تعالى هكذا ليراه مَن بمكة وحولها تصديقًا لنبيه ﷺ، من المعجزة التى طلبت منه، فإن بعض المشركين تردد فى ذلك وعد ذلك سحرًا، وأحال بعضهم الأمر فى صحة ذلك على السُّفَّار، فأخبر السُّفَّار عند قدومهم[4] برؤيتهم القمر منشقًا، حتى إنه رئى هكذا فى آفاق مكة على ما ذكره القطب الحلبى.

ونقل القاضى عياض عن السمرقندى عن الضحاك أن أبا جهل بن هشام، هو القائل: هذا سحر، وأنه قال: فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقًا فقال ــ يعنى الكفار[5] ــ: هذا سِحْر مستمر. انتهى.

---

(١) الشفا ١/ ١٧٥.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «منجاب بن الحرب» وهو تحريف قبيح صوابه من الأصل، ومثله فى صحيح مسلم: باب انشقاق القمر.

(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الأعمش بن إبراهيم» وصوابه من الأصل والشفا.

(٤) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «قومهم» وصوابه من الأصل.

(٥) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «فقال لَعين الكفار» وصوابه من الأصل.

ورويـنا معنى ذلك فى مسند أبى داود الطيالسى لأن فيه من حديث ابن مسعود: وانشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سِحْر ابن أبى كبشة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السُّفار فقالوا ذلك. انتهى.

وانشقاق القمر للنبى ﷺ من معجزاته الباهرة المتواترة لثبوتها بنص القرآن العظيم، فى قوله: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ (سورة القمر: آية ١) وثبوتها فى السُّنَّة الصحيحة الشريفة من حديث أنس، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، ﷺ، وحديثهم فى صحيح مسلم[١]، ورُوى من حديث على بن أبى طالب وجُبير ابن مطعم وحذيفة بن اليمان ﷺ أجمعين، ولا عبرة باستبعاد كثير من الملحدة الانشقاق؛ فإن ذلك شقاوة منهم وإنكار لأمر محسوس متواتر وقوعه فى النقل، ولم يُستَحَل جوازه فى العقل.

وفى «الشفا» للقاضى عياض ذكر حجتهم فى ذلك والرد عليهم بما فيه كفاية، ونشير هنا لشيء من ذلك، قال فيما رويناه عنه: ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض، إذ هو شيء ظاهر لجميعهم، إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة، فلم يروه انشق، ولو نُقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب لكثرتهم لما كانت به علينا حجة، إذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الأرض، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الأرض، إلى آخر كلامه[٢].

وذكر القطب الحلبى وجهًا فى الرد على من استبعد ذلك فقال: ويحتمل أن يكون خرق العادة فى ذلك الوقت لصرف جميع أهل الأرض من الالتفات إليه فى تلك الساعة، ليخص أهل مكة بهذه المزية، والآية التى طلبوها. انتهى.

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٥٨ رقم ٢٨٠٠.
(٢) الشفا ١/ ١٧٦.

ومن فضائل جبل أبي قبيس أنه كان يُدعى الأمين، لأن الحجر الأسود استودع فيه زمن الطوفان، فلما بنى إبراهيم الخليل عليه السلام البيت نادى أبو قبيس: الركن منِّى بمكان كذا وكذا، وجاء به جبريل عليه السلام فوضعه موضعه من الكعبة، ومن فضائله أن الدعاء فيه يستجاب، لأن الفاكهى ذكر فى خبر وفد عاد للاستسقاء لقومهم بسبب جدب بلادهم، أنهم نزلوا على بكر بن معاوية سيد العماليق يومئذ بمكة، فأقاموا عنده شهرًا يسقيهم الخمر ويطعمهم اللحم وتغنيهم الجرادتان، فلهوا عما جاءوا له واستحيا بكر من مشافهتهم بذلك، فعمل شعرًا غنتهم به الجرادتان، فأقاموا من غفلتهم فنهضوا فلما رآهم بكر بن معاوية قال لهم: اعلوا هذا الجبل، يعنى أبا قبيس، فإنه لم يَعْلُه خاطئ يعرف الله تعالى منه الإنابة إلا أجابه إلى ما دعاه إليه، وذكر بقية الخبر فى دعاء كل من الوفد واستجابة دعائه، وما ذكرناه منه باللفظ وبعضه بالمعنى.

ومن فضائله أنه أول جبل وضعه الله تعالى فى الأرض على ما روينا عن ابن عباس.

وسمعت بعض علماء العصر يقول: إنه أفضل جبال مكة حتى إنه فضله على حراء، وعلل ذلك بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة، وفى النفس شىء من تفضيله على حراء لكونه ﷺ كان يكثر إتيانه للعبادة، ويقيم فيه لأجلها شهرًا فى كل عام، وفيه أكرمه الله بالرسالة، ولم يتفق له ﷺ مثل ذلك فى جبل سواه، وذلك مما يقتضى امتيازه بالفضل، ويؤيد ذلك أن المحب الطبرى قال فى دار خديجة بنت خويلد بمكة إنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام، وليس لتفضيل دار خديجة على غيرها من دور الصحابة بمكة موجب سوى طُول سُكْنَى النبى ﷺ ونزول الوحى عليه فيها، ولو كانت الأفضلية تحصل بالقرب من الكعبة من غير نظر إلى شىء من المعانى التى ذكرناها فى تفضيل حراء ودار خديجة، لَفضِّل على جبل حراء كل جبل كان أقرب منه إلى الكعبة، ولَفُضِّل على دار خديجة ما هو أقرب منها إلى الكعبة، كدار العباس رضي الله عنه بالمسعى، ودار الأرقم المخزومى بالصفا المعروفة بدار الخيزران، وأستبعد أن يقال ذلك، والله أعلم.

ومن خواص جبل أبي قبيس ما ذكره أبو عبد الله محمد بن محمد القزويني فى كتابه «عجائب المخلوقات» لأنه قال: جبل أبي قبيس مظل على مكة يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس، وكثير من الناس يفعل ذلك[١]. انتهى. وهذا عجيب والله أعلم بحقيقة ذلك.

ومنها جبل الخَنْدَمَة لـــمَا رُوى فيها من الفضل، لأن الفاكهى قال بعد تعريفه للخندمة: فحدثنى أبو بكر أحمد بن محمد بن إبراهيم المليكى قال: حدثنى عبد الله ابن عمر بن أسامة الحميدى قال: حدثنا أبو صفوان المروانى عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عباس قال: ما مُطِرَت مكة قط إلا كان لِلْخَنْدَمَةِ عزة[٢] وذلك أن فيها قبر سبعين نبيًّا[٣]. انتهى. والله أعلم بصحته.

وقال الفاكهى فى تعريف جبل الخندمة: الخندمة ما بين حرف السُّوَيداء[٤] إلى الثنية التى عليها بئر ابن أبي سمير[٥] فى شِعْب عَمْرو، مشرفة على أجياد الصغير، وعلى شعب ابن عامر، وعلى دار محمد بن سليمان فى طريق منى، وهو جبل فى ظهر أبي قُبَيسْ، ومن قافية الخندمة من ظهرها المشرف على دار ابن صيفى المخزومى من[٦] الثنية التى يسلك منها من شِعب ابن عامر إلى شعب آل سفيان دون شعب [الخوز، وذلك الموضع الذى على يمين من انحدر من الثنية التى يُسلك

---

(١) عجائب المخلوقات ص١٤٨.

(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «إلا كان الخندمة أمطرها» وفى طبعة الذهبي: «إلا كان للخندمة غرة» بالغين المعجمة والراء المهملة وكلاهما تحريف، صوابه فى الأصل، ومثله لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف، وهى رواية المصنف أيضًا فى الزهور المقتطفة الذى كتب فى حياة المؤلف.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٤/ ١٣٤، الزهور المقتطفة المخطوط، ص٨٤.

(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «السويد» وصوابه لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف ومثله فى الأصل.

(٥) تحرف فى المطبوعتين إلى: «شمير» بالشين المعجمة، وصوابه من الأصل، ومثله لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف.

(٦) تحرف فى المطبوعتين إلى: «بين» وصوابه لدى الفاكهى.

منها من شِعب][١] ابن عامر، وعلى دار محمد بن سليمان فى طريق مِنى إذا جاوزت المَقبرة عن يمين الذاهب إلى مِنى[٢]. انتهى.

وذكر الأزرقى فى تعريف الخندمة نحو ما ذكره الفاكهى باختصار[٣] والخندمة الآن معروفة عند الناس بمكة، وفيها يقول القائل:

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يوم الخَنْدَمَهْ

الأبيات المشهورة فى خبر فتح مكة[٤].

ومنها جبل حراء بأعلى مكة لكثرة مجاورة النبى ﷺ فيه، وما خصه الله به فيه من الكرامة بالرسالة إليه، ونزول الوحى فيه عليه، وكان نزول الوحى على النبى ﷺ فى حراء فى غار فيه؛ لأن فى بعض طرق الحديث: حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء، وهذا الغار بأعلى حراء، فى مؤخره، وهو غار مشهور عند الناس نقله الخلف عن السلف ويقصدونه بالزيارة.

وذكر الأزرقى موضع هذا الغار لأنه قال بعد ذكره لحائط حراء: وهو مشرف القلة مقابل لثبير غَيْناء، ومحجة العراقى بينه وبينه، وقد كان رسول الله ﷺ أتاه واختبأ فيه من المشركين من أهل مكة فى غار فى رأسه مشرف القلة مما يلى القبلة[٥]. انتهى.

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن النبى ﷺ اختفى بحراء من أذى المشركين، وهذا غريب وكذلك ما ذكره الأزرقى لأن المعروف فى الغار الذى اختبأ فيه النبى ﷺ من المشركين أنه غار ثور لا غار حراء، فإنه كان يأتيه للعبادة والله أعلم، وإن صح اختفاء النبى ﷺ بحراء فهو غير اختفائه بثور والله أعلم.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل والفاكهى الذى ينقل عنه المصنف، واستدركته مطبوعة الذهبى ولكنه حرف: «الخوز» بالزاى المعجمة إلى: «الخور» بالراء المهملة.
(٢) الفاكهى ٤/ ١٣٣.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٢٢.
(٤) الأبيات لدى الفاكهى ٤/ ١٣٦.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٨.

وذكره أبو عبيد البكرى مع شىء من خبره لأنه قال: حِراء مشهور، بينه وبين مكة ميل ونصف، وهو جبل صعب المرتقى لا يُصعَد إلى أعلاه إلا من موضع واحد فى صفاء ملساء[1] وهو فى جميع جوانبه منقطع لا يرقاه راق، والموضع الذى نزل جبريل فيه فى أعلاه من مؤخره فى شق مبارك[2]. انتهى.

قلت: ما ذكره أبو عبيد من أن بين حراء ومكة ميلاً ونصفًا فيه نظر، لمخالفته ما نقله صاحب «المطالع» لأنه قال: وهو على ثلاثة أميال من مكة.

وذكر ذلك غيره وهو ابن جبير لأنه قال: ومن جبال مكة المشهورة جبل حراء، وهو فى الشرق منها على فرسخ أو نحوه، وذكره فى موضع آخر من رحلته أنه فى مكة على ثلاثة أميال. انتهى.

قلت: والعيان يشهد بخلاف ذلك مما ذكره البكرى فى مقدار ما بين حراء ومكة، ولصحة ما ذكر ابن جبير وصاحب «المطالع» فى مقداره والله أعلم.

وقال ابن عطية: المفسر فى الكلام على قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ (سورة الأنفال: آية ٣٥) ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء وبينهما أربعة أميال. انتهى. وهذا قول ثالث فيما بين حراء ومكة والله أعلم، والمكاء: الصفير.

وذكر الخطابى أن أهل الحديث يخطئون فيه فى ثلاثة مواضع: يفتحون حاءه ويكسرون الراء وهما مفتوحان، ويقصرونه وهو ممدود. انتهى.

وكانت أهل الجاهلية تعظمه وتذكره فى أشعارها، فمن ذلك قول أبى طالب عم النبى ﷺ:

وثور ومن أرسى ثبيرًا مكانه ... وراق ليرقى فى حراء ونازل

وذكره المسلمون فى أشعارهم.

---

(١) فى المطبوعتين: «من موضع واحد على رصفة ملساء» والمثبت لدى البكرى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) المسالك والممالك للبكرى ١: ٤٠٣.

ومنها: جبل ثور بأسفل مكة لاختفاء النبى ﷺ وأبى بكر الصديق ﷺ فيه حين هاجر إلى المدينة، وذلك فى غار مشهور فيه، وهو الغار الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز، حيث قال سبحانه: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾.

(سورة التوبة: آية ٤٠)

وقد جاء فى فضله ما رواه أبو هريرة ﷺ أن أبا بكر الصديق قال لابنه: يا بنى إن حدث فى الناس حدث فأتِ الغار الذى اختبأت فيه، فإنه سيأتيك رزقك غدوة وعشية، وهذا الحديث رواه البزار فى مسنده، إلا أن فى سنده موسى بن مطير وهو كذاب.

ويُروَى أن هذا الجبل قال للنبى ﷺ: إلىَّ يا محمد فقد آويت قبلك سبعين نبيًّا، وهذا الغار مشهور فى هذا الجبل، يأثره الخلف عن السلف ويقصدونه بالزيارة.

وقد ذكر ابن جبير فى رحلته أن طول الغار ثمانية عشر شبرًا، وطول فمه الضيق خمسة أشبار، وسعته وارتفاعه عن الأرض مقدار شبر فى الوسط منه، ومن جانبيه ثلثا شبر، وعلى الوسط منه يكون الدخول، وسعة الباب الثانى المتسع فى مدخله خمسة أشبار. انتهى.

وقد وسع بابه فى عصرنا، لأن بعض الناس ولج فيه فانحبس فيه، فنحت عنه الحجر حتى اتسع عليه، وذلك فى سنة ثمانمائة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل.

وذكر ابن جبير أن أكثر الناس يتجنبون دخوله من بابه الضيق لما فيه من المشقة التى يقاسيها الداخل، ولما يقال من أن من لا يدخل منه ليس لأبيه، وذكر أن بعض الناس يقولون: ليس يصعد جبل أبى ثور أحد إلا ثَوْر[١]. انتهى[٢]. قلت: اللهم غفرًا.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «إلا شُوِى» وصوابه من الأصل ومثله لدى ابن جبير الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) رحلة ابن جبير، ص٩٥.

وذكر ابن جبير أنه من مكة على ثلاثة أميال، وهكذا ذكر ابن الحاج فى منسكه، وسماه بأبى ثور على ما نقل عنه المحب الطبرى، وقال المحب: والمعروف المشهور فيه ثور[١]. انتهى.

وسماه البكرى بأبى ثور وقال: إنه من مكة على ميلين، ويكون ارتفاعه نحو الميل، وفى أعلاه الغار الذى دخله رسول الله ﷺ مع أبى بكر ﷺ، وهو المذكور فى الكتاب العزيز، والبحر يُرى من أعلى هذا الجبل، وفيه من كل نبات الحجاز وشجره، وفيه شجر اللبان، وفيه شجرة من حمل منها شيئًا لم تلدغه هامة. انتهى.

وقال فى القاموس بعد ذكره لهذا الجبل ما نصه: «ويقال: له ثور أَطْحَلَ، واسم الجبل أطحلُ نزله ثَوْرُ بنُ عبد مناة فنُسب إليه»[٢]. انتهى.

وفيه فيما قيل قتل قابيل هابيل، وهذا يُرْوَى عن ابن عباس رضى الله عنهما، ذكر ذلك شيخنا الإمام كمال الدين الدميرى فى تعاليقه، ونص المكتوب بخطه: عجيبة قتل قابيل هابيل، قال ابن عباس فى بعض الروايات: إنه كان فى ثور جبل بقرب مكة. انتهى. أفادنى ذلك عن خط شيخنا بعض أصحابنا المعتمدين.

قلت: وثور أيضًا جبل بالمدينة مذكور من حد حرمها، كما فى صحيح مسلم من حديث على ﷺ، وهو جبل صغير جدًّا، أُحُدٌ عن يساره، ذكره العفيف بن مزروع، ونقل ذلك عن طوائف من العرب عارفين بتلك المواضع، وأنكر بعضهم أن يكون ثور بالمدينة[٣] والله أعلم.

ومن الجبال المباركة بحرم مكة جبل ثبير لأنا روينا فى تاريخ الأزرقى قال: حدثنى محمد بن عيسى قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله الأزدى عن معاوية بن قرة عن الخلد بن أيوب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى، فطارت لطلعته ستة أجبل، فوقعت

---

(١) القرى، ص٦٦٥.

(٢) القاموس (ث و ر).

(٣) معجم ما استعجم ١/ ٣٥٠.

بمكة ثلاثة وبالمدينة ثلاثة، فوقع بمكة: حراء وثبير، وثور، ووقع بالمدينة: أُحُد وورقان ورَضْوى[١].

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» جبل ثبير بمكة يقرب منى، هو جبل مبارك يقصده الزوار، وهو الذى أُهبط عليه الكبش الذى جعله الله فداء لإسماعيل ، والعرب تقول: أشرق ثبير كيما نغير[٢]. انتهى.

وقوله بمكة، سبق إليه الجوهرى وهو تجوُّز لكونه بقرب مكة، وقوله بقرب مِنًى ينبئى على قول من قال: إنه جبل بالمزدلفة، وهو قول مرجوح، ويؤيده ما ذكره من أنه أُهبط عليه الكبش الذى فُدِى به إسماعيل، فلم يختلفوا فى أن هذا الجبل بمنى، وهو على يسار الذاهب إلى عرفه. انتهى والله أعلم.

وقال شيخنا قاضى القضاة مجد الدين الشيرازى فى كتابه «الوصل والمنى فى فضل مِنى»: إن أبا بكر النقاش المفسر قال فى منسكه: إنَّ الدعاء يستجاب فى ثبير، يعنى ثبير الأثبرة الذى بلِحْفه[٣] مغارة الفتح، لأن النبى ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة، ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين، وذكر أن بقرب المغارة التى أنشأها بِلِحْف[٣] ثبير معتكَف عائشة. انتهى بالمعنى. ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة، والله أعلم بحقيقة ذلك.

ومنها الجبل الذى بلحف[٣] مسجد الخيف؛ لأن فيه غارًا يقال له غار المرسلات، لأن فيه أثر رأس النبى ﷺ على ما يقال، ذكر [ذلك][٤] ابن جبير لأنه قال بعد ذكر مسجد الخَيْف، وبمقربة منه على يمين المار فى الطريق حجر كبير مسند إلى سفح الجبل مرتفع على الأرض يظل ما تحته، ذُكِر أن النبى ﷺ قعد تحته

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٠.
(٢) عجائب المخلوقات، ص١٤٩.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يلحقه، يلحق، يلحق» وصوابه من الأصل، واللِّحْف: أصل الجبل.
(٤) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

مستظلاً، ومس رأسه المكرم، فَلاَن الحجر حتى أثر[١] فيه تأثيرًا بقدر دورة الرأس، فتبادر الناس بوضع رءوسهم فى هذا الموضع تبركًا واستجارة لها بموضع مس الرأس الكريم أن لا يمسه النار برحمة الله عز وجل[٢]. انتهى.

وذكره ابن خليل لأنه قال: ويُستحب أن يزور مسجد المرسلات، وفيه نزلت سورة والمرسلات، وهو يمانى مسجد الخَيف.

وذكر المحب الطبرى نحو ذلك، لأنه قال فى كتابه «القرى» فى الباب الثلاثين: ما جاء فى الغار الذى أنزلت فيه سورة «والمرسلات» عن عبد الله هو ابن مسعود ﷺ، قال: بينما نحن مع النبى ﷺ فى غار بمنىَ إذ نزلت عليه والمرسلاتِ عُرْفًا وإنه ليتلوها، وإنى لأتلقاها من فيه، وإن فاه لَرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبى ﷺ: اقتلوها، فابتدرناها فذهبت، فقال النبى ﷺ: وُقِيَتْ شركم كما وُقِيتُم شرها، أخرجه البخارى فى باب ما يقتل المحرم من الدواب، وهذا الغار مشهور بمنى خلف مسجد الخيف نحو الجبل مما يلى اليمن، كذلك يأثره الخلف عن السلف، والله أعلم[٣]. انتهى.

وبلغنى عن شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى ما معناه أنه قرأ فى هذا الغار سورة «المُرْسَلات» فى جماعة من أصحابه، فخرجت عليهم منه حيَّة، فابتدروها ليقتلوها فهربت، وهذا من غريب الاتفاق لموافقته القصة التى اتفقت للنبى ﷺ كما فى «صحيح البخارى» وغيره من حديث ابن مسعود ﷺ.

ورأيت فى نسختى من مُسْنَد ابن مسعود ﷺ من مُسْنَد ابن حنبل ما يقتضى أن هذه القصة اتفقت للنبى ﷺ بحراء، لأنه قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال:

---

(١) عبارة المطبوعتين هنا غير واضحة ومثلها لدى ابن جبير ص١٤١ تحقيق د. حسين نصار، وذكر بهامشه: «تذهب (ص) إلى أن كلمة (فيه) محرفة، وهى ما بقى من كلمة ضاعت مثل (حافتيه)» وقد آثرت عبارة النهروالى فى كتابه الإعلام ص٤٤٥ لسلامتها ووضوحها، وهو ينقل عن ابن جبير.

(٢) ابن جبير، ص١٤١.

(٣) القرى، ص٥٣٩.

حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال: وحدثني عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: نَزَلَتْ على رسول الله ﷺ «والمُرْسَلات عُرْفًا» ليلة الحية، فقلنا: وما ليلة الحية يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بحراء ليلاً، خرجت علينا حية من الجبل، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتلها، فطلبناها فأعجزتْنا، فقال: دعوها فقد وقاها الله شرَّكم كما وُقيتم شرَّها». انتهى. فإن لم يكن قوله بحراء تصحيفًا فهو يخالف ما قيل إن الغار المعروف بغار المُرْسَلات بمنى، والله أعلم.

ذكر مقابر مكة المباركة

لمكة المشرفة مقابر مباركة، منها المقبرة المعروفة بالمعلاة، ويقال المعلى بلام وياء وهى مشهورة، روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: وأخبرنى جدى عن الزنجى قال: كان أهل مكة فى الجاهلية وفى صدر الإسلام يدفنون موتاهم فى شعب دب، من الحجون إلى شعب الصفى صفى السباب، وفى الشعب الملاصق بثَنية المدنيين، الذى هو اليوم مَقبرة أهل مكة، ثم تمضى المقبرة مُصعدة لاصقة بالجبل إلى ثنية أذاخر بحائط خرمان، ثم قال الأزرقى: وكان أهل مكة يدفنون موتاهم فى جنبتى الوادى يمنة وشامة فى الجاهلية والإسلام، ثم حول الناس جميعًا قبورهم فى الشعب الأيسر لما جاء من الرواية فيه، ولقول رسول الله ﷺ: نِعْم الشِّعب ونعمْ المقبرة[1].

وبالإسناد المتقدم إلى الأزرقى قال: قال جدى: لا نعلم بمكة شعبًا يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلاَّ شعب المقبرة، فإنه يستقبل وَجه الكعبة كله[2].

وبه إليه قال: حدثنى جدى قال: أخبرنا الزنجى عن ابن جُرَيْج عن إبراهيم بن أبي خراش عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: نعم المقبرة هذه مقبرة أهل مكة[3].

وبه إلى الأزرقى قال: أخبرنى جدى قَال: أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جُرَيْج قال: أخبرنى إسماعيل بن الوليد بن هشام عن يحيى بن محمد بن عبد الله بن

(١) الأزرقى ٢/ ٢٠٩ – ٢١١.
(٢) الأزرقى ٢/ ٢٠٩.
(٣) الأزرقى ٢/ ٢٠٩.

صيفى أنه قال: من قُبر فى هذه المقبرة بُعث آمنًا يوم القيامة، يعنى مقبرة مكة[١]. انتهى.

قلت: حديث ابن عباس رويناه أعلا من هذا فى «معجم الطبرانى الكبير» ورواه أحمد والبزار فى مسنديهما، ورجال أحمد رجال الصحيح، خلا ابن أبى خراش، و لم يضعفه أحمد.

وقال الجندى فيما رويناه عنه فى فضائل مكة له: حدثنا عبد الله بن أبى غسان قال: حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمرى عن شقيق بن سلمة أبى وائل[٢] عن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: وقف رسول الله ﷺ على الثنية، ثنية المقبرة، وليس بها يومئذ مقبرة فقال: يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفًا، يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفًا، وجوههم كالقمر ليلة البدر، فقال أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله من هم: قال: الغرباء. انتهى. هذا الإسناد فيه سقْط بين عبد الرحيم وشقيق.

ومما ورد فى فضل هذه المقبرة، ما وجدته بخط عبد الله بن المرجانى فى تاريخه للمدينة قال: سمعت والدى يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الله الدلاصى يقول: سمعت الشيخ أبا محمد الدبشى يقول: كُشف لى عن أهل المعلاة فقلت: أتجدون نفعًا بما يُهدَى إليكم من قراءة أو نحوها؟ فقالوا: ليس نحن محتاجين إلى ذلك، قال: فقلت لهم: ما منكم أحد واقف الحال؟ قالوا: ما يقف حال أحد فى هذا المكان. انتهى.

ومن ذلك ما رويناه فى «تاريخ ابن السمعانى» الحافظ أبى سعد فى ترجمة أبى نصر محمد بن إبراهيم بن الفخار الأصبهانى لأنه ذكر: أن أبا زكريا بن منده الحافظ سمع محمد بن منصور بن عليك التاجر قال: سمعت من ثقات المجاورين بمكة قالوا: سمعنا أبا نصر بن الفخار بمكة يحدث أنه رأى فى المنام كأن إنسانًا مدفونًا بمقبرة المعلاة استخرج ومروا به إلى موضع آخر قال: فسألت عن حاله: لم

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٠٩.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «سلمة بن وائل» وصوابه من الأصل والتقريب ــ ص٢٠٩.

استخرجتم هذا الميت؟ قالوا: هذه المقبرة منــزَّهة عن قبول أهل البدعة، فلا تقبل أرضها مبتدعًا. انتهى. وهذا إن صح فيُستخرج منها من دُفن فيها من أهل البدعة.

ويقرب من هذه الحكاية ما يُحكى: أن شخصًا يقال له الشريشير من كبار الرَّافِضَة بالمدينة المنورة النبوية، تُوفى بها ودُفن بالبقيع، ثم بعد مدة رُئى بعضُ أهل الخير الغرباء يقرأ على قبره ويلازم القراءة عليه، فَلِيمَ على ذلك، فقال لهم: كان لى شيخ توفى بغير المدينة فرأيته فى المنام، فقال لى: أنا نُقلت إلى قبر الشريشير بالمدينة، ونُقل الشريشير إلى قبرى، فأنا ألازم القراءة على هذا القبر لهذا المعنى، هذا معنى الحكاية، وهى مشهورة عند أهل المدينة وغيرهم، والله أعلم.

ومن ذلك ما سمعته من شيخنا المفتى تقى الدين عبد الرحمن بن أبى الخير الشريف الفاسى قال: سمعت الشيخ خليل المالكى يقول: إن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاة، منها القبور التى يقال لها قبور سماسرة الخير بقرب قبة الملك المسعود(١) وعند قبر المتبولى، وعند قبر إمام الحرمين، يعنى به عبد المحسن بن أبى العميد الخُفَيفى(٢) أمام مقام إبراهيم. انتهى بالمعنى.

وزيارة هذه المقبرة مستحبَّة لما حَوَتْه من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين، ولا يُعرف فيها ــ تحقيقًا ــ قبر أحد من الصحابة، وليس فى القبر الذى يقال له قبر خديجة بنت خويلد أثر يُعتمد، والله أعلم.

ومن مقابر مكة المباركة، المقبرة العليا، وقد ذكرها الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: أخبرنى جدى عن الزنجى قال: «وكان يُدفن فى المقبرة التى عند ثنية أذاخر آل أَسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس، وفيها دُفن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ومات بمكة فى سنة أربع وسبعين، وقد أتت له أربع وثمانون سنة، وكان نازلاً على عبد الله بن خالد بن أَسيد فى داره، وكان صديقا له، فلما حَضَرَتْه الوفاة أوصاه أن لا يصلى عليه الحجاج، وكان الحجاج بمكة واليًا بعد مقتل ابن الزُّبَير، فصلى عليه عبد الله بن خالد بن أسيد ليلاً على ردم عبد الله

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «مسعود» وصوابه من الأصل.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الحقيقى» وصوابه من الأصل وإتحاف الورى ٣/ ٤٣.

على باب دارهم، ودفنه فى مقبرته هذه عند ثنية أذاخر بحائط خرمان، ويُدفن فى هذه المقبرة مع آل أسيد آل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، وهم يُدفنون فيها جميعًا موتاهم إلى اليوم[١]. انتهى.

وقال الأزرقى فى موضع آخر: كان أهل مكة يدفنون موتاهم فى جنبتَى الوادى يمنة وشامة[٢] فى الجاهلية وفى صدر الإسلام، ثم حول الناس قبورهم فى الشِّعب الأيسر، لما جاء فيه من الرواية، ثم قال: ففيه اليوم قبور أهل مكة إلا آل عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن عبد شمس، وآل سفيان بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فهم يدفنون بالمقبرة العليا بحائط خرمان[٣]. انتهى.

قلت: حائط خرمان هو والله أعلم الموضع الذى يقال له: الخرمانية، وهو أودان بأعلى الموضع المعروف بالمعابدة بظاهر مكة، وثنية أذاخر فوق هذا المكان، وهى ثنية مشهورة، وكانت تنتهى المقبرة إليها فى الجاهلية، ومنها دخل النبى ﷺ يوم فتح مكة، على ما ذكر الأزرقى وغيره، وما نقله الإمام الأزرقى عن جده عن الزنجى من أن عبد الله بن عمر مدفون فى هذه المقبرة يرد ما يقال إنه مدفون بالجبل الذى عند باب المعلاة، على يسار الهابط إلى مكة ويمين الصاعد منها، ولا أعلم ـــ لما يقال من أن ابن عمر مدفون فى هذا الجبل ـــ دليلاً وهو بعيد من الصواب، والله أعلم.

ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة المهاجرين بالحصحاص، روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: الحصحاص: الجبل المشرف على ظهر ذى طوى، إلى بطن مكة قال: وبطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلاة إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء، يهبط إلى قبور المهاجرين دون فخ[٤]. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٠٩.

(٢) قال ابن ظهيرة: المراد باليمنى هو شعب أبى دب المعروف الآن بشعب العفاريت، وشعب الجزارين، والمراد بالشام هو: شعب الصفى.

(٣) الأزرقى ٢/ ٢١١.

(٤) الأزرقى ٢/ ٢٩٧.

قلت: مقتضى هذا أن يكون مقبرة المهاجرين عند الثنية التى يُتَوَجَّه منها إلى المعلاة، وتسميها الناس الحجون الأول، والله أعلم.

وذكر سلميان بن خليل ما يقتضى أن الحصحاص عند الجبل الذى تسميه أهل مكة البكَّاء، وهو معروف بطريق العُمْرة، لأنه قال لما تكلم على الإحرام من التنعيم: قال الفاكهى فى كتابه: فى طريق هذه العمرة أيضًا جبل يسمَّى المقلع، قال: والمقلع الجبل الذى بأسفل الحصحاص، بين يديه حجارة كثيرة يقال: إنه بكى على النبى ﷺ حين هاجر إلى المدينة، وتسميه أهل مكة اليوم الجبل البكاء. انتهى.

وفخ: هو وادى الزاهر على ما قال السيد عُلَىّ بن وهَّاس الحسينى فيما نقله عنه ياقوت فى «مختصر معجم البلدان» وذكر أن فخ اسم لمكانين هذا أحدهما، وذكر الآخر، ونذكر كلامه بنصه قال: باب فخ موضعان بفتح الفاء والخاء معجمة مشدَّدة، وفخ واد من نواحى مكة، قال السيد عُلَىٌّ بن وهاس العلوى: فخ وادى الزاهر فيه قبور جماعة من العلويين قُتلوا فيه فى وقعة كانت لهم مع أصحاب موسى الهادى بن المهدى بن المنصور العباسى فى سنة تسع وستين[١] ومائة فى ذى الحجة، وللشعراء فيهم مراث كثيرة، وفخ: ماءٌ[٢] أقطعه رسول الله ﷺ عُظَيْمَ بن الحارث المحاربى ذكره الحازمى[٣]. انتهى.

ومن المقابر المباركة بمكة المشرفة المقبرة المعروفة بالشبيكة، بأسفل مكة دون باب الشبيكة، وهى مشهورة عند الناس لما حوته من أهلِ الخير الغرباء وغيرهم، وذكر الفاكهى بعد ذكر مقبرة مكة التى بأعلاها وشيئًا من فضلها السابق، وكانت مقبرة المطيبين بأعلى مكة، ومقبرة الأحلاف بأسفل مكة. انتهى.

والظاهر أن مقبرة الأحلاف هى هذه المقبرة، لأنه لا يُعرف بأسفل مكة مقبرة سواها، ودَفْنُ الناس بها إلى الآن مُشْعِرٌ بأن الناس كانوا يُدفنون فيها فيما مضى، والله أعلم.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «سنة تسع وتسعين» وصوابه من الأصل.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «وفخ ما أقطعه» وصوابه من الأصل وياقوت.
(٣) المشترك وضعا والمفترق صقعا ٣٣٠.

والمطيبون هم بنو عبد مناف بن قُصَى [وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة ابن كلاب، وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر، والأحلاف هم بنو عبد الدار بن قصى](١) وبنو مخزوم وبنو سهم وبنو جُمَح وبنو عَدى بن كعب، ولتسمية هؤلاء بالأحلاف والآخرين بالمطيبين سبب مشهور، ذكرناه فى أصل هذا الكتاب.

ومن القبور التى ينبغى زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها، وهو معروف بطريق وادى مَر، ولا أعلم بمكة ولا فيما قَرُبَ منها قبور أحد ممن صَحب رسول الله ﷺ سوى هذا القبر، لأن الخَلَف يأثر ذلك عن السَّلَف، والموضع الذى فيه قبر ميمونة: يقال له: سَرِف، بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء، وذكر صاحب «المطالع» فى مقدار ما بينه وبين مكة أربعة أقوال: ستة أميال وسبعة بتقديم السين، وتسعة بتقديم التاء على السين، واثنى عشر ميلاً، وهو الموضع الذى بنى بها النبى ﷺ حين تزوجها.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، ومثله لدى ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف ٣٠٧ وهو ينقل عن المصنف.

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر أماكن بمكة المشرفة وحرمها وقربه التى تعلق بالمناسك وهى ستة وعشرون موضعًا مرتبة على ترتيب حروف المعجم

الأول باب بنى شيبة الذى يُستحب للمُحْرِم دخول المسجد الحرام منه، وهو أول باب بالجانب الشرقى مما يلى الجانب الشامى، بين رباط الشرابى ورباط السدرة، وعليه منارة المسجد الحرام، وأمامه فى خارجه بلاط مفروش من حجارة، وفى عتبته حجارة طوال، يقال: إنها كانت أوثانًا تُعبد فى الجاهلية، وليس ذلك بصحيح، على ما نقل الأزرقى عن جده(١).

والأصل فى استحباب دخول المسجد الحرام من هذا الباب، ما رويناه عن عطاء أن النبى ﷺ دخل المسجد من باب بنى شيبة، وخرج من باب بنى مخزوم إلى الصفا، رواه البيهقى، وقال: إنه مرسل جيد، قال: ورويناه عن ابن عمر مرفوعًا فى دخوله من باب بنى شيبة، وخروجه من باب الحناطين. انتهى.

والمراد بباب بنى شيبة فى هذا الخبر جهة هذا الباب، لا هذا الباب نفسه، فإنه لم يكن إلاَّ فى عمارة المهدى، والمراد بباب بنى مخزوم باب الصفا، فإنه يُنسب لبنى مخزوم، وباب الحناطين باب كان للمسجد فيما بين باب الحزْوَرَة وباب بنى جُمَح الذى فى وزانه الآن باب الزيادة بالجانب الغربى، ولا أثر الآن لباب الحناطين، والمراد به جهته، لأنه لم يكن إلا عقب موت المهدى العباسى فيما أمر به من الزيادة الثانية فى المسجد الحرام، فينبغى للخارج [من المسجد](٢) مسافرًا أن يخرج من باب الحَزْوَرَة، وهى باب الزيادة المشار إليها لقربها من باب الحناطين.

وفى «النوادر» لابن أبى يزيد المالكى ما يقتضى أن الخارج من المسجد الحرام مسافرًا يخرج من باب المسجد المعروف الآن بباب العمرة فى الجانب الغربى، فينبغى للمسافر أن يخرج منه أو من باب زيادة إبراهيم أو من باب الحَزْوَرَة، والله أعلم، ونص ما فى النوادر على ما نقل الأشنانى فى شرحه لمنهاج النووى بعد أن ذكر أن النوادر أهمل بيان الباب الذى يخرج منه المسافر من المسجد الحرام، ففى النوادر عن ابن جُبَير أنَّ النبى ﷺ دخل المسجد من باب بنى شيبة وخرج إلى الصفا

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٧٧.
(٢) ساقط من طبعة تدمرى.

من باب بنى مخزوم، وإلى المدينة من باب بنى سهم. انتهى. وباب بنى سهم هو باب المسجد الذى أشرنا إليه، كما يقتضيه كلام الأزرقى وغيره كالأشنانى، باستحباب الخروج منه للمسافر إلى بلده.

وذكره عن الرافعى أن الأصحاب أطلقوا استحباب دخول المسجد الحرام من باب بنى شيبة لمن كان فى طريقه ولمن لم يكن فى طريقه، ولا كذلك الثنية العليا، فإن الدخول منها إنما يُستحب لمن كانت فى طريقه على خلاف فى ذلك، والفرق بينها وبين باب بنى شيبة أن دوران المسجد لأجله لا عسر فيه، ولا كذلك الدوران للدخول من الثنية العليا إذا لم يكن فى الطريق، والله أعلم.

الثانى: التنعيم المذكور فى حد الحرم من جهة المدينة النبوية وهو أمام أدنى الحِل، على ما ذكر المحب الطبرى قال: وليس بطرف الحِل ومن فسره بذلك تجوَّز وأَطلق اسم الشىء على ما قَرُب منه، وأدنى الحِل إنما هو من جهته ليس موضعٍ فى الحِل أقرب إلى الحرم منه، وهو على ثلاثة أميال من مكة، والتنعيم أمامه قليلاً فى صوب طريق وادى مَر الظهران. انتهى بنصه[1].

وقال صاحب «المطالع»: التنعيم من الحِل بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة أميال؛ وسُميت بذلك لأن جبلاً عن يمينها يقال له نعيم، وآخر عن شمالها يقال له ناعم، والودى نعمان. انتهى. والإحرام من الحِل الذى فى جهة التنعيم للمقيم بمكة أفضل من الإحرام من الحِل الذى فى بقية جهات الحرم، ما خلا الجعرانة فإن الإحرام منها أفضل عند مالك والشافعى وابن حنبل وغيرهم من العلماء.

الثالث: ثبير، الذى يقولون فى الجاهلية إذا أرادوا أن يدفعوا من المُزْدَلفَة: أشرق ثبير، كيما نغير، ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه، وهو جبل بالمزدلفة على ما ذكر الأزرقى، ونص كلامه: ثبير النصع الذى فيه سداد الحاج، وهو جبل المزدلفة الذى هو على يسار الذاهب إلى مِنى وهو الذى كانوا يقولون فى الجاهلية

---

(١) القرى، ص٩٩.

إذا أرادوا أن يدفعوا من المزدلفة: أشرق ثبير كيما نغير، ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه[١]. انتهى.

وثبير الذى يُستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه سار إلى عرفة لينـزل بنَمرة، ثم يذهب منها بعد صَلاته الظهر والعصر مع الإمام إلى موقف عرفة، هو جبل كبير بمنى على يسار الذاهب إلى عرفة، نص على ذلك الشيخ الإمام المحب الطبرى، لأنه لما تكلم على قول صاحب «التنبيه» فى صفة الحج: «ثم يخرج إلى مِنى فى اليوم الثامن، فيصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيت بها، ثم يصلى الصبح، فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى الموقف» قال: ثبير بثاء مثلثة مفتوحة وباء موحدة مكسورة أعلى جبل بمنى، وقال الجوهرى: بمكة، ولعله أراد بقرب مكة فتجوز، وقال غيره: بالمزدلفة، والمشهور الأول وهو يشرف على مِنى من جمرة العقبة إلى تلقاء مسجد الخيف وأمامه قليلاً على يسار الذاهب إلى عرفة. انتهى.

وممن ذكر أن ثبيرًا بمنى: الأزرقى، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: اسم الجبل الذى مسجد الخيف بأصله الصفايح، واسم الجبل الذى فى وجاهه على يسارك إذا أتيت من مكة المقابل ثبير، وهو من الأثبرة[٢]. انتهى.

وممن ذكر أن ثبيرًا بمنى: سليمان بن خليل، لأنه قال: وثبير جبل كبير بمنى، وكذلك النووى فى «التهذيب» لأنه قال لما ذكر مِنى: وهو شِعب ممدود بين جبلين، أحدهما ثبير والآخر الضائع[٣] كذا رأيت فى نسخة من «التهذيب» ولعله والآخر الصفايح، كما يقتضيه كلام الأزرقى، والله أعلم.

وإذا تقرر أن ثبيرًا بمنى وثبيرًا بمزدلفة فلا مانع أن يكون ثبير ـــ الذى إذا طلعت عليه الشمس سار الحاج من مبيته بمنى إلى عرفة، كما قال الفقهاء ـــ ثبير

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٠.

(٣) فى المطبوعتين: «الصايح» والمثبت من الأصل، ومثله لدى النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢/ ١٥٧.

بمنى، لكونه إلى مبيت الحاج أقرب من ثبير الذى بالمزدلفة، ولا مانع من أن يكون ثبير ــ الذى عناه المشركون بقولهم: أشرق ثبير كيما نغير ــ من المزدلفة، لأنهم كانوا يقولون ذلك بالمزدلفة، ولا يدفعون منها حتى تطلع الشمس على ثبير التى بها، وهو إلى أبصارهم أقرب من ثبير الذى بمنى، كيف وقد قال الأزرقى إن ثبيرًا الذى عناه المشركون ثبير المزدلفة، وأثبت أن بمنى ثبيرًا سواه! وأما قول النووى فى «التهذيب» وغيره: إن ثبيرًا جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى مِنى، ويمين الذاهب من منى إلى عرفات، وأنه المذكور فى صفة الحج، والمراد فى مناسك الحج، فقد اعترضه شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى وقال: إنه قول فيه مقال ورجم بالغيب، ومخالفة لإجماع أئمة اللغة والتواريخ، ثم قال شيخنا: نعم فى المزدلفة جبل يُسمى ثبيرًا، وليس هو المراد فى مناسك الحج. انتهى. والله أعلم.

وذكر ياقوت فى «معجم البلدان»[1] أن ثبيرًا اسم لثمانية مواضع فنذكر كلامه لإفادة ذلك، ونص كلامه: باب ــ ثَبِير ثمانية مواضع بفتح أوله وكسر الباء الموحدة ثم ياء ساكنة وراء:

الأول: ثبير من أعظم جبال مكة بين مكة وعَرَفَة، وهو المراد بقولهم فى الجاهلية: أشرق ثَبير، كيما نُغير.

الثانى: ثبير الزِّنْج بمكة أيضًا قالوا: لأن الزنْج كانوا يجتمعون عنده للعب واللهو.

الثالث: ثَبِير الأعرج.

الرابع: ثبير الخضراء.

الخامس: ثبير النِّصْع وهو جبل المزدلفة.

السادس: ثبير غَيْنَا.

[**السابع**: ثبير الأحدب][2] وهذه السبعة بمكة ويقال لها: الأَثْبِرَة.

---

(١) النص المذكور فى المتن ليس من: معجم البلدان، بل هو من: المشترك وضعًا والمفترق صقعًا لياقوت ص٨٦.

(٢) ما بين حاصرتين يتفق مع الترتيب الذى أورده ياقوت فى الأثيرة.

الثامن: ثبير ماء فى بلاد مُزَيْنة أَقْطَعَهُ النبىُّ ﷺ شُرَيْح بنَ ضمرة المُزَنى. انتهى.
هكذا وجدت فى نسخة سقيمة من «مختصر معجم البلدان لياقوت» ولا يستقيم ما فيها من أن بمكة سبعة أثبرة، إلا بأن يكون سقط من النسخة ذِكْر ثبير السابع، أو يكون ثبير الأعرج وثبير الأحدب اثنين، فإن الموجود فى النسخة يوهم أنهما واحد، ويكون سقط الرابع قُبَيْل قوله: وثبير الأحدب، ويكون على هذا قوله الرابع والخامس والسادس سهوًا فى العدد، وهذا الاحتمال أظهر، لأن الرضى الصاغانى قال: من الأثبرة ثبير غَيْنَا، وثبير الأعرج، وثبير الأحدب، وسمعت أعراب هُذَيْل يسمونه الأحَيْدب مصغرًا. انتهى. وهذا يدل على أن ثبيرًا الأعرج غير ثبير الأحدب.

وذكر الأزرقى من الأثبرة التى ذكرها ياقوتِ ثبيرًا الأول وذكر أن اسمه القابل، وثبير النِّصْع جبل المزدلفة، وثبير الأعرج، ونص ما ذكره فيه: وثبير الأعرج المشرف على حق الطارقيين[1] بين المغمس والنخيل[2]. انتهى. وفى هذا إشارة إلى تعريف محله.

وذكر الزمخشرى من هذه الأَثْبِرة ثبير غَيْنَا وثبير الأعرج، وأفاد فى كلامه ضبط غَيْنَا، وأن ثبير غَيْنَا وثبير الأعرج متقاربان، ولم أقف على المحل الذى ذكر فيه ذلك، وإنما نقل عنه ذلك شيخنا القاضى مجد الدين اللغوى الشيرازى لأنه قال: وقال الزمخشرى وثَبِير غَيْنَا ــ بالغين المعجمة المفتوحة بعدها مثناة تحتية ثم نون وألف ــ وثَبير الأعرج جبلان يصب بينهما أُفاعية بضم الهمزة وبعدها فاء وألِف وعين مهملة مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة مخففة بعدها هاء، وهى وادٍ يصب من مِنى. انتهى.

وثبير الزنْج الذى ذكره ياقوت يقال: إنه جبل بأسفل مكة تسميه أهلها النوبى، والله أعلم.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الطارقين» وصوابه من الأصل والأزرقى.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٠.

وثبير الخضراء هو الجبل المشرف على الموضع الذى يقال له الخضيراء[١] بطريق مِنى، وهو مكان مشهور، والنِّصْع بكسر النون وسكون الصاد المهملة، فهكذا ضبطه شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى، وفى كلام ياقوت إشارة إلى أن ثبيرًا الذى كانوا يقولون فيه: أشرق ثبير كيما نُغير، هو ثَبير مِنى، الذى يقال له ثَبير الأَثْبرة، وذلك يخالف ما ذكره الأزرقى، والله أعلم.

الرابع: الجِعْرَانة، الموضع الذى أحرم فيه النبى ﷺ لما رجع من الطائف بعد فتح مكة، وهو موضع مشهور بين الطائف ومكة، وهو إلى مكة أقرب بكثير، لأن بينه[٢] وبين مكة نحو ثمانية عشر ميلاً على ما ذكر الباجى المالكى.

وقال الفاكهى: والجِعْرَانة حيث اعتمر النبى ﷺ على بريدٍ من مكة[٣]. انتهى باختصار. وهذا يخالف ما ذكره الباجى والله أعلم بالصواب.

وحد الحرم من جهته على تسعة أميال، بتقديم التاء على السين، وقيل: يزيد، وهو اثنا عشر ميلاً كما سبق فى حدود الحرم الشريف.

وذكر السُّهَيلى أن هذا الموضع سُمى باسم امرأة كانت تُلقَّب بالجِعْرَانة، واسمها رَيْطَة بنت سعد بن زيد مَناة بن تميم، وقيل: هى من قريش. انتهى. ذكر ذلك بالمعنى لما تكلم على قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ (سورة النحل: آية ٩٢) الآية، ولم يبين السهَيلى القائل بأنها من قريش، وقد بين ذلك الفاكهى لأنه قال: حدثنا حسن بن حسين الأزدى عن رجلين عن ابن الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ نزلت فى امرأة من قريش من بنى تَيْم بن مُرَّة يقال لها: رَيْطَة بنت كعب، ولقبها جِعْرَانة، وهى أم أسد بن عبد العُزَّى، التى قامت عنه وكانت حمقاء.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الخضير» وصوابه من الأصل.
(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «لأنه بينه» وصوابه من الأصل.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٦٩.

وروى الفاكهى بسنده عن السُّدى من تفسير هذه الآية قال: كانت امرأة تسمَّى حرفا بمكة كانت تغزل، فإذا أبرمت غزْلها نقضته، وقال: قال ابن جُرَيْج: قال أبو الهذيل: حرفا كانت بمكة تنقضه بعدما تبرمه.

وروى عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ قال: هن النساء من أهل نجد ينقضْن حبلهن وينفشنه ثم يخلطنه بالصوف فيغزلنه. انتهى.

ذكر الموضع الذى أحرم منه رسول الله من الجِعْرانة

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: حدثنى جدى عن الزنجى عن ابن جُرَيْج قال: أخبرنى زياد بن محمد بن طارق أخبره أنه اعتمر مع مجاهد من الجِعْرانة، فأحرم من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة قال: ومن هاهنا أحرم النبى ﷺ، وإنى لأعرف أول من اتخذ المسجد على الأكمة، بناه رجل من قريش سماه، واشترى بمال عنده نخلاً، فبنى هذا المسجد، قال ابن جُرَيْج: فلقيت أبا محمد بن طارق فسألته فقال: اتفقت أنا ومجاهد بالجِعْرانة، فأخبرنى أن المسجد الأقصى الذى من وراء الوادى بالعدوة القصوى، مصلى النبى ﷺ إذا كان بالجِعْرانة، قال: وأما هذا المسجد فإنما بناه رجل من قريش، واتخذ ذلك الحائط(١). انتهى.

ونقل ابن خليل عن ابن جُرَيْج أن الرجل الذى بنى المسجد الأدنى هو عبد الله ابن خالد الخزاعى.

وذكر الواقدى أن النبى ﷺ أحرم من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى من الجِعْرانة، وكان مصلّى النبى ﷺ إذا كان بالجِعْرانة، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش، واتخذ ذلك الحائط عنده، ولم يَجُزْ رسول الله ﷺ الوادى إلا مُحْرِمًا. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٠٧.

وكان إحرام النبى ﷺ ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة نقل ذلك عن الواقدى المحب الطبرى قال: ومنها يُحْرِم أهل مكة كل عام ليلة سبع عشرة من ذى القعدة، وذلك خلاف ما ذكره الواقدى. انتهى.

وما ذكره المحب الطبرى يخالف ما أدركنا عليه أهل مكة، فإنهم يخرجون من مكة فى اليوم السادس عشر من ذى القعدة، ويقيمون اليوم السابع عشر بالجِعْرانة، ويصلون المغرب بها ليلة الثامن عشر، ويُحرِمون ويتوجَّهُون إلى مكة، وهو يلائم ما ذكره الواقدى، إلا أن فى بعض السنين يحصل للناس خوف فيخرجون من الجِعْرانة مُحْرِمين قبل الغروب من اليوم السابع عشر، وربما خرجوا منها قبل صلاة العصر، وما ذكره الواقدى فى تاريخ عُمْرة النبى ﷺ من الجعْرانة هو المعروف.

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدى خبرًا ضعيفًا يخالف ذلك ونصه على ما ذكر الحافظ أبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى فى جوابه عن المسائل التى سأله عنها ابن أيبك الدمياطى، وقد ذكر ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبى الزبير عن عقبة مولى بن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجِعْرانة فقسم بها الغنائم، ثم اعتمر منها، وذلك لليلتين بقيتا من شوال[(١)].

قال أبو الفتح المذكور: هذا والذى قبله ضعيف، والمعروف عند أهل السِّيَر أن النبى ﷺ انتهى إلى الجِعْرانة ليلة لخميس لخمسٍ ليالٍ خَلَوْنَ من ذى القعدة، وأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلاً، فأحرم بعُمْرة، ودخل مكة. انتهى.

والجِعْرانة أفضل مواقيت العُمرة من مكة، لإحرام النبى ﷺ من هذا المكان، على مذهب مالك والشافعى وابن حنبل وغيرهم من العلماء.

---

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس ٢/ ٢٨٠.

واختُلف فى ضبط العين والراء من الجعْرانة، فقال النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات»: «الجعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء، هكذا صوابها عند إمامنا الشافعى والأصمعى وأهل اللغة ومحققى المحدثين وغيرهم، ومنهم من يكسر العين ويشدد الراء، وهو قول عبد الله بن وهب وأكثر المحدثين، قال صاحب مطالع الأنوار: أصحاب الحديث يشددونها، وأهل الإتقان والأدب يخطئونهم ويخففونها، وكلاهما صواب، حكى إسماعيل القاضى عن على بن المدينى قال: أهل المدينة يثقلونها ويثقلون الحديبية، وأهل العراق يخففونها»[١]. انتهى باختصار.

ومن فضائل وادى الجعرانة ما ذكره الجندى فى «فضل مكة» لأنه قال فيما رويناه عنه: حدثنا عبد الوهاب بن فليح، حدثنى سعيد بن سالم القداح، عن سعيد ابن بشير، عن عبد الكريم الجزرى[٢] عن يوسف بن ماهك، قال: اعتمر من الجعْرانة ثلاثمائة نبى[٣]، وصلى فى مسجد الخَيْف سبعون نبيًّا.

وبالجعْرانة ماء شديد العذوبة يقال: إن النبى ﷺ فحص موضع الماء بيده المباركة فانبجس فشرب منه النبى ﷺ وسقى الناس، ويقال: إن النبى ﷺ غرز رمحه فنبع الماء موضعه، وهذان الخبران فى كتاب الفاكهى.

الخامس: الجمار المذكورة فى صفة الحج هى بمنى، ونقل عن ابن سيده اللغوى صاحب «المُحْكَم» ما يقتضى أنها بعَرَفَة، وهو وهْم قطعًا، ذكرناه لغرابته، وقد نقل ذلك عنه السُّهيلى فى كتابه «الروض الأُنُف» لأنه نقل عن ابن سيده شيئًا قاله فى كتابه المحكم وخطَّأه فيه، ثم قال السُّهَيْلى: فقال يعنى ابن سيده فى الجمار فى غير هذا الكتاب: هى التى تُرْمَى بعَرَفَة، وهذه هفوة لا تقال وعثرة لا لَعًالها، وكم له من هذا إذا تكلم فى النسب وغيره، والله ولى التوفيق.

والأولى منها هى التى تلى مسجد الخيف، والوسطى التى بينها وبين جمرة العَقَبة، والأخيرة هى جمرة العقبة، وهى أقرب الجمار إلى مكة، ورمْيها على هذا

(١) تهذيب الأسماء ق٢ ج١ ص ٥٨.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الجردى» وصوابه من الأصل والفاكهى.
(٣) الفاكهى ٥/ ٦٢، ٦٨.

الترتيب مطلوب على مذهب الإمام مالك، ومتى وقع على غير هذه الصفة ولم يُتدارك فى وقت الأداء وهو النهار على المشهور، لزم فاعل ذلك الدم.

وقد ذكر الأزرقى فى ذرْع ما بين هذه الجمار وما بين الجمرة الأولى وأوسط باب مسجد الخيف بمنى، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: ومن جمرة العقبة وهى أول الجمار مما يلى مكة، إلى الجمرة الوسطى أربعمائة ذراع وسبعة وثمانون ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا، ومن الجمرة الوسطى إلى الجمرة الثالثة وهى التى تلى مسجد مِنى ثلاثمائة ذراع وخمسة أذرع، ومن [الجمرة][(١)] التى تلى مسجد مِنى إلى أوسط باب مسجد الخيف ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وواحد وعشرون ذراعًا[(٢)]. انتهى.

قلت: وقد حرر بعض أصحابنا ذرع ذلك وأنا معه، فكان مقدار ما بين جمرة العقبة والجمرة الوسطى مائتى ذراع وثمانية أذرع بذراع الحديد، وكان مقدار ما بين جمرة الوسطى والجمرة الأولى مائتى ذراع وخمسة وسبعين ذراعًا بذراع الحديد، وكان مقدار ما بين الجمرة الأولى وهى التى تلى مسجد الخيف إلى باب مسجد الخيف الكبير على يمين الذاهب إلى عرفة ألف ذراع ومائتى ذراع وأربعة وخمسين ذراعًا وسُدس ذراع بذراع الحديد.

وقد ذكر الأزرقى شيئًا من خبر جمرة العَقَبة، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، قال فى [الترجمة][(٣)] التى ترجم عليها بقوله «ذكْر ما غُيِّر من فَرْش أرض الكعبة»: وكانت الجمرة زائلة عن غير موضعها أزالها جُهال الناس برميهم الحصى، وغُفِل عنها، حتى أُزيحت من موضعها شيئًا يسيرًا منها ومن فوقها، فردها إلى موضعها الذى لم يزل عليه، وبنى من ورائها جدارًا أعلاه عليها، ومسجدًا متصلاً بذلك الجدار، لئلا يصل إليها من يريد الرمى من أعلاها، وإنما السُّنَّة لمن أراد الرمى أن

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٥.
(٣) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

يقف من [تحتها من][١] بطن الوادى، فيجعل مكة عن يساره ومِنى عن يمينه، ويرمى كما فعل رسول الله ﷺ، وكذا أصحابه من بعده[٢]. انتهى.

والذى أشار إليه الأزرقى بقوله: فردها، وبقوله: وبنى: هو إسحاق بن سَلَمَة الصائغ الذى أنفذه المتوكل العباسى لعمل أمور تتعلق بالكعبة وغير ذلك.

السادس: الحَجُون المذكور فى حد المحصب جبل بالـمَعْلَاة مقبرة أهل مكة على يسار الداخل إلى مكة ويمين الخارج منها إلى جهة مِنى وغير ذلك، وهو الجبل الذى يزعم الناس أن فيه قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب، وليس لذلك حقيقة كما نبهنا عليه، ويُحتمل أن يكون الجبل المحاذى له الذى يكون على يسار الداخل إلى الشعْب الذى تسميه الناس: شِعْب العفاريت، والجبلان مشرفان على هذا الشِعْب، ولعله الشعْب الذى يقال له شِعب الصفا صفا السباب[٣] والله أعلم.

وما ذكرناه من كون الحجون فى هذه الجهة من المعلاة صريح من كلام أبى الوليد الأزرقى فى كتابه «أخبار مكة» ومن كلام إسحاق الخزاعى راوى كتاب الأزرقى، وأدخل الخزاعى ذلك فى كتاب الأزرقى عند ذكْر الأزرقى لحد المحصب وهذا ما ذكرناه من تعيين كون الحجون أحد الجبلين المشار إليهما يدل له كلام الأزرقى[٤] وما ذكره هو والخزاعى فى تعيين جهة الحجون يدفع ما يقوله الناس من أن الحجون هو الجبل الذى فيه ثنية كَدَاء، بفتح الكاف والمد، التى يُستَحَب للمُحْرِم دخول مكة منها.

ووقع للمحب الطبرى فى «القرى» ما يوافق ذلك، لأنه قال: الحَجُون بفتح الحاء وضم الجيم مخففة، الجبل المشرف عند المحصب، وهو مقبرة أهل مكة قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيس ولم يُسْمِرْ بمكة سامرُ

(١) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٣٠٣.
(٣) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «الشباب» وانظر سبب تسميته بذلك لدى الأزرقى ٢/ ٢٧٤.
(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٦٠.

وذكر أبو موسى المديني فى يتيمته أنه الجبل المشرف مما يلى شعْب الجزارين بمكة، قلت: ويشبه أن يكون ما ذكره هو الجبل الذى على يمين المنَهبط من الثنية العليا على المقبرة فإن إلى جانبه شعْبًا يقال له شعب الجزارين، ويُحتمل أن يكون الجبل المشرف على المقابر على يَسار المنهبط مَن الثنية، وتكون المقبرة بينه وبين الصفا على ما قال الشاعر. انتهى كلام المحبّ الطبرى.

والشِّعْب الذى ذُكر أنه يقال له شعب الجزارين يقال له شعب النور، وهو الذى قُبر فيه الشيخ أبو لكوط، وفى كون هذا الشعب شعب الجزَارين نظر، وكذا فى الاحتمال الآخر الذى ذكره فى تفسير شعْب الجزارينَ، وكذا فيما يقوله الناس من أن الحجُون هو الجبل الذى فيه الثنية المَشار إليها، وهو مقتضى كلام المحب الطبرى، لكون ذلك مخالفًا لما ذكره الأزرقى فى تفسير الحَجُون، مع موافقة الخزاعى له على ما ذكره من أن الحَجُون فى الجهة المقابلة لجهة الثنية، كما أشرنا إليه، والأزرقى والخزاعى بذلك أدرى، والتعويل عليهما فى ذلك أولى.

ونص ما ذكره الأزرقى فى الترجمة التى بيَّن فيها ما فى شق[١] معلاة مكة اليمانى من المواضع والجبال والشِّعاب، وما أحاط به: الحَجُون الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة الذى يقال له مسجد الحرس، وفيه ثنية يُسْلَك إليها من حائط عوف، عند الماجلين اللذين فوق دار مال الله إلى شِعب الجزارين، وبأصل شِعب الجزارين كانت المقبرة فى الجاهلية[٢]. انتهى.

ونص كلام الخزاعى: الحَجُون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد، وهو أيضًا مشرف على شعب الجزارين فى أصله فى دار ابن أبى ذر[٣] أبى دُب إلى موضع القبة بمسجد سلسبَيل[٤] أم زبيدة بنت جعفر بن أبى منصور[٥]. انتهى.

ووجه الدلالة من كلام الخزاعى على ما ذكرناه فى جهة تعيين الحَجُون ذكْره للحَجُون من شق معلاة مكة اليمانى، ولا ريب أن الجهة هى التى أشرنا إليها،

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «شتى» وصوابه من الأصل.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٧٣.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «دار أبى دب» وصوابه لدى الأزرقى.
(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «مسجد بسبيل» وصوابه من الأصل والأزرقى.
(٥) الأزرقى ٢/ ١٦٠.

ووجه الدلالة من كلام الخزاعى قوله فى تعريف الحَجُون على يمينك وأنت مصعد، ولا يكون الحَجُون على يمين المصعد من مكة إلا إذا كان فى الجهة التى أشرنا إليها.

وذكر النووى فى «شرح مسلم» فى تفسير الحَجُون نحو ما ذكره الخزاعى باختصار، لأنه قال فى تفسير حديث قوله قرب الحَجُون هو بفتح الحاء وضم الجيم، وهو من حرم مكة، وهو الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد عند المحصب. انتهى.

والدلالة من كلام النووى على ما ذكرناه فى تفسير الحَجُون كالدلالة على ذلك من كلام الخزاعى، وقد سبق ذلك.

وذكر الفاكهى ما يوافق ما ذكره الأزرقى فى كون الحَجُون بشق معلاة مكة اليمانى وفى تعريفه له[1]: والفاكهى من العارفين بأخبار مكة فيتأيد بما ذكره فى الحجون ما قاله الأزرقى والخزاعى فى الحَجُون والله أعلم.

وشِعب الجزارين لا يُعرف الآن إلا أن بين سور مكة الآن وبين الجبل الذى يقال له جبل ابن عمر موضعًا يشبه الشعْب، فلعله شعب الجزارين.

وشِعب الجزارين هو شِعْب أبى دُب على ما ذَكر الأزرقى، وذكر أنه رجل من بنى سواة بن عامر، وحائط عوف الذى ذكره الأزرقى فى تعريف الحَجُون لا يُعرف، ولعله أحد البساتين التى فى الجبل الذى يقال له جبل ابن عمر، فإن منها يتوصل إلى الجبل المذكور، ولعل هذا يؤيد أحد الاحتمالين اللذين ذكرناهما فى تعيين كون هذا الجبل الحَجُون، ويتأيد ذلك أيضًا بقربه من الماجلين اللذين ذكرهما الأزرقى، وهما فى غالب الظن البركتان المنسوبتان للصارم، التى إحداهما ملاصقة لسور مكة، والله أعلم.

وأَغْرَبَ السهيلى فى تفسير الحَجُون لأنه قال فى «الروض الأُنُف»: والحَجُون على فرسخ وثلث من مكة. انتهى.

---

(١) الفاكهى ٤/ ١٤٣.

وهذا مخالف للمحسوس والمنقول.

وما ذكره المحب من كون الحَجُون بفتح الحاء وضم الجيم سبقه إلى ذلك النووى فى «شرح مسلم» وضبطه أيضًا بفتح الحاء صاحب «المطالع» وضبطه ابن خلّكان[1] بفتح الحاء، [المهملة][2].

وهذا الموضع من جملة المواضع التى أصلحتُها فى هذا الكتاب بعد تأليفى له، لأنى لم أكن نظرت فيما كتبته أولا، إلا كلام المحب، وتأيد عندى بما يقوله الناس فى تفسير الحَجُون، فلما راجعت كلام الأزرقى والخزاعى ظهر لى أنه الصواب، فكتبت هذا الفصل على هذا الوجه والله أعلم، بالصواب.

السابع: الحُدَيبية الموضع الذى نزل عنده النبى ﷺ لما قدم من المدينة مُحْرِمًا يريد دخول مكة، فعاقه حينئذ المشركون عن ذلك يقال إنه الموضع الذى فيه البِئر المعروفة ببئر شميس بطريق جُدة، والله أعلم.

قال صاحب «المطالع»: إن الحديبية قرية ليست بالكبيرة، وسُميت ببئرٍ هناك عند مسجد الشجرة. انتهى.

والشجرة والحديبية لا يعرفان الآن، وقد سبق فى حدود الحرم الخلاف فى الحديبية، هل هى فى الحرم كما قال مالك، أو فى طرف الحل، كما قال الماوردى، أو أن بعضها فى الحِل وبعضها فى الحرم، كما قال الشافعى وابن العطار، والله أعلم.

وليست الحديبة بالموضع الذى يقال له الحدة فى طريق جُدَّة بقرب هذا الموضع من جُدّة، وبعده من مكة والحديبية دونه بكثير إلى مكة، واختلف فى الياء الثانية من الحديبية هل هى مخففة أو مشدَّدة، والقولان مشهوران على ما ذكر النووى فى «التهذيب» لأنه قال: الحُدَيبية بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء، كذا قاله الشافعى وأهل اللغة وبعض أهل الحديث وقال أكثر المحدثين: بتشديد الياء وهما وجهان مشهوران. انتهى.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «ابن ملكان» بالميم، وهذا القول لدى ابن خلكان ٢/ ٣٩٣ وفيه: «الحجون: بفتح الحاء المهملة».

(٢) الذى لدى ابن خلكان بفتح الحاء المهملة وفى المطبوعتين: «بضم الحاء والمعروف فيه الفتح...» وما بين حاصرتين منه.

والحديبية أفضل مواقيت العُمْرة بعد الجعْرانة والتنعيم عند الشافعية، ما خلا الشيخ أبا حامد، فإن الحديبية عنده مقدم علىَ التنعيم، والله أعلم بالصواب.

الثامن: ذو طَوى الموضع الذى يُستَحَب فيه الاغتسال للمُحْرم، هو على مقتضى ما ذكره الأزرقى الموضع الذى يقال له بين الحَجُونَين، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلاة إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين. انتهى. وفى «صحيح البخارى» ما يؤيد هذا، وصرح به القاضى بدر الدين بن جماعة فيما نقله عنه ابنه القاضى عز الدين على ما أخبرنى عنه خالى، وقال النووى: إنه موضع بأسفل مكة فى طريق العُمْرة المعتادة، ويُعرف اليوم بآبار الزاهر. انتهى.

وقال الداودى فيما نقله عن صاحب «المطالع»: إن ذا طَوى هو الأبطح وهو بعيد، والله أعلم بالصواب، وطاؤه مثلثة وهو مقصور، واستحباب الغُسلْ بذى طَوى للمُحْرِم، وهو مذهب الأئمة الأربعة، إلا أن أصحابنا لا يستحبونه للحائض والنُّفساء، لأنهما لا يؤمران بالطواف عند قدومهما مكة، والغُسْل شُرِع لأجل الطواف، والله أعلم، وإنما يُطلَب من المُحْرِم الاغتسال فيه إذا كان فى طريقه.

التاسع: الردْم الذى ذكر بعض الشافعية أن المُحْرِم يقف عنده للدعاء إذا قدم إلى مكة، وهو ردْم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأعلى مكة، وهو معروف عند الناس، وسبب ردْم عمر له أنه جاء فى خلافته السَّيْل المعروف بسيل أم نَهْشَل، فدخل المسجد الحرام وذهب بالمقام عن موضعه، وأخفى موضعه، فشق ذلك على عمر ﷺ وعمل هذا الردْم صونًا للمسجد.

العاشر: الصفا الذى هو مبدأ السعى، وهو فى أصل جبل أبى قبيس، على ما ذكره غير واحد من العلماء، ومنهم أبو عبيد البكرى والنووى، وهو موضع مرتفع من جبل له درج، وفيه ثلاثة عقود، والدرج أعلى العقود وأسفلها، والدرج الذى [أعلى العقود أربع درجات، ووراء هذه الأربع ثلاث مساطب كبار على هيئة الدرج][١] يصعد من الأولى إلى الثانية منهن بثلاث درجات فى وسطها،

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وتحت العقود درجة وتحتها فرشة كبيرة، ويليها ثلاث درجات، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة تتصل بالأرض، وربما علا التراب عليها فغُيِّب، وعرض [الفرشة السفلى ذراعان ونصف ذراع وقيراطان، وعرض الفرشة العليا التى تحت العقود ذراعان وثلثا ذراع، وعرض][1] الثلاث الدرجات التى بين الفرشتين ذراعان ونصف ذراع كل ذلك بذراع الحديد، وتحت الفرشة السفلى التى تتصل بالأرض درج مدفون وهو ثمان درجات، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة، ثم درجتان، وتحت هاتين الدرجتين حجر كبير يشبه أن يكون من جبل، وهذا الدرج المدفون لم نره إلا فى محاذاة العقد الأوسط من عقود الصفا، والظاهر والله أعلم أن فى مقابلة العقدين الأخرين مثل ذلك، وذرْع ما بين وجه العقد الأوسط على الصفا إلى منتهى الدرج المدفون ثمانية عشر ذراعًا بالحديد، وكان تحرير ذلك بحضورى بعد الأمر بالحفر عن الدرج المشار إليها فى سابع عشر شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة، وكان ابتداء حفْرنا عن ذلك يوم السبت خامس عشر شوال المذكور.

وكان الناس يأتون لمشاهدة ما ظهر من الدرج أفواجًا أفواجًا، وحصل لهم بذلك غبطة وسرور، لأنَّ كثيرًا من الساعين لا يرقون فى الدرج الظاهر الآن، خصوصًا الساعى راكبًا، وسبب حفرنا عن ذلك أنه حاك فى نفس فقهاء مكة فى عصرنا عدم صحة سعْى من لم يرق فى الدرج الظاهر، لأن بعض متأخرى الشافعية الفقهاء قد أشار إلى أن فى الصفا دَرَجًا مستحدَثًا ينبغى للساعى الاحتياط بالرقى عليها، إلى أن يستيقن. انتهى بالمعنى. وسيأتى ذكر ذلك بنصه.

وهذا الكلام يوهم أن بعض الدرج الموجود الآن محدَث، لأنه ليس هناك درج سواها حتى يُحمَل الكلام عليها، وذاكَرَنى الفقيه المشار إليه بما حاك فى نفسه فقلت له: الظاهر والله أعلم أن المراد بالدرج المحدَث غير الدرج الظاهر، ويتحقق ذلك بالحفر عنه، فحفرنا حتى ظهر لنا من الدرج ما ذكرناه، وبعيد جدًّا أن يكون مجموع الدرج المدفون والظاهر محدَثًا فى غير محل السعى، حتى لا يجزى الوقوف عليه فى السعى، وإنما المحدَث بعض الدرج المدفون، لكونه فى غير محل السعى على

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

ما يقتضيه كلام الأزرقى، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: ذرْع ما بين الركن الأسود إلى الصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعًا وثمانية عشر إصبعًا. انتهى.

والصفا الذى ذكر الأزرقى ذرْع ما بينه وبين الحجر الأسود هو محل السعى، وما ذكره الأزرقى فى ذرْع ما بين الصفا والحجر الأسود إما أن يكون إلى مبدأ الدرج المدفون تحت العقود، أو إلى العقود أو إلى ما وراء ذلك، وفى كل الوجوه نظر غير الوجه الثانى.

أما الأول فلأن من الحجر الأسود إلى مبدأ الدرج المدفون مائتى ذراع وواحدًا وعشرين ذراعًا وربع ذراع وثُمن ذراع بذراع الحديد، يكون ذلك بذراع اليد مائتى ذراع وثلاثة وخمسين ذراعًا بذراع اليد، على ما حررناه، وذلك دون ما ذكره الأزرقى فى مقدار ما بين الحجر الأسود والصفا بعشرة أذرع إلاَّ ربع، فدل ذلك على أنه لم يرده لمخالفته المقدار الذى ذكره، والله أعلم.

وأما الوجه الثالث فلأن من هذا الحجر الأسود إلى العقد الوسط الذى بالصفا مائتى ذراع وتسعة وثلاثين ذراعًا وربع ذراع وثُمن ذراع بالحديد، يكون ذلك باليد مائتى ذراع وثلاثة وسبعين ذراعًا، بتقديم السين، وأربعة أسباع ذراع، على ما حررناه، وذلك يزيد على مقدار ما ذكره الأزرقى عشرة أذرع وخمسة أسباع ذراع وثلاثة أرباع خُمس سُبع ذراع، فدل ذلك على أنه لم يُرِده لمخالفته القدر الذى ذكرناه.

وأما الوجه الرابع فالنظر فيه كالنظر فى الوجه الثالث، لأنه إذا كان الوجه الثالث غير المراد لما فيه من المخالفة لما ذكره الإمام الأزرقى بسبب الزيادة فكذا الوجه الرابع غير المراد من باب أولى، لكثرة الزيادة فيه على الزيادة التى فى الوجه الثالث، خصوصًا إذا قيل إن المراد موضع جدار البيت المشرف على الصفا، فإن من العقد الأوسط إليه سبعة عشر ذراعًا بتقديم السين بذراع الحديد، يكون ذلك بذراع اليد تسعة عشر ذراعًا، بتقديم التاء، وثلاثة أسباع ذراع والله أعلم.

وإذا كان فى كلٍّ من هذه الوجوه نظر، تعين أن يكون المراد الوجه الثانى لموافقته كلام الأزرقى، لأن من أول الفرشة التى تحت الدرجات الثلاث إلى آخر الفرشة التى فوقها تحت الدرجه التى تحت العقد الأوسط عشرة أذرع باليد، وذلك هو العقد الزائد على ما ذكره الأزرقى فى مقدار ما بين الحجر الأسود والصفا، وإنما ذكر الأزرقى ذرْع ما بين الحجر الأسود والصفا ليبين أن ما وراء ذلك محل للسعى، والفرشة السفلى المشار إليها من وراء الذرع المذكور فتكون محلاً للسعى على هذا، ويصح إن شاء الله تعالى سَعْىُ من وقف عليها، فلا يقصر الساعى عنها، ولا يجب عليه الرقى على ما وراءها، والله أعلم.

والفَرْشة المشار إليها هى التى سبق أن التراب يعلو عليها فتغنى، وأما الكلام الموهم بخلاف ذلك فهو ما ذكره المحب الطبرى فى «شرح التنبيه» لأنه قال: وبُنى فى ذيل الصفا درج، فينبغى أن يحتاط مريد السعى بالرقى عليها، فإن الأرض رَبَتْ بحيث يُرَى البيتُ من غير رقى. انتهى.

ومن ذلك ما ذكره النووى فى «الإيضاح» لأنه قال: إن من واجبات السعْى أن يقطع جميع المسافة بين الصفا والمروة، فلو بقى منها بعض خطوة لم يصح سعيه، حتى لو كان راكبًا، واشترط أن تسير دابته حتى تضع حافرها على الجبل أو إليه، حتى لا يبقى من المسافة شيء، ويجب على الماشى أن يلصق فى الابتداء والانتهاء رجله بالجبل، بحيث لا يبقى بينهما فرجة، فيلزمه أن يلصق العقب بأصل ما يذهب منه، ويلصق رءوس أصابع رجليه بما يذهب إليه فيلصق فى الابتداء بالصفا عقبه، وبالمروة أصابع رجليه، فإذا عاد عكس ذلك، هذا إن لم يصعد فإن صعد فهو الأكمل، وقد زاد خيرًا، وليس الصعود شرطًا بل هو سُنَّة متأكدة، ولكن بعض الدرج مستحدَث فليحذر أن يخلفها وراءه، فلا يتم سعيه، ولْيصعد بعد أن يستيقن، وقال بعض أصحابنا: يجب الرقى على الصفا والمروة بقدر قامة، وهذا ضعيف، والصحيح المشهور لا يجب، لكن الاحتياط أن يصعد للخروج من الخلاف. انتهى.

وذكر الأزرقى ذرْع ما بين الصفا والمروة لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: ومن الصفا إلى المروة طواف واحد سبعمائة ذراع وستة وستون ذراعًا ونصف ذراع يكون سبع بينهما خمسة آلاف وثلاثمائة ذراع وخمسة وستين ذراعًا ونصف ذراع(١). انتهى.

وقد حررت أنا ذرْع ذلك فجاء من وسط جدار الصفا وهو من محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرج الذى بالمروة من داخله ستمائة ذراع وثلاثة وسبعون ذراعًا بالحديد، بتقديم السين، وسبعة أثمان ذراع يكون ذلك بذراع اليد سبعمائة ذراع وسبعين ذراعًا وسُبع ذراع بتقديم السين فى السبعمائة ذراع، وفى السبعين، وفى السبع، ومن محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرجة العالية بالمروة التى كهيئة الدكة الكبيرة من داخل الدرج ستمائة ذراع وثمانون ذراعًا إلاَّ ثُمن ذراع، بذراع الحديد، يكون ذلك باليد سبعمائة ذراع وسبعة وسبعين ذراعًا بتقديم السين فى السبعمائة وفى السبعة وفى السبعين.

وما ذكره الأزرقى فى مقدار ما بين الصفا والمروة يدل أنه لم يرد به إلى ما وراء الدرج بالمروة، وإنما مراده إليه أو ما قرب منه، لأنه لو أراد إلى ما وراء الدرج لم يكن المقدار الذى ذكره موافقًا لذلك لِما فيه من النقص عن ذلك والله أعلم.

وما ذكرناه فى مقدار ما بين وسط عقود الصفا والدرج الذى بالمروة فى اعتبار ذرْع ذلك باليد يقرب مما ذكره الأزرقى [فى ذرع ذلك، لأن ما ذكرناه يزيد على ما ذكره الأزرقى ثلاثة أذرع ونصف ذراع وسبع ذراع ولعل الأزرقى](٢) لم يعتبر ما ذكره من الموضع الذى اعتبرناه منه، وإنما اعتبر ذلك من طرف العقد الذى يلى العقد الوسط والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١١٩.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

وذرْع عقود الصفا الثلاثة أحد وعشرون ذراعًا بالحديد إلاَّ ثُمن ذراع بالحديد وطول الدرجة الأخيرة من درج الصفا السفلى التى تلى الأرض فى محازاة الثلاثة العقود التى بالصفا اثنان وعشرون ذراعًا بالحديد، وذكر النووى أن عرض فتحة الدرج الذى كان على الصفا نحو خمسين قدمًا. انتهى.

وذكر الأزرقى شيئًا من خبر درج الصفا والمروة، فنذكر ذلك لإفادته لأنه قال فيما رويناه عنه: حدثنى جدى أحمد بن محمد قال: كان الصفا والمروة يسند[١] فيهما من سعى بينهما، ولم يكن بينهما بناء ولا درج حتى كان عبد الصمد بن على فى خلافة أبى جعفر المنصور، فبنى درجهما التى هى اليوم درجهما، فكان أول من أحدث بناءها، ثم كحل بعد ذلك بالنَّوْرَة[٢] فى زمن مبارك الطبرى وذلك فى خلافة المأمون[٣]. انتهى.

وذكر الأزرقى أن درج الصفا أربع عشرة درجة.

وذكر ابن جبير أن درج الصفا أربع عشرة درجة، وذكر النووى أن درج الصفا إحدى عشرة درجة[٤] وسبب هذا الاختلاف أن الدرج يعلو عليها التراب فيخفيها، وما أظن النووى شاهد ما ذكره من عدد درج الصفا، وإنما قلد فى ذلك الأزرقى وغيره من المصنفين، لأنه يبعد أن تعلو الأرض فى عهد النووى إلى اليوم عُلُوًّا يغيب به من درج الصفا القدر الذى وجدناه مدفونًا، والله أعلم.

ويتأيد ذلك بأن سليمان بن خليل قال فى الرد على أبى حفص بن الوكيل من الشافعية فى إيجابه الرقى على الصفا والمروة، وتعليله إيجاب ذلك بأنه لا يمكن استيضاح ما بينهما إلا بالرقى عليهما، وقد كان هذا قبل أن يعلو الوادى لأن الدرج كانت كثيرة، وكان الوادى نازلاً حتى إنه كان يصعد دَرَجًا كثيرًا ليرى البيت حتى قيل: إنه كانت عير الفرسان فى المسعَى والرماح قائمة معهم، ولا يرى مَن فى المسجد إلا رءوس الرماح، فأما اليوم فإنه يرى البيت من غير أن يرقى على شىء من الدرج. انتهى. ووجه الدلالة من هذا على ما أشرنا إليه أن عصر

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يشتد» وصوابه من الأصل والأزرقى.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ثم كمل بالنورة» وصوابه من الأصل والأزرقى.
(٣) الأزرقى ٢/ ١٢٠.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج١ ص ١٨١.

سليمان بن خليل وعصر النووى متقاربان، وسليمان مات قبل النووى بنحو خمس عشرة سنة، وإذا كان البيت يُرَى فى عصره من غير رقى على الصفا لعُلُو الأرض فيكون الحال هكذا فى عصر النووى، والله أعلم.

الحادى عشر: طريق ضَبٍّ التى يُستَحَب للحاج أن يسلكها إذا توجَّه إلى عرفة، وهى طريق مختصر من المُزْدَلفة إلى عَرَفَة فى أصل المأزمين عن[1] يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة، هكذا عرفها الأزرقى، وإنما يُستَحَب للحاج سلوكها، لأنه روى أنه ﷺ سلكها حين غدا من مِنى إلى عرفة، نقل ذلك الأزرقى عن بعض أهل مكة، وروى عن عطاء أنه سلكها وقال: هى طريق موسى بن عمران.

الثانى عشر: عَرَفَة موضع الوقوف، هى خارج الحرم قريب منه، روينا فى تاريخ الأزرقى، ووادى عُرَنَة بالنون وفى بعض نُسَخِهَ: ووادى عرفة بالفاء، ذكر ذلك المحب الطبرى فى شرحه للتنبيه، وقال هكذا نقلته من نسخة مُعْتَنَى بها، ووادى عرفة بالفاء وضبطها بفتح العين، وحكاه شيخنا أبو عمرو بن الصلاح إلا أنه قال إلى ملتقى وصيق[2] ووادى عُرَنَة بالنون، وأكد ذلك فقال بعده: وبطن عُرَنَة ووادى عُرَنَة مضافان إلى عُرَنَة بضم العين وفتح الراء والنون، قال المحب: قلت: وفيما ذكره نظر، لأنه أراد تحديد عرفة أولاً وآخرًا، فجعله من الجبل المشرف على بطن عُرَنَة بالنون، فيكون آخره ملتقى وصيف، وبطن عرفة بالفاء، ولا يصح أن يكون وادى عُرَنَة بالنون، لأن وادى عُرَنَة لا ينعطف على عَرَفَة، بل هو ممتد مما يلى مكة يمينًا وشمالاً، فكان التقييد بوادى عَرَفَة أصح والله أعلم، قال: وهذا التحديد يُدْخِل عُرَنَة فى عَرَفَة. انتهى.

وقال المحب الطبرى أيضًا فى «القرى»: قال الشافعى فى الأوسط من مناسكه: وعُرَنَة ما جاور وادى عَرَفَة وليس الوادى ولا المسجد منها إلى الجبال المقابلة مما

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «من» وصوابه من الأصل.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «وصيف» بالفاء، وصوابه من الأصل «وقيده المحب الطبرى فى القرى: ص٣٨٤: بواو مفتوحة، وصاد مهملة، وقاف» وأخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٩٤، ولدى ياقوت: وصِيق: بالفتح ثم الكسر موضع أعلاه لكنانة وأسفله لهذيل.

يلي حوائط ابن عامر وطريق الحصن وما جاور ذلك فليس من عُرَنَة، حكى ذلك صاحب «الشامل» وحكى الشيخ أبو حامد الإسفرائيني الشافعي: أن الشافعي قال في القديم: وعرفة ما بين الجبل المشرف إلى الجبال المقابلة يمينًا وشمالاً، ثم قال: أعني الشيخ أبا حامد: والجبل المشرف أظنه جبل الرحمة، وقال في البيان: حد عَرَفَة ما بين الجبل المشرف على بطن عُرَنَة إلى الجبال المقابلة يمينًا وشمالاً مما يلي حوائط ابن عامر وطريق الحَضَن، قال المحب الطبري بعد حكايته لذلك قلت: وهذا موافق لما حكاه الشيخ أبو حامد، إلاَّ أنه أضاف الجبل المشرف إلى بطن عُرَنَة فكأنه يشير إلى الجبل الطويل في آخر عَرَفَة، حتى يكون مشرفًا على أول عرفة، وهذا مغاير لما ظنه الشيخ أبو حامد أنه جبل الرحمة، وما ذكره في «البيان» هو الصواب.

والحمل على جبل الرحمة لا يصلح لأن عَرَفَة يطيف به، ولو جعلنا الحدّ منه لخرج ما خلفه من عَرَفَة، ولا خلاف عند أهل الخبرة بها أنه منها، ولذلك يقف فيما خلفه من السهل والجبل طوائف من أنواع العرب متطابقين على ذلك من غير إنكار، ويكون ما ذكره صاحب «البيان» من الإضافة إلى بطن عرفة بالفاء يريد به عرفة موضع الوقوف، ولعله وسطها، حتى يكون بطنًا، وربما صحّف قوله بطن عرفة بالفاء؛ فقال: بطن عُرُنَة بالنون، وظن أن التقييد بالفاء غلط، وليس كذلك، بل هي بطن عرفة بالفاء، واستدل على ذلك بما يؤيده[١]. انتهى.

قلت: وحدُّ عرفة من جهة مكة الذى فيه هذا الاختلاف الآن بيِّن، وهو علمان بين العلمين اللذين هما حد الحرم إلى جهة عرفة، وكان ثمة ثلاثة أعلام، فسقط أحدهم وهو إلى جهة المغمس وأثره بيِّن، ورأيت عنده حجرًا مُلْقًى مكتوبًا فيه: أمر الأمير الأسفهسلار[٢] الكبير مظفر الدين بن زيد الدين صاحب إربل حسام أمير المؤمنين بإنشاء هذه الأعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرفة ووادي

---

(١) في هذا الخبر وما قبله في المطبوعتين تحريف وسقط، وقد اعتمدنا في تكملة النص وتصويبه على ما ورد لدي المحب الطبري في القرى ــ ص ٣٤٨ ــ الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) تحرف في طبعة تدمرى إلى: «الأصفهلار» وصوابه من الأصل وصبح الأعشى ٣/ ٤٧٩ للقلقشندي، ولديه: «الاسفهسلار: اسم لوظيفة من وظائف أرباب السيوف وعامة الجند وصاحبها زمام كل زمام، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم، وهي كلمة أعجمية معناها قائد الجيش.

عُرَنَة لا يجوز لحاج بيت الله العظيم أن يجاوز هذه الأعلام قبل غروب الشمس، وفيه كان ذلك بتاريخ شعبان من شهور سنة خمس وستمائة، ورأيت مثل ذلك مكتوبًا فى حجر مُلْقًى فى أحد العلمين الباقيين، وفى هذين العلمين مكتوب: أمر بعمارة عَلَمَىْ عرفات، وأضاف كاتب ذلك هذا الأمر للمستنصر(١) العباسى، ثم قال: وذلك فى شهور سنة أربعٍ وثلاثين وستمائة.

ذكر مقدار ما بين باب بنى شيبة وهذين العلمين

من باب بنى شيبة إلى العلمين المشار إليهما أربعون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وأحد وثمانون ذراعًا وستة أسباع ذراع بذراع اليد، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: أحد عشر ميلاً ونصف ميل ورُبع سُبع يزيد ستة أذرع وستة أسباع ذراع، ومن باب المعلاة إلى العلمين المذكورين إليهما ثمانية وثلاثون ألف ذراع ومائتا ذراع وأربعة وخمسون ذراعًا وستة أسباع ذراع بذراع اليد أيضًا، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: عشرة أميال وأربعة أخماس ميل وعشر ميل وخُمس سُبْع [ميل](٢) يزيد أربعة أذرع وستة أسباع ذراع بالذراع المذكور، وذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار ذلك على مقتضى الأصول الثلاثة فى مقدار الميل، فى اعتبار المسافة من باب المعلاة، وفى اعتبار المسافة من باب بنى شيبة.

ذكر تعيين موقف النبى ﷺ من عَرَفَة

قد قام على تحريره جماعة من العلماء و لم أر لأحد منهم فى ذلك مثل ما رأيت للقاضى بدر الدين بن جماعة، ولذلك اقتصرت هنا على ذِكْره فى ذلك: أخبرنى خالى قاضى الحرمين محب الدين النويرى؛ قال: أخبرنى القاضى عز الدين بن جماعة قال فى منسكه: وينبغى تحرى موقف سيدنا رسول الله ﷺ، وقد اجتهد

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «للمستظهرى» وصوابه من الأصل.
(٢) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

والدى تغمده الله برحمته فى تعيينه وجمع فيه بين الروايات فقال: إنه الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف، وهى من وراء الموقف صاعدة فى الرابية، وهى التى عن يمينها وورائها صخرتان متصلتان بصخر الجبل المسمَّى بجبل الرحمة، وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربع عن يساره، وهى إلى الجبل أقرب بقليل، بحيث يكون الجبل قبالة الواقف إذا استقبل القبلة، ويكون طرف الجبل تلقاء وجهه، والبناء المربع عن يساره بقليل، وقال: ذكر والدى رحمه الله أنه وافقه على ذلك من يعتمد عليه من محدثى مكة وعلمائها حتى حصل الظن بيقينه، قال: فإن ظفر بموقف النبى ﷺ فهو الغاية فى الفضل، وإن خفى عليه وقف بين الجبل والبناء المربع على جميع الصخرات والأماكن التى بينها لعله أن يصادف الموقف الشريف النبوى فتفاض عليه بركاته. انتهى.

قلت: البناء المربع المشار إليه فى هذا الكلام هو الذى يقال له بيت آدم بعرفة، وكان سقاية للحاج، أمرت بعملها العجوز والدة المقتدر العباسى، على ما هو مكتوب فى حجر فى حائطها القبلى، ومن ركن هذه السقاية الذى يلى جبل الرحمة من جهة مكة إلى الموضع الذى فيه الآن المحامل بعرفة مائة ذراع وأحد عشر ذراعًا بالحديد، يكون ذلك بذراع اليد مائة ذراع وستة وعشرين ذراعًا وستة أسباع ذراع، ومن موقف المحامل الآن بعرفة إلى ما يقابله من جهة جبل الرحمة سبعة بتقديم السين وثلاثون ذراعًا بالحديد، يكون ذلك بذراع اليد اثنين وأربعين ذراعًا وسُبْعىْ ذراع، ومن موقف المحامل بعرفة إلى ركن مسجد نَمِرَة الذى يلى عرفة والطريق ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وخمسة وتسعون ذراعًا بتقديم التاء وربع ذراع، يكون ذلك بذراع اليد ثلاثة آلاف ذراع وثمانمائة ذراع وستة وسبعين ذراعًا بتقديم السين، وذلك ميل وثلاثة أرباع سُبْع ميل يزيد ذراعًا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع.

ومن جدار باب بنى شيبة إلى الموضع الذى يقف فيه المحامل الآن بعرفة ثلاثة وأربعون ألف ذراع وثمانية وثمانون ذراعًا وسُبع ذراع بذراع اليد، يكون ذلك

على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع، اثنى عشر ميلاً وخُمس ميل وعُشر ميل وعُشْر عُشْر ميل يزيد ثلاثة أذرع وسُبع ذراع.

ومن عتبة باب المعلاة إلى موقف المحامل الآن بعرفة أربعون ألف ذراع وتسعمائة ذراع بتقديم التاء وإحدى وستون ذراعًا وسُبع ذراع بذرع اليد، يكون ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع أحد عشر ميلاً وثلاثة أخماس ميل وعُشر ميل وخُمس سُبْع عُشْر ميل، يزيد ذراعًا وسُبع ذراع، ولا فضيلة للوقوف على الجبل الذى يقال له جبل الرحمة بعرفة، لأن مالكًا كره الوقوف على جبل عرفة، وكان هذا الجبل صعب المرقى فسهَّله الوزير الجواد الأصفهانى، وبنى فيه مسجدًا ومصنعًا للماء، والقبة التى فيه الآن جُدِّدت فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة بعد سقوطها فى التى قبلها، وعمارتها من مال أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، وما عرفت فى أى وقت عُمِّرت هذه القبة بهذا الجبل، وكانت موجودة فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة على ما ذكر ابن جبير، وذكر أنَّها تُنْسَب لأم سَلَمَة رضى الله عنها، والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة ذلك.

ذكر مسجد عرفة وحكم الوقوف فيه

مسجد عرفة هو الذى يصلى فيه الإمام بالناس يوم عرفة، وما ذكرناه من أنه مسجد عرفة يوافق ما ذكره الأزرقى فى غير موضع من كتابه.

وذكر المحب الطبرى أن المتعارَف فيه عند أهل مكة وتلك الأمكنة مسجد عرفة بالفاء، وقيل: إنه من عُرَنَة بالنون، وهو موافق لما ذكره الشافعى، كما سبق فى حدِّ عرفة، وتقييد ابن الصلاح على ما نقل عنه المحب الطبرى، لأنه قال: ويقال له مسجد عُرَنَة بالنون وضم العين، كذلك قيده ابن الصلاح فى منسكه، ثم عقب ذلك بقوله: والمتَعَارَف فيه إلى آخر كلامه، وجزم النووى فى كتابه «الإيضاح» بأنه مسجد عُرَنَة بالنون، وذكر ابن الجلاّب[1] من أصحابنا المالكية ما يقتضى أنه

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن الجلاّد» وصوابه من الأصل.

ليس من عرفة بالفاء، وذكر ابن المواز أن حائطه القِبلى على حد عرفة، ولو سقط لسقط فى عرفة. انتهى. وقيل: مقدم هذا المسجد من عُرَنَة بالنون، ومؤخَّره من عرفة بالفاء، ذكر ذلك جماعة من الأئمة الشافعية الخُراسانيين، منهم الشيخ أبو محمد الجوينى وابنه إمام الحرمين والقاضى الحسين فى تعليقه والرافعى، قال الشيخ أبو محمد: ويتميز ذلك بصخرات كبار فُرشت فى ذلك الموضع. انتهى.

وتظهر ثمرة [هذا][1] الخلاف فى رجل أخَّر الوقوف به، وتوقف مالك فى إجزاء الوقوف بهذا المسجد، وفيه لأصحابنا قولان: المنع لأصبغ، والإجزاء لمحمد ابن المواز، وهو مقتضى كلام الشيخ خليل الجندى فى مختصره الذى صنفه لبيان ما به الفتوى، مع كراهة الوقوف بهذا المسجد، وما قاله الفقهاء المشار إليهم من أن هذا المسجد كله من عرفة أو بعضه يخالف مقتضى رأى من جعل حد عرفة من جهة مكة الأعلام الثلاثة التى عمَّرها المظفر صاحب إربل، وعمر منها المستنصر العباسى العَلَمَين الموجودين الآن، لأن فيهما مكتوبًا أن صاحب إربل أمر بإنشائهما بين منتهى أرض عرفة بالفاء ووادى عُرَنَة بالنون، ووجه مخالفة ذلك لما ذكره الفقهاء[2] فى هذا المسجد أن من ركن المسجد المشار إليه مما يلى عرفة إلى محاذاة العَلَمَين الموجودين الآن سبعمائة ذراع بتقديم السين وأربعة وسبعين ذراعًا بتقديم السين أيضًا ورُبع ذراع وثُمن ذراع، كل ذلك بذراع الحديد، يكون ذلك بذراع اليد ثمانمائة ذراع وخمسة وثمانين ذراعًا، ومقتضى كون هذه الأعلام علامة لحد عرفة أن يكون المسجد المشار إليه ليس من عرفة، وكذلك المسافة التى بين المسجد وبين الأعلام المشار إليها، وذلك يخالف ما ذكره الفقهاء المشار إليهم، والله أعلم بالصواب.

ويقال لهذا المسجد مسجد إبراهيم، وإبراهيم المنسوب إليه هذا المسجد هو الخليل عليه السلام كما هو مقتضى كلام الأزرقى فى غير موضع وجزم به الرافعى والنووى، وأنكر ذلك القاضى عز الدين بن جماعة، قال: وليس لذلك أصل،

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) فى طبعة تدمرى: «ووجه مخالفته ذلك لما ذكر الفقهاء» ولا وجه له، والمثبت رواية الأصل.

وخطّأ الشيخ جمال الدين الإسنائى[١] الرافعى والنووى فيما ذكراه من نسبة هذا المسجد للخليل عليه السلام، وذكر أن ابن سُرَاقة سبقهما إلى هذا الخطأ فى كتابه «الأعداد» وفيما ذكره الإسنوى وابن جماعة نظر لمخالفته ما يقتضيه كلام الأزرقى، وهو عُمْدَة فى هذا الشأن، كيف وقد وافقه عليه غير واحد من كبار العلماء، ومنهم ابن المنذر، فيما نقله عنه سليمان بن خليل، والله أعلم، ولم يذكر الأزرقى الوقت الذى بُنى فيه هذا المسجد، وذكر ابن عبد البَر أنه بُنى هذا المسجد بعد مصير الأمر لبنى هاشم بعشر سنين، هكذا نقله عن ابن عبد البر الشيخ خليل فى توضيحه على مختصر ابن الحاجب، وبه فسر قوله: وإنما حدث بعد بنى هاشم بعشر سنين، لأنه يوهم أنه حدث بعد انقراضهم، وعلى هذا يكون بُنى هذا المسجد فى أوائل عُشْر الخمسين ومائة، والله أعلم.

ذكر ذرع هذا المسجد وشىء من صفته

طوله من بابه إلى جداره القِبْلى مائة ذراع وأحد وتسعون ذراعًا ورُبع ذراع، وعرضه من وسط جداريه مائة وأربعون ذراعًا إلاَّ ثلث ذراع وارتفاع محرابه ستة أذرع إلاَّ ثلث، ودخوله فى الجدار ذراعان، وسعة فتحته ثلاثة أذرع إلاَّ ثُمن، والمنبر عَشْر درجات مبنية بالحجارة، وارتفاعه إلى الدرجة العليا أربعة أذرع ونصف، والذراع المشار إليه فى هذا الاعتبار هو ذراع الحديد المتقدم ذكره، وهذا المسجد جميعه مكشوف ليس فيه رواق، وقد ذكر الأزرقى فى تاريخه صفة هذا المسجد فى زمنه، وذرْعه بذراع اليد، وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب، واقتصرنا على ما ذكرناه هنا من ذرْعه لأنه أبلغ فى التعريف، وكان تحرير ما ذكرناه بحضورى.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الأستاذ» وهو تحريف قبيح جدا، صوابه من الأصل.

ذكر تسمية عرفة بعرفة وما يتعلق بجمعها وصرفها وحكم الإحياء بها

وأما سبب تسميتها عرفة فَلِتَعَارُف آدم وحواء فيها، لأن آدم أُهبط بالهند، وحواء بجدة، فتعارفا بالموقف، قاله الضحاك، وقيل: لأن جبريل عليه السلام عَرَّف الخليل عليه السلام فيه المناسك يوم عرفة، وقيل: [لأن][1] الناس يعترفون فيها بذنوبهم، وقيل غير ذلك من الأقوال التى ذكرناها فى أصل هذا الكتاب، وهى تسعة أقوال، والله أعلم بالصواب.

وأما جَمْعها وصرْفها، فذكر جوازه جماعة من العلماء منهم النووى لأنه قال: وجُمعت على عرفات وإن كان موضعًا واحدًا لأن كل جزء منه يسمى عرفة، ولهذا كانت معروفة كقصبات، قال النحويون: ويجوز ترك الصرف كما يجوز ترك صرف غايات وأذرعات على أنها اسم مفرد لبقعة[2]. انتهى.

وأما حكم الإحياء بها فإنه لا يجوز ولا يُملَّك، على ما قال الحسين بن على الطبرى، فيما نقله عنه ابن خليل، وعلل ذلك بأنها مُتَعَبَّد ومنسك لعامة الناس، فصارت كالمساجد.

وحكى النووى فى ذلك ثلاثة أوجه، قال: والأصح المنع مطلقًا، وهذا أشبه بالمذهب. انتهى.

الثالث عشر: عُرَنَة بالنون، الموضع الذى يجتنب الحاج الوقوف فيه، وهو بين[3] العَلَمَين اللذين هما حد عرفة، والعلمين اللذين هما حد الحرم من هذه الجهة، وذكر ابن حبيب المالكى أنها من الحرم، وذلك لا يصح على ما ذكر المحب الطبرى فى «القرى» وذكر أنها عند مالك من عرفة، وحكاه ابن المنذر أيضًا عن مالك، وفى صحة ذلك عنه نظر، لأنه توقف فى إجزاء الوقوف بمسجد عرفة مع كونه

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج٢/ ٥٦.
(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «من» وصوابه من الأصل.

مختلفًا فيه، هل هو من عَرفة أو من عُرَنَة؟ أو بعضه من عَرفة بالفاء، وبعضه من عُرَنَة بالنون؟ فكيف تكون عُرَنَة بالنون كلها من عرفة بالفاء عند مالك، ولعل من نسبه إليه أنه يرى أن عُرَنَة بالنون من عَرفة بالفاء، أخذ ذلك مما وقع لمالك من إجزاء الوقوف بهذا المسجد، لأن ابن الجلاّب[1] ذكر أن الوقوف ببطن عُرَنَة مكروه، قال: ومَن وقف به أجزأه وقوفُه، وبطن عُرَنَة هو المسجد الذى يصلى فيه الإمام. انتهى. ولا يلزم من كون مالك يرى إجزاء الوقوف بهذا المسجد أنه يرى عُرَنَة بالنون كلها من عَرفة بالفاء لاحتمال أنه يرى أن هذا المسجد من عَرفة بالفاء، لِما حصل له عنده من ضَعْف الشُبْهة التى توقف لأجلها فى إجزاء الوقوف بهذا المسجد والله أعلم.

وذكر المحب الطبرى أن حد عَرفة الذى ذكره الأزرقى عن ابن عباس رضى الله عنهما يقتضى دخول عُرَنَة فى عَرفة[2].

وقد سبق فى ذكر عُرَنَة ما ذكره الأزرقى فى حد عرفة، واستدلال المحب الطبرى منه على دخول عُرَنَة فى عَرفة، ثم قال تِلْوَ ذلك: ويؤيد ذلك ما استدل به أصحابنا على أنها ليست منها، وهو قوله ﷺ: وارتفعوا عن بطن عُرَنَة، ولا دلالة فيه على ما قالوه، بل دليل على مذهب مالك، فإن أمره بالارتفاع عنها يُشْعِر بذلك، وتؤيده الرواية الأخرى: عَرفة كلها موقف إلا عُرَنَة، والاستثناء دليل على دخول المستثنى فى المستثنى منه، والاستثناء المنفصل على خلاف الأصل.

نعم فيه دليل على اختلاف حكم الوقوف فيه وفى عرفة، وهو عند مالك كذلك، وعلى المذهب فمتى وقف فى شىء من حدود عَرفة صح حجه، وإذا وقف فى غيره لا يصح حجه. انتهى.

وعُرَنَة بضم العين وفتح الراء المهملة، هذا هو المشهور فيها، وقيل أيضًا: بضم العين والراء، وقيل: بضم العين وسكون الراء، ذكره ابن عبد السلام المالكى فى شرحه لابن الحاجب الفرعى.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن الجلاد».

(٢) القرى ـــ ص ٣٨٤.

الرابع عشر: قُزَح، الموضع الذى يُستَحَب فيه للحاج أن يقف عنده غداة يوم النحر، هو مكان بالمزدلفة، وهو المكان الذى يجتمع الناس عنده للدعاء غداة يوم النحر، ويُعرف بالمَشْعَر الحرام، أشار إلى ذلك المحب الطبرى وغيره، قال فى «شرح التنبيه»: وقُزَح بقاف مضمومة ثم زاى مفتوحة ثم حاء مهمَلَة فى وسط[1] مزدلفة وقد بنى عليها بناء من تمكن[2] من الوقوف عليه وقف، وإلا وقف عنده مستقبل القبلة ويكثر من التلبية، ويدعو بما تقدم، ولا ينبغى أن يفعل ما تطابق الناس على فعله من النـــزول بعد الوقوف عليه من درج فى وسطه ضيقة يزدحم الناس فيها، وذلك بدعة، بل يكون نزوله من حيث رُقِيِّه من الدرج الظاهرة.

وذكر الإمام أبو عمرو بن الصلاح: أن قُزَح جبل صغير فى آخر المزدلفة ثم قال: وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذى ذكرناه ببناء مستحدَث فى وسط المزدلفة، ولا يتأدَّى به هذه السنة، قال المحب: والظاهر أن البناء إنما هو على الجبل كما تقدم، والمشاهدة تشهد بصحة ذلك، ولم أر ما ذكره لغيره. انتهى ما ذكره المحب الطبرى بنصه. وذكر فى كتابه «القرى» مثله.

وذكر النووى فى «الإيضاح» أن الأظهر أن للحاج تحصيل السُّنَّة بالوقوف على البناء المستحدَث، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب صفة البناء الذى على قُزح قديمًا وحديثًا وخبر الوقيد فيه، ونشير هنا إلى شىء من ذلك.

أما صفة البناء الذى على قُزَح الآن فإنه بناء مربع يشبه المنارة، وفى أعلاه اثنتان وعشرون شرافة، منها فى الجهة القبلية سبع شرافات، وفى بقية الجهات خمس من كل جهة، وله درج من ظاهره وباطنه، وعدد الذى من ظاهره أربع وعشرون، والذى من باطنه عشرون، وارتفاعه فى السماء ثلاثة عشر ذراعًا، بذراع الحديد المستعمل فى القماش بمصر ومكة، وذلك من الأرض إلى أعلى الشراريف، وارتفاعه من الأرض إلى أعلى السطح بغير الشراريف ينقص عن ذلك ذراعين ونصف تقريبًا، وذرْع تربيعه من كل ناحية اثنا عشر ذراعًا ونصف ذراع،

---

(١) فى المطبوعتين: «فى وسطه» والمثبت رواية الأصل.
(٢) فى طبعة تدمرى: «من يمكنه» والمثبت رواية الأصل.

بالذراع المشار إليه، إلا أن الجهة الشرقية منه تنقص عن بقية الجهات ثلث ذراع، وكان اعتبار ما ذكرناه من ذرعه وصفته فى ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثمانمائة بحضورى، وصفته هذه تخالف صفته التى ذكرها الأزرقى، واقتصرنا عليها لكونها أبلغ فى تعريفه، ولم أعرف متى بُنى هكذا، وبناه فى الجاهلية قُصَى بن كِلاب جد النبى ﷺ، على ما ذكره ابن عبد ربه فى «العقْد الفريد».

وأما خبر الوقيد عليه فإنهم كانوا يوقدون فيه بالشمع فى خلافة الرشيد، فلما مات كانوا يوقدون عليه بمصابيح كبار، ثم صاروا يوقدون عليه بمصابيح صغار، هذا ملخص ما ذكره الأزرقى فى خبر الوقيد عليه، وذكر أنه كان يوقد عليه فى خلافة الرشيد النار والحطب، ولم أعرف هل أراد بذلك فى الجاهلية أو فى الإسلام، والله أعلم.

وسيأتى ذرْع ما بين قُزَح وبين باب بنى شيبة، وما بين قُزَح وبين باب المعلاة عند ذكْر المَشْعَر الحرام، والأصل فى استحباب الوقوف على قُزَح ما رويناه عن على ابن أبى طالب ﷺ أن النبى ﷺ لما أصبح بجَمْعٍ أتى قُزَحَ فوقف عليه وقال: هذا قُزَح وهو الموقف، وجَمْعٌ كلها موقف، أخرجه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح. انتهى.

الخامس عشر: كَدَاء، الموضع الذى يُستَحَب للمُحْرِم دخول مكة منه، وهو الثنية التى بأعلى مكة التى يهبط منها إلى المقبرة المعروفة بالأبطح، ويقال لها الحَجُون الثانى، وما ذكرناه فى تعريف كَدَاء هذا، ذكر الفاكهى ما يوافقه لأنه قال فى تعريفه: لما فى شق معلاة مكة الشامى كَدَاء: الجبل المشرف على المقبرة والوادى، وله يقول حسان بن ثابت يوم الفتح(١):

عدمتا خيلنا إنْ لم تروها   تُثيرُ النَّقْعَ عن كَنَفَىْ كَدَاءِ

---

(١) الفاكهى ٤/ ١٨٠.

وقال الفاكهى بعد أن ذكر شِعْب المقبرة فى هذه الجهة وشيئًا من خبره: ومن ثنية المقبرة دخل رسول الله ﷺ فى حجة الوداع[١].

وقال بعضهم: قيل: إن ثنية المقبرة هو اسمها، يقال لها ثنية المقبرة، ويقال اسمها هذا، وهى ثنية المعلاة انتهى. ويقال اسمها كداء، وهو مُشْعِر بتضعيف هذه المقالة لكونها حُكيتْ بصيغة التمريض لأن النبى ﷺ إذا كان دخل من هذه الثنية [إلى مكة فى حجة الوادع تعين أن تكون هذه الثنية][٢] كَدَاء لأن الأخبار وافرة صحيحة فى أن النبى ﷺ حين حج من المدينة دخل إلى مكة من كَدَاء.

وفى تاريخ الأزرقى ما يوافق ما ذكره الفاكهى من دخول النبى ﷺ فى حجة الوداع من هذه الثنية[٣] وذلك يقتضى أن تكون هذه الثنية كَدَاء للمعنى السابق، والله أعلم.

وفى كلام غير واحد من المتأخرين تسمية هذه الثنية بكَدَاء، منهم سليمان بن خليل، والمحب الطبرى، والنووى، وقال المحب: هى بالفتح والمد تصرف على إرادة الموضع، وبتركه على إرادة البقعة. انتهى. وقد ذكر الأزرقى شيئًا من خبر هذه الثنية، وهى الآن يحاميم الأحداب التى بين دار السرى إلى ثنية المقبرة، وهى التى قبر أمير المؤمنين أبى جعفر بأصلها، قال: يعرفها باليحاميم[٤] وأولها القرن الذى بثنية المدنيين على رأس بيوت ابن أبى حسين النوفلى والذى يليه القرن المشرف على دار منارة الحبشى فيما بين ثنية المدنيين وهى التى كان ابن الزبير مصلوبًا عليها، وكان أول من سهلها معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه، ثم عملها عبد الملك بن مروان، ثم كان آخر من بنى ضفائرها ودرجها وحدودها المهدى[٥]. انتهى.

---

(١) الفاكهى ٤/ ١٧٩.
(٢) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٦.
(٤) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «بالحاميم» وصوابه من الأصل.
(٥) الفاكهى ٤/ ١٧٨، الأزرقى ٢/ ٢٨٦.

وذكر ذلك الفاكهى إلاّ أنه لم يجزم بكون معاوية أول من سهَّل هذه الثنية، وحكاه بصيغة التمريض، وقال أيضًا: ويقال إن ابن الزبير أول من سهَّلها. انتهى.

فيستفاد مما ذكره الأزرقى والفاكهى قولان فى أول من سهَّل هذه الثنية، والله أعلم بالصواب.

وفى سنة إحدى عشرة وثمانمائة سهَّل بعض المجاورين [موضعًا مستصعبًا فى رأسها فالله يثيبه، وسهل أيضًا غيره من المجاورين][1] بمكة، أثابه الله، فى النصف الثانى من سنة سبع عشرة وثمانمائة طريقًا فى هذه الثنية غير الطريق المعتادة، وهذه الطريق تكون على يسار الهابط من هذه الثنية إلى المقبرة والأبطح، وكانت خرْجة ضيقة جدًّا، فتحت ما يليها من الجبل بالمعاول حتى اتسعت، فصارت تسع أربع مقاطر من الجمال محمَّلَة، وكانت قبل ذلك لا تسع إلا واحدًا، وسُهِّلت أرضها بتراب رُدِم فيها حتى استوت، وصار الناس يسلكونها أكثر من الطريق المعتادة، وجعل بينهما حاجزًا من حجارة مرصوصة، وكان فى بعض هذه الطريق قبور فأُخفى أثرها.

السادس عشر: كُدًى، الموضع الذى يُستَحَب الخروج منه لمن كان فى طريقه هو الثنية التى بأسفل مكة التى بُنى عليها بابها المعروف بباب الشبيكة على ما يقتضيه كلام المحب الطبرى فى «شرح التنبيه» لأنه قال فيه: وكُدًى التى يخرج منها الحاج مضمومة مقصورة، وقد بُنى عليها باب مكة الذى يتوجه منه إلى عُمْرة التنعيم. انتهى.

وبابَ مكة الذى أشار إليه المحب هو باب الشبيكة، لأن الناس تتوجه منه إلى عُمْرة التنعيم غالبًا.

وذكر النووى ما يؤيد ما ذكره المحب الطبرى فى ضبْطها ومكانها، لأنه قال فى «الإيضاح» فى الباب الثالث: الرابعة: السُّنَّة أن يدخل مكة من ثنية كَدَاء بفتح الكاف والمد، وهى بأعلى مكة ينحدر منها إلى المقابر، وإذا خرج راجعًا إلى بلده

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

خرج من ثنية كُدًى بالضم والقصر والتنوين، وهى بأسفل مكة بقرب جبل قُعَيْقِعَان وإلى صوب ذى طوى. انتهى.

وذكر القاضى بدر الدين بن جماعة فى منسكه ما يقتضى أن كُدًى هذه هى الثنية التى عندها الموضع المعروف بقبر أبى لهب بطريق العُمْرة، ونص كلام ابن جماعة: وإذا خرج [يخرج][١] من ثنية كُدًى بالضم والقصر من أسفل مكة، وهى الثنية التى يخرج إليها من باب[٢] مكة المعروف بباب الشبيكة، وهى الثنية التى يخرج منها إلى المرجم المعروف بقبر أبى لهب يسلك منه إلى الزاهر المتقدم ذكره وغيره، ومنه يخرج المعتمرون. انتهى.

وكلام ابن جماعة هذا يخالف ما قاله المحب الطبرى فى كدى التى يخرج منها، والمحب الطبرى أقعد بمعرفة ذلك[٣] والله أعلم بالصواب.

ومن هذه الثنية دخل قيس بن سعد بن عبادة يوم فتح مكة على ما ذكر الأزرقى، وذكر ما يقتضى أن حسان بن ثابت عناها بقوله السابق فى كَدَاء بالفتح، وأنشد على غير ما أنشده الفاكهى لأنه قال:

عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْها ... تُثِيرُ النَّقْعَ موعدُها كَدَاء[٤]

انتهى.

وبأسفل مكة ثنية يقال لها: كُدَىٌّ، بالضم وتشديد الياء وتنوينها، يخرج منها إلى جهة اليمن، ذكر ذلك المحب الطبرى قال: وقد بُنِى عليها باب مكة الذى يدخل منه أهل اليمن ويخرجون، هكذا قال فى «شرح التنبيه» وقال فى «القرى»: والثالثة كُدَى، بالضم وتشديد الياء مصغر، موضع بأسفل مكة، والأوليان هما المشهورتان، وهذه يخرج منها إلى جهة اليمن، هكذا ضُبط عن المحققين، ومنهم

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) فى طبعة تدمرى: «يخرج إليها بباب مكة» والمثبت رواية الأصل.

(٣) النص فيه تحريف وسقط فى المطبوعتين، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على رواية الأصل.

(٤) الأزرقى ٢/ ٢٩٧.

أبو العباس أحمد بن عمر[١] العُذْرى، فإنه كان يرويه عن[٢] أهل المعرفة بمواضع مكة من أهلها، حكاه عنه الحُمَيْدى[٣]. انتهى. وما ذكره من أنه بُنى على الثنية التى يقال لها كُدَى بالتصغير باب مكة الذى يدخل منه أهل اليمن ويخرجون، يخالف ما يقوله الناس فيها، لأنهم يذكرون أنها الثنية التى يهبط منها إلى خُم، وخُم: شِعْب مشهور، وليس هو خُم الذى قال النبى ﷺ عند غديره: من كُنْت مولاه فعلِيٌّ مولاه الوارد فى فضل على بن أبى طالب، فإنه موضع عند الجحفة، وبينها وبين باب مكة الذى أشار إليه المحب الطبرى غلوتان، والله أعلم.

وممن ذكر هذا الموضع سليمان بن خليل لأنه قال: وأما كُدَىّ بالتصغير بضم الكاف وفتح الدال، فإنه جبل بأسفل مكة يخرج منها إلى اليمن. انتهى. وما ذكرناه فى ضبط كَدَاء العُليا وكُدَى السفلى التى بُنى عليها باب الشبيكة هو الصواب، وضبط بعضهم العُليا بالضم، وهذه السفلى بالفتح، ونسب النووى قائل ذلك إلى الغلط والتصحيف[٤] وذكر صاحب «المطالع» ما يشهد لمن ضبط العليا بالضم، ولكن المشهور فيها الفتح، والله أعلم.

وذكر الفاكهى ما يقتضى أن بأعلى مكة موضعًا آخر يقال له كَدَاء غير كَدَاء الذى هو ثنية المقبرة، لأنه قال: كَدَاء: الجبل المشرف على الوادى مقابل مقبرة أهل مكة، اليوم تحته بيوت عبد الرحمن بن يزيد وابن خلف مولى العباس بن محمد، وهو ممتد إلى دار الأراكة. انتهى. ذكر هذا فى تعريفه لما فى شق معلاة مكة اليمانى، وذكر ما سبق فى كَدَاء الذى هو ثنية المقبرة فى شق معلاة مكة الشامى، وتغاير الجهتين يقتضى مغايرة المكانين، وذكر فى موضع آخر ما يقتضى أن كَدًا موضعًا بأعلى مكة غير كَدَاء الذى هو ثنية المقبرة، ولم يتعرض لضبط ذلك، فتصير المواضع أربعة: اثنان لا تعلق لهما بالمناسك، واثنان لهما تعلق بالمناسك، وهما كَدَاء الذى هو ثنية المقبرة، وكُدَىّ الذى هو فى طريق المدينة، وإنما

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «أحمد بن أحمر» وصوابه من الأصل.
(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «يرويه على» وصوابه من الأصل.
(٣) القرى ـــ ص ٢٥٤.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج٢ ص١٢٣.

استُحبَّ الخروج منه والدخول إلى مكة من أذاخر، لكون النبى ﷺ فعل ذلك فى حجة الوادع، وأما فى فتح مكة فدخل من ثنية أذاخر بأعلى مكة، على ما ذكره ابن إسحاق فى سيرته، والأزرقي، وذكر موسى بن عقبة ما يقتضى أن النبى ﷺ دخل مكة يوم الفتح من كَدَاء بأعلى مكة، وكذلك الزبير بن العوام ﷺ، والله أعلم بالصواب.

وأما عُمْرته من الجِعْرانة فدخل ﷺ مكة من أسفلها وخرج من أسفلها، كذا فى خبرٍ ذكره الفاكهى بإسناده، وفيه من لم أعرفه، والله أعلم.

السابع عشر: المأزمان اللذان يُستَحب للحاج أن يسلك طريقهما إذا رجع من عرفة، هو الموضع الذى تسميه أهل مكة الآن المضيق بين مُزْدَلِفَة وعَرَفَة، قال صاحب «المطالع» المأزمان مهموز مثنًّى، قال ابن شعبان: هما جَبلا مكة وليسا من المزدلفة. انتهى.

وقال النووى فى «التهذيب»: «والمأزمان جبلان بين عرفات ومزدلفة بينهما طريق، هذا معناهما عند الفقهاء فقولهم: على طريق المأزمين أى الطريق التى بينهما، وأما أهل اللغة فقالوا: المأزم الطريق الضيق بين جبلين»[(١)]. انتهى باختصار.

وذكر المحب الطبرى معنى ذلك قال: وأنكر بعض الناس على الفقهاء ترك همز المأزمين وعَدَّه لحنًا، وهذه عبارة غير محررة، فإن ترك الهمز فى المثال جائز باتفاق أهل العربية، فمن همز فهو الأصل، ومن لم يهمز فعلى التخفيف، فهما فصيحان. انتهى.

وذكر الأزرقى أن ذرع ما بين مأزمى عرفات مائة ذراع واثنى عشر إصبعًا، وذكر ذلك ابن خليل هكذا.

قلت: ومن أول هذين المأزمين مما يلى المزدلفة إلى العَلَمين اللذين هما حد عرفة اثنا عِشر ألف ذراع وثلاثة وتسعون بتقديم التاء وثلاثة أسباع بذراع اليد المتقدم، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار ذلك بالأميال على مقتضى الأقوال

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢/ ١٤٨.

الأربعة فى مقداره، ومن أول هذين المأزمين مما يلى المزدلفة إلى العَلَمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع، بتقديم التاء، واثنان وعشرون ذراعًا، وذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار ذلك بالأميال، ولذلك تركنا ذكره هنا.

الثامن عشر: «مُحَسِّر» الموضع الذى يُستَحَب للحاج الإسراع فيه، هو وادٍ بين مِنًى والمزدلفة على حدهما، وليس منهما، أشار إلى ذلك النووى فى «الإيضاح» والمحب الطبرى فى «القرى» وذكر أن فى حديث الفضل بن عباس ما يدل على أنه من مِنًى والحديث فى الصحيحين.

ونقل صاحب «المطالع» ما يدل على أن بعض «مُحَسِّر» من مِنًى، وبعضه من المزدلفة وصوب ذلك.

وذكر سليمان بن خليل والمحب الطبرى ما يدل على أن «مُحَسِّر» الموضع الذى يقال له وادى النار، وهو مشهور بذلك إلى الآن، ويقال ذلك أيضًا للموضع الذى ينـــزله الآن بنو حسن بمنى، وبينه وبين مُحَسِّر غَلَوات[1]، ولعل ذلك لقُربه من مُحَسِّر، والله أعلم.

ويقال لمحسِّر: المهلل، لأن الناس إذا وصلوا إليه فى حجهم هللوا فيه وأسرعوا السير فى الوادى المتصل به، والمهلل المشار إليه مكان مرتفع عنده بركتان معطلتان بلحف قرن جبل عال، ويتصل بهما آثار حائط، ويكون ذلك كله على يمين الذاهب إلى عرفات ويسار الذاهب إلى مِنًى، ولما عرَّفه ابن صلاح قال: وأول مُحَسر من القرن المشرف من الجبل الذى على يسار الذاهب إلى مِنًى، ثم قال: وأهل مكة يسمونه وادى النار. انتهى.

وكون مُحَسِّر عند الموضع الذى يقال له المهلل، أمر مشهور عند الناس، والله أعلم، ويتأيد ذلك بأن من رأس المهلل إلى منتهى مِنى من جهة مكة، وهو طرف العقبة التى هى حد مِنى تسعة آلاف ذراع ومائة ذراع وتسعة بتقديم التاء وثلاثين

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «فلوات» وهو تحريف قبيح جدا، صوابه من الأصل والغَلْوَة: مقدار رَمْية سهم، وتقدر بثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة، وجمعها غَلَوَات.

ذراعًا وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد، وذلك يقارب ما ذكره الأزرقى فى قدر مِنى، وهو على ما ذكر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع.

وذكر المحب وابن خليل أنه سُمى مُحَسِّرًا لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه أى أعيا، قلت: وفى ذلك نظر، لأن ابن الأثير ذكر فى «نهاية الغريب» أن هذا الفيل لم يدخل الحرم، ذكر ذلك فى مادة حبس، عند قوله: حبسها حابس الفيل.

وذكر الأزرقى أن وادى مُحَسِّر خمسمائة ذراع وخمسة وأربعون ذراعًا. انتهى.

واتفق الأئمة الأربعة على استحباب الإسراع فيه قدر رمية حجر للراكب والماشى، وحكى الرافعى وجهًا ضعيفًا أن الماشى لا يُستَحَب له الإسراع، والأصل فى استحباب الإسراع فى هذا المكان فعل النبى ﷺ لذلك فيه، وجاء فى بعض الأحاديث ما يقتضى خلاف ذلك، لكن الأحاديث فى الإسراع أكثر وأصح، وقُدِّمت على ما خالفها لأنها مُثْبَتَة، واختلف فى تحريكه ﷺ راحلته فى هذا الموضع فقيل: يجوز أنه فعل ذلك لسعة الموضع، وقيل: إنه فعل ذلك لأجل أن مأوى الموضع للشياطين، فاستحب ﷺ الإسراع فيه، ولعله المشار إليه بقول عمر بن الخطاب حين أفاض من عرفة إلى المزدلفة:

إليك تعدو قلقًا وضينها ... مخالفًا دين النصارى دينها

ومُحَسِّر بميم مضمومة ثم حاء مفتوحة ثم سين مشددة مكسورة ثم راء مهملات هكذا ضبطه النووى وغيره.

التاسع عشر: المُحَصَّب الذى يستحب للحاج النزول فيه بعد انصرافه من منًى، وهو مسيل بين مكة ومِنى، وهو أقرب إلى مكة بكثير، وقد صرح الأزرقى بحده من جهة مكة، ووقع فى كلامه ما يوهم حده من جهة مِنى، ونص كلامه: وحد المحصب من الحَجُون مصعدًا فى الشق الأيسر وأنت ذاهب إلى مِنى إلى حائط خرمان، مرتفع على بطن الوادى[1]. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٦٠.

والحَجُون المشار إليه فى هذا الحد هو الجبل المتقدم ذكره، وقد تقدم لنا أنه أحد الجبلين اللذين بينهما الشِّعْب الذى تسميه الناس: شعب العفاريت، بالمعلاة على يمين الذاهب إلى مِنى، ويُعرف أحد الجبلين بجبل ابن عَمر، لأن فيه على[١] ما يقال قبر عبد الله بن عَمر بن الخطاب، وهو الذى على يمين الداخل إلى الشعْب المشار إليه، وإذا تقرر أن الحَجُون بهذا المكان، فيكون ذلك حد المحصب من جهة مكة، كما هو مقتضى كلام الأزرقى المتقدم ذكره.

ووقع للشيخ تقى الدين بن الصلاح فى منسكه، والشيخ محيى الدين النووى فى إيضاحه وغيره، والشيخ محب الدين الطبرى فى «القرى» ما يوهم أن حد المحصب من جهة مكة دون الموضع الذى أشرنا إليه فى تفسير الحَجُون، ونص كلام ابن الصلاح: والمحصب بالأبطح، وهو ما بين الجبل الذى عنده مقبرة أهل مكة إلى الجبل الذى يقابله مصعّدًا فى الشق الأيسر، وأنت ذاهب إلى مِنى مرتفعًا عن بطن الوادى، وليست المقبرة منه، وإنما سُمى المحصب لأن السيل يَجمع فيه الحصباء. انتهى. وكلام النووى والمحب مثل هذا. انتهى.

وللقاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه الكبير فى حد المحصب كلام مثل هذا، ولا تَضَاد بين ما ذكرناه فى كون حد المحصب من جهة مكة الموضع الذى ذكرناه فى تفسير الحَجُون، وبين ما قاله ابن الصلاح، ومن ذكر من العلماء أن المقبرة ليست من المحصب لأن سواد هؤلاء العلماء المشار إليهم أجمعوا على التحديد بالجبل الذى عنده مقبرة أهل مكة، فى تعريفهم المحصب: الجبل الذى على يسار الهابط من ثنية كَدَاء بفتح الكاف والمد، فإن مقبرة أهل مكة عنده أو الجبل الذى على يمين الهابط من الثنية المشار إليها، فإن عنده أيضًا مقبرة لأهل مكة، وأيهما كان المراد، فهو يقابل الموضع الذى ذكرناه فى تفسير الحَجُون، فيكون هذا الموضع حد المحصب من جهة مكة، ويكون ما حاذاه من المقبرة مُستَثْنًى من عرض المحصب لا من طوله، ويتفق كلام هؤلاء الأئمة وكلام الأزرقى فى حد المحصب من جهة مكة، ولو كان حد المحصب طولاً من جهة مكة عند ابن الصلاح، ومن قال بقوله من الأئمة المشار إليهم، دون الموضع الذى أشرنا إليه فى حد المحصب،

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «لأن فيه ما يقال» وتبعه الذهبى فى تحريفه كما هو منهجه، وصوابه من الأصل.

وأن المقبرة غير داخلة فى حده طولاً، لقالوا حده من جهة مكة طرف المقبرة من أعلاها، ولم يحتاجوا إلى التنبيه على أن المقبرة لا تدخل فيه، فإن هذه العبارة وما شابهها تقتضى ذلك، ولكن لما كان المحصب من جهة مكة الموضع الذى أشرنا إليه، ولم يكن فى محاذاته سوى أحد الجبلين اللذين بينهما الثنية المشار إليها، قالوا فى تعريفه: هو ما بين الجبل الذى عند مقبرة أهل مكة، والجبل المقابل له يعنون الحَجُون، واستثنوا المقبرة مما بين الجبلين، لأن موضعهما ليس محصبًا لمزدلفة، فإن المحصب هو ما سهل من الأرض، لأن العلماء فسروا المحصب بأنه الموضع الذى يجتمع فيه حَصَبٌ من السيل، وموضع المقبرة ليس بهذه الصفة، ويدل لصحة هذا التأويل أن المحصب هو الأبطح، والبطحاء على ما قال المحب الطبرى، ولا ريب فى كون الموضع الذى أشرنا إليه من الأبطح والله أعلم.

وأما حد المحصب من جهة مِنى فوقع فى كلام الأزرقى ما يوهم أنه إلى حائط خرمان، وهو الأودان المعروفة بالخرمانية بأعلى المعابدة، ولفظ الأزرقى الذى أوهم كون هذا الموضع حد المحصب قوله فى الحد السابق إلى حائط خرمان، ويحتمل أن لا يكون تعرض لحده، وإن أراد أن الموضع الذى ينـــزل من المحصب يكون على يسار الذاهب إلى مِنى وعلى يسار الذاهب إلى حائط خرمان، وهو أقرب والله أعلم، لأنى وجدت فى كلام منقول عن الشافعى ما يقتضى أن حد المحصب من جهة مِنى جبل العيرة، وهو بقرب السبيل الذى يقال له سبيل الست، وطريق مِنى إلى جهته لا إلى جهة مِنى، ونص الكلام الذى رأيته للشافعى فى ذلك على ما نقل سليمان بن خليل فى منسكه، قال الشافعى: المحصب ما بين الجبلين، جبل العيرة، والجبل الآخر وهو على باب مكة بالأبطح، هكذا نقْل الشيخ أبى حامد فى التعليق. انتهى من منسك ابن خليل. وهو يقتضى أن حد المحصب من جهة جبل المقبرة، وجبل العيرة حد الميل الثانى من الأميال التى ذكرها الأزرقى، فيما بين باب بنى شيبة وموقف الإمام بعرفة، لأنه قال لما ذكر هذه الأميال والميل الثانى فى حد جبل العيرة قال: وفى موضع العيرة الجبل الذى عند الميل على يمين الذاهب إلى مِنى. انتهى.

وقد اعتبرنا من باب بنى شيبة إلى السبيل الذى يقال له سبيل الست، فجاء ميلان كل ميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع، فاستفدنا من هذا أن جبل العيرة عند هذا السبيل، وأنه حد المحصب من جهة منى، والله أعلم.

وأما قول صاحب «المطالع»: المحصب بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، فليس بظاهر، وقد نبه على ذلك النووى والله أعلم، والمحصب هو خَيْف بنى كنانة التى تقاسمت فيه قريش على الكفر.

العشرون: المَرْوَة، الموضع الذى هو منتهى السعْى، هو فى أصل جبل قُعَيْقعَان، على ما قال أبو عبيد الله البكرى، وقال النووى: إنها أنف من جبل قعيقعان[1] وذكر سليمان بن خليل سبب تسمية الصفا والمروة، وكذلك المحب الطبرى، ونص ما ذكره سليمان بن خليل: وقال جعفر بن محمد: نزل آدم على الصفا وحواء على المَرْوَة، فسُمى الصفا باسم آدم المصطفى، وسُميت المَرْوَة باسم المرأة، وهى الصخرة الملساء، وجمع المَرْوَة المَرَوَات، مثل نمرة ونمرات، ونص ما ذكره المحب الطبرى فى شرح [التنبيه: والصفا مقصور، وهو فى الأصل: جمع صفا، وهو الصخرة الملساء، والحجر الأملس، والمروة فى][2] الأصل الحجر الأبيض البراق وقيل: الذى يُقدح منه النار، فسمى الجبلان بذلك لتضمنهما هذا المعنى، والله أعلم، ثم قال: وقد بُنى على الصفا والمروة أبنية حتى سترتهما، بحيث لا يظهر منهما شيء غير يسير فى الصفا قال: والمروة أيضًا فى وجهها عقد كبير مشرف، والظاهر أنه جُعل علمًا لحد المروة، وإلاَّ كان وضعه ذلك عبثًا، وقد تواتر كونه حدًّا بنقل الخلف عن السلف، وتطابق الناسكون عليه، فينبغى للساعى أن يمر تحته ويرقى على البناء المرتفع عن الأرض. انتهى.

قلت: البناء المرتفع الذى أشار إليه المحب كهيئة الدكة، وله درجة [وذكر الأزرقى والبكرى فى درج المروة ما يخالف حالها اليوم، أما الأزرقى فإنه قال فى

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج١ ص ١٨١ «مادة الصفا».

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

الترجمة التى ترجم عليها بقوله:][1] ذكر ذرْع ما بين الركن الأسود إلى الصفا، وذرْع ما بين الصفا والمروة، وعلى المروة خمس عشرة درجة[2]. انتهى. وذكر فى هذه الترجمة درج الصفا، ونص كلامه على الصفا اثنتا عشرة درجة من حجارة. انتهى. وذكر البكرى فى درج المَرْوَة مثل ما ذكره الأزرقى، وذكر ابن جبير أن درج المروة خمس درجات، وذكر النووى أن فيها درجتين، والذى فيها الآن واحدة.

والعقد الذى بالمروة جُدِّد بعد سقوطه فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها، وعمارته هذه من جهة الملك الظاهر برقوق، واسمه مكتوب بسبب هذه العمارة فى أعلى هذا العقد، وفى الصفا أيضًا، وما أظن أن عقد الصفا بُنى، وإنما أظن أنه نُوِّر وأُصلِح، وسبب ترددى فى ذلك أنى رحلت من مكة فى آخر سنة إحدى وثمانمائة رحلتى الثانية إلى الديار المصرية والشامية، ومن تحت هذا العقد إلى أول درجة الدركة التى بالمروة داخل العقد سبعة أذرع، ومن تحت العقد الذى بالمروة إلى الذى يستدبره مستقبل القبلة ثمانية عشر ذراعًا وثلثا ذرع، كل ذلك بذراع اليد، واتساع هذا العقد ستة عشر ذراعًا بذراع الحديد المصرى.

والمروة أفضل من الصفا على ما قال شيخ الإسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، وكذا تلميذه الشهاب القرافى، لكونها تزاد من الصفا أربعًا، والصفا لا يزاد منها إلاّ ثلاثًا، وما كانت العبادة فيه أكثر فهو أفضل.

وذكر القاضى عز الدين بن جماعة أن فى ذلك نظرًا، وقال: لو قيل بتفضيل الصفا لأن الله سبحانه وتعالى عز وجل بدأ به لكان أظهر، ولو قيل بتفضيل المَرْوَة باختصاصها بالنحر والذبْح دون الصفا لكان أظهر مما قالاه، والله أعلم.

الحادى والعشرون: المُزْدَلفة، الموضع الذى يؤمر الحاج بنـــزوله والمبين فيه بعد دفعه من عرفة ليلاً، هو ما بين مأزَمَى عرفة ومُحَسِّر، ومأزما عرفة هو الذى

---

(١) فى النص تحريف وسقط فى المطبوعتين، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على رواية الأصل.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١١٩.

يقال له المضيق، وقد ذكر حد المزدلفة بما ذكرناه جماعة من العلماء، منهم عطاء كما فى تاريخ الأزرقى عنه، والإمام الشافعى فى كتابه «الأم» لأنه قال: المزدلفة حدها من حيث يفيض من مأزمى عرفات إلى أن يأتى قرن مُحَسِّر، هكذا على يمينك وشمالك من تلك المواطن العوالى والظواهر والنجاد والوادى، كل ذلك من المزدلفة. انتهى.

وسُمِّيت مُزْدَلَفَة لازدلاف الناس إليها، أى اقترابهم، وقيل: لمجئ الناس إليها فى زُلَفٍ من الليل، أى ساعات، وقيل غير ذلك، ويقال للمزدلفة جمع سُميت بذلك لاجتماع الناس بها، وقيل: لاجتماع آدم وحواء فيها، وقيل: لجمع الصلاتين فيها، وبها مسجد حول قُزَح، وهو صغير مربع ليس بالطويل الحيطان، طوله إلى جهة القبلة ستة وعشرون ذراعًا إلاّ ثلث ذراع، غير أن الجهة التى عن يسار المصلى تنقص فى الطول عن الجهة اليمنى خمسة أذرع إلاَّ ثلث ذراع، وعرضه اثنان وعشرون ذراعًا، وفى قبلته محراب فيه حجر مكتوب فيه أن الأمير يَلْبُغَا الخاصكى جدد هذا المكان بتاريخ ذى القعدة سنة ستين وسبعمائة.

وقد ذكر الأزرقى صفة مسجد المزدلفة وذرْعه(١) وذكرنا كلامه بنصه فى أصل هذا الكتاب، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرْع هذا المسجد بحضورى، والذراع الذى حررناه [به](٢) هو ذراع الحديد المتقدم ذِكْره، وطول المزدلفة من حدها الذى يلى مِنى، وهو طرف وادى مُحَسِّر إلى حد مزدلفة الذى يلى عرفة، وهو أول المأزمين مما يلى المزدلفة سبعة آلاف ذراع وسبعمائة ذراع وثمانون ذراعًا وأربعة أسباع، ومن جدار باب بنى شيبة إلى حد مزدلفة من جهة مِنى ومكة عشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وسبعة أذرع بتقديم السين وثلاثة أسباع ذراع، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع خمسة أميال وستة أسباع ميل يزيد سبعة أذرع بتقديم السين وثلاثة أسباع ذراع، ومن باب المعلاة إلى حد المزدلفة المشار إليها ثمانية عشر ألف ذراع وثلاثمائة ذراع

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٦ وما بعدها.

(٢) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وثمانون ذراعًا وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع خمسة أميال وربع ميل يزيد خمسمائة أذرع وثلاثة أسباع ذراع، والله أعلم.

الثانى والعشرون: المَشْعَر الحرام الذى يُستَحَب للحاج الوقوف عنده للدعاء والذكر، غداة يوم النحر، هو موضع معروف بالمزدلفة، وهو قُزَح الذى تقدم ذِكْره، وحديث جابر الطويل يدل على أن المَشْعَر الحرام موضع من المزدلفة لا كلها، لأنه قال فيه بعد أن ذكر نزولَ النبى ﷺ بالمزدلفة ومبيته بها وصلاته فيها الصبح: ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر[1] الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا وكبَّر وهلل ووحَّد، ولم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا، ودفع قبل أن تطلع الشمس، وفى حديث على السابق عند ذِكر قُزَح ما يؤيد ذلك، لأن قُزَح هو المَشْعَر الحرام، والله أعلم.

وأما قول ابن عمر: المَشْعَر الحرام المزدلفة كلها، ومثله فى كثير من كتب التفسير، فى تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٩٨) فهو محمول على المجاز، أشار إلى ذلك المحب الطبرى، والأفصح فى المشعر الحرام فتح الميم وكسرها لغة، حكاه الجوهرى وغيره، ولم ترد إلا بالفتح، ومعنى المشعر الحرام أى الذى يَحْرُمُ فيه الصيد وغيره، ويجوز أن يكون معناه [ذا][2] الحُرْمة، والله أعلم.

وأحدث وقت بُنى فيه المَشْعر الحرام فيما عَلِمْتُ سنة تسعٍ وخمسين وسبعمائة أو فى التى بعدها.

ومن جدار باب بنى شيبة إلى جدار المشعر الحرام الذى يلى مكة المكرمة خمسة وعشرون ألف ذراع وسبعمائة ذراع بتقديم السين وثمانية أذرع وأربعة أسباع ذراع بذراع اليد، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع سبعة أميال بتقديم السين وخُمس ميل وسُبع ميل، يزيد ثمانية

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «المسجد» وصوابه من الأصل.

(٢) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

أذرع وأربعة أتساع ذراع، ومن عتبة باب المَعْلاَة إلى المشعر الحرام الذى يلى مكة ثلاثة وعشرون ألف ذراع وستمائة ذراع وواحد وثمانون ذراعًا وأربعة أسباع ذراع، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع ستة أميال وخمسة أسباع ميل ونصف عُشر ميل، يزيد ستة أذرع وأربعة أسباع ذراع، والله أعلم.

الثالث والعشرون: المطاف المذكور فى كتب الفقهاء، وهو ما بين الكعبة ومقام إبراهيم الخليل عليه السلام، وما يقارب ذلك من جميع جوانب الكعبة، وقد أشار إلى تعريفه بما ذكرناه الشيخ أبو محمد الجوينى فيما نقله عنه ابن الصلاح فى منسكه، لأنه قال: قال الشيخ أبو محمد: المطاف المعتاد الذى يُستَنْكر ويُستبعَدَ مجاورته هو ما بين الكعبة والمقام، وفى كل جانب فى العادة إمارات منصوبة لا يكاد الناس يخرجون عنها. انتهى.

قلت: وهذا الموضع مفروش بالحجارة المنحوتة حول الكعبة من جوانبها، وعمل ذلك دفعات، حتى صار على ما هو عليه اليوم، وكان مصيره هكذا فى سنة ستٍّ وستين وسبعمائة، والمعمول منه فى هذه السنة جانب كبير جدًّا، وهاتان العمارتان من جهة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر، وعمَّر الطواف من ملوك مصر الملك المنصور لاجين المنصورى، واسمه مكتوب بسبب ذلك فى رخامة بين الركن اليمانى والحجر الأسود، وعمَّره من الخلفاء المستنصر العباسى فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة، واسمه مكتوب بسبب ذلك فى الحُفْرة التى عند باب الكعبة.

وقد بيَّن الفاكهى أول من فرش الحجارة فى موضع الطواف ومقدار ذلك، وما كان يضع فى موضعه، لأنه قال ذكر فرش الطواف بأى شىء هو، قال بعض المكيين: إن عبد الله بن الزبير لما بنى الكعبة وفرغ من بنائها وخلقها وطلاها بالمسك وفرش أرضها من داخلها، بقيت من الحجارة بقية، ففرش بها حول الطواف كما يدور البيت نحوًا من عشرة أذرع، وذلك الفرش باق إلى اليوم، إذا جاء الحاج فى الموسم، جُعل على تلك الحجارة رمل من رمل الكثيبِ الذى بأسفل

مكة يُدعى كثيب الرمْضَة، وذلك أن الحَجَبَة يشترون له [مدرًا و][١] رملاً كثيرًا فيجعل فى الطواف ويجعل الرمل فوقه ويُرَش بالماء حتى يتلبد، ويؤخذ بقية ذلك الرمل فيُجعَل فى زواية المسجد الذى يلى باب بنى سهم، فإذا خف ذلك الرمل [والمدر][١] أعادوه عليه ورشوا عليه الماء حتى يتلبد فيطوف الناس عليه، فيكون ألين على أقدامهم فى الطواف، فإذا كان الصيف وحمى ذلك الرمل من شدة الحر فيؤمر غلمان زمزم وغلمان الكعبة أن يستقوا من ماء زمزم فى قرب، ثم يحملوها على رقابهم حتى يرش به رمل الطواف فيتلبد ويسكن حره، وكذلك أيضًا يرشون الصف الأول، وخلف المقام كما يدور الصف حول البيت. انتهى.

وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضورى مقدار ما بين منتهى ذلك وبين الكعبة المعظمة من جميع جوانبها، فكان مقدار ما بين الحجر الأسود وطرف البلاط المحاذى له على الاستواء فى الجهة اليمنية خمسة وعشرين ذراعًا إلاَّ ثلث ذراع، وما بين الحجر الأسود وطرف البلاط المحاذى لوسط مقام الحنابلة اثنتين وعشرين ذراعًا وثلث ذرع، وما بين الحجر وجدار زمزم ثلاثون ذراعًا وثلثى ذراع، وما بين الركن الشامى الذى يقال له العراقى وآخر تدوير المطاف المسامت له إلى الجهة الشرقية أربعة وعشرون ذراعًا ونصف، ومن الركن الشامى إلى آخر البلاط المحاذى له فى الجهة الشامية سبعة وثلاثون ذراعًا وربع ذراع، ومن وسط جدار الحجر إلى آخر البلاط الذى أمام مقام الحنفية اثنان وعشرون ذراعًا، وما بين الركن الغربى وآخر البلاط المحاذى له من الجهة الشامية والغربية ثلاثون ذراعًا، وما بين نصف الجهة الغربية من الكعبة وآخر البلاط المقابل لذلك على الاستواء مثل ذلك، وما بين الركن اليمانى وآخر البلاط المقابل له من الجهة الغربية تسعة وعشرون ذراعًا إلاَّ ثلث ذراع، وما بين الركن اليمانى وآخر البلاط المقابل له من جهته اليمنى سبعة وعشرون ذراعًا وثلث ذراع، وكذلك ما بين وسط الجهة اليمانية من الكعبة وآخر البلاط المحاذى له والذراع المحرر به هو الذراع الحديد المتقدم ذكره.

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وينبغى للطائف أن لا يخرج عن هذا المكان فى طوافه لأن فى الجواهر لابن شاس[١] على مذهب الإمام مالك: لا يطوف من وراء زمزم ولا من وراء السقائف، فلو فعل مختارًا أعاد ما دام بمكة، فإذا رجع إلى بلده فهل يُجزيه الهَدْىُ أم يلزمه الرجوع؟ للمتأخرين قولان. انتهى. ونحوه لابن بشير وابن الحاجب فى مختصره، وقد بسطنا هذه المسألة فى أصل هذا الكتاب.

والسقائف أروقة المسجد الحرام.

وأما مقدار الطواف بالكعبة فذكره الأزرقى وسليمان بن خليل، وبينهما فى ذلك اختلاف لأن الأزرقى ذكر أن طواف سبع بالكعبة ثمانمائة ذراع وستة وثلاثون ذراعًا وعشرون إصبعًا. انتهى.

وذكر سليمان بن خليل أن ذرْع موضع الطواف مائة ذراع وسبعة أذرُع. انتهى. وما ذكره ابن خليل فى مقدار موضع الطواف يقتضى أن يكون الطواف بالكعبة سبعمائة ذراع وتسعة بتقديم التاء على السين وأربعين ذراعًا، وذلك ينقص عما ذكره الأزرقى فى مقدار ذلك سبعة وثمانين ذراعًا وعشرين إصبعًا، والله أعلم بالصواب.

وذكر ابن خرداذبه ما يوافق ما ذكره ابن خليل لأنه قال: ودور البيت مائة ذراع وسبعة أذرع[٢]. انتهى.

ولعل ابن خليل قلده فى ذلك، والله أعلم.

الرابع والعشرون: مِنًى الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله والإقامة به حتى تطلع الشمس على ثبير، فى يوم عرفة، وفى يوم النحر، وفيما بعده من أيام التشريق، والمبيت به فى ليالى أيام التشريق، لأن رمى الجمار هو من أعلى العقبة التى فيها الجمرة التى تلى مكة المعروفة بجمرة العَقَبَة، إلى وادى مُحَسِّر، وقد حَد مِنًى بذلك عطاء بن أبى رباح، فيما ذكره عنه الفاكهى[٣] لأنه قال: حدثنا الزبير

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «شاش» وصوابه من الأصل.

(٢) المسالك والممالك ص١٣٣.

(٣) الفاكهى ٤/ ٢٤٦.

ابن أبي بكر قال: حدثني يحيى بن محمد بن ثوبان[1] عن رباح عن الزنجي بن خالد عن ابن جُرَيْج عن عطاء قال: حد مِنى رأس العقبة مما يلى مِنًى إلى المنحر[2]. انتهى.

وقوله إلى المنحر تصحيف صوابه إلى مُحَسِّر، لأنه حد مِنى من جهة المزدلفة على ما قال غير واحد من العلماء، ولم يقل أحد إن المنحر حد مِنى، وما ذاك إلا لبُعْده جدًّا[3] عن مُحَسر وقرْبه إلى حد مِنى من جهة مكة.

وفى تاريخ الأزرقى عن عطاء ما يوافق ما ذكرنا أنه الصواب، والله أعلم، وما ذكرناه عن عطاء يعلم أن أعلى العقبة من مِنى.

وذكر الإمام الشافعى [ما يقتضى][4] أن العَقَبَة ليست من مِنى، لأنه قال: وحد مِنى، ما بين قرى وادى مُحَسر إلى العقبة التى عندها الجمرة الدنيا إلى مكة، وهى جمرة العقبة التى بايع رسول الله ﷺ الأنصار عندها، وليست مُحَسرًا ولا العقبة من مِنى، وسواء سهل ذلك وجبلها وعامرها وخرابها، فأما الجبال المحيطة بجانبها مما أقبل منها على مِنى فهو منها، وما أدبر من الجبال فليس منها. انتهى. هكذا نقل عنه سلميان بن خليل فى منسكه.

وقال المحب بعد أن ذكر فى حد مِنى، معنى هذا: والعقبة التى ينسب إليها الجمرة منه.

قلت: كلام المحب الطبرى فى «القرى» صريح فى أن جمرة العقبة من مِنى، ونقل عنه ابن جماعة فى منسكه على ما أخبرنى عنه خالى أنه قال: إن العقبة من مِنى، ولم ينقل عن أحد أن الجمرة ليست من مِنى. انتهى. وهذا يخالف ما يقتضيه كلام الشافعى والنووى من أن العقبة ليست من مِنى، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يحيى بن محمد ثوبان» وصوابه من الأصل والفاكهى.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «النحر» وصوابه من الأصل ومثله لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «حدا» بالحاء المهملة وصوابه من الأصل.

(٤) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وقد ذكر الإمام الأزرقى ذرْع مِنى؛ لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: وذرْع منى من جمرة العقبة إلى وادى مُحَسّر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع، وعرض مِنى من مؤخر المسجد الذى يلى الجبل إلى الجبل بحذائه ألف ذراع وثلاثمائة ذراع، وذرْع عرض طريق شعْب على وهو على حيال جمرة العقبة ستة وعشرون ذراعًا، وعرض الطريق الأَعظم حيال الجمرة الأولى، وهى الطريق الوسطى ثمانية وثلاثون ذراعًا[١] ثم قال: وذرْع الطريق طريق العقبى على الجدار إلى الجدار الذى بحذائه سبعة وستون ذراعًا، وعرض الطريق الأعظم من العقبة المدرجة ستة وثلاثون ذراعًا[٢].

وذكر الفاكهى فى ذرْع طول مِنى وعرضها معنى ما ذكره الأزرقى.

وذكر الأزرقى أن الطريق الوسطى طريق النبى ﷺ التى سلكها النبى ﷺ يوم النحر من قُزَح إلى جمرة العقبة ولم تزل أئمة الحج تسلكها حتى تُركت من سنة المائتين[٣]. انتهى باختصار.

واختلف فى سبب تسمية مِنى، فقيل: لما بها من الدماء المشروعة فى الحج بمَنى، أى يُراق ويُصَب، وهذا هو المشهور الذى قاله جمهور العلماء من أهل اللغة وغيرهم على ما قال النووى[٤] وقيل: لتمنى آدم فيها الجنة؛ وهذان القولان فى تاريخ الأزرقى[٥]، وقيل لمن الله على الخليل بفداء ابنه فيها، وقيل لمن الله فيها بالمغفرة على عباده؛ وهذان القولان فى «منسك ابن خليل» وقيل لاجتماع الناس بها، والعرب تقول لكل مكان يجتمع فيه الناس مِنى؛ ذكره الفاكهى بهذا اللفظ، وقيل غير ذلك من الأقوال التى ذكرناها فى أصل هذا الكتاب.

واختلف فى صرف مِنى، واقتصر ابن قتيبة فى «أدب الكاتب» على أنها لا تُصرف[٦]، واقتصر الجوهرى فى «الصحاح» على أن مِنى مذكّر مصروف،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٦.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٥.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٦، وأخبار مكة للفاكهى ٤/ ٣٠٧.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢/ ١٥٧.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٠.
(٦) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢/ ١٥٧.

والأجود فيه الصرف على ما ذكر النووى، وقال إنها بكسر الميم، وقد بسطنا هذه المسألة [أيضًا][(١)] فى أصل هذا الكتاب.

ومِنى عَلَم لمكان آخر غير هذه، كما ذكر أبو الفرج الأصبهانى صاحب «الأغانى» لأنه أنشد أبياتًا للبيد بن ربيعة أولها:

عَفِت الديار محلُّها فَمُقَامها بمَنَى تأبَّدَ غَوْلُها فرجامها[(٢)]

ثم قال: عفت: درست، ومِنى: موضع فى بلاد بنى عامر ليست بمكة.

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٢) الأغانى ١٥/ ٣٧٨.

ذكر حكم البناء بمنى

أخبرنى إبراهيم بن محمد الدمشقى سماعًا بالمسجد الحرام أن أحمد بن أبى طالب أخبره قال: أخبرنا ابن اللتى قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرنا الداودى قال: أخبرنا ابن حمويه قال: أخبرنا عيسى بن عمر قال: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال: أخبرنا إسحاق قال: أخبرنا وكيع قال: حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر بن يوسف بن ماهاك عن أمه مسيكة، وأثنى عليها خيرًا، عن عائشة رضى الله عنها؛ قالت: قلت يا رسول الله ألا نبنى لك بيتًا يظلك؟ فقال رسول الله ﷺ: لا، إنما هو مناخ من سبق، أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده بهذا الإسناد، ولفظه: ﷺ: قال: قلت: يا رسول الله ألا نبنى لك بمنى بيتًا أو بناء يظلك؟ فقال رسول الله ﷺ: لا، إنما هو مُنَاخ من سبق، أخرجه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذى، قال أبو اليُمْن بن عساكر بعد إخراجه لهذا الحديث: ومفهوم هذا الخطاب يدل على أنه لا يجوز إحياء شيء من مواتها، ولا تملك جهة من جهاتها فلا ينبغى لأحد أن يختص بمكان من أماكنها دون غيره، فيحظر عليه حظارًا أو يتخذه دارًا [بل الناس فى النـــزول بها شرح واحد][1] وأهل مكة وسواهم فى ذلك سواء قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (سورة الحج: آية ٢٥) الضمير فى قوله فيه مختلف بين أهل العلم، فمن قال: أراد به جميع الحرم وهو الأكثر، منع[2] من جواز إحياء مواتها وتملكها، ومن ملك منها شيئا قبل ذلك كان هو وسواه، فى منافعه سواء، فلا يجوز له بيعه ولا كراؤه؛ ثم قال: ومن تأول الآية على المسجد أجاز بيع دُورها وكراءها، وبه قال أبو يوسف والشافعى، وكره مالك على جميعهم البيع والكراء، وفى جواز إحياء موات عرفة ومزدلفة اختلاف بين أهل العلم، وما ذكرناه فى منى أولى بالمنع، لقوله ﷺ: «إنما

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، وذكر فى طبعة الذهبى ولكن تحرفت فيه كلمة «بها شرح» إلى «بها شرع» بالعين المهملة.

(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «منه».

هو مُنَاخ لمن سبق» وإنما فى كلام العرب لإثبات المذكور ولنفى ما سواه، والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى باختصار من كلامه عن بعض ما استدل به على عدم الاختصاص فى ذلك.

وقال المحب الطبرى فى «القرى» لما تكلم على هذا الحديث، وقد احتج بهذا من لا يرى دور مكة مملوكة لأهلها، ثم قال: قلت: فيحتمل أن يكون ذلك مخصوصًا بمنى لمكان اشتراك الناس فى النُّسُك المتعلق بها، فلم ير رسول الله ﷺ لأحد اقتطاع موضع فيها لبناء ولا غيره، بل الناس فيها سواء وللسابق حق السبق، وكذلك الحكم فى عرفة ومزدلفة إلحاقًا بها. انتهى.

وجزم النووى فى «المنهاج» من زوائده بأن مِنى ومزدلفة لا يجوز إحياء مواتها كعرفة، والله أعلم. انتهى.

ونقل عن الشافعى أنه بنى بمنى مضربًا ينـــزل فيه أصحابه إذا حَجوا، روى ذلك عنه أبو ثور، وهو أحد رواة القديم، وتمسك به بعضهم على جواز البناء بمنى.

وفى العمل به على تقدير صحته عن الشافعى نظر لأمرين:

أحدهما: أن الشافعى قال: إذا صح الحديث فهو مذهبى، والحديث الوارد فى النهى عن البناء بمنى تقوم به الحجة، لأن الترمذى حسنه وأبا داود سكت عنه، فهو فى معنى الصحيح لقيام الحجة به على ما هو مقرر فى علم الحديث، فالشافعى حينئذ يقول به ويصير ذلك مذهبه وصاية[1]، ومثل هذا لا يُنْكَر، لأنه وقع للنووى مثله فى غير مسألة، ولعل هذا فيما ذكره من عدم جواز إحياء موات مِنى ومزدلفة، مع قياسهما على عرفة لمشاركتهما لعرفة فى علة الحكم، والله أعلم.

والأمر الثانى: أنه لا ريب فى أن الشافعى على تقدير ثبوت بنائه بمنى لم يكن يحجر بناءه بمنى أحد، ولا يأخذ على النـــزول فيه أجرًا، وأن بناءه بمنى لأجل الارتفاق به من جهة الظل وصيانة الأمتعة وشبه ذلك فلا يقاس عليه من لم يقصد ببنيانه إلا الاختصاص بنـــزوله وأخذ الأجرة على نزوله، كما هو الغالب من

(١) فى المطبوعتين: «مذهبه وصححه» والمثبت رواية الأصل.

أحوال أهل العصر، وإلحاق من هو بهذه الصفة لمن حسنت نيته عند الشافعى لا يحسن، والله أعلم.

وسمعت قاضى الحرم جمال الدين أبا حامد بن ظهيرة أبقاه الله يقول: إن جدى لأمى قاضى مكة أبا الفضل النويرى كان ينكر على البناء بمنى ويشدد فيه، وينهى أشد النهى. انتهى بالمعنى.

وأما ما أفتى به الشيخ نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفونى الشافعى مؤلف «مختصر الروضة» من أن مِنى كغيرها فى جواز بيع دُورها وإجارتها فإن ذلك غير سديد نقلاً ونظرًا، وأما النقل فلمخالفته مقتضى الحديث وكلام النووى وابن عساكر والمحب الطبرى وغيرهم، وأما النظر فلأن أعظم ما يمكن أن يتمسك به فى ذلك كون موات الحرم يجوز إحياؤه، ومِنى من الحرم، فيملك ما أحيا فيها ويجرى فيه أحكام الملك، وهذا لا يستقيم لأن فى مِنى أمرًا زائدًا يقتضى عدم إلحاقها بموات الحرم، وهو كونها متعبَّدًا ونُسُكًا لعامة المسلمين، فصارت كالمساجد وغيرها من المسبلات، وما هذا شأنه لا اختصاص فيه لأحد إلاَّ بالسبق فى النزول لا بالبناء، إذ هو ممتنع فيه، فالبناء بمنى ممتنع حينئذ، ولا يملك، ولا يكون كغيره مما يصح تملكه، ويجرى حكم البناء بمنى على حكم البناء بعرفة لمساواتها لعَرَفَة فى السبب الذى لأجله امتنع البناء بعرفة على الأصح، فمنى كذلك، والله أعلم.

ما جاء فى فضل مِنى وما ذُكر فيها من الآيات

أما فضل مِنى فمشهور، ولم نذكره إلا للتبرك به، وقد تقدم منه ما ذكرناه عند ذكر مسجد الخَيْف، ومنه ما رويناه فى «صحيح ابن حبان» وغيره من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت بين الأخشبين من مِنى ونفخ بيده نحو المشرق ـــ فإن هناك واديًا يقال له: وادى السُّرَر، به سَرْحة سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا. انتهى باختصار.

قال المحب الطبرى بعد أن أخرج هذا الحديث: شرح قوله: سُرَّ تحتها: أى قطعت سُرَرُهم، والسُّرَرُ ما تقطعه القابلة من المولود، والباقى بعد القطع يقال له

السُّرَّة، والمقطوع السُّرر والسُّرُّ أيضًا بالضم، والمراد أهم وُلِدُوا تحت تلك السَّرحة، والموضع التى هى فيه يسمى وادى السُّرَر، بضم السين، وقيل بفتحها، وقيل بكسرها، والراء مفتوحة فى الأحوال الثلاثة[١]. انتهى.

ولم يبين المحب موضع هذا الوادى وما عرفته أنا أيضًا، وأخشبا مِنى الجبلان اللذان هما بينهما، وهما ثبير الذى على يسار الذاهب إلى عرفة وما يليها، والصفائح وهو الذى بلحفه مسجد الخَيْف.

وأما الآيات التى بمنى فخمس آيات: منها: رفع ما يقبل من حصى الجمار بمنى، ولولا ذلك لسد ما بين الجبلين، وقد روينا فى رفع المتقبل من ذلك أخبارًا، منها ما رويناه بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: حدثنى جدى قال: حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن أبى الطفيل قال: قلت له يا أبا الطفيل هذه الجمار تُرْمَى فى الجاهلية والإسلام، كيف لا يكون هضابًا يسد الطريق، قال: سألت عنها ابن عباس فقال: إن الله عز وجل وكّل بها ملكًا، فما تقبل منه رَفَعَ، وما لم يتقبل منه ترك[٢]، ورويناه فى تاريخ الأزرقى فى رفع ما تقبل من حصى الجمار عن ابن عمر وأبى سعيد الخُدَرِى.

وقال المحب الطبرى فى «شرح التنبيه»: وقد أخبرنى شيخنا أبو النعمان بشير ابن أبى بكر حامد التبريزى، شيخ الحرم الشريف ومفتيه، أنه شاهد ارتفاع الحجر عيانًا، واستدل المحب على صحة ذلك، وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب، وذكر هذه الآية شيخنا القاضى مجد الدين قال: وقد خمنت مرة فاقتضى قياس العقل والحساب وعدد السنين والأعوام التى حُجَّ فيها البيت ورُميت الجمار أن يكون المتراكم عند كل جمرة من الحصى ما يوازى مساحة خمسين ذراعًا فى مثلها فى وجه الأرض، ويرتفع فى العلو ارتفاع جبل ثبير، ولكن لله عز وجل فيها سرٌّ كريم من أسراره الخفيات، لا إله سواه. انتهى.

---

(١) القرى، ص٥٤٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٧٦، ١٧٧.

ومن الآيات التى بمنى اتساعها للحجاج فى أيام الحج مع ضيقها فى الأعين عن ذلك، روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: حدثنى محمد بن يحيى قال: أخبرنا سليم بن مسلم عن عبد الله بن أبى الزناد عن أبى الطفيل قال: سمعت ابن عباس يُسأل عن مِنى، ويقال له: عجبًا لضيقه فى غير الحج، فقال ابن عباس: إن مِنى يتسع بأهله كما يتسع الرحم للولد[1].

ومنها: كون الحدأة لا تخطف اللحم بمنى أيام التشريق، **ومنها**: أن الذباب لا يقع فى الطعام، وإن كان لا ينفك عنه فى الغالب، كالعسل وشبهه، ذكر هاتين الآيتين المحب الطبرى مع آية الجمار، ونص كلامه: الثانية: أن الحدأة مع تولُّعها بخطف اللحم حيث رأته حتى لو رأت بيد إنسان خرقة حمراء انقضت عليه حتى تخطفها منه، وفى مِنى اللحم مشرق على الجدارات والأسطحة والجبال، والحَدَأة تحوم حوله ولا تستطيع أن ترزأ أصحابه منه شيئًا، الثالثة: أن الطعام الحلو المقتضى لاجتماع الذباب فى الأمكنة الخالية يكثر بمنى فى أيام مِنى، ولا يقع الذباب على شىء منه، فضلاً عن غيره من الأطعمة، ولو أكل فى غير هذه الأيام بمنى أو غيرها ما يهنأ الإنسان لكثرة اجتماع الذباب عليه، هذا مما شاهدناه مكرَّرًا فى أعوام. انتهى.

ومن الآيات التى بمنى فى أيام الحج قله البعوض بها على ما ذكر أبو سعيد الملا فى «شرف النبوة» فيما حكى عنه شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى فى كتابه: «الوصل والمنى فى فضل مِنى» لأنه قال: وقال أبو سعيد فى «الوفا بشرف المصطفى» ﷺ: كنت ليلاً بمنى فى غير أيام الموسم وكنت ساهرًا أكثر الليل أتأذى من البعوض، فلما كان من الغد سألت بعض أهل الحرم عن البعوض فقال: جميع السنة يكون كثيرًا إلاَّ أيام مِنى فإنه يقل فيها. انتهى بنصه.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٧٩.

ذكر مقدار ما بين مِنى ومكة

ذكر الرافعى أن بين مكة ومِنى ستة أميال، وتعقب ذلك النووى قال: إن بينهما ثلاثة أميال، وجزم بذلك فى غير موضع من كتبه[1]، وذكر المحب الطبرى فى «القرى» أن مِنى من مكة على أربعة أميال، ذكر ذلك فى الترجمة التى ذكر فيها اتساع مِنى وأسماءها، وقد حررنا ذلك بالأذرع والأميال على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل، فأما مقدار ما بين باب بنى شيبة ومِنى بالأذرع فإنه ثلاثة عشر ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانية وستون ذراعًا، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع: ثلاثة أميال وأربعة أخماس ميل وخُمس عُشر ميل ينقص ذراعين.

وأما مقدار ما بين باب المعلاة وحد مِنى من جهة مكة؛ فهو أحد عشر ألف ذراع ومائتا ذراع، وأحد وأربعون ذراعًا وسُبع ذراع، يكون ذلك أميالاً على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع، وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال خُمس ميل وخُمسى خُمس عُشْر ميل، يزيد ذراعًا وسُبع ذراع، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار ما بين باب بنى شيبة ومِنى وما بين باب المعلاة ومِنى بالأميال على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل.

الخامس والعشرون: الميلان الأخضران اللذان يهرول الساعى بينهما فى سعيه بين الصفا والمروة: هما العلمان اللذان أحدهما بركن المسجد الذى فيه المنارة التى يقال لها منارة باب على، والآخر فى جدار المسجد الذى يقال له باب العباس، والعلمان المقابلان لهذين العلمين أحدهما فى دار عباد بن جعفر، ويُعرف اليوم بسَلَمَة بنت عقيل، والآخر فى دار العباس، ويقال لها اليوم رباط العباس، ويسرع الساعى إذا توجه من الصفا إلى المروة إذا صار بينه وبين العلم الأخضر الذى بالمنارة المشار إليها، والمحاذى له نحو ستة أذرع، على ما ذكر صاحب «التنبيه» وغيره، قال المحب الطبرى فى شرحه للتنبيه: وذلك لأنه أول محل الأنصاب فى بطن

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ق٢ ج٢ ص ١٥٧.

الوادى، وكان ذلك الميل موضوعًا على بناء، ثم على الأرض فى الموضع الذى شرع منه ابتداء السعى، وكان السيل يهدمه ويحطمه، فرفعوه إلى أعلى ركن المسجد، ولم يجدوا على السَّنَنِ[1] أقرب من ذلك الركن، فوقع متأخرًا عن محل ابتداء السعى بستة أذرع. انتهى.

وذكر سليمان بن خليل نحو ذلك بالمعنى، وسبقهما إلى نحو ذلك إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى، ولم يذكر الأزرقى سبب هذا التغيير مع كونه ذكر أن بالمنارة المُشار إليها عَلَم السَّعْى، وهذا يقتضى أن يكون التغيير المشار إليه وقع فى عصره أو قبله، ويبعد أن يكون لتغيير ذلك سبب، ولا يذكره الأزرقى كما يبعد خفاء سبب ذلك عليه، ولأنه كثير العناية بهذا الشأن، والله أعلم.

ومقتضى ما ذكره من إسراع الآتى من الصفا إلى المروة قبل هذا العلم بنحو ستة أذرع، أن الساعى إذا قصد الصفا من المروة لا يزال يهرول حتى يجاوز هذين العلمين بنحو ستة أذرع، لأجل العلة التى شرع لأجلها الإسراع فى التوجُّه إلى المروة، والله أعلم.

وذكر الأزرقى صفة هذه الأعلام، وأن ذرع ما بين العلم الذى على باب المسجد إلى العلم الذى بحذائه على باب دار العباس وبينهما عرض السعى خمسة وثلاثون ذراعًا ونصف، وقال: من العلم الذى على باب دار العباس بن عبد المطلب إلى العلم الذى عند دار ابن عباد الذى بحذاء العلم الذى فى حد المنارة وبينهما الوادى مائة ذراع وأحد وعشرون ذراعًا[2].

يعنى طول ما بين هذين العلمين لا عرض ما بينهما، وقد حررنا مقدار ما بين هذه الأعلام طولاً وعرضًا، وذلك أن من العلم الذى فى حد باب المسجد الحرام المعروف بباب العباس عند المدرسة الأفضلية إلى العلم الذى يقابله فى الدار المعروفة بدار العباس ثمانية وعشرون ذراعًا إلاَّ رُبع ذراع بذراع الحديد، يكون ذلك بذراع

---

(١) هذه رواية الأصل ومثلها لدى تدمرى، ورواية الذهبى: «السنين» وخطّأ التدمرى فى روايته والسنن: الطريق والمثال، ولا أرى ما ذهب إليه الذهبى صوابا.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١١٩.

اليد إحدى وثلاثين ذراعًا وخمسة أسباع ذراع، وذلك ينقص عما ذكره الأزرقى فى مقدار هذين العلمين.

ومن العَلَم الذى بالمنارة المعروفة بمنارة باب على إلى الميل المقابل له فى الدار المعروفة بدار سلمة أربعة وثلاثون ذراعًا ونصف ذراع وقيراطان، بذراع الحديد، يكون ذلك بذراع اليد سبعة، بتقديم السين، وثلاثين ذراعًا ونصف ذراع وسُدس سُبع ذراع، ومن العلم الذى بباب المسجد المعروف بباب العباس إلى العلم الذى بمنارة باب على مائة ذراع وثلاثة أذرع وربع ذراع بذراع الحديد، يكون ذلك باليد مائة وثمانية عشر ذراعًا، ومن الميل الذى بدار العباس إلى الميل الذى بالدار المعروفة الآن بدار سلمة ستة وتسعون ذراعًا، بتقديم التاء، وثُلث ذراع بالحديد، يكون ذلك باليد مائة ذراع وعشرة أذرع وثلثى سبع ذراع.

وذكر الأزرقى أن من العلم الذى على باب المسجد إلى المروة خمسمائة ذراع ونصف ذراع[1].

وقد حررنا مقدار ما بين العلم المشار إليه والأزج الذى بالمروة، فكان ذلك أربعمائة ذراع واثنين وتسعين ذراعًا، بتقديم التاء، وثلث ذراع بذراع اليد، وحررنا ما بين العلم الذى بالمنارة ووسط عقد الصفا، فكان من سمت الميل الذى بالمنارة إلى عقود الصفا مائة ذراع وستين ذراعًا بذراع اليد.

وذكر الأزرقى ما يقتضى أن موضع السعى فيما بين الميل الذى بالمنارة والميل المقابل له لم يكن مسعى إلا فى خلافة المهدى العباسى بتغيير موضع السعى قبله فى هذه الجهة، وإدخاله فى المسجد الحرام فى توسعة المهدى له ثانيًا، لأنه قال: حدثنى جدى قال: لما بنى المهدى المسجد الحرام، وزاد فيه الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذى يلى دار الندوة والشامى، وضاق شقه اليمانى الذى يلى الوادى والصفا، فكانت الكعبة فى شق المسجد، وذلك أن الوادى كان داخلا لاصقًا بالمسجد فى بطن المسجد اليوم، قال: وكانت الدُّور وبيوت الناس من ورائه فى موضع الوادى اليوم، إنَّما كان موضعه دُور الناس وإنَّما كان ذلك من المسجد

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١١٩.

إلى الصفا فى بطن الوادى، ثم يسلك فى زقاق ضيق، حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيما بين الوادى والصفا، وكان السعى فى موضع المسجد الحرام اليوم، وكان باب دار محمد بن عباد بن جعفر عند جدار ركن المسجد الحرام اليوم، عند موضع المنارة الشارعة فى بحر الوادى، فيها علم المسعى، وكان الوادى يمر دونها فى موضع المسجد الحرام اليوم، ثم قال الأزرقى بعد أن ذكر شيئًا يتعلق بالزيادة فى هذا الجانب: فابتدأوا عمل ذلك فى سنة سبع وستين ومائة، واشتروا الدُّور وهدموها، فهدموا أكثر دار ابن عباد بن جعفر العائذى، وجعلوا المسعى والوادى فيها[(١)]. انتهى.

والظاهر، والله أعلم، أن إجراء المسعى بموضع السعى اليوم، وإن كان تغير بعضه عن موضع المسعى قبله لتوالى الناس من العلماء وغيرهم على السعى بموضع المسعى اليوم، ولا خفاء فى تواليهم على ذلك، كما لا خفاء فى شهرة كتاب الأزرقى شرقًا وغربًا، وإحاطة العلماء المتأخرين بما فيه، سيما علماء الحرم، ولو سلم أن من تأخر عن الأزرقى لم يعلموا بما فى كتابه، فهو معروف عند علماء الحرم وغيرهم ممن وقع ذلك التغيير فى زمنهم لمشاهدتهم له، وما حُفظ عن أحد منهم إنكار لذلك، ولا أنه سعى فى غير المسعى اليوم، وحال من بعض هؤلاء العلماء كحالهم، إلاَّ فى عدم مشاهدتهم لتغيير ذلك، فيكون إجزاء السعى بمحل المسعى اليوم، مجمعًا عليه عند من وقع التغيير فى زمنهم وعند من بعدهم، والله أعلم.

السادس والعشرون: نَمِرة، الموضع الذى يؤمَر الحاج بنــزوله إذا توجَّه من منى فى يوم عرفة، وهو بطن عُرَنَة، بالنون، على ما ذكره ابن خليل فى منسكه، وقال المحب الطبرى فى «القرى»: ونَمِرة، بفتح النون وكسر الميم وبراء مهملة، موضع بعرفة، وهو الجبل الذى عليه أنصاب الحرم على يمين الخارج من المأزمين، أى الموقف، وقد كانت عائشة تنــزل بها، ثم تحولت إلى الأراك، قاله ابن المنذر[(٢)].

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٧٨ - ٨٠.
(٢) القرى، ص١٤٧.

وقال فى «شرح التنبيه»: ونَمِرة، بفتح النون وكسر الميم، موضع عند الجبل الذى عليه أنصاب الحرم على يمينك إذا خرجت من مأزمى عرفة تريد الوقوف، وتحت جبل نَمِرَة غار أربعة أذرع أو خمسة، ذكروا أن النبى ﷺ كان ينـــزله يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف، ومن الغار إلى مسجد عرفة ألفا ذراع وأحد عشر ذراعًا.

وقال البغوى وغيره: وهى موضع قريب من عرفة.

وقال ابن الصباغ: هى من عرفة، والمشهور أنها ليست منها، وعليه الأكثر. انتهى.

وقال النووى: ونمِرة موضع معروف بقرب عرفات، خارج الحرم بين طرف الحرم وطرف عرفات، وقال: وهو بفتح النون وكسر الميم[1] ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها، فتبقى ثلاثة أوجه فى نظائرها. انتهى.

وقيل: إن نَمِرَة هذه من الحرم، رُوى عن سفيان بن عُيَيْنة، حكاه عنه الماوردى فى حاويه، على ما ذكر المحب الطبرى فى «القرى» لأنه قال: وذكر الماوردى فى كتابه «الحاوى» عن سفيان بن عُيَيْنَة، أن قريشًا كانوا لا يخرجون من الحرم فى يوم عرفة، ويقفون بنَمِرَة دون عرفة فى الحرم. انتهى باختصار. ذكر ذلك المحب الطبرى فى كتابه «القرى» فى الباب العاشر، وقال بعد أن حكى عن سفيان ابن عُيَيْنَة ما ذكرناه، ثم قوله: إن نَمِرَة من الحرم فيه نظر، وكلام الجمهور يدل أنها ليست منه[2]. انتهى.

وذكر الأزرقى ما يوافق ما ذكره سفيان فى نَمِرَة، لأنه روى عن ابن عباس خبرًا فيه ذكر الخمس وشىء من خبرهم، وفيه: يقصرون عن مناسك الحج، والموقف من عرفة، وهو من الحل، فلم يكونوا يقفون به ولا يفيضون منه، وجعلوا موقفهم فى طرف الحرم من نَمِرَة بمفضى المأزمين، يقفون به عشية عرفة، ويظلون به يوم عرفة فى الأراك من نَمِرَة[3]. انتهى.

ونَمِرَة أيضًا: موضع آخر بقديد، ذكره المحب الطبرى فى «القرى» والله أعلم.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢/ ١٧٧.
(٢) القرى ــ ص١٤٨.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٨٠.

الباب الثالث والعشرون

فيما بمكة من المدارس، والربط، والسقايات، والبرك المسبلة، والآثار، والعيون، والمطاهر، وغير ذلك من المآثر وما فى حَرَمِها من ذلك

ذكر المدارس بمكة المشرّفة

المدارس الموقوفة بمكة إحدى عشرة مدرسة فيما علمت: منها ـــ بالجانب الشرقى من المسجد الحرام مدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن، على فقهاء الشافعية، وُقفت قُبَيل سنة سبعين وسبعمائة، بتقديم السين فيهما، وفى هذه السنة ابتدأ التدريس بها.

ومنها: بالجانب الشامى منه مدرسة بدار العجلة، وهى التى على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة، ولم أدْرِ من وقفها ولا متى وُقفَتْ؟ ثم عمل فيها الأمير أَرْغُون النائب درسًا للحنفية قُبَيْل العشرين وسبعمائة أو بعدها بيسير، فى أوائل عُشْر الثلاثين وسبعمائة.

ومنها: بالجانب الغربى منه ثلاث مدارس، وهى مدرسة الأمير فخر الدين [عثمان بن على الزنجيلى نائب عدن على باب العمرة، وتعرف الآن بدار السلسلة، وقفها على الحنفية سنة تسع وسبعين وخمسمائة ومدرسة طاب الزمان الحبشية عتيقة المستضئ العباسى، وهو الموضع المعروف بدار زبيدة، وقفتها فى شعبان سنة ثمانين وخمسمائة على عشرة من الفقهاء الشافعية.

ومدرسة الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن بين هاتين المدرستين وعمارتها فى سنة إحدى وأربعين وستمائة على يد الأمير فخر الدين][1] الشلاح أمير مكة، من قِبَل واقفها: ولأبيه الملك المظفر عليها وقف جيد، وربما نُسبت إليه، وهى على الفقهاء الشافعية والمحدثين.

ومنها: بالجانب الجنوبى منه مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن، على الفقهاء الشافعية، وتاريخ وقفها فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

ومنها: بالجانب اليمانى أيضًا مدرسة الملك الممدوح بجميع الصفات مغيث أهل الحرمين الشريفين بجزيل الصلات، مولانا السلطان الملك المنصور غياث الدين أبى المظفر أعظم شاه بن السلطان السعيد الشهيد إسكندر شاه ابن السلطان شمس

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

الدين المغفور صاحب بنجالة بلغه الله آماله، وهى على الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة، فكان المتولى لشراء عرصتها وعمارتها ووقفها من ندبه لذلك وغيره من مصالحها التى تذكر، وفوض إليه هذا النظر: خادمه المسكين ونعته الأمين الجناب العالى الافتخارى ياقوت السلطانى الغياثى، لا زالت الخيرات على يديه جارية، والنِّعَم عليه متوالية، وكان الشراء لعرصتها والنخيل وسقيه توقف عليها، ويأتى ذكرها باثنى عشر ألف مثقال فى أول شهر رمضان من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، ثم أعيد عقد البيع على ذلك فى شهر شوال من السنة المذكورة لموجب اقتضاه الحال، وفى شهر رمضان المذكور ابتُدئ فى هدم ما كان فى موضعها من الأبنية، وفيه أيضًا ابتُدئ فى بنائها، وفرغ من ذلك فى آخر صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة، وفى شهر ربيع من هذه السنة وجمادى الأولى منها بُيِّض باطنها والصهريج الذى فى جوفها، وغالب ظاهرها، وعمل فيه أيضًا كثيرًا مما يُطلب عمله فى العمائر وأحكمت منها العمارة، فاستحسنها ذوو البصائر، وكان وقفها فى سابع عشر المحرم سنة أربع عشرة، بعد الفراغ من عمارة سفلها وغالب علوها، [وقرر واقفها فيها أربعة من المدرسين، وهم قضاة مكة الأربعة يومئذ، وستين نفرًا من المتفقهين، عشرين من الشافعية، وعشرين من الحنفية، وعشرة من المالكية، وعشرة من الحنابلة، وجعل الإيوان الشرقى منها محل تدرسى الشافعية والحنفية والإيوان الغربى محل تدريس المالكية والحنابلة وجعل الواقف المنازل التى تعلوها وهى إحدى عشرة خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقراء، خلاف واحدة منها فإنه جعلها خاصًّا للمدرسة المذكورة، وكان ابتداء التدريس فيها فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وثمانمائة على الحالة التى قُدرت حين الوقف][١] فى تعيين أوقات التدريس بها فى أيام الأسبوع، فكان تدريس الشافعى ضحوة يوم السبت وضحوة يوم الاثنين، وكان تدريس الحنفى من ضحوة يوم الأحد وضحوة يوم الأربعاء وضحوة يوم الخميس، وكان تدريس الحنبلى فيما بين

---

(١) ما بين حاصرتين فيه تحريف وسقط فى المطبوعتين،وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على رواية الأصل.

الظهر والعصر من يومى الأربعاء والخميس، ووقف الواقف المتقدم ذِكْره على المدرسين والفقهاء والسكان بالمدرسة المذكورة وعلى مصالحها ما اشتراه لذلك، وذلك حديقتان وسقية ماء، فأما الحديقتان فتعرف إحداهما بسلمة، والأخرى بالحَلْى، وهما بالضيعة المعروفة بالرُّكانى بوادى مَر، من أعمال مكة المشرفة[1].

وأما السقية فأربع وجاب[2] من قرار عين الضيعة المذكورة وجبتان منها تعرفان بحسين منصور ليله ونهاره، [والوجبتان الآخرتان تعرفان بحسين يحيى ليله ونهاره][3] وجعل الواقف المذكور ربع ما يتحصل من ذلك من كل سنة يقسم خمسة أقسام: قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم، وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية بينهم، وقسم منه يقسم ثلاثة أقسام، قسم منه يصرف فى مصالح المدرسة المذكورة من الزيت والماء وغير ذلك، والقسمان الآخران من هذا القسم يصرفان للسكان بالمدرسة المذكورة بالسوية بينهم، وكان وقفه لذلك فى اليوم التاسع عشر من المحرم سنة أربع عشرة وثمانمائة، وفى النصف الأخير من ذى الحجة من السنة المذكورة وقف الواقف المذكور على المدرسة المذكورة دارًا تقابلها تُعرف بدار أم هانئ، اشتراها الواقف بخمسمائة مثقال، وعمرها فى السنة المذكورة، وأوقفها على مصالح المدرسة المذكورة، وسافر الواقف من مكة بعد حجه فى هذه السنة لإعلام مخدومه السلطان غياث الدين بذلك، فلم يقدَّر اجتماعهما لأن ياقوت مات فى شهر ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة بجزيرة هرموز، ومات السلطان غياث الدين فى آخر سنة أربع عشرة أو فى أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة، والأولى أقرب للصواب، لأنه أشيع موته بمكة فى موسم سنة أربع عشرة، ولم

---

(١) انظر فى سلمة والحَلْى والركانى: حسن القرى — ص٩٣، وقد تحرفت: «الحَلْى» فى المطبوعتين إلى: «الحِلّ».

(٢) الوجاب: جمع وجبة بمعنى حصة من الماء.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، وحسن القرى: ص٩٣، والعقد الثمين ٣/ ٣٢١.

يصح ذلك، ثم جاء الخبر بصحة وفاته فى سنة خمس عشرة، تغمدهم الله برحمته، آمين.

ومنها: مدرسة أبي على بن أبي زكريا قرب المدرسة المجاهدية وتُعرف بأبى طاهر المؤذن، وتاريخ وقفها سنة خمسٍ وثلاثين وستمائة على ما فى حجرها، وواقفها فيه مترجم بالإمام الشهيد، وما عرفت حاله.

ومنها: مدرسة الأرْسُوفى بقرب باب العُمْرة، وهو العفيف عبد الله بن محمد الأرسوفى وهى معروفة به، وما عرفت متى وُقفت؟ إلا أن لها أزيد من مائتى سنة، ولعله وقفها فى تاريخ وقف رباطه الذى بقربها المعروف برباط أبي رُقَيبة لسكناه به، وسيأتي تاريخه.

ومنها: مدرسة ابن الحداد المهدوى بقرب هذه المدرسة، وتُعرف الآن بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها، وتاريخ وقفها شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائة، وهى على المالكية.

ومنها: مدرسة النهاوندى بقرب الموضع الذى يقال له الدريبة، ولها نحو مائتى سنة فيما أحسب، والله أعلم.

ذكر الربط بمكة المشرفة

بمكة رُبَط موقوفة على الفقراء:

منها: الرباط المعروف برباط السِّدْرَة بالجانب الشرقى من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بنى شيبة، لا أدرى من وَقَفَه ولا من وُقف، إلا أنه كان موقوفاً فى سنة أربعمائة، وموضعه هو دار القوارير التى بُنيت فى زمن الرشيد على ما ذكر الأزرقى[(١)].

ومنها: رباط قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المَراغى الملاصق لهذا الرباط.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١١٣.

ورباط عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز، ويُعرف الآن بالكيلانى[1] لسُكْناه به، وتاريخ وقفه سنة خمسٍ وسبعين وخمسمائة، كذا فى الحجر الذى على بابه، وفيه أن واقفه وقفه على الصوفية الواصلين إلى مكة المقيمين والمجتازين من العرب والعجم.

ومنها: رباط الأمير إقبال الشَّرابى المستنصرى العباسى عند باب بنى شيبة، على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام، وتاريخ عمارته له فى سنة إحدى وأربعين وستمائة، وللشرابى عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادى مَر ونخلة.

ومنها: رباط أمّ الخليفة الناصر العباسى، ويعرف بالعُطيفية، لأن الشريف عُطَيفة صاحب مكة كان يسكنه، وتاريخ وقفه سنة تسعٍ وسبعين وخمسمائة، كذا فى الخشب الذى على بابه، وفيه أنه وقفه على الفقراء والصوفية ذوى التُّقَى والعبادة والعفاف والزهادة والصلاح والرشاد والتجريد والانفراد.

ومنها: رباط الحافظ أبى عبد الله بن مَنْدَه، ملاصق لزيادة دار الندوة، وبابه على بابها الذى يخرج منه إلى السويقة، ويعرف الآن بالبرهان الطبرى، وعلى بابه الذى عند باب زيادة دار الندوة حجر مكتوب فيه: أنه وقفه على القادمين من أصبهان أربعين يومًا، وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يومًا.

ومنها: رباط الشيخ أبى حفص عمر بن عبد المجيد المَيانشى قرب هذا الرباط، ومنه داران فى شارع السويقة، وما عرفت نسبته للميانشى هل هو لأجل وَقْفه أو لسُكْناه فيه؟ ومقتضى ما ذكر من نسبة الميانشى أن يكون له أزيد من مائتَى سنة وثلاثين سنة.

ومنها: رباط عند الباب المنفرد فى هذه الزيادة يقال له رباط الفُقَّاعية، وتاريخ وقفه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، كذا فى الحجر الذى على بابه، وفيه أن قهرمانة المقتدى الخليفة العباسى وقفته على المنقطعات الأرامل.

---

(١) كذا لدى الفاسى فى العقد الثمين ٢/ ٦٧، وابن فهد فى إتحاف الورى ٢/ ٥٤٢، وفى الأصل: «الفيلانى» بالفاء، وفى المطبوعتين: «القيلانى» بالقاف.

ومنها: رباط قربه، يقال له: رباط صالحة، لا أعرف من وقفه ولا متى وُقف؟.

ومنها: بالجانب الشمالى أيضًا رباط يعرف برباط القزوينى، وما عرفت واقفه ولا من وقفه، إلا أنه كان موجودًا فى أثناء القرن السابع، وبابه عند باب السدة من خارج المسجد.

ومنها: رباط قبالته يقال له: رباط الخاتون، ويعرف الآن بابن محمود، وتاريخ وقفه سنة سبعٍ وسبعين وخمسمائة، كذا فى الحجر الذى على بابه، وفيه أنه وُقف على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم، وأن الذى وقفته الشريفة فاطمة بنت الأمير أبى ليلى محمد بن أنو شروان الحسنى.

ومنها: رباط الزنجيلى[(١)] قبالة مدرسة عند باب العُمْرة من خارج المسجد، بينه وبين المسجد دار، وتاريخهما واحد.

ومنها: الرباط المعروف برباط الخوزى، بخاء وزاى معجمتين، بزيادة باب إبراهيم، وقفه الأمر قَرَامرز بن محمود بن قرامر الأفزرى[(٢)] الفارسى على الصوفية الغرباء والمتجردين، كذا فى الحجر الذى على بابه، وتاريخه فيما أظن سنة سبع عشرة وستمائة.

ومنها: رباط رَامُشْت عند باب الحَزْوَرَة، ورَامُشْت هو الشيخ أبو القاسم واسمه إبراهيم بن الحسين الفارسى، وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء، أصحاب المرقعة من سائر العراق، وتاريخه سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة، وظفرت بنسخة كتاب وقفه، وكان قد احترق جانب كبير من هذا الرباط فى الليلة التى احترق فيها المسجد الحرام وهى ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة، وأول ما كان الحريق فى البيت الذى على بابه الذى بالمسجد، ثم خرجت النار من شباكه حتى تعلقت بسطح المسجد، ثم وفق الله غير واحد للتقرب

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الزنجيلى» وصوابه من الأصل والزهور المقتطفة للمصنف ص١٨٩.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «قرامر الأقدرى» وصوابه من الأصل ومثله لدى المصنف فى الزهور ص١٩٠ والعقد ٦/ ٣٦٣ وكذلك لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٣/ ٣١.

بعمارته، فعُمر منه جانب كبير من سُفْله الذى يلى المسجد وبعض المجمّع الذى فوقه، ثم صرف الشريف حسن بن عجلان أمير مكة مائتى مثقال ذَهَبًا لعمارته فى أوائل سنة ثمان عشرة وثمانمائة، فعمر بها جميع ما كان محترقًا من الرباط المذكور من البيوت العلوية وغير ذلك مما يحتاج إلى العمارة علوًّا وسفلاً، وصرف من ذلك جانبًا فيما يحتاج إليه من أبواب بيوت الرباط وغير ذلك من مصالحه وجاءت عمارته حسنة.

ومنها: رباط السيد الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسنى نائب السلطنة بمكة وجميع الأقطار الحجازية، زاده الله رفعة، وهو الذى أنشأه، وهذه منقبة ما عرفت مثلها لأحد ممن تقدم من أمراء مكة، وتاريخه سنة ثلاث وثمانمائة، وهو مقابل المدرسة المقابلة للمدرسة المجاهدية، وله عليه أوقاف بمكة ومِنًى ووادى مَر.

ومنها: رباط الجمال محمد بن فرج المعروف بابن [بعلْجد][١] قريبًا من هذا الرباط وباب الحَزْوَرَة، وتاريخه سنة سبعٍ وثمانين وسبعمائة، وهو وقف على الفقراء المنقطعين بمكة.

ومنها: رباط قبالة باب المسجد الحرام المعروف بباب أجياد، أمر بإنشائه وزير مصر تقى الدين عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بابن أبى شاكر، قبل أن يلى الوزارة فى سنة خمسة عشرة وثمانمائة، ومات قبل كمال عمارته، وبعد عمارة غالب سفله، فاستصاره الأمير فخر الدين[٢] عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار الكبير المؤيدى الملكى فيما ذكره بوجه شرعى، وأمر أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتكميل عمارته، فبُنى بأمره جانب كبير من علوه ومن سفله فى سنة عشرين وثمانمائة، وفى ذى القعدة من السنة قبلها مات ابن أبى شاكر، ومات ابن أبى الفرج فى نصف شوال سنة إحدى وعشرين وثمانمائة قبل كمال عمارته،

---

(١) التكملة من الأصل.

(٢) فى ضبعة تدمرى: «الأمير عز الدين» والمثبت رواية الأصل وهو الصواب.

والفقراء الآن فيه ساكنون، وله باب فى باب أجياد الصغير غير بابه الذى بالشارع الأعظم.

ومنها: رباط السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس قبالة باب الصفا، ويقال له: رباط الشيخ غياث الدين الأبرقوهى الطبيب لتوليه أمره وعمارته، وله فيه سعى مشكور، أعظم الله له فيه الأجور، وتاريخه سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، وهو وقف على الأعاجم من بلاد فارس المجردين المتقين دون الهنود.

ومنها: قربه رباط يقال له: رباط البانياسى، على يسار الذاهب إلى الصفا، وتاريخه سنة خمسٍ وعشرين وستمائة، وقفه الأمير فخر الدين أياز بن عبد الله البانياسى على الفقراء المعروفين بالتدين والصلاح فى التاريخ المذكور.

ومنها: الدار المعروفة بدار الخيزران، قرب الصفا مبدأ المسعى، ولا أعرف واقفها ولا متى وُقِفت.

ومنها: الرباط المعروف برباط العباس[١] بالمسعى، وفيه العلم الأخضر، وكان مطهرة ثم جُعل رباطًا، والذى عمله مطهرة الملك المنصور لاجين المنصورى، والذى عمله رباطًا ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفى أعظم الله أجرهما، واسمهما مكتوب فيه على ما بلغنى.

ومنها: رباط الشيخ أبى القاسم بن كلالة الطيبى بالمسعى قرب هذا الرباط، وتاريخه سنة أربعٍ وأربعين وستمائة.

ومنها: بالمسعى أيضًا رباط بالمَرْوَة على يسار الذاهب إليها، يقال له: رباط التميمى، والذى وقفه هو الشيخ أبو العباس، ويقال: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمى المرينى الفنجيرى، وقفه على الفقراء من أهل الخير والدين والفضل من العرب والعجم المتأهلين وغيرهم، على ما يليق بكل واحد منهم من المنازل فى العُشْر الأوسط من شوال سنة عشرين وستمائة، ووقف عليه الحمام الذى بأجياد، وقد ظفرت بكتاب وقف الحمام ثم ذهب منى.

---

(١) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «العباسى» وصوابه من الأصل وطبعة تدمرى.

وبأعلى مكة عدة ربط:

منها: رباط على بن أبى بكر بن عمران العطار المكى، ولم يثبت وقفه إلاَّ بعد موته فى سنة موته، وهى سنة إحدى وثمانمائة.

ومنها: رباط يُعرف بأبى سماحة لسكناه به قرب المجزرة الكبيرة من أعلاها على يمين الذاهب إلى المعلاة، وقفه الأمير قايماز بن عبد الله السلطانى سلطان الروم والأرمن، أبى الفتح قليج بن أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان السلجوقى على المجاورين والمقيمين والمنقطعين بمكة من أصحاب الإمام أبى حنيفة فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، هذا معنى ما فى الحجر الذى على بابه.

ومنها: بأعلى مكة أيضًا ثلاثة رُبَط، يقال لها ربط الأخلاطى، بعضها وُقف على النساء الحنفية من المجاورات والقادمات، وبعضها وُقف على أهل مدينة أخلاط الصالحين القاصدين لبيت الله الحرام، وبعضها وُقف فى سنة تسعين وخمسمائة، وبعضها فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

ومنها: رباط يقال له: رباط الوَتْش، بتاء مثناة من فوق وشين معجمة، قرب هذه الربط.

ومنها: رباط لعطية بن خليفة المُطَيْبِيز[1] أحد تجار مكة فى عصرنا.

وبزقاق الحجر بمكة رباطان:

أحدهما: رباط المَقَر إبراهيم بن محمد الأصبهانى سبط الشيخ قطب الدين العسقلانى وقفه على الفقراء والمساكين المجاورين بمكة من أهل الخير والديانة من أى صنف كان من العرب والعجم، فى سلخ رجب سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة.

والثانى: رباط السيدة أم الحسين بنت قاضى مكة شهاب الدين الطبرى، وقفته على الفقراء والمساكين فى شعبان سنة أربعٍ وثمانين وسبعمائة.

وبسوق الليل عدة رُبَط:

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «المطين» وصوابه لدى المؤلف فى الزهور المقتطفة ــ ص ١٩٢، والعقد الثمين ٦/ ١٠٧، ومثله لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٣/ ٥١١.

منها: رباط يقال له: رباط سعيد الهندى لسكناه فيه، وما عرفت واقفه ولا تاريخه.

ومنها: الموضع الذى يقال له: بيت المؤذنين، وواقفه هو واقف رباط الخوزى على شرطه، وتاريخ وقفه سنة سبع عشرة وستمائة.

ومنها: الموضع الذى يقال له: زاوية أم سليمان، وتاريخها سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

وبأجياد عدة رُبَط:

منها: الموضع الذى يقال له رباط الزيت، لا أعرف واقفه ولا متى وُقف.

ومنها: رباط يقال له: رباط غزى، بغين وزاى معجمتين، وقفه على بن محمد المصرى على الفقراء والمساكين المجردين من أى جنس كان من المسلمين، سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

ومنها: رباط يعرف برباط الساحة، وكان موجودًا فى أثناء القرن السابع، ووقفه جماعة من النسوة، منهن والدة الشيخ قطب الدين القسطلانى، على الفقراء والغريبات المتدينات.

ومنها: الرباط المعروف برباط ربيع، وهو واقفه عن موكله فى ذلك السلطان الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتاريخ وقفه فى العشْر الأواسط من ذى الحجة سنة أربعٍ وتسعين وخمسمائة، وهو وقف على الفقراء المسلمين الغرباء.

ومنها: رباط بقرب رباط ربيع، أمر بإنشائه أمير مكة السيد حسن بن عجلان، وهو ملاصق لحوش داره التى أنشأها بأجياد، وقد عمر غالب سفله إلا قليلاً منه وجانب من علوه، وفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة استؤجر بعض البناة بمكة على تكميل عمارته وشُرِع فى ذلك، وكان أمر الشريف حسن بإنشائه فى سنة ست عشرة وثمانمائة، وأدخلت فيه البئر المعروف ببئر عفراء.

ومنها: رباط يعرف برباط بنت التاج، ولا أعرف واقفه فى الابتداء، وله أزيد من مائتى سنة، وعلى بابه حجر مكتوب فيه أنه وقف على النساء الصوفيات الأخيار والمجاورات.

ومنها: رباط يعرف برباط المُسَيْكِينَة[١].

ومنها: بالحزَامية، بزاى معجمة، الرباط المعروف برباط الدمشقية، وُقف على الصوفية والعلماء والقراء والفقراء من أهل دمشق والعراقيين العرب والعجم فى رجب سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة.

ومنها: الرباط المعروف برباط الدورى[٢] وقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن ابن محمد بن جبريل الزرندى على أهل سادة زرند القَادمين إلى حج بيت الله الحرام، وله أزيد من ثلاثمائة سنة.

ومنها رباط يعرف برباط السبتية بسين مهملة وباء موحدة ثم تاء مثناة من فوق ثم ياء مثناة من تحت، كان موجودًا فى سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة.

ومنها: رباط خلف رباط الدورى[٢] للنسوة، وكان موجودًا فى أثناء القرن السابع.

ومنها: رباط بقرب هذه الربط يقال له: رباط بنت الحرابى، بحاء وراء مهملتين وألف وباء موحدة لسكناها به، وبلغنى أنها وقفته.

ومنها رباط يعرف برباط الوراق بقرب باب إبراهيم، لا أعرف واقفه ولا متى وُقف.

ومنها: رباط القاضى الموفق جمال الدين على بن عبد الوهاب الإسكندرى، وقفه على فقراء العرب الغرباء ذوى الحاجات المتجردين، ليس للمتأهلين فيه حظ

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «المسكينة» وصوابه من الأصل ومثله لدى المصنف فى الزهور المقتطفة ١٩٣.

(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الزرندى» وصوابه من الأصل والزهور المقتطفة للمصنف ١٩٤.

ولا نصيب فى سنة أربعٍ وستمائة، كذا هو مكتوب فى الحجر الذى على بابه، وفيه العرب مضبوط بفتح العين والراء المهملتين، وهذا الرباط بأسفل مكة.

وفى جهة الشبيكة بالمسفلة عدة رُبط:

منها: الرباط الذى يقال له: رباط أبى رقية[(١)] لسكناه به، ويقال له رباط العفيف، والعفيف المشار إليه هو الأرْسوفى صاحب المدرسة التى بقربه، وقفه عن نفسه وعن موكل شريكه فيه القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، على ما فى الحجر الذى على بابه، وفيه أنه وُقف على الفقراء والمساكين العرب والعجم الرجال دون النساء القادمين إلى مكة والمجاورين، على أن لا يزيد الساكن فى السُّكْنَى على ثلاث سنين إلاَّ أن يقطع إقامته، وسكناه السفر إلى مسافة القصر[(٢)].

ومنها: رباط به بقربه يعرف برباط الطويل، بُنى فى عُشْر السبعين وسبعمائة فيما أحسب.

ومنها: رباط الجهة وهى الآدر[(٣)] الكريمة، جهة الطواشى فرحات زوج الملك الأشرف إسماعيل بن الفضل صاحب اليمن وأم أولاده، ضعف الله أجرها وأعلى قدرها، ويقال له: رباط الشيخ على البَغْدَانى[(٤)] لتوليته لأمره وعمارته، وتاريخ وقفه سنة ستٍّ وثمانمائة، وهو وُقف على الفقراء الأَفَاقيين المجردين عن النساء المستحقين للسكنى.

ومنها: رباطان قرب الموضع الذى يقال له الدرية:

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «أبى قتيبة» وصوابه من الأصل ومثله لدى المصنف فى الزهور المقتطفة ص١٩٤.

(٢) إتحاف الورى ٢/ ٥٦١ – ٥٦٢.

(٣) الآدر الشريفة يقصد بها الحريم السلطانى، والآدر كذلك من ألقاب التشريف التى تستعمل للإشارة إلى الخوندات أو صاحبات العصمة من علية النساء دون ذكر أسمائهن.

(٤) فى طبعة تدمرى: «السعدانى» وفى طبعة الذهبى: «البغدادى» وكلاهما تحريف صوابه من الأصل والزهور المقتطفة للمصنف ص١٩٥، وإتحاف الورى لابن فهد ٣/ ٤٣٨.

أحدهما: يعرف برباط ابن السوداء، لسكناه به، وعلى بابه حجر مكتوب فيه: أن أم خليل خديجة وأم عيسى مريم ابنتى القائم أبى ثامر المبارك بن عبد الله القاسمى وقفتاه على الصوفيات المتدينات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب، فى العُشْر الأول من شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة، ويقال له أيضًا: رباط الهرِّيش، بتشديد الراء المهملة، والآخر يعرف بابن غنايم، وعلى بابه حجر مكتوب فيه ما معناه: وقفه السلطان الملك العادل ملك الجبال والغور والهند محمد بن أبى على، على الصوفية الرجال العرب والعجم، على أن يكون عدد الساكنين فيه عشرة لا غير، سواء كانوا مجاورين أو مجتازين، وبعضهم مقيم وبعضهم مجتاز، وذلك سنة ستمائة. انتهى.

فهذه الربط المعروفة الآن بمكة، أجزل الله ثواب واقفيها ومن أحسن النظر فيها.

وبمكة أوقاف كثيرة على جهات من القربات، غالبها الآن غير معروف لتوالى الأيدى عليها، ومن المعروف منها البيمارستان للمستنصر العباسى بالجانب الشمالى من المسجد الحرام، وتاريخ وقفه سنة ثمان وعشرين وستمائة، وعمَّره فى عصرنا هذا الشريف حسن بن عجلان صاحب مكَّة عمارته التى هو عليها الآن، وزاد فيه على ما كان عليه أولاً إيوانين: أحدهما فى جهته الشامية، والآخر فى جهته الغربية، وأحدث فيه صهريجًا ورواقًا فوق الإيوانين اللذين أحدثهما، وفوق الإيوان الشرقى الذى كان فيه من قبل، وجدد هو عمارته، وفوق الموضع الذى فيه الشباكان المشرفان على المسجد الحرام، وأدخل فيه البئر التى كانت يُستَقَى منها للميضأة الصرغتمشية، ووقف جميع ما بناه وما يستحق منافعه فى الموضع المذكور للمدة التى يستحقها المدة على الضعفاء والمجانين، ووقف عليه منافع الدار العروفة بدار الإمارة عند باب بنى شيبة بعد عمارته لها حين تخربت بالحريق الذى وقع آخر ذى القعدة من سنة أربع عشرة وثمانمائة، وذلك بعد استئجاره لها واستئجاره للبيمارستان المذكور لتخربهما من القاضى الشافعى بمكة لمدة مائة سنة، وأذن له فى صرف أجرة الموضعين فى عمارتها، وكان استئجاره لذلك فى [شهر

ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائة، وفيها شرع فى عمارتها، وكان وقفه لذلك فى][1] صفر سنة ست عشرة وثمانمائة.

ووقف المنافع يتمشى على رأى البعض من متأخرى المالكية، وحكم به بعض طلبة المالكية ليثبت أمره، وإن كان بعض المعتبرين من المالكية لا يرى جوازه، كما هو مقتضى مذهب الشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله، والله يوفقنا أجمعين للخير، آمين.

ذكر السقايات والبرك بمكة المشرفة وحرمها وعرفة

بمكة وحَرمها عدة سقايات، وتُسَمَّى أيضًا السُّبُل، بسين مهملة وباء موحَّدة مضمومة جمع سبيل، وشهرتها عند الناس بالسبل أكثر، وهى كثيرة إلاَّ أن بعضها صار لا يُعرف لخرابه وبعضها معروف مع الخراب.

فمن ذلك سبيل عطية بن ظهيرة بأعلى مكة، وسبيل قاسم الرانكى عند مسجد الراية، وسبيل السيدة أم الحسين بنت القاضى شهاب الدين الطبرى بالمسعى عند موضع الجزارين والخرازين، وسبيل لابن بعلْجد عند عين بازان التى بالمسعى قرب الميل الأخضر الذى بمنارة باب على والمقابل له، وسبيل السيد الشريف حسن بن عجلان سلطان الحجاز فى عصرنا برباطه الذى أنشأه، بلغه الله مناه.

ومنها: بأعلى مكة سبيل لأم سليمان المتصوفة عند تربتها بالمعلاة قرب درب المعلاة.

ومنها: سبيل أنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة فى سنة ستٍّ وعشرين وثمانمائة بالمعلاة على يمين النازل من الحَجُون.

ومنها: سبيل لعطية المطيبيز فى طرف المقبرة من أعلاها عند البئر التى يقال لها بئر الطواشى.

ومنها: السبيل الذى أنشأه القائد سعد الدين جبروه.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

ومنها: السبيل المعروف بسبيل ابن صنداد، وليس هو المبتكر له، لأنَّ بعض أمراء الملك الكامل ولد الملك المسعود صاحب مكة عمر ذلك.

ومنها: سبيل فوق هذا السبيل إلى جهة مِنى للسيد الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر بعمارته فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وعنده مسجد.

ومنها: السبيل الذى يقال له: سبيل الست، وهو مشهور بطريق مِنى، والست المنسوبة إليها عمارته هى أخت الملك الناصر حسن صاحب مصر، وتاريخ عمارتها سنة إحدى وستين وسبعمائة.

ومنها: سبيل المعلم عبد الرحمن بن عقبة المكى بقرب مِنى.

ومنها: سبيل بمِنى لعطية المُطَيْبِيز[1].

وبمنى عدة سُبُل عامرة وبمزدلفة وعرفة.

وطريقهم سبل متخربة معطلة، وبعضها لا يُعرف، وقد أشرنا إليها فى أصل هذا الكتاب.

وبأسفل مكة مما يلى التنعيم عدة سقايات:

ومنها: سبيل الزنجيلى[2] ويقال له سبيل أبى راشد لتجديده له، ويقال له سبيل المكين لتجديده له أيضًا، وتاريخ عمارة الزنجيلى له سنة عشرين وستمائة، كذا فى حجر فيه، وهى عمارة تجديد، لأن الزنجيلى توفى قبل ذلك على ما ذكر ابن شاكر الكتبى بسبعٍ وثلاثين سنة، وتاريخ عمارة أبى راشد سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة، وتاريخ عمرة المكين سنة ثمان وثمانمائة.

ومنها: السبيل الذى يقال له سبيل بنت القاضى عبد الرحمن بن عقبة المكى، وسبيل آخر أنشأته السيدة زينب بنت القاضى شهاب الدين الطبرى صَدَقَةً عن أخيها القاضى نجم الدين محمد بن القاضى شهاب الدين الطبرى سنة خمسٍ وستين وسبعمائة، وهو الآن معطل لخرابه.

ومنها: سبيل الملك المنصور صاحب اليمن، وهو مشهور.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «لعطية المطير» وصوابه من الأصل والزهور المقتطفة للمصنف ١٩٢.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الزنجبيلى» وصوابه من الأصل والزهور المقتطفة للمصنف.

ومنها: السبيل المعروف بسبيل الجوخى، وهو الآن معطل لخرابه، ورأيت فيه حجرًا ملقى مكتوبًا فيه: أن المقتدر العباسى ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية والآبار التى وراءها وتصدقا بها، وفيه: أنّ ذلك سنة اثنتين وثلاثمائة.

ومنها سبيل دون هذا السبيل إلى مكة عمَّره الشهاب المكين السابق أجزل الله ثوابه فى سنة ثمان وثمانمائة، وإلى جانب ذلك حوض للبهائم.

وكان بمكة سقايات أكثر مما ذكرنا بكثير؛ لأن الفاكهى قال، لما ذكر السقيات: وبمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى مِنى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو من مائة سقاية. انتهى.

ذكر البرك بمكة وحرمها

بمكة وحرمها عدة بِرَك لا أدرى من أنشأها، ويقال لها: المصانع.

منها بركتان عند باب المعلاة متلاصقان جُددتا فى دولة الملك الناصر حسن صاحب مصر، وذلك فى ولايته الأولى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وعُمرتا بعد ذلك غير مرة، منها فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وعمارتها فى هذه السنة [عمارة حسنة] لإصلاحهم بالنَّوْرَة ما يحتاج إلى الإصلاح فيهما، ونوَّرُوا فى بعض الجدران ما لم يكن مُنَوَّرًا قبل ذلك، ورفعوا جميع جوانبها عن الأرض، والذى رفعوه من ذلك نحو ذراع، وفى بعض المواضع أكثر، وعمدوا إلى الحاجز الذى بين البركتين فهدموا الجدار الذى يليه إلى صوب الطريق العظمى، وبنوا هناك ثبرتين وعملوا عليهما عقدًا مشرفًا، وعملوا فى موضع العقد بابًا شَبَحًا من عرعر يُغْلَق دون الصغار، ومن يريد النزول إلى الماء خوفًا على الماء من تغيره بالنزول فيه، وعملوا تحت الباب درجًا.

والآمر بهذه العمارة علاء الدين القائد.

ومنها: بركتان متلاصقتان إحداهما بلِصْقِ[1] سور باب المَعْلاَة ببستان الصارم، وكانتا معطَّلتين فعُمرت إحداهما فى النصف الثانى من سنة ثلاث عشرة

---

(١) فى طبعة تدمرى: «إحداهما تلصق سور» وفى طبعة الذهبى: «إحداهما يلصق بسور» والمثبت رواية الأصل، واللِّصْق: يقال: هو لِصْقى وبِلِصقى: بجنبى، وهو بِلِصْقِ الحائط.

وثمانمائة، ومُلئت من عين بازان بعد جريها، والذى أمر بعمارتها وإجراء الماء الشهاب بركُوت المكين.

ومنها: بركتان عند مولد النبى ﷺ بسوق الليل تُنسبان للمسلمانى على ما بلغنى.

ومنها: بأسفل مكة بركة يقال لها: بركة باب الماجن لأنها عند باب مكة المعروف بباب الماجن.

ومنها: بحرم مكة مما يلى منى وعرفة عدة برَك، منها البركة المعروفة ببركة السَّلَم، لا أدرى من أنشأها، وجددها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر، وعمر القُنَى التى تصل إليها من منى، وذلك فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

وبطرف منى مما يلى المزدلفة فى طريق عرفة برك أُخَر معطلة أيضًا لخرابها، أشرنا إليها فى أصل هذا الكتاب.

وبعرفة عدة برك، وغالبها الآن ممتلئ بالتراب حتى صار ذلك مساويًا للأرض، وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر، وعدا ذلك خمس برك، وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وبعضها عمره المظفر صاحب إربل فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وفيما بعدها، وبعضها عمره إقبال الشرابى المستنصرى العباسى فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وعمارتهما للبرك المكتنفة بعين عرفة أيضًا، واسم إقبال باقٍ على بعض البرك التى حول جبل الرحمة وعمر بعضها الملك نائب السلطنة بمصر، ثم عمر بعضها فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر.

ذكر الآبار التى بمكة وحرمها

ذكر الأزرقى شيئًا من خبر الآبار الجاهلية والإسلامية بمكة وحرمها وبعرفة، وليس يُعرف هاهنا الآن مما ذكره الأزرقى إلا القليل، كما سنبينه، ولذلك اقتصرنا هنا على تعريف هذه الآبار بما يُعرف به الآن، وجملة الآبار التى يحتوى عليها سور مكة ثمانية وخمسون بئرًا.

منها: بئر برباط السِّدْرَة، وهى سَجْلَة، بسين مهملة وجيم، حفرها هاشم بن عبد مناف بن قُصَى بن كلاب، وقيل: حفرها قُصَى ووهبها عبدُ المطلب بن هاشم للمُطْعَم بن عَدِى، وقيل: إن جبير بن مُطْعَم ابتاعها من ولد هاشم.

ومنها: بئر برباط الشرابى.

ومنها: بئر بالمدرسة الأفضلية.

ومنها: بئر بالميضأة الصرغتمشية.

ومنها: بئر برباط أم الخليفة، وهو العُطَيْفية.

ومنها: بئر برباط الفُقَّاعيّة[1].

[ومنها: بئر برباط الميانشى][2].

ومنها: بئر بالمدرسة المنصورية.

ومنها: بئر عند باب الحَزْوَرَة، عليها جُمَّيزة كبيرة حفرها المهدى العباسى.

ومنها: بئر فى الدار المعروفة بالملاعبة.

ومنها: بئر بالمدرسة المجاهدية.

ومنها: بئر برباط كُلالة بالمسعى.

ومنها: بئر بالمطهرة الناصرية عند باب بنى شيبة.

ومنها بئر بميضأة الملك الأشرف شعبان، عمرها جده الملك الناصر سنة ستٍّ وسبعمائة لأجل رباط العباس فيما أحسب، فإن منها إليه قناة ليسكب فيها الماء.

ومنها: بئر الحمام الذى بسوق الليل.

ومنها: بئر قرب مولد النبى ﷺ بسوق الليل، تُعرف بالسماطية، لعلها بئر عبد شمس بن عبد مناف بن قُصى المعروفة بالطَّوى التى ذكرها الأزرقى[3]، والله أعلم.

ومنها: بئر بقربها ينسب لأبى مُغَامس، أحد تجار مكة، لأنه عمرها وعندها مسجد.

ومنها: بقرب ذلك بئر فى دار عطية المطيبيز.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «القاعية» وصوابه من الأصل والزهور المقتطفة للمصنف ص١٨٩.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، وقد تحرفت كلمة: «الميانشى» فى طبعة الذهبى إلى: «الميناشى».

(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢١٧.

ومنها: بئر فى المعلاة بالشِّعْب الذى تسميه الناس شِعْب عامر، وهو شِعْب عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، إحداهما فى بستان فى هذا الشِّعْب، والأخرى بفم الشِّعْب.

ومنها: بئر فى البستان الذى عند باب المعلاة، ويقال لها: المنقوس.

ومنها: بئر تُعرف بأم الفاغية عند سبيل ابن ظهيرة.

ومنها: بئر عند مسجد الراية، وهى بئر جُبَيْر بن مُطْعَم التى ذكرها الأزرقى، والله أعلم.

وبأجياد عدة آبار:

منها: بئر رباط الزيت، **ومنها**: برباط غزى، ومنها بئر برباط ربيع، **ومنها**: بئر مما يلى هذا الرباط فى جانب الوادى، ومنها بئر يقال لها: أم الزين، عند بيت الشريفة فاطمة بنت ثقبة صاحب مكة، ومنها بئر يقال لها: الوردية، ومنها بئر يقال لها بئر عكرمة، ذكرها الأزرقى، **ومنها**: بئر يقال لها: الواسعة، ومنها بئر فى حوش الرباع، ومنها بئر يقال لها: بئر عفراء، **ومنها**: بئر يقال لها: بئر مسعود، ويقال لها أيضًا: أم الفاغية، **ومنها**: بئر يقال لها: بئر المعلم، **ومنها**: بئر عند بيوت الداجوة يقال لها: أم حجر، **ومنها**: بئر برباط بنت التاج، **ومنها**: بئر عند حمام أجياد.

وبالحزامية بأسفل مكة، بالحاء المهملة وزاى معجمة، عدة آبار:

منها: بئر برباط الدمشقية، عمرها فيما أحسب زوجة تقى الدين ابن [أخى][1] صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ومنها بئر برباط الدورى، ومنها بئر برباط السبتية.

ومنها بئر يقال لها بئر النبى ﷺ، والناس يستشفون بماء هذه البئر، ولعلها، والله أعلم، السَّنْبَلَة، بئر خلف بن وهب الجمحى التى ذكرها الأزرقى وقال: يقال: إن النبى ﷺ بصق فيها، وإن ماءها جيد من الصداع[2]، والله أعلم.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) كذا فى الأصول، ومثله لدى الأزرقى ٢/ ٢١٩، ولعله أراد: جيد يشفى من الصداع».

وبالحجارية من المسفلة عدة آبار:

ومنها: بئر عند بيوت عرفطة، يقال لها أم الحُمَرَة، بحاء مهملة مضمومة وميم وراء مفتوحتين.

ومنها: بئر عند البيوت المعروفة بالأشراف ذوى على، مما يلى باب الماجن، وهما بقرب الموضع الذى يقال له: بيت أبى بكر الصديق ﷺ.

ومنها: بئر فى زقاق ضيق نافذ بقرب أم الحُمَرَة.

ومنها: بئر فى بستان على بن يوسف بن أبى الأصبع عند باب الماجن، ومنها بئر قبالة هذه البئر فى الوردية.

وبمسيل وادى إبراهيم بالمسفلة وما يليه من البيوت عدة آبار:

ومنها: البئر المعروفة بباب إبراهيم، **ومنها:** بئر برباط الموفق، ومنها بئر يُنسَب للقائد زين الدين شُكْر مولى الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة، ومنها بئر بجنبها إلى أسفل مكة فى البيت المعروف بأحمد بن عبد الله الدورى الفراش بالحرم الشريف، ومنها بئر بقربها فى بيت يُعرف ببيت اليَنْبُعى على يسار الذاهب إلى باب الماجن، ومنها بئر فى جهة الشُّبَيْكَة يقال لها بئر النَّشْو، ومنها بئر فى الشبيكة أيضًا بقرب المقبرة عند بيوت رُقَيَّة، يقال لها: مجنة، ولها قرنان، ومنها بئر قرب باب الشبيكة عمرها العفيف الهبى، وبنى عندها سبيلا هو الآن خراب، ومنها بأسفل مكة بئر أيضًا فى الموضع الذى يقال له خرابة قريش التى عمرها الشهاب بركوت بن عبد الله المكينى، **ومنها:** بئر فى وسط السويقة، عليها بيت يُنسب للبليبى، يقال: إنها من عمارة عبد الله بن الزبير ﷺ، والله أعلم، ومنها بئر فى الموضع المعروف بدار الحفرة بالسويقة، **ومنها:** بئر بقعيقعان عند وقف على بن أبى بكر بن عمر العطار، فهذه التى حواها سور مكة فيما علمت، ولم أذكر فيها الآبار التى لا ماء فيها، وجميعها مسبلة إلا البئر التى فى بيت المطيبيز بأعلى مكة، والبئر التى فى بيت القائد زين الدين شُكْر، والبئر التى فى بيت أحمد الدورى، والبئر التى فى بيت اليَنْبُعى.

ذكر الآبار التى بين باب المعلاة ومِنى

بين باب المعلاة ومِنى سبع عشرة بئرًا، بتقديم السين: منها بئر قرب باب المَعْلاَة تُنسب لأم سليمان المتصوفة عند تُربتها، وتُنسب أيضًا للملك المسعود صاحب مكة، ومنها بئر يقال لها: بئر الطواشى عند طرف المقبرة من أعلاها، ومنها بئر بالبستان الذى أنشأه القائد سعد الدين جبروه، ومنها بئر ببستانه الذى أمامه إلى جهة مِنى، ومنها بئر ببستان له بين [هذين][1] البستانين إلى جهة شعب البياضية، ومنها بئر خلف سبيل ابن شداد السابق ذكره، ومنها بئر فى بستان ينسب لابن قُطَيْس أمام هذا السبيل، ومنها بئر فى محاذاة المعابدة فيها الماء، ويقال لها: أم قرنين، ومنها بئر لا ماء فيها فى الموضع الذى يقال لها الخرمانية، وهو أودان برأس المعابدة على جادة الطريق على يمين الهابط إلى مكة، ومنها البئر التى يقال لها بئر آدم على يمين التى إلى مِنى، وليست على جادة الطريق، وممن عمرها الأمير شيخون العمرى الناصرى فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، ومنها بئر يقال لها البياضية، ومنها بئر ميمون بن الحَضْرَمىّ، أخى العلاء بن الحَضْرَمى، وهى التى الآن بالسبيل المعروف بسبيل الست بطريق مِنى، وممن عمرها المظفَّر صاحب إربل فى سنة أربعٍ وستمائة على ما وجدت بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى المكى فى حجر بهذه البئر يتضمن عمارة صاحب إربل لها، وعرَّفها ببئر ميمون الحضرمى، ورأيت لبعضهم ما يقتضى أن بئر ميمون بطريق وادى مَر الظَّهران، وهو وَهْم، والله أعلم.

ومنها: بئر محاذية لبركة السَّلَم على يسار الذاهب إلى مِنى.

ومنها: بئر يقال لها: بئر النجار، وتُعرف بالمعلم عبد الرحمن بن عقبة المكى على يسار الذاهب إلى مِنى أيضًا، وممن عمرها الأمير شيخون فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وعمرها بعده الأمير جَرَكْتَمُر الماردينى صاحب الحُجَّاب بالقاهرة، ومقدم العساكر بمكة، فى سنة إحدى وستين وسبعمائة.

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

ومنها: بئر أمام هذه البئر إلى مِنى فى وجهتها إلى جهة مِنى عند رأس الشعب الذى يقال له شعب البيعة الذى فيه مسجد البيعة السابق ذكره، وتُعرف هذه البئر ببركة مسهر.

ومنها: البئر المعروفة بصَلاَصِل، وهى من الآبار الإسلامية على ما ذكره الأزرقى.

ومنها: بئر بقرب هذه البئر يقال لها الجُنَينة، بجيم مضمومة ونون مفتوحة وياء مثناة من تحت ونون، وهى وصلاصل فى الجانب الذى يكون على يمين الذاهب إلى مِنى، وكلام الأزرقى يقتضى أن البئر المعروفة ببركة مسهر هى صُلاَصل لأنه قال: وبئر الصلاصل بفم شِعْب البيعة عند العقبة، عقبة مِنى[1]. اهـ. والله أعلم، ولم يبين الأزرقى سبب تسميتها بصلاصل، ولعل ذلك نسبة إلى صلصل بن أوس ابن مجاسر[2] بن معاوية بن شريف من بنى عمرو بن تميم، لأن الفاكهى روى بسنده عن هشام بن الكلبى عن أبيه قال: كانت العرب فى أشهر الحج على ثلاثة أهواء: منهم من يفعل المنكر وهم المُحِلون الذين يُحِلون الأشهر الحرم فيغتالون فيها ويسرقون، ومنهم من كان يكف عن ذلك، ومنهم أهل هَوًى، شرعه صلصل ابن أوس بن مجاسر بن معاوية بن شريف من بنى عمرو بن تميم فى قتال المُحِلين، ثم قال بعد أن ذكر المُحْرِمين: وكانوا يسمونهم الصلاصل؛ لأن صلصلاً شرع ذلك، وكانوا ينــزلون على بئر قريبة من مكة، ثم يتفرقون فى الناس منها، وكانت البئر تسمَّى بئر صلاصل. اهـ.

ولكن يعكر على نسبة هذه البئر لصلصل المشار إليه ما ذكره الأزرقى من أن صلاصل البئر التى ذكرها من الآبار الإسلامية، فإن مقتضى ما ذكره الكلبى أن تكون من الآبار الجاهلية، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الأزرقى ٢/ ٢٢٦.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «مخامس» وصوابه من الأصل.

وذكر الأزرقى ما يخالف ما ذكره من أن صلاصل من الآبار الإسلامية، [لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ذكر الآبار الإسلامية][1] وهى التى ذكر منها ما سبق ذكره عنه فى صلاصل تِلْو قوله: عقبة مِنى، وفيها يقول أبو طالب:

ونُسْلِمهُ حتى نُصَرَّع حوله
ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد إليكم
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل[2]

انتهى.

وإذا كان أبو طالب ذكر هذه البئر فهى جاهلية.

ذكر الآبار التى بمنى وهى خمس عشرة بئرًا

منها: بئر تعرف بالحجامية بقرب جمرة العقبة فى بستان عندها، ومنها بئر يقال لها: كدَّانة، بدال مهملة مشدَّدة ونون بعد الألف، فى منـــزلة المحمل المصرى، ومنها بئر يقال لها: عمارة، بفتح العين وتشديد الميم فى الشِّعب الذى يلى ذلك، وهى حلوة، ومنها بئر يقال لها: الكُلَيْبِيَّة؛ حلوة أيضًا، ومنها بئر يقال لها الشَّعْبانية فى بستان شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى، ومنها بئر يقال لها: بئر إسماعيل، ويقال لها: دَغْبَح، **ومنها**: بئر فى بيت الجعافرة عند بيت أبى مُغَامس فى الطريق السفلى، ومنها بئر بقرب الشِّعْب الذى يقال لها: سمير، ينسب لموسى بن غصون، **ومنها**: بئر بقربها تُنسب لابن فُطَيْس، **ومنها**: بئر بقربها يقال لها: أم النخلة، وتُنْسَب لابن معيوف، ومنها بئر يقال لها: أم الحمام، حلوة، **ومنها**: بئر يقال لها أم النخلة، عمرتها زوجة الملك المنصور صاحب اليمن، فى سنة خمس وأربعين وستمائة، **ومنها**: بئر يقال لها: العسيلة فى منـــزلة بنى حسن بمِنى، **ومنها**:

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ٤/ ١١٣.

بئر فى الشِّعْب الذى يقال له: سمير، ومنها بئر يقال لها: العراقيب، حلوة، فى الشِّعْب الذى يقال له: شِعْب عمرو، على يسار الذاهب إلى عرفة.

وبمنى آبار أُخَر فى بعَض بيوتها لا تُعرف، على ما بلغنى.

ذكر الآبار التى بمزدلفة

بمزدلفة ثلاث آبار: منها بئر قبالة المشعر الحرام على يمين الذاهب إلى عرفة، ومنها بئر بقربها فى الجهة اليمنى يقال لها: بئر البقر، ومنها بئر فى الجهة اليسرى محاذية للمشعر الحرام فى منـــزلة الركب العراقى، وفيما بين مزدلفة وعرفة [بئر](١) يقال لها: السقيا على يسار الذاهب إلى عرفة.

ذكر الآبار التى بعرفة

بعرفة آبار، فيها الآن الماء، فمنها بئر يقال لها: الزيادية الكبرى، ومنها بئر يقال لها: الزيادية الصغرى، ومنها بئر يقال لها: الشمردقية، وفيها عدة آبار أُخَر لا ماء فيها، عمرها المظفر صاحب إربل، وقد ذكرناها مع تاريخ عمارة المظفر لها فى أصل هذا الكتاب، والله أعلم.

ذكر الآبار التى بظاهر مكة من أعلاها

فيما بين بئر ميمون بن الحضرمى والأعلام التى هى حد الحرم فى طريق جادة وادى نخلة، وفيما بين بئر ميمون والأعلام المشار إليها خمس عشرة بئرًا:

منها أربع آبار تُعرف بآبار العُسيلة، وفى رأس طى بعضها ما يقتضى أن المقتدر العباسى أمر بحفر بئرين منها، وفى طى بعضها ما يقتضى أن العجوز والدة المقتدر عمرتها مع سقايات هناك، ومسجد لا يُعرف الآن منه شيء، وقد ذكرنا نص المكتوب فى أصل هذا الكتاب، والبئر الرابعة من آبار العسيلة جددها بعد دثورها بعض الأمراء المصريين فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، وبقية الآبار لا ماء فيها إلا بئر لأبى بكر الحصار، وهى تلى آبار العسيلة.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

ذكر الآبار التى بأسفل مكة فى جهة التنعيم

فيما بين باب مكة المعروف بباب الشبيكة والتنعيم ثلاث وعشرون بئرًا بجادة الطريق.

منها: بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله، وتُعرف بالزاكية، وقد ذكرنا هذه الآبار فى أول هذا الكتاب أوضح من هذا، ومنها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير، وبعض هذه الآبار من عمارة المقتدر العباسى، وبقرب الشبيكة آبار أُخَر يقال لها: الزاهر الصغير، وهى ثلاثة آبار، منها واحدة لا ماء فيها ولها قرنان، فى أحدهما حجر مكتوب فيه تاريخ عمارتها، وبقرب هذه الآبار بئر ببطن ذى طَوَى على مقتضى ما ذكره الأزرقى فى تعريف ذى طوى، وبأسفل مكة أيضًا بئر يقال لها الطُّنْبُدَاوِيَّة، وبأسفل مكة مما يلى بابها المعروف بباب الماجن عدة آبار، منها بئر بقربه من خارجه، وبئر بالشِّعْب الذى يقال له «خُم» بخاء معجمة.

ذكر عيون مكة المشرفة

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال فى العيون التى أُجريت فى الحرم: كان معاوية قد أجرى فى الحرم عيونًا، واتخذ له أخيافًا، وكان حوائط وفيها الزرع والنخْل، وسردها الأزرقى، وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب، قال: وقد كانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت، فأمر أمير المؤمنين الرشيد بتجديدها، فعُمِلت وأُحْيِيَتْ وصُرِفت من عين واحدة، ثم قال: ثم كان الناس بعد تقطَع هذه العيون فى شدة الحاجة إلى الماء، وكان أهل مكة والحجاج يلقون فى ذلك المشقة حتى إن الراوية لتبلغ فى الموسم عشرة دراهم، وأقل وأكثر، فبلغ ذلك أمَّ جعفر بنت أبى الفضل جعفر ابن أمير المؤمنين المنصور، فأمرت فى سنة أربعٍ وسبعين ومائة بعمل بركتها التى بمكة، فأجرت لها عينًا من الحرم فجرت بماء قليل، فلم يكن فيه رى لأهل مكة، وقد غرمت فى ذلك غرمًا عظيمًا [فبلغها][١] فأمرت

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

المهندسين أن يجروا لها عينًا من الحل، ثم أمرت من يزن عينها الأولى فوجدوا فيها فسادًا، فأنشأت عينًا أخرى إلى جنبها، وأبطلت تلك العيون، فعملت عينها هذه بأحكم ما يكون من العمل، وعظُمت فى ذلك رغبتها، وحسُنَت نيتها، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية خل، فإذا الماء لا يظهر فى ذلك الجبل، فأمرت بالجبل فضرب فيه، فأنفقت فى ذلك من الأموال ما لم تكن تطيب به نفس كثير من الناس، حتى أجراها الله على يديها، وأجرت فيها عيونًا من الحل، منها عين المُشاش، واتخذت له بِرَكًا تكوَّن فيه السيول، إذا جاءت تجتمع فيها، ثم أجرت لها عيونًا من حُنَين، واشترت حائط حُنَين، فصرفت عينه إلى البركة وجعلت حائطه سدًّا يجتمع فيه السيل، فصارت لها مكرمة لم تكن لأحد قبلها، وطابت نفسها بالنفقة فيها بما لم تطب به نفس أحد غيرها. انتهى باختصار. وقد ذكرنا ذلك كله فى أصل هذا الكتاب.

وذكر أبو الحسن المسعودى فى تاريخه مقدار ما صرفت زبيدة على هذه العين، لأنه ذكر أن القاهر العباسى سأل محمد بن على العبدى الخُراسانى الأخبارى أن يبسط له فى أخبار زبيدة، فذكر أن لها فى الجد والهزْل ما بَرَّزَتْ به على غيرها، فأما الجد فالآثار الجميلة التى لم يكن فى الإسلام مثلها، مثل حفرها العين المعروفة بعين المُشاش بالحجاز فإنها حفرتها ومهدت الطريق لمائها فى كل خفْض ورفْع وسهل ووعر، حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلاً إلى مكة، وكان جملة ما أنفقت عليها فيما ذكروا قُدِّر بألف ألف وسبعمائة ألف دينار[1]. انتهى باختصار.

وهذه العين فى غالب ظنى عين مكة المعروفة بعين بازان، بباء موحدة وألف ثم زاى معجمة ثم ألف ونون، لأنها من هذه الجهة، وقد عمر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك، منهم المستنصر العباسى غير مرة، منها مرة فى سنة خمس وعشرين وستمائة، ومنها مرة فى سنة أربع وثلاثين وستمائة.

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٣١٧.

ومنهم الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين عن السلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتار، وذلك فى سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائة، ووصلت إلى مكة فى العُشر الأخير من جُمادى الأولى من هذه السنة، وعم نفعها، وعظم، وكان جريانها هذا نعمة من الله تعالى ورحمة منه لأهل مكة، فإن الناس كانوا بمكة فى جهد عظيم لقلة الماء بمكة، وجد والدى لأمه الشيخ دانيال بن على بن يحيى المرستانى، أحد كبار مشيخة العجم بمكة فى جريانها سعى مشكور، أجزل الله له ولمن أعانه على ذلك الثواب فيه، وجملة ما صُرف على هذه العين فى هذه العمارة مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم على ما قيل، وكانت تحتمل من المصروف زيادة على هذا القدر، مثله وأكثر. والسبب فى الاقتصار على القدر المعيَّن الاستغناء به عن غيره بسبب ما وُجد فيها حين عمارتها من القُنى المعمولة المهيأة من قديم الزمان، وهى أكثر من الثلث وأقل من النصف.

وعُمرت بعد ذلك غير مرة فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وهذه العمارة من جهة السيد الشريف حسن بن عجلان نائب السلطنة بمكة والأقطار الحجازية، أعلى الله قدره، وكان دخولها مكة فى آخر العشر الأوسط من جمادى الأولى منها، وجرت جريًا حسنًا بحيث امتلأت منها بركة الماجن بأسفل مكة وتعدى الماء إلى غيرها، وكثر الدعاء له بسبب ذلك لما حصل بها من عظيم النفع، وبيعت منها الراوية بربع مسعودى، بعد أن كانت بدرهمين مسعوديين وأزيد، فلله الحمد والشكر، ثم حصل من جريانها قصور فى آخر السنة، ثم انصلح حالها فى أول سنة اثنتى عشرة وثمانمائة من غير عمل، ثم تغير حالها قليلاً، ثم عُمرت وانصلح حالها كثيرًا [ثم تغير حالها كثيرا][1] فى آخر هذه السنة، ثم جرت جريًا حسنًا فى العُشْر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، وهى مستمرة على جريانها إلى الآن، غير أن الماء يكثر حينًا ويقل حينًا، ونسأل الله تعالى تيسير الخير، والشهاب بركوت المكين، سلمه الله، يحسن فى أمرها، لأنه يقوم بمصالحها من سنة ثلاثة عشرة وثمانمائة إلى تاريخه، وهو سنة سبع عشرة وثمانمائة.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

ثم بعد ذلك قل ماؤها ولقى الناس بمكة شدة بسبب ذلك، وعرف بهذا الأمر مولانا السلطان الأعظم الملك المؤيَّد أبو النصر شيخ صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين، أدام الله تعالى توفيقه وتأييده ونَصْره، فتطوع بألف دينار ذهبًا لعمارة هذه العين، لأنه ما زال بمصالح أهل الحرمين كثير الاهتمام، وقد تكرر منه عليهم الجزيل من الإنعام، وندب القائد علاء الدين لعمارة ذلك فشرع فى العمارة والتنظيف والإصلاح حتى وصل الماء لمكة المشرفة وحصل به النفع، وتضاعفت الأدعية من سكان الحرم لمولانا السلطان بسبب ذلك، وكان حصول هذا الخير بمكة فى شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وابتدأ العمل فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

ثم قل جريان الماء فى العين المذكورة بعد قليل من جريانها الأول، ويسر الله دخول سيل فيها فجرت جريًا أحسن من جريها الأول، وصُرفت إلى بركتى المعلاة اللَّتَيْن على يمين الداخل إلى مكة، فامتلأتا وحصل بهما للحجاج نفع كثير، ولم يبق فيهما بعد سفر الحاج ما فيه كثير نفع، وغلا الماء كثيرًا، وشق ذلك على الناس، فوفق الله تعالى القائد علاء الدين بعمارة العين وبعث إليها عمالاً ومهندسًا يعمرون فيها ما لم يعمروا فى النوبة الأولى، وبعض ما عمر فيها لتجرية السيل، ووصل الماء إلى مكة بعد ذلك فى آخر صفر سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، وكان جرْيه قليلاً، فزادوا فى العمارة حتى كثر جرْى الماء، وعظم النفع به بحيث بيعت الراوية بنصف مسعودى وبما يزيد، وبدرهم، وهذا أكثر مما بيعت به الراوية بعد عمارة العين فى النوبة الثانية، وبلغنى أنها بيعت بجايز[1].

وقد وصل الماء، أى ماء العين، إلى البركة التى بأسفل مكة المعروفة ببركة الماجن خارج باب مكة المعروف بباب الماجن، بعد تنظيف الطريق إليها، وزرعوا بماء العين هناك أودانًا بقرب بركة الماجن، فلله الحمد، وفاز القائد علاء الدين بدعاء جزيل، وكان جريانه القوى فى العمارة الثالثة فى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، فالله تعالى يثيبه ويحسن إليه ويجزيه خيرًا بمحمد وآله أجمعين.

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٥٦٦.

ومن العيون التي أُجريت بمكة عين أجراها الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فى مجرى عين بازان، على ما ذكر البرزالى فى تاريخه، نقلاً عن كتاب العفيف المطرى إليه، لأنه ذكر فى أخبار هذه السنة أنه ورد عليه كتاب من العفيف المطرى فيه أمور:

منها: وأجريت عين أخرى كانت تُعرف بعين جبل ثقبة مما يلى جبل حِراء على مجرى العين الجوبانية، وأُنفق عليها قدر يسير، قدر خمسة آلاف درهم، ووصلت إلى مكة، وخرجت من أسفلها، وكان ذلك على يد ابن هلال الدولة مشد العمائر، وتاريخ كتاب العفيف سلخ ربيع الأول سنة ثمانٍ وعشرين. انتهى.

ومنها: عين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة فى مصر فى سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة، من مِنى إلى بركة السلم بطريق مِنى.

ونختم هذه الترجمة بحكاية عجيبة تتعلق بعين مكة، وهذه الحكاية ألفيتها مذكورة فى الكتاب المسمى «آكام المرجان فى أحكام الجان» ونصها فيه، ونقلت من [خط][1] الشيخ العلامة شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الحنبلى رحمه الله، وحدثنى به أيضًا، قال: وقعت هذه الواقعة بعينها فى مكة سنة أُجرى العين بها، فأخبرنى إمام الحنابلة بمكة، وهو الذى كان أجراها على يده، وتولى مباشرتها بنفسه نجم الدين خليفة بن محمود الكيلانى قال: لما وصلنا فى الحفر إلى موضع ذكره خرج أحد الحفارين من تحت الحفر مضروعًا لا يتكلم، فمكث كذلك طويلاً، فسمعناه يقول: يا مسلمون؛ لا يحل لكم أن تظلمونا، قلت له أنا: وبأى شىء ظلمناكم، قال: نحن سكان هذه الأرض، ولا والله ما فيهم مسلم غيرى وقد تركتهم ورائى مسلسلين، وإلاَّ كنتم لقيتم منهم شرًّا؛ وقد أرسلونى إليكم يقولون: لا ندعكم تمرون، فهذا الماء فى أرضنا حتى تبذلوا لنا حقنا، قلت: وما حقكم، قال: تأخذون ثورًا فتزينونه بأعظم زينة، وتلبسونه وتزفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به إلى هنا، فاذبحوه ثم اطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه فى بئر عبد

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

الصمد وشأنكم بباقيه، وإلاَّ فلا ندع الماء يجرى فى هذه الأرض أبدًا، قلت له: نعم أفعل ذلك، قال: وإذا بالرجل قد أفاق فمسح وجهه وعينيه ويقول: لا إله إلا الله، أين أنا، قال: وقام الرجل ليس به قلبه، فذهبت إلى بيتى، فلما أصبحت ونزلت أريد المسجد إذا برجل على الباب لا أعرفه؛ فقال لى الحاج خليفة هاهنا، قلت: وما تريد به؟ قال: حاجة أقولها له، قلت له: قل لى الحاجة وأنا أبلغها إياه فإنه مشغول، قال لى: قل له إنى رأيت البارحة فى النوم ثورًا عظيمًا قد زينوه بأنواع الحُلىِّ واللباس، وجاءوا يزفونه حتى مروا به على دار الخليفة فوقفوه إلى أن أُخرج وراءه، وقال: نعم، هو هذا، ثم أقبل به يسوقه والناس خلفه يزفونه حتى خرج به من مكة، فذبحوه وألقوا رأسه وأطرافه فى بئر، قال: فعجبت من منامه وحكيت الواقعة والمنام لأهل مكة وكبرائهم، فاشتروا ثورًا وزينوه وألبسوه، وخرجنا به نزفه حتى انتهينا إلى موضع الحفر، فذبحناه وألقينا رأسه وأطرافه ودمه فى البئر التى سماها، قال: ولما كنا قد وصلنا إلى ذلك الموضع كان الماء يفور ولا ندرى أين يذهب أصلاً، ولا نرى له عينًا ولا أثرًا، قال: فما إلاَّ أنْ طرحنا ذلك فى البئر، حتى كان من أخذ بيدى وأوقفنى على مكان وقال: احفروا هاهنا، فحفرنا، فإذا بالماء يموج فى ذلك الموضع، وإذا طريق منقورة فى الجبل يمر تحتها الفارس بفرسه فأصلحناها ونظفناها فجرى الماء فيها نسمع هديره، فلم يكن إلاَّ نحو أربعة أيام، وإذا بالماء بمكة وأخبرنا من حول البئر أنهم لم يكونوا يُعرفون فى البئر ما يريدونه، فما هو إلاَّ أن امتلأت وصارت موردًا. انتهى.

والشيخ شمس الدين الحنبلى المذكور فى هذه الحكاية، هو ابن قيم الجَوْزِية، وقال بعد ذكرها: وهذا الرجل الذى أخبر بهذه الحكاية كنت نزيله وجاره، وخَبِرْتُه فرأيته من أصدق الناس، وأبْيَنِهم وأعظمهم أمانة، وأهل البلد كلمتهم واحدة على صِدْقه ودينه، وشاهدوا هذه الواقعة بعيونهم. انتهى.

وبئر عبدِ الصمد المذكور فى هذه الحكاية لا تُعرف الآن، والعين المشار إليها عين بازان، ويغلب على ظنى أن الماء جرى فيها لما عمرها أصحاب جوبان، والله أعلم.

ذكر المطاهر التى بمكة

بمكة مطاهر أعظمها نفعًا:

مطهرة الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر عند باب بنى شيبة، وكان اشترى موضعها من الشريفين عُطَيْفَة ورُمَيْثة ابنى أبى نمى أميرى مكة نيابة عنه بخمسة وعشرين ألف درهم، وكانت عمارتها فى سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وفيها وُقفت.

ومنها: مطهرة الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر عند باب الحَزْوَرَة، وأظن أنه عمرها فى سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة والله أعلم، وهى الآن معطلة.

ومنها: مطهرة الأمير صرغتمش الناصرى أحد كبار الأمراء فى دولة الملك الناصر حسين: بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى فيما بين البيمارستان المستنصرى ورباط أم الخليفة، وتاريخ عمارتها سنة تسعٍ وخمسين وسبعمائة، ثم عمرها فى عصرنا بعض تجار الشام وأدارها فى سنة ثمانٍ وثمانمائة أو فى التى بعدها، عُمرت فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة من وصية أوصى بها بعض تجار العجم وأديرت فيها.

ومنها: مطهرة الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بالمسعى قبالة باب المسجد الحرام المعروف بباب على، وكان المتولى على عمارتها الأمير أبو بكر بن سنقر الجمالى فى سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة، وللأشرف عليها وقف بمكة ربع فوقها ودكاكين ووقف بضواحى القاهرة.

ومنها: مطهرة خلفها للنسوة، عمرتها أم سليمان المتصوفة صاحبة الزاوية بسوق الليل، وفُرغ من عمارتها فى سنة ستٍّ وتسعين وسبعمائة.

ومنها: مطهرة الأمير زين الدين بركة العثمانى رأس النُّوَب بالقاهرة، وخشداش الملك الظاهر صاحب مصر، وهى التى بسوق العطارين الذى يقال له: سوق النداء عند باب بنى شيبة، وكان إنشاؤها وإنشاء رَبْعها ودكاكينها فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة.

ومنها: مطهرة تُنسب إلى الأمير أَلْطُنْبُغَا المعروف بالطويل، أحد الأمراء المقدمين بالقاهرة فى أوائل عُشْر السبعين وسبعمائة، وأظنها عُمرت فى هذا التاريخ، وهى بقرب الموضع المعروف بخرابة قريش، وبينهما الطريق إلى باب الشبيكة وإلى السويقة، وغير ذلك.

ومنها: مطهرة عند باب الحَزْوَرَة يقال لها مطهرة الواسطى، وما عرفت الواسطى المنسوبة إليه ولا متى وُقفت.

تم الجزء الأول من هذا الكتاب بختام هذا الباب

ويليه الجزء الثانى وأوله الباب الرابع والعشرون

فى ذكر شىء من خبر بنى المحض بن جندل ملوك مكة

شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام

تأليف

الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد الفاسي

(٧٥٥-٨٣٢ هـ)

تحقيق

الدكتور علي عمر

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الفاسي، محمد بن أحمد بن علي محمد، ١٣٧٣-١٤٢٩
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام/ تأليف الحافظ ابن الطيب تقي الدين محمد الفاسي، تحقيق علي عمر
ـ ط ١ ـ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
٢مج: ٢٤ سم
تدمك: 977-341-367-5 (مج ٢)
أ ـ مكة المكرمة ـ تاريخ
أ ـ عمر، علي (محقق)
ب ـ العنوان
ديوي: ٩٥٣,١٢١

رقم الإيداع: ٢٠٢٨٣/ ٢٠٠٧

مقابلة على نسخة خطية قديمة
غير التي روجعت عليها الطبعات السابقة
ومضاف إليها تعليقات وهوامش جديدة

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر شيء من خبر بنى المحض بن جندل
ملوك مكة
وذكر شيء من أخبار العماليق
ملوك مكة، وذكر ولاية طسم للبيت الحرام

ذكر شيء من خبر بني المحض بن جندل ونسبهم

قال المسعودى فى تاريخه: «وقد تنازع أهل الشرائع فى قوم شعيب بن تويل[١] بن رغويل[٢] بن مَدْيَن بن عيفا بن مَدْيَن بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان لسانه العربية، فمنهم[٣] من رأى أنهم من العرب الدّاثرة[٤] والأمم البائدة، وبعض من ذكرنا من الأجيال الخالية، ومنهم من رأى أنه من ولد المحض ابن جندل بن يعصب بن مَدْيَن بن إبراهيم الخليل، وإن شعيبًا أخوهم فى النَّسب، وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا فى ممالك متصلة ومنفصلة، فمنهم المسمى: بأبى جاد، وهَوَّز، وحُطى، وكَلَمُن، وَسَعْفَصْ، وقرشَت، وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل.

وأحرف الجُمَّل هى أسماء هذه الملوك، وهى الأربعة والعشرون حرفًا التى عليها حساب الجُمَّل.

ثم قال المسعودى: فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز، وكان هَوز وحُطى مَلكين ببلاد وَجٍّ، وهى أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد، وكَلَمُن وَسَعْفَصْ وقرشَتْ ملوكًا بمَدْيَن، وقيل ببلاد مصر، وكان كَلَمُنْ على مُلْك مَدْيَن، ومن الناس من رأى أنه كان ملك جميع من سَمينا مُشاعًا متصلاً على ما ذكرنا، وأن عذاب يوم الظُّلَّة كان فى ملك كَلَمُن.

ثم قال المسعودى: وقد ذكرهم المنتصر بن المنذر المُزَنى بأبيات يقول فيها:

---

(١) كذا فى الأصل، ومثله لدى المسعودى ٢/ ١٤٨ الذى ينقل عنه المصنف، وفى طبعة تدمرى: «تويد» وفى طبعة الذهبى: «نويل».

(٢) كذا فى الأصل، ولدى المسعودى الذى ينقل عنه المصنف: «رعويل» وفى طبعة الذهبى: «عوائيل».

(٣) فى المطبوعتين: «منهم» والمثبت رواية الأصل، ومثلها لدى المسعودى الذى ينقل عنه المصنف.

(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الدائرة» بالهمزة، وصوابه من الأصل والمسعودى.

ملوك بنى حُطّى وَسَعْفَصَ ذى النَّدَى
وهوَّز أرباب البنية[١] والحجر
وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها
كمثل شعاع الشمس أو صورة البدر

ولهذه الملوك أخبار عجيبة. انتهى باختصار.

ذِكْر شىء من أخبار العماليق ملوك مكة ونسبهم

أما نسبهم فذكره غير واحد من أهل الأخبار، منهم ابن إسحاق، لأنه قال فى سيرته لتهذيب ابن هشام: وطَسْم، وعملاق، وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عرب كلهم. انتهى.

وقال الزبير بن بكار فيما نقله عن ابن عبد البر: طَسْم، وأميم [وعمليق][٢] بنو لاوذ بن سام بن نوح. انتهى.

وعمليق الذى ذكره الزبير بن بكار هو عملاق الذى ذكره ابن إسحاق، لأن ابن هشام قال بعد ذكْره لخبر فيه ذِكر العماليق: وهم ولد عملاق، ويقال عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح. انتهى.

ويتحصل مما قالوه أن والد عملاق يقال له لوذ ولاوذ، وسقط فيما ذكروه من نسب عملاق إرَم بين لاوذ وسام بن نوح على ما ذكره [المسعودى][٣] فى غير موضع من تاريخه، لأنه قال لما ذكر ديانات العرب وآراءها فى الجاهلية وتفرُّقها فى البلاد: وسار بعد جديس عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن اتبعه، وهو يقول بعد أن ذكر شعرًا: فنـــزل هؤلاء فى الحرم والتهائم، ومنهم من صار إلى بلاد مصر والمغرب.

---

(١) فى طبعة تدمرى: «السنية» وفى طبعة الذهبى: «الثنية» والمثبت رواية الأصل، ومثلـــها لـــدى المسعودى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

(٣) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وقال المسعودى لما ذكر أخبار نوح عليه السلام ما يوافق ذلك أيضًا[١].

وذكر المسعودى فى موطن آخر ما يقتضى سقوط إرم فى نسب عملاق، ولا منافاة بين من أثبته فى النسب وبين من أسقطه، لأن من أثبته ذكر النسب على وجهه، ومن أسقطه نسب بنى لاوذ لجدهم سام، لأنه يجوز أن ينسب الإنسان إلى أبيه وإلى جده، كما قال النبى ﷺ:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، وقد قيل: إن العماليق من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، ذكر هذا القول المسعودى فى تاريخه فى غير موضع، لأنه قال لما ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت الحرام ومن تداوله من جُرْهُم وغيرها: وقد كانت العماليق بَغَتْ فى الأرض، فسلط عليهم ملوك الأرض فأفنتها، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكر الروم وأنسابهم من ألحق [ولد][٢] عملاق وغيرهم ممن ذكر بولد عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وأن علماء العرب تنسبهم إلى غير ذلك وهو الأشهر فى الناس[٣] وذكر فى باب أخبار الروم ما يقتضى أن العماليق عند من قال فى نسبهم هذه المقالة: من ولد اليعاز بن عيصو، وأن عيصو هو العيص بن إسحاق[٤].

وروينا فى تاريخ الأزرقى خبرًا عن ابن عباس رضى الله عنهما، فيه ما يقتضى أن العماليق من حِمْيَر[٥] وروينا فى تاريخ الأزرقى مثله عن عبد الله بن خيثم، وسنذكر هذين الخبرين فيما بعد، وفى كون العماليق من حِمْير نَظَرٌ، لأن العماليق من ولد إرم بن سام بن نوح، على ما ذكر المسعودى، وحِمْير من ولد أرفخشد ابن سام بن نوح، وهو حِمْيَر بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، واسمه

---

(١) مروج الذهب ٢/ ١٣٤.
(٢) زيادة عن مروج الذهب.
(٣) مروج الذهب ٢/ ٥٢.
(٤) مروج الذهب ١/ ٣٠٨.
(٥) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٨٩.

يَقْطن على ما قال الحازمى فى العجالة[١]: ابن عابَر، ويقال: عبر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَد بن سَام بن نُوح، هذا مقتضى ما نسبه ابن إسحاق فى نسب حمْيَر، وذكر أن اسم أبيه سبأ: عبد شمس، قال: وإنما سُمِّي سبأ لأنه أول من سَبَى فى العرب[٢]. انتهى.

وقد اتضح مما ذكرناه نسب العماليق وشىء من خبرهم، ونُتْبِع ذلك بشىء من خبرهم.

قال الفاكهى: حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى العائذى قال: حدثنا سعيد ابن سالم القداح قال: قال عثمان بن ساج: أخبرنا محمد بن إسحاق قال: كان البيت فى زمن هود معروفًا، والحرم قائم فيما يذكرون، والله أعلم، وأهل مكة يومئذ العماليق، وإنما سُمُّوا العماليق لأن أباهم عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكان سيد العماليق فيما يزعمون يومئذ رجل يقال له: بكر بن معاوية، وهو الذى نزل عليه وفد عامر حين بعثوا إلى مكة يستسقون[٣].

قال الفاكهى: وحدثنا محمد بن على المَرْوَزى قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سَلَمَة بن الفضل قال: قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصن عن عُرْوَة بن الزبَير، قال: كانت الحجاز أسحر أرض الله وأكثرها ماء، وإنما كانت الخرق مظلة عليها، قال: يقول عُرْوة: لقد بلغنى أن العماليق تسرح بها فى الغداة الواحدة ألفي ناضح، بين أحمر وجون[٤]. انتهى.

وروى الفاكهى بسنده إلى أبى الجهم بن حُذَيفة أخبارًا فيها ذِكْر شىء من حال العماليق، فنذكر ما فيها من ذلك:

ففى بعضها أن جبريل عليه السلام كان لا يمر بقرية إلاَّ قال له إبراهيم: بهذه أُمِرْتَ يا جبريل؟ فيقول له جبريل: لا، حتى مر به على مكة، وهى إذ ذاك عِضاه وسلم،

---

(١) عجالة المبتدى للحازمى ـــ ص ٨٣.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٠.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٧.
(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٨.

والعماليق يومئذ حول الحرم،، وهم يكونون بعُرَنَة، وهم أول من نزل حول مكة، وكانت المياه يومئذ قليلة[١].

وفى بعض الأخبار بعد أن ذكر إخراج الله الماء لإسماعيل: وأقبل غلامان من العماليق يريدان أن يغيِّرا من ظمئهما، فقد عطشا وأهلهما بعُرَنَة، فنظرا إلى طير يهوى قِبَل الكعبة فاستنكرا ذلك، ثم قال بعد أن ذكر استدلالهما على الماء بالطير: فاتبعا الواردة منها حتى وقفا على أبى قبيس، فنظرا إلى الماء وإلى العريش، فنزلا وكلَّما هاجر، وسألاها متى نزلت؟ فأخبرتهما، وقالا: لمن هذا الماء فقالت: لى ولبنى، فقالا: من حفره؟ فقالت: سقيا الله، فعرفا أن أحدًا لا يقدر أن يحفر هناك ماء، وعهدها هاهنا بالسكنى قريب، وليس به ماء، فرجعا إلى أهلهما من ليلتهما، وأخبراهم، فتحولوا حتى نزلت معهما على الماء، وأَنِسَتْ بهم ومعهم الذرية، ونشأ إسماعيل مع ولدانهم.

وكان إبراهيم يزور هاجر فى كل شهر على البراق، يغدو غدوة فيأتى مكة، ثم يرجع، فيقيل فى منـــزله بالشام، ونظر من هنالك من العماليق وإلى كثرتهم، وعمارة الماء، فسر بذلك وقرت به عينه.

وكانت العماليق وُلاة الحكم بمكة، فضيعوا حرمة البيت[٢] واستحلوا منه أمورًا عظامًا، ونالوا ما لم يكونوا ينالون، فقام فيهم رجل يقال له: عموق فقال: يا قوم أبْقُوا على أنفسكم ولا تفعلوا المُنْكَر، تواصلوا، ولا تستخفُّوا بحرم الله وبيته، فلم يقبلوا ذلك، وتمادوا فى هَلَكَة أنفسهم، وفيه: فكثُر العماليق، فنازعوهم يعنى جُرْهُمًا وقطورًا، فنفوهم وأخرجوهم من الحرم كله، فكانوا فى أطراف الحرم لا يدخلون الحرم، فقال لهم صاحبهم عملوق: ألم أقل لكم لا تستخفُّوا بحرمة البيت، ولا تنتهكوا به، ولا تتجبروا فغلبتمونى[٣]. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٨.

(٢) فى طبعة تدمرى: «الحرم» والمثبت رواية الأصل.

(٣) الأزرقى ٢/ ٨٤.

وذكر الأزرقي شيئًا من خبر العماليق، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم قال: حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء عن ابن عباس أنه كان بمكة حي يقال لهم العماليق، فكانوا في عزة وكثرة وثروة، وكانت لهم أموال كثيرة من خيل وإبل وماشية، وكانت ترعى بمكة وما حولها من مَرٍّ ونُعْمان، وما حول ذلك، وكانت الخِرَقُ عليهم مُظِلَّة، والأربعة مغدقة والأودية تنسال، والعضاة ملتفة، والأرض مبقلة، فكانوا في عيش رخي، فلم يزل بهم البغي والإسراف على أنفسهم، والإلحاد بالظلم، وإظهار المعاصي والاضطهاد لمن قاربهم، ولم يقابلوا ما أوتوا بشكر الله حتى سلبهم الله تعالى ذلك، فبغضهم بحبس المطر عنهم وتسليط الجدْب عليهم، وكانوا يُكْرون بمكة الظل ويبيعون الماء، فأخرجهم الله تعالى من مكة بالذَّرِّ، سلطه الله عليهم حتى خرجوا من الحرم، فكانوا حوله، ثم ساقهم الله بالجدْب يضع الغيث أمامهم ويسوقهم بالجدْب، حتى ألحقهم بمساقط رءوس آبائهم، وكانوا قومًا عُرْبًا من حِمْيَر، فلما دخلوا بلاد اليمن تفرقوا وهلكوا، فأبدل الله عز وجل الحرم بعدهم بجُرْهُم، فكانوا سكانه، حتى بغوا فيه واستخفوا بحقه، فأهلكهم الله عز وجل جميعًا[١].

قال الأزرقي: وحدثني جدي، وإبراهيم بن محمد الشافعي قالا: حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن خيثم قال: كان بمكة حي يقال لهم العماليق، فأحدثوا فيها أحداثًا، فجعل الله تعالى يقودهم بالغيث ويسوقهم بالسنة، يضع الغيث أمامهم فيذهبون ليرجعوا، فلا يجدون شيئًا، فيتبعون الغيث، حتى ألحقهم الله بمساقط رءوس آبائهم، وكانوا من حِمْيَر، ثم بعث الله عز وجل عليهم الطوفان، قال أبو خالد الزنجي فقلت لابن خيثم: وما الطوفان؟ قال: الموت[٢]. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٨٩، ٩٠.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٨٩.

وهذان الجدان هما اللذان أشرنا إلى أنهما يقتضيان أن العماليق من حمْيَر، وليس فيهما ما يشعر بأن أحدًا من الناس أخرجهم من مكة قهرًا، وقد ذكر الأزرقى خبرًا يقتضى أن جُرْهُمًا وقطورًا أخرجوا العماليق من مكة[١].

وسيأتى هذا الخبر فى أخبار جُرْهُم، وما ذكرناه عن الفاكهى يقتضى ذلك أيضًا، والله أعلم بالصواب، وسيأتى فى أخبار جُرْهُمْ ما يقتضى أن العماليق كانوا وُلُوا مكة حينًا مع جُرْهُم، ولا معارضة بين هذا الخبر وبين الخبر الذى يقتضى أن العماليق كانوا وُلاة مكة قبل جُرْهُمْ، لأنه يجوز أن يكون طائفة من العماليق وُلُوا مكة قبل جُرْهُم، وطائفة من العماليق غير الأولين وُلُوا مكة مع جُرْهُم، والله أعلم.

ووقع فى خبرٍ ذكره الفاكهى ما يوهم أن العماليق كانوا بعد جُرْهُم، قال: وحدثنا حسين بن حسن قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال: حدثنا موسى بن أعين عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن خالد بن عمر عن على بن أبى طالب قال: أول من بنى البيت إبراهيم، ثم هُدِم، فبنته جُرْهُم، ثم هُدِم البيت، فبنته العماليق، ثم هُدِم فبنته قريش. انتهى.

ووقع فى الخبر الذى رويناه عن ابن عباس فى أخبار العماليق أن أموالهم كانت ترعى بمكة وما حولها من مَر ونَعمان، فأما مَر البيت وما حواليه فهو من الظَّهْران الذي تسميه أهل مكة الوادى، ويقال له أيضًا: وادى مَر، وقد ذكر السُّهَيْلى خلافًا فى سبب تسميته بمَر فقال: وسُمى مَرًا [لأن فى عرق من الوادى من غير لون الأرض، شبه الميم الممدودة وبعدها راء خلقت كذلك، قال: ويذكر عن كثير أنه قال سميت مرا][٢] لمرارتها، ولا أدرى ما صحة هذا. انتهى كلام السهيلى.

ونقل الحازمى عن الكندى: إن مَرًّا اسم للقرية، والظَّهران اسم للوادى. انتهى. وبين مَر ومكة ستة عشر ميلاً، على ما قال البكرى، وقيل: ثمانية عشر ميلاً، وقيل: أحد وعشرين، حكاه ابن وضاح، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٨٥.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

وأما نَعمان المشار إليه فهو موضع مشهور فوق عرفة على طريق الطائف من عرفة، وفيه مزارع حسنة، والشعراء تذكره فى شعرها، وهو بفتح النون الأولى، وفيه أخَذَ الله الميثاقَ على ذرية آدم، لأن ابن الأثير فى كامله قال: روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنَعمان من عرفة، ثم قال ابن الأثير: نَعمان بفتح النون الأولى. انتهى.

ذكر ولاية طَسْم للبيت الحرام

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم قال: حدثنا مهدى بن أبى المهدى قال: حدثنا عبد الله بن مُعَاذ الصنعانى عن مَعْمَر عن قتادة قال: إن عمر بن الخطاب قال لقريش إنه كان وُلاة هذا البيت قبلكم طَسْم، فاستخفوا بحقه، واستحلوا حُرْمته، فأهلكهم الله، ثم وَلِيَته بعدهم جُرْهُم فاستخفُّوا بحقه واستحلُّوا حُرْمَتَه، فأهلكهم الله، فلا تهاونوا به وعظِّموا حُرْمَتَه. انتهى.

وطَسْم أخو عملاق، وقد سبق نسبه فأغنى عن إعادته.

الباب الخامس والعشرون

في ذكر شيء من خبر جرهم، وولاة مكة، ونسبهم
وذكر من ملك مكة من جرهم ومدة ملكهم لها

وذكر من أخرج جرهما من مكة
وكيفية خروجهم منها... وغير ذلك من خبرهم

ذكر نسبهم

أما نسبهم فإنهم من ولد جُرْهُم بن يَقْطَن بن عَيْبَر بن شاخ بن الزمخشر بن سام بن نوح، هذا مقتضى ما ذكره ابن إسحاق فى سيرته وابن هشام فى نسب جُرْهُم.

وذكر ابن هشام أن جُرْهُمًا هو ابن قحطان، قال: وقحطان أبو اليمن كلها، وإليه يجتمع، نسبها ابن غابر بن شاخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[1]. انتهى.

وقيل: إن جُرْهُمًا ابن ملك من الملائكة، وهذا يروى عن ابن عباس، رواه عنه الفاكهى فى تاريخه، لأنه قال: وحدثنى حسن بن حسين أبو سعيد قال: حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبى عن أبى المقوم الأنصارى، واسمه يحيى بن ثعلبة، عن الكلبى عن أبى صالح قال: كنا عند ابن عباس فذكرنا جُرْهُمًا، فقال ابن عباس: كان المَلَك من الملائكة إذا أذنب ذنبًا عظيمًا أُهبط إلى الهوى، ونُزعت منه روحانية الملائكة وجُعل فى خلق ابن آدم، فأذنب مَلَك من الملائكة يقال له عرعرا، أو نحوها، ذنبًا فكان فى الهوى، ثم هبط مكة، فتزوج امرأة من العماليق فولدت له جُرْهُمًا، فذلك قول الحارث بن مضاض الجُرْهُمى:

اللهم إن جُرْهُمًا عبادك ... الناس طُرْفٌ وهم قلادك[2]

انتهى.

وشعر الحارث فى هذا المعنى طويل، ذكره الفاكهى وسيأتى ذلك.

وقد أنكر السهيلى هذا الخبر لأنه قال: وجُرْهُم هو الذى تتحدث به العرب فى أكاذيبها، وكان من خرافاتها فى الجاهلية أن جُرْهُمًا ابن ملك أُهبط من السماء لذنب أصابه، فغضب عليه من أجله، كما أُهبط هاروت وماروت، ثم أُلقيت فيه الشهوة، فتزوج امرأة، فولدت له جُرْهُمًا، وقال فيه قائلهم:

لاَهُمّ[3] إن جُرْهُمًا عبادكا ... الناس[4] طرف وهُمْ تِلاَدُكَا

---

(١) ابن هشام ١/ ٥

(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٩.

(٣) فى المطبوعتين: «اللهم» والمثبت رواية الأصل، ومثلها لدى السهيلى.

(٤) فى طبعة تدمرى: «القوم» والمثبت رواية الأصل، ومثلها لدى السهيلى ١/ ٢٢٠.

ثم قال: من كتاب [الأمثال][(١)] للأصبهاني. انتهى.

وقال: وقد قيل إنه كان مع نوح في السفينة وذلك أنه من ولده. انتهى.

ولم يبين السهيلي قائل هذه المقالة، وقد بين ذلك الفاكهي في كتاب «أخبار مكة» لأنه روى فيه ذلك عن ابن عباس أنه قال: كان في السفينة ثمانون إنسانًا وفيهم جُرْهُم. انتهى.

وذكر السهيلي اختلافًا في نسب قحطان الذي يُنسب إليه جُرْهُم، وفوائد تتعلق بقحطان، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، ونص كلامه: أما قحطان فاسمه مهْزَم[(٢)] [فيما ذكر ابن ماكولا][(٣)] وكانوا أربعة إخوة فيما رُوى عن ابن منبه: قَحطان وقاحط ومقْحَط وفالغ، وقحطان أول من قيل له: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، وأول من قيل له: عِمْ صباحًا، واختُلف فيه فقيل: هو ابن غابر بن شالخ، وقيل: هو ابن عبد الله أخو هود، وقيل: هو هود نفسه، فهو على هذا القول ابن إرم بن سام، ومن جعل العرب كلها من إسماعيل قالوا فيه: هو ابن تَيْمَنَ بن قيذار بن إسماعيل، ويقال له: هو ابن الهميسع بن يَمَن.

ثم قال: وقال ابن هشام: يَمن هو يَعْرُب بن قحطان[(٤)]، ثم قال الإمام السهيلي: وقد احتجوا لهذا القول، أعنى أن قحطان من ولد إسماعيل، بقول النبى ﷺ: «ارموا يا بنى إسماعيل فإنَّ أباكم كان راميًا» قال هذا القول لقوم من أسلم ابن أفْصَى[(٥)] وأسلم أخو خزاعة، وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولا صحة عندى في هذا الحديث [لأهل هذا القول][(٦)] لأن اليمن لو كانت من إسماعيل مع أن عدنان كلها من

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل والسهيلى ١/ ٢٢٠ الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) تحرف فى طبعة الذهبى إلى «مهرم» بالراء المهملة.

(٣) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل والسهيلى ١/ ٤٥.

(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يمن هو ابن يعرب» وصوابه من الأصل والسهيلى ١/ ٤٥ الذى ينقل عنه المصنف.

(٥) تحرف فى المطبوعتين إلى: «لقوم من أسلم بن قصى» وصوابه من الأصل، ومثله لدى السهيلى ١/ ٤٥، الذى ينقل عنه المصنف.

(٦) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل والسهيلى ١/ ٤٥، الذى ينقل عنه المصنف.

إسماعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنًى، لأن غيرهم من العرب أيضًا أبوهم إسماعيل، ولكن فى الحديث دليل ــ والله أعلم ــ على أن خزاعة من بنى قَمَعَة[1] أخى مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر. انتهى.

وقد اختُلف فى نسب قحطان المنسوب إليه جُرْهُم اختلافًا كثيرًا:

فقال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة فيما رواه عنه ابن عبد البر: اختلف النسابون جميعًا فى نسبة قحطان على ثلاثة مقالات، تعرف أهل كل مقالة منها على ثلاثة مقالات، فنسبته طائفة إلى إرم بن سام بن نوح، وقالت فيه ثلاث مقالات، ونسبته طائفة إلى غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وقالت فيه ثلاث مقالات، ونَسَبَتْه إلى إسماعيل بن إبراهيم، وقالت فيه ثلاث مقالات. انتهى.

وقد بان بما ذكرناه فى هذه الترجمة من نسب جُرْهُم وقحطان شىء من خبرهما.

ذكر مَن ملك مكة من جُرْهُم ومدة ملكهم لها وما وقع فى نسبهم من الخلاف وفوائد تتعلق بذلك

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم قال: حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن إسحاق... فذكر شيئًا من خبر إسماعيل ابن إبراهيم وبنى إسماعيل، ثم قال: «ثم توفى نابت بن إسماعيل، فولى بعده مضاض ابن عمرو الجُرْهُمى، وهو جد ثابت بن إسماعيل أبو أمه، وضم بنى نابت بن إسماعيل وبنى إسماعيل إليه، وصاروا مع جدهم أبى أمهم مضاض بن عمرو ومع أخوالهم من جُرْهُم، وجُرْهم وقطورًا يومئذ أهل مكة، وعلى جُرْهُم مضاض بن عمرو ملكًا عليهم، وكانا حين ظعنا من اليمن أقبلا سيارة، وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم، فلما نزلا مكة رأيا بلدًا طيبًا وإذا ماء،

(١) فى المطبوعتين: «من بنى صمّة» وصوابه من الأصل والسهيلى ١/ ٤٦، الذى ينقل عنه المصنف.

وشجرًا، فأعجبهما فنـزلا به، فنـزل مضاض بن عمرو بمن معه من جُرْهُم أعلى مكة وقُعَيْقِعَان، فحاز ذلك ونزل السَّميدَع أجياد وأسفل مكة، فما حاز ذلك[١].

وكان مضاض بن عمرو يُعَشِّرُ[٢] من دخل مكة من أعلاها، وكان السَّميدَع يعشر من دخل مكة من أسفلها ومن كُدَى، وكُلٌّ فى قومه على حياله، لا يدخل واحد منهما على صاحبه فى ملكه[٣].

ثم إن جُرْهُمًا وقطورًا بغى بعضهم على بعض وتنافسوا المُلْكَ بها، فاقتتلوا بها حتى نشبت الحرب أو شبت الحرب بينهم على المُلْك، وولاة الأمر بمكة مع مضاض بن عمرو بنو نابت بن إسماعيل، وبنو إسماعيل وإليه ولاية البيت دون السَّميدَع، فلم يزل البغى حتى سار بعضهم إلى بعض فخرج مضاض بن عمرو من قُعَيْقِعَان فى كتيبة سائرًا إلى السَّميدَع، ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب معه، ويقال: ما سميت قعيقعان إلا بذلك، وخرج السَّميدَع بقطورا من أجياد ومعه الخيل والرجال، ويقال: ما سُمى أجياد إلا بخروج الخيل الجياد مع السَّميدَع حتى التقوا بفاضح فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقُتِل السَّميدَع وفضحت قطورا، ويقال: ما سُمى فاضح فاضحًا إلا بذلك[٤].

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ، شعبًا بأعلى مكة، يقال له: شعْب عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، واصطلحوا بذلك الشِّعْب، فأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو، فلما جمع أمر مكة وصار ملكها له دون السَّميدَع، نحر للناس وأطعمهم وطبخ الناس وأكلوا فيقال: ما سُمى الطابخ طابخًا إلا بذلك.

قال: وكان الذى بين مضاض بن عمرو والسَّمَيْدَع أول بغىٍ كان بمكة فيما يزعمون، فقال مضاض بن عمرو الجُرْهُمى فى تلك الحرب يذكر السَّميدَع وقتله وبغيه والتماسه ما ليسه له[٥]:

---

(١) الأزرقى ١/ ٨٠ فما بعدها.
(٢) عَشَّرَ المال: أخذ عُشْرَه.
(٣) الأزرقى ١/ ٨٢.
(٤) الأزرقى ١/ ٨٢.
(٥) الأزرقى ١/ ٨٣.

ونحن قتلنا سيد الحى عَنْوَةً فأصبح فيها وهو حَيْران موجَعُ
وما كان يبغى أن يكون سواءنا بها ملكا حتىّ أتانا السميدعُ
فذاق وبالاً حين حاول مُلْكَنا وعالج منا غصة تتجرعُ
فنحن عمرنا البيتَ كنا وُلاته نُدافع عنه مَن أتانا وندفعُ
ومن كان يبغى أن يلى ذاك غيرنا ولم يك حى قبلنا ثم يمنعُ
وكنا ملوكًا فى الدهور التى مضت ورثنا ملوكًا لا ترام فتوضعُ

قال ابن إسحاق: وقد زعم بعض أهل العلم أنها سُميت المطابخ[١] لما كان تُبَّع نحر فيها وأطعم بها وكانت منــزلة[٢].

ثم نشر الله عز وجل بنى إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جُرْهُم إذ ذاك الحكام بمكة ووُلاة البيت كانوا كذلك، ومعهم نابت بن إسماعيل، فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا فى الأرض وابتغوا المعاش والتفسح فى الأرض، فلا يأتون قومًا ولا ينــزلون بلدًا إلا أظهرهم الله تعالى عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها، حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العماليق ومَن كان ساكنًا بلادهم التى كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم، وجُرْهُم على ذلك بمكة وُلاة البيت لا تنازعهم إياه بنو إسماعيل لخئولتهم وقرابتهم وإعظام الحرم أن يكون به بغى أو قتال[٣].

حدثنى بعض أهل العلم قال: كانت العمالقة وهم ولاة الحكم بمكة، فضيعوا حُرْمَة البيت الحرام واستحلوا فيه أمورًا عظامًا، ونالوا ما لم يكونوا ينالون؛ فقام رجل منهم يقال له عموق، فقال: يا قومِ أبقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم خبر من هلك من صدر الأمم قبلكم: قوم هود وصالح وشعيب، فلا تفعلوا المنكر وتواصلوا، ولا تستخفوا بحرم الله وموضع بيته، وإياكم والظلم والإلحاد فيه، فإنه

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الطابخ» وصوابه من الأصل.
(٢) فى طبعة تدمرى إلى: «منــزلة» والمثبت رواية الأصل وابن هشام ١/ ١١٣، الذى ينقل عنه المصنف.
(٣) الأزرقى ١/ ٨٤.

ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد إلا قطع دابرهم واستأصل شأفتهم وبدل أرضها غيرهم، حتى لا يبقى لهم باقية، فلم يقبلوا ذلك منه، وتمادوا فى هلكة أنفسهم؛ قالوا: ثم إن جُرْهُمًا وقطورًا خرجوا سيارةً من اليمن، وأجدبت بلادهم عليهم، فساروا بذراريهم ونعمهم وأموالهم، وقالوا: نطلب [مكانا فيه] مرعى تسمن فيه ماشيتنا، فإن أعجبنا أقمنا فيه، فإن كل بلاد نزل بها أحد ومعه ذريته وماله فهى وطنه، وإلا رجعنا إلى بلادنا، فلما قدموا مكة وجدوا فيها ماءً معينًا وعضاهًا ملتفة من سلم، وسمر، ونبات يسمن مواشيهم وسَعةً من البلاد، ووقاء من البرد فى الشتاء، وقالوا: إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد، وأقاموا مع العماليق(١).

وكان لا يخرج من اليمن قوم إلا ولهم مَلِك يقيم أمرهم، وكان ذلك سُنَّة فيهم، ولو كانوا نفرًا يسيرًا، فلما كان مضاض بن عمرو مَلِك جُرْهُم والمطاع فيهم، وكان السَّميدَع ملك قطورا فنـــزل مضاض بن عمرو أعلى مكة فكان يُعَشر كل من دخلها من أعلاها، وكان حوزهم وجه الكعبة والركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعدًا يمينًا وشمالاً، وقُعَيْقعَان إلى أعلى الوادى، ونزل السميدَع أسفل مكة وأجيادين، فكان يُعَشر من دخل مكة من أسفلها، وكان حَوْزُهم المسفلة ظَهْر الكعبة والركن اليمانى والغربى وأجيادين والثنية إلى الرمضة، فبنيا فيها البيوت واتسعا فى المنازل وكثروا على العماليق، فنازعهم العماليق فمنعتهم جُرْهُم وأخرجوهم من الحرم كله، فكانوا فى أطرافه لا يدخلونه، فقال لهم صاحبهم عموق: ألم أقل لكم لا تستخفوا بحُرْمة الحرم فغلبتمونى، فجعل مضاض والسميدَع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما، وكثروا وأعجبتهم البلاد، وكانوا قومًا عُرْبًا، وكان اللسان عربيًّا، فكان إبراهيم خليل الله يزور إسماعيل، فلما سمع لسانهم وإعرابهم، سمع لهم كلامًا حَسَنًا، ورأى قومًا عربًا، وكان إسماعيل قد أخذ بلسانهم وأراد أن ينكح فيهم، وخطب إلى مضاض بن عمرو ابنته رعلة، فزوَّجه إياها، فولدت له عشرة ذكور، وهى أم البيت وزوجته التى غسلت رأس إبراهيم حين وضع رِجله فى المقام(٢).

(١) الأزرقى ١/ ٨٤ وما بين حاصرتين منه.
(٢) الأزرقى ١/ ٨٥.

ثم قال: فلم يزل أمر جُرْهُم يعظم بمكة ويستفحل حتى وُلُّوا البيت وكانوا وُلاته وحجابه ووُلاة الأحكام بمكة، فجاء سيل فدخل البيت، فانهدم، فأعادته جُرْهُم على بناء إبراهيم ﷺ، وكان طوله فى السماء تسعة أذرع، وقال بعض أهل العلم: كان الذى بنى البيت لجُرْهُم أبو الجدرة فسُمى عمرو بن الجادر وسُموا بنو الجدرة[1].

قال: ثم إن جُرْهُمًا استخفوا بأمر البيت والحرم وارتكبوا أمورًا عظامًا وأحدثوا فيها المظالم وأحدثوا ما لم يكن، فقام مضاض بن عمرو بن الحارث فيهم خطيبًا فقال: يا قوم احذروا البغى فإنه لا بقاء لأهله، قد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم فلم يعظموه، وتنازعوا بينهم واختلفوا فسلطكم الله عليهم فأخرجتموهم، وتفرقوا فى البلاد، فلا تستخفوا بحق الحرم وحُرْمَة بيت الله، ولا تظلموا من دخله وجاءه مُعظمًا لحرمته، أو جاء بائعًا لسلعته أو مُرْتَغِبًا فى جواركم، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذلٍّ وصَغار، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت، الذى هو لكم حرز وأمن والطير تأمن فيه، فقال قائل منهم يقال له مجدع: من الذى يخرجنا منه؟ أَلَسْنا أعز العرب وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحًا؟ فقال مضاض بن عمرو: إذا جاء الأمر بطل ما تقولون، فلم يقصروا عن شىء مما كانوا يصنعون، وللبيت خزانة فى بئر فى بطنه يلقى فيها الحلى والمتاع الذى يُهدَى له، وهو يومئذ لا سقف له؛ فتواعد له خمسة نفر من جُرْهُم أن يسرقوا ما فيها، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم، واقتحم الخامس، فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله، وسقط منكسًا، فهلك، وفر الأربعة الأخر، فعند ذلك مسحت الأركان الأربعة، ثم قال: وقال أهل العلم: إن جُرْهُمًا لما طغت فى الحرم دخل رجل منهم وامرأة يقال لهما أساف ونائلة البيت ففجروا فيه فسخطهما الله تعالى حجرين، فأخرجا من الكعبة فنُصبا على الصفا والمَرْوَة ليعتبر بهما من رآهما وليَزْدَجِر الناس عن مثل ما ارتكبا»[2]. انتهى.

---

(١) الأزرقى ١/ ٨٦.

(٢) الأزرقى ١/ ٨٦ وما بعدها.

وقد يشتمل هذا الخبر على أمور من حال جُرْهُم، وفيه موضعان يقتضيان أنهم أخرجوا العماليق من مكة، وهذا الخبر الذى أشرنا إليه بعد ذكْرنا لخبر ابن عباس وابن خيثم فى خروج العماليق من مكة لكونه يُفهم خلافَ ما يُفْهِمُه الخبران المشار إليهما، والله أعلم.

وأظن أن أبا الوليد الأزرقى مؤلف «أخبار مكة» هو القائل: حدَّثنى بعض أهل العلم، قالوا: كانت العماليق هم وُلاة الحكم بمكة، إلى آخر ما ذكرناه من خبر العماليق وقطورا وجُرْهُم، ويحتمل أن يكون قائل ذلك هو ابن إسحاق زيادة على ما ذكره من خبر جُرْهُم وقطورا لِما فى ذلك من الفوائد الزائدة على ما ذكره أولاً، والله أعلم.

وذكر المسعودى خبر جُرْهُم وقوم السميدَع على وجه يخالف ما ذكره الأزرقى عن ابن إسحاق، وأفاد فى ذلك ما لم يُفِدْه، فاقتضى ذلك ذكر ما فيه مما يلائم خبر المشار إليهم دون ما فيه من خبر غيرهم، إلا ما لا بد من ذكره لارتباط الكلام به.

قال المسعودى: وقد أسكن إبراهيم ولده، عليهما السلام، مكة مع أمه هاجر، ثم قال: وكان من ظمأ إسماعيل وخبر هاجر ما كان، إلى أن أنبع الله زمزم وأقحط الشحر واليمن، فتفرقت العماليق وجُرْهُم [فى البلاد]، ومَنْ هنالك من [بقايا] عاد، فيممت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار المُخْصبَة، وعليهم السميدع بن هوثر بن لاوى بن قطور بن كركر بن حيدان، فلما أمعنت بنو كركر فى المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد، أقبل السميدَع بن هوثر يرتجز بشعر له يحثهم على المسير ويشجعهم بما قد نزل بهم فقال:

سيروا بنى كركر فى البلاد ... إنى أرى ذا الدهرَ فى فساد
قد سار من قحطان ذى الرشاد ... [جرهم لما هَدَّها التعادى]

فأشرف روادهم، وهم المتقدمون منهم، لطلب الماء على الوادى تنظر إلى الطير يرتفع وينخفض، فاستبطنوا الوادى، فنظروا إلى العريش على الربوة الحمراء، يعنى موضع البيت، لأنه ذكر أنه كان ربوة حمراء، وفيها هاجر وإسماعيل، وقد زمّا

حول الماء بالحجارة، ومنعوه من الجريان، ثم قال: فسلم الرواد عليهما واستأذنوهما في نزولهم وشربهم من الماء فَأَنِسَتْ إليهم، وأذنت لهم في النـــزول، فَتَلَقَّوا من [كان] وراءهم من أهليهم، وأخبروهم خبر الماء، فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما أضاء لهم الوادى من نور النُّبُوَّة وموضع البيت الحرام[١].

ثم قال: وتسامعت جُرْهُم ببنى كركر ونزولهم في الوادى، وما هم فيه من الخصب ودر الضرْع، وهم في حال قحط، فساروا نحو مكة وعليهم الحارث بن مُضَاض بن عمرو بن سعد بن رقب بن ظالم بن هنى[٢] بن نبت بن جُرْهُم، حتى أتوا الوادى، ونزلوا على مكة، واستوطنوا الدار مع إسماعيل ومن تقدمهم[٣] من العماليق من بنى كركر، وقد قيل في كركر: إنهم من العماليق وقيل: من جُرْهُم، والأشهر أنهم من العماليق[٤].

ثم قال بعد ذكر شيء من خبر إسماعيل:

ولما قُبض إسماعيل قام بالبيت بعده نابت بن إسماعيل، ثم قام بعد نابت أناس من جُرْهُم، لغلبة جُرْهُم على ولد إسماعيل، وكان ملك جُرْهُم يومئذ الحارث بن مُضَاض، وهو أول من ولى البيت، فكان ينـــزل هنالك في الموضع المعروف بقُعَيْقعَان، وكان كل من دخل مكة بتجارة عَشَّرَهَا عليه، وذلك من أعلى مكة، وملك العماليق السميدَع بن هوثر، فنـــزل أجياد من أسفل مكة، فَيُعشِّر[٥] من دخل مكة من ناحيته، فكان بينهم حرب، فخرج الحارث بن مُضَاض ملك جُرْهُم يتقعقع منه الرماح والدَّرَق، فسُمى الموضع بقُعَيْقعَان لما ذكرنا، وخرج السميدَع ملك العماليق ومعه الجياد من الخيل، فعُرف الموضع بأجياد إلى هذا الوقت، فكانت على الجُرْهُميين فافتضحوا، فسُمى الموضع فاضحًا إلى هذه الغاية، ثم

---

(١) المسعودى ٢/ ٤٦ وما بين حاصرتين منه.

(٢) تحرف في طبعة تدمرى إلى: «حي» والمثبت رواية الأصل.

(٣) تحرف في طبعة تدمرى إلى: «ومن نبذهم» وصوابه من الأصل والمسعودى.

(٤) المسعودى ٢/ ٤٧.

(٥) عشرها عليه: أى أخذ عشرها.

اصطلحوا ونحروا الجُزُورَ وطبخوا، فسُمى الموضع المطابخ [إلى هذه الغاية][1] وصارت ولاية البيت إلى العماليق، ثم كانت جُرْهُم عليه، فأقاموا وُلاة البيت نحو ثلاثمائة سنة، وكان آخر ملوكهم الحارث بن مُضَاض الأصغر بن عمرو بن الحارث بن مُضَاض الأكبر، وزاد فى بناء البيت ورفعه عما كان من بناء إبراهيم»[2]. انتهى.

وقد أغرب المسعودى فيما ذكره من أن مَلك جُرْهُم حين قدموا إلى مكة الحارث بن مُضَاض بن عمرو، فإن المعروف أن مَلِكهم إذ ذاك مُضَاض بن عمرو كما ذكر ابن إسحاق وغيره، وذكر المسعودى بعد ذلك ما يوافق ما ذكره ابن إسحاق.

وممن ذكر أن أول ملوك جُرْهُم بمكة مُضَاض بن عمرو بن غالب الجُرْهُمى الزبير بن بكار، لأنه قال: كان أول من وُلى البيت من جُرْهُم مُضَاض بن عمرو ابن غالب الجرهمى، ثم ولده بعده، ثم بنوه كابرًا عن كابر، حتى بغت جُرْهُم بمكة. انتهى.

وأغرب المسعودى أيضًا فيما ذكره من أن جُرْهُمًا لما اقتتلوا مع السميدَع وقومه، كانت الدائرة على الجُرْهُميين، وأن ولاية البيت صارت للعماليق، ثم صارت لجُرْهُم، والمعروف فى قتال الفريقين أن الدائرة كانت على السميدَع وقومه، وأنه قُتل فى هذه الواقعة، وانفرد مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى بمُلْك مكة كما هو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق وغيره، ولا أعلم للمسعودى فيما ذكره فى ذلك سَلَفًا ولا خَلَفًا إلا شارح العبدونية، فإنه ذكر فى ذلك نحو ما ذكره المسعودى، ولعله قلد المسعودى فى ذلك، فإنه متأخر عنه، والله أعلم.

وأفاد المسعودى ــ رحمه الله ــ فيما ذكره من خبر الفريقين أمورًا لم يُفِدْها غيره فيما علمت، منها كون السميدَع وقومه من العماليق، ومنها كونهم قدموا إلى مكة قبل جُرْهُم، ومنها ما ذكره فى مدة مُلْك جُرْهُم، وأفاد فى تاريخه أيضًا فى

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٤٩ – ٥٠.

مدة مُلْكهم غير ذلك، لأنه قال: ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن أول مَنْ ملك من ملوك جُرْهُم بمكة مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جُرْهُم بن قطحان مائة سنة، ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مُضَاض مائة وعشرين سنة، ثم ملك الحارث بن عمرو مائة سنة، وقيل دون ذلك، ثم ملك بعده عمرو ابن الحارث مائتى سنة، ثم ملك بعده مُضَاض بن عمرو الأصغر بن الحارث بن عمرو بن مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جُرْهُم بن قحطان أربعين سنة[١]. انتهى.

وقد ذكر شارح العبدونية مدة ملوك جُرْهُم وترتيبهم على وفق كلام المسعودى هذا بالمعنى، إلاّ أنه لم يذكر القول الذى ذكره المسعودى فى أن مدة مُلْك الحارث بن عمرو بن مُضَاض دون مائة سنة.

وذكر الشارح أيضًا فى مدة مُلْك جُرْهُم غير ما ذكره المسعودى، ونص كلامه: وكانت ولاية البيت بعد نابت بن إسماعيل لبنى جُرْهُم نحو ثلاثمائة سنة، وقد قيل خمسمائة سنة وستين سنة، وقيل ستمائة سنة. انتهى.

والقول الثانى يوافق ما ذكره المسعودى فى مدة مُلْكهم، وما ذكره المسعودى فى نسب السميدَع يخالف ما ذكره السُّهَيْلى فى نَسَبه، لأن المسعودى ذكر أن السميدَع بن هوبر بن لاى بن قطور بن كركر بن حيدان، والسُّهَيْلى ذكر أن السميدَع بن هوبر، بثاء مثلثة، قيدها البكرى، بن لاى بن قطورا بن كركر بن عملاق[٢] فوقعت المخالفة فى اسمين، أحدهما قطور بدل قطورا، وحيدان بدل عملاق، ولعل الصواب ما ذكره السُّهَيْلى، إلا أن يكون ذلك تصحيف من ناسخ النسخة التى رأيتها من تاريخ المسعودى، ورأيت فيها ما يقتضى أن هوبر، بالباء الموحدة، لأنه نَقَطَه فى هذا الحرف من أسفل فى غير موضع، ونقط الطاء من قطور، وقد ذكر شارح العبدونية نَسَبَ السميدَع كالمسعودى، إلاّ أنه وقع فى نسبه إلى الكركر فى بعض نُسَخ الشرح ابن هود، وليس السميدَع هذا بالسميدَع

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٥١.
(٢) الروض الأنف ١/ ٢١٥.

الذى حَارَبَه به يوشع بن نون، وإن كانا قد اتفقا فى الاسم واسم الأب، وفى الأنساب إلى العماليق، ولأن المسعودى قال فى أخبار يوشع بن نون: وسار ملك الشام وهو السميدَع بن هوبر بن مالك إلى يوشع بن نون، فكانت له معه حروب إلى أن قتله يوشع، واحتوى على جميع ملكه، ثم قال: وقد قيل: إن يوشع بن نون كان يريد محاربته لملك العماليق وهو السميدَع، ببلاد أَيْلَةَ صوب مَدْيَن(١). انتهى.

والدليل على ما ذكرناه من أن السميدَع هذا ليس بالسميدَع الذى حاربه يوشع بن نون أن السميدع ملك قطورا كان فى زمن الخليل عليه السلام على ما يقتضى كلام المسعودى فى الخبر الذى سبق ذكْرُنا له باختصار، ويوشع المحارب للسميدَع كان بعد الخليل عليه السلام بزمن طويل، لأنَّ بين يوشع والخليل عدة آباء، فإنه على ما ذكره المسعودى، يوشع بن نون بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإذا كان بين يوشع والخليل هذه الآباء كان متأخرًا عن الخليل بدهر طويل، فيكون كذلك السميدَع، والسميدَع ملك قطورا من العماليق، والزَّبَّاء الملكة من ذُريته على ما فهم السُّهَيْلى من كلام صاحب «الأغانى»(٢) والله أعلم.

وذكر السُّهَيْلى ما يقتضى أن قطورا الذى منهم السميدَع هذا من جُرْهُم، لأنه قال لما ذكر الآباء التى بين عدنان وإبراهيم عليه السلام: وذكر يعنى الطبرى فيهم أيضًا دَوْس العُتُق، وكان أحسن الناس وجهًا، وكان يقال فى المثل: أعتق من دَوْس، وهو الذى هزم جيش قَطُورا من جُرْهُم. انتهى.

وما ذكره المسعودى فى نسب ملوك جُرْهُم مخالف لما ذكره السُّهَيْلى فى ذلك، وكلام المسعودى أيضًا مختلف، لأنه ــ أعنى المسعودى ــ ذكر أن جُرْهُمًا لما ساروا نحو مكة كان عليهم الحارث بن مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب ابن ظالم بن مى بن نبت بن جُرْهُم.

وقال أيضًا: ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن أول ملك من ملوك جُرْهُم بمكة: مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جُرْهُم.

---

(١) مروج الذهب ١/ ٥١.
(٢) أى فى كتابه الأمثال كما صرح السهيلى، الروض الأنف ١/ ٢٢٠.

وقال السُّهَيْلي: وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جُرْهُم قد نزل قَنَوْنَى من أرض الحجاز، وذكر قضية يأتي ذكرها، ووقعت المخالفة فى كلام المسعودى فى «هنى» بالهاء والنون، وفى «مىْ» بالميم، وفى زيادة ظالم، بين «الرقيب» وبين «مى» [وفى إسقاط ظالم][1] ووقعت المخالفة بين المسعودى والسُّهَيلي فى زيادة ظالم، وفى هنى هل هو هنى بالنون كما ذكر المسعودى، أو هي بلا نون كما ذكر السُّهَيلي، أو هى بالميم كما ذكر المسعودى، إلاَّ أن يكون ذلك غلطًا من ناسخ أحد الكتابين فتنتفى المعارضة، والله أعلم.

وذكر الشيخ فتح بن موسى بن حماد الأندلسى فى كتاب له نظم فيه السيرة لابن إسحاق خبرًا طويلاً، فيه ما يخالف ما ذكره المسعودى والسُّهَيْلي فى نسب ملوك جُرْهُم، وفيه ما يخالف ما ذكره ابن إسحاق فى سبب تسمية قُعَيْقعَان وأجياد وفاضح والمطابخ وغير ذلك، فاقتضى ذلك ذكره لإفادة ذلك وغيره من الفوائد، وهو أن إلياس بن مُضَر قال: سألت عمى إياد بن نزار عن أصل ماله، وكان متمولاً، فذكر أنه مرت عليه سنون ولم يبق له سوى عشرة أبعرة، يعود بكرائها على أهله، وذكر أنه كان أكبر إخوته، ثم قال: فخرج إياد إلى الشام بجماله فلم يجد من يكترى منه، فسمع صوتًا كالرعد ينادي: من يحملنى إلى الحرم وله وِقْر حمل دُرًّا وياقوتًا وعقْيانًا، ولا يجيبه أحد، فيتبع الصوت، إلى أن وجد رجلاً أعمى كالنخلة السَّحُوق، ولحيته تناطح ركبتيه، فراعه ذلك وقال: عندى يا شيخ حاجتك قال: ادْنُ منى، فدنا منه فقال: أنت إياد بن نزار؟ فقال: نعم، فمن عَرَّفك باسمى؟ قال: علْمه عندى عن جدى أن إياد بن نزار يرد الحارث بن مُضَاض إلى مكة من طول غربته.

فقال: كم جملاً عندك؟ قلت: عشرة، قال: تكفيني، قلت: هل معك غيرك؟ قال: لا، ولكني إنما أركب الجمل يومًا وأميل، فقلت: قد لفظت له بجملة، فلا

(١) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

أعود، وبيننا وبين مكة عشرة مناهل، فحملته، وكلما حسر جمل قطرته إلى آخر، إلى أن عارضنا مكة، فقال: يا بُنَي إني أحسب الجمل يجمر بي جمرًا، وأظنه واقعًا حول جبل المطابخ، قلت: نعم، قال: اسمع آخر كلامي، قلت: نعم، قال: أنا الحارث بن مُضَاض، بن عبد المسيح، بن بقيلة بن عبد المدان، بن خشرم، بن عبد يا ليل، بن جُرْهُم، بن قحطان، بن هود ﷺ، كنت ملك مكة وما والاها إلى هَجَر وَمَدْيَن وثَمُود.

وكان أخي عمرو بن مضاض ملكًا قبلي، وكنا نعلق التيجان على رءوسنا يومًا، ويومًا نعلقها بباب الحرم، فحضر يهودى بدُرٍّ وياقوت، فاشترى منه أخي ما شاء الله، وأنصفه في الثمن، ووفاه، فباع أفخره على السوقة، فسمع أخي، فانتزع جميع ما كان معه، فأغفل اليهودى حارس التاج بباب الحرم فقتله، وحمل التاج، فلم يعرف الخبر إلا ممن رآه بالبيت المقدس، فأرسل أخي إلى ملكهم، قال: إن سبط بنيامين بن يعقوب أن يرد التاج ويأخذ حق اليهوى، فلم يفعل.

فخرج إليهم أخي في مائة ألف وخمسين ألفًا من أجناده ومن العمالقة وقُضَاعة، واستنصر قاران بن شنيف بن هِرَقْل، فخرج إلينا في مائتي ألف، وجماعة من أهل الشام، فساروا إلينا ونزلوا شرقي هذا الجبل، ونزلنا غربيه، وأوقدنا كلنا النيران، وطبخوا وطبخنا، فسمي جبل المطابخ، ثم نزلنا قُعَيْقعَان فتقعقعنا نحن وهم بالجُحَف والسلاح فسُمي الجبل قُعَيْقعان، ثم لما اصطففنا خرج أخي وقال: أنا الملك عمرو بن مُضَاض فابرز لي يا شنيف، فمن أظفره الله كان المُلْك له، ففعل، فقتله أخي على ربوة فاضح، فنـــزل إليه فجره برجله وفضحه بذلك، فسُميت تلك الربوة ربوة فاضح.

وامتنع قاران من الوفاء بما التزمه شنيف، فقاتلناهم، وقتل أخي قاران، فانهزموا، وتبعناهم إلى بيت المقدس، فأذعنوا للطاعة، فتزوج أخي منهم بَرَّة بنت شمعون، ولم يكن في زمانها أجمل منها، فشفعت له أن يرحل عن قومها، فرحل.

فلما بلغ مكة، وكان عنده مائة رجل من أعيان بني إسرائيل رهائن على الطاعة، فلما كانوا بأجياد سَمَّت زوجته مسكة من حديد وألقتها في فراشه، فلما

نام عليها مات، وهربت الزوجة فى الرهائن المائة على نُجُب عدوها، فلحقناهم وأحضرناهم، فأمرتُ بقتلهم.

فقال أوهم للسياف: لا تخفض ولا ترفع وانزل بسيفك على الأجياد، فسُمى موضع قَتْلهم بالأجياد.

وملكتُ وتزوجت بها، وقصدتنى بنو إسرائيل بجنود عظيمة، ومعهم تابوت داود عليهم السلام الذى فيه السكينة والزّبور، فهزمتهم.

وأخذتْ جُرْهُم التابوت فدفنته فى مزبلة، فنهيتهم، فعصونى، فأخرجته ليلاً ووضعت مكانه تابوتًا يشبهه.

ونهاهم عنه هميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل، فأبوا، فأعطيته التابوت، فسلط الله على جُرْهُم والعمالقة عللاً كثيرة، فماتوا إلا من كره فعلهم.

فملكت ابنى عَمْرًا، وخرجت أجول فى الأرض، فضربت الأمثال بغربتى وسار به إلى شعْب الأثل عند غيضة زيتون فقال: يا بنى قد خَلَوْنا وثالثنا الله الشاهد العالم الواحد، وإذا أسديت نعمة للمرء وَجَبَ عليه شُكْرها، وقد أسديت إلى نعمة وجب [علىّ] شكرها، فعَلَىَّ لك [النصيحة أو أقع فى الفضيحة] أُنبئك بما يُنجيك، والذى به أهديك أحب إلىَّ مما أغنيك.

يا بنى هل وُلد فى آل مضر مولود اسمه محمد؟ قلت: لا، قال: إنه سيولد ويأتى ويعلو دينه ويُقبل أوانه، ويشرف زمامنه، فإن أدركته فصدق وحقق، وقبل الشامة التى بين كتفيه ﷺ، وقل له: يا خير مولود، دعوت إلى خير معبود، فأجب ولا تخب، ثم قال:

شكرت مسارعًا نعم الأيادى   لخير الناس كلهم أباد
إلى ابن نزار حيث الفقر حتى   نزلت برحله من غير زاد

وذكر باقى الأبيات.

ثم أتى صخرة عظيمة مطبقة على صخرة فقلعها، ودخل معه سربًا، وذكر العقبة، إلى أن دخل لبيت فيه أربعة أسرة: سرير خال، وثلاثة عليهن رجال، وفى البيت كرسى دُر وياقوت وعقيان ولُجَيْنٍ، فقال لى: خذ وقر حملك لا غير، وقال

له: هذاك الذى على يسار سريرى الخالى مُضَاض أبى، والذى على يساره سرير ابنه عبد المسيح، والذى على يساره سرير ابنه بُقَيْلة.

وعلى رأس بُقَيْلة لوح رخام، فيه مكتوب: أنا بُقَيْلَة بنت عبد المدان، عشتُ خمسمائة سنة فى طلب المُلْك، فلم يكن ذلك ينجينى من الموت.

وعلى رأس عبد المسيح: أنا عبد المسيح، عشت مائة سنة وركبت مائة فرس، وافتضضت مائة بكْر، وقتلت مائة مبارز، وأخذنى الموت غصبًا فأورثنى أرضًا.

وعلى رأس مُضَاض: أنا مُضَاض عشت ثلاثمائة سنة، أخذت مصر والقدس، وهزمت الروم بالدروب، ولم يكن لى بُد من الموت، ثم استوى على سريره الخالى، وإذا على رأسه مكتوب: أنا الحارث بن مُضَاض، عشت أربعمائة سنة، ملكتُ مائة وجُلْتُ فى الأرض ثلاثمائة سنة متغربا بعد هلاك قومى جُرْهُم.

ثم قال: يا بنى ناولنى القارورة التى فى تلك الكسوة، فناولته إيَّاها، فشرب نصفها وادَّهَن بنصفها، وقال: إذا أتيت إخوتك وقومك فقالوا لك: من أين لك هذا المال؟ فقل لهم: إن الشيخ الذى حملته هو الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمى، فهم يكذبونك، فقل لهم: إن آيتى الحجر المدفون بجوار زمزم فيه مقام إبراهيم، وفى الحجر الذى يليه شعْر الحارث بن مُضَاض وهو قوله:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

الأبيات التى ذكرها.

ثم قال: ناولنى القارورة الأخرى، فناولته فشربها، فصاح صيحة فمات، فخرجت بما معى من المال. انتهى.

هذا الخبر على ما هو مذكور فى الكتاب المذكور، إلا أنى تركت منه شيئًا لا تعلُّق له بخروجهم، وإنما له تعلُّق بحال إياد بن نزار، وفيه غُلَيْطات فى الخبر وقعت مصحَّفَةً فى النسخة التى نقلت منها هذا الخبر، فكتبتها على الصواب، إلا ما لم يتجه لى فيه وجه الصواب، فكتبته على ما وجدته ووجدت فى النسخة التى نقلت منها هذا الخبر، تسمية أخى الحارث بن مُضَاض بعمر بغير واو، ولا أدرى هل ذلك صواب؟ أو الصواب عمرو بالواو.

وقال الأندلسي بعد ذكره لهذا الخبر: فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الحكاية من مخالفات ما نقله صاحب السيرة من أن هذا الشِّعْر لعمرو بن الحارث بن مُضاض، وهو هاهنا لوالده، قال: ويمكن الجمع بينهما بأن يكون ولده تمثل بها لما فارقوا مكة، ثم نبه، رحمه الله، على أن ما فى هذا الخبر من نسب الحارث بن مُضَاض مخالف لما ذكره السُّهَيلي من نسبه، وقد سبق ما ذكره السهيلي من نسب جُرْهُم، فأغنى عن إعادته.

ومن موجبات ذكر فتح الأندلسي لهذا الخبر الاستدلال به على خلاف ما ذكره السُّهَيلي فيما اعترض به على ابن إسحاق فيما ذكره فى سبب تسمية أجياد، ونذكر كلامه ثم نتبعه بتعقب فتح له، لما فى ذلك من الفائدة.

قال السُّهَيْلي: وأما أجياد فلم يُسَم بأجياد من أجل جياد الخيال، كما ذكر، يعنى ابن إسحاق، لأن جياد الخيل لا يقال فيها: أجياد، وإنما أجياد جمع جِيد، وذكر أصحاب الخبر أن مُضَاضًا ضرب فى ذلك الموضع من أجياد مائة رجل من العمالقة، فسُمى الموضع بأجياد، وهكذا ذكر ابن هشام فى غير هذا الكتاب. انتهى.

وأما تعقب فتح بذلك فلأنه قال: قلت وما ذكره السُّهيلي لا يُلزم ابنَ إسحاق، لأن تسمية الشيء لأجل الشيء لا يلزم أن يصدق على لفظه بحاله، بل يصدق عليه، كما ذكروه فى المطابخ وفاضح، وقد لا يصدق كما ذكره فى قُعَيْقِعَان، فيكون كحكم الجياد مع أجياد، وكحكم القعقعة مع قُعَيْقِعَان، ويُحتمل أن يكون مراده لأجل أجياد الجياد، لأن أعناق الخيل أول ما ظهرت هناك، فيكون على حذف المضاف لقربه من الصفة، على أنه لا يسلم له أنه لا يجمع جيد على جياد، فإن المنقول عن سيبويه أن جيدًا فعل بضم الفاء وسكون العين كريح، وقد جمعوا الريح على رياح، فكذلك الجِيد على هذا التقدير يُجمع على جياد، ويؤيد هذا أن سيبَوَيْه ذكر أن باب فعل يُجمع فى التكسير على فُعُول وفِعَال، وإن كان جَمْع فُعُول فيه أكثر من فِعَال.

وأما ما ذكره عن أصحاب الأخبار من ضرب مُضَاض فى ذلك الموضع أجياد مائة من العماليق، فإن الذى نقلته من كتب جماعة أن الذى ضرب الرقاب هناك لم يكن مُضَاضًا، ولا كانت المائة المقتولة من العمالقة أصلاً، فإنَّ أصحاب الأخبار قد ذكروا فى حديث طويل نذكر معناه مختصرًا لأن فيه ما يدل على البشارة بالنبى ﷺ.

وهو أن إلياس بن مُضر قال: سألت عمي إياد بن نزار عن أصل ماله، وكان متمولاً، فذكر الخبر المتقدم. انتهى.

قلت: لا مانع من أن يكون مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى ضرب أيضًا بأجياد أجياد مائة رجل من العمالقة لما ظهر على قطورا قوم السَّمَيْدَع وهم من العماليقة كما تقدم، ويصح بذلك ما نقله السُّهَيلى عن ابن هشام وغيره من أهل الأخبار، وتكون ذلك قضية، وما ذكره فتح الأندلسى قضية أخرى، وقد ذكر صاحب «الاكتفاء» ما يؤيد ذلك، لأنه قال: وغير ابن إسحاق يقول: إنما سُمى بأجياد لأن مضاضا ضرب فى ذلك الموضع جياد مائة رجل فيه من العمالقة، وقيل: بل أمر بعض الملوك، غير مسمى، بضرب الرقاب فيه، فكان يقول لسيافه توسط الأجياد، وهذا أو نحوه أصح فى تسمية الموضع بأجياد مما قال ابن إسحاق. انتهى.

ولا مُنافاة بين ما ذكره صاحب «الاكتفاء» من أن الملك قال لسيافه توسط الأجياد، وبين ما تقدم فى أن الخبر من أن قائل ذلك أول المقتولين، لإمكان أن يكون: قال الملك ذلك أيضًا لسيافه، كما قال المقتول لسيافه، لأن المقتول سأل ما لا يؤثر فى مقصود الملك، فأجابه الملك إلى سؤاله، والله أعلم.

وقد قيل فى سبب تسميته أجياد وقُعَيْقِعَان غير ما ذكره ابن إسحاق فى سيرته، لأن الأزرقى ذكر خبرًا فى خبر تُبَّع، قال فيه: «ثم سار تُبَّع حتى قدم مكة، فكان سلاحه بقُعَيْقِعَان، فيقال فبذلك سُمى قُعَيْقِعَان، وكانت خيله بأجياد،

ويقال: إنما سُمِّيتْ أجياد أجيادًا بجياد خيل تُبع» وهذا الخبر رواه الأزرقى عن جده عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج عن ابن إسحاق[١].

وقد قيل فى سبب تسمية أجياد وقُعَيْقِعَان والمطابخ شيئًا يستغرب، ذكره الفاكهى لأنه قال: وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال: حدثنى الوليد بن عطاء بن أبى مسلم الأعز عن أبى صفوان المروانى قال: حدثنا ابن جُرَيْج قال: قال مجاهد: قال ابن عباس عن النبى ﷺ قال: إن أباكم إسماعيل أول من ذللت له الخيل العراب فاعتقها وأورثكم حبها[٢]، وذلك أن الخيل العراب كانت كلها وحوشًا كسائر الوحوش، فلما أذن الله عز وجل لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت أعطى لكل واحد منهم كنـــزًا من كنوزه، فأوحى الله إلى إسماعيل إنى مُعْطيك كنـــزًا من كنوزى ذخرته لك لم أعطه أحدًا قبلك، فخرج إسماعيل وما يدرى ما ذلك الكنـــز وما يدرى الدعاء، حتى أتى أجياد، فألهمه الله تعالى الدعاء، فدعا به وأحيط الداعى بالخيل فلم يبق فى بلاد العرب كلها فرس إلاَّ أتاه وذلـــله الله له وأمكنه من نواصيها، قال ابن عباس: فبذلك سُميت أجياد أجيادًا، لأنها اجتمعت فى أجياد، قال النبى ﷺ: فالخيل العراب تراث أبيكم إسماعيل فأعتقوها واركبوها، قال ابن عباس: ووضع فى الخيل وجاه السلاح، فكانت كلما أخرجت تقعقع بعضها على بعض، فبذلك سُميت قُعَيْقِعَان، وكان الطعام فى الشِّعْب الذى يدعى شِعْب عبد الله بن عامر فبذلك سُميت المطابخ. انتهى.

وشِعْب عبد الله بن عامر المشار إليه هو شعْب بأعلى مكة يُعرف عند الناس بشِعْب عامر، وفاضح المذكور فيما سبق من الأخبار هو على ما يقول الناس جبل بسوق الليل مما يلى المعلاة، وقد طال الكلام فيما يتعلق بسبب تسمية أجياد وقُعَيْقِعَان والمطابخ، وفى نسب ملوك جُرْهُم وقَطُورا، ولكن تحصل بذلك فوائد لا توجد مجتمعة، ولله الحمد.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٣٣.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٣٠.

ذكر من أخرج جُرْهُمًا من مكة وكيفية خروجهم منها

اختلفت الأخبار فيمن أخرج جُرْهُمًا من مكة اختلافًا كثيرًا يعسر فيه التوفيق بين الأخبار المروية في ذلك، فقيل: إن بني بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة وغبشان من خُزَاعة أخرجوا جُرْهُمًا من مكة ببغْيِهم فيها، وقيل: إنَّ بني عمرو بن عامر ماء السماء أخرجوا جُرْهُمًا من مكة حتى لم يترك جُرْهُم بني عمرو بن عامر يقيمون عندهم بمكة حتى يصل إليهم روادهم، وقيل: إن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر أخرج جُرْهُمًا من مكة حين طلب حجابة البيت لسيادته ولشرفه، وقيل: إن بني إسماعيل أخرجوا جُرْهُمًا من مكة بأنْ سلط الله تعالى على جُرْهُم آفات، وقيل: إن الله سلط عليهم دواب فأهلكت كثيرًا منهم، وجلا لذلك بعضهم عن مكة.

والقول الأول ذكره ابن إسحاق، لأنه قال: ثم إن جُرْهُمًا بغوا بمكة واستحلوا خلالاً[1] من الحُرْمة وظلموا مَن دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدَى لها، ففرق أمرهم، فلما رأت بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة وغُبْشان من خُزاعة ذلك أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة، فآذنوهم بالحرب، فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغبشان، فنفوهم من مكة، وكانت مكة في الجاهلية لا تُقرُّ فيها ظلمًا ولا بغيًا، ولا يبغي فيها أحد إلاَّ أخرجته، فكانت تُسمَّى الناسَّة، ولا يريدها ملك يستحل حُرْمَتها إلاَّ هلك [مكانه]، فيقال: ما سُميت ببكة إلا أنها [كانت] تَبُكُّ أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها [شيئا][2].

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم، وانطلق هو ومَن معه من جُرْهُم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزنًا شديدًا، فقال عمرو بن الحارث ابن مُضَاض في ذلك، وليس بمُضَاض الأكبر:

---

(١) الخلال: الخصال.

(٢) ابن هشام ١/ ١١٣ وما بين حاصرتين منه، وفي الأصل: «إذا أحدثوا فيها».

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى نحنُ كنا أهلَها فأزالنا   صُرُوفُ الليالى والجُدُود العواثرُ
وكنا وُلاةَ البيتِ من بعد نابت   نطوف بذاك البيت والخير ظاهرُ
ونحن ولينا البيتَ من بعد نابت   بعز فما تحظى لدينا المُكاثرُ
ملكنا فعززنا فأعظِم بملْكنا   فليس لحى غيرنا ثَمَّ فاخرُ
ألم تنكحوا من غير شخص علمته   فأبناؤها منا ونحن الأصاهرُ
فإن تنثنِ الدنيا علينا بحالها   فإن لها غُبْنًا وفيها التشاجرُ
فأخرجنا منها المليكُ بقدرة   كذلك بين الناس تجرى المقادرُ
أقول إذا نام الخلىُّ ولم أنمْ   أذا العرش: لا يبعُدْ سُهَيلٌ وعامرُ
وبَدَّلَتْ منها أَوْجُهًا لا أحبها   وحمْيَرُ قد بدلتُها ويحابر
وصرنا أحاديثًا وكنا بغبطة   بذلك عضَّتْنا السنونَ الغوابرُ
فسحَّتْ دموعُ العين تبكى لبلدةٍ   بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعرُ
وتبكى لبيت ليس يُؤْذَى حمامُهُ   يظل به آمنًا وفيه العصافرُ
وفيه وحوشٌ لا تُرامُ أنيسةٌ   إذا خرجت منه فليس تغادرُ

قال ابن هشام: قوله فأبناؤه منا، عن غير ابن إسحاق(١).

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث يذكر بكرًا وغبشان وساكنى مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم:

يا أيها الناس سيروا إن قَصْرَكُم   أن تُصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا
حثُوا المطىَّ وأرخُوا من أزمَّتها   قبل الممات وقضُّوا ما تُقَضُّونا
أناسا كما كنتم فغَيَّرَنا   دهرٌ فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات هى أول شعر قيل فى العرب، وأنها وُجِدت مكتوبة فى حجر باليمن، ولم يُسم لى قائلها(٢). انتهى.

---

(١) الخبر والشعر لدى ابن هشام ١/ ١١٤ – ١١٦.
(٢) ابن هشام ١/ ١١٦.

والقول الثانى فى خروج جُرْهُم من مكة ذكره الأزرقى، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم إليه قال: حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان ابن ساج عن الكلبى عن أبى صالح، فذكر خبرًا طويلاً فيه شيء من خبر جُرْهُم وخُزاعة بمكة، وفيه أن ثعلبة بن عمرو بن عامر لما قدم مكة فى قومه بعد تفرقهم من بلاد سبأ لما أخبرت به طريفة الكاهنة من خرابها بسيل العَرِم، أرسل إلى جُرْهُم وسألهم أن يفتحوا له فى بلادهم قدر ما يرسل رواده يرتادون له موضعًا، فأبت ذلك جُرْهُم وأخشنوا له القول، وأرسل إليهم ثعلبة يقول لهم: لا بدل لى من المقام بهذا البلد حَوْلاً كاملاً حتى ترجع إلى رُسُلى، فإن تركتمونى طوعًا حمدتكم وواسيتكم فى الماء والرعى، وإن أبيتم أقمت على كرهكم، فإن قاتلتمونى قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال، ولم أترك منكم أحدًا ينـزل الحرم، فأبت جُرْهُم أن يتركوه طوعًا، وَتَعَبَّتْ لقتاله، فاقتتلوا ثلاثة أيام، ثم انهزمت جُرْهُم، فلم يفلت منهم إلاَّ الشريد، وكان مُضَاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو قد اعتزل جُرْهُمًا ولم يُعِنْ جُرْهُمًا فى ذلك، وقال: كنت أحذركم هذا، ثم رحل هو وأهل بيته حتى نزل قَنَوْنى وَحَلْى وما حول ذلك، ثم قال: وفنيت جُرْهُم وقد أفناهم السيف فى تلك الحرب، وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولاً[1].

ثم قال بعد أن ذكر تفرُّقهم فى البلاد بإشارة طريفة الكاهنة لما أصابهم من الحُمى، وانخزعت خُزاعة بمكة، وأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامروهو لحى، فولى أمر مكة [وحجابة الكعبة ثم قال: فلما حازت خزاعة أمر مكة][2] وصاروا أهلها، جاءهم بنو إسماعيل، وكانوا قد اعتزلوا حرب جُرْهُم وخُزاعة، فلم يرحلوا إلى ذلك وسألوهم السُّكْنَى معهم، فأذنوا لهم فى ذلك، فلما رأى ذلك مُضَاض بن عمرو بن الحارث، وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه،

---

(١) الأزرقى ١/ ٩٣.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وقد استدركته طبعة الذهبى ولكن حرف فيها: «حازت» إلى «جاورت» وهو تحريف قبيح صوابه من الأصل والأزرقى ١/٩٥ - ٩٦.

أرسل إلى خُزَاعة يستأذنها في الدخول عليهم والنــزول معهم بمكة في جوارهم، فأبت خُزَاعة، ثم قال: فنـــزعت إبل لُمضَاض بن عمرو الجُرْهُمي من قَنَوْنَى تريد مكة، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها، وقد دخلت مكة، فمضى على الجبال من نحو أجياد، حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر الإبل في بطن وادي مكة، فأبصر الإبل تُنحر وتُؤكل لا سبيل له إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يقتل، فولى منصرفًا إلى أهله[1]، وأنشأ يقول[2]:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامرُ
ولم يتربع واسطًا فجنوبه ... إلى المُنْحَنَى من ذى الأراكة حاضرُ
بل نحنُ كنا أهلَها فإذا لنا ... صُرُوفُ الليالى والجُدُود العواثرُ
وبدلنى ربى بها دارَ غُرْبة ... بها الذئبُ يَعْوى والعدو المحاصرُ
فإنْ تملإ الدنيا علينا بكلبها ... ويصْبح حالٌ بعدنا وتَشَاجُرُ
فكنا وُلاةَ البيتِ من بعد نابت ... نطوف بهذا البيت والخيرُ ظاهرُ
فأنكح جدى غير شخص عَلمتُهُ ... فأبناؤه منا ونحن الأصاهرُ
فأخرجنا منها المليكُ بقُدرة ... كذلك بالناس تجرى المقادرُ
أقول إذا نام الخَلىُّ ولم أنم ... أذا العرش لا يبعُدْ سُهَيْلٌ وعامرُ
وبَدَّلَتْ منهم أوْجُهًا لا أُحبها ... وحِمْيَرُ قد بدَّلْتُها والعمائرُ
وصِرْنا أحاديثًا وكنا بغبطة ... كذلك عَضَّتنا السنون الغوابرُ
فسحتْ دموعُ العين تبكى لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمن وفيها المشاعرُ
بوادٍ أنيس ليس يُؤذَى حمامُهُ ... ولا مُنَفَّرٌ يومًا وفيها العصافرُ
وفيها وحوش لا تُرامُ أنيسةٌ ... إذا خرجت منها فما إنْ تغادرُ
فيا ليت شعْرى هل تعمر بعدنا ... جياد فممضى سيله فالظواهرُ
فبطن مِنى وحشٌ كأنْ لم يسرِ به ... مُضَاضٌ ومن حى عَدِى عمائرُ

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٩٥، ٩٦.
(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٩٧.

وقال أيضًا[١]:

يا أيها الحيُّ سيروا إن قَصْرَكُم ... أنْ تُصْبِحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا
إنا كما كنتمو كنا فَغَيَّرَنا ... دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا
حثوا المطيَّ وأرْخُوا من أزِمَّتِها ... قبل الممات وَقَضُّوا ما قَضُّونا
إن التفكُّر لا يُجْدي بصاحبه ... عند البديهة: في علْم له دونا
قَضُّوا أمورَكُم بالحَزمِ إن لها ... أُمورَ رُشْد رشدتم ثَمَّ مسنونا
واستخبروا في صنيع الناس قبلكم ... كما استبانَ طريق عنده الهُونا
كنا زمانًا ملوكَ الناسِ قبلكم ... بمسكنٍ في جوارِ الله تأتونا

قال: وانطلق مُضَاض بن عمرو نحو اليمن إلى أهله وهم يتذاكرون ما حال بينهم وبين مكة وما فارقوا من أهلها وملكها، فحزنوا على ذلك حزنًا شديدًا وجعلوا يقولون الأشعار في مكة[٢]. انتهى باختصار. لمواضع من هذا الخبر لها تعلُّق بخبر خُزاعة نذكرها فيما بعد وغير ذلك، وفيما ذكرنا من كلمات ذكرناها بالمعنى.

والقول الثالث في سبب خروج جُرْهُم من مكة ذكره الفاكهي، لأنه قال: ويقال في رواية أبي عمرو الشيباني: إن حجابة البيت صارت إلى خُزاعة لأن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن تزوج فهيرة بنت الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمي، فولدت له عمرو بن ربيعة، فلما شب وساد وشَرُف طلب حجابة البيت؛ فعند ذلك نشب القتال بينهم وبين جُرْهُم؛ ثم قال بعد أن ذكر شيئًا من خبر عمرو وأولاده؛ وكانت بينهم حرب طويلة وقتال شديد، ثم إن خُزاعة غلبوا جُرْهُمًا على البيت، وخرجت جُرْهُم حتى نزلت وادي إضَم فهلكوا فيه[٣].

(١) الأزرقي ١/ ٩٩.
(٢) الأزرقي ١/ ١٠٠.
(٣) الفاكهي ٥/ ١٤٠.

وفى هذا الخبر شيء من جُرْهُم، لأن فيه: وذكروا، والله أعلم، أن إسافًا كان رجلاً من بنى قَطُورا أخذ امرأة من جُرْهُم يقال له نائلة، ففجر بها فى الكعبة، فمسخهما الله حجرين، فغضب عمرو من ذلك فأخرج بنى مُضَاض وكانوا أخواله، وكانوا أخرجوهم خروجًا من مكة فلحقوا باليمن، فتفرقوا فى القبائل، فقال بكر بن غالب بن الحارث بن مُضَاض:

وأخرجنا عمرو سواها لبلدة بها الذئب تعوى والعدو المحاصرُ

وقال أيضًا:

وكنا ولاةَ البيت والقاطنَ الذي إليه يُوفى نَذْرَهُ كلُّ مَحْرَمِ
سَكَنَّا بها قبلَ الظباءِ وراثةً ورثنا بنى حى بن نبت بن جُرْهُم
فأزعجنا منه وكنا عقيلةً قبائلَ من كعبٍ وعَوْفٍ وأسْلَمِ(١)

والقول الرابع فى خروج جُرْهُم من مكة، ذكره المسعودى، لأنه قال فى أثناء الخبر السابق فى خبر جُرْهُم وقَطُورا: وبغت جُرْهُم فى الحرم وطغت، حتى فسق رجل منهم بامرأة فى البيت، وكان الرجل يُدعَى بإساف والمرأة بنائلة، فمسخهما الله حجرين صُيِّرا بعد ذلك وثنين وعُبدا تقرُّبًا بهما إلى الله، فبعث الله عزَّ وجلَّ الرُّعافَ والنمل وغير ذلك من الآيات على جُرْهُم، فهلك كثير منهم، وكثُر ولد إسماعيل وصاروا ذوى قوة ومَنعة، فغلبوا على أخوالهم من جُرْهُم فأخرجوهم عن مكة، فلحقوا ببلاد جُهَيْنَة، فأتاهم فى بعض الليالى السيلُ فذهب بهم مكان الموضع الذى يُدْعَى بإضَم، وقد ذكر ذلك أُميَّةُ بن أبى الصَّلْت الثقفى فى شعر له فقال:

وجُرْهُم دمثوا تِهامةَ فى الد هر فسالت بجميعهم إضَمُ

وفى ذلك يقول الحارث بن مُضَاض الأصغر الجُرْهُمى:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى نحنُ كنا أهلَها فأزالنا صُرُوفُ الليالى والجُدُود العواثرُ
وكنا لإسماعيلَ صِهرًا وجيرةً ولما تَدُرْ فيها علينا الدوائرُ

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٤٠.

وكنا وُلاةَ البيتِ من بعد نابت نطوف بذاك البيتِ والخيرُ ظاهرُ

وفى ذلك يقول عمرو بن الحارث ابنه:

وكنا وُلاةَ البيتِ والقاطنِ الذى إليه يوفى نَذْرَهُ كلُّ مُحْرِمِ
سَكَنَّا بها قبلَ الظِّباءِ وراثةً لها عن بنى هيى بن نبت بن جُرْهُم[1]

انتهى.

وذكر الزُّبَير بن بكار ما يقتضى أن المُخرج لجُرْهُم من مكة بعد فناء أكثرهم بالرُّعاف والنمل: بنو حارثة بن عامر، لأنه قال: قال أبو عبيدة: فلما لم تتناه جُرْهُم عن بغيهم، وتفرق أولاد عمرو بن عامر فى اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو بن عامر فأوطنوا تهامة وسُمِّيت خُزَاعة، ثم قال: بعث الله عز وجل على جُرْهُم الرُّعافَ والنمل فأفناهم، فاجتمعت خُزَاعة ليُجْلُوا من بقى، ورَأَسَ خُزَاعة عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو، بن عامر وأمه فقيرة بنت عمرو بن الحارث ابن مضاض الجُرْهُمى، وليس بابن مُضَاض الأكبر، فاقتتلوا، فلما أحس عمرو بن الحارث بن مُضَاض بالهزيمة خرج بغزالى الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول:

لا هُمَّ إن جُرْهُمًا عبادُكَ الناس طُرُفٌ وهم تِلادُك
وهم قديمًا عمروا بلادك

فلم تُقبل توبته، وألقى غَزَالى الكعبة وحجر الركن فى زمزم، ثم دفنها، وخرج من بقى من جُرْهُم إلى إضَمَ من أرض جُهَيْنَة، فجاءهم سيل، أتى، سيلٍ، فذهب بهم، فقال أُميَّةُ بن أبى الصَّلْت:

وجُرْهُم دمنوا تهامة فى الدهـــ ـــر فسالت بجمعهم إضَمُ

انتهى.

وهذا الخبر ذكره المسعودى[2] فى كون المُخْرِج لهم عمرو، وفناء أكثرهم بالرُّعاف والنمل.

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٥٠، ٥١.
(٢) مروج الذهب ٢/ ٥١.

والقول الخامس فى سبب خروج جُرْهُم من مكة ذكره الفاكهى أيضًا، لأنه قال فى خبر ولاية إياد بن نزار الكعبة، وحدثنى حسن بن حسين قال: حدثنا محمد ابن حبيب قال: ذكر ابن الكلبى أن الله تعالى سلط على الذين يلون البيت من جُرْهُم دوابَّ شبيهة بالنغف، فهلك منهم ثمانون كهلاً فى ليلة واحدة سوى الشباب، حتى جلوا عن مكة إلى إضم(١). انتهى.

وقد بان بما ذكرناه من هذه الأخبار الاختلافُ فيمن أخرج جُرْهُمًا من مكة، وكيفية خروجهم، وفى قائل الأبيات الرائية التى أولها:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ

هل هو عمرو بن الحارث بن مُضَاض الأصغر، كما هو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق، أو هو مُضَاض بن عمرو بن الحارث بن مُضَاض بن عمرو، كما هو مقتضى الخبر الذى رواه الأزرقى عن الكلبى عن أبى صالح، أو هو الحارث بن مُضَاض بن عمرو، كما هو مقتضى ما ذكره المسعودى؟.

وقيل: إن قائل هذه الأبيات: ليس ناظم هذه القصيدة، وقيل هو الحارث بن عمرو بن سعد بن الرقيب، كما هو مقتضى كلام السُهَيلى فى «الروض الأُنُف».

فتحصل من ذلك فى قائل هذه الأبيات خمسة أقوال، وليس المراد نسبة كلها إلى كل من المشار إليها، وإنما المراد البيت الأول، وما ذُكر معه على حسب مما وقع فى كل خبر.

وقال السُّهَيْلى فى «الروض» أيضًا فى قوله فى هذه الأبيات:

«لا يبعد سُهَيْلٌ وعامر»

جبل من جبال مكة، يدل على ذلك قول بلال ﷺ:

وهل يبدون لى عامر وطَفَيل

على رواية من رواه هكذا» (٢). انتهى.

واختُلف فى قائل الأبيات النونية، فقيل هو عمرو بن الحارث بن مُضَاض، على ما ذكر ابن إسحاق، كما سبق، ورأيت فى «أخبار مكة» للفاكهى ما

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤١.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٢٠.

يقتضى أن قائل الأبيات النونية هو الحارث بن مُضَاض، وذكر بعضها على غير ما سبق ذكره، لأنه قال: وقال الحارث بن مُضَاض، يعنى بكرًا وغبشان وساكن مكة الذين خلفوا فيها بعدهم:

يا أيها الناس سيروا إن قَصْرَكُم ... أن تُصبحوا ذاتَ يوم لا تسيرونا
حثُّوا المطيَّ وأرْخُوا من أزِمَّتِها ... قبل المَمات وقضُّوا ما تُقَضُّونا
قَضُّوا أمورَكُمْ بالحزمِ إنّ له ... أمرًا رشيدًا وراء الحزمِ مأمونا
إنا عمرنا بدهرٍ كان يعجبنا ... حتى أتانا زمانٌ أظهر الهونا[١]

انتهى.

واختُلف فيمن دفن الحجر الأسود وغزالَي الكعبة فى زمزم، هل هو مُضَاض ابن عمرو بن الحارث بن مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى، كما هو مقتضى الخبر الذى رواه الأزرقى عن الكلبى عن أبى صالح؟ أو هو عمرو بن الحارث بن مُضَاض الأصغر؟ كما هو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق والزبير بن بكار عن أبى عبيدة.

وذكر الأزرقى ما يوافق ذلك فى الباب الذى ترجم عليه بقوله: (باب ما جاء فى إخراج جبريل عليه السلام زمزم لأم إسماعيل عليهما السلام) وعزا ذلك لبعض العلماء، ولم يُسمه فى خبر ذكر فيه شيئًا من حال جُرْهُم بمكة وزمزم[٢].

وفيما ذكره المسعودى فى سبب خروج جُرْهُم من مكة إشعار بأن الرُّعاف والنمل الذى فنى به أكثرهم أصابهم بمكة، وكذلك الذى نقله الزبير عن أبى عبيدة فى فناء جُرْهُم.

ورأيت فى بعض الأخبار ما يوهم أن النمل أصابهم فى بلد جُهَيْنَة، وهذا الخبر ذكره الفاكهى، لأنه قال: حدثنا حسن بن حسين الأزدى قال: حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبى قال: بينما الناس سُمّار حول الكعبة إذا هم بخلق يطوف بها يدارى رأسه بها، فأجفل الناس هاربين، فناداهم لا تُراعُوا، فأقبلوا إليه وهو يقول:

لاهُمَّ رب البيت ذى المناكب

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٢.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٥٦.

ثم يقول بعد أن ذكر شعرًا زيادة على ما ذكرناه قال: فنظروا فإذا هو امرأة، فقالوا: ما أنت؟ إنسية أم جنِّـيَّة؟ قالت: بل إنسية من جُرْهُم.

ثم قالت: من ينحر لى كل يوم جُزُورًا، ويُعِدُّ لى زادًا وبعيرًا، ويبلغنى بلاد الغور أعطيه مالاً كثيرًا، قال: فانتُدب لها رجلان من جُهَيْنَة، فسارا بها أيامًا وليالى حتى انتهيا إلى جبل جُهَيْنَة، فأتت على قرية نمل وذر، وقالت: يا هذان هاهنا هلك قومى، فاحتفروا هذا المكان، فاحتفروا عن مال كثير من ذهب وفضة، فأوقرا بعيرها، وقالت لهما: إياكما أن تلتفتا فيُختَلَس ما معكما، وأقبل الذر حتى غشيها، فمضينا غير بعيد، ثم التفتنا فاختُلس ما كان احتملا، فناداياها: هل من ماء؟ قالت: نعم فى موضع هذه الهضبات، وقالت وقد غشيها الذرُّ:

يا ويل يا ولى من أجلى أرى صغار الذر يبغى هبلى

سلطْنَ نَفَرَيْن على محملى لما رأيت أنه لا بد لى

من مَنَعة أحْرِزُ فيها معقلى

ودخل الذرُّ منخريها ومسمعيها، فخرَّت تشهق، فهلكت، ووجد الجهينيان الماء حيث قالت، الماء يقال له مسخى، وهو بناحية فرس حلل إلى جانب مشعر، فهو اليوم لجهينة[1]. انتهى.

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أنه لم يصب جُرْهُمًا من مَعَرَّة جيش بُخْتَنَصّر ما أصاب غيرهم من العرب، وسيأتى هذا الخبر فى أخبار بنى إسماعيل، وفى ذلك دليل على رحمة الله لجُرْهُم.

وذكر الفاكهى أيضًا خبرًا يقتضى أن جُرْهُمًا حين هلكوا بقى منها بقية، ونص هذا الخبر: وحدثنى الزُّبير بن بكار قال: حدثنى عمر بن أبى بكر الموصلى عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب قال: هلكت جُرْهُم فلم يبق منها غير حى فى بنى ملكان، وهم قليل، وآخرون فى بنى الجون. انتهى. وذكر الفاكهى لعمرو بن الحارث، المتقدم ذكره، شعرًا يعظ به بكرًا وغبشان حين تهيئوا لقتال جُرْهُم، ويُعْظِم عليهم القتال فى الحرم ويحذرهم الهلاك إنْ هم فعلوا ذلك، أوله:

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٤١ — ١٤٣.

نعوذ برب الناسِ من كل ظالِمٍ بَغَى من بنى كعبِ الملوك وجُرْهُم

وذكر له أيضًا شعرًا فى شأن بكرٍ وغبشان حين أُخرجوا من مكة أوله:

لقد نهضتْ بكرُ وغبشانُ كلُّها تريد تُسامى جُرْهُمًا فى فعالها[١]

وذكر الفاكهى أيضًا خبرًا يُسْتَغْرَب لما يقتضيه من طول حياة عمرو هذا، لأنه قال: وحدثنى عبد الله بن أبى سَلَمة قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرى عن أبيه قال: حدثنى سعيد بن إبراهيم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سلمة بن عبد الأسد خرج فى ناس من قريش نحو اليمن قال: وأخطأوا الطريق، فأصابهم عطش شديد، قال: فقال أبو سلمة بن عبد الأسد لمن معه من قريش: أى قوم أطيعونى، فإن ناقتى عارفة بالطريق، قالوا: فإنا نُطيعك قال: فخلى عن رأس ناقته، فساروا يومهم وليلتهم حتى كان عند قرب الصبح فإذا الناقة قد بركت، قال أبو سلمة: ما بركت إلا على ماء، قال: فنــزلوا فإذا هم ببعر الغنم، فما كان بأسرع من أن انفجر الفجر، فنظروا فإذا بئر، وعلى رأس البئر رجل طويل لم يُرَ مثله، فتقدموا إليه، فقال الرجل: ممن القوم؟ فقلنا: من قريش، فقال: من أى قريش؟ قلنا: من بنى مخزوم، قال: فسعى فأتى شجرة طويلة، فإذا قفّة معلّقة فى الشجرة، فمد يده فأنزل القفة وفتح رأسها، فإذا شيخ فيها، فرفع حاجبيه ثم قال: أبت، ثلاث مرات قال: ففتح عينيه فقال: ما تشاء؟ قال: هؤلاء قوم من قريش، قال ادعهم إلىَّ، فجاءوا، فقال: تقدموا إلى الشيخ، فتقدمنا إليه، ففعل به مثل ما فعله الأول ثلاث مرات، ففتح عينيه فقال: ما تشاء؟ قال: هؤلاء قوم من قريش، فقال: من أى قريش أنتم؟ قال أبو سلمة: فقلت: من بنى مخزوم، فقال: هأنا ومخزوم، فقال: هل تعرفون لم سُمِّيَتْ أجياد أجيادًا؟ قلنا: لا، قال: لأنها جادت فيها الخيل، ثم قال: لم سُميت قُعَيْقِعان قعيقعان؟ قلنا: لا، قال: لأنها تقعقعت فيها السيوف، ثم أنشأ يقول:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٣.

بل نحن كنا أهلها فأبادَنا كروبُ الليالى والجُدُودُ العواثرُ
فهل فرحٌ يأتى بشيء تريده وهل جَزَعٌ يُنْجيكَ مما تحاذرُ

يا بن أخى أتدرى لِمَ سُميت قُعَيْقعَان باسمها؟ قلت: لا، قال: خرج القوم علينا منها عليهم السلاح تقعقع فسُمِّيَت بقُعَيْقعَان، أتدرى يا بن أخى لم سُمِّيتْ أجياد أجيادًا؟ قلت: لا، قال: جادت بالدماء، فسميت أجيادًا[١]. انتهى.

وذكر هذا الخبر الأزرقى[٢] إلا أنه لم يُسْنده كما أسنده الفاكهى، وفى غيره أن أبا سلمة ومن معه أصبحوا على ماء فاستقوا واستقى، فإنه لَعَلَى ذلك، إذ أقبل إليهم رجل فقال: مَن القوم؟ فقالوا: من قريش، وفيه أن الشيخ قال لأبى سلمة بعد أن ذكر له نسبه: كأن لم يكن. إلخ.

ولم يذكر الأزرقى فى خبره البيت الثالث الذى ذكره الفاكهى من هذا الخبر[٣] وهو بعيد من الصحة لما يلزم عليه من أن يكون عمرو بن الحارث عاش ألف سنة، لأن هذه القصة إنْ صحت فإنها قُبَيل الإسلام، لأن أبا سلمة أدركها، وإدراكه لها يقتضى أن يكون فى هذا التاريخ، لأن سنَّه تقرب من سن النبى ﷺ، فإن ثُوَيبَة مولاة أبى لهب أرضعتهما، كما فى الصحيح عن النبى ﷺ، فإذا كان كذلك فحياة عمرو إلى هذا التاريخ يقتضى أن يكون عمره ما ذكرنا، لكونه عاش مدة ولاية خُزاعة على مكة، وهى خمسمائة سنة، وقيل ثلاثمائة سنة، ومدَّة ولاية قريش وهو نحو ثلاثمائة سنة، مع ما عاشه عمرو فى ولاية قوم جُرْهُم، ومما يؤيد ذلك أن السُّهَيلى، رحمه الله، ذكر المُعَمَّرين، ولم يذكره فيهم، وهو لو كان بهذه الصفة أولى بالذكر لعلُو سنه ومقداره، لأنه قال: ومن أطول المُعمَّرين عُمْرًا: دُوَيْد بن زيد بن نَهْد بن قُضَاعة، ثم قال: عاش دويد أربعمائة عام فيما ذكروا[٤]. انتهى. والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٣ - ١٤٥.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٨٣.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٩٧.
(٤) الروض الأنف ١/ ١٧٩ وانظر لذلك: الاشتقاق ـــ ص ٥٤٨، جمهرة ابن حزم ـــ ص ٤٤٩، طبقات الشعراء لابن سلام ص٣٦ القاموس (دود) هذا وقد تحرف قول السهيلى فى المطبوعتين تحريفا ينادى له الجبين.

الباب السادس والعشرون

فى ذكر شىء من خبر إسماعيل عليه السلام

وذكر ذبح إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام

روينا عن البخارى فى صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا مَعْمَر عن أيوب السختيانى وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ـــ يزيد أحدهما على الآخر ـــ عن سعد قال ابن عباس رضى الله عنهما: أول ما اتخذ النساءُ المِنْطَق من قِبَل أم إسماعيل، اتخذت مِنْطقة لتُعفى أثرها على سارَة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دَوْحَة فوق زمزمَ فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، وذهب إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء؟ وقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت: «آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: فإذًا لا يضيعنا، ثم رَجَعَتْ فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ حتى بلغ قوله: ﴿ يَشْكُرُونَ ﴾.

(سورة إبراهيم: آية ٣٧)

وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى ـــ أو قال يتلبَّط ـــ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف دِرْعها، ثم سعتْ سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا؟ ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فذلك سعْى الناس[1] بينهما، فلما أشرفت على المَرْوَة سمعت صوتًا فقالت: صَهٍ، تريد نفسها، ثم تسمَّعت فسمعت

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الإنسان» وصوابه من الأصل.

أيضًا فقال: قد استمعت إن كان عندك غوث، فإذا هى بالمَلك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـــ أو قال بجناحه ـــ حتى ظهر الماء، فجعلت تُحوّضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها، وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـــ أو قال: لو لم تغرف من الماء ـــ لكانت زمزم عينًا معينًا، قال: فشربتْ وأرضعتْ ولدها، فقال لها الملك: لا تخافى الضيعةَ فإن هذا بيتَ الله الحرام يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يُضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم، أو أهل بيت من جُرْهُم، مقْبلين من طريق كداء[1]، فنـــزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا فقالوا: إن هذا الطير ليدور على ماء، لَعَهْدُنا بهذا الوادى وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جَرِيَّيْن فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا فى الحال ـــ وأم إسماعيل عند الماء ـــ فقالوا: أتأذنين لنا أن ننـــزل عندكم؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم فى الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس رضى الله عنهما: قال النبى ﷺ: فألْفَى ذلك أمَّ إسماعيل وهى تُحبّ الأُنس، فنـــزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنـــزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشَبَّ الغلام وتعلم العربية منهم وأنْفَسَهم وأعجبهم حين شَبَّ، فلما أدرك زوَّجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تَرِكته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغى لنا، ثم سألها عن عَيْشهم وهيئتهم قالت: نحن بِشَرٍّ، نحن بضيق وشدة، فشكت إليه قال: فإذا جاء زوجُك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغيِّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل وكأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرتُهُ، وسألنى كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا فى جَهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشىء؟ قالت: نعم، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيِّر عتبة بابك، قال: ذاك أبى، وقد أمرنى أن أفارقك، الْحَقى

---

(١) فى المطبوعتين: «كُدَى» والتصويب عن الأصل والبخارى.

بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيمُ ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده، ودخل على امرأته، فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عَيْشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسَعَة، وأثنتْ على الله عز وجل، قال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت الماء: قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلاَّ لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجُك فاقرئي عليه السلام، ومُريه يثبِّتْ عَتَبَةَ بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم مِن أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حَسَن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك، فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنّا بخير قال: أفأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، وهو يقرئ السلام عليك ويأمرك أن تثبِّت عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، وأمرني أن أمْسكَكِ، ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دَوْحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتُعينني عليه؟ قال: وأُعينُك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتًا ــ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ــ فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء [إبراهيم][(١)] بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٢٧) حتى رفع البناء.

ورأيت في الأخبار الواردة في هذا المعنى أمورًا بعضها يخالف ما في هذا الخبر وبعضها يوضح ما فيه من أمر مبهم، فحسُنَ ببالي ذكر ذلك لما يحصل به من الفائدة.

---

(١) إضافة عن البخاري.

فمن الأمور المخالفة لهذا الخبر: أن الفاكهى روى بسنده من طريق الواقدى عن أبي جهم بن حذيفة خبرًا فى قدوم إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام قال فيه: فعمد إبراهيم إلى موضع الحجر فأنزل فيه هاجر وإسماعيل، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشًا[1]. انتهى.

وذكر الأزرقى ذلك فيما رواه بسنده عن ابن إسحاق لأنه قال فى خبر رواه فى هذا المعنى فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشًا[2]. انتهى.

فهذا يخالف ما فى خبر ابن عباس السابق لأن فيه: ثم جاء إبراهيم بهاجر وابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد، ووجه المخالفة بَيِّنٌ ظاهر، لأن موضع الحجر غير موضع زمزم.

وذكر المسعودى ما يخالف ما ذكره ابن عباس وما ذكره أبو جهم بن حذيفة وابن إسحاق فى موضع إنزال إبراهيم لابنه إسماعيل وأمه هاجر، لأنه قال: ولما أسكن إبراهيم ولده إسماعيل بمكة مع أمه هاجر واستودعهما خالقه على حسب ما أخبر الله سبحانه وتعالى وأنه أسكنهما بوادٍ غير ذى زرع، وكان موضع البيت ربوة عراء أمر إبراهيم هاجر أن تتخذ عليها عريشًا يكون لها سكنًا وكِنًّا[3]. انتهى.

فتحصل من هذا فى الموضع الذى أنزل إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه ثلاثة أقوال: هل هو فى موضع الحجر على ما ذكر أبو جهم وابن إسحاق؟ أو فوق زمزم على ما ذكر ابن عباس؟ أو فى موضع البيت على ما ذكر المسعودى؟ والله أعلم.

ومنها أن الفاكهى روى بسنده من طريق الواقدى عن أبي جهم بن حذيفة خبرًا ذكر فيها نفاذ الماء الذى كان مع أم إسماعيل وتطلّبها للماء حين عطش ابنها إسماعيل وسقى الله لها وإخراج جبريل لهما الماء فى موضع زمزم وغير ذلك، وفيه

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٢٠.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٥٤.
(٣) مروج الذهب ٢/ ٤٦.

قال: قال: ويقبل غلامان من العماليق يريدان بعيرين لهما قد أخطآه وقد عطشا، وأهلهما بعرفة، فنظرا إلى طير يهوى قِبَل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالا: أنى يكون هذا الطير على غير ماء؟ قال أحدهما لصاحبه: كما ترى هذا الطير يذهب إلى غير ماء؟ قال الآخر: فأمهل حتى نبرد ثم نسلك فى مهوى أو مهد الطير، فأبردا ثم نزحا، فإذا الطير يرد ويصدر، فاتبعا الواردة منها حتى وقعا على أبى قبيس، فنظرا إلى الماء وإلى العريش، فنزلا وكلّما هاجر وسألاها متى نزلت؟ فأخبرتهما، وقالا: لمن هذا الماء؟ فقالت: لى، ولابنى، فقالا: ومن حفره؟ فقالت: سُقْيا الله، فعرفا أن أحدًا لا يقدر على أن يحفر هنالك ماء، وعهدهما[1] بما هنالك قريب وليس به ماء، فرجعا إلى أهلهما من ليلتهما وأخبراهم، فتحولوا حتى نزلوا معها على الماء، وأنست بهم ومعهم الذرية، ونشأ إسماعيل مع ولدانهم، وكان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتى مكة ثم يرجع فيقيل فى منزله بالشام، ونظر من هنالك من العماليق وإلى كثرتهم وعمارة الماء فسُرَّ بذلك[2]. انتهى.

وهذا يقتضى أن الذين نزلوا على هاجر حين أخرج الله لها الماء العماليق، وهو يخالف خبر ابن عباس السابق فإنه يقتضى أنّ الذين نزلوا على هاجر حين أخرج الله لها الماء قوم من جُرْهُم قدموا من طريق كُدَى بعد أن أنكروا الماء لكونه لم يعهدوه، وبعد أن استأذنوا هاجر فى النزول معها فأذنت لهم فى ذلك لحبها فى الأنس بهم، وفى حبها لذلك إشعار بفقْدها لأحد تأنس به غيرهم، والله أعلم.

وذكر الجندى فى «فضائل مكة» عن ابن عباس خبرًا فى وضع إبراهيم لإسماعيل وأمه بمكة، وفيه ما يقتضى أن جُرْهُمًا الذين نزلوا على إسماعيل وأمه قدموا من اليمن بعد أن سار إسماعيل يصطاد لأنه فيه[3]، فمكثت هى وإسماعيل يصطاد عليها من الحِلّ، حتى جاء ناس من اليمن من جُرْهُم فرأوا الطير يطوف

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «وعدهما» وصوابه من الأصل.
(٢) أخبار مكة الفاكهى ٥/ ١٢٠.
(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «لأمه فيه» وصوابه من الأصل.

على الماء وهم ذاهبون إلى الشام، فلما رأوا الماء وجدوا عنده المرأة وابنها وذكر بقية الخبر، وهذا غريب جدًّا، أعني كون إسماعيل يصطاد حين نزل جُرْهُم على أمه، والمعروف أنه كان إذ ذاك رضيعًا...

ومنها: أن الفاكهي روى بسنده عن طريق الواقدي عن أبي جهم بن حُذَيفة قال: لما بلغ إسماعيل تزوج امرأة من العماليق ابنة صدى قال: فجاء إبراهيم زائرًا لإسماعيل وإسماعيل في ماشيته يرعاها ويخرج متنكبًا قوسه فيرمي الصيد مع رعيته، وكان يرعى بأعلى مكة السدرة وما والاها، فجاء إبراهيم إلى منـــزله فقال: السلام عليكم يا أهل البيت، فسكتت فلم تردّ عليه إلاَّ أن تكون ردت عليه في نفسها، فقال: هل من منـــزل؟ قالت: لاها الله إذن، قال: كيف طعامكم ولبنكم وماشيتكم؟ قال: فذكرت جهدًا، فقالت: أما الطعام، فلا طعام، وأما الشاة فلا تحلب الشاة بعد الشتاء المضير، قال الواقدي: المضير السُّحُب، وأما الماء فعلى ما ترى من الغلَظ، قال: فأين رب البيت؟ قالت في حاجته، قال: فإذا جاء فاقرئيه السلام وقولي: غيِّر عتبة بيتك[1]. انتهى.

وهذا يقتضي أن امرأة إسماعيل التي أمره أبوه بفراقها من العماليق، وهو يخالف ما في خبر ابن عباس السابق، فإن فيه ما يقتضي أنها من جُرْهُم.

وذكر المسعودي أنها من العماليق[2]، وذكر كلاما يقتضي أنها من العماليق الذين قدموا من اليمن وملكهم السَّمَيدَع، وذلك يخالف ما في خبر أبي جهم بن حُذَيْفة، فإنه يقتضي أنها من العماليق الذين كانوا حول مكة حين قدم إبراهيم بإسماعيل إلى مكة، وذكر المسعودي أن المرأة التي تزوجها إسماعيل من العمالقة هي الجداء[3] بنت سعد، وذلك يخالف ما ذكره أبو جهم بن حُذَيْفة في اسم أبي المرأة التي تزوجها إسماعيل من العمالقة، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٢٨.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٤٦.

(٣) في المطبوعتين: «هي صدا» والمثبت رواية الأصل ومثلها لدى المسعودي الذي ينقل عنه المصنف، وكذلك وردت لدى السهيلي في الروض الأنف ١/ ٤٢.

وقال السُّهَيْلي بعد أن ذكر أم أولاد إسماعيل: وقد كان له امرأة سواها من جُرْهم[١]، وهي التي أمره أبوه أن يطلقها حيم قال لها إبراهيم: قولي لزوجك فليغير عتبة بابه، يقال لها: صدا بنت سعد، وذكر السهيلي أن الواقدي ذكر ذلك في كتابه «انتقال النور» وذكر السُّهَيلي أن المسعودي ذكر ذلك أيضًا.

ومنها: أن الفاكهي روى بسنده من طريق الواقدي عن أبي جهم بن حُذَيْفة قال: وفيه نَظَرَ إسماعيل إلى بنت مُضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها، فجاء إبراهيم زائرًا لإسماعيل، فجاء إلى بيت إسماعيل فسلم عليه فقال: السلام عليكم يا أهل البيت، ورحمة الله، فقامت إليه المرأة فردت إليه ورحَّبت به فقال: كيف عيشكم ولبنكم وماشيتكم؟ قالت: خير عيش، نحمد الله، ونحن في لبن كثير، ولحم كثير، وماء وبلّ وصَيِب[٢]، قال: هل من حَبّ؟ قالت: يكون إن شاء الله ونحن في نعَم، قال: بارك الله لكم، قال أبو جهم: فكان أبي يقول: ليس أحد يخلو على اللَحم والماء بغير مكة إلاَّ اشتكى بطنه، ولَعَمْري لو وجد عندها حبًّا لدعا فيه بالبركة، وكانت أرض زرع قال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم واللبن، قال: ما شرابكم؟ قالت: اللبن والماء، قال: بارك الله لكم في طعامكم، أو قال: في طعام وشراب، قالت: انزل رحمك الله فاطعم واشرب، قال: إني لا أستطيع النـــزول. انتهى باختصار.

ثم قال بعد غسلها لرأسه وهو راكب، فلما فرغت قال لها: إذا جاء إسماعيل قولي له: أثْبِت عتبة بيتك، فإنها صلاح المنـــزل[٣]. اهـــ.

وهذا لم نورده لمخالفة بينه وبين خبر ابن عباس السابق، وإنما أوردناه لما فيه من الفائدة ببيان أن زوجة إسماعيل التي أمره أبوه بإمساكها لشكرها النعمة هي بنت مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمي، فإن خبر ابن عباس السابق لا يفهم ذلك، ولكن يروى عن ابن عباس أنها السيدة بنت مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمي.

---

(١) في المطبوعتين: «من كُدَى» والمثبت لدى السهيلي ١/ ٤٢ الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) في طبعة الذهبي: «وماء وإبل».

(٣) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٢٩.

وذكر المسعودى أن امرأة إسماعيل التى أمره أبوه بإمساكها هى سامة[1] بنت مهلهل الجُرْهُمى، وذكر ذلك السُّهَيلى لأنه قال: ثم تزوج أخرى وهى التى قال لها إبراهيم عليه السلام فى الزَّوْرة الثانية: قولى لزوجك فليثبت عتبة بيته... الحديث، وهو مشهور فى الصحيح أيضًا.

ويقال: اسم هذه المرأة الأخير سامة بنت مهلهل، وذكر السُّهيلى أن الواقدى ذكر ذلك فى كتاب: «انتقال النور» وأن المسعودى ذكر ذلك أيضًا، قال السهَيلى: وقد قيل فى الثانية عاتكة.اهـ.

وما ذكره الواقدى والمسعودى والسهيلى فى امرأة إسماعيل الثانية يخالف ما يروى فيها عن أبى جهم وابن عباس والله أعلم.

ولم يبين السُهَيلى عاتكة التى قيل إنها امرأة إسماعيل، وقد بين ذلك ابن هشام فى كتابه «التيجان» لأنه قال: إنها عاتكة بنت عمرو الجُرْهُمى وأنها قالت لإبراهيم عليه السلام إن هاجر وإسماعيل يرعيان الغنم، فانزل أو سر معى إلى زمزم أغسل رأسك وأنت راكب.اهـ.

وليس فى خبر ابن عباس السابق بيان أن امرأة إسماعيل الأولى من جُرْهُم، وقد بيّن ذلك الأزرقى، لأنه قال بعد أن ذكر نزول جُرْهُم على إسماعيل وأمه: فلما بلغ أنكحوه جارية منهم، قال: وهى فى كتاب «المبتدأ» عن عبّاد عن سلمة عن محمد ابن إسحاق أن اسم امرأة إسماعيل عمارة بنت سعيد بن أسامة.اهـ. وليس فى خبر ابن عباس السابق بيان سن إسماعيل حين بنى مع أبيه الخليل إبراهيم البيت الحرام، وقد بيّن ذلك الفاكهى، لأنه روى بسنده من طريق الواقدى عن أبى جهم ابن حُذَيفة قال: فلما بلغ إسماعيل ثلاثين سنة وسيدنا إبراهيم الخليل يومئذ ابن مائة سنة أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن ابْنِ لى بيتًا وذكر بناء البيت، وذكر ذلك أيضًا المسعودى، وذكر الأزرقى ما يخالف ذلك، لأنه روى بسنده عن ابن إسحاق أن إبراهيم لما قدم مكة لبناء البيت كان إسماعيل ابن عشرين سنة، وفى

(١) فى المطبوعتين: «شامة» بالشين المعجمة، والمثبت رواية الأصل وهى بالسين المهملة، ومثله لدى المسعودى ٢/ ٤٧، وكذلك أيضًا لدى السهيلى ١/ ٤٢.

هذا بُعْد لأن إسماعيل تزوج بعد أن بلغ، وزاره إبراهيم بعد أن تزوج فلم يجده، ثم لبث إبراهيم ما شاء الله، ثم زار إسماعيل ثانية فلم يجده، ثم لبث إبراهيم ما شاء الله، ثم جاء لبناء البيت، وهذا يقتضي أن يكون من بلوغ إسماعيل إلى بناء البيت مدة طويلة، فيكون سنه حين البناء أكثر من عشرين سنة والله أعلم، وقد بان بما ذكرناه بعد ذِكْرنا لخبر ابن عباس السابق فوائد كثيرة تتعلق به، والله أعلم.

ذكر ذبح إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام

قال الفاكهى: وكان من حديث ذبح إسماعيل وقصته فى ذلك ما أذكره الآن: حدثنى عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله، عن ابن إسحاق قال: حُدِّثت — وعند الله العلم — أن إبراهيم أُمر بذبح ابنه، قال: أىْ بُنَىّ خذ الحبل والمدْيَة وهى الشفرة ثم امش بنا إلى هذا الشِّعْب لنحتطب لأهلك منه، قبل أن يذكر له ما أمر به، فلما توجه به اعترضه إبليس عدو الله ليصده عن أمر الله عز وجل فى صورة رجل، فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعْب لحاجة لى، فقال: والله إنى لأرى الشيطان قد أتاك فى منامك فأمرك أن تذبح ابنك هذا فأنت تريد أن تذبحه، فعرفه إبراهيم، فقال: عنّى أىْ عدوَّ الله، فوَالله لأمضينّ لأمر ربّى.

فلما يئس من إبراهيم اعترض لإسماعيل وهو وراء أبيه يحمل الحبل والمدية، فقال: أيها الغلام، هل تدرى أين يذهب بك أبوك؟ قال: نحتطب لأهلنا، قال: لا والله ما يريد إلاَّ أن يذبحك، قال: ولِمَ؟ قال: يزعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به ربه سمعًا وطاعة.

فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهى فى منزلها، فقال: يا أم إسماعيل أتدرين أين ذاهب إبراهيم بإسماعيل؟ قالت: ذهبا يحتطبان، فقال: ما ذهب إلا ليذبحه، قالت: كلا إنه أرحم من ذلك وأحب إليه، قال: يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: إن كان الله أمره بذلك سلمنا لأمر الله.

فرجع عدو الله بغيظه لم يصب منهم شيئًا مما أراد، وقد منع الله منه إبراهيم وآل إبراهيم وأجمعوا لأمر الله بالسمع والطاعة.

فلما خلا إبراهيم فى الشِّعْب ويقال ذلك إلى ثبير، قال له: يا بُنَى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين.

قال فحُدِّثْتُ أن إسماعيل قال له عند ذلك: يا أبتاه إذا أردت ذبحى فاشدُدْ رباطى لا يصيبك من دمى فينقص أجرى فإن الموت شديد ولا آمن أن أضطرب عنده إذا وجدت مسه، واشحذ شفرتك حتى تُجْهِز علىَّ فتذبحنى، فإذا أنت أضجعتنى فاكببنى على جبينى[١] ولا تضجعنى لشقى فإنى أخشى إن أنت نظرت إلى وجهى أن تدركك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك فىَّ، وإن رأيت أن تردَّ قميصى إلى أمى فإنه عسى أن يكون أسلى لها فافعل.

فقال إبراهيم: نِعْم العون أنت يا بنىَّ على أمر الله، ويقال: إنه ربطه كما أمره بالحبل فأوثقه، ثم شحذ شفرته، ثم تله للجبين واتقى النظر إلى وجهه، ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفائها فى يده ثم اجتذبها إليه ونودى: أن يا إبراهيمُ قد صَدَّقْتَ الرؤيا فهذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه[٢].

قال ابن إسحاق: وحدثنى الحكم بن عُيَيْنة عن مجاهد عن مقسم مولى عبد الله ابن الحارث عن ابن عباس أنه قال: أخرجه الله إليه من الجنة، قيل: رعى قبل ذلك أربعين خريفًا.

ثم قال الفاكهى: قال ابن إسحاق: فحدثنى مَنْ لا أتّهم من أهل البصرة عن الحسن أنه كان يقول: ما فُدِى إلاّ بِتَيْسٍ هبط عليه من الأرْوِى هبط عليه من ثبير[٣].

ثم قال الفاكهى: ويزعم أهل الكتاب وكثير من العلماء أن ذبيحة إبراهيم التى فُدى به إسماعيل كبش أملح أقرن أعين[٤].

---

(١) فى المطبوعتين وأخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٢٣: «جنبى» والمثبت رواية الأصل وهى توافق قوله تعالى: ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ أى ألقاه على وجهه

(٢) الفاكهى ٥/ ١٢٣ – ١٢٤.

(٣) الفاكهى: ٥/ ١٢٤.

(٤) الفاكهى ٥/ ١٢٤.

mngool.com الزهراني

ثم قال الفاكهي: وحدثنا محمد بن سليمان قال: حدثنا قَبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الكبش الذي قربه ابن آدم[(١)].

ثم روى الفاكهي بسنده عن ابن عباس أن الكبش الذي فُدي به إسماعيل هو القربان المُتقبَّل من أحد بني آدم، ثم قال هذا الخبر: فلم يزل ذلك الكبش محبوسًا عند الله حتى أخرجه في فداء إسماعيل، فذبحه على هذا الصفا في ثبير عند منـزل سَمُرَة الصراف وهو على يمينك حتى ترمي الجمار[(٢)].

وذكر الفاكهي خبرًا فيه ما يقتضي أن ذبح إبراهيم لفداء إسماعيل كان بين الجمرتين بمنى، وأن ذلك كان في زمن الحج لأنه قال: وحدثنا عبد الله بن أبي سلمة قال: حدثنا ابن أبي الوزير والفضل بن خالد قالا: حدثنا محمد بن جابر قال: حدثنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرب عن عليٍّ فذكر خبرًا يأتي ذكره، ثم قال: وقال علي بن أبي طالب: ثم أوحى الله تعالى إليه نادِ بالحج[(٣)] فنادى عند كل ركن: حجوا يا عباد الله، فلبيَّ كل شيء حتى النحلة، فكانت أول التلبية لبيك اللهم لبيك، ثم أتاه جبريل قبل يوم عرفة فذهب به إلى مِنَى فنـزل بها وبات حتى أصبح غاديًا إلى عرفات، ثم راح إلى الجبل الذي يفيض منه الناس فوقف به، ثم أراه الموقف ثم خرج إلى جَمْع[(٤)] فبات بها ليلة جمع، ثم إنه أمر بذبح إسماعيل فأصبح حزينًا، فقال له [جبريل] هل عرفت المواقف [بعرفات]؟ قال: لا، فذهب به مرة أخرى فقال: أعرف، فمن ثَمَّ سُمِّيَت عرفات، ثم رده إلى جمع، فلما صلى الغداة وقف فدعا حتى أضاء النهار، ثم أفاض فأتى جَمْرَة العَقَبَة فرماها بسبع حصيات، ثم قيل له: اذبح ما أُمرت به، فدعا إسماعيل فقال: إني أمرت بذبحك، فقال له إسماعيل: امض على ما أُمرت به فإني سوف أطيعك، ولا أحسب إلاَّ أنه

---

(١) الفاكهي ٥/ ١٢٤.

(٢) الفاكهي ٥/ ١٢٤.

(٣) تحرف في طبعة تدمري إلى: «ناد الحج» وصوابه من الأصل والفاكهي.

(٤) جمع: هي مزدلفة.

قال: أخاف أن أجزع، فإن خفت فشُدّ يدى وراء ظهرى فإنى أحذر أن لا أضطرب، فوضعه لجبينه فجعل ينظر ويعرض، فقال له: اعرض وضَع السكين، فوضعها فانقبلت، وناداه مناد من السماء أن قد وفيت بنذرك وأرضيت ربك اذبح الذى أنزل عليك، فنـــزل عليه كبش من ثبير فاضطرب الجبل، ثم جاء به يجرى حتى نحره بين الجمرتين[١]. اهــ.

ورُوى عن ابن عباس أن الذبيح إسماعيل، وروى [عنه][٢] مرفوعًا ما يقتضى أنّ الذبيح إسحاق، ولفظ هذه الرواية بعد ذِكْر قصّة تتعلق بإبراهيم فى رميه الجمار: فلما أراد إبراهيم أن يذبح ولده إسحاق قال لأبيه: يا أبت أوثقنى لا أضطرب فينضح عليك دمى إذا ذبحتنى، فشده، فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه نودى من خلفه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، نقل هاتين الروايتين عن ابن عباس المحب الطبرى وقال: أخرجهما الإمام [أحمد][٣].

وقال المحب: وعن العباس بن عبد المطلب قال: الذى أمر إبراهيم بذبحه إسحاق وهكذا قالوا: كانت القصة بالشام، أخرجه الواحدى بسنده، وهذا قول الأكثرين أنه إسحاق وهو قول على وابن مسعود، وكعب، ومقاتل، وقتادة، وعِكْرمة، والسُّدِّى، وقال آخرون: الذى أُمر بذبحه إسماعيل، وهو قول سعيد بن المسيب، والشعبى، والحسن، ومجاهد، وابن عباس، وفى رواية عطاء: ثم قال المحب: وسياق الآية يدل على أنه إسحاق لأنه جل وعلا قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ (سورة الصافات: آية ١٠١) ولا خلاف أن هذا إسحاق، ثم قال: فلما بلغ معه السعى، فعطف بقصة الذبيح، لأنه قال فى «التهذيب»: واختلف العلماء فى الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ والأكثرون على أنه إسماعيل. اهــ.

وممن رجح أن الذبيح إسماعيل «الفاكهى» فى كتاب «أخبار مكة» لأنه قال: وقد قال الناس فى الذبيح ما قالوا، فقالت العرب: هو إسماعيل، وقالت طائفة من

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

المسلمين وأهل الكتاب جميعًا: إنه إسحاق، فإن أقوال العرب فى ذلك أثبت، واستدل الفاكهى على ذلك بما معناه أن الله تعالى عبر عن قصة إسماعيل بقــوله: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الصافات: آية ١٠١ - ١١١) وأخبر عن قصة إسحاق بقوله: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (سورة الصافات: آية ١١٢). وإن ذكر قصة إسحاق بعد القصة التى قبلها دليل على أن إسحاق غير الذبيح وأنّ ذلك يتأيد بكون سارة بُشّرت بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، ويعقوب هو ابن إسحاق والبشارة بيعقوب تقتضى حياة أبيه لتصح البشرى، فكيف يؤمر بذبح[1] ابنه؟.

ونُقل أن الذبيح إسماعيل عن ابن عباس من رواية مجاهد عنه ومن رواية عكرمة عنه وعن مجاهد نفسه وعن سعيد بن المسيب، وعن سعيد بن جبير عن أبى الخلد، وعن عبد الله بن سلام ولفظ ما نقله عنه، قال: كنا نقرأ فى كتاب اليهود أنه إسماعيل وعن محمد بن كعب القرظى، وعن سعيد بن جبير وعن الحسن، وذكر فى ذلك شعرًا لأمية بن أبى الصلت الثقفى حيث يقول:

ولإبراهيم الموفى بالنذر ... احتسابًا وحامل الأجزالِ
بِكْره لم يكن ليصبر عنه ... لو رآه فى معشر إقبالِ
بينما يخلع السراويل عنه ... فكّه ربُّه بكبش حلالِ

ثم قال الفاكهى: قال ابن إسحاق فى حديثه: فحقق قول أُميَّة بن أبى الصَّلْت فى شعره أن الذى أمر بذبحه إبراهيم من ولده بكره، وبكره إسماعيل وهو أكبر من إسحاق فى علم الناس كلّهم! العرب من بنى إسماعيل وأهل الكتاب[2]. اهـــ.

وممن رجح كون الذبيح إسماعيل الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، لأنه قال فى ترجمته: وهو الذبيح على الصحيح، ومن قال إنه إسحاق فإنه تلقاه مما حرفه النَّقَلة من بنى إسرائيل. اهـــ.

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٢٦.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٢٧.

وكلام السُّهَيلي يقتضي ترجيح قول من قال: إنّ الذبيح إسحاق، وأجاب عما يخالف ذلك ونذكر كلامه لإفادة ذلك وغيره ونصه: وقوله ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ الآية، يعني بإسحاق، ألا تراه يقول في آية أخرى ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (سور هود: آية ٧١) وقال في آية أخرى ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ (سورة الذاريات: آية ٢٩) الآية، وامرأته هي سارة، فإذا كانت البشارة بإسحاق نصًّا فالذبيح إذًا هو إسحاق لقوله هاهنا ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ (سورة الصافات: آية ١٠٢) الآية، وأيضًا فإنه قال: بلغ معه السعي، ولم يكن معه بالشام إلا إسحاق، وأما إسماعيل فكان استودعه مع أمه في بطن مكة.

وبهذا القول قال ابن مسعود ورواه ابن جبير عن ابن عباس، ورُوي أيضًا عن ابن عباس مرفوعًا عن النبي ﷺ غير أن الإسناد فيه لين، وبهذا قال كعب الأحبار، وبه قال شيخ التفسير محمد بن جرير، وروى ذلك أيضًا عن مالك بن أنس.

وقالت طائفة: إن الذبيح إسماعيل، وروى هذا القول بإسناد عن الفرزدق الشاعر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولو صح إسناده عن الفرزدق لكان في الفرزدق نفسه مقال، وروى أيضًا من طريق معاوية قال: سمعت رجلاً يقول للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين في حديث ذكره، فتبسم النبي ﷺ، ولو صح إسناده هذا الحديث لم يقم به حجة لأن العرب تجعل العم أبًا، قال الله تعالى: ﴿ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٣٣) الآية، وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (سورة يوسف: آية ١٠٠) وهما أبوه وخالته، ومن حُجّتهم أيضًا أن الله لما فرغ من قصة الذبيح قال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ إلخ، والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن البشارة الثانية إنما هي نبوة إسحاق والأولى بولادته، ألا تراه يقول: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا ﴾ (سورة الصافات: آية ١١٢) ولا تكون النبوة إلا في حال الكبر، ونبيًّا منصوب على الحال.

والجواب الثاني: أن قوله: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا ﴾ تفسير كأنه قال بعدما فرغ من ذكر البشرى وذكر ذبحه: وبشرناه، وكانت البشارة بإسحاق كما روت

عائشة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٣٨) أى وهي صلاة العصر، فعطف الاسم على الاسم والمسمَّى واحد، ومما احتجّوا به أيضًا قوله: ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (سور هود: آية ٧١) فى قراءة من نَصب، أى: ومن بعد إسحاق يعقوب، فكيف يبشر بإسحاق وأنه يلد يعقوب ثم يؤمر بذبحه.

والجواب أن الاحتجاج باطل من طريق النحو، لأن يعقوب ليس مخفوضًا عطف على إسحاق ولو كان كذلك لقال: ومن وراء إسحاق بيعقوب، لأنك إذا فصلت بين واو العطف وبين المخفوض بجار ومجرور لم يجز، أن تقول مر بزيد وبعده عمرو إلاَّ أن تقول وبعده بعمرو، فإذا بطل أن يكون يعقوب مخفوضًا ثبت أنّه منصوب بفعل مقدَّر مُضْمَر تقديره وهبنا له يعقوب، فبطل ما ادعوه به وثبت ما قدمناه وبالله المستعان.اهـــ.

وفى قصة الذبيح دليل واضح على فضل إسماعيل، وقد أثنى الله عليه فى غير ما آية فى كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: آية ٨٥، ٨٦) وقال: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ (سورة مريم: آية ٥٤، ٥٥) وقال عز وجل: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (سورة ص: آية ٤٨) والآيات والأحاديث فى فضله كثيرة، وكان إسماعيل رسولاً من الله إلى جُرْهُمْ والعماليق على ما ذكره السهيلى، لأنه قال: وإسماعيل نبى مُرْسَل أرسله إلى أخواله من جُرْهُم وإلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز، فآمن بعضهم وكفر بعض. انتهى.

وفيما ذكره السُّهَيلى من أنّ جُرْهُمًا أخوال إسماعيل نظر، لأن أمه هاجر جارية سارة زوج الخليل عليه السلام، ولعل السهَيْلى أراد أن يقول إن أصهاره من جُرْهُم فسبق القلم إلى كتابة أخواله، والله أعلم.

وقد نقل القطب الحلبي كلام السهيلي ولم يثبته على ما أشرنا إليه، ونقل القطب عن السُّهَيلي أنّ تفسير إسماعيل مطيع الله، اهـ.

وإسماعيل أول من ذُلِّلتْ له الخيل، لأن الفاكهي روى بسنده عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال: إن أباكم إسماعيل أول من ذُلِّلت له الخيل العراب فأعتقها وأورثكم حبّها[١].

وقد سبق هذا الحديث بسنده في خبر جُرْهُم، وإسماعيل أيضًا أول من ركب الخيل، لأن الزبير بن بكار روى بسنده عن ابن عباس قال: كانت الخيل وحوشًا لا تُركَب فأول من ركبها إسماعيل، فبذلك سُمِّيت العرب ذرية إسماعيل بن إبراهيم، وإسماعيل أيضًا أول من تكلم بالعربية، لأن الزبير روى بسنده عن ابن عباس قال: أول من تكلم بالعربية فوضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتابًا واحدًا مثل بسم الله الرحمن الرحيم الموصول حتى فرق بين ولده: إسماعيل بن إبراهيم.

وروى الفاكهي عن محمد بن علي بن الحسين يعني الباقر أنه سُئل: أول من تكلم بالعربية فقال: إسماعيل بن إبراهيم النبي عليهما السلام وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة. انتهى.

وقيل: إنّ الله أنطق إسماعيل بالعربية إنطاقًا وهو ابن أربع عشرة سنة، ذكر هذا القول السُّهَيلي.

وقد رُوي في أول من تكلم بالعربية غير ما ذكرناه لأن الفاكهي روى بسنده عن ابن عباس قال: من الأنبياء خمسة ممن تكلم بالعربية: محمد رسول الله ﷺ، وإسماعيل بن إبراهيم، وشُعَيب وصالح، وهود، وسائرهم بالسريانية، ما خلا موسى فإنه تكلم بالعبرانية، والعبرانية هي من السريانية وتكلم بها إبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب، فورثها ولده من بعده بنو إسرائيل فهي لغتهم، وبها قرأ موسى التوراة عليهم[٢]. انتهى.

---

(١) الفاكهي ٤/ ١٨٩.
(٢) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٣٠.

وهذا يقتضى أن إسماعيل ليس أول من تكلم بالعربية لأن هودًا تكلم بها، وهو قبل إسماعيل.

وروى الفاكهى بسنده ما يقتضى أنّ جُرْهُمًا وقَطُورا أول من تكلم بالعربية، لأنه روى بسنده عن ابن إسحاق من طريق عثمان بن ساج ومن طريق زياد البكائى عنه خبرًا فى قدوم جُرْهُم وقَطُورا إلى مكة، وفيه: وجُرْهُم وقَطُورا أول من تكلم بالعربية منهم[1]. اهـ.

وقد قيل: أول من كتب بالعربية غير ما ذكرناه، لأن السُّهَيلى قال: والخلاف كثير فى أول من تكلم بالعربية وفى أول من أدخل الكتاب العربى أرضَ الحجاز فقيل: حرب بن أمية قاله الشّعبى[2]، وقيل: سفيان بن أمية، وقيل: عبد بن قُصَىّ، تعلموه بالحيرة وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار. اهـ.

وذكر السُّهَيلى ما يقتضى ترجيح ما قيل من أن إسماعيل أول من كتب بالعربية، لأنه قال: وعنه ﷺ أنه قال: أول من كتب بالعربية إسماعيل، قال أبو عُمر[3]: هذا أصحّ من رواية من روى أول من تكلم بالعربية إسماعيل. اهـ.

وأبو عُمر[3] هذا هو ابن عبد البر حافظ المغرب[4].

واختلف فى تسمية إسماعيل بإسماعيل، لأنّ المسعودى قال: وقيل إنّما سُمّى إسماعيل لأنّ الله تعالى سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها سارة أم إسحاق، وقيل: إن الله تعالى سمع دعاء إبراهيم[5]. اهـ.

واختلف أيضًا فى مبلغ عمر إسماعيل حين مات، وفى موضع قبره، فقال ابن إسحاق: كان عمر إسماعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات رحمة الله وبركاته عليه فدُفن فى الحِجْر مع أمه هاجر[6]. اهـ.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٠.
(٢) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «قاله المسعودى» وصوابه من الأصل.
(٣) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «أبو عمرو» وهو تحريف قبيح.
(٤) الروض الأنف ١/ ٣٦.
(٥) مروج الذهب ٢/ ٤٨.
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥.

وقال المسعودى: وقُبض إسماعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدُفن فى المسجد الحرام قبال الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود[١]. اهـ.

وذكر ابن الأثير فى كامله، والشيخ عماد الدين إسماعيل بن كثير فى تاريخه فى مبلغ عمر إسماعيل مثل ما ذكره المسعودى، والله أعلم بالصواب.

وفى موضع قبره مقالة أخرى وهى أنه بالحطيم، وقد سبق ذلك، والله أعلم بالصواب.

وفى إسماعيل لغتان: إسماعيل باللام والأخرى إسماعين بالنون، ويُروَى أنّ هاجر دعت ابنها إسماعيل يا شمويل، لأن الفاكهى روى بسنده عن حارثة بن مُضَرِّب[٢] عن على قال: سمعت النبى ﷺ يذكر أن هاجر دعت إسماعيل هكذا: يا شمويل يا شمويل ثلاث مرات وعدها. اهـ.

وإسماعيل أول العرب كلها، قال ابن هشام: فالعرب كلها من إسماعيل وقحطان وبعض أهل اليمن[٣] يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول إسماعيل أبو العرب كلها[٤]. اهـ.

ورُوى عن النبى ﷺ أن إسماعيل أبو العرب إلاَّ أربعة قبائل، وهذا الحديث ذكره الفاكهى لأنه قال: وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن صالح عن ثور بن يزيد عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: العرب بنو إسماعيل إلاَّ أربع قبائل: السلف، والأوزاع، وحَضْرَمَوْت، وثقيف[٥].

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٤٨.
(٢) قيده صاحب التقريب بتشديد الراء المكسورة قبلها معجمة، ومثله فى الأصل والفاكهى ٢/ ٧ وتحرف فى الأصل إلى «مضرس».
(٣) فى المطبوعتين: «وبعض العرب» والمثبت رواية الأصل وابن هشام الذى ينقل عنه المصنف.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٧.
(٥) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣١.

وهذا الخبر مُرْسَل وفيه نظر لكونه يقتضى أن ثقيفًا ليسوا من بنى إسماعيل وهم منهم، لأن ثقيفًا تُنسَب إلى مُضَر على الصحيح، وقيل: تُنسب إلى مَعَدّ بن عدنان وهو من بنى إسماعيل وكذلك مُضَر.

وذكر الفاكهى محاورة كانت بين إسماعيل وأخيه إسحاق بن إبراهيم لأنه قال: قد حدثنا عبد الله بن أبى سلمة قال: أخبرنا الهيثم بن عدى عن مجاهد، عن الشعبى، عن ابن عباس قال: جاء إسماعيل إلى إسحاق فطلب ميراثه من أبيه فقال له إسحاق: أما رضيت أن تركناك وأمك لم نأخذكما فى الميراث، فآوى إلى جذم حائط كئيبًا يبكى، فأوحى الله عز وجل إلى إسماعيل: ما لك؟ قال: ما أنت أعلم به يا رب، قال الله تعالى: لا تبك يا إسماعيل فإنى جاعل المُلْك والنبوَّة فى آخر الزمان فى ولدك، وأجعل الذل والصَّغار فى ولده إلى يوم القيامة[1]. اهـ.

وفيما ذكرناه من أخبار إسماعيل كفاية إذ القصد الاختصار، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة الفاكهى ٥/ ١٣٢.

الباب السابع والعشرون

في ذكر شيء من خبر هاجر أم إسماعيل عليه السلام

وذكر أولاد إسماعيل

وفوائد تتعلق بهم، وذكر شيء من خبر بني إسماعيل

وذكر ولاية نابت بن إسماعيل للبيت الحرام

ذكر شيء من خبر هاجر أم إسماعيل عليهما السلام

قــال ابن هشام بعد أن ذكر أن قبرها وقبر ابنها إسماعيل فى الحجْر عند الكعبة، تقول العرب: هاجر وآجر فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا هراق الماء [وأراق الماء] وغيره، وهاجر من أهل مصر[١].

وقال: حدثنا عبد الله بن وَهْب، عن عبد الله بن لَهيعَة، عن عُمر مولى غُفْرة أن رسول الله ﷺ قال: الله الله فى أهل الذمة، أهل المدَرَّة السوداء السُّحْم الجعاد، فإن لهم نسبًا وصهرًا، قال عمر مولى غُفْرَة: نَسَبُهم أن أم إسماعيل النبى ﷺ منهم، وصهْرُهم أن رسول الله ﷺ تسَرَّرَ[٢] فيهم، قال ابن لهيعة: أم إسماعيل هاجر أم العرب من قرية كانت أمام الفرما من مصر[٣]. اهــ.

وقال السُّهَيْلى: وكانت هاجر لملك الأُرْدن واسمه صَادُوق فيما ذكر الْقُتَبى دفعها إلى سَارَّة حين أخذها من إبراهيم عجبًا منه بجمالها، فصُرع مكانه، فقال ادْعى الله أن يُطْلِقنى... الحديث، وهو مشهور فى الصحاح، فأرسلها وأَخْدَمها[٤] هاجر، وكانت هاجر قبل ذلك الملك، بنت ملك من ملوك القبط بمصر، ذكره الطبرى من حديث سيف بن عمر أو غيره: أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر قال لأهلها: إنّ نبيّنا ﷺ قد وعدنا بفتحها، وقد أمرنا أن نستوصى بأهلها خيرًا، فإن لهم نسبًا وصهرًا، فقالوا: هذا نسب لا يحفظ حقه إلاّ نبى، لأنه نَسَب بعيد، وصدق، كانت أمكم هاجر امرأة لملك من ملوكنا، فحاربنا أهل عين الشمس، فكانت لهم علينا دولة، فقتلوا الملك واحتملوها، فمن هنالك تسرت إلى أبيكم إبراهيم ــ أو كما قالوا ــ ثم قال السُّهَيْلى: وهاجر أول امرأة ثُقبت أُذنها، وأول من خَفَض[٥] من النساء، وأول من جرَّت ذَيْلَها، وذلك أنّ سارة غضبت عليها

---

(١) ابن هشام هشام ١/ ٦ وما بين حاصرتين منه ومن الأصل.

(٢) فى طبعة تدمرى: «تَسَرَّى» والمثبت رواية الأصل ومثلها لدى ابن هشام الذى ينقل عنه المصنف، وتسرر الرجل وتسرى: إذا اتخذ أمة لفراشه.

(٣) ابن هشام ١/ ٦.

(٤) تحرفت فى المطبوعتين إلى: «وأخذ منها» وصوابه من الأصل ومثله لدى السهيلى الذى ينقل عنه المصنف.

(٥) الخفض: الختان.

فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها، فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تَبَرَّ قَسَمَها بثقب أذنيها وخفاضها[١] فصارت سُنَّةً في النساء، وممن ذكر هذا الخبر أبو زيد في نوادره. اهـ.

وقال السُّهَيْلي بعد أن ذكر شيئًا يتعلق بأولاد إسماعيل وأمهم هاجر: ويقال فيها آجر، وكانت سرية لإبراهيم، وَهَبَتْها له سارة بنت عمه[٢]، وقال السُّهَيلي أيضًا بعد أن ذكر إخراج جبريل ماء زمزم لإسماعيل: وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل مكة، ونقل إليها من الشام، أن سارة بنت عم إبراهيم شَجَرَ بينها وبين هاجر أمر، فأمر إبراهيم عليه السلام أن يسير بها إلى مكة فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة ماء ومِزْوَد تمر، وسار بها حتى أنزلها بمكة في موضع البيت، ثم قال بعد أن ذكر ما كان بين هاجر وبين إبراهيم في مفارقته لها وما كان منها من السعي بين الصفا والمروة لطلب الماء عند فناء ما كان معها من الماء وعطش ابنها: ثم ماتت هاجر وإسماعيل ابن عشرين سنة، وقبرها في الحِجْر، ثم قبر إسماعيل عليه السلام.

وذكر السُّهَيلي الفَرَما التي ذكرها ابن لهيعة في خبر هاجر، فقال السُّهَيلي: وقول ابن لهيعة بالفَرَما من مصر، الفرما: مدينة تُنْسَب إلى صاحبها الذي بناها وهو الفرما بن قيلقوس، ويقال ابن قليس ومعناه: محبّ الفَرْس[٢]. اهـ.

وقول السهيلي: وأمهم هاجر يعني أولاد إسماعيل، لأنها أم أبيهم، وأما قول أبي هريرة إنها أم بني ماء السماء، فجوّز السُّهَيْلي فيه احتمالين، لأنه قال: وكذلك قول أبي هريرة إنها أم بني ماء السماء يعني هاجر، يُحتمل أن يكون تأول في قحطان ما قاله غيره، ويحتمل أن يكون نَسَبَهم إلى ماء السماء على زعمهم، فإنهم يُنْسَبون إليه كما تُنْسَب كثير من قبائل العرب إلى حاضنتهم وإلى رابهم، أي زوج أمهم كما سيأتي بيانه في باب قُضاعة إن شاء الله. اهـ[٣].

---

(١) الروض الأنف ١/ ٤١، ٤٢.
(٢) الروض الأنف ١/ ٤٠.
(٣) الروض الأنف ١/ ٤٥، ٤٦.

وذكر ابن الأثير فى كامله شيئًا من خبر هاجر، لأنه قال فى ولادة إسماعيل: فلما كَبُر إسماعيل وإسحاق اختصما، فغضبت سارة على هاجر، فأخرجتها، ثم أعادتها، فغارت منها فأخرجتها، وحلفت لتقطعن منها بضعة، فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها، ثم خفضتها، فمن ثَمّ خفض النساء.

وقيل: كان إسماعيل صغيرًا، وإنما أخرجتها سارة غَيرَةً منها، وهو الصحيح إن شاء الله، وقالت سارة: لا تساكنيني فى البلد. اهـــ.

وقال النووى فى «التهذيب» فى ترجمة إبراهيم: وفى التاريخ أيضًا، يعنى تاريخ ابن عساكر فى ترجمة هاجر قال: هاجر ويقال: آجر بالمد القبطية، ويقال: الجُرْهُميّة أم إسماعيل، كانت للجبّار الذى يسكن عين الجرّ بقرب بعلبك، فوهبها لسارة، فوهبتها لإبراهيم، وأنها تُوفّيت ولإسماعيل عشرون سنة، ولها تسعون سنة، فدفنها إسماعيل فى الحِجْر. اهـــ.

وما ذكره النووى من أن هاجر جُرْهُميّة على ما قيل، لعله باعتبار ملائمتها لهم فى السُّكْنَى بمكة، ولا يصح أن يكون باعتبار نَسَبَها إليهم، لكونها قبطية، وما ذكره هو والسُّهَيْلى من كونها ماتت وسنّ ابنها إسماعيل عشرون سنة، فرُوى فى بعض الأخبار ما يقتضى خلاف ذلك، لأن فى خبر ذبح إسماعيل ما يقتضى أنها كانت حيّة إذ ذاك، وفى الأخبار الواردة فى هذا المعنى أن أباه أُمر بذبحه بمُزْدَلِفَة حين حجّ، وكان حجّه بعد بنائه للبيت، وبناؤه للبيت، وإسماعيل ابن ثلاثين سَنة على ما قيل، وهذا وإن لم يصح، ففيما ذكراه نظر من وجه آخر، وهو أن الأزرقى روى عن ابن إسحاق أنّ إبراهيم لما أُمر ببناء البيت، أقبل من أرمينية على البراق حتى انتهى إلى مكة، وبها إسماعيل وهو يومئذ ابن عشرين سنة، وقد تُوُفّيت أمه قبل ذلك[1]. اهـــ.

وهذا يقتضى أن أمه تُوُفّيت وسنّ إسماعيل دون عشرين سنة؛ لأنها ماتت قبل قدوم إبراهيم، وقدم إبراهيم وإسماعيل ابن عشرين سنة، وفى كلام النووى نظر من

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٦٤.

وجه آخر، لأنه ذكر أن لها حين ماتت تسعين سنة، ولابنها عشرون سنة، وهذا إن صح فإنه يقتضى أن تكون هاجر حملت بإسماعيل وهى بنت سبعين سنة ـــ بتقديم السين ـــ وفى حمل من بلغت هذا السنّ نظر، فإنْ صحّ ذلك، فهى كرامة لها ولا ريب فى عُلُوّ قدرها.

وفى كتاب الفاكهى بعد أن ذكر شيئًا من خبرها: وسمعت من بعض من يروى العلم يقول: أوحى إلى ثلاث من النساء: إلى مريم بنت عِمْران، وإلى أم موسى، وإلى هاجر أم إسماعيل صلوات الله عليهن أجمعين. اهـــ. وهذا غريب، والله أعلم بصحته، وفيما ذكرناه من أخبار هاجر كفاية إذ القصد الاختصار.

ومن غريب ما قيل فى وفاة هاجر ما ذكره ابن الأثير فى كامله، لأنه قال فى وفاة سارة: وقيل: إن هاجر عاشت بعد سارة مدة، والصحيح أن هاجر تُوُفِّيت قبل سارة. اهـــ. ووجه الغرابة فى هذا أن إسماعيل أكبر من إسحاق بأربع عشرة سنة، وسارة عاشت مائة سنة وسبعًا وعشرين سنة، على ما ذكره أهل الكتاب.

ويُسَنّ للمُحْرِم السعىُ بين الصفا والمَرْوَة لسعى هاجر بينهما لما طلبت الماء لابنها حين اشتد به الظمأ، وخبرها فى ذلك عن ابن عباس فى صحيح البخارى، وقد سبق ذلك فى الباب الذى قبله.

ذكر أسماء أولاد إسماعيل وفوائد تتعلق بذلك

قال ابن هشام فى السيرة: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق قال: ولد إسماعيل بن إبراهيم اثنَى عشر رجلاً: نابتًا وكان أكبرهم، وقيذر، وأَذْبُل، ومبشا، ومِسْمَعًا، وماشى، ودمَّا، وأدر، وطيما، ويطور، ونَبِش، وقَيْذُما، وأمهم رَعْلة بنت مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى[1]. اهـــ.

وقال الأزرقى: حدثنى جدّى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن إسحاق قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنى عشر رجلاً، وأمهم السيدة بنت مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى، فولدت له اثنى عشر رجلاً: نابت بن

(١) ابن هشام ١/ ٤.

إسماعيل، وقيدار بن إسماعيل، وواصل بن إسماعيبل، ومياس بن إسماعيل وآزر وطميا بن إسماعيل، ويطور بن إسماعيل، ونبش بن إسماعيل، وقيدما بن إسماعيل، وكان عُمر إسماعيل فيما يذكرون ثلاثين ومائة سنة، فمن نابت بن إسماعيل وقيدار بن إسماعيل نشر الله العرب فكان أكبرهم قيدار ونابت ابنا إسماعيل، ومنهما نشر الله العرب[1]. اهـــ.

وذكر المسعودى أولاد إسماعيل، وسمى بعضهم بغير ما سبق، قال: ووُلد لإسماعيل اثنا عشر ولدًا أولهم: نابت، وقيذر، وأدبيل، ومنشى، ومسمع، ودِما، ورِدام، ومنشا، وحذام، وثيما، ويطور، ونافس، وكل هؤلاء قد أنسل[2]. اهـــ.

وذكر الفاكهى أسماء أولاد إسماعيل على وجه فيه مخالفة لبعض ما سبق، لأنه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سَلَمَة قال: حدثنا يعقوب بن محمد بن محمد بن طلحة التيمى، عن عبد المجيد وعبد الرحمن بن سُهَيل عن عبد الرحمن بن عمرو العجلان قال: سمعت على بن أبي طالب يقول: ولد إسماعيل اثنى عشر رجلاً، وأمهم بنت الحارث بن مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى فأكبر أولاد إسماعيل نابت، وقيدر، والذيل، ومنشا، ومسمع، ودومها، وناس، وأدد ، وصيبا، ومصور، وتيش، وقيدم، كلهم بنو إسماعيل، وكان عمر إسماعيل مائة وثلاثين سنة، فمن نابت وقيدار نشر الله العرب[3]. اهـــ.

وقد بان بما ذكرناه فى أسماء أولاد إسماعيل اختلاف المقالات فى أسمائها، ورأيت فيها غير ما ذكرت، فمن ذلك منشا بدل منشى، ومسماع بدل مسميع، ودوما بدل دما، وتيما بالتاء بدل طيما، ويا فيعش بدل تيش.

وهذه الأسماء مذكورة هكذا فى كتاب «النسابة» لأبى على الجوانى [على ما ذكره القطب الحلبى فى كتابه: المورد العذب الهنى، وقال: وزاد فيهم، يعنى الجوانى][4] سحام، ولعانوا، وحدان. اهـــ. ولم أر من تعرَّض لضبط جميعها

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٨١.
(٢) المسعودى ٢/ ٤٩.
(٣) أخبار مكة الفاكهى ٥/ ١٣٣.
(٤) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة القاهرة، وهو فى الأصل.

بالحروف، وأظنّ أن سبب الاختلاف فى كثير منها التصريف فى نقل ذلك من الكتب المذكورة فيها والله أعلم.

وأما الأسماء التى فى السيرة، فيقع فى بعض النسخ الجيدة منها ضبطها بالشكل، وقد ضبطتُ ما ذكرته منها بالشكل على ما رأيته فى نسخ مُعتَمَدَة من السيرة، وقد تعرّض السُّهَيلى لضبط بعضها، وبيان معنى بعضها، وما سُمّى ببعضها من الأماكن، فنذكر ذلك لِما فيه من الفائدة، ونصّ كلامه: وذُكر فى ولد إسماعيل: ظيما، وقيّده الدارقطْنى بالظاء منقوطة بعدها ميم، كأنها من ظمياء، والظما مقصور سُمْرة فى الشفتين، وذكر دمّا.

ورأيت للبكرى أنّ دُومَة الجندل عُرِفت بدُوَما بن إسماعيل وكان نزلها، فلعل دمّا مغير عنه، وذكر أن الطور سُمّى بيطور بن إسماعيل، ولعلها محذوف الياء أيضًا، إن كان يصح ما قاله، والله أعلم.

وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور فهو كل جبل ينبت الشجر، فإن لم ينبت شيئًا فليس بطور، وأما قيذر فتفسيره عندهم صاحب الإبل، وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل(١). اهـ.

واختلف فى أمهم، ففى السيرة لابن إسحاق أنها بنت مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى، ولم يُسَمِّها.

وفى الأزرقى عن ابن إسحاق، أن أمهم السيدة بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهُمى، ونقل ذلك السُّهَيلى عن الدارقُطْنى.

وفى الأزرقى أيضًا فى خبر ذكر فيه خبر جُرْهُم وقَطُور بن إسماعيل، أنّ إسماعيل خطب إلى مُضَاض بن عمرو ابنته رعلة فزوّجه إياها، فولدت له عشرة ذكور قال: وهى أم البيت(٢). اهـ.

---

(١) الروض الأنف ١/ ٤٠.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٨٦.

ولا مُنَافاة بين قول من سماها السيدة، وبين قول من سمّاها رعلة، لإمكان أن يكون أحد الأمرين اسمًا لها، والآخر لقبًا، واقتصر كل من القائلين على أحدهما، والله أعلم.

وفى الفاكهى أن أم أولاد إسماعيل بنت الحارث بن مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى، كما فى الخبر السابق، وهذا يخالف ما سبق من أن أمهم بنت مُضَاض ابن عمرو[1]، وذكر الفاكهى ما يقتضى أن أم أولاد إسماعيل من العمالقة، لأنه روى خبرًا عن أبى جهم بن حُذَيفة، فى نزول العماليق على أم إسماعيل، ونشأة إسماعيل مع ولدانهم، ثم روى بإسناده عن عثمان بن عفان أمير المؤمنين: أنه سئل: متى نزل إسماعيل مكة؟ قال: فذكر نحو حديث أبى جهم الأول، إلاّ أنه قال: تزوج إسماعيل امرأة منهم، فولدت له عشرة ذكور. اهـ. فيحصل من هذا فى أم أولاد إسماعيل قولان: هل هى من جُرْهُم أو من العماليق؟ وعلى الأول هى بنت مُضَاض بن عمرو أو بنت الحارث بن مُضَاض بن عمرو والله أعلم، وسيأتى فى أم نابت بن إسماعيل غير ما سبق، وإلى نابت بن إسماعيل يرجع نسب عدنان على مقتضى ما ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار، وقيل: يرجع نسب عدنان إلى قيدار بن إسماعيل، وهذا القول ذكره السُّهَيْلى لأنه قال: وذكر من وجه قوى فى الرواية عن نساب العرب أن نسب عدنان يرجع إلى قيذر بن إسماعيل، وأن قيذر كان الملك فى زمانه، وأن معنى قيذر الملك ـ إذا فُسِّر[2] ـ الملك، والله أعلم. اهـ.

وذكر القطب الحلبى فى شرح سيرة عبد الغنى خلافًا فى نسب نابت بن إسماعيل وفى أمه وأم قيدر ومن يُنسب إليهما، ونذكر كلامه لإفادة ذلك، ونص كلامه: قال المؤلف: ابن نابت بالنون فاعل من نبت، قال الأمير أبو نصر بن ماكولا فى باب نابت بالنون نابت بن إسماعيل بن إبراهيم، وهذا القول الأخير خلاف ما ذكره الجوانى فى النسب، فإنه قال: عدنان بن أدبن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت، فقدم سلامان على نبت، وقال: إنّ أم نبت هامة

(١) الفاكهى ٥/ ١٣٣.
(٢) الروض الأنف ١/ ٣٣.

بنت زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وتدعى حريزه[١]، وجعل نابت بن حمل وأمه العاصرية[٢] بنت مالك الجُرْهُمى بن قيدار، وأمه هالة بنت الحارث بن مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى، ويقال: بل اسمها سلمى، وقيل: الخنفا، ثم قال القطب: قال الجوانى: ومن العلماء من ينسب اليمن إلى إسماعيل، ويقولون: إنهم من ولد يمن بن نبت إسماعيل: وافترق باقى ولد إسماعيل فى أقطار الأرض، فدخلوا فى قبائل العرب، ودرج بعضهم فلم يثبت لهم النسّابون نسبًا إلاّ ما كان من ولد قيدار، ونشر الله تعالى ذرية إسماعيل عليه السلام الذين تكلموا بلسانه من ولد قيدار ابنه أبى العرب.

وفى كتاب «التيجان» قال وهب: حدثنى ابن عباس رضى الله عنهما: أن إبراهيم الخليل عليه السلام دخل ذات يوم وعلى عنقه قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم، فجرى إليه يعقوب وعيصو، فأخذهما إلى صدره، فنـزلت رِجْل قيدار اليمنى على رأس يعقوب، ورِجْله اليسرى على رأس عيصو، فغضبت سارة، فقال لها إبراهيم عليه السلام: لا تغضبى فإن أرجل أولاد هذا الذى على عنقى على رءوس هؤلاء بمحمد ﷺ.اهـ. وخبر ابن عباس رضى الله عنهما هذا يدل على أن عدنان يرجع إلى قيدار، لا إلى نابت بن إسماعيل، واستفدنا بما ذكره القطب فى أم قيدر، معرفة اسم بنت الحارث بن مُضَاض التى ذكرها الفاكهى أنها أم أولاد إسماعيل، لأن الفاكهى ذكر قيدار الذى ذكره القطبى واسم أمه، وأن فيها ثلاثة أقوال: هالة وسلمى والخنفا، والله أعلم.

ولإسماعيل بنتٌ غير أولاده الاثنى عشر، ذكرها السُّهَيلى، لأنه قال، وقد ذكر ابن إسحاق أسماء بنى إسماعيل، ولم يذكر بنته الأخرى وهى نَسْمَة بنت إسماعيل، وهى امرأة عيصو بن إسحاق، وولدت له الروم وفارس فيما ذكر الطبرى، وقال: أشك فى الأنساب، أهى أمهم أم لا؟ وهم من ولد عيصو، ويقال فيه أيضًا: عيصى[٣]. اهـ.

---

(١) فى المطبوعتين: «حرمن» والمثبت رواية الأصل.
(٢) كذا فى المطبوعتين، والكلمة عسرة القراءة فى الأصل.
(٣) الروض الأنف ١/ ٤٠.

ذكر شيء من خبر بني إسماعيل

قال الأزرقي: حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني ابن إسحاق، فذكر أولاد إسماعيل وشيئًا من خبرهم، وخبر بعضهم وخبر جُرْهُم وقَطُورا، وما كان بينهما من القتال، إلى أن قال: ثم نشر الله تعالى بني إسماعيل عليه السلام بمكة، وأخوالهم [من] جُرْهُم إذ ذاك الحكام [بمكة] ووُلاة البيت كانوا كذلك بعد نابت بن إسماعيل، فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا في الأرض وابتغوا المعاش والتفسح في الأرض، فلا يأتون قومًا ولا ينزلون بلدًا إلا أظهرهم الله عز وجل عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها، حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العماليق، ومَن كان ساكنًا بلادهم التي كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم، وجُرْهُم على ذلك بمكة وُلاة البيت، لا ينازعهم إياه بنو إسماعيل لخئولتهم وقرابتهم وإعظام الحرم أن يكون به بغْي أو قتال(١). انتهى.

وقال الفاكهي: وحدثني الزبير بن أبي بكر قال: وجدت في الكتاب الذي ذكر أنه من كتب عبد الحكيم بن أبي غمر: أن الله تبارك تعالى لما نشر ولد إسماعيل توالدوا وكثروا وضاقت عليهم مكة، واشتدت المعيشة بها عليهم، فجعلوا ينبسطون في الأرض وينتشرون، فخرج أهل القوة منهم يتخذون أموالاً من الإبل والبقر والغنم يتطلبون بها المرعى، فلا تلبث أموالهم أن تربو وتكثر، فجعل الناس يتداعون إلى ذلك رغبة فيه وكراهة أن يُحْدِثوا في الحرم حَدَثًا، يقولون: نحن عباد الله وهذا بيته وحَرَمُه، ومن أحدث فيه أخرج منه ولم يعد فيه، فيخرج إلى ظل الله ومظهر من حرمه ومن أحداثنا، فمن أحدث منا لم يحرم عليهم دخول الحرم ولا زيارة البيت، فلم يبرحوا يصنعون ذلك ويخرجون حتى ضاقت مكة وما يقيم بها أحد من ولد إسماعيل إلا متدين حبس نفسه بجوار البيت وعمارته، أو مضعف لا مال له صبر على لأوائها وشدتها حسبة، أو خائف مستجير بالبيت والحرم فيأمن بذلك، وكان الناس إذ ذاك يدعون من أقام بها أهل الله يقولون: هؤلاء أهل الله

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٨٤ وما بين حاصرتين منه.

أقاموا عنده بفناء بيته وحرمه وفى حُرمته، من بين حابس له نفسه، أو صابر على لأوائها وشدتها لوجهه[1]. اهـ.

وقال الفاكهى: حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى قال: حدثنا سعيد بن سالم قال: حدثنا عثمان يعنى ابن ساج قال: أخبرنى محمد بن إسحاق وحدثنى عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله البكائى [عن] محمد بن إسحاق[2] يزيد أحدهما على صاحبه فى اللفظ أن بنى إسماعيل والعماليق من سكان مكة ضاقت عليهم البلاد، فتفسحوا فى البلاد، والتمسوا المعاش فخلف الخلوف بعد الخلوف، وتبدلوا بدين إسماعيل غيره، وسلخوا إلى عبادة الأوثان، فيزعمون أن أول ما كانت عبادة الأوثان أو الحجارة فى بنى إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن حين[3] ضاقت عليهم، والتمسوا التفسح فى البلاد إلا احتملوا معهم من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم وصيانة لمكة والكعبة، فأينما حلوا وضعوه، فطافوا به طوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم حتى خَلَف الخُلوف بعد الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم الخليل عليه السلام غيره، وعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالة، وانتحوا ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث ما كان بقى فيهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به، والحج، والعُمْرة، والوقوف على عَرَفة، ومُزْدَلِفة، وهدى البدن، وإهلال الحج والعُمْرة، مع إدخالهم فيه ما ليس فيه[4].

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٣.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «على بن إسحاق» وصوابه من الأصل ومثله لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) فى متن هـ: «حتى ضاقت» وبهامشها: «فى ط. د/ تدمرى: «حين ضاقت» وهو خطأ.
قلت: الصواب ما ذكره تدمرى ومثله فى الأصل والفاكهى الذى ينقل عنه المصنف، وما ذهب إليه الذهبى هو الخطأ.

(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٣٤، ١٣٥.

وكان أول من غيَّر دين إسماعيل عليه السلام، ونصب الأوثان، وسيب السائبة، وبحر البحيرة[1]، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف جد خُزاعة، إلا أنهم من ولد عمرو بن عامر بن غسان[2]. اهـ.

وقال الزبير بن بكار: وجدت في كتاب ذُكر أنه من كتب عبد الحكيم بن أبي غمر: لما أدرك إلياس بن مُضَر أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم، وبان فضله فيهم، ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه، ورضوا به رضا لم يرضوا مثله بأحد من ولد إسماعيل بعد أدر، فردهم إلى سنة آبائهم حتى رجعت سنتهم تامة على أولها، وهو أول من أهدى البُدْنَ إلى البيت، أو في زمانه، وقال: وهو أول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عليه السلام، فكان أول من سلط عليه الناس في زمانه فوضعه في زاوية البيت للناس، وبعض الناس يقول: إنما هلك بعد إبراهيم وإسماعيل ولم تبرح العرب تعظم إلياس بن مُضَر تعظيم أهل الحكمة، كتعظيم لقمان وأشباهه، ويقال: قلَّ نبيّ إلا وقد علم ممن هو أو من أي أمة هو، وفيه قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

(سورة الصافات: آية ١٢٣)

وقال الفاكهي: وحدثني عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله قال ابن إسحاق: يقال: إن أول نبي كان بين ولد إسماعيل الحارث، كان بين سعد العشيرة وبين مَعَد، ويقال: كانوا يسمعون أن دعوة إبراهيم لولد إسماعيل في مَعَدّ بن عدنان لسعد العشيرة، وهم أُخرجوا من اليمن إلى أرض نجد، إلاّ أنّ كنانة أقامت بهذا الحرم، وإنما اقتتلوا على المياه، فقال عامر بن الظرب العدواني في حرب معد،

(١) تحرف في م إلى: «نحر النخيرة» وفي هـ: «نحر البحيرة» وكلاهما تحريف، صوابه لدى الفاكهي الذي ينقل عنه المصنف وبَحَر الناقة أو الشاة: شَقَّ أُذُنَها، والبحيرة: الناقة كانت في الجاهلية إذا ولدت خمسة أَبْطُن شقوا أذنها، وأعْفَوْها أن يُنْتَفَع بها، ولم يمنعوها من مرعًى ولا ماء، وقد أبطلها الإسلام، وفي التنزيل العزيز: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٣٥.

وسعد العشيرة، يذكر قرابتهم وفضل مَعَدّ فيهم وينتمي إلى عوف بن النبت [ويحضهم] على صلة مَعَدّ[١]:

أبونا مالك والصلب زيد　　مَعَدّ ابنه خير البنينا
أتاهم من ذوى شمران آت　　فظلت حولها أمد السنينا
فيا عوف بن نبت بالعوف　　وهل عوف لتصبح موعدينا
فلا تعصوا مَعَدًّا إن فيها　　بلاد الله والبيت المكينا

وشمران من اليمن[٢]. اهـ.

وسعد العشيرة المذكور في هذا الخبر من مذحج، وإنما قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب فيما قيل في ثلاثمائة من ولده وولد ولده، فإذا قيل له: من هؤلاء؟ قال: عشيرتي، مخافة العين عليهم، ذكر ذلك الحازمي وقال: المذْحجي منسوب إلى مذحج، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن كريب بن زيد بن كهلان، سُمّي به لأنه وُلد على أكمة حمراء باليمن يقال لها مذحج، وقيل غير ذلك. اهـ.

وممن كان عظيم القدر من بني إسماعيل: مَعَدّ بن عدنان، لأنّ الزبير بن بكار قال فيما رويناه عنه: حدثنا إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال: أخبرني أبو القاسم بن نشيط عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما وقع بُخْتُنَصّر بأهل حصورا وبأهل عرما[٣]، بعث الله عز وجل مَلَكَيْن فاحتملا مَعَدّ بن عدنان، حتى أنزلاه بإرمينية، حتى إذا تم الأمر رده الله إلى التهمة، قال: فلما انقضت غزاة بُخْتُنَصّر من بلاد المغرب، وخرج منها إلى بلاده، ردّ مَعَدّ بن عدنان إلى موضعه من تهامة، فكان بمكة في نواحيها مع أخواله من جُرْهُم، وهم وُلاة البيت وبها منهم بقية، فاختلط بهم

---

(١) الفاكهي ٥/ ١٣٦ وقد أتت مطبوعة الذهبي برواية مخالفة لرواية الفاكهي الذي ينقل عنه المصنف فجاءت محرفة تحريفًا قبيحًا.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٣٦.

(٣) كذا في المطبوعتين، وجاء في الأصل على صورة: «عربانا» بدون إعجام.

وصار معهم فأنكحوه، فناكحهم، ولم يصبه ولم يصب جُرْهُم، ومن كان معهم من مَعَرَّة جيش بُخْتَ نَصّر ما أصاب غيرهم. اهـ. وقد أتينا من أخبار بنى إسماعيل بجملة فيها مقنع إن شاء الله.

ذكر ولاية نابت بن إسماعيل للبيت الحرام

قال الأزرقى فيما رويناه عنه: حدثنى جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن إسحاق بعد أن ذكر أولاد إسماعيل: فولى البيت نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه، ثم توفى نابت بن إسماعيل، فولّى بعده مُضاض بن عمرو الجُرْهُمى، وهو جد نابت بن إسماعيل أبو أمه، وضم ابن بنته نابت بن إسماعيل وبنى إسماعيل إليه، فصاروا مع جدهم أبى أمهم مُضَاض بن عمرو، ومع أخوالهم من جُرْهُم[1]. اهـ.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٨١ - ٨٢.

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر ولاية إياد بن نزار بن معد بن عدنان للكعبة وشىء من خبره

وذكر ولاية بنى إياد بن نزار للكعبة، وشىء من خبرهم

وخبر مضر ومن ولى الكعبة من مضر قبل قريش

ذكر ولاية إياد بن نزار بن معد بن عدنان للكعبة

قال الزبير بن بكار قاضي مكة: حدثنا عمر بن أبي بكر الموصلي، عن غير واحد من أهل العلم بالنسب، قالوا: لما حضرت نزار الوفاة آثر إياد بولاية الكعبة، وأعطى مُضَر ناقة حمراء فسُمّيت: مُضَر الحمراء، وأعطى ربيعة فرسه، فسُمي: ربيعة الفرس، وأعطى أنمارًا جارية تسمى بجيلة، فحضنت بنيه فسموا: بجيلة أنمار، ويقال: بل أعطاه بجيلة وغنمًا كانت ترعاها، فيقال لهم: أنمار الشاء، ويقال: بل أعطى إياد بن نزار غنمًا له برقاء، فسُمّيت إياد البرقاء، ويقال: بل أعطى إيادًا عصا وحلة، فهم يُدعون إياد العصا، وقد قال في ذلك رجل إيادي:

نحن ورثنا عن إياد كله نحن ورثنا العصا والحُلَّة

قال الزبير: وقال غير عمر بن أبي بكر: أعطى إيادًا أمة شمطاء، فسموا إياد الشمطاء.اهـ. ورأيت لإياد بن نزار ولإخوته المشار إليهم خبرًا يُستَطْرَف في ذكائهم، فحَسُنَ ببالي ذِكْره هنا لما في ذلك من الفائدة.

وقد ذكر هذا الخبر غير واحد من أهل الأخبار، منهم الفاكهي[1] ونص ما ذكره: وحدثني حسن بن حسين الأزدي قال: حدثنا على بن الصباح ومحمد بن حبيب ومحمد بن سهل قالوا: حدثنا ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن معاوية ابن عميرة بن منحوس الكندي عن ابن عباس قال:

وَلَدَ نزارُ بن معد بن عدنان أربعة: مُضَر، وربيعة، وإيادًا، وأنمارًا، وأم مُضَر وإياد: سَوْدَة بنت عَكّ، وأم ربيعة وأنمار: الجدالة بنت وعلان بن جَوْشم بن جُلْهمة بن جُرْهُم.

فلما حضر نزارًا الموتُ جمع بنيه هؤلاء الأربعة فقال: أي بنيّ هذه القبة الحمراء، وهي من أَدَم، وما أشبهها من المال فَلِمُضَر، وهذه البدرة والمجلس فلأنمار، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبهها من مالي فلربيعة، وهذا الخادم — وكانت شمطاء — وما أشبهها من مالي فلإياد، وإن أشكل عليكم كيف

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٤٨ - ١٥٠.

تقتسمون، فأتوا الأفْعَى الجُرْهُمى ومنـــزله بنَجْران، وإن أنتم رضيتم ـــ وهنا قد خفت صوته إذ لم يسمع الصوت فألمع ـــ ثم مات.

فتشاجروا فى ميراثه ولم يهتدوا إلى القسم، فتوجهوا إلى الأفعى يريدونه، وهو بنجران، فرأى مُضَر أثر بعير قد رعى فقال: إن الذى رعى هذا الموضع لبعير أعور، فقال ربيعة: إنه لأزْوَر، فقال إياد: إنه لأبتر، فقال أنمار: إنه لَشَرُود، فساروا قليلاً، فإذا برجل يوضع على جمله، فسألهم عن البعير، فقال مُضَر: أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: أزْوَر؟ قال: نعم، قال إياد: أبتر؟ قال: نعم، قال أنمار: شَرُود؟ قال: نعم، فسألهم عن البعير، وقال: هذه صفة بعيرى، فدخلوا نجران، فقال صاحب البعير: هؤلاء أصابوا بعيرى وصفوا لى صفته وقالوا: لم نره.

فاختصموا إلى الأفعى، وهو يومئذ حكم العرب، فأخبروه بقولهم، فحلفوا له ما رأوه، فقال الرجل: قد نعتوا لى صفة بعيرى، قال الأفعى لمضر: كيف عرفت أنه أعور؟ قال: إنه رعى جانبًا وترك جانبًا فعرفت أنه أعور، فقال لربيعة: كيف عرفت أنه أزْوَر؟ قال: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر، والأخرى فاسدة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه، فقال لإياد: كيف عرفت أنه أبتر؟ قال: باجتماع بَعْرِه، ولو كان ذيالاً لَمَصَعَ(١) به، فقال لأنمار: كيف عرفت أنه شرُود؟ قال: إنه رعى فى المكان المُكْلئ، ولم يَجُزْه إلى مكان أغزر منه نبتًا، فقال للرجل: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه.

ثم سألهم: من أنتم؟ فأخبروه، فرحب بهم، وأخبروه ما جاء بهم، فقال: تحتاجون إلىَّ وأنتم كما قد أرى؟ فذبح لهم وأقاموا عنده، ثم قام إلى خازن له يستحثه بالطعام، ثم جلس معهم، ثم أكلوا وشربوا، وتنحى عنهم الأفعى حيث لا يُرَى وهو يسمع كلامه.

فقال ربيعة: لم أر كاليوم لحمًا أطيب منه، لولا أن شاته غُذِّيَتْ بلبن كلبة، فقال مُضَر: لم أر كاليوم خمرًا، لولا أن حُبْلَتَه نَبَتَتْ على قبر، فقال إياد: لم أر

---

(١) مصعت الناقة بذَنَبِها، أى حركته وضربت به.

كاليوم رجلاً أسْرَى، لولا أنه ليس لأبيه الذى يُدْعى إليه، فقال أنمار: لم أر كاليوم كلامًا أنفع فى حاجتنا، وكان كلامهم بإذنه، فقال: ما هؤلاء إلا شياطين.

فدعا القهرمان فقال: أخبرنى خبر هذه الكرمة، فقال: إن حبلته غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعى عن العناق فقال: هى عناق أرضعتها بلبن كلبة، ولم يكن وَلَدَ فى الغنم غيرها وماتت أمها، ثم أتى أمه فقال: اصدقينى من أبى، فأخبرته أنها كانت تحت مَلِك كثير المال، لا يولد له، فخفت أن يموت ولا يولد له، فمر بى رجل فوقع علىّ، وكان نازلاً عليه، فولدت.

فرجع إليهم وقال: قصوا علىَّ قصتكم، فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فلِمُضَر، فذهب بالدنانير والإبل، فسُمّيت مُضَر الحمراء.

وأما صاحب الخباء الأسود فله كل أسود، فأخذ ربيعة الفَرَس وما أشبهه، وكان الفَرَس أدهم فسُمّيت ربيعة الفرس، وأما الدراهم والأرض فلأنمار، وذهب إياد بالخيل البُلْق والغنم والنعم، فانصرفوا من عنده، فقال الأفعى: مساعدة الخاطل تعد من الباطل، وإن العصا من العصية، وإن خشينا من أخشن[1]. اهـ.

وذكر هذا الخبر شارح العبدونية أيضًا، ونقل فيه عن كل من أولاد نزار، إلا أنمار فى صفة البعير الذى رأوه فى طريقهم إلى الأفعى الجُرْهُمى، غير ما فى هذا الخبر، لأن فيه قال: فلما مات أبوهم اختلفوا فى القسم، فمشوا إلى الأفعى بن أفعى، فعثروا فى طريقهم على أثر بعير، فقال مُضَر: هذا أثر بعير أزْوَر، فقال ربيعة: نعم، وأبتر، فقال إياد: نعم، وأعور، قال أنمار: نعم. وشَرُود.

وفى الخبر الذى ذكره شارح العبدونية أن الأفعى أطعم أولاد نزار عسلاً، وأنه لما استطيبوه قال الثالث منهم: إلاَّ أن نحلته وضعته على هامة جبار، وأن الأفعى سأله عن ذلك، فأخبر بما يصدق فيهم، وفيه أن الأفعى وكَّل بهم من يسمع كلامهم ويحفظه ويخبره، وبقية الخبر بمعنى الخبر الذى ذكرناه.

---

(١) الخبر بطوله أورده الفاكهى ٥/ ١٤٨ – ١٥٠ ونقله المصنف هنا بنصه.

وذكر الحافظ قطب الدين الحلبي في كتابه «المورد العذب الهني» في شرح سيرة عبد الغني» فوائد تتعلق بخبر ابن نزار يَحْسُنُ ذكرها هاهنا، وذلك أنه قال عند ذكره للخبر السابق: زاد أبو الحسن بن الأثير: فقيل لمضر: من أين عرفت الخمر؟ فقال: لأنني أصابني عطش شديد.

وذكر الماوردي في كتابه «أعلام النُّبُوَّة» قال: وذكر لي بعض أهل العلم أنه إنما قال ذلك لأن الكرم إذا نبتت على قبر يكون انفعاله أقل انفعالاً من غيره، وأن ربيعة قيل له: من أين علمت اللحم؟ قال: لأن لحم الكلب يعلو شحمه، بخلاف لحم الشاة، فإن شحمها يعلو لحمها.

وذكر الماوردي قال: لأني شممت رائحة كلب، وأن إيادًا قيل له: من أين علمت أنه ينتمي إلى غير أبيه؟ قال: لأنه وضع الطعام ولم يجلس معنا، فيكون أصله دنيًّا، وقال الماوردي: لأنه يتكلف ما يعمله، ورأيت بخط أبي الربيع سليمان قيل لإياد: فيما قال، فقال: نظرت إليه مُذْ وقعت عيني عليه، فنظر إليَّ وأدام النظر ولم يطرق. انتهى.

ذكر ولاية بني إياد بن نزار الكعبة وشيء من خبرهم وخبر مضر ومن ولي الكعبة من مُضَر قبل قريش

قال الفاكهي: ذكر ولاية إياد بن نزار البيت وحجابتهم إياه وتفسير ذلك: حدثنا حسن بن حسين الأزدي، قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: قال عيسى بن بكر الكناني: ثم وُلِّيت حجابة البيت إياد، فصار أمر البيت إلى رجل منهم يقال له: وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد، فبنى صرحًا بأسفل مكة عند سوق الحناطين اليوم، وجعل فيه أمة يقال لها الْحَزْوَرَةَ، فبها سُميت حَزْوَرَة مكة، وجعل فيه سُلَّمًا، وكان يرقاه، ويقول بزعمه إنه يناجي الله تعالى، وكان ينطق بكثير من الخير يقوله: وقد أكثر فيه علماء العرب فكان أكثر من قال فيه أن قال: إنه كان صدِّيقًا من الصديقين، وكان يتكهن، ويقول مرضعة وفاطمة، ووادعة وقاطعة والقطيعة، والفجيعة وصلة الرَّحِم، وحسن الكلم، يقول: ربُكم ليجزين بالخير

ثوابًا، وبالشرّ عقابًا. وكان يقول: من فى الأرض عبيد لمن فى السماء، هلكت جُرْهُم وأزيلت إياد، وكذلك الصلاح والفساد، حتى إذا حضرته الوفاة جميع إيادًا، فقال: اسمعوا وصيَّتى: الكلام كلمتان، والأمر بعد البيان، من رشد فاتبعوه، ومن غوى فارفضوه، وكل شاة معلقة برِجْلَيها، فكان أول من قالها، فأرسلها مثلاً، فمات وكيع، فنُعى على رءوس الجبال[١]، فقال بشر بن الحجر[٢]:

ونحن إياد عبادُ الإله ورهطُ مُنَاجيه فى سُلَّم
ونحن وُلاة حجاب العتيق زمان النُّخاعَ على جُرْهُم

ثم قال: وقامت نائحة وكيع على أبى قبيس فقالت[٣]:

ألا هلك الوكيع أخو إياد سلامُ المرسلينَ على وكيع
مناجى الله مات فلا خلود وكل شريف قومٍ فى وضيع

ثم إن مضر أديلت بعد إياد، وكان أول من ديل منها عدوان وفَهْم، وأن رجلاً من إياد ورجلاً من مُضَر خرجا يصيدان، فمرت بهما أرنب، فاكتنفا بها يرميانها، فرماها الإيادى، فنـزل سهم، فنظم قلب المُضَرى فقتله، فبلغ الخبر مُضَر فاستغاثت بفهم وعدوان يطلبون لهم قود صاحبهم، فقالوا: إنما أخطأه، فأبت فَهْمُ وعدوان إلا قتله فتناوش الناس بينهم بالمدوّر، وهو مكان، فسمّت مُضر من إياد ظفرًا، فقالت لهم إياد: أجلونا ثلاثًا فلن نساعيكم أرضكم، فأجلوهم ثلاثًا، فظعنوا قِبَل المشرق، فلما ساروا يومًا اتبعتهم فهم وعدوان حتى أدركوهم، فقالوا: ردوا علينا نساء مُضَر المتزوجات فيكم، فقالوا: لا تقطعوا قرابتنا، اعرضوا على النساء، فأية امرأة اختارت قومها رددتموها، وإن أحبَّت الذهاب مع زوجها أعرضتم لنا عنها، قالوا: نعم، فكان أول من اختار أهله امرأة من خزاعة[٤].

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٥.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٥، ١٤٦.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٦.
(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٦.

فحدثنا الزبير بن بكار قال: لما هلك وكيع الإيادى وانتجعت إياد، وهى إذ ذاك تلى أمر بيت الله الحرام، وقاتلوهم وأخرجوهم وأجلوهم ثلاثًا يخرجون عنهم، فلما كانت الليلة الثانية حسدوا مُضَر أن تلى الركن الأسود، فحملوه على بعير، فبرك فلم يقم، فغيروه، فلم يحملوه على شيء إلا رزح وسقط، فلما رأوا ذلك عبثوا له تحت شجرة فدفنوه، ثم ارتحلوا من ليلتهم، فلما كان بعد يومين افتقدت مُضَر الركن، فعظم فى أنفسها، وقد كانت شرطت على إياد كل متزوجة فيهم، فكانت امرأة من خزاعة فيما يقولون، يقال لها: قُدَامة متزوجة فى إياد، وخُزاعة إذ ذاك فيما يزعمون، والله أعلم، ينتسبون لبنى عمرو بن لحى بن قمعة بن إلياس بن مُضَر، فأبصرت إيادًا حين دفنت الركن[1].

اجتمع الزبير والكلبى وحديثهما كل واحد منهم بنحوٍ من حديث صاحبه، فقالت لقومها حين رأت مشقة ذهاب الركن على مُضَر: خذوا عليهم أن يولوكم حجابة البيت، وأدلكم على الركن، فأخذوا بذلك عليهم، فوليتها خزاعة على العهد والميثاق الذى كان، فهذا سبب ولايتهم البيت[2].

وقال الكلبى فى حديثه: فقالوا لهم إن دللناكم على الركن، أتجعلونا وُلاةً؟ قالوا: نعم، وقالت مُضَر جميعًا: نعم، فدلتهم عليه، فأعادوه فى مكانه، وولوه، فلم يبرح فى أيدى خزاعة، حتى قدم قُصَىّ مُضَر، فكان من أمره الذى كان[3]. اهـ.

وقال الفاكهى أيضًا بعد أن ذكر خبر بنى نزار السابق متّصلاً به: وكان العدد والشرف من بنى نزار بن مَعَدّ فى إياد قال: فلم يزالوا كذلك حتى بغوا على مُضَر وربيعة، فأهلكهم الله تعالى، فكانوا أول من أهلكهم البغى بعد ابن آدم، سلط الله عز وجل عليهم النخاع، وجعل الشرف والعدد والمُلْك والنُّبوّة فى مُضَر، فدخلوا إلى أرض العراق[4]. اهـ.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٦.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٧.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٧.
(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٤٧.

وذكر المسعودى ما يقتضى أن ولاية البيت بعد جُرْهُم صارت إلى ولد إياد ابن نزار، لأنه قال: بعد أن ذكر خبر جُرْهُم متّصلاً به، ثم صارت ولاية البيت فى ولد إياد بن نزار، لأنه قال بعد: ثم كانت حروب كثيرة بين ولد مُضر وإياد، فكانت لمضر على إياد، فانجفلوا عن مكة إلى العراق[١]. اهـ.

وممن ولى الكعبة من مُضَر على ما ذكر الفاكهى أسد بن خزيمة، لأنه قال: فلما مات صار البيت فى أسد بن خزيمة، فكان سادن الكعبة[٢].

فحدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال: حدثنا الوليد بن عطاء المكى عن أبى صفوان، عن عبد الملك بن عبد العزيز، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: أسد بن خزيمة خازن الكعبة فى الزمن الأول[٣].

وحدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثنى موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة قال: حدثنى أبى قال: قال لى أبو جعفر المنصور: يا شيخ أين قبر جدك؟ قال: قلت: بخرمان[٤]، قال: فقال لى: لا، هو هذا، وهو على أبى قبيس، إنه كان من الفريقين عظيمًا يعنى أسد بن خزيمة[٥]. اهـ.

ذكر ذلك الإمام الفاكهى فى ترجمة ترجم عليها بقوله: ذكر من ولى مكة من مُضَر بن نزار قديمًا وتفسير أمورهم.

ولم أر فيما ذكر فى هذه الترجمة شيئًا يُفهم منه ولاية أحد ممن ذكر فيها لما ذكر غير أسد بن خزيمة ونفر قليل غيره، على ما يأتى بيانه، بل فى كلامه ما يُشعر بخلاف ما ترجم له، ونذكر كلامه بنصه، قال بعد الترجمة التى سبق ذكرها: حدثنا أحمد بن حميد الأنصارى، قال: حدثنى محمد بن زكريا، قال: حدَّثنا العباس ابن بكار قال: حدثنا الفضيل بن محمد، قال: كان محلم بن سويد الرئيس الأول

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٥١.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥١.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥١.
(٤) خرمان: بستان بمكة.
(٥) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥١.

ظَنًّا أول من رأس مَعَدًّا، وكانت مَعَدّ قبل ذلك تسترضى رأيه جماعة رجل رجل، فكان أول من قاد معه ميمنة وميسرة ولواء[١]، وفي ذلك يقول الفرزدق:

زيد الفوارس وابن زيد منهم ... وأبو قبيصة والرئيس الأول[٢]

أما قوله: ابن زيد، فهو حصين بن زيد بن صباح الضبي، وهو الذى قال:

أوصى أبونا ضبَّة الملقي ... سيف سليمان الذى يبقى
إن على كل رئيس حقًا ... أن يخضب القناة أو تندقًا[٣]

قال: وكان ضبة ينـزل مكة، وكان قد ولى الحجاز واليمن لسليمان بن داود عليهما السلام وفي ذلك يقول الشاعر:

ضبة ربّ الحجاز ... تُجْبَى إليه إتاواتُها
من كل ذى إبل ناقة ... ومن كل ذى غنم شاتُها[٤]

وكان البيت في ضبة من مُضَر، فلما أن مات صار البيت من مُضَر في سعد ابن ضبة، فلما مات صار البيت في أسد بن خزيمة، فكان سادن الكعبة[٥].

ثم قال بعد أن ذكر ما نقلناه عنه آنفًا في شأن أسد بن خزيمة، ثم رجعنا إلى حديث الأنصارى، قال: فلما مات صار البيت فى تميم، فلما مات صارت الرياسة إلى ابنه عمرو بن تميم، ثم صار البيت فى أسيد بن عمرو، فلما مات أسيد صارت مُضَر لا رأس لها، حتى نشأ أبو الخفاد الأسدى، وكان من المعمَّرين، عاش دهرًا طويلاً، وفيه يقول ربيعة أبو لَبِيد الجعفرى:

أبو الخفاد إقبال الكبر ... فالدهر صرفان فسد مُضَر
فى الدهر أن يجنى لك الثمر ... من قيس غيلان وأحياء أُخَر[٦]

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥٠.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥٠.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥٠.
(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥١.
(٥) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥١.
(٦) الخبر والشعر لدى الفاكهى ٥/ ١٥١، ١٥٢.

وكان الذى يسعى لأبى الخفاد فى جميع صدقاته الحارث بن عمرو بن تميم، فكان إذا نزل بقوم لم يبرح حتى يأكل من طعامهم، فأكثر يومًا من ذلك، فعظم بطنه، فسموه الحارث الحنط وهو أبو الحنطات، فلما مات أبو الخفاد صار البيت فى بنى جمان بن سعد، ثم تحول البيت بعد الجمانيين إلى الأضبط بن قريع، ثم تحول البيت إلى بنى حنظلة بن دارم بن حنظلة، وضرب عليهم القبة الحمراء، وهى قبة مُضَر الحمراء، وبها سُمّيت مُضَر الحمراء، فلما مات صارت إلى ابنه حاجب بن زرارة، وكان الحاجب والنباش ابنا زرارة من أشراف بنى تميم وذوى القدر بمكة(١).

حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن ثور بن يزيد، قال: تزوج رجل امرأة على عهد النبى ﷺ، فلامه أخ له، فذكر منها صلاحًا، فقال النبى ﷺ: ما عليك إلا أن تكون تزوجت ابنة حاجب بن زرارة إن الله عز وجل جاء بالإسلام، فسوَّى بين الناس ولا لوم على مسلم(٢).

وحدثنا الزبير بن بكار(٣) قال: حدثنا حماد بن نافع قال: سمعت سليمًا المكى يقول: كان يقال فى الجاهلية: والله لأنتَ أعز من آل النباش، وأشار بيده إلى دور حول المسجد، فقال: كانت هذه رباعهم(٤).

ثم رجعنا إلى حديث الفضيل قال: ثم صارت إلى ابنه عطارد بن حاجب، فلما مات صارت الرياسة فى بنى تميم فى عمير بن عطارد، فلما كات صارت إلى ابنه بجيد بن عمير، وكان أحد الأجواد، وكان صاحب ربع بنى تميم وهمدان بالكوفة، وكان على أذْرَبَيْجَان فى ولاية معاوية، فمر به ألف رجل من بنى بكر بن وائل،

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥٢.

(٢) نقله المصنف بنصه عن الفاكهى ٥/ ١٥٢ وكذلك فعل بالأخبار السابقة والتالية فقد نقلها حرفيًا عن الفاكهى.

(٣) كذا لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف ومثله فى طبعة تدمرى وفى الأصل هـ: «الزبير بن أبى بكر» ولا أراه صوابًا.

(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥٢.

كانوا وجهوا فى بعث، فحملهم على ألف فَرَس، وكان البيت من ضبّة فى الكبر من بنى ثعلبة بن بكر، وهم الفرسان والعدد من بنى صباح فى الحصين بن يزيد، ثم تحول البيت يعنى الشرف والرياسة يوم القرنين ـ أو القريتين شك أبو العباس فى ضرار بن عمرو ـ فلما مات صار إلى زيد الفوارس، فلما قتل صار إلى قبيصة بن ضرار، وكان قبيصة على أصحابه يوم الكلاب، فلما مات صارت إلى المنذر بن حسان بن ضرار، وكان المنذر بن حسان هو الذى قتل مهران الملك يوم القادسية، فلما مات المنذر صارت إلى غيلان بن حرشة بن عمرو بن ضرار، فلما مات صار إلى ابنه مكحول بن غيلان[١]. اهـ.

فقوله فى هذا الخبر: ثم تحول البيت يعنى الشرف والرياسة، يفهم أن ما فى هذا الخبر من قوله: فلما مات صار البيت من هذا المعنى، وذلك يخالف المعنى المقصود بهذه الترجمة، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٥٣.

الباب التاسع والعشرون

في ذكر من ولي الإجازة بالناس من عرفة ومزدلفة ومِنًى من العرب

وفي ولاية جرهم، وفي ولاية قريش، وفي ولاية خزاعة وقريش على مكة

قـــال ابن إسحاق: وكان الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر يلي الإجازة[١] للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده: صوفة، وإنما وَليَ ذلك الغوثُ بن مر، لأن أمه كانت امرأة من جُرْهُم، وكانت لا تَلِد، فنذرت لله إنْ هي ولدت رجلاً أن تَصَّدَّق به على الكعبة عبدًا لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت الغوثَ، وكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جُرهُم، فولي الإجازة بالناس من عرفة، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولدُه من بعده حتى انقرضوا، فقال مُرّ بن أدّ لوفاء نَذْر أُمِّه:

إنّي جعلت رَبّ من بَنِيَّه ... رَبِيطَةً بمكة العَلِيَّه
فباركَنَّ لي بها أَلِيَّه ... واجعله لي من صالح البريَّه[٢]

وكان الغوث بن مُرّ زعموا إذا دفع بالناس يقول:

لا هُمّ إنّي تابع تباعه ... إن كان إثم فعلى قضاعه[٣]

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عباد، قال: كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجيز لهم إذا نفروا من مِنًى، إذا كان يوم النَّفر أَتَوْا لِرَمْي الجمار، ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي، فكان ذوو الحاجات المستعجلون يأتونه، فيقولون له: قم فارم حتى نرمي معك، فيقول: لا والله حتى تميل الشمس، فيظل ذَوُو الحاجات الذين يحبون التعجيل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك، ويقولون له: ويلك قم فارم، فيَأْبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمَى، ورَمى الناس معه[٤].

---

(١) الإجازة: الإفاضة.
(٢) الخبر والشعر لدى ابن هشام ١/ ١١٩.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١١٩.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٠.

قال ابن إسحاق: فإذا فرغوا من رمى الجمار، وأرادوا النفر من مِنًى أخذت صوفة [بجانبي العقبة، فحبسوا الناس وقالوا: أجيزى صوفة، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا، فإذا نفرت صوفة][1] ومضت، خُلِّى سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك حتى انقرضوا، فورثهم من بعدهم بالقُعدد[2] بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث بن شحنة بن عطارد.

قال ابن هشام: صفوان: هو ابن حباب بن شحنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال ابن إسحاق: فكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم هو الذى قام عليه الإسلام كرب بن صفوان، فقال ابن مغراء السعدى:

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم ... حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة لأوس[3] بن مغراء.

وأما قول ذى الإصبع العدوانى واسمه حُرْثان بن عمرو:

عذير الحى من عدوا ... ن كانوا حيّة الأرض
بغى بعضهم ظلمًا ... فلم يُرْعِ على بعض
ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا ... س بالسُّنَّة والفرْض
ومنهم حكم يقضى ... فلا يُنْقَضُ ما يقضى

وهذه الأبيات فى قصيدة له، فلأن الإفاضة من المُزْدَلفة كانت فى عَدوان، فيما حدثنى زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى

(١) ما بين حاصرتين ساقط كم طبعة تدمرى وهو فى الأصل وابن هشام.
(٢) القعدد: سقطت من طبعة تدمرى، وحرفت فى طبعة الذهبى إلى: «بالحقد» والقعدد: يريد قريب النسب، يقال: رجل قعدد، إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر.
(٣) الأخبار والشعر لدى ابن هشام ١/ ١٢٠.

كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيَّارة عُمَيْلة بن الأعزل، ففيه يقول شاعر العرب:

نحن دفعنا عن أبي سيَّارهْ ... وعن مواليه بنى فزارهْ
حتى أجاز سالمًا حماره ... مستقبل القبلة يدعو جاره

وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له، فلذلك يقول: سالمًا حماره[1]. انتهى.

وذكر الزبير بن بكار خبر الإجازة من المزدلفة، وأفاد فى ذلك ما لم يفده ابن إسحاق، فاقتضى ذلك ذكرنا له.

قال بعد أن ذكر خبر الإجازة من عرفة: قال أبو عبيدة: والثانية الإفاضة من جمع غَدَاة النحر إلى منى، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان، فكان آخر من ولى منهم أبا سيارة عُمَيْلَة بن الأعزل بن خالد بن سعد الحارث، فكان إذا أراد أن يفيض بالناس غداة جمع قال:

[لاهم مالى فى الحمار الأسود ... أصبحت بين العالمين أحد
فق أبا سيارة المحسّد ... من شر كل حاسد إذ يحسد][2]

ثم يفيض بالناس، فقال قائل:

نحن دفعنا عن أبي سياره ... وعن مواليه بنى فزاره
حتى أفاض محرمًا حماره ... مستقبل القبلة يدعو جاره[3]

وكان يقال: أصح من حمار أبى سيارة، قال أبو الحسن الأثرم: قال أبو عبيدة: أظنه كان حميًّا، قال محمد بن الحسن: عاش حمار أبى سيارة أربعين سنة لا يصيبه فيها مرض، فيقال: أصح من عير أبى سيارة. اهـ.

---

(١) الخبر والأبيات لدى ابن هشام ١/ ١٢١، ١٢٢.

(٢) ما بين الحاصرتين فيه تحريف وسقط فى الأصول وقد اعتمدنا فى تكملته وتصويبه على ما ورد لدى السهيلى فى الروض الأنف ١/ ٢٣٠.

(٣) الفاكهى ٥/ ٢٠٢.

وذكر الزبير بن بكار فيما نقل عنه الفاكهى ما يُستغرَب فى نسب أبى سيارة، وفى انتقال الإجازة من صوفة إلى عدوان، لأنه قال: فأما الزبير بن أبى بكر قال: حدثنى إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال: أخبرنى عقال بن شبّة قال: فلم تزل الإجازة إلى عقب صوفة حتى أخذها عدوان، فلم تزل فى عدوان حتى أخذها قريش، ثم كان الحج مختلفًا فكانت قريش تدفع بمن معها من المزدلفة، وكان أبو سيارة يدفع بقيس من عرفة، وأبو سيارة من بنى عبد بن معيص بن عامر بن لؤى وقيس أخواله. اهـ[1].

وإنما كان هذا مستغربًا لأنه يقتضى أن أبا سيارة من قريش، والمعروف أنه من عدوان كما ذكر الزبير فيما سبق وغيره من أهل الأخبار، ولأنه يُفهِم أن الإجازة صارت من صوفة إلى عدوان، والمعروف أن صوفة لم يزالوا يجيزون بالناس من عرفة حتى جاء الإسلام، وأن آخر من أجاز منهم كرب بن صفوان على ما ذكر ابن إسحاق وغيره، وأما ما فى هذا الخبر من أن قريشًا أخذت من عدوان الإجازة، فكأنه أشار بذلك إلى ما وقع لقُصَىّ من أخذ ذلك من عدوان وصوفة، ثم ترك ذلك قُصَىّ لأنه يراه دينًا.

وذكر الفاكهى من خبر أبى سيارة، وخبر الإفاضة من عرفة، ومن مُزْدلفة، غير ما سبق، فاقتضى ذلك ذكره، لأنه قال: وحدثنى أحمد بن سليمان، قال: حدثنا زيد بن مبارك، قال: حدثنى أبو ثور، عن ابن جُرَيْج، قال: وقال مولى ابن عباس: وكانت الحُمس من عدوان، قال: وكانوا يقومون بالمزدلفة حتى يدفعوهم، ومن يعرف بعرفة من المزدلفة غداة جَمْع، وكان يدفع بهم أبو سيارة على حمار له، وكان يقول: أشرق ثَبير كيما نُغير[2].

وقال أيضًا: وحدثنا حسن بن الحسين الأزدى، عن أبى عبد الله بن الأعرابى، عن هشام بن الكلبى عن أبيه نحوًا من الأحاديث الأولى، وزاد فيه: فكان كرب ابن صفوان بن شحنة بن عطارد يأخذ بالطريق، فلا يفيض أحد من عرفات حتى

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٠٠.
(٢) الفاكهى ٥/ ٢٠١.

تغيب الشمس، وكان يلي ذلك منهم ـــ يعني الإجازة ـــ كرب بن صفوان، وكانوا يقفون ولا يعرفون الوقوف بها، فيقيمون يفتخرون بآبائهم، وبأفعالهم، ويسألون لدنياهم، فأنزل الله عز وجل ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٠٠) الآية، فإذا غربت الشمس سارع نحو جمع ويسيرون خلفه، لكل حي مجيز سوى ذلك حتى يأتوا الحمس في جوف الليل، فيقضوا معهم، وقد أخذ الطريق لا يخرج أحد قبل طلوع الشمس، فإذا أصبحوا قام أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد بن الحارث العدواني فقال: أشرق ثبير كيما نُغير، اللهم إني سالك طريقة قريش، فبيِّن لنا يا رب حقنا، ثم يقول: اللهم أصلح بين نسائنا، وبغِّض بين رعائنا، واجعل أموالنا عند سمحائنا، ثم يفيض من مُزْدَلِفة إلى مِنى على فرس له، وإن حِمْيَرَ عرضت لأبي سيارة ذات عام فقالوا: نحن أولى بهذا منك، فقال: كذبتم في بَلَدى ونسكي، وديني، هذا أمر نحن شرعناه أولاً، وبنا اقتدت العرب فيه، وهذا ميراث لنا عن آبائنا، والحُرْمة حرمتنا، فأبوا عليه، وتعلقوا بلجامه، فقال: يا آل قيس فلم يكن بها كثير أحد من قيس، فقال: يا آل مُضَر فطار إليه بنو أسد بن خزيمة وبنو كنانة واستنقذوه، ثم قالوا: والله لا يجيز بهم إلا على حمار، فإنهم قد استيطنوا من الخيل، فحملوه على حمار، ثم رفوا حوله قليلاً قليلاً وهم يقولون:

نحن دفعنا عن أبي سياره وعن مواليه بني فزاره
حتى أجاز سالمًا حماره مستقبل الكعبة يدعو جاره(١)

وقد قال ذو الإصبع العدواني: ومنهم من يجيز الحج بالسُّنَّة والفرض، فإذا أتى الناس مِنى، قام فيهم رجل يقال له: صوفة، كان على صدقة الكعبة، وكان الذى يُجيز بهم من صوفة ثور بن أصفر، فإذا جاز الناس في الأبطح اجتمعت كِنْدة إلى بكر بن وائل، فأجازوا بهم حتى يبلغوا البيت، وقال الشاعر:

وكندة إذ ترعى عشية حجنا يجيز بها حجاج بكر بن وائل

قال: فلم يزل أبو سيارة يجيز بالناس حتى أتاهم قُصَيّ بن كلاب(٢). اهـ.

---

(١) الخبر بطوله والشعر لدى الفاكهي ٥/ ٢٠٠ ـــ ٢٠٢.
(٢) الخبر والشعر لدى الفاكهي ٥/ ٢٠٢.

وقوله فى هذا الخبر فإذا أجاز الناس فى الأبطح اجتمعت كِنْدة إلى بكر بن وائل، فأجازوا بهم حتى يبلغوا البيت، فهذه الإجازة لم أرها مذكورة فى غير هذا الخبر، وكذلك ما فيه من أن أنسًا العدوانى كان يقول مع أبى سيارة: أشرق ثبير كيما نُغير، وكذلك قصة أبى سيارة مع حِمْير، وغير ذلك من الأمور التى لم أرها فى غيره من الأمور التى لا يبعد أن تكون وقعت.

وأما قوله فيه: فلم يزل أبو سيارة يجيز بالناس حتى أتاهم قُصَىّ، ففى صحته نظر، لأن أبا سيارة قام الإسلام وهو يجيز بالناس من المزدلفة على ما ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار وبين قيام الإسلام وعهد قُصَىّ دهر طويل.

وقد ذكر الفاكهى أيضًا خبرًا يخالف ذلك، لأنه قال: حدثنا الحسن بن عثمان عن الواقدى قال: وحدثنى عمران بن أبى أنس عن محمد بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن حويطب بن عبد العُزَّى قال: رأيت أبا سيارة يدفع بالناس من جَمْع على أتان له عفوق[1]. اهـــ.

وجمع هى المزدلفة ووجه مخالفة ذلك لما سبق أن حُوَيطب بن عبد العُزَّى من مُسلمة الفتح، وبلغ عمره مائة وعشرين سنة: ستون فى الإسلام وستون فى الجاهلية، ورؤيته له كانت قبل إسلامه، وذلك يقتضى تأخر أبى سيارة إلى قرب الإسلام، وقد ذكر السهيلى فيما يتعلق بأبى سيارة ما لم أره لغيره، لأنه قال بعد أن ذكر ما ذكره ابن إسحاق فى اسم أبى سيارة: وقال غيره: اسمه العاصى، قاله الخطابى، واسمه الأعزل: خالد، ذكره الأصبهانى، قال: فكانت له أتان عوراء خطامها ليف، ثم قال: وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل، فيما ذكر أبو اليقظان، حكاه عنه حمزة بن الحسن الأصبهانى قال: وهو الذى يقول:

لا هُمّ أنى تابع تَبَاعه[2]

وفيما ذكره السُّهَيْلى من أن أبا سيارة هو القائل:

لا هُمّ إنى تابع تَبَاعه

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٠٢.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٣١.

نظر؛ لمخالفته ما ذكره ابن إسحاق، فإنه ذكر أن قائل ذلك هو الغوث بن مُرّ، وقد سبق ذلك.

ومن الغريب أن السهيلي ذكر ما يقتضي أن القائل ذلك هو الغوث بن مُرّ لأنه قال: فصل، وذكر قصة الغَوْث بن مُرّ، ودَفْعه بالناس من عَرَفة، وقال بعض نَقَلَة الأخبار: إنّ ولاية الغَوْث بن مُرّ كانت من قِبَل ملوك كِنْدَة، وقوله: إنْ كان إثْمًا فعلى قُضاعة، إنما خصّ قُضاعة بهذا، لأن منهم مُحلِّين يستحلّون الأشهر الحُرُم، كما كانت خثعم وطيء تفعل، وكذلك كانت النَّسَأَةُ إذا حَرَّمَتْ صَفَرًا أو غيره من الأشهر، بدلاً من الشهر الحرام، يقول قائلهم: قد حُرِّمَتْ عليكم الدماء إلاّ دماء المُحلّين[1]. اهـــ.

فاستفدنا من ذلك فوائد: منها موافقة السهَيلي على أنّ القائل: لا هُمّ إنّي تابع تباعه، هو الغوث، لأنّ البيت الذي أفاد فيه السهيلي معنى تخصيص قضاعة بالذكر، قائله هو القائل:

لا هُمّ إني تابع تَبَاعه

ومنها كون ولاية الغوث بن مر للإجازة بالناس كانت من قِبَل ملوك كِنْدة. اهـــ. قال السهَيلي: وقوله عن مواليه: بني فزاره يعني بمواليه بني عمه لأنه من عدوان، وعدوان وفزارة من قيس عيلان، وقوله: مستقبل القبلة يدعو جاره

أي يدعو الله عز وجل يقول: اللهم كن لنا جارًا ممن نخافه

وذكر السهَيلي[2] أيضًا فيما يتعلق بما ذكره ابن إسحاق من خبر عدوان وصوفة، فوائد حسُن ذكرها.

فمما ذكره فيما يتعلق بعدوان قوله: وأما ذو الإصبع الذي ذكره، يعني ابن إسحاق، فهو حُرْثان بن عمرو، ويقال: حُرثان بن الحارث بن محرّث بن ربيعة بن

---

(١) الروض الأنف ١/ ٢٢٩.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٢٩.

هُبَيْرة بن ثعلبة بن ظَرِب، وظَرِب هو والد عامر بن الظَّرِب الذى كان حكم العرب، ثم قال: وكذلك كان ذو الإصبع حكمًا فى زمانه وعمره ثلاثمائة سنة.

وسمى ذو الإصبع لأن حية نهست إصبعه، وجدهم ظَرِب هو ابن عمرو بن عياذ ابن يَشْكُر بن بكر بن عدوان، واسم عدوان تيم، وأُمه جديلة بنت أدّ بن طابخة، وكانوا أهل الطائف، فكثر عددهم فيها، حتى بلغوا بها سبعين ألفًا، ثم هلكوا، بغى بعضهم على بعض[١].

وكان ثقيف، وهى قسى بن منبه صهرًا لعامر بن الظرب، كانت تحته زينب بنت عامر، وهى أم أكثر ثقيف، وقيل: هى أخت عامر، ثم قال: فلما هلكت عدوان وأخرجت بقيتهم ثقيف من الطائف، صارت الطائف بأثرها لثقيف إلى الآن[٢].

وقوله: «حية الأرض» يقال: فلان حية الأرض وحية الوادى، إذا كان مَهِيبًا يُذْعَر منه، ثم قال: وقوله:

عذيرَ الحى من عدوان

نصب عذيرًا على الفعل المتروك إظهاره، كأنه يقول: هاتوا عذيره أى من يعذره، فيكون العذير بمعنى العاذر، ويكون أيضًا بمعنى العذر مصدرًا كالحديث ونحوه[٢].

وقال السهيلى فيما يتعلق بصوفان قال: يعنى الزبير بن بكار، قال أبو عبيدة: وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى البيت من غير أهله، أو أقام بشيء من خدمة البيت، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم: صوفة وصوفان[٣].

قال أبو عبيدة: لأنهم بمنـزلة الصوف، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر، ليسوا من قبيلة واحدة، وذكر أبو عبد الله يعنى الزبير أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال: إنما سُمّى الغوث بن مُر:

---

(١) الروض الأنف ١/ ١٢٩.
(٢) الروض الأنف ١/ ٢٣٠.
(٣) السهيلى ١/ ٢٢٧.

صوفة، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنّه رَبيطًا للكعبة، ففعلت، فقيل له صوفة، ولولده من بعده وهو الرَّبيط[١].

وحدث إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال: أخبرني عقال بن شبَّة قال: قالت أم تميم بن مُرّ، وولدت نسوة، فقالت: لله عليَّ نذر، لئن ولدت غلامًا لأُعبّدنَّه للبيت، فولدت الغوث، أكبر من ولد من مُرّ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحَرّ، فمرّت به، وقد سقط وزوى واسترخى، فقالت: ما صار ابني إلاّ صوفة، فسُمّى صوفة[٢]. اهـ.

ورأيت فيما نقله الفاكهي عن الزبير بن بكار ما ذكره الزبير في تسميته صوفة عن أبي عبيدة وعن إبراهيم بن المنذر.

وذكر الأزرقي في خبر صوفة ما يُستغرَب، لأنه قال في باب حجّ الجاهلية: وإنساء الشهور بعد أن ذكر خبرًا طويلاً، رواه عن جده عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن إسحاق عن الكلبي قال: قال يعني الكلبي: وكانت الإفاضة في الجاهلية إلى صوفة، وصوفة رجل يقال له: أخزم بن العاص بن عمرو ابن مازن بن الأسد، وكان أخزم قد تصدق بابن له على الكعبة يخدمها، فجعل إليه حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي الإفاضة بالناس على الموقف، وحبشية يومئذ يلي حجابة الكعبة، وأمر مكة، يصطف الناس على الموقف، فيقول حبشية: أجيزي صوفة، فيقول الصوفي: أجيزوا أيها الناس، فيجوزون[٣].

ويقال: إن امرأة أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأزد كانت عاقرًا فنذرت إن ولدت غلامًا أن تتصدق به على الكعبة عبدًا لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت من أخزم الغوث، فتصدقت به عليها، فكان يخدمها في الدهر الأول مع أخواله من جُرهم، فولي الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة، وقالت أمه حين أتمت نذرها، وخادم الغوث بن أخزم الكعبة:

---

(١) السهيلي ١/ ٢٢٧.
(٢) السهيلي ١/ ٢٢٧.
(٣) الأزرقي ١/ ١٨٦.

إنّي جعلت رب من بَيـــيَّه ربيطة بمكة العليه
فباركَنّ لى بها أليّه واجعله لى من صالح البريّه

فولى الغوث بن أخزم الإجازة من عرفة وولده من بعده فى زمن جُرهم وخزاعة حتى انقرضوا، ثم صارت الإفاضة فى عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر فى زمن قريش فى عهد قُصَىّ، وكانت من بنى عَدوان فى آل زيد بن عَدوان يتوارثونه، حتى كان الذى قام عليه الإسلام أبو سيارة العدوانى، وهو عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعيد بن الحارث بن زيد بن عدوان(1). اهـــ.

والمستغرَب فى هذا الخبر أمور: منها ما يقتضى أن صوفة من قحطان، لأن مازن المذكور فى نسب أخزم المشار إليه، هو جماع غسان الأزد، ويقال فيه الأسد بالسين مهملة، كما وقع فى الخبر أيضًا.

واسم الأسد دار، ويقال: دار بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدَد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان، هكذا نسبه الحازمى فى العُجَالة، ورأيته هكذا منسوبًا فى السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام، إلا أنى لم أر فيها ذكر أَدَد بن مالك، وزيد بن كهلان.

والمعروف فى صوفة أنه من مُضَر، كما ذكر ابن إسحاق وغيره.

وذكر الفاكهى فى ذلك حديثًا رواه بسنده إلى عائشة رضى الله عنها، لأنه قال: وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمر الفهرى، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز الإيامى، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، قالت: وقد كانت فى بعض ولد مُضَر بن نزار من ولد إسماعيل، خلال أربع لا ينكرها العرب، ولا يدفعوهم عنها، يعدون فيها ولاية جُرْهم الإجازة للناس بالحجّ من عرفة، وكان الذى يلى ذلك من مُضَر الغوث، بن مُرّ، بن أد، بن طابخة، بن خندف، بن مُضَر، بن نزار، وولده من بعده.

ويقال للغوث وولده من بعده: إن لهم صوفا، فقالت: أجيزوا صوفة. اهـــ.

وقال الفاكهى: حدثنا الحسن بن عثمان، عن الوقدى، قال: حدثنى ربيعة بن عثمان قال: سألت الزهرى: هل كانت الإجازة من عرفة أو من جمع عند جمرة

---

(1) الأزرقى ١/ ١٨٧، إتحاف الورى ١/ ٥٩٣، ابن هشام ١/ ١١٩، السهيلى ١/ ٢٢٦.

العقبة فى أحد من اليمن فى الجاهلية؟ فقال: لا، هذا لا يعرف، إن الصبيان ليعلمون أنه إنما كان فى مُضَر.

قال الواقدى: وسألت عبد الله بن جعفر الزهرى، هل سمعت الإجازة فى شىء من المشاعر فى الجاهلية كانت فى كنانة؟ فقال: لا[1]. اهـ.

ومنها أنه يفهم أن ابتداء أمر إجازة صوفة بالناس كانت فى زمن ولاية خزاعة لمكة، والمعروف أن ذلك فى زمن جُرهم، كما فى إحدى الروايتين اللتين ذكرهما الأزرقى فى خبر صوفة، وهو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار، ومنها يفهم أن القائل:

لا هُمّ إنّى تابع تَبَاعَه إنْ كان إثّم فعلى قُضَاعَه

أم الغوث، والمعروف أن قائل ذلك الغوث ـ كما سبق بيانه ـ ومنها يفهم أن الإجازة انتقلت من صوفة بعد انقراضهم إلى عدوان، وفى ذلك نظر سبق بيانه، ومما يدل لعدم صحة ذلك ما ذكره الفاكهى عن الواقدى.

قال الواقدى: وسألت ربيعة بن عثمان التيمى وعبد الله بن جعفر، عن آخر المشركين دفع بالناس من عرفة، والمزدلفة، ومِنى، فقال ربيعة: آخرهم كَرِب، وقال عبد الله بن جعفر: دفع بهم سنة ثمان، وأنسى أبو ثمامة بمنى[2]. اهـ. وكَرِب المشار إليه هو كَرِب بن صفوان، على ما ذكر ابن إسحاق فى السيرة، وهو من آل صفوان بن الحارث، ويقال: ابن جُنَاب بن شِجْنَة[3] بن عطارد بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مَنَاة بن تميم، الذين ورثوا الإجازة بالناس من عرفة من بنى الغوث بن مُرّ، بالقعدد على ما ذكر ابن إسحاق.

وقد بيَّن السهيلى وجه ذلك لأنه قال: وذلك بأن سعدًا هو ابن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرّ، وكان سعدٌ أقعد بالغوث بن مُرّ من غيره من العرب[4]. انتهى.

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٠٣، ٢٠٤.
(٢) الفاكهى ٥/ ٢٠٤.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن الخباب بن شحنة» وصوابه لدى ابن هشام ١/ ١٢٠، ١٢١.
(٤) السهيلى ١/ ٢٢٨.

الباب الثلاثون

فى ذكر من ولى إنساء الشهور من العرب بمكة

وصفة الإنساء، وذكر الحمس، والحلة، والطلس

قـــال الأزرقي: فيما رويناه عنه بالسند المتقدم حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن إسحاق عن الكلبي، فيما رواه عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن ابن عباس، فذكر شيئًا من خبر الحلة والحُمس، ثم قال ابن إسحاق: قال الكلبي: فكان أول من أنسأ الشهور من مُضَر مالك بن كنانة، وذلك أن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكِنْدي، وهو يومئذ في كِنْدة، وكانت النساءة قبل ذلك في كِنْدة، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومُضَر، وكانت كِنْدة من أرداف المَقاول، فنسأ ثعلبة بن مالك، ثم نسأ بعده الحارث بن مالك بن كنانة، وهو القلمس، ثم نسأ بعده سرير بن القلمس، ثم كانت النساءة في بني فقيم من بني ثعلبة، حتى جاء الإسلام.

وكان آخر من نسأ منهم أبو ثمامة جُنَادة بن عَوْف بن أمية بن عبد بن فقيم، وهو الذي جاء في زمن عمر بن الخطاب إلى الركن الأسود، فلما رأى الناس يزدحمون عليه، قال: أيها الناس أنا له جار فأخروا، فخفقه عمر ﷺ بالدرّة، ثم قال: أيها الجلف الجافي قد أذهب الله عزّك بالإسلام، فكلّ هؤلاء قد نسئ في الجاهلية[1]. انتهى.

وكلام ابن إسحاق في سيرته تهذيب ابن هشام يقتضي أن أول من أنسأ الشهور غير مالك بن كنانة، لأنه قال: وكان أول من أنسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل، وحرمت منها ما حرم: القَلَمَّس، وهو حذيفة بن عبد فُقَيم، بن عدي، بن عامر، بن ثعلبة، بن الحارث، بن مالك، بن كنانة، بن خزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبّاد بن حذيفة، ثم قام بعد عباد: قَلَع بن عباد، ثم قام من بعد قَلَع: أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية عوف بن أمية، ثم قام بعد عوف بن أمية أبو ثُمامة جُنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام[2]. اهـــ.

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٨٢، ١٨٣.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤.

وذكر الفاكهى ما يقتضى: أن أول من أنسأ غير مالك بن كنانة وغير القَلَمَّس، لأنه قال ـــ بعد أن روى خبرًا فى المعنى عن محمد بن السائب الكلبى، ويقال: إن أول من أنسأ الشهور عَدِىّ بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، ثم كان بعد عَدِىّ حُذَيفة بن عبد فقيم، ثم كان بعده عباد ابن حذيفة، ثم كان قلع بن عباد، ثم كان أمية بن قلع، ثم عوف بن أمية، ثم جُنادة بن عوف، وقد أدركه الإسلام فيما يقال: وكان أبعدهم ذكرًا وأطولهم أمَدًا، يقال إنه أنسأ أربعين سنة، والله أعلم، أكان ذلك أم لا؟ أم أقلّ أم أكثر[1]. اهـــ. فهذه ثلاثة أقوال فى أول من أنسأ الشهور، والله أعلم بالصواب.

ذكر صفة الإنساء

روينا عن الأزرقى بسنده إلى ابن إسحاق عن الكلبى فى الخبر الذى فيه ما سبق ذكره فى أول من أنسأ الشهور، قال: والذى ينسأ لهم إذا أرادوا أن لا يحلوا المحرم قاموا بفناء الكعبة يوم الصدر، فقال: أيها الناس لا تحلّوا حُرُماتكم وعظّموا شعائركم، فإنى أجاب ولا أعاب، لقول قلته، فهنالك يحرمون المحرم ذلك العام.

وكان أهل الجاهلية يسمون المحرَّم: صفر الأول، وصفرًا: صفر الآخر، ويقولون: صفران، وشهر الربيع، وجماديان، ورجب وشعبان، وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة[2].

فكان ينسأ الإنساء سنة، ويترك سنة، ليحلوا الشهور المحرَّمة، ويحرموا الشهور التى ليست بمحرَّمة، وكان ذلك من فعل إبليس ألقاه على ألسنتهم، فرأوه حسنًا.

فإذا كانت السنة التى يُنسأ فيها، يقوم فيخطب بفناء الكعبة، ويجتمع الناس إليه يوم الصدر، فيقول: أيها الناس إنى قد أنسأت العام صفر الأول، يعنى المحرم، فيطرحونه من الشهور، ولا يعتدون به، ويبتدئون العدة، فيقولون لصفر وشهر ربيع الأول: صفران، ويقولون لشهر ربيع الآخر ولجمادى الأولى: شهرا ربيع،

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٠٥، ٢٠٦.
(٢) الأزرقى ١/ ١٨٣.

ويقولون لجمادى الأخرى ورجب: جمادَيْن، ويقولون لشعبان: رجب ولشهر رمضان: شعبان، ويقولون لشوال: شهر رمضان، ولذى القعدة: شوال، ولذى الحجة: ذو القعدى، ولصفر الأول وهو المحرم الشهر الذى أنسأه: ذو الحجة، فيحجون تلك السنة فى المحرم، ويبطل من هذه السنة شهرًا ينسئه[١].

ثم يخطبهم فى السنة الثانية فى وجه الكعبة أيضًا، فيقول: أيها الناس لا تحلوا حُرُماتكم وعظموا شعائركم، فإنى أجاب، ولا أعاب، ولا يعاب قول قلته، اللهم إنى قد أحللت دماء المحلين: طيئ وخثعم فى الأشهر الحرام.

وإنما أحل دماءهم لأنهم كانوا يَعْدُون على الناس فى الأشهر الحرام من بين العرب، فيغزوهم ويطلبون بثأرهم، ولا يعفون عن حُرُمات الأشهر الحُرُم [كما يفعل غيرهم من العرب، وكان سائر العرب من الحلة والحمس لا يعدون فى الأشهر الحرام][٢] على أحد، ولو لقى أحدهم قاتل أبيه أو أخيه، ولا يستاقون مالاً إعظامًا للشهور الحُرُم، إلا خثعم وطيئ، فإنهم كانوا يغزون فى الأشهر الحُرُم، فهنالك يحرمون من تلك الأشهر المحرم وهو صفر الأول، ثم يعدون الشهور على عدتهم التى عدوها فى العام الأول، فيحجون فى كل شهر حجَّتين، ثم ينسأ فى السنة الثانية، فينسأ صفر الأول فى عدتهم هذه، وهو الصفر الآخر فى العدة المستقيمة، حتى يكون حجتهم فى صفر أيضًا، وكذلك الشهور كلها، حتى يستدير الحج فى كل أربع وعشرين سنة إلى المحرم الذى ابتدءوا منه الإنساء، يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام أنزل الله فى كتابه ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ (سورة التوبة: آية ٣٧) الآية. انتهى. باختصار[٣].

وقال السهيلى: وأما نسأهم الشهر الحرام، فكان على ضربين: أحدهما ما ذكره ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر، لحاجتهم إلى شن الغارات

(١) الأزرقى ١/ ١٨٣.
(٢) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل، ومثله لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.
(٣) الخبر بطوله لدى الأزرقى ١/ ١٨٣ — ١٨٥.

وطلب الثارات، والثانى تأخيرهم الحج عن وقته تحرّيًا منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحَدَ عشر يومًا، أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدوْر إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال ﷺ: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خَلق الله السموات والأرض.

وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته، ولم يحج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة التى تُسمَّى حجّة الوداع، وذلك لإخراج الكفار الحجّ عن وقته، ولطوافهم بالبيت عُراة، والله أعلم، حتى فتح الله مكة على نبيه[1]. اهـ.

ذكر الحُمس والحِلّة

قد ذكر خبرهم غير واحد من أهل الأخبار، منهم الزبير بن بكار، لأنه قال: وحدثنى إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال: الحُمس قريش، وكنانة، وخزاعة، ومن ولدته قريش خاصة من العرب، وبنو ربيعة بن عامر حُمس، وهم ربيعة وكلاب وعامر، ولدهم مجد بنت تيم بن غالب وكانوا حُمْسًا، وإنما سُمّى الحُمس بالكعبة، لأنها حَمْسَاء، حجرها أبيض يضرب إلى السواد، قال: وكانت لهم سيرة، كانوا لا يأتقطون إقطًا، ولا يَسْلَئُون[2] سَمْنًا، ولا يبيعون جرارًا، ولا يقفون إلا بالمزدلفة، ولا يطوفون بالبيت عُراة، ولا يسكنون فى بيوت الشعر.

وقال غيره: كانوا يعظمون الشهور الحرم، ويتعاطون الحقوق، ويَرْعوون عن المظالم، وينصفون المظلوم.

وحدثنى محمد بن فضالة عن مبشر بن حفص عن مجاهد قال: الحُمْس قريش وبنو عامر بن صعصعة، وثقيف، وخزاعة، ومدلج، وعدوان، والحارث بن عبد مَناة، وعضل أتباع قريش، وسائر العرب الحلة.

---

(١) الروض الأنف ١/ ١١٤.

(٢) فى الروض الأنف ١/ ٣٤٨: «وسَلأُ السمن أن يُطْبَخَ الزُّبْد حتى يصير سَمْنًا».

وحدثني محمد بن حسن عن محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد، عن أبيه، قال: لم يكن الحمس بحلف، ولكنه دين شرعته قريش واجتمعوا عليه.

وكانت الحلة لا تطوف في حجها إلا في ثياب جُدُد، أو ثياب أهل الله سكان الحرم، ويكرهون أن يطوفوا في ثياب عُملت فيها المعاصي، فمن لم يجد طاف عريانًا، ومن طاف من الحلة في ثيابه ألقاها إذا فرغ، فلم ينتفع بها، ولا غيره، حتى تبْلَى.

قال: وكانت الحمس تطوف في ثيابها، وكانت الحلة تخرج إلى عرفات، وتراها موقفًا ومنسكًا، وكان موقفها بالعشى دون الأنصاب، ومن آخر الليل مع الناس بقزح، وكان بعض أهل الحلة لا يرى الصفا والمروة، وبعضهم يراها، وكان الذين يروهما: خندف، وكان سائر الحلة لا يروهما.

فلما جاء الله بالإسلام أمر الحُمْس أن يقفوا مع الحلة بعَرَفَة، وأن يفيضوا من حيث أفاض الناس فيها مع الحلة، وأمر الحلة أن يطوفوا بين الصفا والمَروة، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (سورة البقرة: آية ١٥٨) وذلك أن ناسًا قالوا: ما كان أهل الجاهلية ممن يَطَّوّف بهما، لا يطاف إلا لإساف ونائلة، وكان إساف على الصفا، ونائلة على المَرْوَة، فأعلمهم الله عز وجل أنهما مَشْعران. اهـ.

وقد ذُكر من العرب في الحمس غير من لم يذكره عبد العزيز بن عمران ومجاهد، لأنَ الأزرقي قال: حدثنا جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن محمد بن إسحاق، عن الكلبي، عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت العرب على دينين: حلّة، وحُمْس، والحمس قريش، وكل من ولدت من العرب وكنانة وخزاعة، والأوس، والخزرج، وخثعم وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأَزْدَ شَنُوءَة وجذم وزُبَيد، وبنو ذَكْوان من بني سُلَيم، وعَمْرو اللات وثقيف، وغطفان، والغوث، وَعَدْوان، وعلاف وقضاعة[1]. انتهى.

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٧٩.

وغالب المذكورين فى هذا الخبر لم يُذْكَرُوا فى الخَبَرَيْن اللَّذَيْن ذكرهما الزبير عن عبد العزيز بن عمران، ومجاهد فى بيان الحُمْس، وهم الأوس والخزرج وجشم وأزد شنوءة وجذم وزبيد [وبنو ذكوان، وغطفان، والغوث، وعلاف قضاعة ـــ وما عرفت علاف قضاعة][(١)] وعمرو اللات وما عرفته أيضًا.

وجشم المشار إليهم فى هذا الخبر المنسوبون إلى جشم بن معاوية بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة، بن حفصة، بن قيس عيلان، أو إلى جشم بن سعد بن زيد مَناة بن تميم بن مُرّ، الذين فيهم دُرَيْد بن الصمّة الشاعر، والله أعلم، وليسوا المنسوبين من الخزرج من الأنصار، لكَوْن جشم بن الخزرج يدخلون فى الخزرج المذكورين فى هذا الخبر، والله أعلم.

وليس كل من ذُكِر فيه ممن لم يُذْكَر فى الخبر الذى ذكره عبد العزيز بن عمران ومجاهد فى بيان الحُمْس، يدخل فيمن عُدَّ فى قريش، ممن ولدته قريش، لأن قريشًا لم تلد هذه القبائل كلها، والله أعلم.

وفى الخبر الذى ذكره الأزرقى فى بيان الحُمْس، ما يقتضى أن سبب تسميتهم الحُمْس لشدتهم فى دينهم، لأن فيه: وإنما سُمّيت الحمس حُمْسًا للتشديد فى دينهم، والأحمسى فى لغتهم: المشدد فى دينه[(٢)]. اهـــ.

وهذا يخالف ما ذكره عبد العزيز بن عمران فى تسمية الحمس، لأنه قال فى الخبر السابق عنه من كتاب الزبير: وإنما سُمُّوا الحُمس بالكعبة، لأنها حمساء، حجرها أبيض يضرب إلى السواد. اهـــ.

وذكر الأزرقى فى خبر عن ابن جُرَيْج فيه ما يوافق الخبر السابق فى سبب تسمية الحُمس، لأن فيه: والأحمسى المشدد فى دينه، وهذا الخبر ذكره الأزرقى فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: «ما جاء فى فتح الكعبة، ومن كانوا يفتحونها» وهى قبل الترجمة التى فيها الخبر السابق فى بيان الحمس، وسبب تسميتهم[(٣)].

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) الأزرقى ١/ ١٨١.

(٣) الأزرقى ١/ ١٧٥.

وقيل فى سبب تسميتهم بالحُمْس غير ما سبق، وهو أنهم سُمُّوا حُمْسًا لشجاعتهم، والحماسة الشجاعة، ذكر هذا الخبر المحب الطبرى فى «القرى» مع القولين السابقين فى سبب تسميتهم فى الباب الثامن عشر من «القرى لقاصد أم القرى»(١) والله أعلم بالصواب، وفى الخبر الذى فيه بيان الحمس من حالهم غير ما ذكره ابن الزبير من حالهم.

ذكر الطُّلْس

هم طائفة من العرب تطوف بالبيت على صفة تختص بها، ذكرهم السهيلى بعد أن ذكر شيئًا من خبر الحُمس والحلة، لأنه قال: ولم يذكر يعنى ابن إسحاق الطُّلْس من العرب، وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس، وكانوا يأتون من أقصى اليمن طُلْسًا من الغبار، فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلْس، فسُمّوا بذلك، ذكره محمد بن حبيب(٢). اهـــ.

والطلْسُ: لقب لجماعة من أعيان السَّلَف، لكونهم لا شَعْر فى وجوههم، منهم أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير الأسدى، وشُرَيح بن الحارث القاضى، قاضى الكوفة ستين سنة أو أزيد.

---

(١) القرى لقاصد أم القرى ـــ ص ٣٨١.

(٢) الروض الأنف ١/ ٣٥٠، المحبر ـــ ص ١٧٩.

الباب الحادى والثلاثون

فى ذكر شيء من خبر خزاعة ولاة مكة فى الجاهلية ونسبهم ومدة ولايتهم لمكة

وأول ملوكهم لها وغير ذلك من خبرهم وشيء من خبر عمرو بن عامر ماء السماء الذى تُنسب إليه خزاعة على ما قيل وشيء من خبره وغير ذلك

ذكر نسبهم

أما نَسَبُهُم فاختُلف فيه فقيل: إنهم من عدنان، من ولد قَمَعَة بن إلْياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، واسم قمعة عمير، ورجَّح ذلك ابن حزم فى «الجمهرة»[١] واحتج له بأحاديث تقوم بها الحجة، يأتى ذكرها.

وقيل: إنهم من ولد الصَّلْت، بن النَّضْر، بن كنانة، ذكر هذا القول ابن قُتَيبة فيما نقله عنه القطب الحلبى، ونص كلامه قال ابن قُتَيبة: وأما النَّضْر بن مالك، فهو أبو مالك، والصَّلْت، وأما الصَّلْت فصار إلى اليمن، ويقول قوم: إنه أبو خزاعة، ورجعت قريش إلى مالك بن النضر، فهو أبوها كلها[٢]. اهـ. وليس كل خزاعة على هذه المقالة من ولد الصَّلْت، وإنما بعضهم من ولده، لأن ابن إسحاق قال فى «السيرة»: والذين يُعْزَوْن إلى الصَّلت بن النّضْر بن خزاعة فبنو مُلَيح بن عَمْرو، رهط كُثَيِّر عزة، وأنشد ابن إسحاق فى ذلك شعرًا[٣]، وقيل: إنهم من قحطان، والقول الأول نسب لنسَّاب مُضَر، لأن ابن إسحاق قال فى سيرته: وأما قمعة فيزعم نُسَّاب مُضر أن خُزاعة من ولد عَمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن إلياس[٤]. اهـ.

ونقل ابن عبد البَرّ عن ابن إسحاق قال: وخُزاعة تقول: نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن[٥].

قال ابن هشام: وتقول خزاعة: نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث، وخندف أمّنا، وإنما سُمّيَتْ خُزاعة لأنهم تخزَّعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بَمَرّ الظهران[٦]، فأقاموا بها. اهـ.

---

(١) جمهرة أنساب العرب ــ ص٢٣٣.

(٢) المعارف لابن قتيبة ــ ص ٦٩.

(٣) ابن هشام ١/ ٩٤، ٩٥.

(٤) ابن هشام ١/ ٧٥، ٧٦.

(٥) ابن هشام ١/ ٩١.

(٦) ابن هشام ١/ ٩١.

وممن ذكر أن خُزاعة من قحطان، أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى، لأنه قال فيما نقله عنه الزُّبير بن بكار: فلما لم تتناه جُرهم عن بغيهم، وتفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو بن عامر فأوطنوا تهامة وسميت خزاعة خزاعة كعب، وفتح وسعد وعوف وعَدى بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر، وأسلم وملكان ابنا قُصَىّ بن حارثة بن عمرو بن عامر. اهـ.

وقال ابن الكلبي: عمرو بن لُحَي هو أبو خزاعة كلها، منه تفرقت، وذكر أن لُحيًا هو ربيعة بن حارثة، بن عمرو، بن عامر، بن حارثة، بن امرئ القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأزد، بن الغوث بن نبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، ابن سبأ، بن يشجُب، بن يَعْرب، بن قحطان.

وقال ابن الكلبي: فولد عمرو بن ربيعة يعنى عمرو بن لُحَىّ كعبًا بطن، وملحًا بطن، وعديًّا بطن، وعوفًا وسعدًا وكلّ من ولد ربيعة بن حارثة فهم خزاعة، وإنما قيل لهم خُزاعة: لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر تخلفوا عنهم وفارقوهم، وكذلك يقال أيضًا: لبنى أفصى[1] بن حارثة، لأنهم تخزعوا من ولد مازن بن الأزد فى إقبالهم من اليمن، ثم تفرقوا فى البلدان، وفى خُزاعة بطون كثيرة.

وقال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة: افترقت خُزاعة على أربعة شعوب، فالشعب الأول ربيعة، بن حارثة بن عمرو بن عامر، الأشتر بن ربيعة، وهم بنو حفنة، ويقال جفينة الذين بالشام من غسان، والشعب الثانى: أسلم بن أفصى[1]، والشعب الثالث: ملكان، والشعب الرابع مالك بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر.

وقال: وإنما قيل لهم خُزاعة لأنها تخزعت عن عظم الأزد، والانخزاع التقاعس والتخلف، فأقامت بمر الظهران، بجَنَبَات الحرم، وولوا حجابة البيت دهرًا.

وما نقلناه عن أبى عُبَيدة وابن الكلبى، نقله عنهما ابن عبد البرّ فى كتاب له فى الأنساب.

---

(١) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «أقصى» بالقاف.

وقد ظهر بذلك ومما ذكرناه عن أبي عبيدة وابن هشام أنّ خزاعة على القول بأنهم من قحطان، من ولد حارثة بن عمرو بن عامر، وذلك يرد ما ذكره السُّهَيلى فى «الروض الأنف» لأنه ذكر فى غير موضع من كتابه هذا ما يقتضى أن خزاعة من ولد حارثة بن ثعلبة بن عامر، لأنه قال: وأسلم إخوة خُزاعة، وهم بنو حارثة بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر، ذكر ذلك لما تكلم على الحديث الذى احتج به على أن قحطان من عدنان، وهو قوله ﷺ: «ارموا يا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا» حين قال ذلك لقوم من أسلم بن أفصَى، رآهم النبى ﷺ يرمون[1] وقال السهَيلى أيضًا لما تكلم على حديث عمرو بن لُحَىّ، وقد تقدم فى نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة[2]. اهـــ.

وقد وافق السهَيلىَّ على ما ذكره فى خُزاعة صاحبُ «الاكتفا» الحافظ أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى.

وقد ذكر ابن حَزْم فى «الجمهرة» ما يخالف ما ذكره السهيلى فى ثعلبة لأنه قال: لما ذكر أولاد عمرو بن عامر، وثعلبة العَنْقاء بن عَمْرو من ولده الأوس والخزرج[3]. اهـــ.

وابن حَزْم أقعد من السُّهَيْلى بالأنساب، لأنه ممن يُعَوَّل عليه فيها، كيف وفى كلام غيره من أئمة النسب ما يقتضى أن جدّ خزاعة على القول بأنهم من قحطان حارثة بن عمرو لا ثعلبة بن عمرو.

وذكر السهَيلى وجهًا فى الجمع بين قول من قال: إن خزاعة من مُضَر، وبين قول من قال: إنهم من قحطان، لأنه قال: وقول النبى ﷺ: ارموا يا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا، وهو معارض بحديث أكثم بن أبى الجون فى الظاهر، إلا أن بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لُحى كان حارثة قد خلف على أمه، بعد أن

---

(١) الروض الأنف ١/ ٤٥.
(٢) الروض الأنف ١/ ١٦٤.
(٣) جمهرة أنساب العرب ـــ ص ٣٣١.

تأيّمت من قمعة، ولُحيّ صغير، ولُحيّ هو ربيعة، فتبناه حارثة، وانتسب إليه، فيكون النسب صحيحًا بالوجهين جميعًا، إلى حارثة بالتبنى وإلى قمعة بالولادة، وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة، فإنه أخو خزاعة، والقول فيه كالقول فى خزاعة، وقيل فى أسلم بن أفصى بن حارثة: إنه من بنى أبى حارثة بن عامر أو من بنى حارثة. انتهى.

وهذا الجمع يتجه إن كان المتزوج لأم لُحيّ حارثة بن عمرو بن عامر، لا حارثة بن ثعلبة بن عمرو، لما سبق فى ذلك.

وقد بين ابن حزم نسب خُزاعة على القول بأنهم من مُضَر وبيَّن الحجة على ذلك، فنذكر ما ذكره لما فى ذلك من الفائدة.

فأما ما احتج به ابن حزم على أن خزاعة من مُضَر فهو حديث أبى هريرة ﷺ، قال: قال النبى ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر، بن لُحيّ، يجرّ قُصبَه فى النار، وكان أول من سيب السوائب»[1].

وحديث أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: عمرو بن لُحيّ بن قَمَعَة بن خندف أبو خُزاعة، وقال ابن حزم: ليس هذا مخالفًا لما قبله، إذ قد ينسبه إلى والد جده نسبة إضافة، كما قال النبى ﷺ: «أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

وحديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة ابن خنْدف أبا بنى كَعْب هؤلاء يجرّ قُصبَه فى النار».

وحديث أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ النارُ، فرأيت فيها عمرو بن لُحيّ بن قَمَعَة بن خنْدف يجر قُصبُهُ فى النار، وهو أول من غيَّر دين إبراهيم ﷺ، وأشبهُ من رأيتُ به أكثم بن أبى الجَوْن، فقال أكثم: أيَضُرُّنى شبهُه يا رسول الله؟ قال: لا، لأنه كافر وأنت مسلم.

وحديث سَلَمَة بن الأكْوَع، قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، فقال: «ارموا [يا] بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا»[2].

---

(١) فى المطبوعتين والأصل سقط وتحريف فى الأخبار المنقولة عن ابن حزم وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على ما ورد لدى ابن حزم فى الجمهرة ص٢٣٣ — ٢٣٥.

(٢) جمهرة ابن حزم ـــ ص ٢٣٤.

وهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين، وأخرج ابن حزم منها الأول والثانى والخامس من صحيح البخارى، وأخرج الثالث من صحيح مسلم بسنده، وأخرج الرابع من طريق الدارقُطْنى عن المحاملى.

وقال ابن حزم: وأما الحديث الأول، والثالث، والرابع، ففى غاية الصحة والثبات، وأما الثانى ففيه إسرائيل، ولكن الأحاديث حجة قاطعة، وكفاية، ولا يجوز تعدى القول بما فيها.

فخُزاعة من ولد قَمَعَةَ بن إلياس بن مضر بلا شك، وليس لأحد مثل هذا كلام، وأسلم إخوة خزاعة بلا شك عند أحد من النسابين(١).

وقال: فولد قَمَعَةَ بن إلياس: عامر بن قَمَعَة، وولد عامر بن قَمَعَة: أقصى وربيعة، وهو لُحىّ ابنا عامر بن قَمَعَة، وولد لُحىّ: عامر بن لُحىّ، وولد عامر بن لُحىّ: عمرو بن عامر بن لُحىّ، وهو عمرو بن لُحىّ نُسب إلى جده، وهو أول من غَيَّر دين إسماعيل، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، وولد عمرو بن عامر بن لُحىّ كعبًا بطنٌ، ومُلَيْحًا بطن، وعوفًا بطن، أمهم أسدية، وعديًّا بطن، أمه أيضًا أسدية، وسعدًا أمه أم خارجة البَجَليّة(٢)، التى يقال لها: أسرع من نكاح أم خارجة. اهـــ.

وإذا تقرر أن خزاعة من مُضَر، فلا يظهر تسميتها بخزاعة معنى، وإذا كانوا من قحطان فذلك لانخزاعهم عن قومهم بمكة، والانخزاع هو المفارقة، وفى ذلك يقول عوف بن أيوب الأنصارى الخزرجى:

فلمَّا هَبَطْنَا بطن مُرٍّ تَخَزَّعَتْ ... خزاعةُ منَّا فى حُلُول كراكر

حمتْ كل وادٍ من تِهامةَ واحْتَمَتْ ... بصُمِّ القَنا والمرهفاتِ البواتر

هكذا ذكر ابن هشام فى السيرة هذين البيتين لعَوْف بن أيوب الأنصارى، وقال: هذان البيتان له فى قصيدة(٣).

---

(١) ابن حزم ـــ ص ٢٣٥.

(٢) تحرف فى الأصل وهو إلى: «البلخية» وصوابه لدى ابن حزم ـــ ص ٢٣٥.

(٣) ابن هشام ١/ ٩٢.

وأنشدهما الأزرقى لحسان بن ثابت الأنصارى، وذلك فى خبر طويل رواه عن أبى صالح ذكر فيه خبر جُرهم وخُزاعة، وفيه قال حسان بن ثابت الأنصارى يذكر انخزاع خزاعة بمكة، ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة، وغسان إلى الشام:

فلما هبطنا بطن مُرٍّ تخزّعت ... خُزاعة منا فى حلول كراكر
حموا كل وادٍ فى تهامة واحتموا ... بصُمّ القنا والمرهفات البواتر
فكان لها المرباع فى كل غارة ... تشن بنجد والفجاج العوابر
خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة ... وأنصارنا جند النبى المهاجر

وذكر بقيتها وهى تسعة أبيات، تتضمن مدح الأنصار وغسان[1].

---

(١) الأزرقى ١/ ٩٥.

ذكر سبب ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قد سبق فى أخبار جُرْهم ابتداء ولاية خزاعة لمكة، واختلاف ما ذكره ابن إسحاق والكلبى فى سبب ولايتهم لمكة، فأغنى ذلك عن إعادته، ونذكر ههنا غير ما سبق مما يقتضى ذلك.

قال الفاكهى، بعد أن روى فى هذا المعنى أخبارًا: قال ابن أبى سلمة، وابن إسحاق فى حديثهما: فلم يزل الأمر بجُرْهُم، وغُبْشان وبكر، حتى اقتتلوا، فغلبتهم بكر وغُبْشان، وظهروا عليهم، ووطئوهم، ونفوهم من مكة إلى ما حولها، وولوا عليهم البيت [زاد ابن أبى سلمة والمخزومى فى حديثهما: وولوا عليهم البيت](١) وما كانوا يلون بمكة من الحكم وغيره(٢). اهـ.

وذكر الزُّبير وغيره من أهل الأخبار ما يقتضى أن سبب ولاية خُزاعة للبيت غير ما ذكره ابن إسحاق، وذلك أن امرأة من خُزاعة يقال لها قدامة كانت متزوجة فى بنى إياد بن نزار، نظرت إلى بنى إياد لما دفنوا الحجر الأسود، حين خرجوا إلى العراق، بعد أن تعذر عليهم حمله، فإنهم لم يحملوه على شىء إلا عجز، ففقدت مُضَر الركن، فعظم ذلك فى نفوسها، ورأت المرأة الخزاعية عِظَمَ مشقة ذلك عليهم، فأمرت قومها أن يأخذوا على مُضَر أن يولوهم حجابة البيت، وتدلهم المرأة على الركن، ففعلوا ذلك، ووافقتهم عليه مُضَر، ودلتهم المرأة على الحجر الأسود، فابتحثوه من تحت الشجرة، وأعيد إلى مكانه. ووُلِّيت خزاعة بعد ذلك، ولم يبرح فى أيديهم حتى قدم قُصَىّ، هذا معنى ما ذكره الزبير والكلبى فى هذا الخبر، وقد سبق قريبًا.

وبان بذلك أن سبب ولاية خزاعة للبيت غير ما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم بالصواب.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٥٣.

ذكر مدة ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قال الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: قال: حدثنى جدى، قال: حدثنا سعد بن سالم، عن عثمان بن ساج عن ابن جُرَيْج، وعن ابن إسحاق يزيد أحدهما على الآخر، قالا: قامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت، والحكم بمكة ثلاثمائة سنة، وكان بعض التبابعة قد سار إليه، وأراد هدمه وتخريبه، فقامت دونه خُزاعة، فقاتلت عليه أشد القتال، حتى رجع، ثم آخر فكذلك.

وقال الأزرقى أيضًا فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: حدثنى جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم بن عثمان بن ساج عن الكلبى عن أبى صالح، فذكر خبرًا طويلاً فى خبر جُرْهم وخزاعة، قال فيه: فكان عمرو بن لُحَىّ على البيت، وولده من بعده خمسمائة سنة، حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب، فزوج إليه قُصَىّ ابنته حبىّ ابنة حليل، وكانوا هم حُجّابه وخُزّانه، والقُوَّام به، ووُلاة الحكم بمكة، وهو عامر، ولم يخرب فيه خراب، ولم تبن خُزاعة فيه شيئًا بعد جُرْهم، ولم يُسرق منه شيء علمناه، ولا سمعنا به، وترادفوا على تعظيمه والذَّبّ عنه، وقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن عمرو الغُبْشانى:

نحن ولَّيناه فلم نغثه ... وابن مُضَاض قائم يهشّه
يأخذ ما يُهْدَى له يعشّه ... نترك مال الله ما نمسّه(١)

انتهى.

ذكر أول من ولى البيت من خزاعة وغير ذلك من خبر جُرْهم

اختُلف فى أول ملوك خزاعة بمكة، فقيل: عمرو بن لُحَىّ، ولُحَىّ هو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، على القول بأنهم من قحطان، ويدل لذلك خبر رواه الزبير بن بكار عن أبى عُبَيدة، فيه ذِكر شيء من خبر جُرْهم وخُزاعة، لأن فيه: فاجتمعت خُزاعة ليجلوا من بقى، ورأس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن

(١) الأزرقى ١/ ١٠٢.

عمرو بن عامر، وأمه فهيرة بنت عمرو بن الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمى، وليس بابن مُضَاض الأكبر، فاقتتلوا.

ثم قال فيه بعد ذِكْره لخروج من بقى من جُرْهُم إلى جشم من أرض جُهَيْنَة: وولى البيت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. اهـ.

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن عمرو بن لُحَىّ أول ملوك خُزاعة، وفيه ذكر شيء من خبره، وخبر جُرْهم؛ لأنه قال: ويقال فى رواية أبى عمرو الشيبانى: إن حجابة البيت صارت إلى خُزاعة، لأن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن تزوج فهيرة بنت الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمى، فولدت له عمرو بن ربيعة، فلما شب عمرو وساد وشَرُف، طلب حجابة البيت، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم وبين جُرْهُم.

وذكروا: أن عمرو بن ربيعة عاش ثلاثمائة وخمسًا وأربعين سنة، وبلغ ولده فى حياته ألف مقاتل، من ولد كعب وعَدىّ وسعد ومليح وعوف بن عمرو، وكانت بينهم حروب طويلة وقتال شديد، ثم إن خزاعة غلبوا جُرْهُمًا على البيت، وخرجت جُرْهم حتى نزلت وادى إضَم، فهلكوا فيه.

وكان عمرو بن ربيعة أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام، وأنه خرج إلى الشام، فاستخلف على البيت رجلاً من بنى عبد بن ضجم، يقال له: آكل المرار، وعمرو يومئذ وأهل مكة على دين إبراهيم عليه السلام[1].

فلما قدم الشام نزل البلقاء، فوجد قومًا يعبدون أوثانًا، فقال: ما هذه الأنصاب التى أراكم تعبدون؟ فقالوا: أربابًا نتخذها نستنصر بها على عدونا، فنُنْصَر، ونستشفى بها من المرض فَنُشْفَى، فوقع قولهم فى نفسه، فقال: هبوا لى منها واحدًا نتخذه ببلدى، فإنى صاحب بيت الله الحرام، وإلى وفدت العرب من كل صوب، فأعطوه صنمًا يقال له: هُبَل، فحمله حتى نصبه للناس بمكة، فتابعته العرب على ذلك، وذكر بقية الخبر[2]، وقد سبق فى القول الرابع فى سبب خروج جُرْهم.

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٥٤.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٥٤.

وذكر الأزرقي شيئًا من خبر عمرو بن لُحَيّ، وأبان فيه غير ما سبق، لأنه روى خبرًا طويلاً فى ولاية خزاعة بعد جُرْهم، وفى الخبر: فتزوج لُحَيّ وهو ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مُضَاض ابن عمرو الجُرْهَمي ملك جرهم، فولدت له عمرًا، وهو عمرو بن لُحيّ، وبلغ — بمكة وفى العرب — من الشرف ما لم يبلغ عربيّ قبله ولا بعده فى الجاهلية، وهو الذى قسم بين العرب فى حطمة حطموها، عشرة آلاف ناقة، وقد كان عوّر عشرين فحلاً، وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقأ عين فحل إبله، فكان قد فقأ عين عشرين فحلاً، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف الإبل ولحمانها على الثريد، وعمّ فى تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن.

وكان قد ذهب شرفه فى العرب كل مذهب، فكان قوله فيهم دينًا متّبعًا، لا يخالف، وهو الذى بحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، وسيَّب السوائب، ونصب الأصنام حول الكعبة، وجاء بهُبَل من هيت، من أرض الجزيرة، فنصبه فى بطن الكعب، فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام، وهو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم ﷺ.

وكان أمره بمكة فى العرب مطاعًا لا يُعْصَى، وكان بمكة رجل من جُرْهُم على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكان شاعرًا، فقال لعمرو بن لُحَيّ حين غير دينه الحنيفية:

يا عمرو لا تظلم بمـــ ـــكّة إنها بلد حرام
سائل بعاد أين هُمْ وكذاك تُخترم الأنام
ومن العماليق الذيـــ ـــن لهم بها كان السَّوام

فزعموا أن عمرو بن لُحَيّ أخرج ذلك الجُرْهُمى من مكة، فنـــزل بأطم من أعراض مدينة النبى ﷺ، فقال الجُرْهُمى وتشوق إلى مكة:

ألا ليت شعْرى هل أبيتنّ ليلة وأهلى معًا بالمأزمين حلول
وهل أرين العيس تنفخ فى الثَّرَى لها بمِنى والمأزمين زميل
منازل كنا أهلها لم يحل بنا زمان بها فيما أراه يحول

مضى أوَّلونا قانعين بشأنهم جميعًا وغالَتْنا بمكة غولُ[١]

انتهى.

وقيل: إن أول ملوك مكة من خُزاعة، لُحَيّ: وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر والد عمرو بن لُحَيّ السابق ذكره، وهذا القول ذكره الأزرقى، لأنه روى بسنده خبرًا طويلاً فى خروج جُرْهم من مكة، وولاية خُزاعة لها بعدهم، وفيه بعد أن ذكر تفرُّق أولاد عمرو بن عامر فى البلاد: وانخزعت خزعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لُحَيّ، فولى أمر مكة وحجابة البيت[٢]. انتهى.

وقيل: إن أول ملوك خزاعة بمكة عمرو بن الحارث الغبشانى، ويدل لهذا القول ما ذكره الزبير بن بكار عن أبى عبيدة، لأن فى الخبر الذى ذكره فى إخراج خزاعة لجُرْهُم من مكة بعد قوله: وولى البيت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر، وقال أبو قُصَىّ: بل وليه عمرو بن الحارث بن عمرو أحد بنى غبشان ابن سليم من بنى ملكان بن قُصَىّ، وولى البيت، وهو الذى يقول:

ونحن ولينا البيت من بعد جُرْهُم لنعمره من كل باغ وملحد

وقال أيضًا:

وادٍ حرامٌ طَيْرُهُ ووحشُه ونحن وُلاته فلا نَغشّه

ويروى:

نحن وليناه فلا نغشه

وزاد غير أبى عبيدة:

وابن مُضَاض قائم يهشّه

ونقل الفاكهى ما يقتضى: أن عمرو بن الحارث أول من ولى البيت، لأنه قال: قال الواقدى: وحدثنى حرام بن هشام عن أبيه قال: أول من وليه من غُبْشان

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٠٠، ١٠١.

(٢) الأزرقى ١/ ٩٥.

من خزاعة، وكان الذى وليه منهم عمرو بن الحارث بن لؤى بن ملكان بن قُصَىّ، نصب هُبل صنمًا بمكة، فقال الحارث بن مُضَاض، وهو يعظ عمرًا:

يا عمرو لا تفجر بمكة ... إنها بلدٌ حرام[1]

فتحصَّل من هذه الأخبار ثلاثة أقوال، فى أول من ولى مكة من خُزاعة، هل هو عمرو بن لُحَىّ، كما ذكر أبو عبيدة والفاكهى؟ أو أبوه لُحَىّ كما ذكر الأزرقى؟ أو ابن الحارث الغُبْشانى، كما ذكر أبو عبيدة وابن الكلبى؟ والله أعلم.

وتحصَّل من هذا فيمن نصب هُبَل قولان: أحدهما أنه عمرو بن لُحَىّ، وهو القول المشهور، والآخر عمرو بن الحارث الغُبْشانى، كما نقل الواقدى عن ابن الكلبى.

ورأيت فى «المورد العذْب الهنى، فى شرح سيرة عبد الغنى» للحافظ قطب الدين الحلبى فى ذلك قولاً ثالثًا، لأنه قال: لما ذكر خُزَيمة جد النبى ﷺ: وخُزَيمة هو الذى نصب هُبَل على الكعبة، وكان يقال: هُبَل خزيمة، هكذا ذكر ابن الأثير. انتهى.

وذكر ابن إسحاق ما يقتضى أن غُبْشان من خُزاعة، انفردت بالكعبة دون بنى بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة، لأنه قال بعد أن ذكر إخراج بنى بكر وغُبْشان جُرْهُم من مكة: ثم إنّ غُبْشان من خُزاعة، وُلّيت البيت دون بنى بكر بن عبد مَنَاة، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانى، وقريش إذ ذاك حُلول وصِرَم[2] وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة، فوُلّيت خزاعة البيت، يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزاعى[3]. انتهى.

وذكر الفاكهى عن ابن إسحاق ما يقتضى أن بنى بكر لم تل مع غُبْشان البيت، وإنما كانت بكر عَضُدًا لغُبْشان، وأفاد فى ذلك غير ما سبق، فاقتضى ذِكْر

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٥٥.

(٢) الصرم: الجماعات المتقطعة.

(٣) ابن هشام ١/ ١١٧.

ما ذكره، ونص كلامه: حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى قال: حدثنا سعيد بن سالم، قال: قال عثمان يعنى ابن ساج: أخبرنى محمد بن إسحاق، وحدثنى عبد الملك بن محمد، عن زياد بن عبد الله، عن ابن إسحاق، يزيد أحدهما على صاحبه فى اللفظ، قال: ثم إنّ غُبْشان من خُزاعة وُلّيت البيت من بعد جُرْهم دون بكر بن كنانة، فكانت بكر لهم عَضُدًا وناصرًا ممن بغى عليهم، وقد حاربتهم، وقريش إذ ذاك حلول وصِرَم، وهم بيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة، وكان الذى يلى البيت من غُبْشان عمرو بن الحارث بن لؤى بن ملكان بن قُصَىٍّ، وهو الذى يقول:

نحن وُلّيناه فلم نغشّه ... وابن مُضَاض قائم يهشّه
يأخذ ما يُهْدَى له يغُشُّه ... نترك مال الله لا نمسه

وقال أيضًا:

نحن وُلّينا البيت من بعد جُرْهم ... لنمنعه من كل باغ وظالم
ونمنعه من كل باغٍ يريده ... فيرجع منا عنده غير سالم
ونحفظ حقَّ الله فيه وعهدنا ... ونمنعه من كل باغٍ وآثم
ونترك ما يُهْدَى له لا نمسه ... نخاف عقابَ الله عند المحارم
وكيف نريد الظلمَ فيه وربّنا ... بصير بأمر الظلم من كل غاشم
فوالله لا ينفك يحفظ أمره ... ويعمره ما حج أهل المواسم
ونحن نفينا جُرْهُمًا عن بلادها ... إلى بلدة فيها صنوف المآثم

قال: فوُلّيت خُزاعة البيت زمانًا طويلاً، وهم أخرجوا إسافًا ونائلة من الكعبة، فوضعوهما على زمزم(١).

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى بأن قيس بن عيلان من مضر أرادوا إخراج خُزاعة من مكة، فلم يتم لهم أمر، لأنه قال بعد أن ذكر شيئًا عن الواقدى: فلما مات عمرو بن لُحَىّ وُلّى البيت من بعده كعب بن عمرو، فاجتمعت قيس على

(١) الخبر والشعر الفاكهى ٥/ ١٥٥، ١٥٦.

عامر بن الظَّرِب العدواني، فسار بهم إلى مكة ليُخْرِجَ خُزاعة، فقاتلتهم خُزاعة، فانهزمت قيس ووُلِّيت خُزاعة البيت لا ينازعهم أحد[١]. اهـ.

واستفدنا من هذا الخبر ولاية كعب بن عمرو بن لُحَيّ للبيت بعد أبيه عمرو.

وذكر الفاكهى لبعض عدوان شعرًا، نال فيه من خُزاعة، لأن بعض خُزاعة قال شعرًا، تعرَّض فيه لعدوان فيما يظهر والله أعلم، ونص ما ذكره الفاكهى:

وقال حليل:

نحن بنو عمرو ولاة المَشْعر ... نَذُبُّ بالمعروف أهل المنكر

حسا ولسنا بهذا المحصَر

وقال: وأجابه نصر بن الأَحَتّ العدوانى:

إن الخنا منكم وقول المنكر ... جئناكمو بالزحف فى السَّنَوَّر[٢]

بكل ماض فى اللقاء مسعر[٣]

انتهى.

وذكر الفاكهى: عن حليل بن حبشية هذا شعرًا آخر، لأنه قال: وقال حليل ابن حبشية:

وادٍ حرامٌ طَيرُه ووحشُه ... وابن مُضَاض قائم يهشّه[٤]

انتهى.

وقد سبق فيما ذكره الفاكهى عن ابن إسحاق أن عمرو بن الحارث الغُبْشانى هو الذى يقول:

نحن وُلِّيناه فلم نغشّه ... وابن مُضَاض قائم يهشّه[٥]

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٥٦.

(٢) تحرف فى هـ إلى: «المسور» وفى م إلى: «المسنور» ومثله لدى الفاكهى وبهامشه: «كذا» للشك وصوابه من الأصل، والسَّنَوَّر: جُملة السلاح ولَبُوس يلبس فى الحرب كالدرع. والأبيات من الرجز.

(٣) الخبر والأبيات لدى الفاكهى ٥/ ١٥٧.

(٤) الفاكهى ٥/ ١٥٧.

(٥) الفاكهى ٥/ ١٥٧.

ولعل حليلاً قال ذلك استشهاداً فينتفى التعارض، والله أعلم، وحليل هذا آخر من ولى البيت وأمر مكة من خُزاعة، على ما ذكره الفاكهى، فيما رواه بسنده عن عائشة وابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار.

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن أبا غُبشان الخزاعى كان شريك حليل فى الكعبة، وأبو غُبْشان هو على ما ذكره الزُّبير عن الأثرم عن أبى عبيدة: سليم بن عمرة بن لؤى بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، ونصّ الخبر الذى ذكره الفاكهى: قال الواقدى: وسمعت ابن جُرَيْج يقول: كان حليل يفتح البيت، فإذا اعتل أعطى ابنته المفتاح حتى تفتحه، فإذا اعتلّت أعطت زوجها قُصَيًّا يفتحه، وكان قُصَىّ يعمل فى أخذ البيت وحيازته إليه، وذكر قطع خُزاعة منه، وكان شريك حليل فيه أبو غُبْشان، وكان حليل يتنـــزه عن أشياء يفعلها أبو غُبْشان[1].

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن حليلاً أوصى بولاية البيت لأبى غُبْشان، لأنه قال: حدثنا حسن بن حسين الأزدى قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال عيسى بن بكر الكنانى المدنى قال: قال ابن الكلبى أو غيره: يقال: إن قُصَيًّا دعا أبا غُبْشان الملكانى فقال: هل لك أن تدع الأمر الذى أوصى لك به حليل إلى حبى وعبد المدان فتُخلّى بينهما وبينه، وتصيب عَرَضًا من الدنيا؟ فطابت نفس أبى غُبْشان وأجابهم إلى ذلك، فأعطاهم قُصَىّ أثوابًا وأبعرة، ولم يكن أبو غُبْشان وارثًا لحليل، ولا وليًّا، إنما كان وصيًّا فجاز وصيته، وصيرت حبى إلى ابنها حجابة البيت، ودفعت المفاتيح[2] إليه. اهـــ.

وذكر الزبير بن بكار خبرًا يقتضى أن حليل بن حبشية جعل لأبى غُبشان فتح البيت وإغلاقه، وأن قُصَيًّا اشترى ولاية البيت من أبى غُبْشان بزِقّ خمر أو قعود، وسيأتى هذا الخبر فى أخبار قُصَىّ، وهذا الخبر نقله الزبير عن الأثرم عن أبى عُبيدة، وقال الزبير: قال محمد بن الضحاك: اشترى قُصَىّ مفتاح بيت الله الحرام من أبى

(١) الفاكهى ٥/ ١٥٨.

(٢) الفاكهى ٥/ ١٥٩.

غُبْشان الخزاعى بكَبْشٍ وزِقّ خمر، فقال الناس: أخسر من صفقة أبى غُبْشان فذهبت مثلاً[١]. اهـ.

فتحصل من هذه الأخبار، فيما اشترى به قُصَىّ من أبى غُبْشان ما كان له فى الكعبة، ثلاثة أقوال: هل ذلك أثواب وأبْعِرَة؟ أو هو زِقّ خمر وقعود؟ أو هو كَبْش وزِقّ خمر؟.

وفى ذلك قول آخر رابع، وهو زِقّ خمر فقط، وذكر الزبير فى خبر يأتى ذكره فيما بعد فى أخبار قُصَىّ، وفيه أن أبا غُبْشان كان يلى البيت.

وأفاد الفاكهى سببًا فى بيع أبى غُبْشان ما كان له فى البيت، لأن فى الخبر الذى نقله الفاكهى عن الواقدى عن ابن جُرَيْج بعد قوله «وكان حليل يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غُبْشان»: وكانت البحائر تنحر عند البيت عند إساف ونائلة، فكان أبو غُبْشان قد سنّ له من كل بحيرة رأسها والعنق، ثم إنه استقل ذلك، فأبى أن يرضى بذلك، فقال: يريدون الأكتاف، ففعلوا، ثم أدَبَ لهم: فقال: يريدون العجز، فأبى الناس ذلك عليه، فأتى رجل من بنى عقل يقال له: مُرّة بن كثير أو كبير ببدنة له، وكانت سمينة، فنحرها وأبو غُبْشان قائم، فقال: ابدأ بالعنق، والرأس، والكتف، والعجز، فقال العقيلى: فما بقى إذًا لمن سيقت إليه؟ قال: الأكارع، قال: فرفده الناس ومن حضر من قريش وغيرهم وقالوا: عبث، كنت أولاً تقول: الرأس والعنق، فكان هذا أخفّ من غيره، ثم تعديت إلى الأكارع فقال: لا أقيم فى هذا البلد أبدًا إلا على ذلك، فلما أبوا عليه، قال: من يشترى نصيبى من البيت بإداوة تبلغنى إلى اليمن أو بزِقّ خمر، فاشترى نصيبه فى ذلك قُصَىّ وارتحل أبو غُبْشان إلى اليمن، فقال الناس: أخسر من صفقة أبى غُبْشَان، قال الواقدى: وقد رأيت مشيخة خزاعة تُنْكِر هذا[٢].

ونقل الفاكهى عن الزُّبير بن بكار ما يقتضى أن قُصيًّا اشترى مفتاح البيت من أبى غُبْشان بالطائف[٣]، وهذا يخالف ما فى الخبر الذى قبله، فإنه يقتضى أن

(١) الفاكهى ٥/ ١٥٩.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٥٩، ١٦٠.
(٣) الفاكهى ٥/ ١٦٠.

شراء قُصَيّ لذلك كان بمكة، وسيأتى هذا الخبر فى أخبار قُصَىّ، ويأتى فى أخباره أيضًا ما كان بينه وبين خُزاعة من القتال، وتوليه لما كانت خُزاعة تليه من ولاية مكة وحجابة البيت، وسُكْنَى خزاعة معه بمكة فى منازلهم التى جاء الإسلام وهم عليها.

وقد ذكر ابن عبد البَرّ فى كتاب له فى الأنساب شيئًا من فضل خُزاعة يحسُنُ ذكْره هنا، وذلك أنه قال بعد أن ذكر نَسَبَهم: نزولُ خزاعة الحرمَ ومجاورهم قريشًا، قال ابن عباس رضى الله عنهما: نزل القرآن بلغة الكعبيِّين: كعب بن لؤى وكعب بن عمرو بن لُحَىّ، وذلك أن دارهم كانت واحدة، ويقال خُزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، لأنهم حلفاء بنى هاشم، وقد أدخلهم رسول الله ﷺ فى كتاب القضية عام الحُدَيْبية حين قاضى مشركى مكة معه، وأدخلت قريش بنى بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة معهم، فوقعت حرب بين خُزاعة وبَين بنى بكر، فأعان مشركو قريش حلفاءهم بنى بكر ونقضوا بذلك العهد، فكان ذلك سبب فتح مكة لنصر رسول الله ﷺ خُزاعة حلفاءه، ورُوِى عنه ﷺ أنه قال يومئذ لسحابة رآها: هذه السحابة تستهل بنصر بنى كعب، وأعطاهم النبى ﷺ منـــزلة لم يعطها أحدًا من الناس، أنْ جعلهم مهاجرين بأرضهم، وكتب لهم بذلك كتابًا. اهـــ.

ووقع فيما ذكرناه من خبر عمرو بن لُحىّ ذكر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، من غير بيان لذلك.

وقد بيّن ذلك ابن إسحاق [وابن هشام فى السيرة لأن فيها قال ابن إسحاق][(١)] أما البحير فهى بنت السائبة، والسائبة: الناقة إذا تابعتْ من بين عَشْر إناث ليس بينهن ذَكَر، سيبَتْ فلم يُركَب ظهرُها، ولم يجزّ وَبَرُها، ولم يَشْرَب لَبَنَها إلاّ ضيف، فما أنتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها، ثم خُلّى سبيلُها مع أمها، فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلاّ ضيف كما فعل بأمها، فهى البَحِيرة بنت السائبة، والوصيلة: الشاة إذا أَتْأَمتْ[(٢)] عشر إناث

---

(١) ما بين حاصرين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) أتأمت: جاءت باثنين فى بطن واحد.

متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر، جُعلت وصيلة، قالوا: قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون الإناث إلى أن يموت منها شىء، فيُشْرِكون فى أكله ذكورَهم وإناثهم[١].

قال ابن هشام: ويُرْوَى فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بَنِيهم دون بناتهم، قال ابن إسحاق: والحامى: الفحل إذا نُتِجَ له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذَكَر حمى ظهره، فلم يركب ولم يجزّ وبره وخلّى فى إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك[٢].

قال ابن هشام: وهذا كله عند العرب على غير هذا إلاّ الحامى، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق: فالبَحيرة عندهم: الناقة تُشَقّ أذنها فلا يُركَب ظهرُها ولا يجزّ وبرها ولا يَشرب لَبَنَها إلاّ ضيف، أو يتصدق به، ويهمل لآلهتهم، والسائبة التى يَنْذرُ الرجل أن يُسيبها إنْ بَرِئ من مرضه، أو إن أصاب أمرًا يطلبه، فإذا كان أساب ناقة من إبله أو جملاً لبعض آلهتهم، فسابت فرعت لا يُنْتَفَع بها، والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن، فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور، فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطنها، فيقولون: وصلت أخاها، فيسيّب أخوها معها فلا ينتفع به، حدثنى به يونس وغيره، وروى بعضٌ مالم يَرْوِ بعض[٣].

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله رسوله محمدًا ﷺ أنزل عليه ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة المائدة: آية ١٠٣) وأنزل عليه ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنعام: آية ١٣٩) وأنزل عليه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم

---

(١) ابن هشام ١/ ٨٩.

(٢) ابن هشام ١/ ٨٩.

(٣) ابن هشام ١/ ٨٩، ٩٠.

مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (سورة يونس: آية ٥٩) وأنزل عليه ﴿ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

(سورة الأنعام: ١٤٣، ١٤٤)

وقال السهيلي: فصل: وذكر البَحِيرة والسائبة، وفسر ذلك، وفسره ابن هشام بتفسير آخر، وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال، منها ما يقرب، ومنها ما يبعد عن قولهما، وحسبك منها ما وقع فى الكتاب، لأنها أمور كانت [فى الجاهلية أبطلها الإسلام فلا تمس الحاجة إلى علْمِها][1] انتهى[2].

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) الروض الأنف ١/ ١٨١.

ذكر شيء من خبر عمرو بن عامر الذى تنسب إليه خزاعة وشيء من خبر بنيه

أما عمرو بن عامر المشار إليه فهو عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدى المازنى، هكذا نسبه ابن هشام وابن حزم وابن الكلبى فيما ذكر ابن عبد البرّ، ونَسَبَه ابن الكلبى على ما وجدت فى تاريخ الأزرقى على خلاف ذلك، وهو أنه جعل ثعلبة بين حارثة وامرئ القيس ونسبه هكذا المسعودى فى تاريخه، وذكر غير واحد أنه يقال لعمرو هذا: مزيقيا، ولابنه عامر: ماء السماء، ولجدّه: حارثة الغطريف، وإنما قيل له: مزيقيا، على ما ذكر بعضهم لأنه كان يلبس فى كل يوم حلة ثم يمزقها لئلاً يلبسها أحد بعده، وإنما قيل لابنه ماء السماء على ما ذكر السهيلى لجوده وقيامه عندهم مقام الغيث.

وكان عمرو بن عامر مالك مأرب بهمزة ساكنة، وهى بلاد سبأ باليمن التى مزق الله أهلها وباعد بين أسفارهم وأخربها سيل العرم، كما ذكر الله عز وجل فى كتابه العزيز، حيث قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ (سورة سبأ: آية ١٥، ١٦).

واختلف فى معنى العَرِم، فقيل: هو صفة السَّيْل، وهو اسم للوادى، وقيل: اسم لسد عارم كان يقيها من السيل ويحبس الماء على أهلها، فيصرفونه حيث شاءوا من بلادهم.

وهذا السد بناه سبأ بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان، وساق إليه سبعين واديًا على ما قيل، ومات قبل أن يكمله، وأكمله بعده ملوك حمْير، وقيل: بناه لقمان بن عاد الأكبر على ما ذكر المسعودى[1]، وذكر أنه كان فرسخًا فى فرسخ،

---

(١) مروج الذهب ٢/ ١٨٠.

وأن طول البلد أكثر من شهرين للراكب المُجِدّ، وكذلك عرضها، والشمس لا تُرَى فيها لاتصال العمارة بالأشجار، وكانت كثيرة المياه والأنهار والخصب، طيبة الفضاء، وكان أهلها فى غاية الكثرة، حتى قيل: إنهم كانوا يقبسون النار من بعضهم بعضًا مسيرة ستة أشهر، مع اجتماع الكلمة، والقوة، ثم مزّقهم الله وباعد بين أسفارهم، وأُخرِبت بلادُهم بسَيْل العَرِم، كما ذكره الله عزّ وجلّ فى كتابه العزيز[(١)].

وكان سبب تمزُّقهم تخوُّفُهم من خراب بلادهم بالسَّيْل، فإنّ طَريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر على ما قيل، رأت فى كهانتها أنّ سَيْل العَرِم يُخرب سد مأرب، فذكرت ذلك لملكهم عمرو بن عامر، وأرته لذلك علامات: ومنها جُرُذ يحفر فى السد، فلما تحقق ذلك كتمه عن قومه، وعزم على الانتقال من بلاده بمكيدة دبرها، وهو أنه قال لأصغر ولده: إذا تحدثت بحضرة الناس فجاريني الحديث وردَّ علىَّ حديثى، فأُظْهِرُ الغضَب عليك وألطمك، فافعل بى مثل ذلك، ثم عمل عمرو وليمة عظيمة، ودعا أهل مأرب، فلما اجتمعوا عنده تحدَّث، فجاراه ولده الحديث، ورد عليه، فغضب أبوه ولطمه، ففعل به الولد مثل ذلك، فأظهر عمرو أنه يريد قتله، فلم يزل الناس به حتى كَفّوه عنه، فقال: لا أقيم ببلد يلطم فيه وجهى أصغرُ ولدى، وقيل: إن الذى فعل به ذلك يتيم كان فى حجره، وعرض عمرو أمواله للبيع، فقال بعض أشراف قومه: اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى، ففعلوا، فلما صار الثمن إليه أخبر الناس بشأن سيل العرم وخرج من بلاده.

وذكر ابن هشام أنه انتقل فى ولده وولد ولده، قال: وقالت الأسد يعنى الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عَكٍّ مجتازين يرتادون البلدان، فحاربتهم عَك، فكانت حربهم سجالاً، ففى ذلك قال عباس بن مرداس، البيت الذى كتبناه، ويعنى قوله:

---

(١) مروج الذهب ٢/ ١٨١.

وعَكٌّ بن عدنان الذين بغوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

ثم ارتحلوا عنه فتفرقوا فى البلدان، فنزل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يثرب، ونزلت خزاعة مَرًّا، ونزلت أزد السراة، السراة، ونزلت أزد عمان عمان[1]. اهـ.

وقال شارح القصيدة العبدونية: ولما خرج عمرو بن عامر من اليمن، خرج لخروجه منها بشر كثير، فنزلت أرض عَك، فحاربتهم عَك، ثم اصطلحوا، وتفرقوا فيها حتى مات عمرو بن عامر، فتفرقوا فى البلاد. اهـ.

وإنما ذكرنا هذا الكلام لإفادته حال قبائل عمرو ببلاد عَك، ما لم يفده كلام ابن هشام، وليس ما ذكره من إقامتهم ببلاد عَك، حتى مات عمرو بمقتضٍ لطول إقامتهم بها، فيكون مخالفًا لما يفهم من كلام ابن هشام من أنهم نزلوها مرتادين، والارتياد يستلزم قِصَرَ المدة، لأنه يمكن أن يكون عمرو مات فى زمن الارتياد، والله أعلم.

نعم فى كلام الأزرقى ما يقتضى أنه لم يقهرهم أحد، وذلك يخالف ما ذكره ابن هشام والشارح، وقد رأيت أن أذكر كلامه لهذا المعنى، ولإفادته أمورًا آخر، من حال قبائل بنى عامر بمكة وغيرها، وخصوصًا حال خُزاعة، وما آل إليه أمرهم بمكة وذلك فى خبر طويل، وفيه أيضًا شىء من حال جُرْهُم.

وهذا الخبر رواه الأزرقى فى تاريخه عن الكلبى عن أبى صالح، قال فيه: «فباع عمرو أمواله، وسار هو وقومه من بلد إلى بلد لا يطئون بلدًا إلا غلبوا عليه وقهروا أهله، حتى يخرجوا منه، ولذلك حديث طويل اختصرناه، ثم قال: فلما قاربوا مكة ساروا ومعهم طريفة الكاهنة، فقالت لهم: سيروا فلن تجتمعوا أنتم ومن خلفتم أبدًا، فهذا لكم أصل وأنتم لهم فرع، ثم قالت: مَهْ مَهْ وحَقٍّ ما أقول، ما علَّمنى فيما أقول إلاَّ الحكيم العليم المحكم، رب جميع الناس من عرب وعجم، فقالوا لها: ما شأنك يا طريفة؟ قالت: خذوا البعير الشدقم فخضِّبوه بالدم، تلون أرض

---

(١) الخبر تحريف وسقط واعتمد فى تكملته وتصويبه على ما ورد لدى ابن هشام ١/ ١٣ ــ الذى ينقل عنه المصنف.

جُرْهم، جيران بيته المحرم، قال: فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جُرْهُم وقد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل وغيرهم، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو ابن عامر: يا قوم إنا قد خرجنا من بلادنا، فلم ننـزل ببلد إلاَّ فسح أهلها لنا، وتزحزحوا عنا فنقيم معهم، حتى نرسل روادنا فيرتادون لنا بلدًا يحملنا، فافسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادنا إلى الشام وإلى المشرق، فحيث ما بلغنا أنه أمثل لحقنا به، وأرجو أن يكون مقامنا يسيرًا، فأبتْ جُرْهُم ذلك إباء شديدًا، واستنكروه فى أنفسهم وقالوا: لا والله لا نحب أن تنـزلوا معنا فتضيقون علينا مراتعنا ومواردنا، فارحلوا عنا حيث أحببتم، فلا حاجة لنا بجواركم، فأرسل إليه ثعلبة أنه لا بد لى من المقام بهذا البلد حَوْلاً حتى ترجع إلىَّ رسلى التى أرسلت، فإن تركتمونى نزلت وحمدتكم وواسيتكم فى الماء والمرعى، وإن أبيتم أقمت على كرهكم، ثم لم ترتعوا معى إلاَّ فضلاً، ولا تشربوا إلاَّ رنقا.

قال أبو الوليد الأزرقى يعنى: الكَدِرُ من الماء وأنشد على ذلك بيتين:

[كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت   من طيب الراح لما بعد أن غبقا
سح السقايات على ناجودها شبما   من ماء لينة لا طلقا ولا رنقا[1]

[فإن قاتلتمونى قاتلتكم ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ولم أترك أحد منكم ينـزل الحرم أبدا[2]] فأبت جُرْهم أن تتركه طوعًا، وَتَعَبَّت لقتاله، فاقتتلوا ثلاثة أيام، وأفرغ عليهم الصبر ومُنعوا النصر، ثم انهزمت جُرْهم، فلم ينفلت منهم إلاَّ الشريد، ثم قال: وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولاً، فأصابتهم الحُمَّى، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحُمَّى؟ فدعوا طريفة فشكوا إليها الذى أصابهم، فقالت لهم: قد أصابنى الذى تشكون، وهو مفرق ما بيننا، قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: عليكم الإجابة وعلىَّ التبيين، قالوا: فما

---

(١) ما بين حاصرتين مستدرك من الأزرقى.

(٢) ما بين حاصرتين ورد نثرًا فى الأصل ومثله لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف وهو الصواب، وحوله الذهبى إلى شعر ثم قال بالهامش: «البيتان ليس لهما وزن».
قلت: كيف يكون لهما وزن وهما ليسا بشعر؟!.

تقولين؟ قالت: من كان منكم ذا هَمّ بعيد، وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عُمَان المشيد، فكان أزد عُمَان، ثم قالت: من كان منكم ذا جَلَد وقصر وصبر على أزمات الدهر، فعليه بالأراك من بطن مرّ، فكانت خزاعة، ثم قالت: من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل[١] المطعمات فى المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج، ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير، ويلبس الديباج والحرير، فليلحق ببُصْرَى والغوير، وهما: من أرض شام، فكان الذين سكنوها آل جفنة من غسان، ثم قالت: من كان يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأرزاق، والدم المهراق، فليلحق بأرض العراق، فكان الذين سكنوها آل جُذَيْمة الأبرش، ومن كان بالحيرة من غسان وآل محرق، حتى جاءهم روادهم، فافترقوا من مكة فرقتين توجهت إلى عُمان، وهم أزد عُمان، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام، فنـــزلت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم الأنصار بالمدينة، ومضت غسّان فنـــزلوا الشام، وانخزعت خزاعة بمكة، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، فوُلّى أمر مكة وحجابة الكعبة[٢]. اهـ باختصار.

وقد بان بما ذكرناه شيء من حال عمرو بن عامر وقومه، وفيه كفاية إن شاء الله.

---

(١) فى المطبوعتين: «المحل» والمثبت رواية الأصل ومثلها لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) الخبر بطوله لدى الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٩٢ – ٩٥.

الباب الثانى والثلاثون

فى ذكر شىء من أخبار قريش بمكة فى الجاهلية وشىء من فضلهم وما وصفوا به

وبيان نَسَبهم وسبب تسميتهم بقريش، وابتداء ولايتهم للكعبة وأمر مكة

ذكر شيء فى فضلهم وما جاء فى أنهم خير العرب

روينا فى الصحيح لمسلم عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار».

ما جاء فى أن الخلافة لا تزال فى قريش

روينا عن البخارى فى صحيحه قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا عاصم بن محمد قال: سمعت أبى يحدث عن ابن عمر عن النبى ﷺ، قال: لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان، وروينا فى ذلك صحيح البخارى عن معاوية بن أبى سفيان عن النبى ﷺ.

ما جاء فى عقوبة من عَادَى قريشًا

روينا عن البخارى فى صحيحه من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر فى قريش، لا يعاديهم أحد إلاّ كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين».

ولِذِكْر معاوية هذا الخبر قصة مذكورة فى «صحيح البخارى» والأخبار الواردة فى فضل قريش كثيرة، وفيما أوردناه من ذلك كفاية، ولم نورده إلاّ للتبرُّك به.

ذكر ما وُصفت به بطون قريش

قال الفاكهى: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعد، قال: حدثنا إسحاق بن البهلول، قال: حدثنى محمد بن عبد الرحمن القرشى عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: عبد مناف عزُّ قريش، وأسد رُكْنُها وعَضُدُها، وعبد الدار رئتُها وأوائلها، وعَدِى جناحاها، ومخزوم رَيْحانتُها

وأراكتها، وجُمَحُ وسَهْمٌ عديدها، وعامر لُيوثُها وفُرْسانُها، والناس تَبَعٌ لقريش، وقريش تَبَعٌ لولد قُصَىّ"(١).

وحدثنا عبد الله بن أبي سَلَمَة قال: حدثني إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الملك بن عبد العُزَّى عن عمر بن عبد العزيز، قال: عبد مَنَاف عز قريش، وأسد بن عبد العُزَّى عَضُدُها، وزهرة الكبد، وتَيْم وعَدِى رئتها، ومخزوم فيها كالأراكة فى بطونها، وجُمَح وسهم جناحاها، وعامر لُيوثها وفُرسانُها، وكلٌ تَبَعٌ لولد قُصَىّ، والناس تَبَعٌ لقريش(٢).

وحدثني حسن بن حسين قال: حدثنا محمد بن أبي السَّرِىّ قال: حدثنا هشام ابن الكلبي.

وعن سفيان بن عُيَيْنَة، عن محمد بن قيس الأسدى قال: عن ابن الكلبى عن على بن ربيعة، عن محمد بن قيس قال: سئل على بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه عن بنى هاشم فقال: أطيب الناس أنفسًا عند الموت، وذكر كرائم الأخلاق، وسئل عن بنى أمية فقال: أشدنا حجرًا، وأدركنا للأمور، إذا طُلبوا، وسئل عن بنى المغيرة من بنى مخزوم، فقال: أولئك رَيْحانة قريش التى تشمونها، وسئل عن بطن آخر كنى عنهم سفيان بن عُيَيْنَة، قال عثمان: وهم بنو تَمْيم، فذكر شيئًا(٣).

قال حسن بن حسين: وأخبرنى محمد بن سهل الأزدى، قال: سمعت هشام بن الكلبى يذكر عن أبيه، قال: سئل على بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه عن قريش فقال: أما بنو هاشم فأفصح، وأسمح، وأصبح، وأما إخوتها من بنى عبد شمس فأنكر نُكْرًا، وأغدر وأفجر(٤).

وسئل مرة أخرى فقال: أما بنو هاشم فأصدق قريش فى النوم واليقظة، وأكرمها أحلامًا وأضربها بالسيف، وأما بنو عبد شمس فأبعدنا همًّا، وأمنعنا لما وراء

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٦٦.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٦٦.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٦٦.

(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٦٧.

ظهورهم، وأما بنو مخزوم فرَيْحانة من رَيحانة قريش، يُحَبُّ ويُشْتَهَى تزوجُ نسائهم[١] [وسئل عن قوم من أقوام قريش فقال زعانفة][٢].

وأخبرني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد حديث رجالهم، قال: حدثنا محمد بن الحسين الشامي، قال: حدثنا النضر بن عمرو، قال: حدثني بكر بن عامر المُرّي عن عامر بن عبد الله المسمعي قال: دخل دَغْفَل الشيباني على معاوية، فقال له معاوية: أخبرنا عن بني هاشم فقال: شِداد، أنجاد، ذوو ألسنة حداد، وهم سادة العباد، قال: فأخبرنا عن بني أمية، قال: في الواسطة من القلادة، في الجاهلية سادة، وفي الإسلام ملوك وقادة، قال: فأخبرنا عن بني عبد المطلب، قال: بيت مقشعرة، أصابتها قرة، لا يسمع لها حرة، ولا يرى لها ذرة، قال: فأخبرنا عن بني نوفل، قال: اسم ولا حسيس، وقال: فأخبرنا عن بني أسد، قال: ذو شؤم ونكد، وبغي وحسد، قال: فأخبرنا عن بني زُهْرة، قال: جهل فاش، وحلم الفراش، قال: فأخبرنا عن آل تَيْم بن مُرة، قال: كثير أوغادُهُم، عبيدُ من سادهم، ولا يُرَى منهم قائد يقودهم، قال: فأخبرنا عن بني مخزوم، قال: مُعْزَى مَطيرَة، أصابتها قشعريرة، إلاّ بني المغيرة، فإنهم أهل التشدق في الكلام، ومصاهرة الكَرام، قال: فأخبِرْنا عن بني جُمَح، قال: كلهم طلف، إلا بني خلف، قال: فأخبِرْنا عن بني عَديّ بن كعب قال: قساة الأخلاق، ولؤم أعراق، إن استغنوا شحُّوا وإن انفردوا لَـجُّوا.

ذكر أهل البطاح، والظواهر، والعارية، والعائدة من قريش

قال الفاكهي: حدثنا الزبير بن أبي بكر قال: حدثنا محمد بن الحسن المخزومي عن العلاء بن الحسن عن عمه أفلح بن عبد الله بن المعلى، عن أبيه وغيره من أهل العلم، قال: إن قريش البطاح بنو كعب بن لؤي، وإنما سموا قريش البطاح لأن قريشًا حين اقتسموا بلادهم احْتَلَّت كعب بن لؤي الأباطح، فكعب وبنوه قريش البطاح حيث ما كانوا، وقريش الظواهر هم خالد بن النضر والحارث بن مالك،

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٦٧.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمري وهو في الأصل.

وقدد بن رجا، والحارث ومحاربُ ابنا فِهْر وعوف بن فِهْر ودرج، والأدرَم: وهم بنو تيم بن غالب بن فِهْر، وقيس بن فِهْر، وقدد وعامر بن لؤى، وإنما سُمّوا الظواهر لأن قريشًا حين اقتسموا دارهم أخذوا منهم ظواهر مكة، بحيث سكنوا بالظاهرة[١] [أو بالبطحاء فهم قريش الظواهر بالظاهرة أو بالبطحاء][٢].

وحدثنا الزبير بن أبي بكر قال: حدثني أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد ابن السائب الكلبي قال: كانت قريش الظواهر: محارب والحارث ابنا فهر، ومن هناك من جيرانهم عامر بن لؤى، والأدرَم بن غالب، يغيرون على بني كنانة، يغير بهم عمرو بن عبد وُدّ، إلاّ أنّ الحارث بن فِهْر دخلت بعد ذلك مكة، فهي من البطاح، وهم يَدْمع المُطيِّبين[٣]. اهـ.

وأما قريش العارية فإنهم ولد سامة بن لُوَىّ، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، ابن النَّضْر، بن كنانة، بن خُزَيمة بن مدركة، بن إلياس، بن مُضَر، وقد ذكر الفاكهي سبب تسميتهم بذلك، لأنه قال: حدثنا الزبير بن أبي بكر قال: وأما ولد سامة بن لؤى وهم قريش العارية، وإنما سُمُّوا العارية لأنهم عريوا عن قومهم، فنُسبوا إلى أمهم ناجية بنت جَرْم بن ربَّان[٤]: وهو غلاف، وكان أول من اتخذ من الرجال الغلافية فنسب إليها فقيل: غلاف، واسم ناجية: ليلى، وإنما سُمِّيت ناجية، لأنها سارت في مفازة فعطشت، فاستقت سامة بن لؤىّ، فقال لها: بين يديك، وهو يُريها السَّرابَ، حتى جاءت الماء، فَنَجَتْ، فسُمِّيت: ناجية[٥].

وأما قريش العائدة: فهم بنو خُزَيمة بن لُؤَى، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، ابن النَّضْر، وقد ذكر الفاكهي عن الزُّبَير سبب تسميتهم بذلك، لأنه قال: وإنما

---

(١) الفاكهي ٥/ ١٦٧.
(٢) ساقط من طبعة تدمرى.
(٣) الفاكهي ٥/ ١٦٨.
(٤) في الأصل: «حرم بن ربان» بدون إعجام، وفي طبعة الذهبي حَزْم بن رُبان» ولد الفاكهي الذي ينقل عنه المصنف: «حرام بن ريان» وجميع ذلك تحريف صوابه لدى ابن حزم في الجمهرة ص ٤٥١.
(٥) الفاكهي ٥/ ١٦٨.

قيل لخُزَيْمة بن لُؤَىّ: عائذة، لأن عبيدة بن خُزَيمة تزوج عائذة بنت الخمْس[١] بن قُحافة بن خَثْعَم، فولدت له مالكًا وتَيْمًا فسُمُّوا عائذة بأمهم، قال لنا الزبير: قال على بن المغيرة عن حسن بن على العقيلى، قال: وإنما قيل عائذة قريش، لأن عدادهم فى بنى أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان فى الجاهلية والإسلام، فقيل: عائذة قريش، لئلا يضلُّوا[٢].

حدثنى الزبير بن أبى بكر قال: كان أهل الظواهر من قريش فى الجاهلية يفخرون على أهل الحرم، فيعقد لواء فخارهم للناس، قال الزبير: وكانت العرب تنفس قريشًا وتعيِّر أهل الحرم منها بالمقام بالحرم، فأسموهم الصب[٣]. اهـ.

وفى قريش رهط يقال لهم الأحربان، ذكرهم الزبير بن بكار، لأنه قال: حدثنا محمد بن أبى قُدامة العمرى قال: كان بنو مَعيص بن عامر بن لُؤَىّ وبنو محارب بن فِهْر متحالفين، وكانا يُدْعَيان الأَحْرَبَيْنِ، لما بينهما، فهما الأحربان من أهل تِهامة، والأحربان من أهل نجد بنو عَبْس وذبيان. اهـ.

ذكر بيان نسب قريش

اختُلف فى نسبهم، فقيل: إنهم ولد فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقيل: إنهم ولد النضر بن كنانة، والقول الأول ذكره الزبير بن بكار عن غير واحد من أهل العلم، لأنه قال: حدثنى إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا أبو البَخْترى وهب بن وهب قال: حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال: إن اسم فِهْر بن مالك الذى أسمته أمه قريشًا، كما يسمى الصبى غزارة وشملة وأشباه ذلك، قال: قال: وقد اجتمع النُّسّاب من قريش وغيرهم على أن قريشًا إنما تفرقت عن فِهْر، والذى عليه

(١) فى طبعة الذهبى والأصل: «الخمْس» بالخاء المهملة ومثله لدى الفاكهى وجميع ذلك تحريف، صوابه لدى ابن حزم فى الجمهرة ص١٧٤ ومثله فى الاشتقاق لابن دريد ص١٠٧ ولديه موضحًا: «والخمس: ورد من أوراد الإبل، وهو أن ترد يومًا ثم ترعى ثلاثًا ثم تطلب الماء يومًا وترد فى اليوم الخامس».

(٢) الفاكهى ٥/ ١٦٩.

(٣) الفاكهى ٥/ ١٦٩.

من أدركت من نُسّاب قريش أن ولد فِهْر بن مالك: قريش، وأن من جاوز فِهْر ابن مالك نسبه فليس من قريش وذكر الزُّبَيْر هذا القول عن هشام بن الكلبي، لأنه قال: قال: ولد مالك بن النضر فهرًا، وهو جُماع قريش [وقال الزبير فيما نقله عنه القطب الحلبي، قال عمي: فِهْر هو قريش][1] وقريش اسمه، وفِهْر لقب له، فمن لم يلده فِهْر فليس من قريش[2].

وذكر الزبير القول الثاني في نسب قريش عن الشعبي لأنه قال: قال محمد بن الحسن عن نصْر بن مزاحم عن معروف بن محمد عن الشعبي قال: النضر بن كنانة هو قريش، وإنما سُمي قريشًا لأنه كان يقرِّش رَجْله عن خلّة الناس وحاجتهم، فيسد ذلك بماله، والتقرُّش هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل المواسم فيرفدونهم بما يبلغوهم، فسُمُّوا بذلك من فعلهم، وقرشهم قريشًا[3].

ونقل الزبير هذا القول أيضًا عن هشام بن الكلبي لأنه ذكر: أن أبا الحسن الأثرم حدثه عن الكلبي أن النضر بن كنانة هو قريش.

ونقل ذلك الزبير عن أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى لأنه ذكر أن أبا الحسن الأثرم حدثه عن أبي عبيدة، قال: منتهى من وقع عليه اسم قريش: النضر بن كنانة، فولده قريش دون سائر بني كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة، وهو عامر بن إلياس بن مُضَر، فأما من كان من ولد كنانة سوى النَّضْر فلا يقال لهم: قريش، قال: وإنما سُمّي بنو النضر قريشًا لأن التقرش هو التجمع، قال: قال بعضهم: للتجار يتقارشون أي يتَّجرون[4].

والدليل على اضطراب هذا القول أن قريشًا لم يجتمعوا حتى جمعهم قُصَيّ بن كلاب، فلم يجتمع إلا ولد فِهْر بن مالك، لامرية عند أحد في ذلك، وبعد هذا فنحن أعلم بأمورنا وأرعى لمآثرنا وأحفظ لأسمائنا، لم نعلم، ولم ندع قُريشًا، ولم نُهَسِّم إلا ولد فِهْر بن مالك[5]. اهـ.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمري، وهو في الأصل.

(٢) السهيلي ١/ ١٨٧.

(٣) السهيلي ١/ ١٨٧.

(٤) السهيلي ١/ ١٨٧.

(٥) السهيلي ١/ ١٨٨.

وذكر هذين القولين فى نسب قريش ابن هشام فى السيرة، لأنّ فيها: وقال ابن هشام: النضر قريش، فمن كان من ولده فهو قُرَشيّ، ومن لم يكن من ولده فليس بقُرَشي، ثم قال: ويقال فِهْر بن مالك: قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي[1]. اهـ.

وليس فى كلام ابن هشام ما يقتضى ترجيح أحد القولين، وفى كلام الزبير ما يقتضى ترجيح القول بأن قريشًا ولد فِهْر بن مالك، وكلام النووى ترجيح القول بأنهم ولد النَّضْر.

ويقال: إنّ أول من قيل له القُرَشي: قُصَيّ بن كلاب، لأن الفاكهى روى بسنده: أنّ عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جُبَير عن ذلك، فقال: إن ذلك لتجمُّعها فى الحرم، وأن عبد الملك قال له: ما سمعت بهذا، ولكن سمعت: أن قُصيًّا كان يقال له القُرَشي، ولم يُسَمَّ قُرشيٌّ قبله، ونقل الفاكهى ذلك عن أبى سلمة عن عبد الرحمن بن عوف من طريقين، ونقل الفاكهى ما يخالف ذلك، لأنه قال: قال أبو بكر: وحدثنى أبو بكر بن عبد الله وابن أبى جهم عن أبيه قال: قال: النضر بن كنانة كان يسمّى القُرَشيّ. انتهى.

وذكر السُّهَيلى ما يقتضى أن قريشًا كانت تُسمّى قريشًا قبل مولد قُصَيّ، لأنه ذكر أن كعب بن لؤى قال:

إذا قريش تُبَغّي الحقّ خذلانًا[2]

انتهى.

وقال أبو الخطاب بن دحية فى تسمية قريش ومَنْ أوّلُ من سُمّى به، عشرون قولاً، نقل ذلك عن أبى دحْية هكذا القطب الحلبي، وقال القطب الحلبي: ثم النسب إلى قريش: قُرَشي وقُرَيْشي، فمن قال: قُرَيشي، أجراه فى النسب على أصله وتوفيَته حروفه، فهو القياس، لأن الياء لا يطرد حذفُها إلاّ ما كانت فيه هاء التأنيث نحو مرتبة. اهـ.

---

(١) ابن هشام ١/ ٩٣.

(٢) السهيلى ١/ ١٨٨.

ذكر سبب تسمية قريش بقريش وما قيل فى ذلك

اختُلف فى تسمية قريش بقريش، فقال ابن هشام فى السيرة: وإنما سُمّيت قريش قريشًا من التقرش، والتقرُّش التجارة والاكتساب، وأنشد فى ذلك شعرًا لرؤبة بن العَجّاج، وقال ابن إسحاق: ويقال: إنما سُمّيت قريش قريشًا لتجمعها من بعد تفرُّقها، ويقال للتجمُّع: التقرُّش[1]. اهـــ.

وقيل: إنما سُمّيت بذلك، لتفتيشها عن حاجة الناس وسدهم لها، وهذا يُرْوَى عن الشعبى كما سبق.

وقيل: سُمّيت بذلك لأنّ قريش بن بدر بن يَخْلُد بن النَّضْر بن كنانة كان دليلَ بنى كنانة فى تجاراتهم، فكان يقال: «قدمت عيرُ قريش» فسُمّيت قريش به، ذكر ذلك مُصْعَب الزُبَيْرىّ، قال: وأبوه بدر بن يَخْلُد صاحب بدر، الموضع الذى لقى فيه رسول الله ﷺ قريشًا، ذكر ذلك الزبير[2] عن عمه.

وقيل: إنما سُمُّوا قريشًا، لأنهم يتقرّشون البضاعات فيشترونها، قيل: جاء النضر بن كنانة فى ثوب له فقالوا: قد تقرّش فى ثوبه كأنه جمل قريش، أى شديد مجتمع.

وقال ابن الأنبارى: وقيل: قُريش عن التقريش وهو التحريش، قال أبو القاسم الزجاجى: هذا الوجه ليس بمعروف، لأن المعروف فى اللغة أن تقدم الراء على القاف هو التحريش لا التقريش، والتقريش تزيين الكلام وتحسينه.

قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد: قريش مأخوذ من القرش، وهو وضع الأسنّة بعضها على بعض، لأن قريشًا أحزب الناس بالطعان. انتهى.

وقيل: سُمّيت قُرَيش قريشًا بدابّة فى البحر تُسَمَّى القِرْش، وهذا يُرْوَى عن ابن عباس رضى الله عنهما قاله لعمرو بن العاص ﷺ حين سأله عن ذلك بحضرة

---

(١) ابن هشام ١/ ٩٣، ٩٤.

(٢) نسب قريش ــ ص ١٢.

معاوية، استعجازًا عن معرفته، وأنشد ابن عباس قول المسروح بن عمرو الحِمْيَرى على ذلك:

وقُرَيْشٌ هي التي سكن البحـــ ـــر بها سُمِّيت قريش قُرَيْشًا
تأكل الغَثَّ والسَّمينَ ولا تتـــ ـــرك منه لذى جَنَاحين ريشًا

ذكر هذا الخبر الفاكهى وغيره[1]، وذكره القُطْب الحلبى، وكلامه يُوهم أنّ ابن عباس سأل عمرو بن العاص، وذلك يخالف ما ذكره الأزرقى، ثم قال القطب: وقال المطرّزى: هى ملكة الدواب وسيدة الدَّواب وأشدّها، فلذلك قُريش سادة الناس. اهـــ. وذكر هذا القول السُّهَيلى، لأنه قال: ورأيت لغيره، يعنى الزبير بن بكار، أن قريشًا تصغير القِرْش، وهو حوت فى البحر يأكل حيتان البحر، سُمّيت به القبيلة، أو سُمّى به أبو القبيلة، والله أعلم. اهـــ. هذا ما رأيته من الأقوال فى تسمية قريش، وفى ذلك أقوال أُخَرَ على ما يقتضيه كلام ابن دِحْية، والله أعلم بالصواب.

ذكر ابتداء ولاية قريش الكعبة المعظَّمة ومكة

أول من وُلّى ذلك منهم قُصَىّ بن كلاب، وقد ذكر خبره فى ذلك جماعة من أهل الأخبار، منهم الأزرقى، وذلك فيما رويناه عنه بالسند المتقدم، قال: حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن جُرَيْج وعن ابن إسحاق ـــ يزيد أحدهما على صاحبه ـــ قالا بعد ذكر شىء من خبر خُزاعة: فلبثت خزاعة على ما هى عليه، وقريش إذ ذاك فى بنى كِنانة متفرقة، وقد قدم فى بعض الزمان حاجّ قُضاعة، فيهم ربيعة بن حَرَام بن ضِبَّة بن عبد كبير بن عذرة بن سعد بن زيد، وقد هلك كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب، وترك زهرة

(١) الفاكهى ٥/ ١٧٠.

وقُصَيًّا ابني كِلاب، مع فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سَيَل[1] [وسعد بن سيل][2] الذي يقول فيه الشاعر، وكان أشجع زمانه:

لا أرى فى الناس شخصًا واحدًا   فاعلموا ذاك كسعد بن سَيَل
فارس أضبط فيه عُسْرة   فإذا ما عاين القرن نزل
فارس يستدرج الخيل كما   يدرج الحُرّ القَطَامىّ الحَجل

وزُهْرة أكبرهما، فتزوج ربيعة بن حَرَام[3] أمهما، وزُهْرة رجل بالغ، وقُصَىّ فطيم، أو فى سنّ الفطيم، فاحتملهما ربيعة إلى بلاده من أرض عُذرة إلى أشراف الشام، فاحتملت معها قصيًّا لصِغَرِه، وتخلّف زُهْرة فى قومه، فولدت فاطمة ابنة عمرو بن سعد لربيعة: رزاح بن ربيعة، فكان أخا قُصَىّ بن كلاب لأمه، ولربيعة ابن حَرَام من امرأة أخرى، ثلاثة نفر: حسن، ومحمود، وجلهمة[4]، بنو ربيعة[5].

فبينا قُصَىّ بن كلاب فى أرض قُضاعة لا ينتمى[6] إلا إلى ربيعة بن حَرَام، إذ كان بينه وبين رجل من قُضاعة شىء، وقُصَىّ قد بلغ، فقال له القُضاعى: ألا تلحق بنسبك وقومك، فإنك لست منا؟ فرجع قُصَىّ إلى أمه وقد وجد فى نفسه مما قال له القُضَاعى، فسألها عما قال له، فقالت له: أنت والله يا بُنَىّ خير منه وأكرم، أنت ابن كِلاب، بن مُرَّة، بن كَعْب، بن لُؤَىّ، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النَّضْر، بن كِنانة، وقومك عند البيت الحرام وما حوله، فأجمع قُصَىّ

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «شبل» وصوابه من الأصل ومثله فى توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٥/ ٢٨٢ ولديه: «وسَيَل: بمهملة ومثناة تحت مفتوحتين: فاطمة بنت سعد بن سَيَل» وفى طبعة الذهبى: «سعد بن شبل» وبهامشها: «فى طبعة تدمرى: «سيل» وهو تصحيف».
قلت: التصحيف ما فى متن طبعة الذهبى والصواب ما فى متن طبعة تدمرى
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.
(٣) فى متن هـ: «حزَام» وبهامشها: «فى طبعة تدمرى: حرام» بالراء المهملة وهو تصحيف.
قلت: ما فى طبعة الذهبى هو التحريف، وما فى طبعة تدمرى هو الصواب ومثله فى الأصل وابن حزم فى الجمهرة ـ ص ٤٧٩.
(٤) فى المطبوعتين: «طهيمة» وصوابه من الأصل وأخبار مكة للأزرقى والروض الأنف.
(٥) الخبر والشعر لدى الأزرقى ١/ ١٠٣.
(٦) تحرف فى المطبوعتين إلى: «لا ينتهى» وصوابه من الأصل وأخبار مكة للأزرقى ١/ ١٠٤.

الخروجَ إلى قومه واللحاق بهم، وكره الغُرْبة فى أرض قُضاعة، فقالت له أمه: يا بُنَيّ لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام، فتخرج فى حاجّ العرب، فإنى أخشى عليك، فأقام قُصَىّ حتى دخل الشهر الحرام، وخرج فى حاجّ قُضاعة حتى قدم مكة، فلما فرغ من الحج أقام بها، وكان قُصَىّ رجلاً جليدًا حازمًا بارعًا، فخطب إلى حليل بن حبشية بن سلول الخزاعى ابنته حبى ابنة حليل، فعرف حليل نسبه، ورغب فى الرجل، فزوّجه، وحليل يومئذ يلى الكعبة وأمر مكة، فأقام قُصَىّ معه حتى ولدت حبى لقُصَىّ عبد الدار، وهو أكبر ولده، وعبدَ مَناف وعبدَ العُزَّى، وعبدَ بن قُصَىّ، فكان حليل يفتح البيت، فإذا اعتل أعطى ابنته حبى المفتاح، ففتحته، فإذا اعتلت أعطت المفتاح زوجَها قُصيًّا، أو بعض ولدها، فيفتحه، وكان قُصَىّ يعمل فى حيازته إليه، وقطع ذكر خزاعة عنه، فلما حضرت حليلا الوفاةُ نظر إلى قُصَىّ وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته، فرأى أن يجعلها فى ولد ابنته، فدعا قُصيًّا، فجعل له ولاية البيت، وأسلم إليه المفتاح، وكان يكون عند حبى، فلما هلك حليل، أبت خُزاعة أن تدعه وذلك، وأخذوا المفتاح من حبى، فمشى قُصَىّ إلى رجل من قومه من قريش وبنى كنانة، فدعاهم إلى أن يقوموا معه فى ذلك، وأن ينصروه ويعضدوه، فأجابوه إلى نصره، وأرسل قُصَىّ إلى أخيه لأمه رزاح بن ربيعة، وهو ببلاد قومه من قُضاعة يدعوه إلى نصره، ويُعلمه ما حالت خُزاعة بينه من ولاية البيت، ويسأله الخروج إليه بمن أجابه من قومه، فقام رزاح فى قومه، فأجابوه إلى ذلك، فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه: حسن، ومحمود، وجلهمة بنو ربيعة بن حَرَام، فيمن معهم من قُضاعة، وفيمن معهم من حاجّ العرب مجتمعين لنصر قُصَىّ، والقيام معه[1].

فلما اجتمع الناس بمكة، خرجوا إلى الحَجّ، فوقفوا بعرفة، وبجمْع، ونزلوا منًى، وقُصَىّ مُجمعٌ على ما أجمع عليه، من قتالهم بمن معه من قريش وبنى كنانة، ومَن قدم عليه مع أخيه رزاح من قُضاعة، فلما كانت آخر أيام مِنى، أرسلت قُضاعة

(١) الأزرقى ١/ ١٠٤.

إلى خُزاعة يسألونهم أن يسلِّموا إلى قُصَيّ ما جعل له حليل، وعظَّموا عليهم القتال فى الحرم، وحذروهم الظُّلْمَ والبغيَ بمكة، وذكّروهم ما كانت فيه جُرْهم، وما صارت إليه حين ألحدوا فيه بالظُّلْم، فأبت خُزاعة أن تسلّم ذلك، فاقتتلوا بمفضى مأزَمَيْ مِنى، قال: فسُمّى ذلك المكان المفجر، لما فُجر فيه وسُفك فيه من الدماء، وانتُهِك من حُرْمَتِه، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، حتى كثُرَت القتلى فى الفريقين جميعًا، وكثرت فيهم الجَراحات، وحاجُّ العَرب جميعًا من مُضَر واليمن مستكفُون، ينظرون إلى قتالهم(١).

ثم تداعَوا إلى الصُّلح، ودخلت قبائل العرب بينهم، وعظموا على الفريقين سفك الدماء والفُجُورَ فى الحَرَم، فاصطلحوا على أن يحكّموا بينهم رجلاً من العرب، فحكّموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن الليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة، وكان رجلاً شريفًا، فقال لهم: موعدكم فِناء الكعبة غدًا، فاجتمع الناس، وعدُّوا القتلى، فكانت فى خُزاعة أكثر منها فى قريش وقُضاعة وكنانة، وليس كل بنى كنانة، قاتل مع قُصَى خُزاعة، إنما كانت مع قُريش من كنانة قلال يسير، واعتزلت عنها بكر بن عبد مَناة قاطبة(٢).

فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عوف فقال: ألا إنى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمَىَّ هاتين، ولا تباعة لأحد على أحد فى دم، وإنى قد حكمت لقُصَىّ بحجابة البيت، وولاية أمر مكة دون خُزاعة لما جعل له حليل، وأن يُخلَّى بينه وبين ذلك، وأن لا تخرج خُزاعة من مساكنها من مكة، قال: فسُمِّى يَعْمُرُ ذلك اليوم: الشّدّاخ، فسلّمت ذلك خُزاعة لقُصَىّ، وأعظموا سفك الدماء فى الحَرَم، وافترق الناس، فوُلّى قُصَىّ بن كلاب حجابة البيت وأمر مكة، وجمع قومه قريشًا من منازلهم إلى مكة يستعزّ بهم ويُمَلَّك على قومه، فملّكوه، وخُزاعة مقيمة بمكة على رباعهم وسُكْناهم لم يحركوا ولم يخرجوا منها، فلم يزالوا على ذلك حتى الآن، وقال قُصَىّ فى ذلك وهو يتشكر لأخيه رزاح بن ربيعة:

(١) الأزرقى ١/ ١٠٦.
(٢) الأزرقى ١/ ١٠٦.

أنا ابن العاصمين بنى لُؤَىّ بمكة مولدى وبها ربيت
إلى البطحاء قد علمت مَعَدّ ومَرْوَتُها رضيت بها رضيت
[وفيها كانت الآباء قبلى فما سويت أخى ولا سويت][(١)]
رزاح ناصرى وبه أسامى فلست أخاف ضَيْمًا ما حييت

فكان قُصَىّ أول رجل من كنانة أصاب ملكًا، وأطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة والقيادة فلما جمع قصى قريشًا بمكة سُمِّى مجمّعًا، وفى ذلك يقول حُذافة بن غانم الجُمَحِى يمدحه:

أبوهم قُصَىّ كان يُدْعَى مجمّعًا به جمع الله القبائل من فِهْرِ
همو نزلوها والمياه قليلة وليس بها إلاّ كُهُول بنى عَمْرو

يعنى خزاعة، قال ابن إسحاق بن أحمد: وزادنى أبو جعفر محمد بن الوليد بن كعب الخُزاعى:

أقمنا بها والناس فيها قلائل وليس بها إلا كُهول بنى عَمْرو
همو ملئوا البطحاءَ مَجْدًا وسُؤدَدًا وهم طردوا عنها غواة بنى بكْرِ
وهم حفروها والمياه قليلة ولم يستقوا إلا بنَكَد من الحفْرِ
حليل الذى عادَى كنانةَ كلها ورابط بيتَ الله بالعُسْر واليُسْر
أحازم إما أهلكن فلا تزل لهم شاكرًا حتى توَسَّد فى القبْر

ويقال: «من أجل تجمع قريش إلى قُصَىّ سُمّيت قريش: قريشًا»[(١)].

وذكر ابن إسحاق خبر ولاية قُصَىّ بن كلاب، وفيه زيادة على ما فى هذا الخبر، لأنه قال: ثم إن قُصَىّ بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حبى، فرغب فيه حليل فزوّجه، فولدت له عبدَ الدار، وعبدَ مَناف، وعبدَ العُزَّى، وعبدا، فلما انتشر ولد قُصَىّ وكثُر ماله وعظُم شرفُه هلك حليل، فرأى قُصَىّ أنه أولى بالكعبة، وبأمر مكة، من خُزاعة وبنى بكر، وأن قُرَيشًا فرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده، فكلّم رجالاً من قريش وبنى كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبنى

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل ومثله لدى الأزرقى ١/ ١٠٧.
(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١٠٧ – ١٠٨.

بكر من مكة، فأجابوه: فكان ربيعة بن حرام، من عزرة، بن سعد، بن زيد، بن مَناة، قد قدم مكة بعد هُلْك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل، وزهرة يومئذ رجل، وقُصَىّ فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصَيًّا معها إلى بلاده، وأقام زُهرة، فولدت لربيعة: رزاحا، فلما بلغ قُصَىٌّ وصار رجلاً، أتى مكةَ فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه إلى نُصرته والقيام معه[1].

فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته: حُنّ[2] بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وهم لغير فاطمة فيمن تبعهم من قُضاعة فى حاجّ العرب، وهم مُجْمِعُون لنصر قُصَىّ، وخُزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قُصَيًّا وأمره به، حتى انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر، وقال: أنت أولى بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خُزاعة، فعند ذلك طلب قُصَىٌّ ما طلب، ولم يسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم أىّ ذلك كان[3].

ثم قال بعد أن ذكر شيئًا من خبر صُوفة وإجازتها بالناس من عرفة ومِنى: فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، هو دين فى أنفسهم فى عهد جُرهم وخُزاعة وولايتهم، فأتاهم قُصَىّ بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقُضاعة، عند العَقَبة، فقال: لا، نحن بهذا أولى منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالاً شديدًا، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قُصَىٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك[4].

وانحازت عند ذلك خُزاعة، وبنو بكر عن قُصَىّ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم[5] وأجمع لحربهم، وخرجت له خُزاعة وبنو بكر، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديدًا، حتى

(١) ابن هشام ١/ ١١٧.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «حسن» وصوابه من الأصل وابن هشام.
(٣) ابن هشام ١/ ١١٨.
(٤) ابن هشام ١/ ١٢٣.
(٥) باداهم: كاشفهم.

كثُرت القتلى في الفريقين جميعًا، ثم إنهم تداعوا للصلح، وإلى أن يحكِّموا بينهم رجلاً من العرب، فحكَّموا يَعْمُر بن عَوْف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة، فقضى بينهم بأن قُصيًّا أولى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة، وأن كل دم أصابه قُصَيٌّ من بني بكر وخُزاعة موضوع، يشدخه تحت قدميه، وأنَّ ما أصابت خُزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقُضاعة، ففيه الدِّية مؤدَّاة، وأنْ يُخَلّى بين قُصَيّ وبين الكعبة ومكة، فسُمِّي يَعْمُر بن عَوف يومئذ: الشدّاخ، لما شدخ من الدماء، ووضع منها.

قال ابن هشام: ويقال الشُّدَاخ[1].

قال ابن إسحاق: فولى قُصَيّ البيتَ وأمرَ مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملَّك على قومه وأهل مكة، فملكوه، إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دينًا في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان وعدوان والنَّسأَة، ومُرّة بن عَوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله، فكان قُصَيّ أول بني كعب بن لُؤَيّ أصاب حُكمًا أطاع له به قومه، فكانت له الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رِباعًا بين قومه، فأنزل كلّ قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها، ويزعم بعض الناس أن قريشًا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قُصَيّ بيده وأعوانه، فسمَّته قريش مجمّعًا، لما جمع من أمرها، وتيمّنت بأمره، فما تُنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم، إلاّ في داره، يعقده لهم بعضُ ولده، وما تَدَّرِع[2] جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلاّ في داره، يشق عليها فيها درعها، ثم تدرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها، فكان أمره في قريش في حياته ومن بعد موته كالدِّين المُتَّبَع، لا يُعمل بغيره، واتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها: قال ابن هشام: وقال الشاعر:

(١) ابن هشام ١/ ١٢٣.
(٢) ادرعت الجارية: لبست الدرع.

قُصَيٌّ لَعَمْرى كان يُدْعَى مُجَمِّعًا   به جمع الله القبائلَ من فِهْرِ[(١)]

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه، قال: سمعت السائب ابن خباب صاحبَ المقصورة يحدث: أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب، وهو خليفة، حديث قُصَيّ بن كلاب، وما جمع من أمر قومه، وإخراجه خُزاعة وبنى بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره[(٢)]. اهـ.

وفى هذا الخبر من الفائدة فى خبر قُصَىّ غير ما فى الخبر الأول، ببيان ما كان من خبر قُصىّ وصوفة وغير ذلك، وهو يقتضى أن منازعة قُصَىّ خُزاعة، لما كان فى نفسه، من أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة، أو لكون حليل جعل ذلك إليه، كما تزعم خُزاعة من غير أن تكون خُزاعة عارضت قُصيًّا فى ذلك، والخبر الأول يقتضى أن منازعة قُصَىّ خُزاعة لمنعهم له، مما جعله إليه حليل من أمر البيت، والله أعلم بالصواب.

وقد ذكر الزبير بن بكار خبرًا يدل على أن حليلاً حين حضرته الوفاة، جعل إلى قُصَىّ أمرَ البيت ومكة، وذلك يوافق ما زعمته خُزاعة، كما ذكره فى الخبر الذى ذكره ابن إسحاق، ونص ما ذكره الزُّبير: حدثنى إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن عمر الواقدى، عن عبد الله بن عَمرو بن زهير، عن عبد الله بن خراش ابن أميّة الكعبى، عن أبيه، قال: لما تزوج قُصَىّ إلى حليل بن حبشية حبى ابنته، وولدت له، أوصى حليل عند موته بولاية البيت وأمر مكة إلى قُصَىّ.

قال الزبير: وحدّثنى إبراهيم عن الواقدى عن فاطمة الأسلمية، عن فاطمة الخُزاعية، وكانت قد أدركت أصحاب النبى ﷺ، قالت: وقال حليل: إنما ولد قُصَىّ ولدى، وهم بنو ابنتى، فأوصى إلى قُصَىّ بالبيت والقيام بأمر مكة، وقال: أنت أحق الناس بها. اهـ.

وقد قيل فى سبب ولاية قُصَىّ غير ما سبق، وقد أشرنا إلى شىء من ذلك فى خبر خُزاعة، ونذكره هنا لما فيه من زيادة فى إيضاح، من ذلك ما رويناه عن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٤ ــ ١٢٦.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٦.

الزبير بن بكار، قال: قال محمد بن الضحّاك: اشترى قُصَىّ مفتاحَ بيت الله الحرام من أبي غُبْشان الخُزاعى بكَبْش، وزقّ خَمْر، فقال الناس: أخسر من صفقة ابن أبي غُبْشان، فذهبت مثلاً.

وقال أيضًا: حدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة، قال: زعم ناس من خُزاعة أنّ قُصيًّا تزوج حبى ابنة حليل بن حبشية بن سلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، فولدت له عبد مناف، وعبد العُزَّى، وعبد الدار، وعبد بن قُصَىّ، وكان حليل آخر من ولى البيت من خُزاعة، فلما ثقل، جعل ولاية البيت إلى ابنته حبى، فقالت له: قد علمتَ أنى لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، قال: إنى أجعلُ الفتحَ والإغلاقَ إلى رجلٍ يقوم لك به، فجعل إلى أبي غُبْشان وهو سليم بن عمرو بن لُؤَىّ بن ملكان، بن أفصى، بن حارثة، بن عمرو، ابن عامر، فاشترى قُصَىّ ولاية البيت منه بزقّ خمر وقَعُود، فلما رأت ذلك خُزاعة كثروا على قُصَىّ، فاستصرخ أخاه رزاحًا، فقدم بمن معه من قُضاعة، فقاتل خُزاعة حتى نفوا خُزاعة.

قالوا: فأما الخَلَفِىّ قال: قال أبو عبيدة: وهو رجل من بنى خلف، فزعم أنّ خُزاعة أخذها العدسة[1] حتى كادت تفنيها، فلما رأت ذلك جَلَتْ عن مكة، فمنهم من وهب مسكنه، ومنهم من باع، ومنهم من أسكن، قال: قال أبو عبيدة: وهذا باطل ليس كما قال الخَلَفِىّ.

وقال الزبير: حدّثنى عمر بن أبي بكر الموصلى، عن عبد الحكيم بن سفيان بن أبي نمر، قال: كان أبو غُبْشان الخُزاعىّ يلى البيت، وكان هو وقُصَىّ بمكة، فتحالفا على أن لا يبغى أحدُهما على صاحبه، ثم ابتاع قُصَىّ المفتاح، فقدم مكة فقال لقومه: هذا مفتاح بيت أبيكم إسماعيل، قد رده الله عليكم من غير غُدْر، ولا ظلم، فلما أفاق أبو غُبْشان ندَّمَه قومه، وعابوا عليه ما صنع، فجحد البيع، فقال: إنّما رهنته عنده رهنًا بحقه، فقال الناس: أخسر من صفقة أبي غُبْشان، فذهبت

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «العزة» وصوابه من الأصل.

مثلاً، ووقعت الحرب بين قُصَيّ وبين غُبْشان وقومهما[١] قريش وخُزاعة، فذلك قول الشاعر:

أبو غبشان أظلم من قُصَيّ وأظلم من بنى فِهْرٍ خُزاعَهْ
فلا تَلْحَوْا قُصيًّا فى شِرَاهُ ولُومُوا شيخَكُم إذ كَانَ باعَهْ[٢]

وذكر الفاكهىّ الخبرَ الذى رواه الزبير عن المَوْصِلى، ووقع فى الخبر الذى ذكره الفاكهى عن الزُّبير فائدتان، لا يُفهمان من الخبر الذى نقلناه عن الزبير من كتابه:

إحداهما: أنّ اشتراء قُصَىّ من أبى غُبْشان لمفتاح البيت كان بالطائف.

والأخرى: أنه اشترى ذلك بزِقّ خمر.

وذكره الفاكهى [أن الذين قدم بهم رزاح لنصر أخيه قصى كانوا ثلاثمائة رجل، روى ذلك الفاكهى][٣] بسنده عن كرامة بنت المقداد بن عمرو الكِنْدى، المعروف بالمقداد الأسود، عن أبيها.

وذكر الفاكهى أيضًا ما يقتضى أن قدوم رزاح على أخيه قُصَىّ، كان بعد أن نفى خُزاعة، والمعرف أنّ قُصيًّا لم يقاتل إلاّ بعد أن قدم عليه أخوه رزاح.

وفى الخبر الذى فيه ما ذكرناه، من قدوم رزاح على أخيه بعد نفى خُزاعة، شىء من خبر قُصَىّ، لم يسبق له ذكر، فحسُن ذِكْرُه، لما فى ذلك من الفائدة، ونصُّه على ما فى كتاب الفاكهى:

حدّثنا الزبير بن أبى بكر، قال: قال أبو الحسن الأثرم: قال أبو عبيدة: قال محمد بن حفص: قدم رزاح وقد نفى قُصَىٌّ خُزاعةَ، وقال بعض مشيخة قريش: إن مكة لم يكن بها بيت فى الحرم، إنما كانوا يكونون بها، حتى إذا أمسوا خرجوا، لا يستحلون أن يصيبوا فيها جَنابة، ولم يكن بها بيت قائم، فلما جمع قُصَىٌّ قريشًا، وكان أدهى من رُئِى فى العرب، قال لهم: أرى أن تصبحوا بأجمعكم فى الحرم

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «وفوقهما» وصوابه من الأصل.
(٢) مروج الذهب ٢/ ٥٨.
(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى.

حول البيت، فوالله لا يستحل العرب قتالكم، ولا يستطيعون إخراجكم منه، وتسكنونه فتسودون العرب أبدًا[١].

فقالوا: أنت سيدنا، رأينا لرأيك تَبَعٌ، فجمعهم، ثم أصبح بهم فى الحرم حول البيت — فمشت إليه أشراف كنانة، وقالوا: إنّ هذا عند العرب عظيم، ولو تركناك ما تركتك العرب، فقال: والله لا أخرج منه، فثبت وحضر الحج، فقال لقريش: قد حضر الحج، وقد سمعت العرب بما صنعتم، وهم لكم معظمون، ولا أعلم مَكْرُمةً عند العرب أعظم من الطعام، فلْيُخرِجْ كلُّ إنسان منكم من ماله خرجًا، ففعلوا، فجمع من ذلك شيئًا كثيرًا[٢].

فلما جاء أوائل الحاجّ نحر على كل طريق من طُرق مكة جزُورًا، ونحر بمكة، وجعل حظيرة، فجعل فيها الطعام من الخبز والثريد واللحم، فمن مرَّ باللحم والثريد أكل، ومن قدم قصد الحظيرة، فأكل وسقى الماء واللبن المحض، ثم صدروا على مثل ذلك، فصدر روَّادهم يقولون:

أشبعهم زيد قُصَىّ لحما ... ولبنًا مَحْضًا وخُبزًا هشما[٣]

ولم يكن بنو عامر بن لُؤَى ترقد مع قريش شيئًا[٤]. انتهى.

وزَيْد: اسم قُصَىّ على ما ذكر الزبير، لأنه قال: كان اسم قُصَىّ: زيدًا، وإنما سُمِّى قُصيًّا لأنه يُقْصَى عن مكة، وخرجت به أمه منها إلى غيرها، وذكر الزبير عن قصى أخبارًا غير ما سبق، وذلك أنه قال فيما رويناه عنه: حدثنى أبو الحسن الأثرم، عن أبى عُبَيدة، قال: كان قُصَىّ يلى الرفادة، ويسقى الحاجّ اللبن والزبيب، وقال الزبير: قال أبو الحسن الأثرم: قال أبو عُبَيدة: حدثنا خالد بن أبى عثمان،

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٧٠.

(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٧٢.

(٣) كذا لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف ولم يرد، وقبل: هذا البيت فى سائر الأصول بيت ناقص نصه:

إن الحجيج طاعمين دسما ... عن الحسا مستحقبين

(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٧٣.

قال: كان قُصَىّ أول من ثَرَدَ الثريد، فأطعم بمكة، وسقى اللبن بعد نابت بن إسماعيل، فقال قائل: و لم يسمُّوه هاشمًا.

أشبعهم زيد قُصَىّ لحما   ولبنًا مَحْضًا وخُبزًا هشما

وقال الزبير: حدّثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الحكيم بن سفيان بن أبي نمر قال: لما ولد أول ولد سمّاه عبد مَناة، ثم نظر، فإذ هو موافق لاسم عبد مناة ابن كنانة، فأحاله إلى عبد مناف بن كنانة، وإنما سُمِّى عبد الدار لأنه حين هدم الكعبة وأراد بناءها حضر الحجّ قبل بنيتها وهى مهدومة، فأحاط عليها دارًا من خشب، وربطها بالحبال لتدور الناس من وراء الدار، فولد له عبد الدار، فسماه بها: عبد الدار.

وأما عبد بن قُصَىّ [فإنه سماه عبد قصى][1] فكان بذلك يُدْعَى، ثم أحال اسمه، فقيل له عبد بن قُصَىّ: قال الزُبَير: وقال غير الموصلي: قال قُصَىّ: وُلد لى، فسميت اثنين بآلهة، يعنى: عبد مَناف وعبد العُزَّى، وسميت الثالث بدارى، يعنى عبد الدار، وسميت الرابع بنفسى، يعنى: عبدًا، فكان يقال لعبد بن قُصَىّ: عبد قُصَىّ بن قُصَىّ.

وقال الزبير: حدثنى محمد بن حسن قال: إنما سُمِّى عبد مناف لأن أمه أخدمته صنمًا يقال له: عبد مناف، ويقال: إنّ أباه أخدمه ذلك الصنم.

وقال الزبير: ورُوى أنّ قُصَيًّا قال للأكابر من ولده: من عظَّم لئيمًا شركه فى لُؤمه، ومن استحسن مستقبَحًا شرك فيه، ومن لم تصلحه كرامة كبر فدعوه بهوانه [فالداء يحسن الداء][2].

وروى الزبير بسنده عن محمد بن جبير بن مُطْعَم قال: إنّ قُصَىّ بن كلاب كان يُعَشّر من دخل مكة من غير أهلها، وقال الزُبير: وحدثنى إبراهيم بن المنذر عن الواقدى قال: مات قُصَىّ بمكة فدُفن بالحَجُون، فتدافن الناس بعده بالحَجُون. انتهى.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل، وفى طبعة الذهبى: «فأداء يحسن الداء».

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن قُصَىَّ بن كلاب أظهر للناس الحجر الأسود بعد دفن جُرْهم له، لأنه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سلمة، قال: حدثنا عبد الله ابن يزيد، قال: حدثنا ابن لَهِيَعَة عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود: أنّ يعقوب ابن عبد الله بن وهب حدثه عن أبيه أن أم سلمة زوج النبي ﷺ وهى جدّته قالت: قدم قُصَىّ بن كلاب، يعنى مكة فقطع غَيْضَة كانت، ثم ابتنى حول البيت دارًا، ونكح حبـى بنت حليل الخزاعى، فولدت له عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العُزَّى بن قُصَىّ، ثم قال: فقال قُصَىّ لامرأته: قولى لأمك تدل بنيك على الحجر الأسود، فإنّما هم يلُون البيت، فلم تزل بها: يا أُمّة دلّيني عليه فإنما هم بنوك، ولم يزل بها حتى قالت: فإنى أفعل إنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه، فنـزلوا منـزلاً وهو معهم، فبرك الجمل الذى عليه الحجر فضربوه، فقام، ثم ساروا فبرك، فضربوه، ثم ساروا الثالثة فقالوا: ما يبرك إلاَّ من أجل الحجر، فدفنوه، وذلك فى أسفل مكة، وإنى لأعرف حيث برك، فخرجوا بالحديد، وخرجوا بها، فأرتهم حيث برك أول الشأن، ولا شىء، ثم المكان الثانى، فلا شىء، ثم الثالث، فقالت: احفروا هاهنا، فحفروا حتى أيسوا منه، ثم ضربوه فأصابوه فأخرجوه، فأتى به قُصَىّ فوضعه موضعه فى الأرض، فكانوا يتمسَّحون به وهو فى الأرض، حتى بنت قريش الكعبة(١).

ثم روى الفاكهى بسنده عن أم سلمة أنها قالت: منـزل الجمل الأول عند الجزارين، ثم دلتهم على المنـزل الثانى عند سوق البقر(٢).

وذكر هذا الخبر محمد بن عائذ فى مغازيه، وفيه نظر، لما فيه أن الحجر الأسود لم يزل مدفونًا إلى عهد قُصَىّ، وقد بيّنا ذلك فى أخبار الحجر الأسود، فأغنى ذلك عن إعادته، وقُصَىّ بن كلاب أحدث وقود الناس بالمُزْدَلفة ليراها من دفع من عرفة، على ما ذكر القطب الحلبى، وكلامه يوهم أنّ أبا محمد عبد الله بن محمد العلاطى صاحب «الاشتمال» نقل ذلك عن أبى عُبيدة، والله أعلم، وفى «العقد» لابن عبد ربه أنّ قُصَىّ بن كلاب بنى قُزَح موضع الوقوف بالمُزْدَلِفَة، والله أعلَم.

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٧٤.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٧٥.

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر شىء من خبر بنى قصى بن كلاب وتوليتهم لما كان بيده

من الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، والقيادة، وتفسير ذلك

قال ابن إسحاق: فلما كَبُر قُصَيّ ورَقّ عظْمُه، وكان عبد الدار بِكْرَه، وكان عبد مَناف قد شَرُف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب، وعبد العُزَّى، وعَبْدٌ، قال قُصَيّ لعبد الدار: أما والله يا بُنَيّ لأُلحقنّك بالقوم، وإن كانوا قد شَرُفوا عليك، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها لهم، ولا يُعقَد لقريش لواء لحربها إلاّ أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة إلاّ من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعامًا إلاّ من طعامك، ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها إلاّ في دارك، فأعطاه دار الندوة التي لا تقضي قريش أمرًا إلاّ فيها، وأعطاه أيضًا: الحجابة، واللواء، والسقاية، والرفادة.

وكانت الرفادة خرْجًا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قُصَيّ بن كلاب، فيصنع به طعامًا للحاجّ، فيأكله من لم يكن له سَعَةٌ ولا زاد، وذلك أنّ قُصَيًّا فرضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإنّ الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته، وهم أحقّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحجّ حتى يَصْدُرُوا عنكم، ففعلوا، وكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجًا، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعامًا للناس أيام مِنَى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومنا هذا، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بِمِنَى للناس، حتى ينقضي الحج[1].

قال ابن إسحاق: حدثني بهذا من أمر قُصَيّ بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده، أبي إسحاق[2] بن يسار عن الحسن بن محمد بن علي ابن أبي طالب، قال: سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار يقال له نُبيه بن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٢٩٠.

(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «أبو إسحاق» وصوابه من الأصل وابن هشام الذى ينقل عنه المصنف.

وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار [بن قصى](١).

قال الحسن: فجعل إليه قُصَىّ كلّ ما كان بيده من أمر قومه، وكان قُصَىّ لا يُخالف ولا يُرَدّ عليه شيء صنعه.

قال ابن إسحاق: ثم إن قُصَىّ بن كلاَب هَلَك، فأقام أمرَه فى قومه من بعده بنوه، فاختطوا مكة رباعًا بعد الذى كانَ قطع لقومه بها، فكانوا يقطعونها فى قومه وفى غيرهم من حلفائهم ويبيعونها، فأقامت على ذلك قريش معهم، ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إن بنى عبد مناف بن قُصَىّ: عبد شمس وهاشمًا والمطلب ونوفلاً أجمعوا على [أن يأخذوا] ما فى أيدى عبد الدار بن قُصَىّ مما كان قُصَىّ جعل إلى عبد الدار من الحجابة، واللواء، والسقاية، والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم، وتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بنى عبد مَناف على رأيهم يرون أنهم أحقّ به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار يرون أن لا يُنْزَع منهم ما كان قُصَىّ جَعَلَ إليهم(٢).

فكان صاحب أمر بنى عبد مَناف عبد شمس بن عبد مَناف، وذلك أنه كان أسنَّ بنى عبد مَناف، وكان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان بنو أسد بن العُزَّى بن قُصَىّ، وبنو زُهْرة بن كلاب، وبنو تَيْم بن مُرَّة بن كعب، وبنو الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر، مع بنى عبد مَناف(٣).

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مُرَّة، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيص(٤)، وبنو عَدِىّ بن كعب مع بنى عبد

---

(١) ما بين حاصرتين من ابن هشام.

(٢) ابن هشام ١/ ١٣٠ وما بين حاصرتين منه ومن الأصل.

(٣) ابن هشام ١/ ١٣١.

(٤) فى متن طبعة الذهبى: «وبنو كعب بن عمرو بن هصيص» وبالهامش فى طبعة تدمرى: «وبنو جمح» وما أثبتناه هو الصحيح.
=

الدار، وخرجت عامر بن لُؤَيّ ومحارب بن فِهْر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين[١].

فعقد كل قوم على أمرهم حلفًا مؤكدًا على أن لا يتخاذلوا ولا يُسْلم بعضهم بعضًا ما بلَّ بحر صوفة[٢].

فأخرج بنو عبد مَنَاف جفنة مملوءة طِيبًا، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف أخرجْنها لهم، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسُمُّوا المُطَيَّبين[٣].

وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفًا موكَّدًا على أن لا يتخاذلوا ولا يُسْلم بعضهم بعضًا، فسُمُّوا الأحلاف.

ثم سُوند[٤] بين القبائل ولُزّ[٥] بعضها ببعض، فعبِّيت بنو عبد مَنَاف لبنى سهْم، وعُبِّيَتْ بنو أسد لبنى عبد الدار، وعُبِّيت زُهرة لبنى جُمَح، وعبيت بنو تيم لبنى مخزوم، وعبيت بنو الحارث بن فِهْر لبنى عَدِى بن كعب، ثم قالوا: لتُفْن كلُّ قبيلة من أُسند إليها[٦].

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا للصلح، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار، كما كانت ففعلوا، ورضى كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز[٧] الناس عن

= قلت: ما فى طبعة تدمرى هو الصحيح وورد كذلك على الصواب فى الأصل ولدى ابن هشام الذى ينقل عنه المصنف.

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٣١.

(٢) ابن هشام ١/ ١٣١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٢.

(٤) المسانَدة: المقابلة والمعاونة.

(٥) لز: أى شدّ بعضها بعضًا.

(٦) ابن هشام ١/ ١٣٢.

(٧) فى طبعة تدمرى: «وتحاق» والمثبت رواية الأصل ومثلها لدى ابن هشام الذى ينقل عنه المصنف.

الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان من حِلْفٍ في الجاهلية، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة»(١).

ثم قال ابن إسحاق: فولى السقاية والرفادة هاشمُ بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفّارًا قلّما يقيم بمكة، وكان مُقلاً ذا ولد، وكان هاشم مُوسِرًا، فكان فيما يزعمون إذا حضر الحاج قام في قريش، فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحُجّاج بيته، وهم ضَيْف الله، وأحَقّ الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا له ما تصنعون لهم به طعامًا أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان مالي يسع ذلك ما كلفتكموه، فيُخْرِجون لذلك خرْجًا من أموالهم، كل امرئ بقدر ما عنده، فيصنع به للحاجّ طعامًا حتى يصدروا منها(٢).

وكان هاشم فيما يزعمون أول من سنَّ رحلتين لقريش: رحلة الشتاء ورحلة الصيف، وأول من أطعم الثريد بمكة، وإنما كان اسمه عمْرًا فما سُمّي هاشمًا إلاّ لهشْمه الخبز بمكة لقومه، وقال شاعر من قريش أو من بعض العرب:

عمرو الذى هَشَمَ الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتين عجاف

سُنّت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء ورحلة الأصياف

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز قوله:

قوم بمكة مسنتين عجاف(٣)

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزّة من أرض الشام تاجرًا، فولى السقاية والرفادة من بعده المطّلب بن عبد مَناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في القوم وفضل، وكانت قريش إنما تسميه الفَيْض لسماحته وفضله(٤).

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٥، ١٣٦.

(٣) الخبر والشعر لدى ابن هشام في السيرة ١/ ١٣٦.

(٤) ابن هشام ١/ ١٣٧.

ثم قال ابن إسحاق: ثم هلك المطَّلب برَدْمَان[١] من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يبكيه:

قد ظمئ[٢] الحجيج بعبد المطلب بعد الجفان والشراب المُنْثَعِب[٣]

ليت قريشًا بعده على نصب[٤]

وقال مطرود[٥] بن كعب الخُزَاعي يبكي المطَّلبَ وبني عبد مَناف جميعًا، حين أتاه نَعْيُ نوفل بن عبد مناف، وكان نوفل آخرهم هُلْكًا، فذكر أبياتًا[٦].

ثم قال ابن إسحاق: وكان أول بني عبد مَناف هلْكًا هاشمًا بغزة من أرض الشام، ثم عبد شمس بمكة، ثم المطَّلب برَدْمان من أرض اليمن، ثم نوفل بسلْمان من ناحية العراق فقيل لمطرود فيما يزعمون لقد قلت فأحسنت، ولو كان أفحل مما قلت لكان أحسن، فقال: أنظروني ليالي، فمكث أيامًا، ثم قال:

يا عينُ جودي وأذري الدمع واهمري[٧]
وابكي على السر من كعب المغيرات
وابكي على كل فياض أخي ثقة
ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
صعب البديهة لا نكس ولا وكل
ماضي العزيمة متلاف الكريمات[٨]

---

(١) رَدمان: بفتح أوله: موضع باليمن.
(٢) في الأصل وطبعة تدمري: «ضمن» وتحرف في طبعه الذهبي إلى: «طمئ» بالطاء المهملة، والمثبت رواية ابن هشام الذي ينقل عنه المصنف
(٣) تحرف في طبعة تدمري إلى: «المتصب» وفي طبعة الذهبي إلى: «المثغب» بالغين المعجمة وصوابه من الأصل ومثله لدى ابن هشام الذي ينقل عنه المصنف.
(٤) ابن هشام ١/ ١٣٨.
(٥) تحرف في طبعة تدمري إلى: «مطرد» وصوابه من الأصل وابن هشام الذي ينقل عنه المصنف.
(٦) السيرة لابن هشام ١/ ١٣٨ وقد أورد ياقوت هذه الأبيات.
(٧) في طبعة تدمري: «يا عيني جودي أو أذري الدمع واهمري» وهو غير صحيح عروضيًا وصوابه من الأصل وابن هشام والأبيات من البسيط.
(٨) في طبعة تدمري: «الكرامات» والمثبت رواية الأصل وابن هشام

صقر توسط من كعب إذا نُسبوا
بُحبوبة المجد والشم الرفيعات
ثم اندُبي الفيض والفياض مطلبًا
واستخرطى بعد فيضات بجمَّات
أمسى بِرَدْمَان عنا اليوم مغتربًا
يا لَهْفَ نفسى عليه بين أموات
وابكى لك الويل إما كنت باكية
لعبد شمس بشرقى البنيات
وهاشم فى ضريح وسط بلقعة
تسفى الرياح عليه بين غزات
ونَوْفَل كان دون القوم خالصتى
أمسى بسلْمان فى رمْس بمُوماة
لم ألق مثلهم عُجْمًا ولا عَرَبًا
إذا استقلّت بهم أدم المطيات
أمست ديارهم منهم معطلة
وقد يكونون زينًا فى الملمات(١)

ثم قال:

يا عين فابكى أبا الشعث الشجيات ... يبكينه حُسَّرًا مثل البليَّات
يبكين أكرم من يمشى على قدم ... يُعْوِلْنه بدموع بعد عبرات

ومنها:

يبكين عمرو العلا إذا حان مصرعه ... سمح السجية بسَّام العشيات

ومنها:

---

(١) الأبيات فى المطبوعتين فيها سقط وتحريف وقد اعتمدنا فى تكملتها وتصويبها على ما ورد لدى ابن هشام فى السيرة ١/ ١٣٩، ١٤٠.

ما في القروم لهم عِدل ولا خطر ولا لمن تركوا شَروى بقَبّات

ومنها:

أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم خير النفوس لدى جهد الأليات

ومنها:

زين البيوت التي حلُّوا مساكنها فأصبحت منهم وحشًا خليّات

أقول والعين لا ترقا مدامعها لا يبعد الله أصحاب الرزيات

ثم قال ابن إسحاق: ثم وُلّي عبد المطلب بن هاشم السقاية، والرفادة، بعد عمه المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرُف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه، وعظُم خطره فيهم[1]. انتهى.

وذكر الفاكهي أخبارًا تتعلق ببني قُصَيّ بن كلاب، وبني عبد مَناف بن قُصَيّ وبني عبد الدار بن قُصَيّ، وأفاد في ذلك غير ما سبق، فاقتضى ذلك ذِكر ما ذكره من ذلك، لما فيه من الفائدة.

قال الفاكهي: حدثنا عبد الملك بن محمد، عن زياد بن عبد الله، عن ابن إسحاق، قال: ثم إن بني عبد مَناف، وعبد شمس، وهاشم، والمطلب اختلفوا، ثم إن بني عبد مَناف أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيّ من الحجابة، والسقاية، والرفادة، فتفرَّقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مَناف في رأيهم، يرون أنهم أحق بذلك من بني عبد الدار، وكانت طائفة مع بني عبد الدار، لا يرون أن يغيّر عنهم ما كان قصَيٌّ جعل إليهم[2].

وذكر نحو ما سبق، إلاّ أنه قال بعد أن ذكر تعاقد كلٍّ من الفريقين: فأخرجت عاتكة بنت عبد المطلب طيبًا، فوضعته لأحلافهم، ثم غمس القوم فيه حين تعاقدوا وتعاهدوا، ثم مسحوا بها الكعبة، فسُمّوا: حلف المُطَيَّبين[3].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٤٢.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٧٥، ١٧٦.

(٣) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٧٦.

وفى هذا الخبر من الفائدة غير ما سبق: كون عاتكة بنت عبد المطلب هى المخرجة لقومها جفنة الطيب، وفى ذلك نظر، لتأخّر زمنها عن زمن عمّ أبيها عبد شمس القائم بأمر بنى عبد مناف فى هذه القضية، وكذلك فى كَون عامر بن هاشم ابن عبد مَناف بن عبد الدار القائم بأمر بنى عبد الدار حين نازعهم بنو عبد مَناف نظر، لتأخّر زمن عامر بن هاشم عن زمن عبد شمس. انتهى والله أعلم.

وقال الفاكهى: وحدثنا الزبير بن أبى بكر قال: حدثنى محمد بن فضالة، عن عبد الله بن زياد بن سمعان، قال: حدثنى ابن شهاب، قال: كانت السقاية فى بنى المطّلب، وكانت الرئاسة فى بنى عبد مَناف كلهم، وكانت الرفادة فى بنى أسد بن عبد العُزّى، واللواء والحجابة فى بنى عبد الدار، فجاءوا إلى سهم فحالفوهم، وقالوا لهم: امنعونا من بنى عبد مَناف، فلما رأت ذلك البيضاء التى يقال لها: أم حكيم بنت عبد المطلب، أخذت جفنة فملأتها خَلُوقًا، ثم وضعتها فى الحِجْر، فقالت: من تطيّب بهذا الطّيب فهو منا، فتطيب بنو عبد مَناف، وأسد، وزُهْرة، وبنو تَيم، وبنو الحارث بن فِهْر، فسُمُّوا: المطيّبين، فلما سمعت بذلك بنو سهم نحروا جزورًا، وقالوا: من أدخل يده فى دمها فلعق منها فهو منا، فأدخلت أيديها بنو سهم، وبنو عبد الدار، وبنو جُمَح، وبنو عَدِىّ، وبنو مخزوم، فلما فعلوا ذلك وقع الشر بينهم، فتراجعوا وقالوا: والله لئن اقتتلنا لتدخلن العرب علينا، فأقروهم على حالهم، فسُمّى هؤلاء: المطيّبين، وهؤلاء الأحلاف، فقال أبو طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار:

أتانى أنّ عمرو بن هصيص ... أقام وأنّنى لهم حليف
وأنهم إذا حدثوا لأمر ... فلا نَكِلٌ أكونُ ولا ضعيف[1]

وفى هذا الخبر من الفائدة على ما سبق: بيان من جاء بالجفنة التى فيها الطّيب، وهى أنها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطّلب، وفيها من النظر ما سبق فى أختها، والله أعلم، وفى هذا الخبر ما يُشعِر بأنّ القائم بأمر بنى عبد الدار حين نازعهم بنو

(١) الخبر والشعر لدى الفاكهى ٥/ ١٧٦، ١٧٧.

عبد مناف: أبو طلحة عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، ويتأيد ذلك بما في الخبر الآتي ذكره.

قال الفاكهي: حدثنا حسن بن الحسين الأزدي، قال: حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال: ثم إن بني عبد مَناف لما زاد شرفُهم وكثرتُهم، أرادوا أخذ البيت من بني عبد الدار، فأرسلوا إلى أبي طلحة وهو عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار: أن أرسِلْ إلينا بمفتاح الكعبة، وكانت أم بني سهم عاطرة بنت زُهْرة، وأمّ عَديّ بن سعد هند بنت عبد الدار بن قُصَيّ، فعدادهم من بني عبد مَناف، وذكر نحو حديث ابن شهاب، إلاّ أنه قال: لما غمسوا أيديهم قالوا: والله لا يُسْلِمُ أحدٌ منا أحدًا، وخلطوا نعالهم بفناء الكعبة، فسُمّوا: الأحلاف، بخلطهم نعالَهم، وتحالُفِهم في البيت. اهـ.

ثم قال: وقال أبو طلحة عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار شعرًا ذكره، وهما البيتان في حديث ابن شهاب، فقال:

بنو سهمٍ نحن نكفيهم ... إنْ قاتلوا قَتَلْنا
وإن رفدوا رَفَدْنا ... وإنْ فعلوا فَعَلْنا[1]

انتهى.

فصرح في هذا الخبر بما يقتضي أن القائم بأمر عبد الدار: أبو طلحة، وذلك يخالف الخبر الذي ذكره الفاكهي عن ابن إسحاق، فإنه يقتضي أن القائم بأمر بني عبد الدار: حفيد عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار والله أعلم.

وقال الفاكهي: وحدثنا عبد الله بن أبي سلمة، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا عمر بن أبي بكر الموصلي من بني عَديّ بن كعب[2]، قال: حدثني الضحاك بن عثمان الحِزَامي، قال: حدثني ابن عُروة بن الزبير عن أبيه عُروة عن حكيم حِزَام، قال: لما حضر عبد الدار الموت جعل الندوة، واللواء، والرفادة، إلى ابنه عثمان بن عبد الدار، فقال أمية بن عبد شمس لعثمان بن عبد الدار: لتخرج لي

---

(١) الخبر والشعر لدى الفاكهي ٥/ ١٧٧.

(٢) في المطبوعتين والفاكهي: «الموصلي عن بني عدي» والمثبت رواية الأصل.

عن طيب نفسٍ عن واحدة من هذه الثلاث، فأبى، فقال: إذًا لا أدعك، فاستخرج عثمان بن عبد الدار قريشًا، فقالت له بنو مخزوم وجُمَح وسهم وعَدِيّ: نحن معك، ونجمع لك هذه الخصال، ونحالفك، قال: نعم، فتحالفوا، فمنعوها له[١]. انتهى.

وفي هذا الخبر من الفائدة أن القائم بأمر بني عبد الدار حينئذ: عثمان بن عبد الدار، وأن القائم بأمر بني عبد مَناف حينئذ: أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف.

وقال الفاكهي: وحدثني عبد الله بن أبي سلمة قال: حدَّثنا عبد الله بن يزيد، قال: حدثني ابن لَهِيعَة، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الأسود، قال: فذكر أنه لما تُوُفّي عبد بن قُصَيّ، وكان اللواء بيده، أخذه عبد الدار، لأنه أكبر إخوته، فحسده إخوته، فذهب فحالف بني مخزوم، وعَدِيّ. اهـ[٢].

وهذا يقتضي أن التنازع وقع بين عبد الدار وإخوته، وهذا لا يُفهم مما سبق، والله أعلم

ويتحصل من مجموع هذه الأخبار في القائم بأمر بني عبد الدار، حين نازعهم بنو عبد مَناف، ثلاثة أقوال:

أولها: أنه عامر بن هاشم بن عبد مَناف[٣] بن عبد الدار بن قُصَيّ.

وثانيها: أنه أبو طلحة بن عبد العُزّى بن عبد الدار بن قُصَيّ.

وثالثها: أنه عثمان بن عبد الدار.

ويتحصل في القائم بأمر بني عبد مناف حين نازعوا بني عبد الدار قولان:

أحدهما: أنه عثمان بن عبد الدار.

ويتحصل في القائم بأمر بني عبد مَناف حين نازعوا بني عبد الدار[٤] قولان:

أحدهما: أنه عبد شمس بن عبد مَناف.

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٧٨.

(٢) اخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٧٨.

(٣) تحرف في طبعة الذهبي إلى: «بن هاشم عبد مناف» وصوابه من الأصل والفاكهي ٣/ ٣١٠.

(٤) في طبعة الذهبي: «حين نازعه عبد الدار» والمثبت رواية الأصل.

والآخر: أنه أمية بن عبد شمس.

ويتحصل في التي أخرجت الجفنة التي فيها الطِّيب لقومها وحلفائهم قولان:

أحدهما: أنها عاتكة بنت عبد المطلب.

والآخر: أنها أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطّلب، والله أعلم.

قال الفاكهي: وحدثني عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله، عن ابن إسحاق قال: ثم هلكت أعيان بني عبد مناف، فأقام عبد شمس بن عبد مناف على ما كان بيد عبد مناف، وكان أكبر ولده، فأقام أمر بني عبد مناف، فلما انتشرت قريش سكان مكة، قلّت عليهم المياه، واشتدت عليهم المئونة[1]. اهـ.

وهذا يُفهم أن عبد شمس بن عبد مناف، ولي شيئًا من مآثر قُصَيّ، وفيما سبق ذكره عن ابن إسحاق في سيرته ما يُشْعِر بأنه لم يلِ شيئًا، والله أعلم، ولعلّ الصواب: فأقام هاشم بن عبد مَناف، فتصحّف في كتاب الفاكهي بعبد شمس، وبذلك يتفق ما نقله الفاكهي عن ابن إسحاق مع ما نقلناه عن ابن إسحاق من سيرته، والله أعلم.

وقال الفاكهي: وحدثنا الزبير بن أبي بكر، قال: حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب أنهما كانا حلْفَيْن اثنين: فأما حلف قريش الأول، فإنّ بني كلاب تكثّروا على بطون بني كعب بن لُؤَيّ، فتحالفت عليهم تلك الأحلاف: مخزوم، وعَديّ، وسهم، وجُمَح، فانطلق المطّيبون، وكان حلفهم أن جعلوا جَفْنة من طيب، فتطيبوا بها، فسُمُّوا المطّيبين بذلك الطِّيب في الجفنة، وسُمِّيت الأحلاف بتحالفهم عليه، أن جعلوا جَفْنة فيها دم، فغمسوا أيديهم فيها، زاد الزبير بن أبي بكر في حديثه: وأن الأحلاف عُبُّوا لكل قبيلة قبيلة، وأنكروا شأن بني عبد الدار وولايتهم الكعبة، واللواء، والندوة، فقالوا: ما شأن هؤلاء إخواننا يلون علينا هذا وهم قليل؟ لننـــزعنه من أيديهم، وأنهم عمدوا إلى مفتاح الكعبة، فأخذوه من عثمان بن عبد الدار وبنيه، وأن بني عبد الدار أضافوا

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٧٨.

إلى الأحلاف، فحالفوهم، فشدوا الحلف بينهم، وأن الأحلاف لكل قبيلة، فعبَّت بنو سهم لبنى عبد مَناف[١]. اهـ باختصار.

وفى هذا الخبر من الفائدة غير ما سبق أن الحلف الذى يقال له حلف المطيبين كان قبل منازعة بنى عبد مَناف لبنى عبد الدار، فيما كان بيد عبد الدار، والله أعلم.

قال الفاكهى: وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة، قال: حدثنى عبد الجبار بن سعيد المساحقى، قال: حدثنى محمد بن فضالة النّمرى، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق عن عمر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: كانت الرفادة إلى عبد العُزّى بن قُصَىّ، وكانت الحجابة، واللواء والندوة إلى عبد الدار ابن قُصَىّ، وولد عبد مَناف بن قُصَىّ خمسة نفر: عمرًا، وهاشمًا، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل[٢]. اهـ.

وهذا الخبر يقتضى أن عبد العُزّى بن قُصَىّ وُلّى الرفادة، وما ذكرناه عن ابن إسحاق فى سيرته يقتضى خلاف ذلك، والله أعلم.

وقال الفاكهى: وحدثنى عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله عن ابن إسحاق قال: فلما هلك قُصَىّ أقام عبد مَناف على أمر قريش، وهو أقام أمرهم بعده، واختط بمكة رباعًا بعد الذى كان قُصَىّ قطع لقومه: فكان يعطيها فى قريش وفى غيرهم، وهو عقد حلف الأحابيش، والأحابيش: عضل، والقارة، ودوس، وزعل رهط سفيان بن عَوْف، والحليس بن زيد، وخالد بن عبيد بن أبى غايض بن خالد[٣]. انتهى.

وهذا الخبر يُشعر بأن عبد مناف بن قُصَىّ وُلّى مآثر أبيه، وما ذكرناه عن ابن إسحاق من سيرته يُشعر بخلاف ذلك، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٧٩.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٨٢، ١٨٣.
(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٨٢.

وقال الفاكهي: وحدثني عبد الله بن أبي سلمة، قال: حدثنا عبد الله بن زيد، قال: حدثني ابن لهيعة، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود، قال: يذكر أنه لما توفي عبد بن قُصَيّ، وكان اللواء بيده، أخذه عبد الدار لأنه أكبر إخوته، فحسده إخوته، فذهب فحالف بني مخزوم، وعَدِيّ، وتُوُفّي عبد مَناف، فأخذ السقاية هاشم، لأنه كان أكبر ولده، وتُوُفّي أسد، فأخذ الندوة المطلب، لأنه أكبر ولده، فلم يزل في أيديهم حتى باعها زمعة بن الأسود لمعاوية، فلذلك يقول الشاعر:

وبعتم مجدكم وسناكم ... ولم تُبْقُوا بمكة دارا[1]

وهذا الخبر يُشْعِرُ بأن عبد بن قُصَيّ كان إليه الندوة، وأن عبد مَناف بن قُصَيّ كانت إليه السقاية، وذلك يخالف ما ذكرناه عن ابن إسحاق من سيرته، والله أعلم.

وقال الفاكهي: حدثنا عبد الله بن أبي سلمة، قال: حدثنا عبد الله بن زيد قال: حدثنا ابن لَهِيعَة، عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود، أن يعقوب بن عبد الله بن وهب حدثه عن أبيه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ وهي جدته حدثته فقالت: فقدم قصي بن كلاب يعني مكة، فقطع غيضة كانت ثَمَّ، وابتنى حول البيت دارًا، ونكح حبي بنت حليل الخزاعي، فولدت له عبد الدار، وعبد مَناف، وعبد العُزَّى بن قُصَيّ فأول ما وُلِد له سمّاه عبد الدار بداره تلك، ثم سُمّي عبد مَناف بمَناف، ثم سمّي عبد العُزّى بالعُزّى، وكانت أم حبي الخُزاعية جُرْهُمية عجوزًا قديمة، فقال لها: إنما يلي البيتَ بنوك، وجعل الحجابة إلى عبد الدار، لأنه أكبرهم، والسقاية لعبد مَناف، واللواء لعبد بن قُصَيّ، والرفادة وهي دار الندوة لعبد العُزّى. انتهى باختصار.

وهذا صريح في أن قُصَيّ بن كلاب قسّم مآثر بين بنيه الأربعة، وذلك يخالف ما ذكره ابن إسحاق في سيرته، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٨٣.

وقال الفاكهي: وحدثنا حسن بن حسين الأزدي، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: كانت الرياسة أيام بني عبد مناف إلى عبد مَناف بن قُصَيّ، وكان القائم بأمور قريش والمنظور إليه فيها، ثم أفضى ذلك بعده إلى هاشم ابنه، فَرُبَّ ذلك بحسن القيام، فلم يكن له نظير من قريش ولا مساو، ثم صارت الرياسة لعبد المطلب، وفي كل قريش رءوس، غير أنهم كانوا يعرفون لعبد المطلب فضله وتقدُّمَه، وَشَرَفَه، فلما مات عبد المطّلب صارت الرياسة لحرب بن أمية، فلما كان حرب بن أمية تفرقت الرياسة والشرف ببني عبد مَناف وغيرهم من قريش.

وقال الفاكهي: قال: حدثنا الزبير قال محمد بن الحسن: كان هؤلاء الأربعة من بني عبد مَناف، هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل أول من رفع الله بهم قريشًا، إنما كانت تتجر بمكة، وتبضّع مع من يخرج من الأعاجم، فركب هاشم فأخذ له حيلاً من قيصر، فَتَجروا إلى الشام، وركب المطلب فأخذ له حيلاً من ملوك اليمن، فتَجرُوا إلى اليمن بذلك الحَيل، وركب نوفل فأخذ لهم حيلاً من النجاشي، فتَجروا بذلك الحَيل إلى أرض الحبشة.

وقال الفاكهي: قال: حدثنا الزبير، حدثنا محمد بن الحسن عن العلاء بن حسين عن أفلح بن عبد الله بن المعلى عن أبيه وغيره من أهل العلم قالوا: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، هم: الزينون[1]، وبنو هاشم يد، وبنو المطلب يد، فإنْ دهمهم غيرهم صاروا يدًا واحدة، على ذلك كانوا في الجاهلية دون بني عبد مَناف، وبنو عبد مَناف يدان: هاشم والمطلب البدران، وعبد شمس ونوفل يد وهم الأبهران، قال: وكانت العرب تُسمّي هاشمًا والمطلب وعبد شمس ونوفلاً أقداح النظار، فإن دهمهمْ غيرهم اجتمعوا فصاروا يدًا واحدة.

---

(١) في المطبوعتين: «الزنبور» وفي الأصل: «البدور» والمثبت لدى الفاكهي الذي ينقل عنه المصنف.

وقال الفاكهي: وحدثنا الزبير بن أبي بكر قال: حدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة، قال: كان يقال لهاشم وعبد شمس والمطَّلب بني عبد مَناف: المجرون[١].

وقال الفاكهي: وحدثني الزبير بن أبي بكر، قال: حدثني محمد بن الحسن قال: كان هاشم رئيس بني عبد مناف، وعبد شمس رئيس بني أمية، قال الزبير: وذلك الثبت عندنا، قال آدم بن عبد العُزَّى بن عمرو بن عبد العُزَّى:

اللهم إني قائل قو ... لَ ذي دِين وبرٍّ وحسب
عبد شمس لا تهنها إنَّما ... عبد شمسٍ عم عبد المطَّلب
عبد شمس كان يتلو هاشمًا ... وهما بعدُ لأم ولأب[٢]

وقال الفاكهي: وحدثنا حسن بن الحسين، قال: حدثنا أبو جعفر بن حبيب عن ابن الكلبي، قال: فلما مات هاشم خرج المطلب بن عبد مَناف إلى اليمن، فأخذ من ملوكهم عهدًا لمن نفر قبلهم من قريش قبل أن يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب، حتى على مثل ما كان هاشم أخذ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف[٣]. اهـ.

وهذا الخبر يخالف الذي قبله، إلا أن يكون قوله في حق المطَّلب، وكان المطلب أكبر، والله أعلم.

وقد طال الكلام في أخبار بني عبد مَناف، وأخبار عبد المطلب، وهاشم بن عبد مَناف، مما له تعلق فيما ذكره ابن إسحاق من خبر المشار إليهم، ومما ليس له تعلُّق بذلك، وفيما ذكرناه كفاية.

ونُتْبِع ذلك بفوائد، ذكرها هو وغيره، تتعلّق بما ذكرناه من خبر المُشار إليهم:

منها: أن الفاكهي لما ذكر أخبار بني قُصَيّ بن كلاب، ترجم عليها بما نصه: ذكر تولية قُصَيّ بن كلاب بنيه أمرَ مكة بعده، وقسمته إياها بينهم، وقيامهم بذلك بعده.

---

(١) كذا في طبعة تدمري ومثله لدى الفاكهي الذي ينقل عنه المصنف، وفي طبعة الذهبي: «المجيرون» وفي الأصل: «المجبرون» والخبر لدى الفاكهي ٥/ ١٨٠.

(٢) الفاكهي ٥/ ١٨١.

(٣) الفاكهي ٥/ ١٨١.

ومنها أنه قال: لما ذكر أخبار بنى عبد مناف ذكر ولاية المطلب بن عبد مَناف أمر مكة بعد أخيه وتفسير ذلك، وذلك إشارة إلى أن المشار إليهم كانوا وُلاة مكة، ومنها: أنه قال ـــ لما ذكر ولاية عبد المطلب ـــ: حدثنا عبد الملك بن محمد، عن زياد بن عبد الله، عن ابن إسحاق، قال: ولى السقاية، والرفادة بعد المطلب بن عبد مَناف، عبد المطلب بن هاشم، وتزعم بنو أسد أن الحويرث بن أسد قد ولى الرفادة فى بعض الزمان، وقد كانت بنو أسد تقول ذلك، ولم يُسمع ذلك بتاتًا(١). انتهى.

وفى هذا ما يُشعِر بأنّ الحويرث بن أسد ولى الرفادة فى زمن عبد المطّلب، على ما قيل، وذلك لا يُفهم من الأخبار السابقة عن ابن إسحاق، والله أعلم بصحة ذلك.

ومنها: أن صاحب «المورد العذب الهنى» نقل عن الرشاطى خبرًا فى خروج هاشم بن عبد مَناف إلى الشام، وأخذه من قيصر الإيلاف لقريش، ثم قال: وخرج عبد شمس إلى النجاشى بالحبشة، وأخذ كذلك، وخرج نوفل إلى الأكاسرة بالعراق، وأخذ كذلك، وخرج المطلب إلى حِميَّر وأخذ لهم كذلك. اهـــ.

وفى هذا الخبر من الفائدة على ما سبق، كون عبد شمس خرج إلى النجاشى بالحبشة، وأخذ منه لقومه الإيلاف، وذلك يخالف ما سبق من أنّ نوفل بن عبد مَناف هو الذى أخذ لقومه الإيلاف من النجاشى، والله أعلم.

ومنها: أن هاشمًا وعبد شمس توأمان على ما قيل، ذكر ذلك صاحب «المورد العذب الهنى» لأنه قال: وقيل: إن هاشمًا وعبد شمس توأمان، وأن أحدهما وُلد قبل الآخر، قيل: إن الأول هاشم، وأن إصبع أحدهما ملتصقة بجبهة صاحبه، فنُحّيتْ، فسال دم، فقيل: يكون بينهما دم.

ومنها: أنه اختُلف فى سِنّ هاشم حين مات، فقيل: عشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة، ذكر هذه الفائدة صاحب «المورد».

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٨٢.

ومنها: أنه اختُلف فى سنّ عبد المطلب حين مات، فقال ابن حبيب: إن عُمْرَ عبد المطلب خمسة وتسعون سنة، وأنه تُوُفّى سنة تسع من عام الفيل، وقال السُّهَيْلى: إن عبد المطلب مات وعمره مائة وعشرون سنة. اهـ. وقيل: مائة وعشر سنين، وقيل: مائة وأربعون سنة، وقيل: اثنان وثمانون سنة، ذكر هذه الأقوال الثلاثة: الحافظ مغلطاى فى سيرته، ودُفن عبد المطلب على ما ذكره ابن عساكر بالحَجُون.

قال السُّهَيْلى: وظاهر حديث أبى طالب فى قول النبى ﷺ: «قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها» فكان آخر كلامه: على ملّة عبد المطلب يقتضى أنّ عبد المطلب مات على الشِّرْك.

ووجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافًا فى عبد المطّلب، وأنه قد قيل فيه: مات مسلمًا لما رأى من الدلالات على نبوة سيدنا محمد ﷺ، وعلم أنه لا يُبعث إلاّ بالتوحيد[1] والله أعلم.

غير أنه فى «مُسْنَد البزار» وفى كتاب النسائى من حديث عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة وقد عزَّت قومًا من الأنصار: «لعلك بلغت معهم الكُدَىّ» قال: ويُرْوَى الكرى بالراء، يعنى القبور، فقالت: لا، فقال: «لو بلغت معهم ذلك ما رأيت الجنة، حتى يراها جد أبيك».

وقال السهيْلى: إنه أول من خضب بالسواد من العرب[2]. اهـ.

وقال ابن الأثير: وهو أول من تحنّث بحراء، وكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين.

وقال ابن قُتَيْبة: وكان يُرْفَع من مائدة عبد المطلب للطير والوحوش فى رءوس الجبال، فيقال له: الفيّاض لجوده، ومُطْعِم طير السماء. اهـ. وكان مُجاب الدعوة، يقال: أصاب الناس سَنَةٌ[3]، فاستسقى عبد المطلب على جبل أبى قُبيس،

---

(١) مروج الذهب ٢/ ١٣١.
(٢) الروض الأنف ١/ ٢٤.
(٣) السنة: الجدب والقحط، وفى هـ: «شدة».

فسُقى، والنبى ﷺ يومئذ غلام بين يدى عبد المطلب، وببركته ﷺ سقوا، ذكر هذا الخبر هشام بن الكلبى وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى وغيرهما، وذكر ابن قُتَيْبة أن عبد المطلب عُمى قبل موته.

وقيل: إنّ قُصَىّ بن كلاب قسَّم هذه الأمور بين أولاده كلهم، ذكره الزبير ابن بكار، لأنه قال: حدثنى محمد بن عبد الرحمن المروانى قال: قسَّم قُصَىّ مكارمه بين ولده، فأعطى عبدَ مَناف واسمه المغيرة: السقاية، والندوة، وفيه النبوة والثروة، وأعطى عبد الدار واسمه عبد الرحمن: الحجابة واللواء، وأعطى عبد العُزَّى: الرفادة وأيام منًى، قال: والرفادة الضيافة، وأيام منى: كان الناس لا يجوزون إلا بأمره، ولم أسمع أيام منى إلاّ منه، قال: وأعطى عبد قُصَىّ جهتَى الوادى، ولم أسمع فى جهتى الوادى شيئا. انتهى.

وقيل: إنّ قُصيًّا أعطى عبدَ مَناف السقاية، والرفادة، والقيادة، وأعطى عبدَ الدار السدانة وهى الحجابة، ودار الندوة، واللواء.

ذكر ذلك الأزرقى فى الخبر الطويل الذى رواه عن ابن جُرَيج وابن إسحاق فى ولاية قُصَىّ الكعبة وأمر مكة، وفيه شىء من خبر هذه الأمور، ولنذكر ذلك للفائدة:

روينا عن الأزرقى [بالسند المتقدم إليه قال: حدثنى جدى، قال: حدثنا سعيد ابن سالم، عن عثمان بن ساج](١) عن ابن جُرَيْج، وابن إسحاق، يزيد أحدهما على صاحبه، قالا بعد ذكر ما سبق من خبر قُصَىّ بن كلاب: فحاز قُصَىّ شرف مكة، وأنشأ دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضى بعض أمورها، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قُصَىّ إلاّ ابن أربعين سنة للمشورة، وكان يدخلها ولد قُصَىّ كلهم أجمعون وحلفاؤهم، فلما كَبُرَ قُصَىّ ورَقّ، وكان عبد الدار أكبر ولده وبِكْرَه، وكان عبد مَناف قد شرُف فى زمان أبيه، وذهب شريفه كل مذهب، وعبد الدار، وعبد العُزَّى، وعبد بن قُصَىّ بها، لم يبلغوا ولا أحد من

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذّكر والشرف والعزّ، وكان قُصَيّ وحبى ابنة حليل يحبان عبد الدار ويرقان[1] عليه، لما يريان عليه من شرف عبد مَناف عليه، وهو أصغر منه، وقالت حبى: والله لا أرضى حت تخص عبدَ الدار بشيء تُلحقه بأخيه، فقال قُصَيّ: والله لألحقنه به ولأحْبُوَنّه بذروة الشرف، حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرُها الكعبة إلا بإذنه، ولا يقضون أمرًا ولا يعقدون لواءً إلا عنده، وكان ينظر في العواقب، فأجمع قُصَيّ على أن يقسّم أمور مكة الستة التي فيها الذِكْر والشرف والعزّ بين ابنَيْه، فأعطى عبد الدار: السدانة وهي الحجابة، ودار الندوة، واللواء، وأعطى عبدَ مَناف: السقاية، والرفادة، والقيادة[2].

فأما السقاية فهي حياض من أدم، كانت [على عهد قصيّ][3] توضع بفناء الكعبة، ويُستَقَى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل، ويُسْقَى الحاجّ.

وأما الرفادة فَخَرْجٌ كانت قريش تُخرجه من أقواها في كل موسم، فتدفعه إلى قُصَيّ يصنع به طعامًا للحاجّ، يأكله من لم يكن معه سَعة ولا زاد، فلما هلك قُصَيّ أقيم أمره في قومه بعد وفاته على ما كان عليه في حياته، ووُلّي عبدُ الدار حجابة البيت وولاية دار الندوة واللواء، فلم يزل يليه حتى هلك، وجعل عبد الدار الحجابةَ بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار، وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مَناف ابن عبد الدار، فلم يزل بنو عبد مَناف بن عبد الدار يلون دارَ الندوة، دون ولد عبد الدار، فكانت قريش إذا أرادت أن تتشاور في أمر فتحها لهم عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار، أو بعض ولده أو ولد أخيه، وكانت الجارية إذا حاضت أُدخلت دار الندوة ثم شَقّ عليها بعضُ ولد عبد مَناف بن عبد الدار درعَها ثم درَّعها إياه، وانقلب بها أهلها فحجبوها، فكان عامر بن هاشم بن عبد

---

(١) في المطبوعتين: «ويرأفان» والمثبت رواية الأصل والأزرقي.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٠٩.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمري وهو في الأصل.

مَناف بن عبد الدار يُسَمَّى محيضًا، وإنما سُمِّيت دار الندوة، لاجتماع النداء فيها [بندوتها][(١)] فيجلسون فيها لإبرام أمرهم وتشاورهم[(٢)].

ولم يزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون[(٣)] الحجابة دون ولد عبد الدار، ثم وليها عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، ثم وليها ولده أبو طلحة عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، ثم وليها ولده من بعده، حتى كان فتح مكة، فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم، وفتح الكعبة ودخلها ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملاً على المفتاح، فقال له العباس بن عبد المطلب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أعطنا الحجابة مع السقاية، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة، فتلاها، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح وقال: غَيّبوه، ثم قال: خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه وتعالى، فاعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة، ولا ينـــزعها منكم أو من أيديكم إلا ظالم، فخرج عثمان بن أبي طلحة إلى المدينة مع رسول الله ﷺ، وأقام ابن عمه شَيْبَة بن عثمان بن أبي طلحة مقامه، فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه وهب ابن عثمان، حتى قدم ولد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وولده مسافع بن طلحة ابن أبي طلحة من المدينة، وكانوا بها دهرًا طويلاً، فلما قدموا حجبوا مع بني عمِّهم، فولد أبي طلحة جميعًا يحجبون[(٤)].

وأما اللواء فكان في أيدي بني عبد الدار كلهم، يليه منهم ذوو السِّن والشرف في الجاهلية، حتى كان يوم أُحُد فقُتِل عليه من قُتِل منهم[(٥)].

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو في الأصل.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١١٠.

(٣) تحرف في طبعة تدمرى إلى: «ملوك» وصوابه من الأصل والأزرقي.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١١٠، ١١١.

(٥) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١١١.

وأما السقاية والرفادة والقيادة، فلم تزل لعبد مَناف بن قُصَيّ يقوم بها حتى تُوُفِّي، فولي بعده ابنه هاشم بن عبد مَناف السقاية، والرفادة، وولي عبد شمس بن عبد مناف القيادة، فكان هاشم بن عبد مَناف يُطعم الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش، كان يشتري بما يجتمع عنده دقيقًا، ويأخذ من كل ذبيحة [من بدنة] أو بقرة أو شاة ــ فخذها أو غيره ــ فيجتمع ذلك كله، ثم يحرز به الدقيق ويطعمه الحاج، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جَدْبٌ شديد، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام، فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقًا وكعكًا، فقدم به مكةَ في الموسم، فهشم ذلك الكعك، ونحر الجُزُور وطبخها، وجعله ثريدًا، وأطعم الناس ــ وكانوا في مجاعة شديدة ــ حتى أشبعهم، فسُمِّي بذلك: هاشمًا، وكان اسمه عمرو، وفي ذلك يقول ابن الزبعرى السَّهْميّ:

كانت قريش بيضةً فتفلَّقَتْ ... فالمحّ خالصها لعبد مناف
الرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين هَلُمَّ للأضياف
والخالطين غنيَّهم بفقيرهم ... حتى يعود فقيرهم كالكاف
والضاربين الكبش تبرق بيضه ... والمانعين البيض بالأسياف
عمرو العلا هشم الثريد لمعشر ... كانوا بمكة مسنتين عجاف

يعني بعمرو العلا: هاشمًا[1].

فلم يزل هاشم على ذلك حتى تُوُفي، فكان عبد المطلب يفعل ذلك، فلما تُوُفِّي عبد المطلب قام بذلك أبو طالب في كل موسم، حتى جاء الإسلام وهو على ذلك، وكان النبي ﷺ قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبي بكر ﷺ، حين حج أبو بكر بالناس سنة تسعٍ، ثم عمل في حج النبي ﷺ، في حجة الوداع، ثم أقامه أبو بكر ﷺ في خلافته، ثم عمر ﷺ في خلافته، ثم الخلفاء هَلُمَّ جرًّا، إلى الآن، وهو

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١١١، ١١٢.

طعام الموسم الذى تُطْعِم الخلفاء اليوم فى أيام الحج بمكة، ومنًى، حتى تنقضى أيام الموسم(١).

وأما السقاية فلم تزل بيد عبد مَناف، فكان يسقى الناس الماءَ من بئر كر آدم، وبئر خُم على الإبل فى المزاد والقِرَب، ثم يسكب ذلك الماء فى حياض من أدْم بفناء الكعبة، فيرِدُه الحاجّ حتى يتفرّقوا، فكان يستعذب ذلك الماء، وقد كان قُصَيّ حفر بمكة آبارًا، وكان الماء بمكة عزيزًا، إنما يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم، فأول من حفر قُصَيّ بمكة حفر بئرًا يقال لها: العَجُول، وكان موضعها فى دار أم هانئ ابنة أبي طالب بالحَزْوَرَة وكانت العرب إذا قدمت مكة يرِدُونها فيستقون منها ويتزاحمون عليها، فقال قائل فيها:

أروى من العجول ثمت انطلقْ إنّ قُصيًّا قد وَفَى وقد صَدَقْ(٢)

[بالشبع الحى ورى المغتبق](٣)

وحفر قُصَيّ أيضًا بئرًا عند الردْم الأعلى، عند دار أبان بن عثمان التى كانت لآل جحش بن رئاب، ثم دثرت، فنثلها جُبير بن مُطعم بن عَدىّ بن نوفل بن عبد مَناف وأحياها، ثم حفر هاشم بن عبد مُناف بئر بذّر، وقال حين حفرها: لأجعلنها للناس بلاغًا، وهى البئر التى فى حق المقوم ابن عبد المطلب فى ظهر دار الطلوب مولاة زبيدة بالبطحاء فى أصل المستنذر، وهى التى يقول فيها بعض ولد هاشم:

نحن حفرنا بذّر

بجانب المستنذر

نسقى الحجيج الأكبر(٤)

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١١٢.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١١٢، ١١٣.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل ومثله لدى الأزرقى وجاء محرفًا فى طبعة الذهبى.

(٤) نحن... الأكبر، ورد محرفًا فى: م، وبهامشها: «هكذا ورد البيت فى النسختين وهو غير مستقيم الوزن».

قلت: وكيف يستقيم الوزن ما دام محرفًا! هذا وصوابه من الأصل والأزرقى ١/ ١١٣.

وحفر أيضًا هاشم سَجْلة، وهى البئر التى يقال لها بئر جُبير بن مُطْعَم، دخلت فى دار القوارير فكانت سَجْلَة لهاشم بن عبد مناف، فلم تزل لولده حتى وهبها أسد بن هاشم لُمطْعَم بن عَدِىّ، حين حفر عبد المطلب زمزم، واستغنوا عنها، ويقال: وهبها له عبد المطلب حين حفر زمزم واستغنى عنها، وسأله الُمطْعَم بن عَدِى أن يضع حوضًا من أدم إلى جنب زمزم يُسقَى فيه من ماء بئره، فأذن له فى ذلك، فكان يفعل، فلم يزل هاشم بن عبد مناف يسقى الحاج حتى تُوُفِّى، فقام بأمر السقاية بعده عبد المطلب بن هاشم، فلم يزل على ذلك حتى حفر زمزم، فعفت على آبار مكة، فكان منها مشرب الحاج قال: كانت لعبد المطلب إبل كثيرة، فإذا جاء الموسم جمعها، ثم يسقى لبنها بالعسل فى حوض من أدم عند زمزم، ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج، لأنه يكسر غلَظَ ماء زمزم، وكانت إذ ذاك غليظة جدًّا، وكان الناس إذ ذاك لهم فى بيوتهم أسقية فيها الماء من هذه الآبار، ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر، لأنه يكسر عنهم من غلَظ ماء آبار مكة، وكان الماء العذْب بمكة عزيزًا لا يوجد إلاّ لإنسان يستعذَب له من بئر ميمون فى خارج مكة، فلبث عبد المطلب يسقى الناس حتى تُوُفِّى، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب ﷺ، فلم يزل فى يده، وكان للعباس كرْم بالطائف، وكان يحمل زبيبه إليها، وكان يداين أهل الطائف، ويقتضى منهم الزبيب، فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج فى أيام الموسم، حتى ينقضى فى الجاهلية، وصدْر الإسلام، حتى دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب، والحجابة من عثمان بن طلحة، فقام العباس ابن عبد المطلب، فبسط يده، وقال: يا رسول الله بأبى أنت وأمى، اجمع لى الحجابة والسقاية [فقال رسول الله ﷺ: أعطيكم ما ترزءون فيه ولا ترزءون منه[1]] فقام النبى ﷺ بين عضادتى الباب أى باب الكعبة، فقال: «ألا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدَمَىّ هاتين، إلا سقاية الحاج

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل ومثله لدى الأزرقى.

وسدانة الكعبة فإني قد أمضيتها لأهلها على ما كانت عليه فى الجاهلية» فقبضها العباس ﷺ فكانت فى يده حتى تُوُفّى، فوليها بعده عبد الله بن العباس، وكان يفعل فيها كفعله دون بنى عبد المطلب، وكان محمد بن الحنفية ﷺ قد كلم فيها ابن عباس، فقال له ابن عباس ﷺ: ما لك وها، نحن أولى بها فى الجاهلية والإسلام، قد كان أبوك تكلم فيها فأقمت البينة، وشهد لى طلحة بن عبد الله، وعامر بن ربيعة، وأزهر بن عبد عَوف ومخرمة بن نوفل، وأنّ العباس بن عبد المطلب كان يليها فى الجاهلية بعد عبد المطلب، وجدك أبو طالب فى إبله فى باديته بعَرَفة، وأن رسول الله ﷺ أعطاها العباس يوم الفتح دون بنى عبد المطلب، فعرف ذلك من حضر، فكانت بيد عبد الله بن عباس بعد أبيه لا ينازعه فيها منازع، ولا يتكلّم فيها متكلّم حتى تُوُفّى، فكانت فى يد على بن عبد الله بن عباس، يفعل بها كفعْل أبيه وجده، يأتيه الزبيب من ماله بالطائف وينبذه، حتى تُوُفى، فكانت بيد ولده حتى الآن.

وأما القيادة فوليها من بنى عبد مناف عبد شمس بن عبد مَناف، ثم وليها من بعده أمية بن عبد شمس، ثم من بعده حرب بن أمية، فقاد بالناس يوم عكاظ فى حرب قريش وقيس عيلان، وفى الفجارين: الفجار الأول، والفجار الثانى، وقاد الناس قبل ذلك فى حرب قريش، وبنى بكر بن عبد مناة بن كنانة، والأحابيش يومئذ مع بنى بكر تحالفوا على جبل يقال له: الحبشى، على قريش فسُمّوا: الأحابيش، بذلك، ثم كان أبو سفيان بن حرب يقود قريشًا بعد أبيه حتى كان يوم بدر، فقاد الناس عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان أبو سفيان بن حرب فى العير يقود الناس، فلما أن كان يوم أُحُد، قاد الناسَ أبو سفيان بن حرب، وقاد الناس يوم الأحزاب، وكانت آخر وقعة لقريش: وحرب، حتى جاء الله تعالى بالإسلام وفتح مكة[1]. انتهى. والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١١٣ – ١١٥.

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر شيء من خبر الفجار والأحابيش

روينا في السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام، وروايته عن البكائي عنه، قال ابن هشام: «فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما حدثني أبو عُبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء قال: هاجت حرب الفجَار بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عَيْلان، وكان الذي هاجها أنَ عُروة الرحال بن عُتْبة بن جعفَر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، أجار لطيمةً للنعمان بن المنذر، فقال له البراض بن قيس أحد بني ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: أتُجيرُها على كنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلق كلهم، فخرج عُروة الرحَّال، وخرج البرَّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتَيْمن ذى طلال بالعالية، غفل عُروة، فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سُمّيَ: الفجار، وقال البرّاض في ذلك:

وداهيةٍ تهمّ الناس قبلي شددتُ لها بني بكْر ضُلوعي
هدمتُ بها بيوت بني كِلاب وأرضعتُ الموالي بالضُّروعِ
رفعت له بذى طلال كفي فخر يميد كالجِذْع الصَّريعِ

وقال لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب:

فأبلغْ إنْ عرضتَ بني كلاب وعامر والخطوب لها موالي
وبلِّغ إنْ عرضتَ بني نُمَيرٍ وأخوالَ القتيل بني هلال
بأنّ الوافد الرحّال أمسى مقيمًا عند تَيْمَنَ ذى طلال[1]

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام، فأتى آت قريشًا فقال: إن البرَّاض قد قتل عُروة، وهو في الشهر الحرام بعُكاظ، فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم، ثم بلغهم الخبر، فأتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا، حتى جاء الليل، ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن بعد، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيامًا، والقوم متساندون[2] على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كل قبيل

(١) الخبر والشعر لدى ابن هشام في السيرة ١/ ١٨٦.
(٢) متساندون: أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم.

من قيس رئيس منهم، وشهد رسول الله ﷺ بعضَ أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنت أُنَبِّلُ على أعمامي» أى أردّ عنهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رموهم بها.

قال ابن إسحاق: هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وإنما سُمّي حرب الفِجار بما استحل هذان الحيان: كنانة وقيس عَيلان فيه من المحارم بينهم.

وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، فكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس. انتهى[١].

وذكر الفاكهى خبر الفجار، وذكر فيه غير ما ذكره ابن إسحاق وابن هشام، فنذكر شيئًا من ذلك لما فيه من الفائدة، لأنه قال: وحدثنى عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله، عن ابن إسحاق، قال: كان الفجار الآخر بعد الفيل بعشرين سنة، فلم يكن فى العرب يوم أعظم ولا أذهب ذكرًا فى الناس منه بين قريش ومن حالفها من كنانة وبنى قيس عيلان، فالتقوا فيها بعُكاظ، وإنما سُمّى يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم.

وقد كان قبله يوم بين بنى جَبَلَة وتميم [وكان يومًا مذكورًا من أيام العرب، ولم يكن كيوم عكاظ، وذكر حديثًا طويلاً][٢] وروى أشعارًا كثيرة اختصرناها مخافة التطويل، ولذلك موضع غير هذا[٣].

وحدثنى حسن بن حسين الأزدى قال: حدثنا محمد بن حبيب عن أبى عبيدة أن فجار البراض بين كنانة وبين قيس أربعة أيام، فى كل سنة يوم، وكان أوله يوم شَمْطَةَ[٤] من عُكاظ، وعلى الفريقين الرؤساء من قريش غير أبى براء، وكانت

---

(١) ابن هشام ١/ ١٨٦.
(٢) ساقط من: م.
(٣) الفاكهى ٥/ ١٨٥.
(٤) اختلفت المصادر بخصوص لفظة (شمطة) حيث وردت فى طبعة تدمرى: شطيبة» وكذا طبعة الذهبى وفى الأصل «شطمة» ولدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف: شطيبة، ولدى ابن فهد فى إتحاف الورى ١/ ١٢٦ «يوم شيظمة من أيام الفجار الخمسة، ولدى ياقوت: شمظة، ورواه الأزهرى بالظاء المعجمة، ولدى البكرى: يوم شمظة بالظاء المعجمة، وفى العقد الفريد ٥/ ٢٥٦ والأغانى ٢٢/ ٦٥: شمطة والمثبت رواية معجم البلدان والأغانى والعقد الفريد.

هوازن من وراء المسيل، وقريش دون المسيل، وبنو كنانة فى بطن الوادى، وقال لهم حرب بن أمية: إن أبيحت فلا تبرحوا مكانكم، وعبَّأت هوازن، فأخذوا مصافهم، وعبأت قريش، فكان على إحدى المُجَنَّبَتَيْن ابن جُدْعان، وعلى الأخرى كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وحرب بن أمية فى القلب، فكانت الدائرة أول النهار لكنانة على هوازن، حتى إذا كان آخر النهار وصبرت، فاستحرّ القتل فى قريش، فلما رأى ذلك الذين فى الوادى من كنانة، مالوا إلى قريش، وتركوا مكانهم، فلما فعلوا ذلك استحر القتال بهم، فقُتل تحت رايتهم ثمانون رجلاً، وقال آخرون: لما رأت ذلك بنو بكر بن عبد مَناة نَجَابهمْ رئيسهم استبقاءً لقومه، فاعتزل بهم إلى جبل يقال له: رَخَم، وقال: ادعوهم، وَلَوَددْتُ أنه لم يُفْلت منهم أحد، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة، ولم يُقتل من قريش أحد يذكَر، وزالت آخر النهار من بنى بكر[١].

ذكر يوم العَبْلاء

حدثنى الأزدى قال: حدثنى محمد عن أبى عبيدة قال: وجمع هؤلاء وأولئك، فالتقوا بالعَبْلاء، وهو الجبل إلى جنب عُكاظ، ورؤساؤهم الذين كانوا يوم الشطيمة بأعيانهم، فكانت الدائرة أيضًا فيه لهوازن على كنانة[٢].

ذكر يوم شَرِب

حدثنى الأزدى قال: حدثنى محمد، عن أبى عُبيدة قال: ثم جمع الفريقان على قرن الخيول فى اليوم الثانى من عُكاظ، فالتقوا فيه بِشَرِب من عُكاظ، وعليهم رؤساؤهم الذين كانوا قبلاً، ولم يكن يوم أعظم منه، فحمل يومئذ ابن جُدعان ألفًا على ألف بعير، فالتقوا، وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان، يوم شمطة، ويوم العَبْلاء، فخشوا مثلها، وحافظوا يومئذ، وقيدت بنو أمية فيه أنفسهم،

(١) الفاكهى ٥/ ١٨٥، ١٨٦.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٨٦.

وحافظت مخزوم فصبرت وبنو عبد مَناة بن كنانة ليعفى على صنيعها يوم شمطة، وصابرت مضر وثقيف، وذلك أن عُكاظًا بلد لهم به نخل وأموال، فلم يعبوا شيئًا، فقاتلوا حتى أمسوا وانهزموا، وذكر شعرًا لابن الزِّبَعْرى يمدح به نفرًا من قريش(١).

ثم قال: وحدثنى الزبير بن أبى بكر قال: وحدثنى محمد بن الضحاك عن أبيه قال: العنابس حرب وأبو حرب، وأبو سفيان بنو أمية، وإنما سُموا العَنَابس، لأنهم عقلوا(٢) أنفسهم يوم عُكاظ، وقاتلوا قتالاً شديدًا فشُبّهوا بالأسد، والأسد يقال له: العَنْبَس(٣).

ثم قال: وحدثنا الزبير بن أبى بكر قال: حدثنى مُصْعَب بن عثمان، ومحمد بن الضحاك الحزامى، أن خُوَيْلد بن أسد [كان] يوم عُكاظ على ابن أسد بن عبد العُزَّى(٤).

ذكر يوم الحُرَيْرَة

حدثنى الأزدى حسن بن حسين قال: حدثنى محمد بن حبيب الهاشمى عن أبى عبيدة، قال: كانت فيه الدائرة لهوازن على كنانة، وهو آخر أيامهم، وحُرَيرة إلى جنب عُكاظ مما يلى مهب جنوبها لمن يُقبل يريد مكة من مهب شمالها حتى تقطع دوين قرن، فكان رؤساؤهم الذين كانوا قبلاً إلاّ قيسًا، فإنه مات، وكان بعده الرئيس عليهم ختار بن قيس، وقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية، ومن كنانة ثلاثة رهط قتلهم عثمان بن أسيد(٥) بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٨٧.

(٢) كذا فى الأصل وطبعة تدمرى ومثله لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف، وفى متن طبعة الذهبى: «غفلوا» وبهامشها: فى طبعة تدمرى: عقلوا، وهو خطأ.
قلت: بل الخطأ ما قاله الذهبى.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٨٧.

(٤) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٨٧.

(٥) كذا فى طبعة تدمرى، ومثله لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف، وفى الأصل وطبعة الذهبى: «أسد».

عامر بن صعصعة، وقتل ورقاء بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر أبا مكنف وعمرو وابن أيوب، وقد ذكرهم خِداش بن زُهير في شعره[(١)].

فهذه أيام الفجار الخمسة التي تراجفوا فيها في أربع سنين: أولهن يوم نخلة، حين تبعتهم هوازن، فكان كفاء لا على هؤلاء ولا على هؤلاء، ثم يوم شمطة فكان لهوازن على كنانة، ثم يوم عُكاظ الأول، وهو يوم العَبْلاء، فكان لهوازن على كنانة، ويوم عُكاظ الثاني، وهو يوم شَرِب كان لبني كنانة على هوازن، و لم يكن بينهم يوم أعظم منه، ثم يوم الحُرَيْرة، وهو آخر أيامهم[(٢)].

قال: ثم كان الرجل يلقى الرجل والرجلين، أو أكثر من ذلك أو أقل، فيقتتلون، فربما قتل بعضهم بعضًا، فلقي ابن محمية أخو بني الدئل بن بكر أخا خداش بن زُهير بالصِّفاح فقال أخو زهير بن خِداش: جئت معتمرًا، فقال: لا يلقى الدَّيْنَ أنْ قلت معتمرًا، فقتله ثم ندم، فقال:

اللهمَّ إنّ العامريّ المُعْتَمِر ... لم آت فيه عُذْرًا لمعتذِرِ[(٣)]

ثم إن الناس تداعوا إلى السلم، على أن يُدى[(٤)] الفضل من القتلى التي فيهم، أيّ الفريقين أفضل على الآخر، فتواعدوا عُكاظًا ليتعادُّوا القتلى، وتعاقدوا وتواثقوا أن يتموا على ذلك، وجعلوا بينهما موعدًا يلتقون فيه لذلك، فأبي وهب بن مُعَتِّب[(٥)]، وحالف على قومه، وجعل لا يرضى بذلك، حتى يدركوا ثأرهم، فقال في ذلك أميّة بن جُدْعان بن الأشكر:

المرء وهب وهب آل مُعَتِّب[(٦)] ... ملّ الغُواة وإن يماطل يملل

---

(١) الفاكهي ٥/ ١٨٨.

(٢) الفاكهي ٥/ ١٨٨.

(٣) الفاكهي ٥/ ١٨٨.

(٤) في طبعة تدمري: «أن يُرى» ومثله لدى الفاكهي، وكلاهما تحريف، صوابه من الأصل وطبعة الذهبي.

(٥) كذا في الأصل، وفي طبعة تدمري: «متعب».

(٦) في طبعة تدمري: «آل مُتْعِبَة» ومثلها لدى الفاكهي، ولا يستقيم به الوزن، والصواب من الأصل ومثله لدى ابن فهد في إتحاف الورى ١/ ١٢٨ والبيتان من الكامل.

يسعى يعوذها بجزل وقودها وإذا تعايَى صلح قومك فاعمل

وهى فى شعره، واندسّ وهب حتى مكرت هوازن بكنانة، وهم على رأس الصلح، فبعثت خيلاً عليها سلمة بن شعل البكائى وخالد بن هوذة، فيهم ناس من بنى هلال، ورئيسهم ربيعة بن أبى ظبيان، وناس من بنى نصر، عليهم مالك بن عوف، فأغاروا على بنى ليث بصحراء الغميم، وهم غارّون، فقاتلوهم، وجعل مالك يقاتل ويرتجز، وهو أمرد يومئذ، يقول:

أمرد يهدى حلمه شيب اللحا[1]

وهو أول يوم ذكر فيه مالك بن عوف.

فقتلت بنو مدلج يومئذ عُبَيد بن عوف البكائى، وسُبَيْع بن أبى المؤمّل من بنى محارب، ثم انهزمت بنو ليث، فاستحرَّ القتل ببنى الملوح بن يعمر، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً، وساقوا نعْمًا ثم أقبلوا، فعرضت لهم خُزاعة وطمعوا فيهم، فقاتلوهم، فلما رأوا أنه لا بد لهم منهم، قالوا: عرَّضونا من غنيمتكم عراضة، فأبوا، فخلّوا سبيلهم[2] [فقال مالك بن عوف:

نحن جَلَبْنَا الخيلَ من بَطن لِيَّةٍ
وحِلْدَانَ قُبًّا حَافِيَاتٍ وَوُقَّحَا
تواعد ضَبْطَارُو خزاعة حربنا
وما حرب ضَبْطَارٍ يُقَلِّبُ مضجعا][3]

ثم إن الناس تداعوا إلى الصلح، ورهنوا بالوفاء بديات من كان له الفضل فى القتلى، وتم الصلح، ووضعت الحرب أوزارها[4] انتهى.

---

(١) إتحاف الورى ١/ ١٢٩، الفاكهى ٥/ ١٨٩.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٨٩.
(٣) هذان البيتان من إتحاف الورى وطبعة الذهبى وكلماهما كثيرة التحريف فى طبعة الذهبى.
(٤) الفاكهى ٥/ ١٨٩.

وكان آخر أمر الفجار ما ذكره الزُّبير بن بكار، لأنه قال: حدثني محمد بن حسن عن حماد بن موسى عن عبد الله بن عُروة بن الزُّبير قال: حدثني حكيم بن حزام قال: لما توافت كنانة، وقيس، من العام القابل، بعُكاظ، بعد العام الأول الذي كانوا التقوا فيه، ورأس الناسَ حربٌ، خرج معه عُتبة بن ربيعة، وهو يومئذ في حجْر حرب [فمنعه أن يخرج وقال: يا بني أنا بك، فاقتاد راحلته، وتقدم في الأولَ الناس فلم يدر به حرب إلا وهو في العسكر][1] قال حكيم بن حزام: فنـزلنا عُكاظًا، ونزلت هوازن بجمع كثير، فلما أصبحنا [ركب عتبة جملاً ثم صاح في الناس: يا معشر مضر، علام تفانون بينكم؟ هلم إلى الصلح][2] قالت هوازن: وماذا يعرض، قال: أعرض أن أعطي دية من أصيب، قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قالوا: قد قبلنا، فاصطلح الناس، ورضوا بما قال عُتبة: وأعطوهم أربعين رجلاً من فتيان قريش، وكنت فيهم، فلما رأت بنو عامر أن الرهن قد صار في أيديهم رغبوا في العفو، فأطلقوهم.

قال الزبير: وسمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول: لم يسد مملق من قريش إلاَّ عُتبة بن ربيعة وأبو طالب بن عبد المطلب، فإنهما سادا بغير مال. انتهى.

وكلام مُغلطَاي يقتضي أن أيام هذه الفجار ستة، لأنه قال في سيرته على ما أخبرت به عنه: وأيام الفجار أربعة، قاله السُّهَيْلي[3]، والصواب أنها ستة[4] انتهى.

ووقع في كلام الفاكهي ما يقتضي أنه كان قبل الفجار الذي أثاره البَرَّاض فجار آخر، وذكر الفاكهي شيئًا من خبره، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، ونص ما ذكره الفاكهي:

---

(٤) الفاكهي ٥/ ١٨٩.

(١) ساقط من طبعة تدمري وهو في الأصل.

(٢) ساقط من طبعة تدمري وهو في الأصل.

(٣) الروض الأنف ١/ ٣١٩.

(٤) الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطاي ص٧٨.

ذكر الفجار الأول وما كان فيه بين قريش وقيس عيلان وسبب ذلك

حدثنا عبد الملك بن محمد، عن زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق، قال: ثم هاج يوم الفجار الأول بين قريش، ومن كان إلْفها من كنانة كلها، وبين قيس عيلان، وسببه أنّ رجلاً من بنى كنانة كان عليه دَيْن لرجل من بنى نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن، فواعده به الكنانى، فوافاه النّصْرى بسوق عُكاظ يُقَرِّد معه، فوقفه بالسوق، فقال: من يبيعنى مثل هذا بما لى على فلان بن فلان الكنانى، وإنما أراد ذلك النصرى الكنانى وقومه، فمر به رجل من كنانة، فضربه بالسيف فقتله أنفًا مما يقوله النصرى، فصرخ النصرى فى قيس، والكنانى فى بنى كنانة، فتحاوز الناس حتى كادوا أن يكون بينهم قتال، ثم تداعوا بمنًى للصلح، وسرى الخَطْب من أنفسهم، فتراجع الناس وكف بعضهم عن بعض، ولم يكن بينهم إلاّ ذلك(١).

ويقال: بل قعد فتية من العرب من قريش غدية إلى امرأة من بنى عامر ذات هيبة، عليها برقع وهى فى درع فضل، وكذلك نساء العرب يفعلن، فأعجبهم ما رأوه من حسن هيئتها، فقالوا لها: يا أَمَةَ الله أسفرى لنا وجهكِ نَنْظُرْ إليك، فأبَتْ عليهم، فقام غلام منهم فشك درعها إلى ظهرها بشوكة والمرأة لا تدرى، فلما قامت انكشف الدرع عن دبرها، فضحكوا وقالوا: مَنَعْتِنَا أنْ ننظر إلى وجهك فقد نظرنا إلى دُبُرك، فصاحت المرأة فى بنى عامر، فضجّت، فتحاوز الناس ثم ترادوا، ورأوا أن الأمر دون(٢).

ويقال بل قعد رجل من بنى غفار بن خليل بن حمزة يقال له: أبو معشر، كان عارفًا متصنعًا فى نفسه بسوق عكاظ، ومدّ رِجْلَه وقال:

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ١٨٣، ١٨٤ وبعض كلمات هذا الخبر فيها تحريف لدى الفاكهى فى طبعته.

(٢) الفاكهى ٥/ ١٨٤.

نحن بنو مدركة بن خنْدف
من تطعنوا فى عينه لا يطْرف
ومن تكونوا قومه يغطرف

أنا والله أعز العرب، فمن زعم أنه أكرم منّى فليضرْبها بالسيف، فضربه رجل من قيس فخدشها خدشًا غير كبير، فتحاوز الناس عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهم قتال، قال: ثم تراجع الناس ورأوا أن لم يكن بينهم شىء كبير، فكل هذا الحديث يقال فى يوم الفجار، والله أعلم أىّ ذلك كان[١]؟.

قال عبد الملك: قال زياد: قال ابن إسحاق: وقد قال بعض الشعراء شعرًا، قد ذكر فيه عكاظ وما أصابوا من بنى كنانة وضرب رجل أبى معشر فقال:

عمرك الله سائلى أىَّ قوم معشرى فى سوالف الأعصار
نحن كنا الملوك من أهل نَجْدٍ زمن جزناه بميل الدمار
ومنعنا الحجاز: من كل حىّ وقمعْنا الفجار يوم الفِجار
وضربنا به كنانة ضربًا حالفوا بعده سنىّ العسار

قال زياد فى حديثه هذا: وقال ابن إسحاق: فأجابه أمية بن الأسكر بشعْر[٢].

ذكر شىء من خبر الأحابيش ومحالفتهم لقريش

وذكر الزبير بن بكار فى كتاب «النسب» شيئًا من خبر الأحابيش ومحالفتهم مع قريش لأنه قال: وحدثنى محمد بن الحسن قال: تحالفت قريش والأحابيش الأحلاف، فصاروا حلفاء لقريش دون بنى كنانة، والذين عقدوا معهم من قريش بنو عبد مناف بن قُصَىّ، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مَناة بن كنانة والحيا والمصطلق من خُزاعة والقارة بنو الهون بن خزيمة، فكانت قريش والأحابيش أحلافًا متعاقدين والأحابيش على بنى بكر بن عبد مَناة وبنى مُدْلج، فإنْ دهمهم أمر اجتمعوا فصاروا يدًا واحدة، وكانت هذيل مع قريش والأحابيش وكانت خزاعة

---

(١) سمط النجوم العوالى ١/ ١٩٤.
(٢) الخبر والشعر لدى الفاكهى ٥/ ١٨٤، ١٨٥.

كلها إلا الحيا والمصطلق مع بني مدلج قال: وكان تحالف قريش والأحابيش على الركن يقوم رجلان أحدهما من قريش والآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القائل بحرمة هذا البيت، والمقام، والركن، والشهر الحرام، على النصر على الخلق جميعًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاقل والتعاون وعلى من عاداهم من الناس جميعًا، ما بل بحر صوفة وما قام حراء وثبير وما طلعت الشمس من مشرقها، وما غربت من مغربها، إلى يوم القيامة، فسُمُّوا عند ذلك الأحابيش لاجتماعهم انتهى. والله أعلم.

الباب الخامس والثلاثون

فى حلف الفضول وخبر ابن جدعان
الذى كان هذا الحلف فى داره
وذكر أجواد قريش وحكامهم فى الجاهلية، وتملك
عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العُزَّى بن
قُصَىّ عليهم وشىء من خبره

ذكر شيء من خبر حلف الفضول

رويـنـا في «السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام» وروايته عن زياد البكائي شيئًا من خبره، ونص ذلك على ما في السيرة قال ابن هشام: «أما حلف الفضول، فحدثني زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حلف الفضول، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَى لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم وبنو المطلب، وأسد بن عبد العُزَّى، وزُهْرة بن كلاب، وتيم بن مُرّة، فتعاقدوا، وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم، ممن دخلها من سائر الناس، إلاَّ قاموا معه، وكانوا على من ظُلم حتى تدفع عنه مظلمته، فسمَّت قريشٌ ذلك الحلف حلف الفضول.

قال ابن إسحاق: فحدثنا محمد بن زيد عن المهاجر بن قُنْفُذ التيمى أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزُّهْرى يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا، ما أحبّ أن لى به حُمْر النّعَم، ولو أُدْعَى به في الإسلام لأجَبْتُ»[1]. انتهى.

وقد ذكر الزبير بن بكار أشياء من خبر حلف الفضول وأفاد في ذلك غير ما سبق، لأنه قال فيما رويناه عنه: حدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عُبَيدة، قال: كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة، فاشتراها رجل من بني سهم، فلوى الرجل بحقّه، فسأله ماله، فأبى عليه، فسأله متاعه فأبى عنيه، فقام على الحجر وقال:

يا آل فِهْرٍ لمظلومٍ بضاعَتُهُ ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومُحرِمٍ أشعثَ لم يقْضِ عُمْرَته ... بين الإله وبين الحِجْر والحَجَر

أقائم من بني سهْم بذمّتهم ... أم ذاهب في ضلالٍ مال معتَمَر

إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر[2]

---

(١) ابن هشام ١/ ١٣٣.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٤٢.

ثم ذكر الزبير خبرًا يقتضى أن الرجل الذى باع سلعته من السهمى كان من زَبيد، ولا مُنافاة بين كَوْنه من اليمن، وكونه من زَبيد، لجواز نسبته إلى اليمن، باعتبار سُكناه به، والله أعلم.

وفى الخبر الذى فيه أن البائع من زَبيد فوائد ليست فى الخبر الذى فيه أن البائع من اليمن، فاقتضى ذلك ذكْرنا له، ونصّ ذلك على ما فى كتاب الزبير: «حدثنى [محمد بن فضالة عن عبد الله بن زياد بن سمعان، عن ابن شهاب قال: كان شأن حلف الفضول أنه بدأ ذلك أن رجلاً][(١)] من بنى زبيد قدم مَكةَ معتمرًا فى الجاهلية، ومعه تجارة له، فاشتراها منه رجل من بنى سهْم، فأواها إلى بيته، ثم تغيب، فابتغى متاعه الزبيدى، فلم يقدر عليه، فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه، فأغلظوا عليه، فعرف أن لا سبيل إلى ماله، فطوَّف فى قبائل قريش يستعين بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبى قبيس حين أخذت قريش مجالسها، ثم قال بأعلى صوته:

يا آل فِهْر لمظلومٍ بضاعته ... ببطن مكة نائى الأهل والوطن
ومُحْرِم أشعث لم يقض عُمْرَته ... يا آل فِهرْ وبين الحِجْر والحجر
هل مخفر من بنى سهْم بخفرتهم ... فعادل، أم ضلال مال معتمر

فلما نزل من الجبل أعظمت ذلك قريش، فتكلموا فيه، فقال المطيبون: والله لئن قمنا فى هذا لنغضبن على الأحلاف، وقال الأحلاف: والله لئن تظلَّمنا فى هذا لنغضبنَّ على المطيبين، فقال ناس من قريش: تعالوا فلنكرر حلف الفضول دون المطيبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا فى جار عبد الله بن جُدْعان، وصنع لهم يومئذ طعامًا كثيرًا، وكان رسول الله ﷺ يومئذ معهم قبل أن يُوحَى إليه، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فاجتمعت بنو هاشم، وأسد، وزُهرة، وتَيْم، وكان الذى تعاقد معهم قبل أن يُوحَى إليه، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فاجتمعت بنو هاشم، وأسد، وزُهرة، وتَيْم، وكان الذى تعاقد عليه القوم وتحالفوا أن لا يُظلم بمكة

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

غريب ولا قريب، ولا حُرّ ولا عبد، إلاّ كانوا معه، حتى يأخذوا له بحقه، ويؤدوا[١] إليه مظلمته من أنفسهم، ومن غيرهم، ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جَفْنَة، ثم بعثوا به إلى البيت، فغُسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربوه، فحدث هشام بن عُروة، عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: لقد «شهدت فى دار عبد الله بن جدعان، من حلف الفضول ما لو دُعيتُ إليه اليوم لأجبتُ، وما أحبُّ أنّ لى به حُمْر النَّعَم»[٢].

قال الزبير: حدثنى عبد العزيز بن عمر العنبسى أن الذى اشترى من الزَّبيدى المتاعَ: العاص بن وائل السهْمى، وقال: حلف الفضول بنو هاشم وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العُزَّى، وبنو زُهرة، وبنو تَيْم، تحالفوا بينهم بالله، لا يُظلم أحد بمكة إلاّ كنا جميعًا مع المظلوم على الظالم، حتى نأخذ له مَظْلَمته ممن ظلمه، شريفًا أو وضيعًا منّا، أو من غيرنا، ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل، فقالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدى إليه حقه، فأعطى الرجل حقه، فمكثوا كذلك لا يُظلم أحدٌ حقه بمكة إلاّ أخذوه له، فكان عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلاً وحده خرج من قومه لخرجتُ من بنى شمس حتى أدخل فى حلف الفضول، وليست عبد شمس فى حلف الفضول[٣].

وحدثنى محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه وعن محمد بن فضالة، عن هشام بن عُروة، وعن إبراهيم بن محمد، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد أن بنى هاشم وبنى المطلب وأسد بن عبد العُزَّى، وتَيْم بن مُرّة، تحالفوا على أن لا يَدَعُوا بمكة كلها، ولا فى الأحابيش مظلومًا يدعوهم إلى نُصْرته إلاّ أنجدوه، حتى يردوا إليه مَظْلمته، أو يبلغوا فى ذلك عذرًا، وعلى أن لا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلاّ أخذوه، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المُنْكَر،

---

(١) فى المطبوعتين: «ويردوا» وأثبت رواية الأصل.
(٢) الخبر بطوله لدى الفاكهى ٥/ ١٩٠، ١٩١.
(٣) إتحاف الورى ١/ ١٢١، الفاكهى ٥/ ١٩١.

وبذلك سُمّي حلف الفضول: بالله على الظالم حتى نأخذ للمظلوم حقّه ما بلّ بحر صوفة، وعلى الناس فى المعاش(١).

وذكر الزبير ما يوهم أن سبب حلف الفضول غير ما سبق، لأنه قال: وقال بعض العلماء إن قيسا السلمي باع متاعًا من أُبيّ بن خَلَف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بني جُمَح، فلم يقم بجواره، فقال قيس:

يا آل قُصيّ كيف هذا في الحرم ... وحُرْمة البيت وأخلاق الكرم

أظْلَم لا يمنع مِنّي من ظلم

وبلغ الخبرُ عباسَ بن مرداس فقال:

إنْ كان جارك لم تنفعك ذمّته ... وقد شربت بكأس الذل أنفاسا

فأت البيوتَ وكنْ من أهلها صددا ... ولا تُبديهم فُحْشًا ولا باسا

وثَمَّ كُنْ بفناء البيت معتصمًا ... تلقى ابن حرْب ويلقى المرء عباسا

ساقي الحجيج وهذا ياسر فلح ... والمجد يورث أسداسًا وأخماسًا

وقام العباس وأبو سفيان حتى ردًّا عليه متاعه، واجتمعت بطون قريش فتحالفوا على رد الظلم بمكة، وأن لا يُظلم أحد إلاّ منعوه وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم فى دار ابن جُدْعان، فقال رسول الله ﷺ: «شهدت حلفًا فى دار ابن جُدْعان، ما أحبّ أنّ لى به حُمْر النَّعَم، ولو دُعيتُ به لأجَبْتُ» فقال قوم من قريش: هذا والله أفضل من الحلف، فسُمّي: حلف الفضول.

قال: وقال الآخرون: فحالفوا على مثال حلف تحالفت عليه قوم من جُرْهم فى هذا الأمر، ألا يلقوا ظلمًا ببطن مكة إلاّ غيّروه، وأسماهم: الفضل بن شُراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قُضاعة، والله أعلم أيّ ذلك كان؟(٢).

وذكر الزُّبير خبرًا يقتضي أن البائع من أُبيّ بن خَلَف رجل من ثمالة؛ لأنه قال: حدثني على بن صالح عن جدي عبد الله بن مُصْعَب عن أبيه، فذكر قصّته، ثم قال: فبلغ ذلك معاوية، وعنده جُبير بن مُطْعَم، فقال له معاوية: يا أبا محمد كنا فى

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٩٢.

(٢) الفاكهى ٥/ ١٩٢، ١٩٣.

حلف الفضول؟ قال له جُبَير بن مُطْعَم: لا، وقد مر رجل من ثمالة، فباع سلعة له من أبي بن خلف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، فظلمه، وكان سيئ المخالطة، فأتى الثُمَالي أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا: اذهب فأخْبِره بأنك قد أتيتنا، فإنْ أعطاك حقك وإلاّ فارجع إلينا، فأتاه فأخبره ما قال له أهل حلف الفضول، وقال له: فما تقول؟ فأخرج إليه حقه، فأعطاه إياه، فقال:

أتعجزني ببطن مكة ظالمًا
وإنّي ولا قومي لديّ ولا صحبي
وناديت قومي بارقًا لتجيبني
وكم دون قومي من فيافٍ ومن شُهُب؟
ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي
بني جُمَح والحق يوخَذُ بالغصّب[1]

وذكر الزبير خبرًا يوهم أن سبب حلف الفضول غير ما سبق، لأنه قال: حدثني غير واحد من قريش، منهم عبد العزيز بن عمر العَنْبَسي، عن مُضَاض بن عبد الله بن عُتبة: أن رجلاً من خَثْعَم قدم مكة تاجرًا، ومعه ابنة له يقال لها القَتُول أوضأ نساء العالمين، فعلقها نُبَيْه بن الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سَهْم، فلم يبرح حتى نقلها إليه، وغلب أباها عليها، فقيل لأبيها: عليك بحلف الفضول، فأتاهم وشكا ذلك إليهم، فأتوا نُبَيْه بن الحجّاج وقالوا: أخْرِجْ ابنةَ هذا الرجل، وهو يومئذ بناحية مكة وهي معه وإلاّ فإنّا من قد عَرَفْتَ، فقال: يا قوم متعونى بها الليلة، فقالوا: قبّحك الله ما أجهلك، لا والله ولا شُخْب لَقْحَة، فأخرجها إليهم، فأعطوها أباها، وركب معهم الخثعمي، فلذلك يقول نبيه بن الحجاج:

راح صحبى ولم أُحَيِّ القَتُولا لم أودعهم وداعًا جميلاً

وذكر بقية الأبيات، وقال نُبَيْه في ذلك أبياتًا أُخَر[2].

---

(١) الفاكهي ٥/ ١٩٣.
(٢) الفاكهي ٥/ ١٩٣.

وذكر الفاكهى من خبر حلف الفضول عن الزبير بن بكار جميع ما ذكرناه عن الزبَير.

وذكر الفاكهى فى ذلك غير ما سبق، فاقتضى ذلك ذكْرنا له لما فيه من الفائدة، ونصّ ما ذكر الفاكهى: ذكْر حلف الفضول، وسببه، وتفسيره، وغيره من الحلف، ثم إن قريشًا تداعت إلَى الفضول، وذلك بعد رجوعهم من عُكاظ، ويقال: بعد فراغهم من بنيان الكعبة، وكان حلفًا جميلاً على قريش، لأنّ رسول الله ﷺ حالف فيه، فاجتمعوا فى ذلك فى دار ابن جُدْعان لشرفه وموضعه فى قومه(١)، وكانت له أسباب سأذكرها إن شاء الله تعالى.

حدثنى عبد الله بن شبيب الربعى مولى بنى قيس بن ثعلبة قال: حدثنى أبو بكر ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة الخُزاعى، قال: حدثنى عمرو ابن أبى بكر العدوى، قال: حدثنا عثمان بن الضحاك عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت جدّى حكيم بن حِزام يقول: انصرفت قريش من الفجار، وكان رسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وكان حلف الفضول فى شوال، وكان أشرف حلف وأعظم بركة، وذلك أن الرجل من العرب أو غيرها من العجم، كان يقدمَ مكة بسلعة، فربما ظُلم ثَمنها، وكان آخر من ظُلم بها رجل من بنى زَبيد، فقدم مكة بسلعة له، فباعها من العاص بن وائل، فظلمه ثمنها، فطاف فى الأحلاف: عبد الدار، وجُمَح، وسهْم ومخزوم، فسألهم أن يعينوه على العاص بن وائل، فزجروه وتجهموه، وأبوا أن يغلبوه على العاص، فلما نظر إلى سلعته قد حيل دونها، رَقِىَ على جبل أبى قُبَيْس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتها، فصاح بأعلى صوته:

يا لَفِهْر لمظلوم بضاعَتَهُ ... ببطن مَكةَ نائى الدار والنَّفَر
ومُحْرِم أشعثَ لم يَقْضِ عُمْرَته ... يالَلرِّجال وبين الحِجْر والحَجَر
هل مُحضر من بنى سهْم بخفرته ... وعادل أم ضلال مال مُعْتَمر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر(٢)

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٩٤.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٩٠.

فقال الزبير بن عبد المطلب: إنّ هذا الأمر ما ينبغى لنا أن نمسك عنه، فطاف فى بنى هاشم، وزُهرة، وأسد، وتَيْم، فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدعان، وتحالفوا بالله القائل لنكونن يدًا للمظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة، وما رسا حِراء وثبير فى مكانهما، وعلى التأسى فى المعاش، ثم نهضوا إلى العاص بن وائل فنـــزعوا سلعة الزَّبيدى، ودفعوها إليه، فقالت قريش: إنه قد دخل هؤلاء فى فضلٍ من الأمر، فسُمِّى: حِلف الفضول، فقال الزُّبير بن عبد المطلب:

حلفت لنعقدَنَّ حلفًا عليهم ... وإنْ كنا جميعًا أهل دار
نسمِّيه، الفضول، إذا عقدنا ... مقربة الغريب لذى الجوار
ويعلم مَن حوالى البيت أنا ... أُباة الضَّيْم نمنع كل عار(١)

قال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنى عمرو بن أبى بكر قال: كان يقال: كان فى جُرْهم مثل هذا الحلف، فمشى فيه رجال، منهم فضل وفضال وفَضَالة، فسموه حلف الفضول، وقال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا ... أن لا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا ... فالجار المظلوم فيهم سالم(٢)

وقد بان بما ذكرناه من هذه الأخبار المتعلقة بحلف الفضول فوائد كثيرة تتعلق بذلك، وإنما سبب تسميته بحلف الفضول، كون الذين تحالفوا عليه قد سُبقوا بحلف مثله، سبق إليه جماعة مّن جُرْهم، يُقال لكل منهم: الفضل، أو ما يقرب من معناه.

وأشار السُّهَيْلى إلى أنّ تسميته بحلف الفضول، لكون الذين تحالفوا عليه تحالفوا على أنْ يردوا الفضول على أهلها، لأنه قال بعد أن حكى عن ابن قُتَيْبة: إن سبب تسميته أن جماعة من جُرْهم يقال لأحدهم الفضل بن فضَالة، والثانى الفضل بن وَدَاعة، والثالث فضيل بن الحارث، ومن تبعهم سبقوا قريشًا إلى مثل هذا الحلف، والذى قاله ابن قُتَيْبة حَسَن، ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٩٥.
(٢) الفاكهى ٥/ ١٩٥.

وأولى، روى الحُمَيْدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابنى أبى بكر قالا: قال رسول الله ﷺ: «شهدت فى دار عبد الله بن جُدْعَان حلفًا لو دُعيتُ به فى الإسلام لأجبتُ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وأنَ لا يَعُزّ[1] ظالم مظلومًا» ورواه فى مُسْنَدِه الحارث بن عبد الله بن أبى أسامة التميمى، فقد بين هذا الحديث: لِمَ سُمّى حِلفَ الفضول؟ وكان حلف الفضول بعد الفجار، وذلك أن حرب الفِجار كانت فى شعبان [وكان حلف الفضول فى ذى القَعدة قبل المبعث بعشرين سَنة][2] وكان حِلف الفضول أكرم حِلفٍ سُمع به وأشرفه فى العرب، والفضول: جمع فضل[3]. انتهى.

ذكر شىء من خبر ابن جُدْعان الذى كان فى داره حِلف الفضول

هو عبد الله بن جُدْعان، بن عمرو، بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرّة، بن كعب بن لُؤَىّ، بن غالب، القُرَشى التميمى المكى، يُكْنَى أبا زهير، من رهط أبى بكر الصديق ﷺ، وكان من رؤساء قريش وأجوادهم، وله فى الجود أخبار شهيرة، منها أنه كانت له جَفْنة للأضياف يُستَظَلّ بظلّها فى الهاجرة، لأن فى «غريب الحديث» لابن قتيبة أن رسول الله ﷺ قال: كنت أستظلّ بظلّ جَفْنة عبد الله بن جُدْعان بمكة فى الهاجرة.

قال ابن قتيبة: كانت جَفْنته يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها صبىّ فغرق، أى مات[4].

ومنها على ما قال هشام بن الكلبى: كان له مناديان يناديان، أحدهما بأسفل مكة، والآخر بأعلى مكة، وكان المناديان سفيان بن عبد الأسد، وأبو عبد قُحَافة،

---

(١) فى المطبوعتين: «وألا يعين» والمثبت رواية الأصل والسهيلى.
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٣) الروض الأنف ١/ ٢٤٢.
(٤) الروض الأنف ١/ ٢٤٤.

وكان أحدهما ينادى: ألا من أراد اللحم، والشحم، فليأت دار ابن جُدْعان، [وينادى الآخر: ألا من أراد الفالوذج فليأت دار ابن جدعان] وهو أول من أطعم الفالوذج بمكة، ذكر هذا الخبر عن ابن الكلبى الفاكهى فى «أخبار مكة»[١].

ومنها: أنّ أميّة بن أبى الصَّلْت قبل أن يمدح ابن جُدْعان، كان قد أتى بنى الدَّيَّان من بنى الحارث بن كعب، فرأى طعام بنى عبد الديَّان منهم لُباب البُر والشُّهد والسمْن، وكان ابن جُدعان يطعم التمر والسَّوِيق ويسقى اللبن، فقال أميّة:

ولقد رأيت الفاعلين وفِعْلَهم ... فرأيت أكرمهم بنى الديان
البُرُّ يُلْبكُ بالشُّهاد طعامُهم ... لاما يعللنا بنو جُدْعان[٢]

فبلغ شعرُه عبدَ الله بن جُدْعان، فأرسل ألفىْ بعير إلى الشام تحمل إليه البُرَّ والشُّهْد والسمن، وأمر مناديًا ينادى على الكعبة: ألا هَلُمُّوا إلى جَفْنة عبد الله بن جُدعان، فقال أمية عند ذلك:

له داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌّ ... وآخر فوق كعبتها ينادى
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها ... لُباب البُرّ يُلْبَك بالشّهاد

وكان ابن جُدْعان فى بدء أمره صُعْلوكًا تَرِبَ اليَدَيْن، وكان مع ذلك شِرِّيرًا فاتكًا، لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه، حتى أبغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف أن لا يأويه أبدًا، لما أثقل به من الغُرْم، وحَمَّله من الدِّيات، فخرج فى شِعَاب مكة حائرًا بائرًا يتمنى الموت أن ينـزل به، فرأى شقًّا فى الجبل، فظن فيه حية، فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح، فلم ير شيئًا، فدخل فيه، فإذا فيه ثعبان عظيم، له عينان [تقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانسابت عيناه][٣] مستديرتان ينظران نحو بيت، فخطا خطوة، فصفر به الثعبان، وأقبل عليه كالسهْم، فأفرج له، فانساب عنه قُدُمًا لا ينظر إليه، فوقع فى

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٩٦ وما بين حاصرتين ساقط من: ء.
(٢) الروض الأنف ١/ ٢٤٥.
(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل والروض الأنف.

نفسه أنه مصنوع، فأمسكه بيده، فإذا هو مصنوع من ذهب، وعيناه ياقوتتان، فكسره وأخذ عينيه، ودخل البيت، فإذا جُثَثٌ على سُرُرٍ طوال لم ير مثله طولاً وعظَمًا، وعند رءوسهم لوح من فضّة، فيه تاريخهم، وإذا هم رجال من ملوك جُرْهم، وآخرهم موتًا الحارث بن مُضَاض صاحب الغربة الطويلة، وإذا عليهم ثياب لا يُمسّ منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمن، وشِعْر مكتوب فى اللوح، فيه عظات، آخر بيت منه:

صاح هلَ رَأَيْتَ أو سمعت براعٍ ردّ فى الضّرع ما قَرَى فى الحلاب(١)

وقال ابن هشام: كان اللوح من رُخام، وكان فيه: أنا نفيلة بن عبد المدان بن خَشْرَم بن عبد يا ليل بن جُرْهُمْ بن قَحْطان بن هود نبى الله، عشت خمسمائة عام، وقطعت غَوْر الأرض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة، والمجد، والملك، فلم يكن ذلك ينجينى من الموت، وتحته مكتوب:

قد قطعت البلاد من الثر
وة والمجد قالص الأثواب
وسريْتُ البلادَ قفْرًا لقفر
بقناتى وقُوَّتى واكتسابى
فأصاب الردى بنات فؤادى
بسهام من المنايا صياب
[فانقضت شِرّتى، وأقصر جهلى
واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما
نزل الشيب فى محل الشباب
صاح هل رَيْت أو سمعت براعٍ
ردّ فى الضرع ما قَرَى فى الحِلاَب](٢)

---

(١) الروض الأنف ١/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٤٦ وما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل والروض الأنف ووردت الأبيات فى طبعة الذهبى وكلماتها كثيرة التحريف.

وإذا فى وسط البيت كَوْمٌ عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة، فأخذ منه ما أخذ، ثم علّم على الشق بعلامة، وأغلق بابه بالحجارة، وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه، ووصل عشيرته كلهم، وجعل يُنفق من ذلك الكنــز ويطعم الناس ويفعل المعروف.

وذكر حديث كنــز ابن جُدْعَان موصولاً بحديث الحارث من مُضَاض: ابن هشام فى غير هذا الكتاب، ووقع أيضًا فى كتاب «ريّ العاطش وأنس الوَاحش» لأحمد بن عمّار، أن ابن جُدْعان حرم الخمر فى الجاهلية، بعد أن كان مُغْرًى بها وذلك أنه سكر فتناول القمر ليأخذه، فأُخبر بذلك حين صحا، فحلف لا يشربها أبدًا، ولما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله، ولاموه فى العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم قال: قم فانشُدْ لطمتك، واطلب ديَتَها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تَيْم من مال ابن جُدْعان حتى يرضى. انتهى. من كتاب السُهَيْلى[١].

وجميع ما ذكرناه من خبره عن ابن الكلبى.

وفى مسلم أن عائشة رضى الله عنها قالت لرسول الله ﷺ: إنّ ابن جُدْعان كان يُطعم الطعام، ويقرى الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: لا، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين. اهــ.

وذكر الفاكهى فى وفاة ابن جُدْعان هذا خبرًا غريبًا، لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها ما نصه: ذكر موت أهل الشرف من قريش بمكة ومراثيهم: ثم هلك عبد الله بن جُدْعان بن عمرو التَّيْمى، فبكته الجن والإنس، فأما بكاء الجن فحدثنى إبراهيم بن يوسف المكى، قال: حدثنا إسماعيل بن زياد عن ابن جُرَيْج أنّ عبد الله ابن عباس رضىَ الله عنهما كان يحدث أن النبّاش بن زرارة التميمى، وكان حليفًا لقريش قال: خرجنا إلى الشام تجارًا فى الجاهلية وعبد الله بن جُدْعان صبى حين خرجنا، فلما سرنا نحوًا من خمس عشرة ليلة، نزلنا ذات ليلة واشتهينا أن نصبح بذلك المكان، قال: فقام أصحابى، وأصابنى أرق شديد، فإذا هاتف يهتف يقول:

---

(١) الروض الأنف ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

ألا هلك الهلوك غيث بن فِهْر   وذو العز والمجد المؤثل والفخر

قال: فأجبته فقلت:

ألا أيها الناعي أبا المجد والذّكر   من المرء تنعاه لنا من بنى فِهْر؟

فأجابه الهاتف فقال:

نعيت ابن جُدْعان بن عمرو أخا النَّدَى

وذا الحسب المعدود والمنصب الفخر

قال: فأجبته فقلت:

لَعَمْرِى لقد نوَّهت بالسيد الذى   له الفضل معلوم على ولد النَّضْر

فاخبر وأخبر إنْ علمت وفاته   فإنك قد أخبرت جِلاً من الأمر

فأجابه الهاتف فقال:

مررت بنسوان تخمش أوجهًا   عليه صياحًا بين زمزم والحِجْر

قال: فأجبته فقلت:

متى إنما عهدى به منذ جمعة   وستة أيام لغرّة ذا الشهر

قال: فأجابه الهاتف فقال:

ثوى منذ أيام ثلاث كوامل

مع الصبح أو فى الصبح فى وضح الفجر

قال: فاستيقظت الرفقة وهى تتراجع بنعى ابن جُدْعان، وقالوا: إنْ كان أحد نُعى لعزّ وشرف فقد نُعى ابن جُدْعان، فقال الجنّى:

أرى الأيام لا تُبقى عزيزًا   لعزّته ولا تبقى ذليلاً

فأجبته فقلت:

ولا تُبقى من الثَّقَلَين حيًّا   ولا تُبقى الجبالَ ولا السهولا

فقال الجنى: صدقت[١]. انتهى.

وذكر الفاكهى شيئًا من رثاء الإنس لابن جُدْعان.

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٩٦ – ١٩٨.

ذكر شيء من خبر أجواد قريش في الجاهلية

كان في قريش في الجاهلية أجواد أُخَر مع ابن جُدْعان، لهم في الجُود أخبار مشهورة، ويقال لبعضهم: أزواد الرَّكْب، لكفايتهم من معهم المؤنة، على ما ذكر ابن الكلبي وغيره، فيما نقل الفاكهي وغيره، ونص ما ذكر الفاكهي: «ذِكْر أزواد الرَّكْب من قريش».

حدثنا حسن بن حسين الأزدي، قال: حدثنا أبو جعفر، عن هشام بن الكلبي، قال: وكانوا إذا سافروا لم يختبز معهم أحد، ولم يطبخ إلاَّ الأسود بن عبد المطلب ابن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ومُسَافر بن أبي عمرو، وابن أمية بن عبد شمس، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وزمعة بن عبد المطلب بن أسد[1]. انتهى.

ذكر الحكَّام من قريش بمكة في الجاهلية

هؤلاء الحكام ذكرهم الفاكهي، لأنه قال: ذِكْر الحكام من قريش بمكة: حدثنا محمد بن علي النّجّار الصّنعاني قال: حدثنا عبد الرزاق عن ابن جُرَيْج قال: أخبرني بشير بن تميم بن الحارث بن عُبيد بن عمرو بن مخزوم: كان حكم قريش في الجاهلية، وكان أول من حكم في الجاهلية بالقسامة والدِّيَّة حكم بالقسامة في رجل، ومائة من الإبل في رجل، وكان عقل أهل الجاهلية الغنم[2].

وحدثني الحسن بن حسين الأزدي قال: حدثنا محمد أبو جعفر عن الكلبي في الحكام من قريش قال: فمن بني هاشم: عبد المطلب بن هاشم، والزبير، وأبو طالب ابنا عبد المطلب، ومن بني أمية: حرب بن أميّة، وأبو سفيان بن حرب، ومن بني زُهرة: العلاء بن الحارثة الثقفي، حليف بني زُهرة، ومن بني مخزوم العدل، وهو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ومن بني سهم: قيس بن

---

(١) الفاكهي ٥/ ١٩٨.
(٢) الفاكهي ٥/ ١٩٨.

عَدِىّ بن سعد بن سهْم، والعاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم، ومن بنى عَدِىّ بن كعب: نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رزاح. انتهى[١].

ولم يكن من هؤلاء ممتلكًا على بقية قريش، وإنما ذلك بتراضٍ من قريش لِما فيه من حسم مواد الشر، ويؤيد ذلك ما يأتى ذِكره قريبًا.

ذكر تملُّك عثمان بن الحُويرث بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ ابن كِلاب القرشى الأسدى على قريش بمكة وشىء من خبره

قال الزبير بن بكار فيما رويناه عنه: حدثنا على بن صالح، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عُروة، عن عُروة بن الزبير، قال: خرج عثمان بن الحويرث، وكان يطمع أن يملك قريشًا، وكان من أظرف قريش وأعقلها، حتى قدم على قيصر، وقد رأى موضع حاجتهم إليه ومتجرهم من بلاده، فذكر له مكة ورغَّبه فيها، وقال: تكون زيادة فى ملكك كما ملك كسرى صنعاء، فملَّكه عليهم وكتب له إليهم، فلما قدم عليهم قال: يا قوم إن قيصر مَن قد علمتم، أموالكم ببلاده وما تصيبون من التجارة فى كنفه، وقد ملكنى عليكم، وإنما أنا ابن عمكم وأحدكم، وإنما آخذ منكم الجُراب من القِرْظ والعُكَّة من السمن والإهاب، فأجمع ذلك ثم أبعث به إليه، وأنا أخاف إنْ أبيتم ذلك أن يمنع منكم الشام، فلا تتجروا به، ويقطع مِرْفَقَكم منه، فلما قال لهم ذلك خافوا قيصر، وأخذ بقلوبهم ما ذكر من متجرهم، فأجمعوا على أن يعقدوا على رأسه التاج عشيَّةً، وفارقوه على ذلك: فلما طافوا عشيّة، بعث الله عليه ابن عمه أبا زُمعة الأسود بن المطلب بن أسد، فصاح على أحفل ما كانت قريش فى الطواف وقال: عباد الله ملك بتهامة، فانحاشوا انحياش حُمُر الوحش، ثم قالوا: صدقت، واللات والعُزَّى ما كان بتهامة ملك قط، فانتقضت قريش عما كانت قالت له، ولحق بقيصر يُعْلِمُه، وقال الزبير: حدثنى محمد بن الضحاك بن عثمان الخزامى عن أبيه قال: قالَ الأسود بن عبد

---

(١) الفاكهى ٥/ ١٩٩.

المطلب حين أرادت قريش أن تملك عثمان بن الحويرث عليها: إن قريشًا لَقَاحٌ[1]: لا تَمْلك [ولا تُمْلَكُ]. انتهى باختصار[2].

ثَمَ روى الزُّبير بسنده أن قيصر حمل عثمان على بغلة، عليها سرج عليه الذهب، حين ملّكه، قال الزبير: قال عمي: وكان عثمان بن الحويرث حين قدم مكة بكتاب قيصر مختوم في أسفله بالذهب. انتهى.

وذكر الزبير خبرًا فيما انتهى إليه أمر عثمان بن الحويرث، وملخص ذلك: أنه خرج إلى قيصر بالشام، فسأل تجار قريش بالشام عمرو بن جفنة الغسانى أن يفسد على عثمان عند قيصر، فسأل عمرو فى ذلك ترجمان قيصر فأخبر الترجمان قيصر عن عثمان حين حضر عثمان، وترجم عنه بأن عثمان يشتم الملك، فأمر قيصر بإخراج عثمان، ثم تحيل عليه عثمان حتى عرف من أين أتى؟ ودخل على قيصر وعرّفه ما يقتضى أن الترجمان كذب عليه، فكتب قيصر إلى عمرو بن جَفْنة يأمره أن يحبس لعثمان من أراد حبسه من تجار قريش بالشام، ففعل ذلك عمرو، ثم سمّ عثمان فمات بالشام، وذكرنا هذا الخبر بنصه فى أصل هذا الكتاب، والله أعلم.

---

(١) لقاح: بفتح اللام وتخفيف القاف قال فى اللسان: قوم لقاح، وحى لقاح: لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء.

(٢) نسب قريش لمصعب ــ ص ٢١٠ وما بين حاصرتين منه.

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر شىء من خبر فتح مكة وفوائد تتعلق به

ذكر شيء من خبر فتح مكة

قـال ابن إسحاق: في سيرته «تهذيب ابن هشام» وروايته عن زياد البكائي عنه في أخبار سنة ثمان في الهجرة قال: «ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جُمادى الآخرة، ورجبَ، ثم إن بني بكر بن عبد مَناة بن كنانة عَدَتْ على خُزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوَتِير، وكان الذى هاج ما بين بني بكر وخُزاعة، أن رجلاً من بني الحضرمي واسمه مالك بن عبّاد وحِلْف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رَزْن، خرج تاجرًا، فلما توسط أرض خُزاعة عَدَوْا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فَعَدَتْ بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه، فعدت خُزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدِّيلي، وهم مَنْخَر بني كنانة وأشرافهم: سلمى، وكلثوم، وذؤيب، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم.

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل من بني الدِّيلي، قال: كان بنو الأسود بن يُودَوْن يَدُون في الجاهلية دِيَتَيْن دِيَتَيْن، ونودى دية دية لفضلهم فينا[1].

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر، وخُزاعة على ذلك، حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به، فلما كان صُلح الحُدَيبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ كما حدثني الزُّهري عن عُرْوَة بن الزُّبَير عن المسور بن مَخْرَمَة، ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه مَن أحبَّ أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهدنة، اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم من بني الأسود بن رَزْن، فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلي في بني الديل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوَتِير، ماء لهم، فأصابوا

(١) ابن هشام ٤/ ٣٨٩.

رجلاً منهم، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش مَن قاتلَ بالليل مستخفيًا، حتى حازوا خُزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إلى الحرم فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة: لا إله له اليوم، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم، فَلَعَمْرِى إنكم لتَسْرِقُون فى الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟ وقد أصابوا منهم ليلة بيَّتوهم بالوَتِير رجلاً يقال له منبه، وكان منبه رجلاً مفئودا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، فقال منبه: يا تميم انجُ بنفسك، فأما أنا فوالله إنّى لميت، قتلونى، أو تركونى، لقد انبتَّ فؤادى، فانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبهًا فقتلوه، فلما دخلت خُزاعة مكة لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء، ودار مولىً لهم يقال له: رافع، فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه، فذكر أبياتًا له أولها:

لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا ... يغشون كل وَتِيرة وحجاب[1]

الأبيات.

وذكر أيضًا أبياتًا للأخزر بن لُعْط الديلى، وأبياتًا لبديل بن عبد مناة، ويقال له بديل بن حزم، وبيتين لحسان بن ثابت، ثم قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خُزاعة، وكانوا فى عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخُزاعى، ثم أحد بنى كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان فى ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس، فقال:

يا ربّ إنّى ناشدٌ محمدًا ... حلف أبينا وأبيه الأتْلَدا
قد كنتم وُلْدًا وكنّا والدًا ... ثُمّتَ أسلمنا فلم نَنْزِع يَدَا
وانصر هداك الله نصرًا أعتدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجرّدا ... إن سيم خَسْفًا وجهه تربّدا

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٩٠، ٣٩١.

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا إنّ قريشًا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكّدا وجَعَلُوا لى فى كَدَاء رُصَّدا
وزعموا أن لستُ أدعو أحدًا وهم أذلّ وأقلّ عددا
هم بيّتونا بالوتير هُجَّدًا وقتلونا رُكَّعًا وسُجَّدا

يقول: قُتلنا وقد أسْلَمنا.

قال ابن هشام: ويُرْوَى:

فانصر هداك الله نصرًا أيدًا

قال ابن هشام: ويُرْوَى:

نحن ولدناك فكنت ولدًا[(١)]

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: نُصرت يا عمرو بن سالم، ثم عُرِض لرسول الله ﷺ عنان فى السماء فقال: إنّ هذه السحابة لتستهلّ بنصر بنى كعب، ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد قال رسول الله ﷺ: كأنّكم بأبى سفيان وقد جاءكم ليشُدّ العقد، ويزيد فى المدة، ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه، حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعُسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ليشد العقد ويزيد فى المدة، وقد رَهبوا الذى صنعوا، فلما لقى أبو سفيان بُدَيْل بن ورقاء قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظنّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال تسيرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى. قال: أوما جئت محمدًا؟ قال: لا، فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء بديل المدينة لقد علف بها النّوَى، فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتّه، فرأى فيه النّوَى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمدًا[(٢)].

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه،

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٩٤، ٣٩٥.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٩٥، ٣٩٦.

فقال: يا بُنيّة ما أدرى؟ أرَغِبْتِ بى عن هذا الفراش، أم رَغِبْتِ به عنى؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، قال: والله يا بنية لقد أصابك بعدى شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبى بكر ﷺ فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب ﷺ، فكلمه فقال: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرَّ لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب ﷺ وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وعندها حسن بن على، غلام يَدِبّ بين يديها، فقال: يا على إنك أمسُّ القوم بى رحمًا، وإنّى قد جئت فى حاجة فلا أرجعنّ كما جئت خائبًا، فاشفع لى إلى رسول الله ﷺ فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على ما لا نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلى فاطمة رضى الله عنها فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمرى بُنيّك هذا أن يجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَىّ ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ، قال: يا أبا الحسن إنّى أرى الأمور قد اشتدّت علىّ فانصحنى، قال: والله ما أعلم لك شيئًا يغنى عنك شيئًا ولكنك سيد بنى كنانة، فقم فأجِرْ بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أوترى ذلك مغنيًا عنى شيئًا؟ قال: لا، والله ما أظنه، ولكنى لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان فى المسجد، فقال: أيها الناس، إنى قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره، فانطلق، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدًا فكلمته فوالله ما ردّ علىّ شيئًا، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرًا، ثم جئت ابن الخطّاب، فوجدته أدنى العدو.

ثم قال ابن هشام: أعدى العدو[١].

قال ابن إسحاق: قال: ثم أتيت عليًّا فوجدته ألين القوم، وقد أشار علىّ بشىء صنعته، فوالله ما أدرى هل يغنى شيئًا أم لا؟ قالوا: وبمَ أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٩٦، ٣٩٧.

بين الناس، ففعلتُ، قالوا: فهل أجاز ذلك لك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك، والله إن زاد الرجلُ على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غيرَ ذلك[1].

وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة، رضى الله عنها، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أى بُنَيَّة أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدرى، ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجِدّ والتَهيُّؤ، وقال: اللّهمَّ خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها في بلادها، فتجهز الناس، فقال حسان بن ثابت ﷺ يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خُزاعة:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بنى كعب تُحَزّ رقابها
بأيدى رجال لم يَسُلّوا سيوفهم ... وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شِعْرى هل تنالنّ نُصْرتى ... سهيل بن عَمرو وحَرُّها وعقابها
وصفوان عود حَنَّ من شُفْر استه ... فهذا أوان الحرب شُدَّ عصا بها
فلا تَأْمَنَنَّا يا بن أمّ مجالد ... إذا احتُلبت صرفًا وأعصل نابها
ولا تجزعوا منّا فإنّ سيوفنا ... لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام: قول حسان:

بأيدى رجال لم يسلُّوا سيوفهم

يعنى قريشًا «وابن أم مجالد» يعنى عكرمة بن أبي جهل[2].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عُروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بَلْتَعَة كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السَّيْر إليهم، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنة، وزعم لى غيره: أنها سارة،

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٩٧.

(٢) الخبر والشعر لدى ابن هشام في السيرة ٤/ ٣٩٧، ٣٩٨.

مولاة لبني عبد المطلب، وجعل لها جُعلاً على أن تبلِّغه قريشًا، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزبيرَ بن العوّام رضي الله عنهما، فقال: أدرِكا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة، خليقة بني أبي أحمد، فاستنـــزلاها بالخليقة، فالتمسا في رِحْلها، فلم يجدا شيئًا، فقال لها علي بن أبي طالب ﷺ: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ، ولا كذبنا، ولتُخْرِجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك، فلما رأت الجدّ منه قالت: أعرِض عنّي، فأعرض، فحلّت قرونَ رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا رسولُ الله ﷺ حاطبًا فقال: يا حاطب ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيّرتُ ولا بدّلتُ، ولكني كنت امرأً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله دعني فلأضربن عنقه، فإن الرجل قد نافق، قال: فقال رسول الله ﷺ: وما يُدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم، فأنزل الله تعالى في حاطب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (سورة الممتحنة: آية ١ - ٤) إلى آخر القصة[١].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رُهم كُلثُوم بن حُصَيْن بن

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٩٩.

عُتبة بن خَلَف الغفارى، وخرج لعَشْر مَضَيْن من شهر رمضان، فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كانوا بالكَديد بين عُسْفان وأَمَج أفطر[(١)].

ثم مضى حتى نزل مَرّ الظّهران، فى عشرة آلاف من المسلمين، فَسَبَّعَت سُلَيم[(٢)]، وبعضهم يقول: ألّفت[(٣)] سليم وألّفت مُزَيْنة، وفى كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد، فلما نزل رسول الله ﷺ مَرّ الظّهْران، وقد عميَت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل؟ وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يَتَحَسَّسُونَ[(٤)] الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرًا أو يسمعون به؟ وقد كان العباس بن عبد المطلب ﷺ لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق، قال ابن هشام: لقيه بالْجُحْفَة مهاجرًا [بعياله] وقد كان قبل ذلك مقيمًا بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ، فيما ذكر ابن شهاب الزُّهْرى[(٥)].

ثم قال ابن إسحاق بعد أن ذكر خبر إسلام أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى، وشعرًا لأبى سفيان فى إسلامه: ولما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظّهران، قال العباس بن عبد المطلب ﷺ: فقلت واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة [عَنوة] قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها، [قال]: حتى جئت الأراك فقلت: لعلّى أجد بعض الحَطّابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه ليستأمنوه، قبل أن يدخلها عليهم عَنوة، قال: فوالله إنى لأسير عليها

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) فى المطبوعتين: «فصحبت معهم» والمثبت رواية الأصل، ومثلها لدى ابن هشام الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) سبعت سليم: أى كانت سبعمائة، وألفت: أى كانت ألفًا.

(٤) فى المطبوعتين والأصل: «يتجسسون» والمثبت رواية ابن هشام وقد آثرنا لوفائها بالمعنى.

(٥) ابن هشام ٤/ ٤٠٠ وما بين حاصرتين منه.

وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا، قال: يقول بديل: هذه والله خُزاعة حَمشتها[(١)] الحرب، قال: يقول أبو سفيان: خُزاعة أذلّ وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: ويحك أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباحَ قريش والله! قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمي، قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ، فأستأمنه لك[(٢)].

[قال] فركب خلفي ورجع صاحباه، قال: فجئت به، كلما مررت بنيران من نيران المسلمين، قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عَمّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فقال: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء [قال]: فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمرُ ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه، قال: فقلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة رجل دوني، قال: فلما أكثر عمر ﷺ في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عَديّ بن كعب ما قلت له هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب، قال: فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رَحْلك، فإذا أصبحتَ فأتني به، فذهبت به إلى رحْلي، فبات عندي[(٣)].

---

(١) حمشتها الحرب: أحرقتها.

(٢) ابن هشام ٤/ ٢٠٤ وما بين حاصرتين منه.

(٣) ابن هشام ٤/ ٢٠٤ وما بين حاصرتين منه.

فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئًا بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئًا، فقال له العباس: ويحك أَسْلِمَ واشهدْ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قبل أن تُضْرَب عُنُقُك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم، قال العباس ﷺ: قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئًا، قال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف، قال رسول الله ﷺ: يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خَطْم الجبل[١]، حتى تمر به جنود الله تعالى، فيراها، قال: فخرجت حتى حَبَسْتُهُ بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه[٢].

قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة، قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سُلَيم، فيقول: ما لى ولسُلَيْم؟ ثم تمر القبيلة، فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول: مُزَيْنة، فيقول: ما لى ولمُزَيْنة؟ حتى نفذت القبائل، وما تمر قبيلة إلا سألنى عنها، فإذا أخبرته بهم قال: ما لى ولبنى فلان، حتى مر رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء[٣].

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها، قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرَى منهم إلاّ الحَدَق من الحديد، قال: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابن أخيك الغداة عظيمًا، قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعم إذن[٤].

---

(١) خطم الجبل، الخطم: أنف الجبل، وهو شيء يخرج منه، يضيق به الطريق.
(٢) ابن هشام ٤/ ٤٠٣، ٤٠٤.
(٣) ابن هشام ٤/ ٤٠٤.
(٤) ابن هشام ٤/ ٤٠٤.

قال: قلت: النجاء[١] إلى قومك، حتى إذا جاء هم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قَبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند ابنة عُتْبة، فأخذت بشار به، فقالت: اقتلوا الحميت الدَّسم الأَحْمَس[٢]، قُبِّح من طليعة[٣] قوم! قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دُورهم وإلى المسجد[٤].

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوًى وقف على راحلته معتجرًا بشقة بُرْد حِبَرَة[٥] حمراء، وإنّ رسول الله ليضع رأيه تواضعًا لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنّ عُثْنُونَه ليكاد يمس واسطة الرَّحْل[٦].

ثم قال بعد أن ذكر شيئًا من خبر أبي قُحافة وإسلامه: وأمر النبي ﷺ بتغيير شَيْبه، ومناشدة أبي بكر ﷺ الناسَ في طوق أخته[٧].

وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طَوًى أمر الزبَير بن العوّام ﷺ أن يدخل في بعض الناس من كُدًى وكان الزبير ﷺ على المجنّبة اليسرى، وأمر سعد بن عُبادة ﷺ أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء[٨].

---

(١) النجاء: السرعة، تقول نجا ينجو نجاة: إذا أسرع.
(٢) الحميت: زق السمن، الدسم: الكثير الودك، والأحمس هنا: الشديد اللحم، والمعنى على تشبيهه الرجل بالزق لعبالته وسمنه.
(٣) الطليعة: الذي يحرس القوم.
(٤) ابن هشام ٤/ ٤٠٤، ٤٠٥.
(٥) الاعتجار: التعمم بغير ذؤابة، والشقة: النصف، والحبرة: ضرب من ثياب اليمن.
(٦) ابن هشام ٤/ ٤٠٥.
(٧) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٠٥، ٤٠٦.
(٨) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٠٦.

قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعدًا حين وُجِّه داخلاً، قال: اليومُ يوم المَلْحمة، اليوم تُستَحَلّ الحُرْمة، فسمعها رجل من المهاجرين، قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بن عُبادة، ما نأمن أن تكون له فى قريش صَوْلة، فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب ﷺ: أدركْه، فخذ الراية، فكن أنت الذى تدخُل بها[١].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه: أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ﷺ، فدخل من اللِّيط أسفل مكة فى بعض الناس، وكان خالد على المُجَنّبة اليمنى، وفيها أسلم، وسُلَيم، وغفَار، ومُزَيْنة، وجُهَيْنة، وقبائل من العرب، وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح ﷺ بالصّفّ من المسلمين، ينصب لمكة بين يدى رسول الله ﷺ، ودخل النبى ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة، وضُربت له هناك قُبّته[٢].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر: أنّ صفوان بن أمية، وعكْرِمة بن أبى جهل، وسُهَيْل بن عمرو، كانوا قد جمعوا أناسًا بالخَنْدَمَة ليقاتلوا، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يُعِدّ سلاحًا قبل دخول رسول الله ﷺ، ويُصْلِح منه، فقالت [له] امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قالت: والله إنى لأرجو أن أُخْدمَك بعضَهم، ثم قال:

إنْ يقبلوا اليوم فما لى علهْ ... هذا سلاح كامل وألّه[٣]
وذو غرارين[٤] سريع السَّلّة[٥]

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٠٦.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٠٧.
(٣) الألّه: الحربة لها سنان طويل.
(٤) ذو غرارين: سيف ذو حدين.
(٥) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٠٧ وما بين حاصرتين منه.

ثم شهد الخَنْدَمَة مع صفوان وسُهَيل وعكْرِمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئًا من قتال، فقتل كُرْز بن جابر، أحدَ بني محارب بن فِهْر وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد، فشذا عنه، فسلكا طريقًا غير طريقه، فقُتلا جميعًا، قُتل خُنَيْس بن خالد قبل كُرْز بن جابر، فجعله كُرْز بن جابر بين رِجْلَيه، ثم قاتل عنه حتى قُتل، وهو يرتجز ويقول:

قد[1] علمتْ صفراء من بني فِهرْ نقيّةُ الوجه نقية الصدرْ
لأضربنَّ اليوم عن أبي صخرْ[2]

قال ابن هشام: وكان خُنَيْس يكنى أبا صخر، قال ابن هشام: وكان خُنَيْس ابن خالد، من خُزاعة.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، وعبد الله بن أبي بكر قالا: وأصيب من جُهَيْنة، سَلَمة بن الميلاء، من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر، ثم انهزموا، فخرج حماسٌ منهزمًا، حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلِقي عليَّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدْت يومَ الخَنْدَمَهْ إذ فر صَفْوان وفرّ عكْرِمَهْ
وأبو يزيد قائمٌ كالموتمه واستقبلتهم بالسيوف المُسْلَمه
يقطعنَ كلَّ ساعد وجُمْجُمَه ضربًا فلا يُسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَه
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وهَمْهَمَه لم تنطقي في اللَّوْم أدنى كَلِمَه[3]

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله: كالموتمة: وتروى للرعاش الهُذلي هذه الأبيات.

---

(١) في المطبوعتين: «لقد» ولا يستقيم به الوزن، وصوابه من الأصل وابن هشام والأبيات من الرجز.

(٢) ابن هشام ٤/ ٤٠٧.

(٣) ابن هشام ٤/ ٤٠٨.

وكان شعارُ أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، وحُنَين، والطائف شِعار المهاجرين: يا بنى عبد الرحمن، وشعار الخَزْرَج: يا بنى عبد الله، وشعار الأوس: يا بنى عُبيد الله(١).

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلاَّ من قاتلهم، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم، أمر بقتلهم، وإنْ وُجِدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لُؤَى(٢).

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى، فارتد مشركًا راجعًا إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيَّبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأنّ الناس وأهل مكة، فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً، ثم قال: نعم، فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: لقد صمتُّ ليقوم بعضكم فيضرب عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهلاَّ أومأت إلىَّ؟ قال: لا، إنّ النبىّ لا يقتل بالإشارة(٣).

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض أعماله، ثم ولاّه عثمان رضي الله عنه بعد عمر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خَطَل رجل من بنى تَيْم بن غالب، إنما أمر بقتله أنه كان مسلمًا، فبعثه رسول الله ﷺ مصدِّقًا، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولىً له يخدمه، وكان مسلمًا، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيسًا فيصنع له طعامًا، فنام فاستيقظ، ولم يصنع له شيئًا فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركًا، وكانت له قَيْنَتان: فَرْتنى وصاحبتها، وكانتا تغنّيان، بهجاء رسول

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤٠٩.
(٢) ابن هشام ٤/ ٤٠٩.
(٣) ابن هشام ٤/ ٤٠٩.

الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه، والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قُصَيّ، وكان ممن يؤذيه بمكة(١).

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب ﷺ حمل فاطمة، وأم كلثوم، بنتَيْ رسول الله ﷺ، يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث بن نقيذ، فرمى بهما إلى الأرض(٢).

قال ابن إسحاق: ومقْيس بن حُبَابَة، وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لقتله الأنصاريّ الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركًا.

وسارة مولاة لبني عبد المطلب، وعِكْرِمة بن أبي جهل، وكانت سارة ممن تؤذيه بمكة.

وأما عِكْرِمة، فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأمّنه، فخرجت في طلبه، حتى أتت به رسول الله ﷺ.

وأما عبد الله بن خَطَل فقتله سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه.

وأما مقْيَس بن حُبَابَة فقتله نُمَيلة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت ابنة مقْيَس في قتله:

لَعَمْرِي قد أخزى نُمَيْلة رَهْطَه ... وفجع أضياف الشتا بمقْيس
فلله عينا من رأى مثل مقْيَس ... إذا النُّفَسَاءُ أصبحت لم تَخرس

وأما قَيْنتا ابن خطل، فَقُتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمّنها، وأما سارة فاستؤمن لها فأمّنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا في زمن عمر بن الخطاب ﷺ بالأبطح، فقتلها.

وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب ﷺ(٣).

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤٠٩.

(٢) ابن هشام ٤/ ٤١٠.

(٣) انظر في الأخبار السابقة: ابن هشام ٤/ ٤١٠، ٤١١.

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند عن أبي مُرَّةَ مولى عقيل بن أبي طالب أنّ أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخلَ [عَلَيّ][1] عليُّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لاقتلنهما، فأغلقتُ عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جَفْنَة، وإن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثمان ركعات في الضحى، ثم انصرف إليّ، فقال: مرحبًا وأهلاً بأم هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين، وخبر علي ﷺ، فقال ﷺ: قد أجرْنا من أجَرْت، وأمنّا من أمّنْت، فلا يقتلهما[2].

[قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة][3] قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عُبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شَيْبة قالت: إن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأنّ الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سَبْعًا على راحلته[4] يستلم الركن بمحْجَن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففُتحت له فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده، ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة، وقد استكفّ له الناس في المسجد[5].

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: لا إله إلاّ الله وحده، لا شريك له، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة، أو دمٍ، أو مالٍ، يُدَّعَى به، فهو تحت قدميّ

---

(١) ساقط من طبعة تدمري وهو في الأصل.

(٢) ابن هشام ٤/ ٤١١.

(٣) ساقط من طبعة تدمري وهو في الأصل.

(٤) في متن طبعة الذهبي: «فطاف به وسعى على» وبالهامش: «في طبعة تدمري: فطاف به سَبْعًا على راحلته» وهو خطأ، قلت: بل الخطأ ما في متن طبعة الذهبي، والصواب في طبعة تدمري ومثله في الأصل وابن هشام الذي ينقل عنه المصنف.

(٥) ابن هشام ٤/ ٤١١.

هاتين إلاّ سدانة البيت، وسقاية الحاجّ، ألا وقتيل الخطأ شبه العَمْد بالسَّوْط والعصا، ففيه الدِّية مغلَّظة مائة من الإبل، أربعون منها فى بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتَعَظُّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ (سورة الحجرات: آية ١٣) الآية كلها، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء(١).

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد، فقام إليه على بن أبى طالب ﷺ، ومفتاح الكعبة فى يده، فقال: يا رسول الله ﷺ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن أبى طلحة؟ فدُعى له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، إنّ اليوم يوم برّ ووفاء(٢).

[قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله ﷺ قال لعلى: إنما أعطيكم ما تُرْزَءونَ لا ما ترْزَءون](٣).

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ، دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صُوَر الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم مصوَّرًا فى يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام(٤)، ما شأن إبراهيم والأزلام ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة آل عمران: آية ٦٧).

ثم أمر ﷺ بتلك الصورة كلها فَطُمِسَتْ(٥).

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤١٢.

(٢) ابن هشام ٤/ ٤١٢.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل ومثله لدى ابن هشام الذى ينقل عنه المصنف. بما ترزءون لا ما ترزءون: معناه: إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن، وأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها، يعنى كسوة البيت.

(٤) الأزلام: واحدها زلم، بضم الزاى وفتحها، وهى السهام، ويستقسم بها: يضرب بها.

(٥) ابن هشام ٤/ ٤١٣.

قال ابن هشام: وحدثني أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال، ثم خرج رسول الله ﷺ وتخلف بلال، فدخل عبد الله بن عمر عَلَى بلال فسأله: أين صلى رسول الله ﷺ ولم يسأله كم صلى، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَلَ وجهه، وجعل الباب قِبَل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع، ثم يصلي يتوخّى بذلك المَوْضع الذى قال له بلال[١].

قال ابن هشام: وحدثني أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذّن وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيدًا ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتَّبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا لو تكلّمت لأَخْبَرَتْ عني هذه الحصى.

فخرج عليهم النبي ﷺ فقال: قد علمتُ الذى قُلتم، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتَّاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطَّلع على هذا أحَدٌ كان معنا، فنقول أخبْرك[٢].

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سَندَر الأسلمي، عن رجل من قومه قال: كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا، وكان رجلاً شجاعًا، وكان إذا نام غَطَّ غطيطًا منكرًا لا يخفى مكانه، فكان إذا بات في حيه بات مُعْتَنِزًا، فإذا بُيِّتَ الحيّ صرخوا يا أحمر، فيثور مثل الأسد، لا يقوم لسبيله شيء، فأقبل غَزِيٌّ من هُذيل يريدون حاضره، حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلي: لا تعجلوا عليَّ حتى أنظر، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم، فإن له غطيطًا لا يخفى، قال: فاستمع، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم، فلما كان عام الفتح وكان الغدُ من يوم الفتح، أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس، وهو على شِرْكه، فرأته خُزاعة فعرفوه، فأحاطوا به، وهو

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤١٣.

(٢) ابن هشام ٤/ ٤١٣.

إلى جنب جدار من جُدُر مكة، يقولون: أنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر، فَمَه؟ قال: إذ أقبل خراش بن أمية مُشتملاً على السيف، فقال: هكذا عن الرجل، والله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه، فلما انفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف فى بطنه، فوالله لكأنى أنظر إليه وحِشْوَتُه تسيل من بطنه، وإن عينيه لَتَرَنَّقان فى رأسه وهو يقول: أقد فعلتموها يا معشر خزاعة؟ حتى انْجَعَفَ فوقع، فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقدكثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأَدِيَنَّه».

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن حَرْمله الأسْلمي، عن سعيد بن المسيَّب، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال: إن خراشًا لَقتَّال، يعيبه بذلك(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المَقْبَرىّ، عن أبي شُرَيْح الخُزاعى قال: لما قدم عَمْرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير، جئته فقلت له: يا هذا، إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عَدَتْ خُزاعة على رجل من هُذَيْل، فقتلوه وهو مُشْرك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا فقال: «يا أيها الناس إنّ الله قد حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يَعْضدَ فيها شجرًا، لم تَحْلُلْ لأحد كان قبلى، ولا تَحلّ لأحد يكون بعدى، ولم تَحْلَل لى إلاَّ هذه الساعة، غضبًا على أهلها، ألا: ثم قد رجعت كحُرْمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها، فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله، ولم يحلها لكم، يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثُر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأَدِيَنَّه، فمن قُتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النَّظَرَيْن: إن شاءوا فدَمُ قاتله، وإن شاءوا فَعَقْله» ثم وَدَى رسولُ الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خُزاعة، فقال عمرو لأبى شريح:

(١) ابن هشام ٤/ ٤١٤.

انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك، إنها لا تمنع سافكَ دم ولا خالع طاعة ولا مانع جزية، قال أبو شريح: إني كنتُ شاهدًا، وكنتَ غائبًا، وقد أمَرَنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدُنا غائبَنا، وقد أبلغتُك، فأنتَ وشأنك(١).

قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وَدَاه رسول الله ﷺ يوم الفتح: جُنَيْدب ابن الأكوع، قَتَلَتْه بنو كعب، فوَدَاه بمائة ناقة.

قال ابن هشام: وبلغني عن يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ حين افتتح مكة ودخلها، قام على الصفا يدعو، وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أتُرَوْن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبي ﷺ: «معاذ الله! المَحْيا محياكُم، والممات مماتُكم».

وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب عن عُبيد الله ابن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها، وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (سورة الإسراء: آية ٨١) فما أشار ﷺ إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخُزَاعي:

وفي الأصنام معتبرٌ وعلم   لمن يرجو الثواب أو العقابا(٢)

قال ابن هشام: وحدثني أن فضالة بن عُمَيْر بن الملوّح اللَّيْثي أراد قتل النبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم، فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك النبي ﷺ، ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده من صدرى حتى ما من خلق الله

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤١٥، ٤١٦.
(٢) ابن هشام ٤/ ٤١٦، ٤١٧.

شيء أحب إليَّ منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فَضالة يقول:

قالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت: لا ... يأبى عليك الله والإسلام
لوما رأيت محمدًا وقبيله ... بالفتح يوم تكسَّرُ الأصنام
لرأيت دين الله أصبح بَيِّنًا ... والشرك يغشى وجهَهُ الإظلام[1]

ثم قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بنى سُليم سبعمائة، ويقول بعضهم: ألف، ومن بنى غِفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار، وحلفائهم، وطوائف العرب، من تميم، وقيس، وأسد[2].

ثم قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتْحها خمس عشرة ليلة يُقْصر الصلاة، قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان. انتهى. باختصار المواضع من أنباء خبر فتح مكةً المشار إليه، ومن شعر تميم ابن أسد، فى اعتذاره من فراره عن منبه، وشعر الأحزر بن لُعْط الديلى، وما كان بين كنانة وخُزاعة فى تلك الحرب، وشعر لبديل بن عبد مَناة، ويقال له: بديل ابن أم أصرم، أجاب به الأحزر بن لعط، وشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه فى المعنى، وخبر إسلام أبى سفيان بن الحارث فى إسلامه وخبر أبى قُحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما يوم الفتح وإسلامه، وأمر النبى ﷺ بتغيير شيبته، ومناشدة أبى بكر الصديق رضي الله عنه فى طوق أخته، كما سبق بيانه، وغير ذلك من الأشعار التى استشهد بها ابن هشام على بعض ما فسره من الشعر، واختصرنا أيضًا من خبر الفتح، وما قيل من الأشعار فى الفتح، وغير ذلك.

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤١٧.
(٢) ابن هشام ٤/ ٤٢١.

ذكر فوائد تتعلق بخبر فتح مكة

هذه الفوائد بعضها يخالف ما ذكرناه عن ابن إسحاق وابن هشام من خبر الفتح، وبعضها يوضح بعض ما أبهمه ابن إسحاق، وابن هشام، فى ذلك.

منها: أن موسى بن عُقْبة ذكر فى مغازيه ما يقتضى أن إغارة بنى كنانة على خُزاعة التى هى السبب فى فتح مكة كانت بعَرَفة، لأنه قال فيما رويناه عنه فى مغازيه، فتح مكة: ثم إن بنى نفاثة من بنى الديل، أغاروا على بنى كعب وهم بعَرَفة. انتهى. وهذا يخالف ما ذكره ابن إسحاق، لأنه قال: ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَتْ على خُزاعة، وهم على مائهم بأسفل مكة، يقال له: الوَتير. انتهى. وإذا كان الوتير بأسفل مكة، كما هو مقتضى هذا الخبر، فهو غير عَرَفة، والله أعلم بالصواب.

وأفاد السُّهَيْلى سبب تسميته الوتير، لأنه قال: والوتير فى اللغة الورد الأبيض، وقد يكون منه برّى، فيُحتمل أن يكون هذا الماء سُمّى به. انتهى.

ولا مُنافاة بين قول ابن عُقبة، ثم إنّ بنى نفاثة من بنى الديل أغاروا على بنى كعب، وبين قول ابن إسحاق، ثم إنّ بنى بكر بن عبد مَناة بن كنانة عَدَتْ على خُزاعة، لأن بنى الديل الذى منه بنو نُفَاثة، هو الدُّوَل بن بكر بن كنانة، على ما ذكر ابن النَّطَّاح[1] عن أبى اليقظان، كما حكى عنه الحازمى[2]، ويدلّ لذلك قول ابن إسحاق فيما بعد: فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل. انتهى. وذكر ابن إسحاق ما يوافق ما ذكره ابن عُقْبة، من نسبة هذه الإغارة إلى بنى نفاثة، لأنه أنشد أبياتًا لتميم بن أسد أولها:

لمّا رأيت بنى نفاثة أقبلوا يَغْشَوْنَ كلَّ وَتيرة وحجاب

ومنها: أن ابن عقبة بين البيت من خُزاعة، لأنه قال فيما رويناه عنه: فأغارت بنو الديل على بنى عمرو وعامتهم فيما زعموا، نساءً وصبيانًا وضَعَفَة الرجال،

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن البطاح» بالباء، وصوابه من الأصل ومثله لدى الحازمى.
(٢) عجالة المبتدى ــ ص ٩٤، ٩٥.

فبيّتوهم وقتلوا منهم، حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء بمكة. انتهى. وبنو عمرو هؤلاء من بنى كعب، لأن ابن عُقبة قال فيما سبق: ثم إنّ بنى نفاثة من بنى الديل أغاروا على بنى كعب. انتهى. وبنوكعب هم أحد بطون خُزاعة، من ولد عمرو ابن لُحَيّ، كما سبق بيانه فى نسبهم، وليس من كلام ابن إسحاق ما يبين أنهم المبيتون من خُزاعة، لأنه قال: فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بَيَّتَ خُزاعة(١). انتهى.

ومنها: أن ابن إسحاق لم يبيِّن مَن وَفَدَ كنانَةَ من قريش، وقاتل معهم، لأنه قال: ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مُستخفيًا. انتهى.

وقد بين ذلك ابن عُقبة، لأنه قال: ويُذكر أنّ ممن أعانهم من قريش: صفوان ابن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو. انتهى.

وبين ذلك ابن سعد أيضًا، وأفاد فى ذلك ما لم يُفدْه ابن عُقبة، لأنا روينا عن الحافظ أبى الفتح بن سيد الناس فى سيرته بعد ذِكْره لقول ابن إسحاق: ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح، ذكر ابن سعد منهم: صفوان بن أمية، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى، ومكرز بن حفص بن الأخيف. انتهى(٢). ولا مُنافاة بين ما ذكره ابن عُقبة وابن سعد، فيمن أعان من قريش بنى بكر، لإمكان أن يكون الذين ذكرهم ابن عُقبة وابن سعد أعانوا بنى بكر، وذكر ابن عُقبة بعضهم، وابن سعد بعضهم، ويكون المُعينَ لبنى بكر من قريش خمسة نفر، على مقتَضَى ما ذكر ابن عُقبة وابن سعد، والله أعلم.

ومنها: أن قريشًا رفدت بنى كنانة بدقيق، أفاد ذلك ابن عُقبة، لأنه قال: وأعانتهم قريش بالسلاح والدقيق. انتهى. وهذا لا يُفهم مما ذكره ابن إسحاق.

ومنها: أن الفاكهى ذكر خبرًا يُوهم أن سبب فتح مكة غير ما سبق، لأنه قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، حدثنا عبد المجيد بن أبى رواد عن ابن جُرَيْج،

---

(١) ابن هشام ٤/ ٣٩٠.

(٢) عيون الأثر ٢/ ١٦٤.

قال: قال عطاء: وكانت خُزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، فأصابت بنو بكر منهم قتيلاً، فقالت بنو بكر لقريش: لا تُسْلموا بنى عمكم، فكلم بديل بن ورقاء قريشًا فقالوا: لا نسلمه، فركب بديل إلى رسول الله ﷺ، فلم يصدقه، وأرسل معه رسول الله ﷺ طليعة يستطلعهم، قال: فجاء به بديل بن ورقاء، فجعل يقف به على قريش ويكلمهم، فقالوا: قد عرفنا إنما أنت مستطلع، فوالله لا نُسْلمهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنشأ حينئذ يتجهّز لنصر حلفائه[1].

ومنها: أن ابن سعد ذكر أنه خرج مع عمرو بن سالم الخُزاعى لإعلام النبى ﷺ بفعْل كنانة فيهم، أربعون راكبًا، وذلك لا يُفهم من كلام ابن إسحاق، لأنه قال: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق، بما استحلوا من خُزاعة، وكانوا فى عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخُزاعى، أحد بنى كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة. انتهى. وكلام ابن سعد رويناه فى السيرة لابن سيد الناس، لأنه قال بعد أن ذكر كلام ابن إسحاق هذا بعد قوله: خرج عمرو بن سالم الخُزاعى، قال ابن سعد: فى أربعين راكبًا، قال ابن سيد الناس بعد ذكره لقول ابن إسحاق فيما بعد: «ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من بنى خُزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فأخبره بما أصيب منهم، ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم»[2].

قلت: لعل الأربعين راكبًا الذين ذكر ابن سعد قومهم من خُزاعة مع عمرو ابن سالم هو هؤلاء. اهـ.

ومنها: أن ابن عُقبة ذكر فى جواب أبى بكر الصديق ﷺ وعمر بن الخطاب، لأبى سفيان بن حرب، رضى الله عنهم، حين سألهما أن يكلما له رسول الله ﷺ، فيما جاء له، غير ما ذكره ابن إسحاق، لأنه ـ أعنى ابن عُقبة ـ قال: فخرج، يعنى أبا سفيان من عند رسول الله ﷺ، فأتى أبا بكر ﷺ، فقال: جدد العقد،

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٠٧.

(٢) عيون الأثر ٢/ ١٦٤، ١٦٥.

وزدنا فى المدة، فقال أبو بكر ﷺ: جوارى فى جوار رسول الله ﷺ، والله لو وجدت الذرّ تقاتلكم لأعنتها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب ﷺ، فكلمه، فقال عمر: ما كان من حلفنا جديدًا فأخلقه الله، وما كان منه متينًا قطعه الله، وما كان منه مقطوعًا فلا وَصَلَه الله، فقال أبو سفيان: جزاك الله من ذى رَحِم شرًا. انتهى.

وإنما كان هذا مخالفًا لما ذكره ابن إسحاق من جواب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، لأبى سفيان، لأنه قال: ثم خرج ـ يعنى أبا سفيان ـ حتى أتى رسول الله ﷺ وكلمه، فلم يردّ عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبى بكر ﷺ، فكلمه فى أن يكلم رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمرَ بن الخطاب ﷺ فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلاّ الذرّ لجاهدتكم به. اهـ.

ومخالفة هذا لما ذكره ابن عُقبة ظاهرة، لأن ابن عقبة جعل جواب أبى بكر جواب عمر الذى ذكره ابن إسحاق وإن اختلف لفظهما، فالمعنى واحد، وجعل جواب عمر غير ما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم بالصواب.

وذكر الفاكهى خبرًا، فيه ما يدل لما ذكره ابن عُقبة من جواب عمر لأبى سفيان[1].

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن أبا سفيان بعد جواب عمر له لما ذكره، سأل عليّ بن أبى طالب ﷺ أن يجير بين الناس، وأنّ عليًّا ﷺ أجابه بعدم الاستطاعة، وأنّ أبا سفيان سأل بعد ذلك فاطمة الزهراء ابنة النبى ﷺ أن تأمر ابنها الحسن بن على أن يجير بين الناس، وأن فاطمة رضى الله عنها أجابته أن ابنها ما بلغ أن يجير بين الناس، وما أحد يجير على رسول الله ﷺ، وذلك يخالف ما ذكره ابن عُقبة، لأنه قال بعد ذكره لجواب عمر بما سبق: ثم دخل على عثمان ﷺ، فقال عثمان ﷺ: جوارى فى جوار رسول الله ﷺ، ثم أتبع أشراف قريش والأنصار فكلمهم، فكلٌّ يقول: عقدنا فى عقد رسول الله ﷺ، فلما أيس مما

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٠٩.

عندهم دخل على فاطمة ابنة رسول الله ﷺ فكلّمها، فقالت: إنّما أنا امرأة، وإنما ذلك إلى رسول الله ﷺ، قال: فأمُرى أحدَ ابنَيْك، فقالت: إنهما صبيّان ليس مثلهما يُجير، قال: فكلمى عليًّا، قالت: أنت تكلّمه، فكلّم عليًّا، فقال: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله يُفْتَات[1] على رسول الله ﷺ بجوار. انتهى.

ووجه مخالفة هذا لما ذكره ابن إسحاق، أنه يقتضى أنّ أبا سفيان كلّم عثمان، ثم أشراف قريش، والأنصار، ثم فاطمة، أن يجيروا قبل أن يكلم عليًّا فى ذلك، وكلام ابن إسحاق يقتضى خلافه، والله أعلم.

وذكر الفاكهى خبرًا فيه ما يدل لما ذكره ابن عقبة من سؤال أبى سفيان فاطمة، فيما يصلح به الإصلاح بين الناس.

ومنها: أن الفاكهى ذكر خبرًا يوهم أن أبا سفيان لم يسأل النبى ﷺ، فيما جاء له من تجديد الحِلْف والإصلاح بين الناس، لأنه قال: حدثنا محمد بن إدريس بن عمر من كتابه، قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد، عن أيوب، عن عِكْرمة، فذكر خبرًا يقتضى موادعة النبى ﷺ أهل مكة، ودخولَ خُزاعة فى صلح رسول الله ﷺ، ودخول بنى بكر فى صلح قريش، وما كان بين خُزاعة وبنى بكر بعد ذلك من القتال، وإعانة قريش لهم بالسلاح، والطعام، وتخوّف قريش أن يكونوا قد نقضوا، وإرسالهم أبا سفيان بن حرب إلى النبى ﷺ ليجدد الحلف، ويصلح بين الناس، وقدوم أبى سفيان إلى المدينة، ثم قال: وقال رسول الله ﷺ: قد جاءكم أبو سفيان فيرجع راجيًا بغير حاجة، قال: فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، جدد الحلف والصلح بين الناس، أو قال: بين قومك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: الأمر إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ، وقد قال له فيما قال: إن أعان قوم على

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «يقتات» وصوابه من الأصل ولدى ابن الأثير فى النهاية (فوت)... أمثلى يُفْتَات عليه: يقال لكل من أحدث شيئا فى أمرك دونك: قد افتات عليك.

قوم، وأمدُّهم بسلاح وطعام ما إن يكونوا نقضوا، فقال أبو بكر ﷺ: الأمر إلى الله وإلى رسول الله[١]. انتهى.

ومنها: أن الفاكهى ذكر ما يُوهم أن قدوم أبى سفيان بن حرب المدينة لتجديد الحِلف والإصلاح بين الناس، كان قبل قدوم وافد خُزاعة على رسول الله ﷺ المدينة، لإعلامه بما كان من قتال بنى بكر لهم، ومعاونة قريش عليهم، لأنّ فى الخبر السابق بعد إتيان أبى سفيان لعمر، وقوله له نحوًا مما قال لأبى بكر، وجواب عمر لأبى سفيان بنحو من جوابه الذى أجابه، على نحو ما ذكره ابن عُقبة، وإتيانه لفاطمة، وسؤاله لها فى تجديد الحلف والإصلاح بين الناس، وقولها له: ليس الأمر إلىّ، وإتيانه عليًّا، وقوله له نحوًا مما قال لأبى بكر، وإشارة علىٍّ له بالجيرة بين الناس، ثم انطلق ـ يعنى أبا سفيان ـ حتى[٢] قدم مكة، فأخبرهم بالذى صنع، فقالوا: ما رأينا كاليوم وافد عشيرة، والله ما أتيتنا اليوم بحرب فنحذر، ولا أتيتنا اليوم بصُلح فنأمن، ارجع، قال: وقدم وافد خُزاعة على رسول الله ﷺ، فأخبره بالذى صنع القوم، ودعاه إلى النصر، وأنشد فى ذلك شعرًا[٣]. انتهى.

ومنها: أن ابن عُقبة ذكر ما يوهم أنّ بين خروج أبى سفيان إلى المدينة، وتجهيز النبى ﷺ إلى مكة مدة طويلة، لأنه قال بعد أن ذكر خروج أبى سفيان إلى مكة ووصوله إليها، وحَلْقه رأسه عند الصنمين اللذين عند الكعبة، ليرى الناس أنه على الدين الذى كان عليه، لأن الناس تحدثوا حين طال مكثه، أنه قد أسلم، فمكث رسول الله ﷺ، ما شاء الله أن يمكث، بعدما خرج من عنده أبو سفيان، ثم اعتدّ للجهاد. اهـ. وهذا لا يُفهم من كلام ابن إسحاق، والله أعلم بالصواب.

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر أن النبى ﷺ بعث مع علىٍّ الزبيرَ بن العوام رضى الله عنهما، لإحضار كتاب حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين بمكة، يخبرهم فيه بمسير رسول الله ﷺ إليهم.

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٠٨.

(٢) فى المطبوعتين والفاكهى: «حين» والمثبت رواية الأصل.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٠٩.

وذكر الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في «المبهمات»[1] خبر كتاب حاطب، وفيه أن النبي ﷺ بعث لطلب الكتاب عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وفي الخبر الذي ذكره الحافظ عبد الغني أمور لا تُفهم من الخبر الذي ذكره ابن إسحاق في ذلك، فنذكره لما فيه من الفائدة، قال الحافظ عبد الغني بعد أن ذكر حديثًا ليس فيه بيان ما تُعرف به المرأة التي حملت كتاب حاطب: هذه المرأة الحاملة لكتاب حاطب بن أبي بلتعة هي أم سارة، مولاة لقريش، والحجّة في ذلك ما حدثنا به يعقوب بن المبارك، أن محمد بن جعفر بن أعين حدثهم، قال: حدثنا الحسن بن بشر بن سلم الكوفي سنة عشرين، قال: أخبرنا الحكم بن عبد الملك، عن قَتادة عن أنس ﷺ، قال: أمَّن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة، إلاَّ أربعة من الناس: عبد الله بن خطل، ومِقْيَس بن حُبابة الكناني، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وأم سارة، ثم قال بعد أن ذكر خبر ابن خطل، وابن أبي سرح، ومِقْيَس بن حُبابة: وأما سارة فإنها كانت مولاةً لقريش، فأتت رسولَ الله ﷺ، فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئًا، ثم أتاها رجل فدفع إليها كتابًا إلى أهل مكة، يتقرب بذلك إليهم ليحفظ في عياله، وكان له بها عيال، فأخبر جبريلُ العَلَيْهِ رسولَ الله ﷺ بذلك، فبعث في أثرها عمر بن الخطاب، وعليّ ابن أبي طالب، رضي الله عنهما، فلحقاها، ففتشاها، فلم يعثرا على شيء معها، فأقبلا راجعين، فقال أحدهما لصاحبه: والله ما كُذبْنا ولا كَذَبْنا، ارجع بنا إليها، فرجعا إليها، فسلاَّ سيفيهما، وقالا: والله لَنُذيقَنَّكِ الموتَ أو لتدفَعِنَّ إلينا الكتاب، فأنكرتْ، ثم قالت: أدفعه إليكما، على أن لاَ تردانى إلى رسول الله ﷺ، فقبلا ذلك منها، فحلّت عقاص رأسها، فأخرجت الكتاب من قرن من قرونها، فدفعته إليهما، فرجعا إلى رسول الله ﷺ فدفعاه إليه. انتهى باختصار.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق لا يُفهم منه أن النبي ﷺ بعث في طلب كتاب حاطب مع علي، غير الزبير بن العوّام، لقوله: وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من

---

(١) تحرف في طبعة تدمري إلى: «المبهات» وصوابه من الأصل ومثله لدى المصنف في الزهور المقتطفة، ومثله أيضًا في كشف الظنون ٢/ ١٥٨٣.

السماء، بما صنع حاطب، فبعث علىَّ بن أبى طالب والزبير بن العوّام رضى الله عنهما. انتهى. وذكر البخارى ما يقتضى أن النبى ﷺ بعث مع علىّ والزبير رضى الله عنهما أبا مرثد، ذكر ذلك فى كتاب «استتابة المرتدين» فى باب ما جاء فى المتأولين، لأنه روى فيه بسنده إلى أبى عبد الرحمن السلمى، عن على بن أبى طالب، أنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ، والزُبير وأبا مرثد، وكلّنا فارس، قال: انطلقوا، حتى تأتوا روضة خاخ.

وذكر البخارى أيضًا ما يُفهم منه غير ما ذُكر فى هذا الباب، لأنه روى بسنده عن عُبيد الله بن أبى رافع، قال: سمعت عليًّا ﷺ يقول: بعثنى رسول الله ﷺ أنا، والزُّبير، والمِقْداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ، فذكر القصّة، وهذا الحديث أخرجه فى باب غزوة الفتح من كتاب المغازى.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن المرأة التى معها كتاب حاطب بن أبى بلتعة، أخرجته لعلى ومن معه من قرون رأسها، لقوله: فلما رأت الجدّ منه قالت: أعرِض فأعرض عنها، فحلّت قرونَ رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه. انتهى.

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك ما يدل له، وذكر ابن عُقبة ما يوافق ما ذكره ابن إسحاق، وذكر البخارى أيضًا ما يوافق ذلك، لأن فى الحديث الذى رواه عن عُبيد الله بن أبى رافع عن على ﷺ: فأخرجته من عقَاصها، وذكر البخارى أنها أخرجته من حُجزتها، لأن فى الحديث الذى رواه فى كتاب «استتابة المرتدين» الذى فيه ذكر أبى مرثد: فأهوت إلى حُجْزَتها وهى مُحتَجِزَة بكساء، فأخرجت الصحيفة.

وذكر مثل ذلك فى الحديث الذى أخرجه فى باب «فضل من شهد بدرًا» من رواية أبى عبد الرحمن السلمى، عن على ﷺ وفيه ذكر أبى مرثد، وقوله فى هذين الحديثين: أخرجته من حجزتها، وهى محتجزة بكساء، يقتضى أنها أخرجته من وسطها، لأن الكساء لا يُحتَجَز به فى الرأس لِكبَره، وإنما يُحتَجَز به فى الجسد لستره البدن، وذلك يخالف ما ذكره ابن إسحاق من أنها أخرجته من قرون

رأسها، ويخالف أيضًا ما ذكره البخارى من حديث عُبيد الله بن أبى رافع عن على ﷺ.

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر أن اسم المرأة التى حملت كتاب حاطب: سارة، وزعم لى غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب. انتهى. وقد سبق فى الحديث الذى سبق ذكره عن الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى، أن حاملة كتاب حاطب أمّ سارة، مولاة لقريش، وقد سبق ذكر ذلك قريبًا.

ومنها: أن ابن إسحاق لم يبيِّن اسم المرأة المُزَنيّة التى قيل إنها حملت كتاب حاطب، لقوله: ثم أعطاه امرأة، يزعم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنَة. اهـ. وقد بيَّن ذلك الحافظ مغلطاى فى سيرته، لأنه قال فيما أُخبرت به عنه: فكتب حاطب كتابًا، وأرسله مع أم سارة المُزَنية حاملة كتاب حاطب، وفى هذا ما يُفهم منه خلاف ما فى الصحيحين.

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر فى الموضع الذى أُدركت فيه المرأة حاملة كتاب حاطب ما يفهم منه خلاف ما فى صحيح البخارى، لأنّ ابن إسحاق قال: فخرجا ـ يعنى عليًّا والزُّبير ـ حتى أدركاها بالخليقة خليقة بنى أبى أحمد. اهـ.

والذى فى البخارى عن على ﷺ، قال: بعثنى رسول الله ﷺ والزبير والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنّ بها ظعينة معها كتاب، قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة. اهـ باختصار. وذكر البقية من القصة، أخرج هذا الحديث فى غزوة الفتح، وأخرج مثله فى تفسير سورة الممتحنة، وفى باب: فضل من شهد بدرًا، إلاّ أنّ فى الحديث الذى أخرجه فى هذا الباب: أبا مرثد بدل المقداد، وأخرج مثل ما فى هذا الباب فى باب ما جاء فى المتأوّلين فى كتاب استتابة المرتدين، إلاّ أن أبا عَوَانَة روى الحديث الذى أخرجه فى باب ما جاء فى المتأولين قال: حاج، بدل خاخ، ثم قال البخارى بعد تمام الحديث: خاخ أصح، ولكن كذا قال أبو عوانة: حاج وحاج تصحيف، وهو موضع،

وهُشَيْم يقول[1]: خاخ. اهـ. وخاخ الذى أشار إليه البخارى أنه أصحّ بخاءين معجمتين، وحاخ الذى أشار إلى أنها تصحيف بحاء مهملة وألف وجيم، ذكر ذلك الحافظ أبو ذَرّ الهَرَوى، لأنه قال فى أثناء حديث أبى عَوَانة: حاج بحاء مهملة وجيم، كذا الرواية هنا، والصواب بخاءين معجمتين، هكذا وجدته منقولاً بخط بعض المحدثين عن أبى ذر.

وذكر ابن عُقْبة: أن عليًّا والزبير رضى الله عنهما أدركا المرأة حاملة كتاب حاطب ببطن ريم لأنه قال: فانطلقا حتى أدركا المرأة ببطن ريم. انتهى.

وذكر القاضى عياض فى «المشارق» أنّ ريم على أربعة بُرُد من المدينة على ما قال مالك، وقيل: ثلاثين ميلاً، كما فى مصنَّف عبد الرزاق، وأنَ روضة خاخ موضع بحمراء الأسد من المدينة، وحكى العابدى أنه موضع قريب من مكة، والأول أصح. اهـ.

ومنها: أن ابن إسحاق لم يذكر ما فى كتاب حاطب من اللفظ الذى عبر به عن المعنى، الذى أخبر به أهل مكة، وقد ذكر السُّهَيْلى شيئًا فى بيان ذلك، لأنه قال: فصل فى ذكر كتاب حاطب إلى قريش، ثم قال: وقد قيل: إنه كان فى الكتاب أن رسولَ الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده[2].

وفى تفسير ابن سلام أنه كان فى الكتاب الذى كتبه حاطب أنّ محمدًا قد نفر إما إليكم، وإما إلى غيركم، فعليكم الحذر. انتهى.

ومنها: أن ابن إسحاق لم يبين اسم اليوم الذى خرج فيه النبى ﷺ من المدينة لقوله: لعشر مضين من شهر رمضان. انتهى.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «وهو موضع وابن هشام يقول: خاخ» وصوابه من الأصل ومثله لدى السهيلى ٤/ ١٥١.

(٢) السهيلى ٤/ ١٥١.

وبيّن ذلك الحاكم النيسابورى فيما نقله عنه الحافظ مغلطاى فى سيرته، لأنه قال: وخرج من المدينة فى عشرة آلاف رجل، وقال الحاكم: فى اثنى عشر، يوم الأربعاء، بعد العصر لعشر مضين من رمضان. انتهى.

وذكر الأزرقى عن الواقدى ما يوافق ما ذكره الحاكم، وسيأتى ذلك فيما بعد، عند طواف النبى ﷺ بالكعبة.

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر: أنّ النبى ﷺ صام فى خروجه إلى مكة حتى بلغ الكَديد لقوله: فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكَديد بين عُسفَان وَأَمَج أفطر. انتهى.

وذكر الفاكهى خبرين يقتضيان خلاف ذلك، لأنه قال: حدثنا أبو بِشْر بكر ابن خَلَف، قال: حدثنا ابن أبى عباس، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: صام رسول الله ﷺ عام الفتح حتى بلغ عُسْفان(١).

وقال أيضًا: حدثنا هارون بن موسى المَرْوزى قال: حدثنى إبراهيم، وحدثنا محمد بن يحيى الزِّمّانى(٢)، وحسين بن حسن المَرْوزى، قالا: حدّثنا عبد الوهاب الثقفى جميعًا، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنهما، أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح، فصام حتى بلغ كُرَاع الغميم، فقيل له: إنّ الناس قد شق عليهم الصيام، فدعا بقدح من ماء بين الصلاتين فشربه، والناس ينظرون إليه، فأفطر بعض الناس، وصام بعضهم، فبلغ رسول الله ﷺ أن أناسًا صاموا، فقال ﷺ: أولئك العُصاة، ثلاث مرات(٣). انتهى.

ومنها: أن ابن إسحاق لم يبين الوقت الذى نزل فيه رسول الله ﷺ ومن معه مَرَّ الظَّهران، وقد بين ذلك ابن سعد، مع أمرين آخرين لا يُفْهِمُهُما كلامُ ابن إسحاق، لأنّ الحافظ أبا الفتح بن سيّد النّاس قال فى سيرته، فيما أُخبرت به عنه:

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢١٠.

(٢) بكسر الزاى وتشديد الميم، قيده ابن حجر فى التقريب، وتحرف فى المطبوعتين إلى: «الرمانى» بالراء المهملة.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢١٠.

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهران، وقال ابن سعد: نزله عشاءً، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب[١] ﷺ. انتهى.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أنَّ بُدَيْل بن وَرْقاء هو القائل لأبي سفيان: لا تعجبن، لما رآه من النيران والعسكر بمرِّ الظهران: هذه والله خُزاعة حمشتها الحرب، وكلام ابن عُقبة يقتضى أن أبا سفيان، وحكيم بن حزام، وبُدَيْل ابن وَرْقاء، قالوا ذلك، وأنهم قالوا في ذلك غيره، وذلك أيضًا لا يُفهم من كلام ابن إسحاق، لأنَّ ابن عُقْبة قال: وبعثت قريشٌ أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وخرج معهما بُدَيْل بن وَرْقاء، فاطلعوا على مَرّ الظَّهران حتى بلغوا الأراك، وذلك عشاء، فإذا النيران والفساطيط، والعسكر، وسمعوا صهيل الخيل فراعهم ذلك، وفزعوا، فقالوا: هذه بنو كعب حمشتها الحرب، ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: هؤلاء أكثر من بنى كعب، ثم قالوا: فلعلهم هوازن انتجعوا أرضنا، ولا والله ما يعرف هذا أيضًا. انتهى.

وذكر الفاكهى في الخبر الذى رواه عن محمد بن إدريس بن عمر المشار إليه ما يقتضى أن أبا سفيان لما سأل عن العسكر، والنيران، قيل له في ذلك غير ما سبق، لأنه قال: فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، فارتحلوا، فسار حتى نزلوا مرًّا، وجاء أبو سفيان ليلاً، فرأى العسكر والنيران، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: هذه تميم، أمحلت بلادُها، وانتجعت بلادكم، قال: هؤلاء والله أكثرُ من أهل مِنى، أو قالَ: مثل مِنى[٢]. اهـ.

ومعنى قوله في هذا الخبر: هؤلاء والله أكثر من أهل مِنى، شبّههم في الكثرة بالحُجّاج الذين ينـزلون بمنى، وليس المراد من ذلك أهل مِنى الذين هم سكانها دائمًا، لقلتهم، والله أعلم.

---

(١) عيون الأثر ١٦٨.

(٢) أخبار الفاكهى ٥/ ٢١٠، ٢١١.

وفى البخارى ما يقتضى أن أبا سفيان شبَّه ما رآه من النيران بمرّ الظّهران بنيران عَرَفة، وسيأتى ذلك قريبًا، ومراد أبى سفيان بنيران عَرَفة النيران التى يوقدها الحجاج بعَرَفَة لكثرتهم، والله أعلم.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن أبا سفيان لم يعلم بخبر ما رأى بمر الظهران من العسكر، إلاَّ من العباس رضي الله عنه، لأنه قال بعد أن ذكر خروج العباس عن العسكر، رجاء أن يجد من يبعثه إلى أهل مكة ليعلمهم الخبر، حتى يخرجوا فيستأمنوا لأنفسهم، ومحاورة أبى سفيان، وبُدَيْل، فيما رأيا من النيران، والعسكر، قال: فعرفت صوته ـــ يعنى أبا سفيان ـــ فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى، فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك فداك أبى وأمى؟ قال: قلت: وَيْحَكَ يا أبا سفيان [هذا رسول الله ﷺ فى الناس، واصباح قريش والله. انتهى.

وذكر الفاكهى فى الخبر السابق ما يقتضى أن أبا سفيان][(١)] علم الخبر من غير العباس، لأنه قال: بعد قوله: «وقال: مثل أهل منى» قال: فعلم أنه النبى ﷺ وأصحابه تنكر، وقال: دلونى على العباس: فأتى العباس فأخبره العباس الخبر. انتهى.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ أبا سفيان لما علم من العباس، بما رآه وتعجب منه من العسكر والنيران، استشار العباس فيما يصنع؟ فأشار إليه العباس بأن يذهب معه إلى النبى ﷺ ليستأمنه له، ففعل أبو سفيان ذلك، وكلام ابن عُقبة يقتضى أن أبا سفيان ومن معه أُخذُوا قهْرًا، وذهب بهم إلى العسكر، فلقيهم العباس وأجارهم، لأنه قال بعد أن ذكر قول أبى سفيان، وحكيم وبديل فيما رأوه من العسكر والنيران بمر الظهران: فبينما هم كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نفر، كان بعثهم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش، نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم؟ فلما دخل بهم إلى العسكر، لقيهم العباس فأجارهم، فقال: يا أبا حنظلة ثَكِلَتْك أمّك وعشيرتك، هذا محمد ﷺ وجميع

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.

المؤمنين، فادخلوا وأسْلِمُوا. انتهى. وفى هذا موافقة لما فى الخبر الذى ذكره الفاكهى من أن أبا سفيان علم خبر النبى ﷺ من غير العباس(١).

وذكر البخارى ما يوافق ما ذكره ابن عُقبة، من أخذ حرس رسول الله ﷺ لأبى سفيان، وحكيم، وبُدَيْل، لأنه قال: باب أين ركز النبى ﷺ الراية يوم الفتح؟ حدثنى عُبيد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام عن أبيه قال: لما سار رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك قريشًا، خرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبُدَيل بن ورقاء، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مَرَّ الظَّهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عَرَفَة، فقال أبو سفيان: ما هذه لَكأنَّها نيران عرفة؟ فقال بُدَيْل بن وَرْقاءَ: نيرانُ بنى عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقلُّ من ذلك، فرآهم ناسٌ من حَرَس رسول الله ﷺ، فأدركوهم، فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ. انتهى باختصار.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يُوهم أنّ حكيم بن حزام، وبُدَيْل بن وَرْقاءَ، لم يحضرا مع أبى سفيان عند النبى ﷺ بمَرّ الظّهران، لقوله بعد ذكْر ركوب أبى سفيان خلف العباس: ورجع صاحباه، وكلام ابن عُقبة يقتضى أنهما حضرا مع أبى سفيان عند النبى ﷺ بمَرّ الظّهران، لأنه قال تلْوَ قوله: «فادْخُلُوا، فأسْلموا»: فدخلوا على رسول الله ﷺ، فمكثوا عنده عامة الليل يحادثهم، ويسألهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فقال: اشهدوا أن لا إله إلا الله، فشهدوا، ثم قال: اشهدوا أنى محمد رسول الله، فشهد حكيم وبُدَيْل، وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك، فخرج أبو سفيان مع العباس ﷺ. انتهى.

وذكر ابن عُقبة فى هذا الخبر أنّ النبيّ ﷺ أمَّن من دخل دار حكيم بن حزام، قال: ودار حكيم بأسفل مكة. انتهى. ولعلها بالموضع بالمعروف بالخزامية، بقرب الحَزْوَرَة، والله أعلم.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢١١.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ أبا سفيان، إنما أسلم فى صبيحة الليلة التى حضر فيها إلى رسول الله ﷺ، لأنه قال: فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ إلى أن قال: فشهد شهادة الحق وأسلم. انتهى. وذكر ابن عُقبة ما يوافق ذلك، لأنه قال: فلما نودى للصلاة تبادر الناس ففزع أبو سفيان، فقال للعباس: ما تريدون؟ قال: الصلاة، ورأى الناس يتلقون وضوء رسول الله ﷺ، فقال: ما رأيت ملكًا قط كالليلة، ولا ملك كسْرَى، ولا ملك قَيْصَر، ولا بنى الأصفر، فسأل العباس أن يُدْخِله على رسول الله ﷺ فأدخله فقال: يا محمد قد استنصرتُ إلهي، واستنصرت إلهك، فوالله ما لقيتك من مرة إلا ظهرتَ علىَّ، فلو كان إلهى مُحقًّا، وإلهك مبطلاً لقد غلبتك، فشهد أنّ محمدًا رسول الله.

وذكر الفاكهى ما يقتضى أن أبا سفيان أسلم ليلاً، لأنه قال فى الخبر الذى رواه عن ابن إدريس تِلْو قوله: فأخبره العباس الخبر، وانطلق به إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ فى قبّة له، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا سفيان أسْلِم تَسْلَم، قال: فكيف أصنع باللات والعُزّى؟ قال أيوب: فحدثنى أبو الخليل عن سعيد بن جبير، قال: فقال له عمر وهو خارج من القبة فى عنقه السيف: أخر عليها، أما والله لو كنت خارجًا من القبة ما قلتها أبدًا، فقال أبو سفيان: من هذا؟ قالوا: عمر، ثم رجع إلى حديث أيوب عن عكرمة، قال: فأسلم أبو سفيان، وانطلق به العباس إلى منـــزله، فلما أصبحوا ثار الناس لظهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل أوَأُمِرَ الناسُ فىَّ بشىء؟ قال: لا، ولكنهم قاموا إلى الصلاة[1]. انتهى باختصار.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق لا يُفْهِم السَبَب الذى لأجله أمر النبى ﷺ العباسَ أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادى عند خَطْم الخَيل، حتى تمرَّ به جنود الله، وقد ذكر الفاكهى شيئًا يدل على بيان سبب ذلك، لأنه قال: حدثنى الحسين بن عبد المؤمن: حدثنا على بن عاصم، عن حُصين عن عُبيد الله بن عبد الله، قال: فلما

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢١١، ٢١٢.

جعل أبو سفيان يساير العباسَ بن عبد المطلب رأى من الناس انشارًا، والناس فى حوائجهم ليسوا بحضرة علوه، قال: فبهؤلاء يريد أن يغلبنى ويقتلنى محمد، قال: يا عباس أنبئنى مَن خلق السماء؟ قال: الله، قال: فأنبئنى مَن خلق الأرض؟ قال: الله، وجعل يسأله عن أشياء نحوها، فعرف أنّ الإسلام لم يدخل قلبه، فتخلف عنه، ثم أتى النبىَّ ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: ثَمَّ ادْعُ إلىَّ خالدَ بن الوليد، فدُعى له، وهو على مقدمة رسول الله ﷺ، قال: يا خالد، قال: لبيك يا رسول الله، قال: أضمَّ إليك الخيل، قال: نعم، ولم تكن بحضرة عدوّك يا رسول الله [قال: أضم إليك الخيل؟ قال: نعم، فضم إليه الخيل قال: ادعوا لى أبا عبيدة بن الجراح، فدعى له فقال: يا أبا عبيدة][1] اضمم إليك الناس، قال: نعم، قال: فضمَّ إليه الناس، قال: وبقى رسول الله ﷺ، فى الضعفاء، وفى المشاة، وفى الردافَى، فقال للعباس: انطلق به، فقف به من مكان كذا وكذا، قال: فذهب العباس فوقف بأبى سفيان فى المكان الذى أمره رسول الله ﷺ، فهو يحدثه إذ أقبل خالد بن الوليد ﷺ فى الخيل، فلما رآهم أبو سفيان فى الخيل قال: يا عباس أفى هؤلاء محمد؟ قال: لا، هذا خالد بن الوليد، هذا سيف الله، قال: فمضى خالد فى الخيل، ثم أقبل أبو عبيدة بالناس، فلما رآهم قال: يا عباس أفى هؤلاء محمد؟ قال: لا، هذا أبو عبيدة بن الجراح، هذا أمين الله على الناس، قال: فمضى أبو عبيدة فى الناس، ثم أقبل النبى ﷺ فى الردافَى، والمشاة، وضعفاء الناس، فلما رآهم عرف أنّ النبى ﷺ فيهم، فقال: يا عباس، هذا محمد؟ قال: نعم، هذا رسول الله ﷺ، قال: يا عباس، لا تفلح قريش بعد اليوم أبدًا، خذ لى من محمد الأمان، فأتى العباس النبىَّ ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله قد أرعبه، وإنه يسأل الأمان، قال: نعم، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن[2]. انتهى.

وذكر ابن عُقْبة ما يدلّ لسبب حبس أبى سفيان، حتى مر عليه جنود الله، وأفاد فيما ذكره بيان الموضع الذى حُبس فيه، وذلك لا يُفهم من كلام ابن إسحاق، لأنه قال: فلما توجّهوا ـــ يعنى أبا سفيان، وحكيم بن حزام، وبُدَيل بن

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل.
(٢) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٢ ـــ ٢٢٣.

وَرْقاء ــ ذاهبين، قال يا عباس: إنى لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن الإسلام، فيكفر، فأروحه، حتى يفقه ويرى من جنود الله معك، فأدركه العباس فحبسه، فقال أبو سفيان: أغَدْرًا يا بنى هاشم، قال: ستعلم أنا لسنا نغدر، ولكن لى إليك حاجة، فأصبحْ حتى تنظر إلى جنود الله، وإلى ما أعد الله للمشركين، فحبسهم بالغَميم دون الأراك إلى مكة، حتى أصبحوا، وأمر رسول الله ﷺ مناديًا فنادى، لتصبح كل قبيلة قد ارتحلت ووقفت مع صاحبها، عند رايته، وتظهر ما معها من العُدّة، فأصبح الناس على ظهر، وقدم النبى ﷺ بين يديه الكتائب، فمرّت كتيبة على أبي سفيان، فقال: يا عباس أفى هذه رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قال: فمَن هؤلاء؟ قال: قُضاعة، ثم مرت القبائل على راياتها، فرأى أمرًا عظيمًا رعَّبه الله به. انتهى. وهذا يقتضى أن يكون الغميم دون مَرّ الظهران إلى مكة، لأن أبا سفيان حُبس بالغميم ليرى ما أعزّ به الإسلام من الجنود، والجنود مرّت عليه بالغَميم، بعد توجُّهها من مَرّ الظّهران إلى مكة، فيكون الغَميم بين مرّ الظّهران ومكة.

وإنّما ذكرنا ذلك، لأن كلام النووى يقتضى أن يكون بين مَرّ الظهران وعُسفان، لأنه قال: كُراع الغميم، هو بضم الكاف، والغميم بفتح الغين وكسر الميم، وهو وادٍ بين مكة والمدينة، بينه وبين مكة مرحلتان، وهو أمام عُسفان بثمانية أميال، يُضاف إليه هذا الكُراع، وهو جبل أسود بطرف الحَرَّة يمتد إليه، ونقل عن صاحب «المطالع» أنه بضمّ الغَين وفتح الميم، ثم قال: قلت: هذا تصحيف. انتهى.

ومنها: أنّ ابن إسحاق ذكر ما يقتضى أن النبى ﷺ مر بأبى سفيان فى كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لأنه قال: بعد قوله فيقول: ما لى ولبنى فلان، حتى مر به رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، وذلك يخالف ما فى «صحيح البخارى» لأنّ فيه أنّ كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عُبادة ومعه الراية، قال: ولم يُرَ مثلها، ثم جاءت كتيبة أخرى هى أقلّ الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية النبى ﷺ مع الزبير، كذا وقع عند جميع الرواة، وروى الحُمَيْدى فى كتابه: هى أصل الكتائب وهى الأظهر، كما قال الحافظ أبو

الفتح بن سيّد الناس على ما أُخبرت به عنه فى سيرته، ومنها نقلت ما ذكرناه عن البخارى والحُمَيْدى، وقوله فى البخارى: ثم جاءت كتيبة، وهى أقلّ الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، أخرج البخارى ذلك فى الباب الذى ترجم عليه بقوله: باب أين ركز النبى ﷺ الراية يوم الفتح؟.

وذكر ابن عقبة ما يقتضى أن كتيبة الأنصار حين مروا بأبى سفيان كانت مع سعد بن عُبادة، لأنه قال: ومرت الكتائب تتلو بعضها بعضًا، على أبى سفيان وحكيم وبُدَيْل، لا تمر عليهم كتيبة إلاّ سألوا عنها، حتى مرّت كتيبة الأنصار، فيهم سعد بن عُبادة. اهـــ.

ووقع فى نسختى من مغازى ابن عُقبة: وابن حكيم، والصواب: وحكيم بإسقاط ابن، لأنّ الكلام لا يستقيم إلاّ بإسقاط ابن، والله أعلم.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ المهاجرين كانوا مع النبى ﷺ حين مرّ بأبى سفيان، وكلام ابن عُقبة يقتضى خلافَ ذلك، لأنه قال بعد قوله السابق: رغّبه الله به، وبعث رسول الله ﷺ الزُّبير بن العوام على المهاجرين، وخيلهم. انتهى.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ أبا سفيان بعد أن أطلقه العباس، أبلغ أهل مكة تأمين النبى ﷺ لمن دخل دار أبى سفيان، ومن أغلق عليه بابه، ومن دخل المسجد.

وذكر الفاكهى ما يقتضى أن العباس بن عبد المطلب هو الذى أبلغ ذلك قريشًا، لأن فى الخبر الذى رواه عن ابن عباس: فقال العباس ﷺ: يا رسول الله لو أذنْتَ لى فأتيتُ أهلَ مكة فدعوتهم وأمّنتهم، وجعلت لأبى سفيان شيئًا يُذكَر به قال: فانطلق العباس ﷺ حتى ركب بغلة رسول الله ﷺ الشهباء، ثم انطلق [فقال رسول الله ﷺ: ردوا علىّ أبى، فإن عم الرجل صنو أبيه][1] حتى قدم على أهل مكة فقال: يا أهل مكة أسْلِموا، تسلموا، قد استبطنتم بأشهب بازل، قال: وقد

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو فى الأصل، ومثله لدى الفاكهى الذى ينقل عنه المصنف.

كان رسول الله ﷺ بعث الزبير من قِبَل أعلى مكة، وبعث خالد بن الوليد من قِبَل أسفل مكة، فقال لهم العباس: هذا الزبير من قِبَل أعلى مكة وخالد بن الوليد من قِبَل أسفل مكة [فقال لهم العباس: هذا الزبير من قبل أعلى مكة، وخالد بن الوليد من قبل أسفل مكة، خالد وما خالد][1] وخُزاعة المُخزّعة الأنوف، قال: ثم قال: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قال: ثم جاء رسول الله ﷺ فتراموا بشيء من النَّبْل[2]. انتهى باختصار.

ومنها: أنّ ابن إسحاق ذكر ما يقتضي أنّ النبيّ ﷺ كان على رأسه يوم فتح مكة عمامة حمراء، لأنه قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنْ رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طَوَى وقف على راحلته محتجزًا بشقّة بُرْد حبرة حمراء. انتهى.

وذكر الفاكهي ما يقتضي خلاف ذلك، لأنه قال: حدثني أحمد بن عُبيد عن عاصم بن مضرّس الأنصاري، قال: أخبرني أبو بكر عمرو الضبّي، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: كان النبي ﷺ يوم فتح مكة معتجرًا بعمامة سوداء، والعباس بن عبد المطلب كذلك[3]. انتهى باختصار.

وقال: الفاكهي أيضًا: وحدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر قال: حدثنا سفيان عن مساور الوراق، قال: أخبرني جعفر بن عمر بن حريب عن أبيه، قال: رأيت على النبي ﷺ عمامة سوداء يوم فتح مكة.

قال الفاكهي: حدثنا ابن أبي عمر حدثنا بشير بن السري، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء[4]. انتهى. ولا يعارض ذلك حديثَ أنس رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ دخل مكة عام

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة ملدري، وهو في الأصل والفاكهي.

(٢) الفاكهي ٥/ ٢١٣.

(٣) الفاكهي ٥/ ٢١٥.

(٤) الفاكهي ٥/ ٢١٥.

الفتح وعلى رأسه المِغْفَر، لإمكان أن تكون العمامة السوداء أو الشقة الحمراء المشار إليها هنا من فوق المغْفر، والله أعلم.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق مُوهم فى بيان الموضع الذى أمر النبى ﷺ الزُّبير ابن العوّام أن يدخل منه إلى مكة يوم فتحها، لأنه قال: وحدثنى ابن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذى طَوَى، أمر الزبير بن العوّام أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء. انتهى.

ووجه الإيهام فى كلام ابن إسحاق أنه لم يقل فى كَدَاء التى أمر الزبير بالدخول منها بأعلى مكة، ولا بأسفلها، ولم يقل مثل ذلك فى كُدى التى أمر سعدًا بالدخول منها [فإن كان مراده بكَدَاء التى أمر الزبيرَ بالدخول منها: كُدىً التى بأعلى مكة، فكلامه لا يُفْهِم ذلك، وإن أراد بكُدَىً التى أمر الزبيرَ بالدخول منها][(١)] التى بأسفل مكة، فهو مخالف لِما ذكره ابن عُقبة، لأنه قال: وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوّام على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل من كُدَى من أعلى مكة، وأعطاه رسول الله ﷺ رايته، وأمره أن يغرزها بالحَجُون، ولا يبرح حيث أمره أن يغرزها، حتى يأتيه. انتهى.

ومنها: أنّ ابن هشام ذكر أنّ عمر بن الخطاب ﷺ سمع سعد بن عُبادة حين قال:

اليوم يوم الـــمَلْحَمَة اليوم تُستَحَلّ الحُرمة[(٢)].

وأنّ عمر ﷺ أخبر بذلك النبيّ ﷺ وقال: ما نأمن أن يكون له فى قريش صَوْلة.

وذكر الأموى ما يخالف ذلك، لأنّ الحافظ أبا الفتح بن سيّد الناس قال فيما أُخبرت به عنه: وقال الأموى: وكانت راية رسول الله ﷺ يوم الفتح بيد سعد بن

---

(١) ساقط من: هـ.

(٢) ورد هذا النثر شعرًا فى المطبوعتين وهو تحريف قبيح وامتهان لتراثنا من فئات تدعى العلم، وقد ذكر على الصواب نثرًا ــ لدى ابن الأثير فى أسد الغابة ٢/ ٣٥٧، وابن سيد الناس فى عيون الأثر ٢/ ١٧١ كما ورد نثرًا فى الأصل.

عُبادة، فلما مرّ بها على أبي سفيان، وكان قد أسلم أبو سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه: اليوم يوم الـــمَلْحَمَة اليوم تُسْتَحَلّ الحُرمة، اليوم أذل الله قريشًا فأقبل رسول الله ﷺ في كتيبة الأنصار، حتى إذا حاذى أبا سفيان نادى: يا رسول الله، أمرتَ بقتل قومك، فإنه زعم سعدٌ ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا، أنشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس وأرحمهم، وأوصلهم، وقال عثمان وعبد الرحمن بن عَوْف: ما نأمن سعدًا أن يكون منه في قريش صَوْلة، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا سفيان: اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشًا[1]. انتهى.

وهذا مخالف لما ذكره ابن هشام من وجهين:

أحدهما: أنّ أبا سفيان أخبر النبي ﷺ بمقالة سعد، والآخر أنّ عثمان بن عفان، وعبد الرحمن هما القائلان: ما نأمن أن يكون من سعد في قريش صَوْلة، ووقوع ذلك منهما أقرب من وقوعه من عمر، لشدته في دين الله، والله أعلم.

وذكر ابن عُقبة ما يوافق ما ذكره الأموي من أنّ أبا سفيان سمع مقالة سعد وأخبر بها النبيَّ ﷺ، واستعطفه على قريش، وسيأتي ذلك قريبًا، وفي «صحيح البخاري» مثل ذلك، لأنّ في حديث فتح مكة الذي ترجم عليه بقوله: باب أين ركّز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عُبادة؟. اهـــ.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضي أنّ النبيّ أمر عليّ بن أبي طالب ﷺ أن يأخذ الراية من سعد، وأن يدخل عليّ بها، لأنه قال بعد ذكر ما نسبه لعمر من الكلام السابق في حقّ سعد، فقال النبيّ ﷺ لعليّ بن أبي طالب: أدْركه فخذ الراية، فكن أنت الذي تدخل بها، وهذا مخالف لما ذكر الأموي، لأنه قال بعد ذكْره لما سبق، ولشعر قاله ضرار بن الخطاب الفِهْري في يوم فتح مكة، ليستعطف به النبي ﷺ على قريش، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عُبادة، فنـــزع اللواء من يده،

---

(١) أسد الغابة ٢/ ٣٥٧، عيون الأثر ٢/ ١٧٣.

وجعله بيد قيس ابنه، ورأى رسول الله ﷺ أنّ اللواء لم يخرج عنه، إذ صار إلى ابنه قيس. انتهى.

وذكر الفاكهي ما يوافق ما ذكره الأموي، لأنه قال: حدثني الحسين بن عبد المؤمن قال: حدثنا علي بن عاصم، عن عطاء بن السائب، قال: حدثني طاوس، وعامر، قالا: دخل رسول الله ﷺ فقدم خالد بن الوليد، فذكر شيئًا من خبره، يأتي ذكره، ثم قال: ألا إنّ راية الأنصار في يد سعد بن عُبادة، وقد مات سعد بن مُعاذ، وصار سعد بن عُبادة سيّد القوم، الراية في يده، فبينما هو واقف، والأنصار حوله، إذ نظر فلم ير حوله إلاّ الأنصار، فقال: اليوم يوم الـمَلْحَمَة اليوم تُستَحَلّ الحُرمة.

ودخل معهم من المهاجرين من لا يفطن له، فاشتدّ وهم لا يعلمون، فأتى النبي ﷺ، فأخبره بما سمع من سعد بن عُبادة، فقال له: أنت سمعته يقول هذا؟ قال: نعم، قال: من هاهنا ادع إليّ قيس بن سعد بن عُبادة، فجاء الرسول وهو واقف مع أبيه، والراية في يد أبيه، وقال: يا قيس يدعوك رسول الله ﷺ، فجاءه، فقال: يا قيس، قال: لبيك يا رسول الله، فقال: اذهب فخذ الراية من سعد، قال: نعم يا رسول الله، قال: فجاءه الأنصار حوله فقال: أعطني الراية، قال: لا، لا أُمّ لك، قال: أعطنيها ولا تحمق نفسك، قال لا: إلاّ أنْ يكون رسول الله ﷺ أمرك بهذا، قال: أمرني بذلك رسول الله ﷺ، قال: فسمعًا وطاعة، ودفع الراية إلى قيس ابنه، فدخل رسول الله ﷺ مكة، والراية مع قيس بن عُبادة[1]. انتهى.

وذكر الفاكهي أيضًا ما يخالف ما ذكرناه عنه، لأنه قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن أبي مسرة[2]، قال: حدثنا محمد بن الحسن، قال: حدثتني أم عُرْوَة، عن أمها عن جدها الزّبير بن العوام، قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لواء سعد بن عُبادة، ودخل مكة بلواءين[3]. اهـ.

---

(١) الفاكهي ٥: ٢١٦.
(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «ميسرة» وصوابه من الأصل والفاكهي.
(٣) الفاكهي ٥/ ٢١٧.

ونقل ابن عُقبة ما يوافق الخبر الذى رواه الفاكهى عن ابن أبى مسرة، لأنه قال: بعد أن ذكر مرور سعد بن عُبادة، فى كتيبة الأنصار على أبى سفيان، فنادى ـ أى سعد نثر أبا سفيان، فقال: اليوم يوم الـمَلْحَمَة اليوم تُستَحَلّ الحُرمة.

فلما جاز به رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار، قال أبو سفيان: أمرت بقومك أن يقتلوا، فإن سعد بن عُبادة ومَن معه حين مرّوا بى نادونى: اليوم يوم الـمَلْحَمَة اليوم تُستَحَلّ الحُرمة.

وإنّى أنشدك الله فى قومك، فأرسل رسول الله إلى سعد فعزله وجعل الزبير مكانه على الأنصار مع المهاجرين، فسار الزبير بالناس حتى وقف بالحَجُون، وغرز راية رسول الله ﷺ. انتهى. فتحصّل من هذه الأخبار فيمن أعطاه النبى ﷺ الراية بعد أخذها من سعد بن عُبادة ثلاثة أقوال: أولها: أنه على بن أبى طالب ﷺ، على مقتضى ما ذكره ابن إسحاق، وثانيها: أنه قيس بن سعد، على ما ذكره الأموى والفاكهى، وثالثها: أنه الزبير بن العوّام على ما ذكره الفاكهى أيضًا وابن عُقبة.

ومنها: أنّ ابن عُقبة ذكر ما يقتضى أنّ سعدًا كان قد أعطى رايته قبل أخذها لابنه قيس، لأنه قال: وبعث سعد بن عُبادة فى كتيبة الأنصار فى مقدمة رسول الله ﷺ، فدفع سعد رايته إلى قيس بن سعد. انتهى. وهذا لا يُفهم من كلام ابن إسحاق.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يبين صفة راية رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، وقد بيّن ذلك الفاكهى، لأنه قال: حدثنا الحسن بن على الحلوانى، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا شُرَيك بن عبد الله النخعى عن عمّار الدهنى[1]، عن ابن الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة ولواؤه أبيض، قال الحسن بن على: يعنى يوم الفتح[2]. انتهى.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يُفهم أنّ أبا عُبيدة بن الجراح كان يوم فتح مكة على المشاة بين يدى رسول الله ﷺ، لأنه قال: وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بصفّ

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الذهبى» وصوابه من الأصل والفاكهى.

(٢) الفاكهى ٥/ ٢١٧.

من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله ﷺ. اهـ. ويتأيد ذلك بما رويناه فى «صحيح مسلم» من أنّ أبا عُبيدة كان على البيادقة يعنى الرجّالة، وقد سبق ضبط البيادق فى الباب الأول، فأغنى عن إعادته.

وذكر الفاكهى ما يقتضى أنّ أبا عُبيدة لم يكن يوم الفتح ـ أى فتح مكة ـ على الرجّالة إلاّ فى الخبر الذى سبق ذكره عنه فى بيان سبب حبس أبى سفيان، حتى مرت عليه جنود الله، قال: ادعوا إلىّ أبا عُبيدة بن الجرّاح، فدُعى له، قال: يا أبا عُبيدة ضمّ إليك الناس، قال: نعم، وضمّ إليه الناس، قال: وبقى رسول الله ﷺ فى الضعفاء، وفى المشاة، وفى الردافى. اهـ. ويتأيد ذلك من حيث المعنى بأنّ المقصود إرهاب أبى سفيان، وإرهابه بمرور أبى عُبيدة عليه، ومعه غير المشاة أقوى من إرهابه بمرور أبى عُبيدة عليه، والمشاة مع أبى عبيدة، والله أعلم.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ النبىّ ﷺ دخل مكة يوم فتحها من أذاخر، لأنه قال: ودخل النبى ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة، وضُربت هنالك قبته. انتهى.

وذكر ابن عُقبة ما يقتضى أن النبى ﷺ دخل من ثنية كَدَاء بأعلى مكة، لأنه قال: ولما علا رسول الله ﷺ ثنيّةَ كَدَاء نظر إلى البارقة على الجبال، ثم فضض المشركين، فقال: ما هذا؟ وقد نُهيت عن القتال، فقال المهاجرون: نظنّ أنّ خالدًا قوتل وبدئ بالقتال، فلم يكن له بد من أن يقاتل من قاتله، وما كان ليعصيك، ولا ليخالف أمرك، فهبط رسول الله من الثنيّة، فأجاز على الحَجُون. انتهى.

وذكر الفاكهى ما يوافق ما ذكره ابن عُقبة، لأنه قال: حدثنى عبد الله بن شبيب قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنى معن بن عيسى عن عبد الله بن عمر عن حفص عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة رأى النساء يلطمن وجوه الخيلِ بالخُمُر، فتبسم رسول الله ﷺ إلى أبى بكر، فقال: كيف؟ قال حسان بن ثابت: يا أبا بكر؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

عَدِمْتُ ثُنيّتى إن لم يروها ... تثير النقع من كتفى كَدَاء
ينازِعنَ الأعنّة مشعفات ... يلطمهنّ بالخُمُرِ النساء

فقال رسول الله ﷺ: ادخلوا من حيث قال حسَّان، فدخل رسول الله ﷺ من كَدَاء أعلى مكة[١]. انتهى.

ومنها: أنّ كلام ابن عُقبة يقتضى أنّ القصّة التى ذكرها ابن إسحاق لحمَاس[٢]، وقعت لغيره لأنّ ابن عُقبة قال: فدخل رجل من هُذَيل حين هُزمت بنو بكر على امرأته، فلامته وعجّزته وعيّرته بالفرار فقال:

وأنت لو رأيت يوم الخَنْدَمَهْ إذ فرَّ صفوان وفرَّ عِكْرِمَهْ
ولحقتنا بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وجمجمهْ
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمهْ[٣]

قال: وقال ابن شهاب: قالها حمَاسٌ أخو بنى سعد بن ليث. انتهى. وذكر ابن إسحاق ما يقتضى أنّ هذه الأبياتَ لبعض هُذَيل، لأنه قال: ويُروَى للرعاش[٤] الهُذلى، فاستفدنا من هذا الخلاف فى صاحب هذه القصة، هل هو حماس[٥] أو غيره؟ والله أعلم بالصواب. اهـــ.

ومنها: أنّ ابن إسحاق خولف فيما ذكره من عدد من قُتل من المشركين يوم فتح مكة، لأنه قال: وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر، ثم انهزموا. انتهى. وقال ابن عُقبة: واندفع خالد بن الوليد حين دخل من أسفل مكةِ فلقيته بنو بكر، فقاتلوا فهُزموا، وقُتل من بنى بكر قريبًا من عشرين، ومن هُذَيل ثلاثة أو أربعة، وانهزموا وقتلوا بالحَزْوَرَة، حتى بلغ قتلهم باب المسجد. انتهى.

وقال ابن سعد: قُتل أربعة وعشرون رجلاً من قريش، وأربعة من هُذَيل، ذكر ذلك عن ابن سعد، هكذا: الحافظ أبو الفتح اليعمُرى فى سيرته بعد ذكره لكلام ابن إسحاق فى ذلك، فيما أخبرنى به بعض مشايخنا عن الحافظ أبى الفتح[٦].

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢١٤، ٢١٥.
(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «حماش» بالشين المعجمة وصوابه من الأصل وابن هشام.
(٣) ابن هشام ٤/ ٤٠٨.
(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «لخراش» وصوابه من الأصل وابن هشام.
(٥) تحرف فى المطبوعتين إلى: «خراش» وصوابه من الأصل وابن هشام.
(٦) عيون الأثر ٢/ ١٧٣.

وذكر الفاكهى خبرًا فيه ما يقتضى أن المقتولين من المشركين يوم فتح مكة سبعون رجلاً، وذكر لذلك سببًا، فاقتضى الحال ذكْر ذلك لِما فيه من الفائدة، لأنه قال: حدثنى الحسين بن عبد المؤمن قال: حدثنا على بن عاصم عن عطاء بن السائب قال: حدثنى طاوس، وعامر، قالا: دخل رسول الله ﷺ، فقدم خالد بن الوليد ﷺ، فأناهم شيئًا من قتل، فجاء رجل من قريش فقال: يا رسول الله هذا خالد بن الوليد قد أسرع فى القتل، فقال النبىّ ﷺ لرجل من الأنصار عنده: يا فلان، قال: لبيك يا رسول الله، قال: ائت خالدَ بن الوليد، فقل له: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن لا تقتل فى مكة أحدًا، فجاء الأنصارى، فقال: يا خالد إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تقتل من لقيت من الناس، فاندفع خالد، فقتل سبعين رجلاً بمكة، قال: فجاء النبى ﷺ رجل من قريش فقال: يا رسول الله هلكت قريش، لا قريش بعد اليوم، قال: ولِمَ؟ قال: هذا خالد لا يلقى أحدًا من الناس إلا قتله، قال: ادع لى خالدًا، فدعى له قال: يا خالد ألم أرسل إليك أن لا تقتل أحدًا؟ قال: بل أرسلت إلىّ أن أقتل من قدرت عليه، قال: ادع لى الأنصارى، فدُعى له، فقال: ألم آمرك أن تأمر خالدًا أن لا يقتل أحدًا؟ قال: بلى، ولكنّك أمرت وأراد الله غيره، فكان ما أراد الله، قال: يا خالد، قال: لبيك يا رسول الله، قال: لا تقتل أحدًا، ولم يقل للأنصارى شيئًا[1]. اهـ.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ النبىّ ﷺ أمر أن لا يقتل يوم فتح مكة إلاّ من قاتل من المشركين، لأنه قال: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، إلا أنه قد عهد فى نفرٍ سمّاهم أمر بقتلهم، وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة. اهـ.

وذكر ابن عُقبة ما يوافق ذلك، لأنه قال: وأمرهم رسول الله ﷺ أن يكفّوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، وأمرهم بقتل أربعة نفر. اهـ.

(١) الفاكهى ٥/ ٢١٨.

وروينا فى مُسْند ابن حنبل ما يقتضى أنّ النبىّ أمر بقتل غير من استثناه، لأنه قال: حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ، قال: كفّوا السلاح إلاّ خُزاعة عن بنى بكر، فأذن لهم حتى صلّى العصر، ثم قال: كفّوا السلاح... الحديث بطوله، وذكر الفاكهى أنه قال: حدثنا حسن بن حسين أن ابن أبى عَدىّ قال: حدثنا حسين المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، قال: كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر فأذن لهم حتى صلوا العصر، ثم أمرهم أن يكفوا السلاح، حتى إذا كان الغد لقى رجل من خُزاعة رجلاً من بنى بكر بالمُزْدَلفة فقتله، فلما بلغ ذلك النبىَّ ﷺ قام خطيبًا وظهرُه إلى الكعبة، فقال: إنّ أعتى الناس على الله مَن عَدا فى الحَرَم، ومن قتل غير قاتله، ومن قتل بذحول الجاهلية(١). انتهى باختصار.

ومنها: أنّ ابن سعد أحد بنى عامر بن لُؤَىّ الذى أمر رسول الله ﷺ بقتْله يوم فتح مكة، هو ابن أبى سرح، وذلك لا يُفهم من كلام ابن إسحاق، ووقع فى بعض نُسخ سيرته تسميته بعبد الله، وذلك لا يُفهم أيضًا أنه ابن أبى سرح، وقد ذكره ابن عُقبة بأوضح مما ذكره ابن إسحاق، لأنه قال: وأمرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن أبى سرح. انتهى.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يذكر فى سبب أمر النبى ﷺ بقتل ابن أبى سرح، سوى ارتداده إلى الشرك بعد الإسلام، وكتابته الوحىَ للنبى ﷺ بأمره ﷺ، قبل الفتح، وهاجر، وكان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ، ثم ارتدّ مشركًا إلى قريش بمكة، فقال لهم: إنّى كنت أصرف محمدًا حيث أريد، كان يملى عزيز حكيم، فأقول أو عليم حكيم، فيقول: نعم، كلٌّ صواب(٢). انتهى.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يبيّن أُخُوّة الرضاع التى بين أبى سرح، وعثمان بن عفان، وبيّن ذلك ابن عبد البرّ، لأنه قال، تلْو قوله كلٌّ صواب: فلما كان يوم

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢١٩.
(٢) الاستيعاب ٣/ ٩١٨.

الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله، وقتل عبد الله بن خَطَل، ومِقْيَس بن حُبابة[١]، ولو وُجدوا تحت ستار الكعبة، ففر عبد الله بن أبي سرح إلى عثمان بن عفان ﷺ، وكان أخاه من الرضاعة، أرضعته أم عثمان[٢] ﷺ. انتهى.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق لا يُفهم أنّ النبيّ ﷺ فهم عنه أحد من الحاضرين عنده، لما جاء ابن أبي سرح أنه يريد قتل ابن أبي سرح، لأنه قال: بعد أن ذكر مجيء عثمان إلى النبيّ ﷺ، فزعموا أنّ رسول الله صبر طويلاً، ثم قال: نعم فلما انصرف عثمان ﷺ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: لقد صَمَتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه[٣]. انتهى.

وفي الخبر الذي سبق ذِكره عن الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري، ما يقتضي أن النبي ﷺ فهم عنه بعض الحاضرين عنده، لما جاء ابن أبي سرح أنه يريد قتل ابن أبي سرح، لأنّ في الخبر المذكور، ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله ابن أبي سرح، إذا رآه، وكان أخا عثمان من الرضاعة، فأتى به رسول الله ﷺ يستشفع له [فلما بصر به الأنصاري اشتمل السيف على عاتقه وخرج في طلبه، فوجده][٤] في حلقة رسول الله ﷺ، فهاب قتله، فجعل يتردد، ويكره أن يقدم عليه، لأنه في حلقة رسول الله ﷺ، فبسط رسول الله ﷺ يده فبايعه، ثم قال للأنصاري: قد انتظرتك أن تُوفي نذرك، قال: يا رسول الله هبتك، أَفَلا أومأتَ إليّ، قال: إنه ليس لنبيّ أن يومئ. انتهى.

وكان ابن أبي سرح فارس بني عامر بن لُؤَيّ معدودًا فيهم، وهو أحدّ النُّجباء العقلاء الكرماء من قريش، وكان مجاب الدعوة، وله في ذلك خبر غريب، وذلك أنّ محمد بن حذيفة بن عُقبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مَناف القُرَشي

---

(١) تحرف في الأصل إلى: «صبابة» وفي المطبوعتين إلى: «ضباعة» وصوابه من القاموس وشرحه وابن هشام.
(٢) ابن هشام ٤/ ٤٠٩، ٤١٠.
(٣) ابن هشام ٤/ ٤٠٩.
(٤) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمري وهو في الأصل.

العبشمى نزع مصر من ولاية ابن أبي سرح هذا لما توجه ابن أبي سرح إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه بالمدينة [ومنعه ابن حذيفة من دخول مصر لما عاد من المدينة][1] فمضى إلى عسقلان، وقيل إلى الرملة، ودُعي به أن يجعل خاصة عمله صلاة الصبح، فتوضأ، ثم صلَّى قرأ في الركعة الأولى بأمّ القرآن، والعاديات، وفي الثانية بأمّ القرآن وسورة، ثم سلَّم عن يمينه، وذهب ليسلم عن يساره، فقبض الله روحه، على ما ذكر يزيد بن أبي حبيب وغيره، فيما حكاه عنه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ومنه لخّصت ما ذكرت من حاله، وذكر ابن عبد البرّ أنه لم يبايع لعليّ ولا معاوية رضي الله عنهما، فإنه توفي سنة ستٍّ أو سبعٍ وثلاثين[2].

ومنها: أنّ ابن إسحاق سمّى ابن خطل الذى أمر النبي ﷺ بقتله عبد الله، لأنه قال: وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب. انتهى. وقد اختُلف في اسمه، فقيل: عبد الله، كما قال ابن إسحاق، وقيل اسمه: هلال، ذكره الفاكهي في خبر يأتي ذكره، وذكره السُّهَيلي، لأنه قال: وقد قيل في اسمه هلال، قال: وقد قيل: هلال كان أخاه، ويقال لهما: الخطلان وهما من تيم بن غالب بن فِهْر. انتهى.

وقال ابن بشكوال في «المبهمات»[3] لما تكلم في حديث قتل ابن خطل: اختُلف في اسمه، فقيل: عبد الله، وقيل: عبد العُزّى، وقيل: هلال، ذكر ذلك كلّه الدارقُطْني في سُنَنه.

وذكر ابن عُقبة ما يقتضي أنّ اسمه قيس، لأنه قال: وأمر بقتل قيس بن خطل يوم الفتح رسول الله ﷺ. انتهى.

وذكر الفاكهي ما يقتضي أنّ اسمه عبد العزيز، لأنه قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، قال: حدثنا هشام بن سليمان المخزومي عن ابن جريج، قال: بلغني أن النبي ﷺ أمّن الناس يوم الفتح، إلا أربعة نفر منهم عبد العزيز بن خطل[4]. انتهى.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى وهو في الأصل.

(٢) الاستيعاب ٣/ ٩١٨ – ٩٢٠.

(٣) تحرف في طبعة تدمرى إلى: «المبهمات» وصوابه من الأصل.

(٤) أخبار مكة للفاكهي ٥/ ٢٢٠.

ولعل عبد العزيز، كما فى هذا الخبر، تصحيف من الناسخ، فإن عبد العُزَّى شبهه فى الصورة: عبد العزيز، والله أعلم.

ومنها: أنّ ابن إسحاق ذكر أن الذى قتل ابن خَطَل: سعيد بن حُرَيْث المخزومى وأبو برزة الأسلمى، اشتركا فى قتله.

وذكر الفاكهى ما يخالف ذلك، لأنه قال: حدثنا زيد بن حُباب، ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد، حدّثنى جدّى عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: أربعة لا أؤمّنهم فى حلّ ولا فى حَرَم: الحارث بن نقيد، ومِقْيَس بن حُبَابة، وعبد الله بن أبى سرح، وهلال بن خطل، قال: فقتل علىّ ﷺ الحارثَ بن نقيد، وقتل مقْيَسَ ابنُ عمٍّ له، وقتل هلالَ بن خطل الزبيرُ بن العوام[1] ﷺ. اهـ.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يبيّن الموضع الذى قُتل به ابن خَطَل، وبيّن ذلك ابن جُرَيْج فى الخبر الذى سبق ذِكره قريبًا من كتاب الفاكهى، وأن فيه قتْل ابن خَطَل، وهو آخذ بثياب الكعبة يتعوذ بها. اهـ.

وفى الصحيحين وغيرهما، ما يشهد لما ذكره ابن جُرَيْج، وروينا مثل هذا فى مُبهمات الحافظ عبد الغنى بن سعيد، لأن فى الحديث الذى سبق فى بيان حاملة كتاب حاطب، فأما عبد العُزّى فإنه قُتل وهو آخذ بأستار الكعبة. انتهى.

ومنها: أنّ ابن إسحاق ذكر أن الذى قتل مِقْيَس بن حُبَابة: نُميلة بن عبد الله رجل من قومه، وذكر الفاكهى فى الخبر الذى سبق ذكره قريبًا عن ابن جُرَيْج خلاف ذلك، لأنّ فيه: وقتل مِقْيَس بن حُبَابة سعيد بن حريث، أو عمر بن حريث، وأفادنى هذا الخبر موضع قتله، لأنه قال: وأما مِقْيَس فقُتل عند الردْم. انتهى.

والمراد والله أعلم بالردْم: ردْم بنى جُمَح الذى قيل: إنّ النبىّ ﷺ وُلد فيه، كما سبق فى باب ذِكر الموضع الذى وُلد فيه رسول الله ﷺ، فى الباب الحادى والعشرين من هذا الكتاب، وليس المراد بالردْم، الردْم الذى بأعلى مكة، لأنه لم

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢١٩.

يكن إلاّ فى خلافة عمر بن الخطاب، عُمِل صَوّنًا للمسجد، حين ذهب بالمقام عن موضعه.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ الرجل الذى قتله مِقْيَس بن صبابة، وارتدّ بعد قتله، من الأنصار، لأنه قال لما ذكر الذين أمر النبيّ ﷺ بقتلهم، لقتله الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركًا.

وذكر الحافظ عبد الغنى بن سعيد، ما يخالف كلام ابن إسحاق هذا، لأنه قال فى الخبر الذى سبق ذكره: وأما مِقْيَس بن حُبَابة، فإنه كان له أخ مع رسول الله ﷺ، فقُتل خطأً، فبعثَ معه رسولَ الله ﷺ رجلاً من بنى فِهْر، ليأخذ له عقله من الفهْرى، فلما جُمع له العقل رجع القهقرَى، فوثب مِقْيَس وأخذ حجرًا فجلد به رأسه، فقتله [ثم أقبل وهو يقول:

شَفَى النفس أن قَدْ مات بالقاع مسندا
تُضَرّج ثوبيه دماءُ الأخادعِ
وكانت هموم النفس من قبل قتله
تُلمّ فتحميني وطاء المَضَاجع
حَللت به وِتْرى وأدركَتُ ثُؤْرتى
وكنت إلى الأوثان أول راجع[1]

وفى حاشية كتاب الحافظ عبد الغنى:

تأرتُ به فهرًا وحملت عقله سراةَ بنى النجار إن مات فارع

انتهى].

وفيما ذكره الحافظ عبد الغنى من خبر مِقْيَس ما لا يُفهم مما ذكره ابن إسحاق.

---

(١) وردت هذه الأبيات محرفة فى طبعة الذهبى تحريفًا قبيحًا، ولدى تدمرى فى متن الكتاب: «فجلد به رأسه فقتله» وبالهامش: «هنا أبيات مكسورة الوزن، مختلة الأسلوب، لم نشأ ذكرها لذلك». قلت: وقد اعتمدنا فى تصويب هذه الأبيات على الأصل وعلى ما ورد لدى ابن هشام فى السيرة ٣/ ٢٩٣ والأبيات من الطويل وانظر لذلك أيضا ج٤ ص٤١٠ من ابن هشام.

ومنها: أنّ الحافظ أباع الفتح بن سيّد الناس ذكر هبار بن الأسود بن المطلب فيمن أمر النبي ﷺ بقتلهم، وأنهم وجدوا تحت أستار الكعبة هبارًا هذا، وهو هبار ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كلاب القُرَشي الأسدي، ولعل أمر النبي ﷺ بقتله، لما صنع بزينب ابنة النبي ﷺ حين بعث بها زوجها أبو العاصي بن الربيع إلى المدينة، وذلك أنّ هبارًا تعرض لها في سفهاء قريش، فأهوى هبار إليها، ونخس دابتها، فسقطت عن دابتها وألقت ما في بطنها، فقال النبي ﷺ: إنْ وجدتم هبارًا، فأحرقوه بالنار، ثم اقتلوه، فإنه لا يعذب بالنّار إلاّ رب النار، فلم يوجد، ثم أسلم هبار وحسُن إسلامه، وصحب النبيَّ ﷺ، وذكر ابن سيد الناس في سبب قتل هبار ما ذكرناه بالمعنى، لأنه قال: وأما هبار بن الأسود فهو الذى عرض لزينب بنت النبي ﷺ، وذكر ما سبق بالمعنى(١).

ومنها: أنّ الحافظ علاء الدين مغلطاى ذكر ما يقتضى أنّ النبيّ ﷺ استثنى من أمانه يوم الفتح جماعةً غير الذين ذكرهم ابن إسحاق، لأنه قال: فيما أُخبرت به عنه، ونادى مُناديه ﷺ: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، إلا المستثنين، وهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم، وابن خَطَل قتله أبو برزة، وقَيْنَتان، فربما أسلمتا، وسارة، ويقال: كانت مولاة عمرو بن صيفي، وهاشم وأرنب وقريبه، فقلت: وعكْرمة بن أبي جهل أسلم، والحُوَيرث بن نُقَيْذ، قتله علي، ومِقْيَس بن حُبَابة قتله نُمَيْلَة الليثي، وهبار بن الأسود أسلم وكعب بن زهير أسلم، وهند بنت عُتبة أسلمت، ووحشي ابن حرب أسلم(٢). اهـــ. وقد سبق التعريف بشيء من هؤلاء المستثنين، إلاّ كعب ابن زهير، فإنه ابن أبي سُلْمَى المُزَنِي الشاعر المشهور صاحب:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبُول

القصيدة المشهورة التي مُدِح بها النبي ﷺ، وهند بنت عُتبة، وهي امرأة أبي سفيان أم معاوية بن أبي سفيان، ووحشيّ هو قاتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب،

---

(١) عيون الأثر ٢/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى ـــ ص ٣٠٨.

ولعل الأمر بقتل وحشى وهند لما فعلا بحمزة بن عبد المطلب، فإن وحشيًّا قتله، وهند بنت عُتبة نقرت عن كَبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تستسيغها، فَلَفَظَتْها، وكانت هى ونسوة معها يجدعْن الآذان والأُنوف من قتلَى المسلمين يوم أُحُد. انتهى. والله أعلم.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يبيّن اسم قَيْنَتَىْ ابن خَطَل، وإنّما بيّن اسمَ إحداهما، وأنه فَرْتَنى، وبيّن ذلك ابن سيّد الناس فى غير موضع، لأنه قال: وأما قَيْنَتا ابن خَطَل فَرْتَنى وقَرِيبة، فقُتلت إحداهما، واستؤمن رسول الله ﷺ فى الأخرى فأمّنها، فعاشت مدّة، ثم ماتت فى حياة النبى ﷺ، وقال أيضًا بعد ذكره مقتلَ ابن خَطَل: وكان له قَيْنَتَان فَرْتَنى وقريبة[1]. انتهى. أخبرنى بذلك عن سيد الناس غير واحد من أشياخى.

وذكر السُّهَيلى أنَ اسم قَيْنَتَىْ ابن خَطَل فَرْتَنى، وسارة[2]، وهذا يخالف ما ذكره ابن سيد الناس، من أن اسم إحداهما قريبة، والأخرى فَرْتَنى، والله أعلم بالصواب، وسيأتى ذكر كلام السُّهَيلى.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق أنّ إحدى قَيْنَتَىْ ابن خَطَل قُتلت، والأخرى لم تُقتل، لأنه قال: وأما قَيْنَتا ابن خَطَل، فقُتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد فأمنها. انتهى. وذكر السهَيلى ما يقتضى أنهما لم يُقتلا وأنهما أُمّنتا، وسيأتى كلامه قريبًا.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أن سارة التى أمر النبى ﷺ بقتلها، غير قَيْنَة ابن خَطَل، لأنه قال فيمن أمر النبى ﷺ بقتله يوم الفتح: وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب، ثم قال ـــ بعدما ذكر قَيْنَتَىْ ابن خَطَل ـــ وأمّا سارة، فاستؤمن لها رسولُ الله ﷺ، فأمّنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا فى زمن عمر بن الخطّاب ﷺ بالأبطح، فقتلها[3]. انتهى. وذكر السهَيلى ما يقتضى أن

---

(١) عيون الأثر ٢/ ١٧٧.
(٢) السهيلى ٤/ ١٧٠.
(٣) ابن هشام ٤/ ٤١٠، ٤١١.

سارة هذه هى إحدى قَيْنَتَى ابن خَطَل، لأنه قال: وأما القَيْنَتان اللتان أمر بقتلهما وهما سارة، وفَرْتَنى، فقد أسلمت فَرْتَنى وأُمِّنت سارة، وعاشت إلى زمن عمر بن الخطاب، ثم وطئها فرس فقتلها[١]. انتهى. وهذا هو كلام السهيلى الذى أشرنا إلى أنه يخالف ما ذكره ابن سيد الناس فى قتل إحدى قَيْنَتَىْ ابن خَطَل، وتأمين الأخرى، ويخالف ما ذكره ابن إسحاق أيضًا فى أن سارة إحدى قَيْنَتَى ابن خَطَل، وأنها التى أمر النبىّ ﷺ بقتلها، ولا أعلم له سلفًا فيما ذكره، والله أعلم.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يبيّن قَيْنَة ابن خَطَل التى استؤمن لها رسول الله، وقد بيَّن ذلك الحافظ مغلطاى، لأنه قال فيما أخبرت به عنه فى ذكر المستثنين من الأمان يوم الفتح: وابن خَطَل قتله أبو برزة الأسلمى، وقَيْنَتُه فَرْتَنى أسلمت، ثم قال: وقُرَيبة قُتلت[٢]. انتهى.

ومنها: أنّ ابن إسحاق ذكر سارة فيمن أمر النبىّ ﷺ بقتله يوم الفتح، وذكر الفاكهى عن ابن جُرَيج ما يقتضى أنها أم سارة، وذكر الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى فى مبهماته ما يوافق ما ذكره الفاكهى عن ابن جُرَيْج كما سبق، وسيأتى ما ذكره الفاكهى فى ذلك.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أن سارة لم تُقتل فى زمن الفتح، وذكر الفاكهى عن ابن جُرَيج: أن أم سارة قُتلت فى الفتح، فإن كانت أم سارة التى ذكرها ابن جُرَيْج هى سارة التى ذكرها ابن إسحاق فقد حوّر ابن إسحاق فى اسمها وحياتها فى زمن الفتح، وإن كانت أم سارة التى ذكرها ابن جُرَيْج غير سارة التى ذكرها ابن إسحاق، فيكون ابن إسحاق ترك بعض من أمر النبى ﷺ بقتله يوم فتح مكة، ويستفاد ذلك من كلام ابن جُرَيْج لا من كلام ابن إسحاق، والأول هو الظاهر، والله أعلم، وإذا كان كذلك فيستفاد من الخبر الذى ذكره الفاكهى عن ابن جُرَيْج فائدة لا تُفهم من كلام ابن إسحاق، وهى سبب أمر النبى ﷺ بقتل أم سارة، ويظهر ذلك مع ما أشرنا إليه أولاً بذكر الخبر الذى ذكره الفاكهى، لأنه

---

(١) السهيلى ٤/ ١٧٠.
(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى ـــ ص ٣٠٩.

قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، حدثنا هشام بن سليمان المخزومى، عن ابن جُرَيْج، قال: بلغنى أنّ النبى ﷺ أمَّن الناس يوم فتح مكة، إلاّ أربعة: عبد العزيز بن خَطَل، ومِقْيَس بن حُبَابة، وعبد الله بن أبي سرح، وأم سارة قَيْنَة لبنى هاشم، كانت تدعو على النبى ﷺ حين يصبح، وحين يمسى، فأما أم سارة فقُتلت[1]. انتهى باختصار.

وذكر الحافظ عبد الغنى بن سعيد أن سبب قتْل أم سارة: حملها كتاب حاطب بن أبي بَلْتَعَة للمشركين بمكة، تخبرهم فيه بمسير النبى ﷺ إليهم، كما هو مقتضى الخبر الذى سبق ذِكْرنا له عنه، لأن فيه: أمّن رسول الله ﷺ الناسَ يوم فتح مكة، إلاّ أربعة، فذكرهم، منهم أم سارة، ثم قال: وأما أم سارة فإنها كانت مولاة لقريش، فأتت رسول الله ﷺ، فشكت إليه الحاجة، فأعطاها شيئًا، ثم أتاها رجل يدفع إليها كتابًا إلى أهل مكة يتقرب بذلك إليهم ليحفظ فى عياله، وكان له بها عيال، فأخبر جبريلُ النبىَّ ﷺ بذلك... فذكر بقية الخبر السابق، وهذا يخالف ما ذكره ابن جُرَيْج فى سبب قتل أم سارة، والله أعلم بالصواب.

ومنها: أن ابن إسحاق لم يبيِّن سبب أمر النبى ﷺ بقتل الحُوَيْرث بن نُقَيْذ، سوى أنه كان يؤذى النبى ﷺ بمكة ـ لقوله بعد ذكره للحُوَيْرث ـ: وكان ممن يؤذيه بمكة[2]، وذكر السهَيْلى ما يقتضى أنّ أمر النبى ﷺ بقتل الحُوَيْرث له سبب آخر، لأنه قال: وأما الحُوَيْرث بن نُقَيْذ الذى أمر بقتله مع ابن خَطَل، فهو الذى نَخَس بزينب بنت رسول الله ﷺ، حين أدركها هو وهبار بن الأسود، فسقطت عن دابتها، وألقت جنينها[3]. انتهى.

وذكر ابن هشام ما يقتضى أن سبب أمر النبى ﷺ بقتل الحُوَيْرث، كونه نخس بفاطمة وأم كلثوم ابنتى النبى ﷺ، ورمى بهما إلى الأرض، لما بعثهما العباس من مكة إلى المدينة، لأنه ذكر كلامًا معناه هذا، بعد قول ابن إسحاق فى شأن

---

(١) الفاكهى ٥/ ٢٢٠.
(٢) ابن هشام ٤/ ٤١٠.
(٣) السهيلى ٤/ ١٧٠.

الحُوَيْرث بن نُقَيْذ، وكان ممن يؤذيه بمكة، والمعروف أن المشركين عرضوا لزينب بنت النبي ﷺ، لا لأختيها فاطمة وأم كلثوم، فيكون الحُوَيْرث نخس بزينب، لا بفاطمة وأم كلثوم، والله أعلم بالصواب.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضي أنّ الثماني ركعات التي صلاها النبي ﷺ في يوم فتح مكة، على ما ذكرت أم هانئ من الضُّحَى.

وذكر السهَيلي ما يقتضي، أنها صلاة الفتح، لأنه قال: فصل، وذكر صلاة النبي ﷺ في بيت أم هانئ، وهي صلاة الفتح، تعرف بذلك عند أهل العلم، وكان الأمراء يصلونها إذا افتتحوا بلدًا، قال الطبرى: صلى سعد بن أبي وقاص ﷺ، حين افتتح المدائن، ودخل إيوان كسرى قال: فصلى فيه صلاة الفتح، قال: وهي ثمان ركعات، لا يفصل بينها، ولا تُصَلّى بإمام، فبيَّن الطبرى سنة هذه الصلاة وصفتها، ومن سننها أيضًا أن لا يجهرَ فيها بالقراءة، والأصل ما تقدم من صلاة رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ، وذلك ضُحَى[1]. اهــ.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يبين ما كان من حال فاطمة بنت النبي ﷺ، مع أم هانئ، وقد بيَّن الفاكهي في خبر ذكره، لأنه قال: حدثنا محمد بن عمر قال: حدثنا سفيان عن ابن عجلان، عن المقبرى، عن أبي مُرّة، مولى عقيل بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت أم هانئ بنت أبي طالب تقول: لما كان يوم الفتح، أتاني حَمَوان لي، فأمّنتهما، فجاء علي بن أبي طالب ﷺ يريد أن يقتلهما، فذهبت إلى النبي ﷺ فوجدت فاطمة، وكانت أشد عليَّ من عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، فقالت: لِمَ تؤمنين المشركين وتُجيرينهم؟ فبينما أنا عندها إذ دخل رسول الله ﷺ وعلى وجهه رهجة الغبار، فقلت: يا رسول الله إني أمّنت حَمَوين لي، وإن ابن أمي علي بن أبي طالب يريد قتلهما، فقال: ما كان ذلك له قد أجرْنا من أجرْت، وأمنّا من أمّنت[2].
انتهى باختصار.

---

(١) السهيلي ٤/ ١٦٩.
(٢) الفاكهي ٥/ ٢٢٠، ٢٢١.

ومنها: أن ابن هشام، قال فى تفسير الرجلين اللّذَين أجارهما أم هانئ يوم الفتح: هما الحارث بن هشام، وزُهير بن أمية بن المغيرة(١). انتهى.

ونقل ذلك ابن بشكوال فى مبهماته(٢)، عن ابن إسحاق، وقال الخطيب البغدادى فى مبهماته: هما الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة. انتهى. وقد تقدم قولٌ بأنّ الذى أجارته أم هانئ هو جعدة بن هبيرة، حكاه السهَيلى وغيره، وفيه بُعْدٌ لقولها فى السيرة: وفرَّ إلىّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم، ومرادها بقوله: أحمائى بسْط العذر لها فى إجارتها لهما، ولو كان المُجار ابنها لقالت ابنى، فإنه أولى فى بسط العذر لها فى ذلك، ولا يعارضه قول ابن عبد البَرّ، وفى حديث مالك وغيره أن الذى أجارته بعض بنى زوجها هبيرة بن أبى وهب، لإمكان أن يكون ابن زوجها الذى أجارته من غيرها، والله أعلم، وممن ذكر أنّ أحد الرجلين اللّذَين أجارتهما أم هانئ: الحارث بن هشام: الزُبير بن بكار وغيره.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يبيّن اسم اليوم الذى طاف فيه النبى ﷺ بالكعبة، بعد أن فتح الله عليه مكة، وذكر الأزرقى عن الواقدى ما يبيّن ذلك، لأنه قال: حدثنى جدّى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو الهذلى قال: قدم رسول الله ﷺ مكةَ يوم الجمعةِ لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان، فبث السرايا فى كل وجه. انتهى.

وإذا كان قدوم النبى ﷺ إلى مكة فى اليوم المشار إليه، فهو اليوم الذى طاف فيه بالكعبة، لأن النبى ﷺ طاف بالكعبة يوم دخل مكة فى الفتح، على ما هو مقتضى الأخبار الواردة فى ذلك، وصرح مغلطاى فى سيرته بأن النبى ﷺ طاف بالكعبة يوم الجمعة، لعَشرٍ بقين من رمضان(٣)، لأنه قال فيما أُخبِرْت به عنه: وطاف النبى ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعَشْرٍ بقين من رمضان. اهـ.

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤١٣.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ونقل ذلك عن ابن بشكوال» وصوابه من الأصل، وسوف يسيغ العالمان الجليلان لأنفسهما هذا التصرف المشين! وابن هشام (ت ٢١٣هـ) وابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ) فكيف ينقل ابن هشام عن ابن بشكوال!.

(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى ـ ص ٣١٢.

ومنها: أنّ ابن إسحاق روى بسنده إلى صفيّة بنت شيبة: أنّ رسول الله ﷺ، لما نزل مكة واطمأنّ الناس خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعًا على راحلته، وهذا ليس فيه بيان ما تُعرف به الراحلة التي طاف عليها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة؛ لأن للنبيّ ﷺ عدّة رواحل وهي: العضباء[1]، والقصواء، والجدعاء، وإن كان قيل في جميعهن أنهن واحدة، وقد بين ذلك ابن عمر رضي الله عنه في حديثه في دخول النبي ﷺ الكعبة يوم فتح مكة، وصلاته فيها، على ما رويناه عنه في الصحيحين وغيرهما، وفي لفظ البخاري فيه: حدثنا شُرَيْح بن النعمان قال: حدثنا فُلَيح عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل النبي ﷺ عام الفتح، وهو مُرْدِفٌ أسامةَ على القصواء، ومعه بلال وعثمان بن طلحة، حتى أناخ عند البيت، ثم قال لعثمان: ائتنا بالمفتاح، فجاءه بالمفتاح، ففتح له الباب، فدخل النبي ﷺ، وأسامة، وبلال، وعثمان، ثم أغلقوا عليهم الباب، فمكث نهارًا طويلاً. انتهى باختصار.

ومنها: أنّ ما ذكره ابن إسحاق في طواف النبي ﷺ يوم الفتح، يقتضي أنّ النبي ﷺ طاف على راحلته، لقوله فيه: فطاف به سبعًا على راحلته.

وقد روينا في حديث ابن عمر رضي الله عنهما ما يخالف ذلك في صحيح مسلم وغيره، ولفظ مسلم: أخبرنا ابن عمر أنبأنا سفيان عن أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل رسول الله ﷺ يوم الفتح، على ناقة لأسامة بن زيد، حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة، فقال: ائتني بالمفتاح، فذهب إلى أمه فأبت أن تعطيه، فقال: والله لتعطينه، أو ليخرجن هذا السيف من صُلْبي، فأعطته إياه، فجاء إلى النبي ﷺ فدفعه إليه، ففتح الباب، قال: ثم ذكر مثل حديث حماد بن زيد. اهـ.

وفي حديث ابن عمر السابق قريبًا من «صحيح البخاري» ما يقتضي أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته، وذلك يوافق ما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم بالصواب، وحديث أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما السابق من

---

(١) تحرف في هـ إلى: «العطباء».

«صحيح مسلم» أخرجه الأزرقي في تاريخه عن جده عن سفيان بن عُيَيْنَة عن أيوب[١] من غير إحالة في نفسه، على خلاف ما صنع مسلم.

ومنها: أنّ ابن إسحاق ذكر أنّ النبي ﷺ دعا عثمان بن طلحة بسبب المفتاح، أي مفتاح الكعبة، وليس في كلامه ما يبين هل هذا الدعاء من النبي ﷺ أو برسول إلى عثمان، لقول ابن إسحاق: فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة. اهـ. وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما السابق من «صحيح البخاري» ما يدل على أنه دعاه بنفسه، لقوله فيه: ثم قال لعثمان: ائتنا بالمفتاح.

وذكر الأزرقي خبرًا يقتضي أن النبي ﷺ أرسل في ذلك إلى عثمان بلالاً، ثم أبا بكر، وعمر، لما أبطأ عثمان، لأنه قال: حدثني جدى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن أشياخه قالوا: انصرف رسول الله ﷺ يوم الفتح، بعدما طاف على راحلته، فجلس ناحية من المسجد والناس حوله، ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة، فقال ﷺ: قل له إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة، فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة، فقال عثمان: نعم، فخرج إلى أمه سُلافة بنت سعد بن شُهَيد[٢] الأنصارية، ورجع بلال إلى النبي ﷺ، فأخبره أنه قال: نعم، ثم جلس بلال مع الناس، فقال عثمان لأمه، والمفتاح يومئذ عندها: يا أُمّت أعطيني المفتاح، فإنّ رسول الله ﷺ أرسل إليّ، وأمرني أن آتي به إليه، فقالت له: أعيذك بالله أن تكون الذى تذهب بمأثرة قومك على يديك، قال: والله لتدفعنه أو ليأتينك غيرى، فيأخذه منك، فأدخلته في حِجْرها وقالت: أي رجل يدخل يده هاهنا؟ فبينما هما على ذلك، إذ سمعت

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٦٨.

(٢) في متن طبعة الذهبي: «سلامة بنت سعد بن سعيد الأنصارية» وبهامشها «في طبعة تدمرى: بن شُهيد، وهو تحريف».

قلت: التحريف ما في طبعة الذهبي، وما في طبعة تدمرى هو الصواب، ومثله في الأصل ومثله كذلك لدى الأزرقي الذى ينقل منه المصنف، وجاء على الصواب كذلك لدى ابن هشام ٣/ ٦٢.

صوت أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار، وعمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطأ: يا عثمان اخرج، فقالت أمه: يا بنى خذ المفتاح، فلأن تأخذه أنت أحب إلىّ من أن تأخذه تَيْم أو عَدِىّ، فأخذه عثمان، فأتى به رسول الله ﷺ، فناوله إياه، فلما ناوله إياه فتح الكعبة[١]. اهـ باختصار.

وذكر الواحدى فى تفسيره الوسيط وكتابه «أسباب النـزول» ما يقتضى أنّ النبى ﷺ بعث على بن أبى طالب رضي الله عنه إلى عثمان بن طلحة، ليأخذ منه مفتاح الكعبة فى يوم فتح مكة، ولكن كلام الواحدى يقتضى أن عثمان لم يكن حين أخذ ذلك منه مسلمًا، وهو يخالف ما ذكره العلماء بهذا الشأن، من أنه كان مسلمًا، وفى حديث ابن عمر رضي الله عنه السابق من «صحيح البخارى» ما يقتضى أن النبى ﷺ طلب بنفسه المفتاح من عثمان، والله أعلم.

ومنها: أنّ ما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن النبى ﷺ لم يفتح الكعبة، يوم فتح مكة، وإنّما فُتحت له، لقوله: فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففُتحت له فدخلها، وفى حديث ابن عمر السابق من «صحيح مسلم» ما يقتضى أن النبى ﷺ [فتح الكعبة بنفسه فى يوم الفتح لقوله فيه: فجاء به إلى النبى ﷺ فدفعه][٢] إليه ففتح الباب.

وفى الخبر السابق من تاريخ الأزرقى عن الواقدى ما يوافق ذلك، لقوله فيه: فلما ناوله إياه فتح الكعبة، وبَوّب المحب الطبرى فى «القرى» على حديث ابن عمر رضي الله عنه المشار إليه بقوله «ما جاء أن النبى ﷺ فتح البيت بنفسه» اهـ. ولكن فى حديث ابن عمر السابق فى «صحيح البخارى» ما يقتضى خلاف ذلك، لأن فيه قال لعثمان: ائتنا بالمفتاح، فجاءه بالمفتاح، ففتح له فدخل رسول الله ﷺ. اهـ. وهذا يوافق ما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم بالصواب.

ومنها: أنّ ابن إسحاق ذكر دخول النبى ﷺ البيتَ يوم الفتح، وليس فيما ذكره ما يبين هل طال مكثُه ﷺ فيه أو قَصُر، ولا هل كان البيت مغلقًا أو

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٦٦.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

مفتوحًا، ولا هل كان على الباب أحد يذب الناس أم لا؟ فأما طول مكثه ﷺ فى البيت وإغلاق بابه فى يوم الفتح، ففى حديث ابن عمر رضى الله عنهما السابق من «صحيح البخارى» ما يقتضى ذلك لقوله فيه: ثم أغلقوا عليهم الباب، فمكث نهارًا طويلاً [وفى مسلم وغيره من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ما يدل على طول مكث النبى ﷺ فى البيت، وعلى إغلاق الباب لما كان فيه][1] وفى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أيضًا ما يدل لإغلاق الباب، لأن فى «سنن النَّسائى» من حديثه، أنه دخل هو ورسول الله ﷺ، فأمر بلالاً فأجاب الباب. اهـ باختصار. وحديث أسامة هذا يقتضى أن بلالاً هو الذى أجاف الباب، وفى «صحيح مسلم» ما يخالف ذلك، لأنه قال: وحدثنى حميل بن مسعدة، قال: حدثنا خالد يعنى ابن الحارث، قال: حدثنا عبد الله بن عَوْن، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أنه انتهى إلى الكعبة، وقد دخلها النبى ﷺ، وبلال، وأسامة، وأجاف عليهم عثمان بن طلحة الباب قال: فمكثوا فيه مليًّا. اهـ باختصار. وقد سبق بكماله فى «الباب التاسع» من هذا الكتاب، وهذا الحديث وإن تكلم الدارقطنى فى رواية مسلم له، فإنما ذلك لأن فيه ما يقتضى أن ابن عمر رضي الله عنه سأل بلالاً وأسامة، وعثمان، عن موضع صلاة النبى ﷺ فى الكعبة، قالوا: هاهنا، وذلك يقتضى إثبات أسامة لصلاة النبى ﷺ، فى الكعبة يوم فتح مكة، وفى الصحيح عنه ما يخالف ذلك، والوهم فى ذلك من ابن عَوْن، والله أعلم، وقد أخرج النسائى حديث ابن عون عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث عن ابن عون.

وأما وقوف أحد على الباب، أى على باب البيت والنبى ﷺ داخلها يوم الفتح لذب الناس عن النبى ﷺ، فذكر الواقدى ما يقتضيه، لأن فى الخبر الذى سبق ذكره عنه فى تاريخ الأزرقى بعد ذكر دخول النبى ﷺ البيت وصلاته فيه، قالوا: ثم خرج رسول الله ﷺ والمفتاح فى يده، ووقف على الباب خالد بن الوليد رضي الله عنه يذب الناس عن الباب، حتى خرج رسول الله ﷺ[2]. اهـ.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من: هـ.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٦٦، ٢٦٧.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق ليس فيه بيان الموضع الذى جلس فيه النبى ﷺ يوم الفتح بعد طوافه بالبيت، ودخوله إليه، وخروجه منه، وخطبته على بابه، لأنه قال بعد ذكره لذلك: ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد. اهـ.

وهذا يقتضى أن يكون جلس فى مؤخّر المسجد أو فى مقدّمه، وقد أفاد فى ذلك ابن عُقبة، ما لم يفده كلام ابن إسحاق، مع أمور أخرى صنعها النبى ﷺ فى المسجد فى هذا اليوم، لم يذكرها ابن إسحاق، فنذكر كلام ابن عُقبة لما فيه من الفائدة، ونص كلامه قال: فلما قضى ﷺ طوافه، وأُخرجت الراحلة سجد سجدتين، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها، وقال: لولا أن يغلب بنو عبد المطلب على سقايتهم لنــزعت منها بيدى، ثم انصرف فى ناحية المسجد قريبًا من مقام إبراهيم، وكان زعموا المقام لاصقًا بالبيت بالكعبة، فأخّره رسول الله ﷺ فى مكانه هذا، ودعا رسول الله ﷺ بسَجل من زمزم، فشرب وتوضّأ، والمسلمون يتبادرون وضوءه، يصبّون على وجوههم، والمشركون ينظرون إليهم ويتعجبون ويقولون: ما رأينا ملكًا قط بلغ هذا ولا شبيهًا به. اهـ.

ومنها: أنّ كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ على بن أبى طالب رضي الله عنه سأل النبى ﷺ أن يجمع لبنى هاشم الحجابة، والسقاية، لأنه قال: فقام إليه على بن أبى طالب رضي الله عنه، ومفتاح الكعبة فى يده، فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة، مع السقاية صلى الله عليك وسلم[1]. اهـ.

وذكر الواقدى ما يخالف ذلك لأن الأزرقى قال: وحدثنى جدى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن أشياخه قالوا: ثم نزل رسول الله ﷺ ومعه المفتاح، فتنحى ناحية من المسجد، فجلس، وكان قد قبض السقاية من العباس رضي الله عنه، وقبض المفتاح من عثمان بن طلحة، فلما جلس بسط العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يده فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة والسقاية، فقال رسول الله ﷺ: أعطيكم ما ترزءون فيه، ولا أعطيكم ما ترزءون منه[2]. اهـ باختصار. من أول الخبر

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٤١٢.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٦٧.

وآخره، وقد روينا عن ابن إسحاق في تاريخ الأزرقي ما يوافق ما ذكره الواقدي، وقد سبق ذلك في خبر ولاية قُصَيّ.

ومنها: أنّ ابن إسحاق لم يذكر سببًا لردّ النبيّ ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان ابن طلحة، ولا لأخذه منه، وقد ذكر الأزرقي ما يدل للأمرين، لأنه قال: وأخبرني جدي عن سعيد بن سالم عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء: آية ٥٨) قال: نزلتْ في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، حين قبض النبيّ ﷺ مفتاح الكعبة، ودخل به الكعبة يوم الفتح، فخرج ﷺ وهو يتلو هذه الآية فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح، وقال ﷺ: خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله، لا ينتزعها منكم إلاّ ظالم[1]. اهـ باختصار.

فهذا يبيِّن سببَ دفع المفتاح إلى عثمان، وأما سبب أخذه فقال الأزرقي فيه: وحدثني جدي عن محمد بن إدريس عن الواقدي عن أشياخه، فذكر خبرًا فيه ما سبق من خروج النبي ﷺ من البيت يوم الفتح، والمفتاح في يده، وقول العباس للنبيّ ﷺ: اجمع لنا بين الحجابة، والسقاية، وقوله للعباس: «أعطيكم ما ترزءون عنه ولا أعطيكم ما ترْزءون منه» ثم قال ﷺ: ادعُ لي عثمان، فقام عثمان بن عفان ﷺ، فقال: ادع لي عثمان، فقام عثمان بن طلحة، وكان رسول الله ﷺ قال لعثمان بن طلحة يومًا وهو بمكة يدعوه إلى الإسلام، ومع عثمان المفتاح، فقال ﷺ: لعلك سترى هذا المفتاح يومًا بيدي، أضعه حيث شئت، فقال عثمان: لقد هلكت قريش إذًا وذلّت، فقال رسول الله ﷺ: بل عمرت وعزّت يومئذ يا عثمان، فقال عثمان: فدعاني رسول الله ﷺ بعد أخذه المفتاح، فذكرت قوله ﷺ، وما كان قال لي، فأقبلت، فاستقبلته ببِشْر واستقبلني ببِشْر[2]. اهـ باختصار. فبان بهذا سبب رد النبي ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وأخذه منه في يوم الفتح.

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٦٥.
(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٦٧.

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدى سبب أخذ المفتاح من عثمان، وفيه ما يقتضى أن الذى وقع بين النبى ﷺ وعثمان من المقال، كان عند إرادة النبى ﷺ دخول البيت فى الجاهلية، وفيه فائدة أخرى ليست فى الخبر الذى ذكره الواقدى، وهذا الخبر رويناه فى السيرة للحافظ أبى الفتح بن سيد الناس اليعمرى، فيما أخبرنى به غير واحد من أشياخى عنه، ولفظه فى السيرة المذكورة: وروينا عن عثمان بن طلحة من طريق ابن سعد قال: كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فأقبل النبى ﷺ يومًا يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فغلَّظتُ عليه، ونلت منه، وحلم عنى، ثم قال: يا عثمان لعلّكَ سترى هذا المفتاح يومًا بيدى، أضعه حيث شئت، فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلّت، فقال: بل عمرت، وعزّت يومئذ، ودخل الكعبة، فوقعت كلمته منّى موقعًا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال، وفيه أنه ﷺ يوم الفتح قال: يا عثمان ائتنى بالمفتاح، فأتيته به، فأخذه منى، ثم دفعه إلىّ وقال: خذوها تالدة خالدة ولا ينـــزعها منكم إلاّ ظالم، يا عثمان إنّ الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف، قال عثمان: فلما ولّيت نادانى، فرجعت إليه، فقال: ألم يكن الذى قلته لك؟ قال: فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة، لعلك سترى هذا المفتاح يومًا بيدى، أضعه حيث شئت، فقلت: بلى أشهد أنك رسول الله(١).

ومنها: أن ابن هشام ذكر ما يقتضى أنّ النبىّ ﷺ دخل البيت يوم الفتح، وفيه الصُّور، لأنه قال: وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صُوَر الملائكة وغيرهم(٢)، إلى آخر كلامه السابق، وروينا من حديث ابن عباس ﷺ، ما يقتضى خلاف ذلك، لأن البخارى قال فيما رويناه عنه: حدثنى إسحاق قال: حدثنا عبد الصمد قال: حدثنى أبى قال: حدثنا أيوب عن عِكْرمة عن ابن عباس ﷺ، أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت، وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت وأُخرجت صورة إبراهيم وإسماعيل، وفى

---

(١) عيون الأثر ٢/ ١٧٨، ١٧٩.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤١٣.

أيديهما الأزلام، فقال: قاتلهم الله، لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط، ثم دخل فكبَّر فى نواحى البيت، وخرج ولم يصلِّ، تابعه معمر عن أيوب، قال وهب: حدثنى أيوب عن عكرمة، عن النبى ﷺ.

ومنها: أن ابن هشام ذكر ما يقتضى دخول النبى ﷺ الكعبة، وأنه صلى فيها على ما روى ابن عمر عن بلال رضى الله عنهم، وقد روى من حديث أسامة بن زيد، والفضل بن العباس، وأخيه عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ما يقتضى أن النبى ﷺ لم يصلِّ فيها لما دخلها يوم الفتح، وقد سبق ذلك فى الباب التاسع من هذا الكتاب، مع ما قيل من ترجيح رواية بلال على رواية من خالفه، لكونه أثبت ما لم يثبته غيره، وقد قيل من الجمع بين هذا الاختلاف ما فيه كفاية، فأغنى عن إعادته هنا، والله أعلم.

ومنها: أن كلام ابن هشام يقتضى أن أبا سفيان بن حرب، وعتّاب بن أَسيد، والحارث بن هشام، حين أذّن بلال يوم الفتح كانوا جلوسًا بفناء الكعبة لقوله: وأبو سفيان بن حرب، وعتّاب بن أَسيد، والحارث بن هشام، جلوس بفِناء الكعبة.

ومنها: أنّ كلام ابن هشام يقتضى أنّ النبىّ ﷺ خرج على أبى سفيان بن حرب، وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام، فأخبرهم بما قالوا حين سمعوا أذان بلال على الكعبة، لأن فى خبر ابن هشام: فخرج عليهم النبى ﷺ وقال: قد علمت الذى قلتم، ثم ذكر ذلك لهم(١).

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن أبا سفيان بن حرب، وعتّاب بن أَسيد، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو حين أذّن بلال فوق الكعبة يوم الفتح، كانوا جلوسًا فى الحِجْر، ويقتضى أن النبى ﷺ أعلمه الله بقولهم وهو بالصفا، وأنه بعث إليهم واستدعاهم إليه، فلما حضروا إليه أخبرهم بما قالوا، وذلك يخالف ما ذكره ابن هشام فى موضع جلوس مَن سمع أذان بلال، ومجىء النبى ﷺ إليهم.

---

(١) ابن هشام ٤/ ٤١٣.

ونص الخبر الذى ذكره الفاكهى: حدثنا عبد الله بن أبى سلمة، حدثنا أحمد ابن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب عن على بن عبد الله بن عباس، عن أبيه عبد الله بن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، ثم خرج يسعى بين الصفا والمَرْوَة، وأبو سفيان بن حرب، وعَتّاب بن أسيد، وصفوان بن أميّة، وسهيل بن عَمرو مختبئون فى الحِجْر، فرقى بلال على ظهر الكعبة فأذّن بالصلاة، ففزع الصبيان، وخرج النساء، وسمعوا شيئًا هالهم، فقال صفوان بن أميّة: لو أن لهذا العبد أحدًا، وقال عتّاب بن أسيد: الحمد لله الذى أكرم أسيدًا أن لا يرى هذا اليوم، ومات أسيد قبل ذلك بيسير، قال: وقال سُهَيل بن عمرو: إن كان هذا لغير الله فسيغير، وإن كان من الله ليمضينه، قال: وقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا، لو تكلمت لظننت هذا الحصى ستخبر عنّى، قال: فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بقولهم، وهو على الصفا يدعو، فقال ﷺ: علىَّ بالرهط فلانًا، وفلانًا، وفلانًا، وهم فى الحِجْر، قال ذلك لرجل من الأنصار، فقال الأنصارى: أنا لا أعرفهم يا رسول الله، فابعث معنا من يعرفهم من المهاجرين، فأتى بهم رسول الله ﷺ، وأبو سفيان يذكر العهد الذى كان له، ويخاف العذاب، فقال رسول الله ﷺ لصفوان: قلت كذا وكذا، للكلام الذى قاله، وقال لعتاب: قلت كذا وكذا، وقلت: يا سهيل بن عمرو كذا وكذا، وقلت: يا أبا سفيان كذا وكذا، قال: فعرفهم بالذى قالوا: فحسُن إسلام عتّاب بن أَسيد، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وفزع أبو سفيان، وكاد أن يقع، فقال أبو سفيان: أما أنا فأسلمت، فأسلم يومئذ، فحسُن إسلامه[1]. انتهى.

وهذا الخبر يقتضى أن صفوان بن أمية كان جالسًا بالحِجْر يوم فتح مكة، وسمع أذان بلال على ظهر الكعبة يوم الفتح، وهذا لا يصح، لأنّ صفوان فرّ إلى جُدّة ليركب منها البحر، ولم يرجع إلى مكة إلاّ بعد أن استأمن له عمير بن وهب

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢١.

ابن عمه، وذهاب عمير إليه بأمان النبي ﷺ له، ورجوعه مع عمير إلى مكة لا يكون في يوم واحد.

وفي مغازي ابن عُقبة ما يقتضي أنّ صفوان سأل عُميرًا حين جاءه، وأخبره بتأمين النبي ﷺ: أن يرجع إلى النبي ﷺ، وبتأمينه من النبي ﷺ بشيء يعرفه، وأن عُمَيرًا جاء إلى النبي ﷺ، فأخبره بقول صفوان، فأعطاه النبي ﷺ بُرْدَ حَبْرة كان معتجزًا به حين دخل مكة، فذهب عُمَير إلى صفوان، فاطمأنت نفسه، وأقبل مع عمير حتى دخل المسجد على رسول الله ﷺ. اهـ بالمعنى.

ومثل هذا لا يكون في يوم، ولا في نصف يوم، فإن مقتضى الخبر الذى ذكره الفاكهى على تقدير صحّة كون صفوان في الحِجْر حين سمع أذان بلال على الكعبة، أن يكون ذهاب عُمَير إلى صفوان ومجيئه معه في نصف يوم، لأنّ صفوان لم يقل ما قال إلاّ حين سمع الأذان، أى أذان بلال للظهر على الكعبة.

وذكر الأزرقى خبر أذان بلال على ظهر الكعبة في يوم الفتح، وفيه ما يخالف بعض ما ذكره الفاكهى فيه، وفيه ما يخالف ما ذكره ابن هشام في كون عتاب بن أسيد قال شيئًا في أذان بلال على الكعبة، وفيه ما يوافق ما ذكره ابن هشام في كون النبي ﷺ جاء إلى أبي سفيان، ومن معه فأخبرهم بقولهم في أذان بلال، وذلك يخالف ما ذكره الفاكهى من أن النبي ﷺ استدعاهم إلى الصفا، وأخبرهم بما قالوا.

وفي الخبر الذى ذكره الأزرقى في أذان بلال غير ما في الخبر الذى ذكره الفاكهى، فنذكره لما في ذلك من الفائدة ولفظه: وأخبرني جدى عن محمد بن إدريس الشافعى عن الواقدى عن أشياخه قال: وحانت الظهر يوم الفتح، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن بالظُّهر فوق ظهر الكعبة، وقريش فوق رءوس الجبال، وقد اصفرّت وجوههم، وتغيبوا خوفًا من أن يُقتلوا، ومنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد أُمِّن، وأذّن بلال، ورفع صوته كأشد ما يكون، فلما قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، تقول جُوَيْرَة بنت أبي جهل: قد لَعَمْرِى رفع لك ذكرَك، أما الصلاة فسنصلى، ووالله ما نحب من قتل الأحبة أبدًا، ولقد جاء إلى أبي الذى كان جاء إلى محمد من النّبوّة فردها، ولم يرد خلاف قومه، وقال خالد

ابن أسيد: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم وكان أسيد مات قبل الفتح بيوم، وقال الحارث بن هشام: واثكلاه ليتنى مت قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة، وقال الحَكَم بن أبى العاص: وهذا والله الحَدَث الجَلَل، أن يصبح عبد بنى جُمَح ينهق على بيت أبى طلحة، وقال سُهَيل بن عمرو: إن كان هذا سخطًا لله فسيغيره الله تعالى، وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئًا، لو قلت شيئًا لأخبَرَته هذه الحصاة، فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ فأخبره خبرهم، فأقبل ﷺ حتى وقف عليهم، فقال: أما أنت يا فلان فقلت كذا، وأما أنت يا فلان فقلت كذا، وأما أنت يا فلان فقلت كذا، فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئًا، فضحك رسول الله ﷺ. اهـ باختصار.

وفى هذا الخبر من المخالفة لما ذكره الفاكهى وابن هشام، ما فيه من أن خالد ابن أسيد هو القائل لما سمع أذانَ بلال على الكعبة: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم، والخبر الذى ذكره ابن هشام والفاكهى يقتضى أن قائل ذلك عَتاب بن أسيد أخو خالد بن أسيد، وهو الذى أسلم عام الفتح، على ما ذكره ابن عبد البرّ، وهو معدود فى المؤلَّفة قلوبُهم، وذكر فى ترجمة أخيه عتّاب ما يخالف ذلك، لأنه قال: وأما خالد بن أسيد، فذكر محمد بن إسحاق السراج، قال: سمعت عبد العزيز بن معاوية، من ولد عتّاب بن أسيد، ونسبه إلى عتّاب بن أسيد يقول: مات خالد بن أسيد، وهو أخو عتّاب بن أسيد لأبيه وأمه، يوم فتح مكة، قبل دخول رسول الله ﷺ مكة. اهـ.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أنّ أبا شُرَيح الخُزاعى ذكر خطبة النبىّ ﷺ بمكة يوم الفتح لعمرو بن الزُّبير بن العوّام، لما قدم لقتال أخيه عبد الله بمكة، لأنه قال: حدثنى سعيد بن أبى سعيد المَقْبرىّ عن أبى شُرَيح الخُزاعى قال: لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته[1]. اهـ. وهذا وهم من ابن هشام على ما ذكر السهيلى، قال: وصوابه عمرو بن سعيد بن العاص بن

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٤١٥.

أمية، وهو الأشدق، ثم قال بعد استدلاله على ذلك: فالصواب إذًا عمرو بن سعيد، لا عمرو بن الزبير، وكذا رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق، وهكذا وقع فى الصحيحين؛ ذكر هذا التنبيه على ابن هشام أبو عُمر رحمه الله فى كتاب «الأجوبة عن المسائل المستغربة» وهى مسائل من كتاب «الجامع» للبخارى، تكلم عليها فى ذلك الكتاب، وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكّائى فى روايته، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديًا لأخيه عبد الله، ومعينًا لبنى أمية عليه فى تلك الفتنة[1]، والله أعلم.

ومنها: أن كلام ابن هشام يقتضى أن فَضَالة بن عُمَير اللَّيْثى هو القائل للأبيات التى أولها:

قالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت: لا
يأبى علىّ اللهُ والإسلام[2]

وذكر الفاكهى خبرًا يقتضى أن قائل ذلك غير فَضَالة، لأنه قال: حدثنى حسن بن حسين قال: حدثنا محمد بن أبى السرىّ، عن هشام بن الكلبى، عن أبى عَوَانة، قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، أشار إلى الأصنام، فخرّت لوجهها، فقال فى ذلك أبياتًا رجل يقال له: راشد، قال أبو سعيد: هو راشد بن عبد ربه السلمى:

قالت: هَلُمّ إلى الحديث، فقلت: لا ... يأبى علىّ الإله، والإسلام
لو ما شهدت محمدًا، وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دينَ الله أضحى ساطعًا ... والشِّرْكَ يغشى وجهَهُ الإظلام[3]

انتهى.

---

(١) الروض الأنف ٤/ ١٧٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤١٧.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٣.

وذكر الفاكهى فى موضع آخر قبل هذا بيسير، ما يقتضى أن هذه الأبيات لفَضَالة اللَّيثى، كما هو مقتضى كلام ابن إسحاق، ونصّ ما ذكره الفاكهى فى ذلك: وقال فَضالة بن عُمير بن الملوَّح الليثى يذكر كسر الأصنام يومئذ:

لو ما رأيت محمدًا وجنودَه ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دينَ الله أصبح بَيِّنًا ... والشِّرْكَ يغشَى وجهَهُ الإظلام[1]

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر أنّ عدد من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، وتكرر ذلك منه فى موطنين، وأفاد فى الموطن الثانى ما لم يُفدْه فى الأول، من بيان عدد بعض القبائل التى كانت مع النبى ﷺ، ولفظه فى هذا الموطن: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، ثم فَصَّلهم[2].

وذكر موسى بن عُقبة ما يخالف ما ذكره ابن إسحاق، فى عدد المسلمين يوم الفتح، لأنه قال: وخرج رسول الله ﷺ كما يقال: فى اثنى عشر ألفًا.

ونقل مغلطاى فى سيرته عن الحاكم ما يوافق ما ذكره ابن عقبة جزمًا، لأنه قال فيما أُخبِرتُ به عنه: وخرج من المدينة ومعه عشرة آلاف رجل، وقال الحاكم: اثنا عشر[3]. انتهى.

وذكر الفاكهى عن سعيد بن المسيب ما يوافق ما ذكره ابن عُقبة، فى عدد من كان مع النبى ﷺ لما خرج لفتح مكة، وسيأتى هذا الخبر قريبًا فى محل يناسبه إن شاء الله.

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر فى عدد من كان مع النبى ﷺ من مُزَيْنة فى فتح مكة، أنهم ألف وثلاثة نفر، وذكر ابن عُقبة ما يخالف ذلك، لأنه قال: ويقال: كان معه يوم حُنَين من مُزَيْنة ألف رجل وثمانية نفر. انتهى. ويبعد أن يقال: يحمل كلام ابن إسحاق على من كان مع النبى ﷺ فى الفتح، وكلام ابن عُقبة على من كان معه فى حُنَين، لأنّ الذين كانوا فى حُنَين هم الذين كانوا فى الفتح، والله

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٢١.
(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى ـــ ص ٣٠٧.

أعلم، ولعلّ الثمانية فى قول ابن عُقبة مصحَّفة بدل ثلاثة، فإنّ ذلك متقارب فى الشَّبَه، والله أعلم.

ومنها: أن ابن إسحاق لم يذكر جُهَيْنة فى القبائل الذين كانوا مع رسول الله ﷺ فى فتح مكة، وذكرهم ابن عُقبة فيهم، لأنه قال بعد قوله: وخرج رسول الله ﷺ كما يقال فى اثنى عشر ألفًا من المهاجرين والأنصار، ومن طوائف العرب، من أسلم، وغِفَار، ومُزَيْنة، وجُهَيْنة، ومن بنى سُلَيم، وقادوا الخيل.

ومنها: أن كلام ابن إسحاق ليس فيه بيان لعدد من كان مع النبى ﷺ من المهاجرين فى فتح مكة.

وذكر الفاكهى خبرًا يبين ذلك، لأنه قال فى «أخبار مكة»: حدثنا حسين، حدثنا الثقفى قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: سمعت ابن المسيّب يقول: خرج النبى ﷺ من أهل المدينة بثمانية آلاف أو عشرة آلاف ومن أهل مكة بألفين[١]. انتهى. وهذا هو الخبر الذى أشرنا آنفًا أن الفاكهى ذكره، والله أعلم بصحة ذلك.

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر فى مقدار مقام النبى ﷺ بمكة قدرًا خُولف فيه، لأنه قال: وحدثنى ابن شهاب الزهرى، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتْحها خمس عشرة ليلة، يقصُر الصلاة[٢]. انتهى.

وقد حدَّث الحافظ علاء الدين مغلطاى فى سيرته عن الخلاف فى مدة مقام النبى ﷺ بمكة بعد فتحها، ما لم أر مثله مجموعًا فى غير سيرته، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، لأنه قال فيما أخبرت به عنه، بعد أن ذكر خبر فتح مكة، قال: قال البخارى: وأقام بها خمس عشرة ليلة، وفى رواية تسع عشرة، وفى أبى داود سبع عشرة، وفى الترمذى ثمان عشرة، وفى الإكليل أصحها بضع عشرة، يصلى ركعتين[٣]. انتهى.

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٣٧.
(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى ــ ص ٣١٣.

ورأيت أنا فى ذلك غير ما ذكره ابن إسحاق ومغلطاى، وذلك فى كتاب الفاكهى، ونذكر ذلك لما فيه من الفائدة، ونص ما ذكره الفاكهى: حدثنا إسحاق ابن إبراهيم الطبرى قال: حدثنا إسماعيل بن عُلَيّة عن يحيى بن أبى إسحاق قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن قَصْر الصلاة، فقال: سافرنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فصلى بنا ركعتين حتى وصلنا، فسألته هل أقام؟ قال: نعم أقمنا بمكة عشرًا، يعنى زمان الفتح[1]. انتهى. والذى نقله مغلطاى عن الإكليل هو فى مغازى موسى بن عُقبة، لأنه قال: فأقام رسول الله ﷺ بمكة بضع عشر ليلة. انتهى.

وقد أتينا فيما يتعلق بخبر الفتح الذى ذكره ابن إسحاق، وابن هشام، بفوائد كثيرة، لا يوجد مجموعها فى كتاب، ويتعلق بخبر الفتح المشار إليه مسائل كثيرة من الفقه واللغة العربية، تركنا ذكرها، لكونها غير مقصودة بالذكر فى هذا التأليف، وخيفة من التطويل، ونسأل الله تعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل.

---

(١) أخبار مكة للفاكهى ٥/ ٢٢٤.

الباب السابع والثلاثون

في ذكر شيء من ولاة مكة المشرفة في الإسلام

لما فتح الله تعالى على رسوله ﷺ مكة، استخلف عليها عَتّاب بن أسيد[١]، بفتح الهمزة، ابن أبي العيص، بن أمية، بن عبد شمس، بن عبد مَناف، بن قُصَيّ، بن كلاب، القُرشي، عند مخرجه إلى حُنَيْن في العُشْر الأول[٢] من شوال سنة ثمان من الهجرة، لأن ابن إسحاق قال: لما ذكر غزوة حُنَيْن: واستعمل رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَنَاف، على مكة، أميرًا على من تخلف عنه من الناس. انتهى.

وذكر ابن عُقْبة ما يُوهم خلافَ ما ذكره ابن إسحاق في تأميره عتّابًا، لأنه قال: وكان رسول الله ﷺ حين خرج إلى حُنَيْن استخلف مُعَاذ بن جبل الأنصارى، ثم السلمي، على أهل مكة، وأمره أن يعلم الناسَ القرآن، ويفقههم في الدين، ثم قال: ثم صدر رسول الله ﷺ عائدًا إلى المدينة، وخَلّفَ مُعاذ بن جبل في أهل مكة. انتهى.

وذكر أبو عمر بن عبد البَرّ عن الطبرى ما يُوهم خلافَ ذلك أيضًا، لأنه قال: هبيرة بن شِبْل بن العجلان بن عَتَّاب الثقفي، هو أول من صلى بمكة جماعة، بعد الفتح، أمره النبي ﷺ بذلك، وكان إسلامه بالحُدَيبية، واستخلفه رسول الله ﷺ على مكة، إذ سار إلى الطائف فيما ذكر الطبرى. انتهى.

وذكر ابن ماكولا نحو ما ذكره ابن عبد البَرّ، وعزاه إلى ابن الكلبي.

وذكر ابن عبد البَرّ ما يوافق ما ذكره ابن إسحاق في ترجمة عتّاب.

وما ذكره ابن إسحاق، في تأمير النبي ﷺ لعتّاب على مكة هو المعروف، لكون جماعة من أهل الأخبار ذكروا ذلك، وسيأتي ذلك عن بعضهم، وسبق ما يدل لذلك في باب فضل أهل مكة، وهو الباب السادس.

---

(١) تناول المؤلف في الزهور المقتطفة ــ ص ٢٧٧ ولاة مكة كما هنا باختصار.

(٢) كذا في الأصل ومثله في الزهور المقتطفة للمصنف ومثله كذلك في طبعة تدمرى، وفي طبعة الذهبي: «العشر الأوسط».

وذكر مغلطاى ما يوضح تاريخ تأميره ﷺ لعتّاب على مكة، أكثر مما سبق، لأنه قال في سيرته: ثم خرج لستٍّ لِيالٍ خَلَوْن من شوال، ويقال: لليلتين بقيتا من رمضان إلى حُنَين[1]. انتهى.

وأفاد السهَيلى شيئًا يستغرَب في سبب تولية النبي ﷺ لعتّاب على مكة، لأنه قال: وقال أهل التعبير: رأى رسول الله ﷺ في المنام أسيد بن أبي العيص واليًا على مكة مسلمًا، فمات على الكفر، وكانت الرؤيا لولده عَتاب حين أسلم، فولاه رسول الله ﷺ مكة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة[2]. انتهى.

وذكر الأزرقي ما يُوهم أن لتولية النبي ﷺ عتابًا على مكة سببًا غير السبب الذى ذكره السهَيلى، لأنه قال: حدثني جدى قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: إن النبي ﷺ قال: لقد رأيت أَسيدًا في الجنة وأَنَّى يدخل أَسيد الجنة، فعرض له عتّاب بن أَسيد فقال: هذا الذى رأيت، ادعوه لى، فدُعى، فاستعمله يومئذ على مكة، ثم قال لعتّاب: أتدرى على مَن استعملتُك؟ استعملتك على أهل الله، فاستوصِ بهم خيرًا، يقولها ثلاثًا[3]. انتهى.

ويمكن أن يُجمع بين ما قال ابن إسحاق وغيره، من تأمير النبي ﷺ لعتّاب على مكة، وبين ما ذكره ابن عُقبة والطبرى، بأن يكون النبي ﷺ جعل عتابًا أميرًا بمكة، ومُعاذًا إمامًا بها ومفقّهًا لمن فيها، واشترك مع مُعاذ رضي الله عنه في الإمامة هبيرة المذكور، ولا يعارض ذلك ما قيل في ترجمة هبيرة، من أنه أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح، لإمكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر في الناس، ومُعاذ غير حاضر، لشُغْلٍ عَرَضَ له، فبادر هبيرة فصلّى بالناس، لتحصيل فضيلة أول الوقت، والله أعلم.

ويُحتمل أن هبيرة كان يصلى بالناس قبل مُعاذ، ثم يصلى مُعاذ بمن لم يدرك الصلاة خلف هبيرة، والله أعلم، وهذا أولى من جَعْل الأخبار متعارضة في ولاية

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى — ص ٣١٧.

(٢) الروض الأنف ٤/ ١٧٤.

(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٥١.

عتّاب، وكان من أمره فى ولاية مكة ما ذكره الزبير بن بكار، لأنه قال: استعمل النبىّ ﷺ عتّابًا على مكة، ومات رسول الله ﷺ وعتّاب عامله على مكة. انتهى.

وذكر ابن عبد البرّ ما ذكره الزبير، وزاد عليه فى مدّة ولايته، لأنه قال: أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبى ﷺ على مكة يوم الفتح، فى حين خروجه إلى حُنَين، فأقام للناس الحج تلك السنة، وهى سنة ثمان، وحجّ المشركون على ما كانوا عليه، ثم قال: فلم يزل عتّاب أميرًا على مكة، حتى قُبض رسول الله ﷺ، وأقرّه أبو بكر ﷺ، فلم يزل عليها إلى أن مات، وكانت وفاته فيما ذكر الواقدى يوم مات أبو بكر الصديق ﷺ، قال: ماتا فى يوم واحد، وكذلك يقول ولد عتّاب، وقال محمد بن سلام وغيره: جاء نعى أبى بكر الصديق إلى مكة يوم دفن عتّاب بن أسيد ﷺ بها[1]. انتهى.

وذكر ابن عبد البرّ ما يخالف ما ذكره فى ولاية عتّاب على مكة، فى خلافة أبى بكر ﷺ، لأنه قال فى ترجمة الحارث بن نوفل، بن الحارث، بن عبد المطلب، ابن هاشم بن عبد مَناف بن قُصَىّ بن كِلاب القُرَشى الهاشمى، بعد أن ذكر شيئًا من حاله عن مُصْعَب الزبيرى والواقدى، وقال غيرهما: ولّى أبو بكر الصدّيق ﷺ الحارث بن نوفل مكة، ثم انتقل إلى البصرة من المدينة[2]. انتهى باختصار.

ورأيت فى مختصر تاريخ ابن جرير أنّ عتّاب بن أسيد كان على مكة فى سنة أربع عشرة، وخمس عشرة، وست عشرة، وسبع عشرة، وثمان عشرة، وتسع عشرة، وكل ذلك وَهْم، ذكرناه للتنبيه عليه، والله أعلم.

ورأيت فى تاريخ ابن الأثير ما يقتضى أنه كان على مكة فى سنة أربع عشرة، وخمس عشرة، وكل ذلك وهْم ذكرناه للتنبيه عليه.

وممن ولى مكة فى خلافة الصديق ﷺ: المحرز بن حارثة، بن ربيعة، بن عبد العُزَّى، بن عبد شمس بن عبد مَناف القرشى، فى سفرة سافرها عتاب، على ما ذكر ابن عبد البرّ رحمه الله.

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٠٢٣.

(٢) الاستيعاب ١/ ٢٩١.

ثم وليها المحرز المذكور لعمر بن الخطاب ﷺ، فى أول ولاية عمر، على ما ذكر ابن عبد البرّ أيضًا، وذكر ابن حزم ولايته على مكة لعمر ﷺ.

وذكر الزبير بن بكار ولايته على مكة عن عتّاب.

ثم ولى مكة فى خلافة عمر ﷺ: قنفذ بن عمير بن جُدْعان التيمي، بعد عزل المحرز، على ما ذكر ابن عبد البرّ.

ثم وليها نافع بن عبد الحارث الخُزاعي، بعد عزل قنفذ، على ما ذكر ابن عبد البرّ أيضًا.

ثم وليها لعمر خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، بعد عزل نافع.

ورأيت فى «الكامل» لابن الأثير ما يقتضى أنّ نافع بن عبد الحارث كان على مكة فى سنة ثلاث وعشرين، ولا أدرى هل هذه السنة أول ولايته بمكة؟ ولا متى انقضت ولايته عنها، والله أعلم.

وممن ولى مكةَ فى خلافة عمر ﷺ: طارق بن المرتفع بن الحارث، بن عبد مَناة، على ما ذكره الفاكهى، وعبد الرحمن بن أبزى الخُزَاعى مولى خُزاعة، نيابةً عن مولاه نافع بن عبد الحارث، لما لقى نافع عمر بن الخطاب ﷺ بعُسْفان، وأنكر عمر على نافع استخلافَه عبدَ الرحمن على مكة، لعِظَم قدْر أهلها، وغضب عمر فى ذلك، حتى قام فى الغَرْزَة، وقال نافع لعمر: إنه قارئ، لكتاب الله عالم بالفرائض، وفى رواية أن نافعًا قال لعمر لما أنكر عليه استخلافَه ابنَ أبزى هذا على أهل مكة: إنى وجدته أقرأهم لكتاب الله، وأعلَمهم بدين الله تعالى، ولذلك سكن غيظ عمر ﷺ على نافع، وخبر توليته لابن أبزى، وما كان بينه وبين عمر من المقال المشار إليه مذكور فى تاريخ الأزرقى وغيره.

وممن ولى مكة لعمر ﷺ على ما قيل: الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب القرشى الهاشمى المقدم ذكره، لأن الزبير، قال فى ترجمته: وذكر أن أبا بكر أو عمر رضى الله عنهما استعمله على مكة. انتهى.

ورأيت فى «تاريخ الإسلام» للذهبى ما يقتضى الجزم بولاية الحارث هذا على مكة، لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، لأنه قال فى ترجمته: له صحبة، واستعمله

النبى ﷺ على بعض صدقات مكة، وبعض أعمال مكة، ثم استعمله أبو بكر، وعمر، وعثمان، رضى الله عنهم على مكة. انتهى. والله أعلم بالصواب.

ثم ولى مكة علىّ بن عَدِىّ بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس بن عبد مَناف القرشى العبشمى، ولاه عليها عثمان بن عفان رضي الله عنه حين ولى الخلافة، على ما ذكر ابن عبد البَرّ، وذكر ابن حزم ولايته على مكة لعثمان، ولم يقل كما قال ابن عبد البَرّ إنه ولاه مكة حين ولى الخلافة، ثم ولى مكة خالد بن العاص المخزومى المقدم ذكره لعثمان أيضًا، على ما ذكره ابن عبد البَرّ، وذكر ما يقتضى أنه أقام على ولاية مكة إلى أن عزله على بن أبى طالب رضي الله عنه، وسيأتى هذا قريبًا.

وممن ولى مكة لعثمان رضي الله عنه: الحارث بن نوفل السابق ذكره، كما ذكره الذهبى، وممن ولى مكة لعثمان رضي الله عنه فيما ذكر الفاكهى: عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشى بن أخى عتّاب بن أسيد المقدم ذكره.

وممن ولى مكة لعثمان رضي الله عنه: عبد الله بن عبد عامر الحضرمى على ما ذكره ابن الأثير، وذكر أنه كان عامل عثمان على مكة فى سنة خمس وثلاثين، وذكر فى أخبار هذه السنة ما يُشعر أنه كان على مكة وقت قتل عثمان، لأنه ذكر أن عائشة رضى الله عنها، لمّا توجهت من مكة بعد الحج فى هذه السنة، بلغها قتل عثمان رضي الله عنه، فرجعت إلى مكة وحرضت على الطلب بدمه، فقال لها عبد الله ابن عامر العامرى الحضرمى، وكان عامل عثمان على مكة: هاأنذا أول طالب، فكان أول مجيب، وتبعه بنو أمية على ذلك. انتهى بالمعنى. وهذا يُشعر بخلاف ما ذكره ابن عبد البَرّ من أن خالد بن العاص لم يزل على مكة إلى أن عزله على رضي الله عنه فى أول خلافته.

وممن ولى مكة لعثمان رضي الله عنه، على ما قيل: نافع بن عبد الحارث الخُزاعى السابق ذكره، لأن ابن الزبير ذكر أنه كان على مكة فى سنة ثلاث وعشرين عاملاً لعمر، وأن عمر رضي الله عنه لما طُعن فى هذه السنة أوصى أن تُقرّ عُمّاله سنة، فأقر عثمان

ﷺ عمالَ عمر سنة على ما قيل، فعلى هذا يكون نافع عاملاً على مكة لعثمان ﷺ، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة على بن أبى طالب ﷺ أبو قَتادة الأنصارى، فارس رسول الله ﷺ، الحارث بن ربعى، وقيل: النعمان بن ربعى، وقيل غير ذلك.

ثم قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف القرشى الهاشمى، ابن عم النبى ﷺ، بعد عزل أبى قَتادة الأنصارى، على ما ذكر ابن عبد البَرّ، لأنه قال فى ترجمة قثم هذا: وكان قثم بن العباس واليًا لعلى بن أبى طالب ﷺ على مكة، ذلك أن على بن أبى طالب ﷺ لما ولى الخلافة، عزل خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى عن مكة، وولاها أبا قتادة الأنصارى، ثم عزله وولى قُثَم ابن العباس، فلم يزل واليًا عليها حتى قُتل على بن أبى طالب ﷺ، هذا قول خليفة. انتهى.

وذكر ابن الأثير ما يوافق ما ذكره خليفة فى ولاية قُــثَم لمكة، فى مدّة خلافة علىّ ﷺ، وذكر ما يقتضى أنّ ولايته فى سنة ستّ وثلاثين، وأنه ولى مع مكة الطائف، وما اتصل بمكة.

وممن ولى مكة لعلىّ ﷺ، على ما قيل: مَعْبَد بن العباس بن عبد المطلب أخو قُثَم السابق، ذكر ذلك ابن حزم فى «الجمهرة» لأنه قال لما ذكر أولاد العباس: ومُعْبد ولى مكة لعلى ﷺ، وقال قبل ذلك: وقُــثَم ولى المدينة لعلى، وما ذكره ابن حزم فى بيان مَعْبَد يخالف ما ذكره خليفة، وأما ما ذكره فى شأن قُثَم فلا، لإمكان أن يكون علىٌّ جمع لقُثَم بين ولاية المدينة ومكة، ويصحّ تعريفه بأنه ولى المدينة، والله أعلم.

ورأيت فى نسخة من الثّقات لابن حبّان ما صورته: قَتَادَة بن ربعى له صُحْبَة، كان عامل علىّ ﷺ بمكة. انتهى. وهذا والله أعلم أبو قتادة السابق ذكره، وسقط فى النسخة التى رأيتها من الثقات، وإنما ذكرنا ذلك، لأن أبا قَتادة ولى مكة لعلى ﷺ كما سبق، ولم أر فى الصحابة من اسمه قَتَادَة بن ربعى، والله أعلم، ورأيت فى «الكامل» لابن الأثير فى أخبار سنة ستّ وثلاثين ذِكْر وفاة المحرز بن حارثة

السابق، ثم قال: واستعمله على ﷺ على مكة، ثم عزله. انتهى، وعلىٌّ تصحيف، لأن عمر ﷺ الذى ولاه وعزله كما سبق، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ﷺ جماعة، لا أعرف من أولهم فى الولاية، منهم أخوه عُتْبة بن أبى سفيان بن حرب الأموى، وولايته على مكة لمعاوية ذكرها الفاكهى.

ومنهم: خالد بن العاص بن هشام المخزومى المقدَّم ذكره، ورأيت فى «الكامل» لابن الأثير أنه ولى مكة فى سنة اثنتين وأربعين، وذكر ما يقتضى أنه كان على مكة فى سنة ثلاث وأربعين أيضًا، ورأيت فى «مختصر ابن جرير» ما يقتضى أنه كان على مكة فى سنة خمسٍ وأربعين، وفى ستٍّ وسبعٍ وثمان وأربعين، وفى سنة ثلاث وأربعين أيضًا.

ومنهم: مروان بن الحَكَم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القُرَشى الأموى أبو عبد الملك، على ما ذكر ابن عبد البرّ، لأنه قال فى ترجمته: وكان معاوية لما صار الأمر إليه ولاه المدينة، ثم جمع له إلى المدينة مكة والطائف، ثم عزله عن المدينة، سنة ثمان وأربعين. انتهى. وفى هذا إشعار بأنّ ولايته لمكة قبل سنة ثمانٍ وأربعين، والله أعلم.

ومنهم: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميه بن عبد شمس القُرَشى، الأموى، أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن، أحد أشراف قريش، وأجوادها، وفصحائها، ذكر ما يدل لولايته على مكة صاحب «العقْد» ابن عبد ربه، لأنه قال فى الفصل الذى ذكر فيه الخُطَب عن القُتَبى[1]، قال: استعمل سعيد بن العاص وهو والى المدينة ابنه عمرو بن سعيد على مكة. انتهى.

ومنهم: عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص القرشى الأموى المعروف بالأشدق، ولد سعيد المقدَّم ذكره، وولايته على مكة لمعاوية ذكرها الفاكهى، وذكر ما يقتضى أنها فى حياة عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «العتبى» بالعين المهملة، وصوابه من الأصل، وهو ابن قتيبة صاحب كتاب المعارف.

عنهما، وعلى هذا فتكون ولايته فى أوائل عُشْر الستين من الهجرة، لأن عبد الرحمن بن أبى بكر ﷺ مات فى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة، فى قول الأكثرين، والله أعلم، وولايته لمعاوية على مكة ذُكرها ابن الأثير لأنه قال فى أخبار سنة ستين من الهجرة: لما ولى يزيد بن معاوية، كان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص. انتهى.

وممن ولى مكة لمعاوية: عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص القرشى المقدم ذكره، وولايته على مكة لمعاوية ذكرها الفاكهى، وذكر الأزرقى ما يُفهم ذلك، ويفهم تاريخ ولايته، لأنه ذكر خبرًا فيه ما يقتضى أن معاوية بن أبى سفيان اشترى دار الندوة من بعض بنى عبد الدار، فجاء شيبة بن عثمان فقال له: إن لى فيها حقًا، فأخذها بالشفعة، فقال له معاوية: أحضِر المال، فأحضره وأخبر معاوية بإحضاره، فدخل معاوية دار الندوة، وخرج من بابها الآخر، وسافر وشيبة لا يشعر به، وفيه بعد ذلك ما نصّه: وخرج إليه والى مكة عبد الله بن خالد بن أسيد، فقام إليه شيبة وقال: فأين أمير المؤمنين؟ قال: راح إلى الشام، قال شيبة: والله لا كلمته أبدًا. انتهى.

وكانت هذه القصة فى حجة معاوية الأولى، لأن فى الخبر المشار إليه: فلما حج معاوية حجته الثانية، فذكر قصة بنى شيبة ومعاوية، وملخصها أنه لم يفتح له الكعبة لما سأله معاوية فى ذلك، وبعث إليه حفيده شيبة بن جُبَير بن شيبة بن عثمان، ففتح له الكعبة، وكانت حجة معاوية الأولى سنة أربع وأربعين، على ما ذكر العتيقى فى أمراء الموسم، وحجته الثانية فى سنة خمسين على ما ذكر العتيقى أيضًا، وقيل فى حجته الثانية غير ذلك، فاستفدنا مما ذكره العتيقى فى حجة معاوية الأولى أن عبد الله بن خالد بن أسيد كان على مكة فى سنة أربعٍ وأربعين، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان جماعة، وهم عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق المقدَّم ذكره، والوليد بن عُتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشى الأموى، وعثمان بن محمد بن أبى سفيان بن

حرب الأموى، والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى المقدم ذكر والده، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نُفَيل العدوى ابن أخى عمر بن الخطاب ﷺ، ويحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خَلَف الجُمَحى.

فأما ولاية عمرو بن سعيد الأشدق فذكرها ابن جرير، لأنه ذكر فى أخبار سنة ستين من الهجرة، أن عمرو بن سعيد حج بالناس فيها، وهو على مكة والمدينة، وأن يزيد بن معاوية ولاه بالمدينة، بعد أن عزل عنها الوليد بن عُتْبة، فى شهر رمضان، وذكر ابن الأثير مثل ما ذكره ابن جرير بالمعنى، وذكر أن عمرو ابن سعيد قدم المدينة فى رمضان، وجهّز منها إلى ابن الزبير بمكة أخاه عمرو بن الزبير، لما بينهما من العداوة، وأُنَيْس بن عمرو الأسلمى، فى جيش نحو ألفَيْ رجل، فقتل أُنَيْس بذى طَوًى قتله أصحاب ابن الزبير بمكة، وأسروا عمرو بن الزبَير، فأقاد منه أخوه عبد الله الناس بالضرب وغيره، كما صنع بهم فى المدينة، حتى مات عمرو تحت السياط.

وأما ولاية الوليد بن عُتبة فذكرها ابن الأثير وذكر سببها، وملخّص ذلك أن يزيد اتّهم عمرو بن سعيد بمداهنة ابن الزبير، فإنه أظهر العصيان، على يزيد بعد قتل الحسين بن على بالعراق وبويع بعد ذلك ابن الزبير بمكة، وقيل ليزيد: لو شاء عمرو بن سعيد سرَّح إليك ابن الزبير، فعزل يزيد عمرًا وولى مكانه الوليد، فقدم الوليد مكة، وأقام يريد غِرَّة ابن الزبير، فلا يجده إلا محترزًا ممتنعًا، وكان ذلك فى سنة إحدى وستين، وذكر ابن جرير نحو ذلك مختصرًا بالمعنى.

وأما ولاية عثمان فذكرها ابن الأثير وذكر سببها، وملخص ذلك أن ابن الزبير كتب إلى يزيد فى أمر الوليد يقول له: إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق، لا يتّجه لرُشْد، ولا يرعوى لغضب، فلو بعثتَ رجلاً سهل الخُلُق، رجوتُ أن يَسْهُلَ من الأمور ما استوعر منها، وأن يجمع ما تفرّق، فعزل يزيد الوليد وولى عثمان، وذلك فى سنة اثنتين وستين، وذكر ابن جرير نحو ذلك مختصرًا بالمعنى.

وأما ولاية الحارث بن خالد وعبد الرحمن بن زيد المذكورين، فذكر خليفة ابن خياط فيما حكى عنه الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه أن يزيد لما عزل

الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان عن مكة، ولاَّها الحارث بن خالد، ثم عزله وولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، ثم عزل عبد الرحمن، وأعاد الحارث، فمنعه ابن الزبير الصلاة، فصلى بالناس مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف. انتهى.

وأما ولاية يحيى بن حكيم فذكرها الزبير بن بكار مع ولاية الحارث أيضًا، لأنه قال: فولد حكيم بن صفوان يحيى بن حكيم ولى مكة ليزيد بن معاوية، وكان عبد الله بن الزبير مقيمًا معه بمكة، لم يعرض له يحيى بن حكيم، فكتب الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يذكر له مداهنة يحيى بن حكيم لعبد الله بن الزبير، فعزل يزيدُ يحيى بنَ حكيم، وولّى الحارث بن خالد مكةَ، فلم يَدَعْه ابنُ الزبير يصلى بالناس، وكان الحارث يصلى فى جوف داره بمواليه ومن أطاعه من أهله، وكان مُصْعَب بن عبد الرحمن يصلى بالناس فى المسجد الحرام، بأمر عبد الله ابن الزُبير، فلم يزل كذلك حتى وجه يزيدُ بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير مسلم ابن عُقْبة، فبويع عبد الله بن الزبير بالخلافة، وصلّى بالناس بمكة. انتهى.

ثم ولى مكة عبد الله بن الزبير ﷺ، بعد أن لقى فى ذلك عناءً شديدًا، سببه أن يزيد بن معاوية لما طرد أهلُ المدينة عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان وغيره من بنى أمية، إلى ولد عثمان بن عفان ﷺ، بعث إليهم مسلم بن عُقْبَة المُرّى، وسُمّى مسرفًا لإسرافه فى القتل بالمدينة، وبعث معه اثنى عشر ألفًا، فيهم الحُصَين بن نُمَير السَّكُونى، وقيل: الكندى، ليكون على العسكر إنْ عَرَضَ لمسلم موتٌ، فإنه كان عليلاً فى بطنه الماء الأصفر، وأمر يزيد مسرفًا إذا بلغ المدينة أن يدعو أهلها ثلاثًا، فإن أجابوه وإلاَّ قاتلهم، فإذا ظهر عليهم أباحها ثلاثًا، ثم يكفّ عن الناس، ويسير إلى مكة لقتال ابن الزبير، فلما بلغ مسلم المدينة بمن معه، التقى مع أهلها بظاهر المدينة، فاقتتلوا، فقتل من أولاد المهاجرين ما يزيد عن ثلاثمائة نفر وجماعة من الصحابة، ودخل المدينة وأباحها ثلاثًا، وكانت الوقعة بمكان يقال له: الحَرَّة، وأقام لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة، ثم سار إلى مكة، فلما كان بالمشلل مات، وقيل: مات بثنية هَرْشى، بعد أن قدم على عسكره الحُصَين بن نمير، فسار الحصين حتى بلغ مكة، لأربعٍ بقين من المحرم سنة أربعٍ وستين، وقد

بايع أهلُ مكة والحجاز وغيرهم ابنَ الزبير، وأجمعوا عليه، وانضم إليه من انهزم من أهل المدينة، وكان قد بلغه خبر أهل المدينة مع مسلم هلال المحرم سنة أربع وستين مع المِسْوَر بن مَخْرَمَة، فلحقه منه أمر عظيم، واعتدَّ هو وأصحابه واستعدوا للقتال، وقاتلوا الحُصَين أيامًا، وتحصَّن ابن الزبير وأصحابه فى المسجد وحول الكعبة، وضرب أصحاب ابن الزبير فى المسجد خيامًا ورقاقًا يكتُّون بها من حجارة المنجنيق، ويستظلون فيها من الشمس.

وكان الحُصَين بن نُمَير قد نصب المنجنيق على أبى قُبَيس، وعلى الأحمر، فكان يرميهم بالحجارة، وتصيب الحجارة الكعبة فتوهَّنت، ودام الحرب بينهم إلى أن فرج الله على ابن الزبير وأصحابه، بوصول نعي يزيد بن معاوية، وكان وصول نعيه ليلة الثلاثاء، لثلاث مَضَيْن من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، وبلغ نعيه ابنَ الزبير قبل أن يبلغ الحُصَينَ، وبعث إلى الحُصَين مَن يُعْلِمُهُ بذلك، ويحسِّن له تركَ القتال، ويعَظِّم إليه أمرَ الحَرَم، وما أصاب الكعبة، فمالَ إلى ذلك، وأدبر إلى الشام لخمس ليالٍ خَلَوْن من ربيع الآخر سنة أربعٍ وستين، بعد أن اجتمع بابن الزبير فى الليلة التى تلى اليوم الذى بلغه فيه نعيُ يزيد، وسأله ابن الزبير فى أن يبايع له هو ومن معه من أهل الشام، على أن يذهب معهم ابن الزبير إلى الشام ويؤمن النساء، ويهدر الدماء التى كانت بينهم وبين أهل الحَرَّة(١)، فأبى ابن الزبير(٢) ذلك.

وبويع ابنُ الزبير بعد رحيل الحُصَين عن مكة بالخلافة بالحرمين، ثم بُويع بها فى العراق، واليمن، وغير ذلك، حتى كاد تجتمع الأمة عليه، فولى فى البلاد التى بويع له فيها العمال، ودامت ولايته على مكة إلى أن قتله الحَجّاج ـــ قاتله الله ـــ فى جمادى الأولى، وقيل: يوم الثلاثاء من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، عن ثلاث وسبعين سنة، بعد أن حاصره الحجاج بمن معه أزيد من نصف سنة، وهو ينتصف منهم، ويفضل عليهم فى الغلب، لأنه كان نهاية فى الشجاعة، وكذا فى العبادة، وكان فى اليوم الذى قُتل فيه حمل على أهل الشام لما دخلوا عليه

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «أهل الحرم» وصوابه من الأصل وغاية المرام ١/ ١٤٥.

(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «فأبى الحصين» وصوابه من الأصل وغاية المرام ١/ ١٤٥.

فى أبواب المسجد، حتى أبلغهم الحَجُون، ولم يُقتل حتى أُدهش بآجُرّة رُمى به وجههُ ودُمى، فعند ذلك تعاونوا عليه وقتلوه، ولم يُقتل إلاّ بعد أن لم يبق معه من أصحابه إلاّ اليسير، لميلهم عنه إلى الحجاج، وأخذهم الأمان من الحجاج، وكان ممن فعل ذلك ابناه حمزة وحبيب، وكان ابتداء حصار الحجاج له فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين.

وكان الحجاج فى حال محاصرته لابن الزبير يرمى الكعبة بالمنجنيق من أبى قُبَيْس، لكون ابن الزبير كان مكتنًّا فى المسجد، وكان الحجاج نازلاً ببئر ميمون، ومعه طارق بن عمرو مولى عثمان، وكان عبد الملك قد أمد الحجاج بطارق، لما سأله النجدة على ابن الزبير، فقدم طارق فى ذى الحجة، ومعه خمسة آلاف، وكان مع الحجاج ألفان، وقيل: ثلاثة من أهل الشام، وكان الحجاج لما وصل من عند عبد الملك نزل الطائف، فكان يبعث منه خيلاً إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير خيلاً إلى عرفة، فيقتتلون بها، فتُهزم خيل ابن الزبير، وتعود خيل الحجاج بالظفر، ثم استأذن عبد الملك فى منازلة ابن الزبير، فأذن له، فكان من الأمر ما كان.

وكان حصار الحجاج لابن الزبير ستة أشهر، وسبع عشرة ليلة، على ما ذكر ابن جرير، وصُلب ابن الزبير بعد قتْله منكَّسًا على الثَنِيَّة اليمنى بالحَجُون، وبعث رأسه إلى عبد الملك بن مروان، فطيف به فى البلدان.

وولى مكة لابن الزبير فى خلافته الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر الجُمَحى، على ما ذكر ابن عبد البرّ، لأنه قال فى ترجمته: واستعمل ابن الزبير الحارث بن حاطب على مكة سنة ست وستين، وقيل: إنه كان يلى المساعى أيام مروان[1]. انتهى.

ثم ولى مكةَ لعبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير جماعة، وهم: ابنه مَسْلَمة ابن عبد الملك، والحجّاج بن يوسف الثقفى، والحارث بن خالد المخزومى المقدَّم ذكره، وخالد بن عبد الله القَسْرى، وعبد الله بن سفيان المخزومى، وعبد العزيز

---

(١) الاستيعاب ١/ ٢٨٥.

ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموى، ونافع بن عَلْقَمَة الكنانى، ويحيى بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القُرَشى الأموى.

فأما ولاية الحجاج فمشهورة، ذكرها غير واحد ودامت إلى سنة خمسٍ وسبعين، وولى مع مكة المدينة، والحجاز، وقد ذكر ابن جرير ما يدل لذلك، ولِمُنْتَهَى ولايته على الحجاز، لأنه ذكر فى أخبار سنة أربعٍ وسبعين أنه كان وُلّى على مكة والمدينة، وذكر فى أخبار سنة خمسٍ وسبعين أنه ولى العراق، وعُزل عن الحجاز، وذكر أنه انصرف إلى المدينة فى صفر من سنة أربعٍ وسبعين، وأقام بها ثلاثة أشهر، وأنه حجّ بالناس فى هذه السنة.

وأما ولاية الحارث بن خالد المخزومى، فذكر الزُّبير بن بكار ما يشهد بذلك، لأنه قال بعد أن ذكر تولية يزيد بن معاوية له على مكة، ومنع ابن الزبير له من الصلاة: ولم يزل معتزلاً لابن الزبير حتى ولى عبد الملك بن مروان، فولاه مكة، ثم عزله، فقدم عليه فى دمشق، ولم ير عنده ما يحب فانصرف عنه، وقال فى ذلك شعراً[١]. انتهى.

وأما ولاية خالد بن عبد الله القَسْرى، ففى تاريخ الأزرقى ما يدل لذلك، لأنه روى بسنده أن جده عُقبة بن الأزرق بن عمرو الغسانى كان يضع على حرف داره مصباحًا عظيمًا، فيضىء لأهل الطواف وأعلا المسجد، ثم قال: فلم يزل ذلك المصباح على حرف الدار، حتى كان خالد بن عبد الله القَسْرى، فوضع مصباح زمزم مقابل الركن الأسود فى خلافة عبد الملك بن مروان، فمنعنا أن نضع ذلك المصباح، وذكر فى الترجمة التى ترجم عليها، أول من أدار الصفوف حول الكعبة ما يدل لذلك، لأنه روى فيها عن جده عن عبد الرحمن بن حسن الأزرقى قال: فلما ولى خالد بن عبد الله القَسْرى لعبد الملك بن مروان، فذكر إدارته للصفوف[٢]، والمعروف أنّ خالدًا ولى مكة للوليد وسليمان وَلَدَى عبد الملك بن

---

(١) نسب قريش ص ٣١٣.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٦٥.

مروان، والله أعلم، ويبعد أن يقال: لعل الأزرقى سها فيما ذكره من ولاية خالد لعبد الملك، لكونه كرّر ذلك فى غير موضع[1]، والله أعلم.

وخالد القَسْرى هو الذى حفر البئر التى ساق الماء منها، حتى أخرجه فى المسجد الحرام عند زمزم، ليضاهى به زمزم. وحُكى عنه فى تفضيله على زمزم، وتفضيل الخليفة الذى أمره بذلك ما يُستَبْشَع ذِكره، وقيل: إنّ ذلك لا يصحّ عنه، والله أعلم.

وأما ولاية عبد الله بن سفيان المخزومى، فذكر الأزرقى ما يدل لها، لأنه قال لما ذكر سيل الجُحَاف: وكان سيل الجُحاف سنة ثمانين فى خلافة عبد الملك، وذكر خبرًا فيه، فكتب فى ذلك إلى عبد الملك بن مروان، ففزع لذلك، وبعث بمال عظيم، وكتب إلى عامله على مكة عبد الله بن سفيان المخزومى، ويقال: بل كان عامله: الحارث بن خالد المخزومى، يأمره بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى[2]. انتهى.

وما عرفتُ نسبَ عبد الله بن سفيان هذا، إلاّ أنى لم أر له ذكرًا فى غير تاريخ الأزرقى، وعلى ما ذُكر فى تاريخ الجُحاف وكتابة عبد الملك لعامله على مكة عبد الله، والحارث المشار إليهما، تكون ولاية من كان واليًا بها فى سنة ثمانين، وفى التى بعدها، لأن سيل الجُحاف كان فى زمن الحج، وما يصل خبره لعبد الملك ويصل أمره ببناء ضفاير الدور إلاّ فى سنة إحدى وثمانين، والله أعلم.

وأما ولاية عبد العزيز فذكرها الزبير بن بكار، لأنه قال: واستعمل عبدُ الملك ابن مروان عبدَ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد على مكة. انتهى. ورأيت فى كتاب «الكمال» لعبد الغنى المقدسى، ما يوافق ذلك، ولكنه لم يحكه إلاّ بصيغة التمريض، لأنه قال: ولى مكة لسليمان بن عبد الملك، قيل: إنه وليها لعبد الملك أيضًا. انتهى.

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١/ ٢٨٦.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٦٩.

وأما ولاية نافع بن علقمة الكنانى ويحيى بن الحكم فذكر الزبير بن بكار ما يشهد لذلك[١]، وفى ذلك طول اختصرناه، ولأنا فى الغالب لا نستدل إلاّ على ما يُستغرَب، أو يقع فيه اختلاف، وولاية مَسْلَمة بن عبد الملك حكاها ابن قتيبة فى «الإمامة والسياسة» وكلامه صريح، فى أنه وليها لأبيه، وأنّ خالدًا القَسْرىّ وليها أيضًا لعبد الملك، لأنه قال: وذكروا أن مَسْلَمة بن عبد الملك كان واليًا على مكة، فبينا هو يخطب على المنبر، إذ أقبل خالد بن عبد الله القَسْرى من الشام واليًا عليها، فدخل المسجد، فلما قضى مَسْلمة خُطْبته صعد خالد المنبر، فلما ارتقى فى الدرجة الثالثة[٢] تحت مَسْلمة أخرج طومارًا [مختوما] ففضّه، ثم قرأه على الناس فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أهل مكة، أما بعد، فإنّى ولّيت عليكم خالد بن عبد الله القَسْرى، فاسمعوا له وأطيعوا، ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلاً، فإنما هو القتل لا غيره، وقد برئت الذمة من رجل أوى سعيد بن جُبير والسلام».

ثم التفت إليهم خالد فقال: والذى يُحْلَف به، ويُحَجّ إليه، لا أجده فى دار أحد إلاّ قتلته، وهدمت داره، ودار كل من جاوره، واستبحت حَرَمَه، وقد أجّلت لكم فيه ثلاثة أيام، ثم نزل ودعا مَسْلَمة برواحله، ولحق بالشام، فأتى رجل إلى خالد، فقال له: إن سعيد بن جبير بوادى كذا، من أودية مكة، مختفيًا بمكان كذا، فأرسل خالد فى طلبه، فأتاه الرسول، فلما نظر إليه قال له: إننى أمرت بأخذك، وأتيت لأذهب بك، وأعوذ بالله من ذلك، فالحق بأى بلد شئت، وأنا معك، فقال سعيد بن جبير: ألك هاهنا أهل وولد؟ قال: نعم، قال: إنهم يؤخذون بعدك، وينالهم من المكروه مثل الذى كان ينالنى، قال: وإنى أَكِلُهم إلى الله، قال سعيد: لا يكون هذا، فأتى به إلى خالد فشده وثاقًا، ثم بعث به إلى الحجاج، فقال له رجل من أهل الشام: إنّ الحجاج قد أُنذر به وأُشْعِر قبلَكَ، فما عرض له، فلو جعلته

---

(١) نسب قريش ص٢٨٣.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الثانية» وصوابه من الأصل وابن قتيبة.

بينك وبين الله، لكان أزكى من كل عمل يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى، قال خالد: وظهره إلى الكعبة وقد استند إليها: والله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى إلاَّ بنقض هذا البيت حجرًا حجرًا لنقضته فى مرضاته»[(١)].

وممن ولى مكة لعبد الملك بن مروان فيما أظن: هشام بن إسماعيل المخزومى، لأن الفاكهى ذكر ما يدل لولايته لها، إلاَّ أنه لم يصرح بأنه ولى مكة لعبد الملك ابن مروان، وولايته لها لا يبعد أن تكون فى زمن عبد الملك بن مروان، لأنه ولى المدينة له، وحج بالناس فى خلافته عدة سنين، وإذا كان ولى ذلك لعبد الملك فولايته على مكة لعبد الملك أقرب من ولايته عليها لغيره، والله أعلم.

وممن ولى مكة لعبد الملك بن مروان فيما أظنّ: أبان بن عثمان بن عفان، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان رجلان فيما علمت: الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى ﷺ، ثم خالد بن عبد الله القَسْرى، فأما ولاية عمر بن عبد العزيز ﷺ فقد ذكرها جماعة منهم ابن كثير، وأفاد فيما ذكره تاريخ ابتدائها، لأنه قال فى ترجمته: قالوا: ولما مات عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعين يومًا، وولى الوليد، فعامله بما كان يعامله به، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين. انتهى. وقيل: إن عمر بن عبد العزيز ﷺ عُزِل عن مكة فى سنة تسعٍ وثمانين وقيل: سنة إحدى وتسعين.

وأما ولاية خالد القَسْرى فاختُلف فى أولها، للخلاف فى تاريخ عزْل عمر بن عبد العزيز ﷺ، ودامت ولايته إلى أن مات الوليد بن عبد الملك، وكان موته فى جمادى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين.

ثم ولى مكة فى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان ثلاثة نفر:

خالد القَسْرى، ثم طلحة بن داود الحَضْرمى، ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص الأموى.

---

(١) الإمامة والسياسة ٢/ ٤٢ وما بين حاصرتين منه.

فأما ولاية خالد القسرى لسليمان، فذكر الأزرقى ما يدل لها[١] وكذلك الزبير بن بكار، وما ذكره في ذلك أصرح مما ذكره الأزرقي، لأنه قال: وحدثني محمد بن الضحَّاك عن أبيه قال: إن خالد بن عبد الله القَسْرى أخاف عبد الله الأصغر بن شيبة بن عثمان، وهو الأعجم، فهرب منه، فاستجار بسليمان بن عبد الملك، قال محمد بن الضحاك عن أبيه، وخالد بن عبد الله يومئذ والى سليمان بن عبد الملك على مكة، فكتب سليمان بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله ألا يهيجه، وأخبره أنه قد آمنه، فجاءه الكتاب، فأخذ الكتاب، ووضعه ولم يفتحه، وأمر به، فَبُرِّزَ، فَجَلَدَه، ثم فتح الكتاب، فقال: لو كنت قرأته ما جلدتك، فرجع عبد الله إلى سليمان، فأخبره الخبر، فأمر بالكتاب فى خالد أن تقطع يده، فكلمه فيه يزيد بن المهلب وقبَّل يده، وكتب مع عبد الله: إن كان خالد قرأ الكتاب، ثم جلده قطعت يده، وإن كان جلده قبل أن يقرأ الكتاب أقيد منه، فأقيد منه عبد الله[٢]. انتهى باختصار. ولعلّ فِعل خالد هذا سبب عزْل سليمان له، وكان عزله فى سنة ست وتسعين لما سيأتى بيانه.

وأما ولاية طلحة فذكرها ابن جرير لأنه قال فى أخبار سنة ستٍّ وتسعين من الهجرة: وعزل سليمان بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله القَسْرى عن مكة، وولّاها طلحة بن داود الحضرمى[٣]، وذكر ابن جرير أيضًا ما يدل على خلاف ما ذكره فى تاريخ ولاية طلحة، لأنه قال فى أخبار سنة سبع وتسعين: وفى هذه السنة قال الواقدى: حدثنى إبراهيم بن نافع عن ابن أبى مليكة قال: لما صدر سليمان بن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمى عن مكة، وكان عمله عليها ستة أشهر. انتهى.

وأما ولاية عبد العزيز بن عبد الله بن خالد، فذكرها ابن جرير، وحكى خلافًا فى ابتدائها، لأنه قال فى أخبار سنة ستٍّ وتسعين، بعد أن ذكر ما سبق فى عزل

---

(١) أخبار مكة ١/ ٢٨٧.

(٢) نسب قريش ٢٥٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٦/ ٥٢٢.

سليمان لخالد وتوليته طلحة، وحكي عن ابن أبي معشر أنه قال: كان الأمير على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وقال فى أخبار سنة سبع وتسعين بعد أن حكى عن الواقدى ما سبق فى عزله طلحة: وولى عليها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان عبد العزيز على مكة فى سنة ثمان وتسعين، على ما ذكره ابن جرير أيضًا.

ثم ولى مكة لعمر بن عبد العزيز بن مروان ﷺ فى خلافته: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور على مقتضى ما ذكر ابن جرير، لأنه ذكر فى أخبار سنة تسع وتسعين أن عامل عمر بن عبد العزيز على مكة فى هذه السنة عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد، وذكر فى أخبار سنة إحدى ومائة[١] ما يقتضى أنه كان والى مكة.

وذكر الأزرقى ما يقتضى ذلك أيضًا، لأنه روى عن أحمد بن ميسرة عن عبد المجيد بن أبى رواد عن أبيه قال: قدمت مكة سنة مائة وعليها عبد العزيز بن عبد الله أميرًا، فقدم كتاب من عمر بن عبد العزيز ينهى عن كراء بيوت مكة، ويأمر بتسوية بيوت مِنًى: قال: فجعل الناس يدسُّون إليهم الكراء سرًّا ويسكنون[٢]. انتهى.

وولى مكةَ لعمر بن عبد العزيز ﷺ على ما قيل: محمد بن طلحة بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، على ما ذكر ابن حبّان، فيما حكى عنه الذهبى فى «التذهيب مختصر التهذيب» وعُروة بن عِياض بن عَدِىّ بن الخيار بن نوفل بن عبد مَناف بن قُصَىّ القرشى النوفلى، على ما ذكر صاحب الكمال، ووجدت ذلك بخط الذهبى فى ترجمته فى «تاريخ الإسلام» وعبد الله بن قيس بن مَخْرَمَة بن المطلب القرشى، وعثمان بن عبد الله بن سُرَاقة العدوى، وولايتهما ذكرها الفاكهى.

---

(١) تحرف فى الأصل والمطبوعتين إلى: «سنة مائة» وصوابه لدى الطبرى ٦/ ٥٨٩ الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٦٣.

وفى ولايتهما وولاية الذى قبلهما على مكة لعمر بن عبد العزيز فى خلافته نظر، لما ذكره ابن جرير من أن عبد العزيز بن عبد الله كان عامل مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته كما سبق، ولعل المذكورين وُلُّوا مكةَ لعمر فى زمن ولايته لها عن الوليد بن عبد الملك فى المدّة التى كان يقيمها بالمدينة، فإنها كانت فى ولايته أيضًا، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان جماعة أولهم: عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور، لأن ابن جرير ذكر أنه كان على مكة فى سنة إحدى ومائة وذكر ذلك ابن الأثير وذكر أنه كان على مكة فى سنة اثنتين ومائة.

ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القرشى الفِهْرى مع المدينة، وولايته بمكة فى سنة ثلاث ومائة، وللمدينة فى سنة إحدى ومائة.

ثم ولى مكة عبد الواحد بن عبد الله النَّصْرى ــ بالنون ــ من بنى نصر بن معاوية، بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك فى سنة أربع ومائة مع الطائف والمدينة، ثم ولى مكة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان جماعة، أولهم: عبد الواحد المذكور، ومدة ولايته للملك فى خلافة يزيد وهشام سنة وثمانية أشهر، على ما ذكر ابن الأثير.

ثم ولى مكة بعده إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى، خال هشام بن عبد الملك: فى سنة ست ومائة، وولى مع ذلك الطائف والمدينة، ودامت ولايته على مكة إلى سنة ثلاث عشرة، وقيل: سنة أربع عشرة ومائة.

ثم ولى مكة بعده أخوه محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى، ودامت ولايته إلى سنة خمس وعشرين على ما قيل.

وممن ولى مكة لهشام بن عبد الملك بن مروان: نافع بن علقمة الكنانى، ذكر ولايته الفاكهى، وذكر أنه وليها لأبيه.

وممن وليها فى خلافة عبد الملك بن مروان، أو فى خلافة أحد من أولاده الأربعة: أبو حراب محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية

الأصغر الأموى، ذكر ولايته على مكة الفاكهى، وهكذا نسبه، وذكر ما يقتضى أنه كان واليًا على مكة فى زمن عطاء بن أبى رباح.

ثم ولى مكة فى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، بعد عزل محمد ابن هشام خال الوليد المذكور: يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى، مع الطائف والمدينة فى سنة خمس وعشرين[1]، ودامت ولايته إلى انقضاء خلافة الوليد بن يزيد، سنة ستٍّ وعشرين.

ثم ولى مكة فى خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموى: عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان، فيما أظن، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة مروان ـــ المعروف بالحمار ـــ بن محمد بن مروان الأموى خاتمة خلفاء بنى أمية: عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان، ودامت ولايته إلى أن حج بالناس فى سنة ثمانٍ وعشرين ومائة.

ثم ولى مكة بعده عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، مع المدينة والطائف فى سنة تسعٍ وعشرين، ودامت ولايته إلى أن حج بالناس فى هذه السنة.

ثم ولى مكة بعد الحج من هذه السنة أبو حمزة الخارجى الإباضى، واسمه المختار بن عوف، تغلّب على مكة، وذلك أن عبد الله بن يحيى الأعور الكِنْدى المسمَّى طالب الحق بعد أن ملك حَضْرَمَوْت وصنعاء وظفار، وطرد عنها عامل مروان: القاسم بن عمر الثقفى بعث إلى مكة أبا حمزة الخارجى المذكور فى عشرة آلاف، فخاف منهم عبد الواحد بن سليمان والى مكة، وخذله أهلها، ففارقها فى النفر الأول، وقصد المدينة، فغلب أبو حمزة على مكة، ثم سار منها بعد أن استخلف عليها أبرهة بن الصباح الْحِمْيَرِى، فلقى بقُدَيْد الجيش الذى أنفذه عبد الواحد بن سليمان لقتال أبى حمزة، فظفر أبو حمزة، وذلك فى صفر من سنة ثلاثين، وسار إلى المدينة فدخلها، وقتل فيها جماعة، منهم أربعون رجلاً من بنى عبد العُزَّى، ولما بلغ مروانَ خبرُه جهّز إليه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٢٢٦.

فى أربعة آلاف فارس، فسار ابن عطية حتى لقى بوادى القرى بَلْجًا وهو على مقدمة أبى حمزة، فقتل بلجًا وعامة أصحابه، ثم سار ابن عطية يطلب أبا حمزة، فأدركه بمكة بالأبطح، ومع أبى حمزة خمسة عشر ألفًا، ففرق عليه ابن عطية الخيل، من أسفل مكة ومن أعلاها ومن قِبَل مِنى، فاقتتلوا إلى نصف النهار، فقُتل أبرهة ابن الصباح عند بئر ميمون، وقُتل أبو حمزة، وقُتل خلق من جيشه، هذا ملخّص بالمعنى مما ذكره الذهبى فى «تاريخ الإسلام» نقلاً عن خليفة بن خياط فى خبر أبى حمزة.

وفى تاريخ ابن الأثير ما يخالف ذلك، فى مواضع:

منها أنه كان مع أبى حمزة لما وافى عَرَفة سبعمائة رجل.

ومنها: أنه ذكر ما يقتضى أن أبا حمزة لقى ابن عطية بوادى القُرَى، وأنه قُتل فى الوقعة التى بوادى القرى، والله أعلم.

وذكر ابن الأثير أنّ ابن عطية لما سار إلى اليمن لقتال طالب الحق، استخلف على مكة رجلاً من أهل الشام، ولم يسمه، ورأيت فى مختصر تاريخ ابن جرير أن هذا الرجل يقال له ابن ماعز، وهذا يقتضى أن يكون عبد الملك بن محمد السعدى المذكور ولى مكة لمروان، ولا يبعد أن يجعل ذلك مروان لعبد الملك، إذا نزع من أبى حمزة ما تغلَّب عليه، وقد يسر الله ذلك لابن عطية، وكان من أمره بعد مسيره من مكة لقتال طالب الحق، أنهما التقيا، فقتل طالب الحق، وبعث عبد الملك برأسه إلى مروان، وكتب مروان إلى عبد الملك كتابًا بالقدوم إلى مكة لإقامة الحج للناس، فسار فى نفر قليل، فخرج عليه بعض العرب، فقتلوه بعد أن أظهر لهم كتاب مروان بتأميره على الحج، فلم يقبلوا ذلك منه، وقالوا له ولمن معه: إنما أنتم لصوص.

وولى مكة لمروان: الوليد بن عُرْوة السعدى ابن أخى عبد الملك على ما ذكر ابن جرير، وذكر أنه كان على مكة فى سنة إحدى وثلاثين ومائة، وعلى الطائف والمدينة من قِبَل عمه، وهذا لا يعارض ما سبق من أن عمه، قتل فى سنة ثلاثين،

لإمكان أن يكون كتب إليه من اليمن بولاية ذلك، وأقره مروان على ذلك بعد قتل عمه، والله أعلم.

وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكة والمدينة والطائف فى سنة ثلاثين ومائة، وأنه حجّ بالناس فيها، ولم أر فى مختصر تاريخ ابن جرير ولايته لذلك، وإنما فيه أنه حج بالناس فى سنة ثلاثين ومائة، على أن النسخة التى رأيت فيها ذلك من تاريخ ابن الأثير لا تخلو من سقم، والله أعلم بالصواب.

ورأيت فى نسخة من تاريخ ابن الأثير اضطرابًا فى اسم ابن أخى عبد الملك الذى ولى مكة، كما سبق ذكره، هل هو الوليد بن عروة أو هو عروة بن الوليد؟ والصواب: الوليد، كما ذكره ابن جرير والعتيقى فى أمراء الموسم، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء بنى العباس: عمه داود بن على بن عبد الله بن العباس، فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة ودامت ولايته حتى مات فى سنة ثلاث وثلاثين فى بيع الأول بالمدينة، بعد أن قتل من ظفر به من بنى أمية بمكة والمدينة.

ثم ولى مكة بعد داود: زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى، خال السفاح، مع الطائف والمدينة واليمامة، ودامت ولايته إلى سنة ست وثلاثين ومائة، على ما يقتضيه كلام ابن الأثير.

ثم ولى مكة بعده: العباس بن عبد الله بن مَعْبَد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى، فى سنة ستٍّ وثلاثين ومائة للسفاح، على ما ذكر ابن الأثير، وذكر ما يقتضى أن ولايته دامت على مكة حتى مات السفاح، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذلك، وذكر ابن حزم أنه ولى مكة للسفاح وقال: كان رجلاً صالحًا[1]. انتهى.

وممن ولى مكة للسفاح عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى، على ما ذكر ابن حزم فى «الجمهرة» وذلك غير ملائم لما ذكره

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص١٨.

ابن الأثير، من كون زياد بن عبيد الله الحارثى دامت ولايته على مكة إلى سنة ست وثلاثين ومائة، وأن العباس بن عبد الله بن مَعْبَد وليها بعده حتى مات السفاح، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس أخى السفاح: العباس بن عبد الله بن مَعْبد المذكور، لأن ابن الأثير قال فى أخبار سنة سبع وثلاثين: وعلى مكة العباس بن عبد الله بن مَعْبد، ومات العباس بعد انقضاء الموسم.

ثم ولى بعده زياد بن عبيد الله الحارث المقدَّم ذكره، على ما ذكر ابن الأثير وغيره، مع المدينة والطائف، ودامت ولايته إلى سنة إحدى وأربعين ومائة، وهو الذى تولّى للمنصور عمارة ما زاده فى المسجد الحرام.

ثم ولى مكة بعد عزل زياد: الهَيْثَم بن معاوية العتكى الخراسانى مع الطائف، فى سنة إحدى وأربعين ومائة، ودامت ولايته إلى سنة ثلاث وأربعين ومائة.

ثم ولى مكة بعد عزله: السَّرِىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب مع الطائف، فسار السَّرِىّ إلى مكة، ودامت ولايته عليها إلى سنة خمس وأربعين ومائة.

ثم ولى مكة بعده بالتغلب محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى الجعفرى، لأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الملقب بالنفس الزكية لما ثار فى سنة خمس وأربعين بالمدينة، وغلب عليها، استعمل محمدًا هذا على مكة، والقاسم بن إسحاق على اليمن، فسارا إلى مكة، فخرج إليهما السَّرِىّ بن عبد الله المقدَّم ذكره، فلقيهما ببطن أذاخر فهزماه، ودخل محمد مكة، وأقام بها يسيرًا، فأتاه كتاب محمد بن عبد الله بن الحسن يأمره بالمسير إليه فيمن معه، ويخبره بمسير عيسى بن موسى إليه لمحاربته، فسار إليه من مكة هو والقاسم، فبلغه بنواحى قُدَيْد، وقتل محمد النفس الزكية،

فهرب هو وأصحابه وتفرقوا، فلحق محمد بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله أخى محمد بن عبد الله، فأقام عنده حتى قتل إبراهيم[1]، ذكر هذا بالمعنى ابن الأثير.

ورأيت فى كتاب «النسب للزبير بن بكار» ما يقتضى أن الذى ولاه محمد بن عبد الله بن الحسن على مكة: حسن بن معاوية والد محمد بن حسن المقدّم ذكره، والله أعلم بالصواب.

ثم ولى السَّرِىّ مكةَ، ودامت ولايته عليها إلى سنة ستٍّ وأربعين ومائة.

ثم ولى مكة بعده: عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى، عم المنصور والسفاح، وولى مع ذلك الطائف[2]، ودامت ولايته إلى سنة تسعٍ وأربعين ومائة، وقيل: إلى سنة خمسين، وقيل: إنه كان على مكة فى سنة سبعٍ وخمسين، وهذا إنْ صحّ فهو ولاية ثانية لعبد الصمد على مكة، والله أعلم.

ثم ولى مكة بعد عبد الصمد: محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى[3]، ودامت ولايته فى غالب الظن إلى سنة ثمانٍ وخمسين.

ثم ولى مكة فى خلافة المهدى محمد بن المنصور العباسى: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس[4] مع الطائف، بوصية من المنصور.

ثم ولى مكة جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس العباسى مع الطائف، وكان على ذلك فى سنة إحدى وستين، وفى سنة ثلاثٍ وستين كان على المدينة فى هذه السنة.

ثم ولى مكة عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب مع الطائف، وكان واليًا على ذلك فى سنة ست وستين، وفى سنة تسعٍ وستين.

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ١٨٦.
(٢) إتحاف الورى ٢/ ١٨٧.
(٣) إتحاف الورى ٢/ ١٨٩.
(٤) إتحاف الورى ٢/ ١٩٣.

وممن ولى مكة فى خلافة المهدى: محمد بن إبراهيم الإمام العباسى المقدَّم ذكره، ذكر ولايته على مكة للمهدى الفاكهى.

وممن ولى مكة فى خلافة المهدى: فيما أظن والله أعلم: قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى، والد عبيد الله المذكور، لأن ابن حزم قال فى «الجمهرة» لما ذكر أولاد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فمن ولده قُثَم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ولى مكة واليمامة، وابنه عبيد الله ابن قثم ولى مكة للرشيد. انتهى. وإنما ظننَّا أن ولاية قُثَم فى خلافة المهدى، لأن ابن الأثير ذكر فى كل سنة من خلافة السفاح والمنصور من كان والى مكة، ولم يذكر ولاية قُثَم هذا فى سنة من سِنِيِّ خلافة السفاح والمنصور، وذكر ابن الأثير أيضًا وُلاة مكة فى زمن الرشيد، فى ترجمة ترجم عليها بقوله: ذِكْر ولاة مكة، وسردهم كما سيأتى ذِكره، ولم يذكر قثم المذكور فيهم، فغلب على الظن أنه ولى مكة فى خلافة المهدى، لأنه لم يَذكُر فى كل سنة من خلافته من ولى فيها مكة، وإنما ذكر ذلك فى بعض السنين، ولم يذكر وُلاتها فى خلافتها جملة، كما ذكرها جملة فى خلافة الرشيد ويُحتمل أن يكون وليها فى خلافة الهادى قبل ابنه عبيد الله بن قُثَم أو بعده، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة الهادى موسى بن المهدى العباسى: عبيد الله بن قثم بن العباس المقدَّم ذكره، على مقتضى ما ذكر ابن جرير، لأنه قال فى أخبار سنة تسع وستين، وهى السنة التى فى أولها أفضت الخلافة إلى الهادى، بعد أن ذكر من كان فيها على ولاية المدينة: وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم. انتهى.

وولى مكة فى خلافة الهادى بالتغلُّب: الحسين بن على بن الحسن بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب الحَسَنى، لأنه ثار بالمدينة، وقتل بمن فيها من جماعة الهادى، ونهبوا بيت المال بالمدينة، وبويع على كتاب الله وسُنَّة نبيه، وخرج هو وأصحابه إلى مكة لستٍّ بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين.

ولما بلغوا مكة أمر الحسين فنودى فيها: أيما عبد أتانا فهو حر، فأتاه العبيد، وكان الهادى لما انتهى إليه خبرُه كتب إلى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله

ابن العباس بتوليته على حربه، وكان محمد بن سليمان قد توجه فى هذه السنة للحج فى رجال من أهل بيته، ومعه خيل وسلاح، فقدموا مكة وطافوا وسعوا وحلوا من العُمْرة، وعسكروا بذى طَوَى، وانضم عليهم من حجَّ من شيعتهم ومواليهم وقوادهم، والتقوا مع الحسين وأصحابه، فقُتل الحسين فى أزيد من مائة من أصحابه، وانهزم بعضهم إلى مصر وغيرها، وكان القتال فى يوم التروية بفَخّ، ظاهر مكة، وقبر الحسين هذا معروف إلى الآن فى قبّة تكون على يمين الداخل إلى مكة، ويسار الخارج منها، بقرب الموضع المعروف بالزاهر، وحُمل رأسه بعد قتله إلى الهادى، فلم يعجبه ذلك وقال: كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت، إن أقلَّ ما أجزيكم أن أحرمكم جوائزكم، فلم يعطهم شيئًا، وكان الحسين شجاعًا كريمًا، قدم على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرَّقها فى الناس فى بغداد والكوفة، وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه إلاّ فروة ما تحتها قميص، فالله يرحمه ويغفر له.

وممن ولى مكة فى خلافة الهادى أو خلافة أخيه الرشيد: محمد بن عبد الرحمن السفيانى، وولايته لأمر مكة ذكرها الفاكهى، لأنه قال: وكان ممن ولى مكة بعد ذلك محمد بن عبد الرحمن السفيانى، كان على قضاء مكة وإمارتها. انتهى.

وذكر الزبير بن بكار: أن الهادى استقضاه على مكة، وأن الرشيد أقره حتى صرفه المأمون، فولاه قضاء بغداد شهرًا ثم صرفه. انتهى. ولعل محمد بن عبد الرحمن السفيانى هذا ولى إمرة مكة مع قضائها فى زمن الأخوين: الهادى والرشيد، أو فى زمن أحدهما، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة الرشيد هارون بن المهدى العباسى جماعة، ذكرهم ابن الأثير من غير ترتيب فى الأسماء ولا فى الولاية، ولا رفع فى أنسابهم، ونحن نذكرهم مرتَّبين فى الأسماء، ونوضح فى نسبهم ما لم يوضحه ابن الأثير، وهم:

أحمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس، وحماد البربرى، وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، والعباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، والعباس بن محمد بن إبراهيم

الإمام، وعبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى، وعبيد الله بن قثم بن العباس المقدَّم ذكره، وعبيد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام، وعلى بن موسى بن عيسى أخو العباس، والفضل بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، ومحمد بن إبراهيم الإمام، ومحمد بن عبد الله بن سعيد ابن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانى، وموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على والد العباس وعلى المقدَّم ذكرهما.

ولم يذكر ابن الأثير فى تاريخ ولاية وُلاة مكة الذين ذكرهم، إلاّ ولاية عُبيد الله بن قثم، ذكر أنه كان على مكة سنة سبعين، وإلاّ ولاية حماد البربرى، والفضل بن العباس، وتاريخ ولاية حماد سنة أربع وثمانين، وتاريخ ولاية الفضل سنة إحدى وتسعين، وذكر أن الرشيد ولّى حمادًا اليمنَ مع مكة.

ورأيت فى تاريخ ابن جرير وابن كثير ما يقتضى أن ولاية محمد بن إبراهيم الإمام فى خلافة الرشيد سنة ثمان وسبعين ومائة، ورأيت فى أخبار مكة للفاكهى ما يقتضى أن العثمانى كان واليًا على مكة للرشيد سنة ست وثمانين، وأن ولاية سليمان بن جعفر بن سليمان لمكة فى هذه السنة بعد عزل العثمانى.

وولى مكة فى خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسى: داود بن عيسى، ابن موسى، بن محمد، بن على، بن عبد الله، بن عباس، العباسى، وكان على مكة فى سنة ثلاث وتسعين، ودامت ولايته إلى انقضاء خلافة الأمين.

وولى للأمين المدينة أيضًا، وهو الذى تولى خلع الأمين بمكة سنة ست وتسعين.

وولى مكة فى خلافة المأمون عبد الله بن هارون الرشيد العباسى: داود بن عيسى المذكور، لأنه لما خُلع الأمين فى رجب سنة ست وتسعين لنقضه العهد الذى كان عهده الرشيد بينه وبين أخيه المأمون، بايع للمأمون بالحرمين، وسار إلى المأمون حتى أعلمه بذلك، وسرَّ به المأمون وتيمن ببركة مكة والمدينة، واستعمل عليهما داود، وأضاف إليه ولاية عَكّ، وأعطاه خمسمائة ألف درهم معونة له، وسار إلى مكة، ودامت ولايته عليها إلى أن كان وقت الوقوف من سنة تسع

وتسعين ومائة، ثم فارق مكة متخوفًا من الحسين بن الحسن بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بالأفطس، مع قدرة داود على الدفع والقتال.

وولى مكة بعد خروج داود منها: الحسين الأفطس المذكور بالتغلّب، لأن أبا السرايا السَّرِىّ بن منصور الشيبانى داعية ابن طباطبا بعد استيلائه على الكوفة، وضرْبه بها الدراهم، وبعْثه الجيوش إلى البصرة وواسط ونواحيها، ولّى الحسينَ المذكور مكة وجعل إليه الموسم، ووجه أبو السرايا أيضًا واليًا على المدينة وواليًا على اليمن، ولما بلغ داودَ بن عيسى توجيهُ أبى السرايا للحسين فارق مكة هو ومن بها من شيعة بنى العباس وقت الحجّ، وكان الحسين حين بلغ سَرِف تخوّف من دخول مكة، حتى بلغه خُلُوُّها من ابن العباس، فدخلها فى عشرة أنفس، فطافوا بالبيت، وَسَعَوْا بين الصفا والمَرْوَة، ومضوا إلى عَرَفَة، فوقفوا ليلاً، ثم رجعوا إلى المُزْدَلفة، فصلّى حسين بالناس الصبحَ، وأقام بمنى أيام الحج، ثم صار إلى مكة.

فلما كان مُسْتَهَلّ المحرم من سنة مائتين نزع الحسين كسوة الكعبة، وكساها الكسوة التى أنفذها معه أبو السرايا، وكانت كسوَتَيْن من قَزّ رقيق، إحداهما صفراء والأخرى بيضاء، وأخذ ما فى خزانة الكعبة، فقسَّمه مع كسوتها على أصحابه، وهرب الناس من مكة، لأن أصحاب الحسين كانوا يأخذون أموال الناس بحجّة أنها ودائع لبنى العباس ودامت ولاية الحسين على مكة إلى أن بلغه قتل أبى السرايا فى سنة مائتين.

وذكر العتيقى فى أمراء الموسم ما يقتضى أن الحسين الأفطس ولى مكة قبل التروية، لأنه قال: وكان أمير الموسم سنة تسعٍ وتسعين محمد بن داود بن عيسى ابن موسى، فلما كان بمنى قبل التروية بيوم، وثب ابن الأفطس العلوى بمكة، وغلب عليها، وصار إلى منًى، فتنحى عنه محمد بن داود، ولم يمض إلى عَرَفَة، ومضى الناس إلى عرفات بغير إمام، ودفعوا بغير إمام، وأقام الأفطس الموقف ليلاً، فوقف، ثم صار إلى المزدلفة، فصلى بالناس صلاة الفجر، ووقف بهم عند المَشْعر، ودفع بهم غداة جَمْع، وصار إلى مِنى. انتهى.

وإنما ذكرنا ما ذكر العتيقى لمخالفته ما ذكرناه قبل فى وقت استيلاء الحسين على مكة، فإن الذى ذكرناه قبل يقتضى أنه لم يدخل مكة إلاَّ ليلة عرفة، والله أعلم.

ثم ولى مكة بعد الأفطس: محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى الملقب بالديباجة، لجمال وجهه، وسبب ذلك، أن حُسينًا الأفطس لما بلغه قتل أبى السرايا، رأى أن الناس تغيروا عليه لقُبْح سيرته وسيرة أصحابه، فأتى هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر، وسألوه فى المبايعة له بالخلاف، فكره محمد ذلك، فاستعانوا عليه بابنه على، ولم يزالوا به حتى بايعوه بالخلافة فى ربيع الأول سنة مائتين، وجمعوا الناس على بيعته طوعًا وكرهًا، وسموه أمير المؤمنين، فبقى شهورًا وليس له من الأمر شىء، وابنه على والحسين الأفطس وجماعتهم على أقبح سيرة، ولم يلبثوا إلاّ يسيرًا حتى قدم إسحاق بن موسى العباسى من اليمن فارًّا من إبراهيم بن موسى بن جعفر، فنــزل المُشاش، واجتمع إليه جماعة من أهل مكة هربوا من العلويين، واجتمع الطالبيون إلى محمد بن جعفر، وجمعوا الناس من الأعراب وغيرهم، وحفروا خندقًا، فقاتلهم إسحاق، ثم كره القتال، فسار نحو العراق، فلقيه الجند الذين أنفذهم هرثمة إلى مكة، وكان فيهم الجُلُودى ورقاء بن جميل، فقالا لإسحاق: ارجع معنا، ونحن نكفيك القتال، فرجع معهم، ولقيهم الطالبيون ببئر ميمون، وكان قد اجتمع إلى محمد غوغاء أهل مكة وسودان البادية والأعراب، فالتقى الفريقان، فقُتل جماعة، ثم تحاجزوا، ثم التقوا من الغد، فانهزم العلويون ومن معهم، وطلب الديباجةُ الأمانَ، فأجّلوه ثلاثًا، ثم نزح عن مكة، وتفرق كل قوم من الطالبيين من ناحية، ودخل العباسيون مكة فى جمادى الآخرة سنة مائتين، وتوجه محمد بن جعفر نحو بلاد جُهَيْنَة، فجمع بها، وقاتل والى المدينة هارون بن المسيب عند الشجرة وغيرها مرات، وانهزم محمد بن جعفر بعد أن فُقئت عينه بنشّابة، وقتل من أصحابه خلق كثير، ورجع إلى موضعه، ثم طلب الأَمان من الجُلُودى ومن ورقاء، فأمّناه، وضمن له ورقاء عن المأمون وعن الفضل الأمان، فقبل ذلك،

وأتى مكةَ لعشر بقين من ذى الحجة سنة مائتين، فصعد به الجُلُودى المنبرَ بمكة، والجلودى فوقه فى المنبر، وعليه قباء أسود، فاعتذر من خروجه، بأنه بلغه موت المأمون، وقد صح عنده الآن حياته وخلع نفسه واستغفر، ثم صار إلى العراق حتى بلغ المأمون بمَرْو، فعفا عنه، وبقى قليلاً، ثم مات فجأة بجُرجان، فصلى عليه المأمون، ونزل فى لَحْده وقال: هذه رَحِمٌ قُطعت من سنين، وكان موته فى شعبان سنة ثلاثٍ ومائتين، وسبب موته على ما قيل إنه جامَعَ ودخل الحمَّام وافتصد فى يوم واحد.

ووُلّى مكة فى خلافة المأمون بعد هزيمة الطالبيين: عيسى بن يزيد الجُلُودى، لأن فى خبر الديباجة الذى حكاه الذهبى فى «تاريخ الإسلام» أن عيسى الجُلُودى لما خرج بالديباجة إلى العراق استخلف على مكة ابنه محمدًا. انتهى بالمعنى.

وذكر ابن حزم فى «الجمهرة» ما يدل لولاية الجُلُودىّ على مكة، لأنه ذكر أن يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى، استخلفه عيسى بن يزيد الجُلُودى على مكة، فدخلها عَنْوة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، وقتل يزيد بن محمد[1]. انتهى. فاستفدنا من هذا ولاية الجُلُودى على مكة ونيابة ابن حنظلة له وقتْله، وكان قتله فى سنة اثْنتين ومائتين، وإن كان إبراهيم بن موسى المذكور واليًا على مكة فى هذه السنة، كما سيأتى بيانه، والله أعلم.

ووُلّى مكة بعد عزل الجُلُودىّ: هارون بن المسيب، لأنى نقلت من كتاب «مقاتل الطالبيين» عن أبى العباس أحمد بن عبد الله بن عمار الثقفى، فيما رواه من كتاب هارون بن عبد الملك الزيات، قال: حدثنى أبو جعفر محمد بن عبد الواحد ابن النصر بن القاسم مولى عبد الصمد بن على أن عيسى بن يزيد الجُلُودىّ أقام بمكة وهى مستقيمة له والمدينة، حتى قدم هارون بن المسيب واليًا على الحرمين، فبدأ بمكة، فصرف الجُلُودىّ عنها، وحجّ بالناس وانصرف إلى المدينة فأقام سنة. انتهى.

---

(١) الجمهرة ـــ ص ١٤٣.

ووُلِّىَ مكة للمأمون: حمدون بن على بن عيسى بن ماهان، على ما ذكر الأزرقى، لأنه قال فى أخبار سيول مكة: وجاء سيل فى سنة اثنتين ومائتين، فى خلافة المأمون، وعلى مكة يزيد بن محمد بن حنظلة [خليفة لحمدون بن على بن عيسى بن ماهان. انتهى. ولا تعارض بين ما ذكره ابن حزم من ولاية حنظلة][١] للجُلُودى، وبين ما ذكره الأزرقى من ولاية ابن حنظلة لابن ماهان، لإمكان أن يكون وليها للجُلُودىّ ولابن ماهان، والله أعلم، ولا معارضة أيضًا بين ما ذكره الذهبى من ولاية محمد بن الجُلُودىّ على مكة لأبيه، وبين ما ذكره ابن حزم من ولاية حنظلة على مكة للجُلُودىّ لإمكان أن يكون الجُلُودى ولى مكة لابنه ولابن حنظلة، والله أعلم.

ووُلِّى مكةَ للمأمون إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب، هكذا نسبه العتيقى، وذكر أنه حجّ بالناس سنة اثنتين ومائتين، وهو أمير مكة للمأمون، وأخوه على بن موسى الرضا ولىّ عهد المأمون. انتهى. ولا معارضة بين ما ذكره العتيقى من أن إبراهيم كان على مكة فى سنة اثنتين ومائتين، وبين ما ذكره الأزرقى من أنّ ابن حنظلة كان على مكة فى سنة اثنتين ومائتين خليفة لحمدون بن على، لإمكان أن يكون حمدون كان على مكة فى أول سنة اثنتين ومائتين، وإبراهيم كان على مكة فى آخر هذه السنة، والله تعالى أعلم.

وممن ولى مكة للمأمون: عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على ابن أبى طالب مع المدينة، فى سنة أربع ومائتين، وكان على مكة والمدينة أيضًا فى سنة خمسٍ وسنة ستٍّ ومائتين، ولعل ولايته دامت إلى سنة تسعٍ.

ثم ولى مكة صالح بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى فى سنة عشرٍ ومائتين، ودامت ولايته فيما أظن إلى أن حج بالناس فى سنة اثنتى عشرة ومائتين، ثم وليها بعده فيما أظنّ سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

ابن عبد الله بن العباس العباسى، لأن يعقوب بن سفيان ذكر أنه ولى مكة والمدينة سنة أربع عشرة ومائتين، وكان ابنه على مكة مرة وعلى المدينة مرة، وكان هو وأبوه يتداولان العمل على المدينة ومكة. انتهى.

وولى مكة فى خلافة المأمون، محمد بن سليمان المذكور، لأن الأزرقى قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: «ما جاء فى أول من استصبح حول الكعبة»: فلم يزل مصباح زمزم على عمود طويل مقابل الركن الأسود الذى وضعه خالد القَسْرى، فلما كان محمد بن سليمان على مكة فى خلافة المأمون فى سنة ست عشرة ومائتين وضع عموداً طويلاً مقابله بحذاء الركن الغربى. انتهى.

والظاهر أنه ابن سليمان المذكور لقُرب ولايتهما، ولتأخُّر ولاية محمد بن سليمان الزينبى على مكة، فإنه لم يلِها إلاَّ فى آخر خلافة المتوكل فيما علمت، ولا هو محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس الذى أمَّره الهادى على حرب الحسين صاحب فَخّ، لكونه مات فى سنة ثلاثٍ وسبعين ومائة، على ما ذكره المسبّحى وغيره، والله أعلم.

وممن ولى مكة للمأمون: عبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن ابن حسن بن على بن أبى طالب، ذكر ولايته عليها الزبير بن بكار، أفادنى ذلك بعض أصحابنا المعتمَدين.

وممن ولى مكة للمأمون: الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل، إلاَّ أنه لم يباشر ذلك بنفسه، وإنما عُقدت له عليها الولاية، لأن المأمون فى سنة ثمانٍ وتسعين بعد أن قتل الأمين استعمل الحسن بن سهل على كل ما افتتحه طاهر بن الحسين، من كُوَر الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن، على ما ذكر ابن الأثير وغيره.

وممن ولى مكة فى خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد العباسى: صالح بن العباس المذكور، وكان على مكة فى سنة تسع عشرة ومائتين، على ما ذكره الفاكهى.

ثم وليها محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى الملقب تُرُنْجة، فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين، ولعل ولايته دامت إلى أثناء خلافة المتوكل، والله أعلم.

وممن ولى مكة فى خلافة المعتصم: أشناس التركى أحد كبار قُواد المعتصم، لأن ابن الأثير ذكر فى أخبار سنة ست وعشرين ومائتين أن أشناس لما أراد الحج فى هذه السنة جعل إليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها، فحج فيها، واستناب على الحج بالناس محمد بن داود أى السابق ذِكْره، ودُعى لأشناس على منابر الحرمين وغيرهما من البلاد التى اجتاز بها، حتى عاد إلى سامرا. انتهى. وذكر ابن الأثير أيضًا أن أشناس هذا مات فى سنة ثلاثين ومائتين.

وولى مكة فى خلافة المتوكل أبى الفضل جعفر بن الواثق هارون بن المعتصم: على بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور العباسى سنة ثمان وثلاثين، ودامت ولايته إلى أن توفى سنة تسعٍ وثلاثين، هكذا ذكر ابتداء ولايته وانتهاءها بوفاته: المسبحى فى تاريخه، وذكر ابن الأثير ما يقتضى أنه لم يكن واليًا على مكة فى سنة ثمانٍ وثلاثين، والله أعلم، وذكر ابن الأثير أيضًا ولايته فى سنة تسعٍ وثلاثين.

ثم ولى مكة بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى العباسى المقدَّم ذكر والده، وذلك فى سنة تسعٍ وثلاثين، على ما ذكر المسبحى، وذكر أن عبد الله حج بالناس سنة تسعٍ وثلاثين، وكلام ابن الأثير يقتضى أنه ولى مكة فى سنة ثمانٍ وثلاثين، ودامت ولايته إلى آخر سنة إحدى وأربعين ومائتين، على مقتضى ما ذكر ابن الأثير، وذكر ابن جرير ما يقتضى أنه كان على مكة فى سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

ثم ولى مكة بعده: عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس العباسى سنة اثنتين وأربعين على ما ذكر ابن الأثير، وذكر ذلك ابن كثير، وذكر أنه حج بالناس سنة ثلاثٍ وأربعين، وهو نائب مكة. انتهى.

وولى مكة بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام المعروف بالزينبى، على ما ذكر ابن جرير، لأنه ذكر أنه حج بالناس سنة خمسٍ وأربعين، وهو والى مكى، وولى مكة فى خلافة المتوكل ابنه المنتصر محمد، الذى ولى الخلافة بعد أبيه، لأن أباه ولاه الحرمين والطائف واليمن فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، ثم عقد له على ذلك وغيره فى سنة خمسٍ وثلاثين وما أظنه باشرَ ولاية مكة، والله أعلم.

وممن ولى مكة فى خلافة المتوكل: إيتاخ الخوزى[1] مولى المعتصم، وأحد كبار قواد التوكل، لأن ابن الأثير ذكر فى أخبار سنة أربع وثلاثين ومائتين: ووضع على إيتاخ من حَسَّنَ له الحجّ، فاستأذن فيه المتوكل، فأذن له وصيَّره أمير كل بلد يدخله، وخلع عليه ثم قال: وقيل: إن هذه القضية كانت سنة ثلاثٍ وثلاثين، ثم ذكر فى أخبار سنة خمس وثلاثين، أنه لما عاد من الحج احتيل عليه حتى قبض عليه، ومات فى جمادى الآخرة من هذه السنة.

وولى مكة فى خلافة المنتصر محمد بن المتوكل المذكور: محمد بن سليمان الزينبى المقدَّم ذكْره، فيما أظن، والله أعلم.

وولى مكة فى خلافة المستعين أبى العباس أحمد بن المعتصم العباسى: عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام السابق ذكره، وكان على مكة فى سنة تسع وأربعين، على ما ذكر ابن جرير وابن الأثير.

ثم وليها بعده: جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى المعروف بشاشات[2]، وذلك فى سنة خمسين ومائتين، ودامت ولايته إلى سنة إحدى وخمسين.

---

(١) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «الخزرى» وصوابه من الأصل، ومثله لدى ابن فهد فى غاية المرام ١/ ٤٣٢.

(٢) تحرف فى المطبوعتين إلى: «بشاشان» وصوابه من الأصل والزهور المقتطفة للمصنف ص٢٨٧، والجامع اللطيف ٢٦٠ وغاية المرام ١/ ٤٣٣، ٤٣٤.

ثم وليها بعده فى هذه السنة بالتغلُّب: إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، لأنه ظهر بمكة، وهرب منه عاملها جعفر المذكور، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة، ونهب منـــزل جعفر ومنازل أصحاب السلطان، وأخذ من الناس نحو مائتى ألف دينار، وأخذ كسوة الكعبة، وما فى الكعبة وخزائنها من الأموال، وما حُمل من المال لإصلاح العين، ونهب مكة، وأحرق بعضها، ثم خرج منها بعد مقامه فيها خمسين يومًا فى شهر ربيع الأول إلى المدينة، فتوارى عنه عامله، ثم رجع إلى مكة فى رجب، فحاصرهم حتى مات أهلها جوعًا وعطشًا، وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرْهَم، ولقى أهلُ مكة منه كل بلاء، ثم سار إلى جُدَّة بعد أن أقام سبعةً وخمسِين يومًا، فحبس عن الناس الطعام، وأخذ الأموال التى للتجار وأصحاب المراكب، ثم وافى الموقف بعَرَفَة، فأفسد فيه كثيرًا، وكان من أمره بعَرَفَة ما سنذكره بعد، وبعد انفصاله من الموقف بعَرَفَة سار إلى جُدّة، وأفنى أموالها.

وما ذكرناه من خبره لَخَّصناه بالمعنى من تاريخ ابن جرير وابن الأثير، وفيه ما يقتضى أن ظهور إسماعيل بمكة كان فى صفر من سنة إحدى وخمسين ومائتين، لأن فيه أنه خرج من مكة إلى المدينة فى ربيع الأول بعد خمسين يومًا، وذكر ابن حزم فى «الجمهرة» ما يقتضى أنه ظهر بمكة فى ربيع الأول، وذكر أنه مات فى آخر سنة اثنتين وخمسين بالجُدَرِى، عن اثنتين وعشرين سنة، وذكر المسعودى ما يقتضى أن ظهوره كان سنة اثنتين وخمسين.

وولى مكة فى خلافة المستعين ابنه العباس، لأن المسعودى ذكر فى أخبار سنة تسع وأربعين ومائتين، أن المستعين عقد لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة، وعزم على البيعة له، فأخرها لصغر سنه. انتهى بالمعنى.

وولى مكة فى خلافة المستعين أيضًا محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، لأن ابن الأثير ذكر فى أخبار سنة ثمان وأربعين، أن المستعين عقد لمحمد بن عبد الله ابن طاهر على العراق، وجعل إليه الحَرَمَين والشرطة ومعادن السواد، وأفرده به. انتهى.

وولى مكة فى خلافة المعتز محمد وقيل: طلحة وقيل: الزبير بن المتوكل العباسى: عيسى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى، على ما ذكر ابن حزم[1]، وهكذا نسبه، وهو عيسى بن محمد المخزومى الذى ذكر ابن الأثير أنّ المعتزّ أنفذه مع محمد بن إسماعيل بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر، لحرب إسماعيل بن يوسف العلوى، ولعل المعتز ولى عيسى مكة فى السنة التى بعثه فيها إلى مكة، وهى سنة إحدى وخمسين والله أعلم، وما عرفت إلى متى دامت ولايته على مكة، وذكر الفاكهى ولاية عيسى هذا لمكة، وأنه كان واليًا عليها فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وفى سنة أربعٍ وخمسين ومائتين، وذكر الفاكهى ما يقتضى أنهُ ولى مكة مرتين.

وممن ولى مكة، فى خلافة المعتزّ أو فى خلافة المهتدى محمد بن الواثق العباسى أو فى خلافة المعتمد العباسى: محمد بن أحمد المنصورى، هكذا رأيته مذكورًا فى كتاب الفاكهى، وذكر ما يدل لولايته على مكة، لأنه قال فى الأوليات التى اتفقت بمكة، وأول من استصبح فى المسجد الحرام فى القناديل فى الصحن، محمد ابن أحمد المنصورى، جعل عُمُدًا من خشب فى وسط المسجد، وجعل بينها حبالاً، وجعل فيها قناديل يُستصبح بها، فكان كذلك فى ولايته، حتى عُزل محمد بن أحمد، فقلعها عيسى بن محمد فى إمارته الأخيرة. انتهى.

وذكر العتيقى: محمدَ بن أحمد هذا، وَرَفَع فى نسبه[2]، لأنه قال: وحجّ بالناس سنة ثلاث وخمسين ومائتين: محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور يعرف بكعب البقر وقال بعد ذلك: وحجّ بالناس سنة ست وخمسين ومائتين: محمد بن أحمد بن

(١) الجمهرة ــ ص ١٤٩.

(٢) فى طبعة تدمرى: «ووقع فى نسبه» وفى طبعة الذهبى: «ووقع خلاف فى نسبه» بالقاف فى «وقع» فيهما، وكلاهما تحريف صوابه ــ بالفاء ــ من الأصل، وانظر الخبر لدى ابن فهد فى غاية المرام ١/ ٤٤٢.

عيسى بن المنصور وقال أيضًا: وحج بالناس سنة سبع وخمسين ومائتين محمد بن أحمد بن المنصور كعب البقر[1]. انتهى.

فاستفدنا مما ذكره العتيقى زيادة فى نسبه وحجه بالناس فى هذه السنين، ولعله كان فى إحداها واليًا على مكة، والله أعلم، وما ذكرناه عن ابن الأثير من كون المعتزّ بعثه مع عيسى بن محمد المخزومى لحرب إسماعيل بن العلوى، يقتضى أنه محمد بن إسماعيل بن عيسى، ولعلّ إسماعيل تصحّف بأحمد، فإن النسخة التى رأيت فيها ذلك من تاريخ ابن الأثير كثيرة السقم، والله أعلم.

وممن ولى مكة فى خلافة المهتدى محمد بن الواثق العباسى: على بن الحسن الهاشمى، على ما ذكر الفاكهى، ولم يزد فى ذكره على اسمه واسم أبيه، وذكر فى غير موضع أنه هاشمى، وذمر الفاكهى أنه ولى مكة فى سنة ستٍّ وخمسين ومائتين، وذكر ما يقتضى أنه كان واليًا على مكة فى المحرّم وصفر، وفى شهر ربيع الأول منها، وأنه فى ولايته حَلّى المقام وزاد من عنده فى حليته، وذكر فى الأوليات بمكة أنه أوّل من فرّق بين الرجال والنساء فى جلوسهم فى المسجد الحرام، أمر بحبال فرُبطت بين الأساطين التى تقعد عندها النساء، فكن يقعدن دون الحبال، إذا جلسن فى المسجد الحرام، والرجال من وراء الحبال. انتهى.

وولى مكة فى خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى جماعة، وهم: أخوه أبو أحمد الموفق واسمه طلحة وقيل: محمد بن المتوكل العباسى، وإبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس العباسى الملقب بُرَيْه[2]، وأحمد بن طولون صاحب مصر، ومحمد بن أبى الساج، وأخوه يوسف بن أبى الساج، ومحمد بن عيسى بن محمد بن إسماعيل المخزومى أبو المغيرة ولد عيسى

---

(١) الخبر فيه تحريف وسقط فى طبعة تدمرى، وقد اعتمدنا فى تكملته وتصويبه على رواية الأصل، والمصنف فى العقد الثمين ١/ ٣٥٦، وابن فهد فى غاية المرام ١/ ٤٤٢.

(٢) تحرف فى طبعة الذهبى إلى: «برية» وهو تحريف قبيح صوابه لدى التدمرى، ومثله لدى المصنف فى الزهور المقتطفة ص٢٨٨، وابن حجر فى نزهة الألباب فى الألقاب ١/ ١٢٠ حاشية ١٢، وانظر لذلك أيضًا: الطبرى ٩/ ٤٨٢، ٤٨٣.

المقدَّم ذكره، وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسي، والفضل بن العباس بن الحسين بن إسماعيل بن محمد العباسي.

فأما ولاية الموفق فذكرها ابن الأثير، لأنه قال فى أخبار سنة سبع وخمسين ومائتين: لما اشتدّ أمر الزّنْج وعظُم شرُّهم وأفسدوا فى البلاد، أرسل المعتمد على الله إلى أخيه أبى أحمد الموفق فأحضره من مكة، فلما حضر عقد له على الكوفة وطريق مكة والحَرَمَين واليمن. انتهى باختصار لبعض ما ذكره من البلاد. وإنما ذكرنا كلامه بنصه لإفادته ولاية الموفق للحرمين، ولما فيه من إحضاره من مكة، فإنه يبعد أن يكون فيها وولايتها لغيره، والله أعلم.

وأما ولاية إبراهيم الملقب بُرَيه، فذكرها ابن الأثير، وذكر أنه كان على مكة فى سنة ستين ومائتين، ولعله كان عليها فى التى قبله، وذكر ابن الأثير أنه رحل من مكة للغلاء الذى كان بها فى سنة إحدى وستين، لما جلا الناس عنها لغلائها.

وأما ولاية ابن طولون فذكر ابن جرير ما يدل لها، ولولاية هارون بن محمد المذكور، لأنه قال فى أخبار سنة تسع وستين ومائتين: وفى ذى الحجة كانت وقعة بين قائدين، وجههما أحمد بن طولون فى أربعمائة وسبعين فارسًا وألفى راجل، فوافيا مكة لليلتين بقيتا من ذى القعدى، فأعطوا الجزارين والحناطين دينارين دينارين، والرؤساء سبعة، وهارون بن محمد عامل مكة، فوافاه جعفر بن الباغمرديّ لثلاث خَلَوْن من ذى الحجة فى نحو مائتى فارس، وكان هارون فى مائة وعشرين فارسًا ومائتى أسود، فقوى بهم، فالتقوا وأصحاب ابن طولون، فقُتل من أصحاب ابن طولون ببطن مكة نحو مائتى رجل، وانهزم الباقون فى الجبال، وأُخذت دوابُّهم وأموالُهم، وأمّن جعفر المصريين والحنّاطين والجزّارين، وقرئ كتاب فى المسجد الحرام بلعْن أحمد بن طولون، وسَلِمَ الناسُ وأموالُ التجار(١). انتهى.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «وسلّم الناس أموال التجار» وتبعه الذهبى فى خطئه دون إعمال فكر وروية، وصوابه من الأصل، ومثله لدى ابن فهد فى غاية المرام ١/ ٤٥٤.

وذكر ابن الأثير نحو ذلك مختصرًا، وأفاد فيما ذكره أنّ هارون حين وافاه المصريون كان ببستان ابن عامر، قد فارق مكة خوفًا من المصريين. انتهى.

وبستان ابن عامر هو نخلة التي هي من عمل مكة، لأن أبا الفتح بن سيد الناس قال في سيرته لما ذكر سرية عبد الله بن جحش وذكر ــ يعني ابن سعد ــ أن النبي ﷺ بعث عبد الله بن جحش في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين يعتقبان بعيرًا إلى بطن نخلة، وهو بستان ابن عامر. انتهى. أخبرني بذلك عن سيد الناس غير واحد من أشياخي عنه.

وأما ولاية محمد بن أبي الساج فذكرها ابن جرير، لأنه قال في أخبار سنة ستٍّ وستين ومائتين: وفي شهر ربيع الآخر مات أبو الساج بجُنْدَيْسَابُور، وولي ابنه محمد الحرمين وطريق مكة. انتهى. هكذا وجدته في مختصر تاريخ ابن جرير، وذكر ابن حمدون في تذكرته، وابن الأثير في كامله ولاية محمد بن أبي الساج كما ذكر في التاريخ المذكور، وذكر أن عمرو بن الليث الصفَّار ولاه ذلك، ولعل الصفار لم يفعل ذلك إلاَّ بعد أن جعل إليه ذلك الخليفة المعتمد أو أخوه أبو أحمد الموفق، والله أعلم، وهذا يدل على ولاية عمرو بن الليث لمكة، والله أعلم.

وأما ولاية أخيه يوسف بن أبي الساج، فذكرها ابن الأثير، لأنه قال في أخبار سنة إحدى وسبعين ومائتين: وفيها عُقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة، وطريق مكة، فوثب يوسف بن أبي الساج وهو والي مكة على بدر غلام الطائي، وكان أميرًا على الحاج، فحاربه وأسره، فثار الجند والحاج بيوسف فقاتلوه، واستنقذوا بدرًا، وأسروا يوسف وحملوه إلى بغداد، وكانت الوقعة بينهم على أبواب المسجد الحرام. انتهى.

وأما ولاية أبي المغيرة وأبي عيسى المخزوميين، فذكرها ابن حزم، لأنه قال بعد أن ذكر نسب أبي المغيرة وأبي عيسى: وكان المعتمد قد ولى أبا عيسى هذا مكة، ثم عزله بأبي المغيرة المذكور، فتحاربا، فقُتل أبو عيسى، ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبي عيسى بين يديه. انتهى. ولم أدر متى كانت ولاية أبي عيسى.

وذكر الفاكهي ما يقتضي أن أبا عيسى محمد بن يحيى المخزومي ولي مكة نيابة عن الفضل بن العباس فقال شاعر من أهل مكة:

امْعَجُوا يا بنى المغيرة فيها   فبنو حفص منكم أمراء

لأنه قال: وكان محمد بن يحيى المخزومى وَلِيَهَا، استخلفه عليها الفضل بن عباس(١).

ولا مانع من أن يكون أبو عيسى ولى مكة عن الفضل بن عباس نيابة، كما ذكر الفاكهى، وعن المعتمد استقلالاً، كما ذكر ابن حزم، والله أعلم.

وأما ولاية أبى المغيرة، فرأيت فى كتاب الفاكهى ما يقتضى أنه كان أميرًا على مكة فى سنة ثلاث وستين ومائتين، لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: «تجريد الكعبة»: فكانت الكسوة على الكعبة على ما وصفنا، حتى كانت سنة ثلاث وستين، فورد كتاب من أبى أحمد الموفق بالله على بن محمد بن عيسى، وهو يومئذ على مكة، يأمره بالتجريد، أى تجريد الكعبة، فقرأ الكتاب فى دار الإمارة لتسع ليال بقين من ذى الحجة. انتهى.

وما ذكرناه من كلام الفاكهى يُشْعِر بأنّ أبا المغيرة ولى مكة عن أبى أحمد الموفق، وذكر ابن الأثير ما يدل على أنه وليها بعد ذلك لصاحب الزِّنْج: لأن ابن الأثير قال فى أخبار سنة خمس وستين ومائتين: وفيها كانت موافاة أبى المغيرة عيسى بن محمد المخزومى إلى مكة لصاحب الزِّنْج. انتهى.

وما ذكر ابن الأثير فى اسم أبى المغيرة، وأبيه عكس ما ذكره ابن حزم فى ذلك، ولعله سقط من كتاب ابن الأثير «ابن» بين «أبو المغيرة وعيسى» وبذلك يتفق ما ذكره مع ما ذكره ابن حزم(٢)، والله أعلم.

وصاحب الزنج هو على بن أحمد العلوى بزعمه، لأنه كان ينتهى إلى يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وهو ممن أكثر فى الأرض الفساد، وأخباره فى ذلك مشهورة، وذكر ابن الأثير شيئًا من حال أبى المغيرة، لأنه قال فى أخبار سنة ست وستين: وفيها قدم محمد بن أبى الساج مكة، فحاربه ابن المخزومى، فهزمه محمد واستباح ماله، وذلك يوم التروية. انتهى. وقال أيضًا فى

---

(١) الفاكهى ٣/ ١٨٤.

(٢) جمهرة أنساب العرب ١٤٩.

أخبار سنة ثمان وستين: وفيها سار أبو المغيرة إلى مكة، وعاملها هارون بن محمد الهاشمي، فجمع هارون جمعًا احتمى بهم، فصار المخزومي إلى مُشَاش فغوَّر ماءها، وأتى جُدَّة فنهب الطعام وأحرق بيوت أهلها، وصار الخبز في مكة أوقيَّتَيْن بدِرْهَم، ثم قال: وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي، وابن أبي الساج على الأحداث والطريق، وقال في أخبار سنة تسع وستين: وفيها وجه ابن أبي الساج جيشًا بعدما انصرف من مكة، فسيّره إلى جُدَّة، وأخذ للمخزومي مركبين فيهما مال وسلاح. انتهى.

وأما ولاية هارون بن محمد بن إسحاق العباسي فسبق ما يدلّ لها من كلام ابن جرير وابن الأثير، وذكرها ابن حزم[1]، وأفاد في ذلك ما لم يُفده غيره، لأنه قال بعد أن نسبه كما سبق ذكره: ولي المدينة ومكة، وحجّ بالناس من سنة ثلاث وستين ومائتين، إلى سنة ثمان وسبعين ولاءً، ثم هرب من مكة عند الفتنة، فنزل مصر ومات بها، وألّف نسب العباسيين وغير ذلك. انتهى.

وما ذكره ابن حزم من أنه حج بالناس من سنة ثلاث وستين ومائتين، إلى سنة ثمان وسبعين ولاءً ذكر مثله العتيقي في أمراء الموسم، إلاّ أنه ذكر أن أول حجّاته سنة أربع وسبعين، وذكر ابن الأثير ما يوافق ما ذكره ابن حزم والعتيقي في بعض ذلك، لأنه ذكر أن هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي حجّ بالناس سنة ثمان وستين.

وأما ولاية الفضل بن العباسي فذكرها الفاكهي، وذكر أنه كان واليًا على مكة سنة ثلاث وستين ومائتين، واقتصر في نسبه على الفضل بن العباس، وما ذكرناه في نسبه ذكره العتيقي وذكر أنه حج بالناس سنة ثمان وخمسين ومائتين، إلى آخر سنة ثلاث وستين ولاءً إلاّ سنة ستين فذكر فيها غيره.

ثم ولي مكة في خلافة المعتضد أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل العباسي وفي خلافة أولاده المكتفي أبي محمد علي والمقتدر أبي الفضل جعفر

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٣.

والقاهر أبي منصور محمد، وفى خلافة الراضى أبى العباس أحمد بن المقتدر وفى خلافة المتقي أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر، وفى خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفي على بن المعتضد، وفى خلافة المطيع أبي القاسم الفضل بن المقتدر العباسى جماعة، ما عرفت منهم غير عَجّ بن حاجّ، ومؤنس المظفَّر، وابن ملاحظ، وما عرفته بغير هذا، وابن مخلب أو ابن محارب على الشك مِنِى، ومحمد بن طُغْج الإخشيد صاحب مصر، وابنيه أبا القاسم أُنوجُور، ومعنى أُنوجور محمود، وأبا الحسن على، والقاضى أبا جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى قاضى مصر(١).

فأما ولاية عَجّ بن حاج فذكرها إسحاق بن أحمد الخُزاعى راوى تاريخ الأزرقى، فى خبر زيادة دار الندوة، وترجم على ذلك بقوله: «باب ذكر بناء المسجد الجديد» الذى كان دار الندوة، وأضيف إلى المسجد الكبير، لأنه قال بعد أن ذكر أن المستعمل على بريد مكة: كتب فى ذلك إلى الوزير عبيد الله بن سليمان فى سنة إحدى وثمانين، وشرح ذلك للأمير بمكة عَجّ بن حاجّ مولى أمير المؤمنين. انتهى. وذكر ابن الأثير ما يدل على أنه كان واليًا على مكة فى سنة خمسٍ وتسعين ومائتين، لأنه قال فى أخبار هذه السنة: وفى هذه السنة كانت وقعة بين عجّ بن حاج، وبين الأجناد، بمنى، ثانى عشر ذى الحجّة، فقتل منهم جماعة، لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر. انتهى.

وأما ولاية مؤنس، فذكرها ابن الأثير، لأنه قال فى أخبار سنة ثلاثمائة: وفيها قُلّد مؤنس المظفَّر: الحَرَمَين والثغور. انتهى.

وأما ولاية ابن ملاحظ فذكر النسَّابة أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى فى كتابه «الإكليل» ما يدل لها، لأنه قال فى أخبار بنى حرب بالحجاز ما نصه: قال أبو جعفر المخائى: فمن أيام بنى حرب فى وقتنا وقبله بمُدَيدة يوم الحَرَّة، ثم قال: ومنها يوم سَرِف الأثاية يوم سار إليهم ابن ملاحظ وهو سلطان مكة،

---

(١) الزهور المقتطفة ــ ص ٢٨٩.

فقتلوا أصحابه وأسروه، فأقام عندهم وقتًا، ثم منُّوا عليه وَخلُّوا سبيله. انتهى. وما عرفت اسم ابن ملاحظ المذكور، ولا متى كانت ولايته على مكة، غير أنى أظنّ أنه كان على ولايتها بعد سنة ثلاثمائة، أو قبلها بقليل، ومؤلف هذا الكتاب الهمدانى النسابة كان حيًّا فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وعاش بعدها إلى سنة تسع وعشرين، فيما أحسب، والله أعلم.

وأما ولاية ابن مخلب فذكرها ابن الأثير، لأنه قال بعدما ذكر ما فعله أبو طاهر القُرْمُطى من القبائح بمكة فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة: فخرج إليه ابن مخلب أمير مكة فى جماعة من الأشراف، فسألوه فى أموالهم، فلم يشفعهم[1]، فقاتلوه، فقتلهم أجمعين.

وأما ولاية ابن محارب فذكرها الذهبى، لأنه قال لما ذكر خبر أبى طاهر وما فعل بمكة: وقتل ابن محارب أمير مكة. انتهى. هكذا قال: فى «تاريخ الإسلام» وقال فى «العبر»: وقتل أمير مكة ابن محارب. انتهى.

وأظن والله أعلم أن ابن مخلب أصوب، لأنى وجدت فى «تاريخ المسبّحى» ما نصه فى أخبار سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة: وفيها التقى محمد بن إسماعيل بن مخلب متولى معونة الحجاز مع أحمد بن الحسين الحَسَنى انتهى. نقلت ذلك من خط الرشيد بن الزكى المُنْذرى فى تاريخه المختصر لتاريخ المسبحى، والظاهر أن أمير مكة الذى سماه ابن الأثير ابن مخلب من أقارب ابن مخلب هذا، والله أعلم.

وأما ولاية الإخشيدية فذكرها النويرى فى تاريخه، لأنه ذكر أن المتقى الخليفة العباسى ولّى محمد بن طُغْج الحَرَمَين ومصر والشام، فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وعقد لولديه أبى القاسم أُنُوجور، وأبى الحسن على المتقدّم ذكرهما من بعده على ذلك، على أن يكفلهما خادمه كافور الخصىّ الملقب بالإخشيدى.

وذكر المسبّحى ما يدل لذلك، لأنه ذكر فى أخبار سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة أنه حجّ جماعة من أعيان المصريين فى هذه السنة، ثم قال: ووقَع الخُلْفُ

(١) فى طبعة تدمرى: «فلم يسعفهم» وفى طبعة الذهبى: «فلم يشفهم» والمثبت رواية الأصل، ومثلها لدى ابن فهد فى غاية المرام ١/ ٤٦٨.

بين المصريين والعراقيين فى ذى الحجة منها بمكة، فى إقامة الدعوة لمعز الدولة، ولأخيه ركن الدولة، ولولده عز الدولة بعد المطيع، ومنعه من ذلك المصريون، وتمسكوا بعقد المتقى للإخشيد، ولولده بعده، من غير واسطة بينه وبين المطيع، وكثرت الحكايات فى شرح ما جرى بينهم. انتهى.

وذكر العتيقى فى أمراء الموسم ما يدل لذلك، لأنه قال: وحج بالناس سنة سبع وأربعين: محمد بن عبد الله العلوى، وعلى الصلاة عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى، ومضى إلى مصر فى هذه السنة، ومات بالقرب منها ودُفن بها، وقُلّد بعده الصلاة: عبد السميع، وعبد العزيز ابنا عمر بن الحسن بن عبد العزيز مكان أبيهما بمصر، والحَرَمَين. انتهى.

ووجه الدلالة من هذا على ولاية الإخشيديّة للحرمين، أن تقليدهم الصلاة فيهما يقتضى أنهما فى ولايتهم، وهو كذلك، بدليل ما حكى من عقد المتقى لهم الولاية على ذلك، وسيأتى ما يدل لولايتهم على مكة، وما عرفت من كان يباشر للإخشيدية ولاية مكة، ولا من باشر ذلك لمؤنس، والله أعلم.

وأما ولاية القاضى أبى جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى فذكرها بعض مؤرخى مصر فى كتاب له، ذكر فيه ولاة مصر وقُضَاتها[1] وأخبار النيل وغير ذلك، ورتبه على ترتيب السنين، وجعل فى كل سنة جداول تحتوى على المشار إليهم، فذكر فى سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة أن قاضى مصر فى هذه السنة كان أبا جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى، إلى أن عُزل وولى إمارة مكة، وهذا يُشعر بأنّ محمد بن الحسن المذكور باشر ولاية مكة لعلى بن الإخشيدى، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى زمن الإخشيدية بالتغلُّب: جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى

(١) بعد ذلك فى الأصل: «ووزراءها».

طالب الحسنى، على ما ذكر ابن حزم فى «الجمهرة» لأنه قال بعد أن نسبه هكذا: الذى غلب على مكة أيام الإخشيدية وولده إلى اليوم وُلاة مكة. انتهى.

ولعل ولاية جعفر هذا بمكة بعد موت كافور الإخشيدى، وقبل أخذ العُبَيْديين لمصر من الإخشيدية، فإن دولتهم لم تتلاش إلا بعد موت كافور، وكان موت كافور فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وقيل: فى سنة سبع وخمسين، فتكون ولاية جعفر هذا فى إحدى هاتين السنتين، أو فى سنة ثمان وخمسين، فإن فيها: كان انقضاء دولة الإخشيدية على يد القائد جوهر مولى المعزّ العُبَيدى صاحب المغرب، ولا تخرج ولاية جعفر من أن تكون فى هذه السنة، أو فى إحدى السنتين قبلها، مع تقدير موت كافور فى سنة ست وخمسين، لقول ابن حزم: إن جعفرًا غلب على مكة أيام الإخشيدية[1]، وتصدق على ما بعد موت كافور، وحصول مصر للمغاربة فى سنة ثمان وخمسين أنها أيام الإخشيدية، ويبعد أن يلى جعفر هذا مكة، فى أيام كافور لعظَم أمره، وقد رأيت فى بعض التواريخ ما يدل على أنه كان يُدْعَى له على المنابر بمكة، والله أعلم.

وذكر شيخنا ابن خلدون فى نسب جعفر هذا ما ذكره ابن حزم فى نسبه، وحكى فى نسبه وجهًا آخر، وهو أنه من ولد محمد القائم بالمدينة أيام المأمون بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، وذكر نسب جعفر إلى محمد بن سليمان، فقال: جعفر بن أبى هاشم الحسن بن محمد بن سليمان، وذكر أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن سليمان القائم بالمدينة أيام المأمون، وكلامه يقتضى ترجيح هذه المقالة فى نسب جعفر، وفى ذلك نظر، والله أعلم.

وذكر أن جعفرًا هذا دعا للمعزّ العُبَيدى لما استولى خادمه جوهر على مصر.

ثم ولى مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى، على ما ذكر شيخنا ابن خلدون.

وذكر أن فى أيامه حصر جيش العزيز بن المعز العُبَيدى مكة، وضيّقوا على أهلها كثيرًا لما لم يخطبوا للعزيز بعد موت أبيه، ودامت ولايته على مكة إلى سنة

---

(١) جمهرة أنساب العرب ـــ ص ٤٧.

أربع وثمانين وثلاثمائة، على ما ذكر ابن خلدون، وذكر ابن حزم في «الجمهرة»[1] ما يُفهم أنه ولى مكة في الجملة.

ثم ولى مكة بعده أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحَسَنى، على ما ذكر شيخنا ابن خلدون، وذكر أنه ملك المدينة وأزال عنها إمرة بنى المهنا الحُسَينيين في سنة تسعين وثلاثمائة، بأمر الحاكم العُبَيدى، وولاية أبى الفتوح لمكة مشهور، وإنما عزوناها لابن خلدون لإفادته تاريخ ابتداء ولايته، فإنها بعد أخيه عيسى، ولم أر ذلك لغيره وكذا ما ذكره في ملكه للمدينة، والله أعلم.

ودامت ولاية أبى الفتوح على مكة فيما علمته إلى أن مات في سنة ثلاثين وأربعمائة، إلا أن الحاكم العُبيدى ولّى ابنَ عم أبى الفتوح مكة في المدة التي خرج فيها أبو الفتوح عن طاعة الحاكم، ثم عاد أبو الفتوح إلى إمرة مكة لما رجع إلى طاعته، وكان سبب عصيانه أن الوزير أبا القاسم بن المغربى لما قتل الحاكم أباه، هرب من الحاكم واستجار ببعض آل الجراح، فبعث الحاكم إليهم من حاربهم، فكان الظفر لآل الجرّاح، فعند ذلك حسَّن لهم الوزير مبايعة أبى الفتوح بالخلافة، فمالوا إلى ذلك، فقصد أبو القاسم أبا الفتوح، وحسن له طلب الخلافة، فاعتذر له أبو الفتوح بقلة ذات يده، فحسن أبو القاسم لأبى الفتوح أخْذَ ما في الكعبة المعظَّمة من المال، فأخذ أبو الفتوح ذلك مع مال عظيم لبعض التجار، كان بجُدّة وخطب لنفسه، وبايعه بالخلافة شيوخ الحَسَنيين وغيرُهم بالحرمين، وتلقب بالراشد، وخرج من مكة إلى الرملة قاصدا آل الجراح في جماعة من بنى عمه، وألف عبد أسود على ما قيل، ومعه سيفه، زعم أنه ذو الفقار، وقضيب زعم أنه قضيب رسول الله ﷺ، فلما قَرُب من الرملة تلقاه العرب وقبّلوا له الأرض، وسلّموا عليه بالخلافة، ونزل الرملة، ونادى بالعدل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فانزعج الحاكم لذلك، وما وسعَه إلاّ الخضوع لآل الجراح، فاستمال حسان بن مفرّج من آل الجرّاح، وبذل له ولإخوته أموالا جزيلة جدًّا، فتخلوا عن

(١) جمهرة أنساب العرب ص٤٧.

أبي الفُتُوح، فعرف أبو الفتوح ذلك، فاستجار بمفرج والد حسان من الحاكم، فكتب مفرج إلى الحاكم فرده إلى مكة، وكان الحاكم قد ولى الحرمين لابن عم أبي الفتوح، وأنفذ له ولشيوخ بنى حسن أموالاً، وكان عصيان أبي الفتوح فى سنة إحدى وأربعمائة، على ما ذكر صاحب «المرآة» وغيره، ورأيت فى تاريخ بعض شيوخنا أن ذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة، ورأيت فى تاريخ النويرى ما يشهد لذلك، كما سيأتى قريبًا، وإنما نبهنا على ذلك لأن الذهبى ذكر فى «تاريخ الإسلام» أن ذلك فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وذلك وهم بلا رَيْب، لأن الحاكم لم يل الخلافة إلا فى ست ستٍّ وثمانين وثلاثمائة، كما ذكر الذهبى وغيره.

ووجدت فى بعض التواريخ أن ابن عم أبي الفتوح الذى ولاه الحاكم الحَرَمَين يقال له: أبو الطيب، ولعله والله أعلم: أبو الطيب عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الحسنى، هكذا رأيت أبا الطيب هذا منسوبًا فى حجر بالمعلاة، مكتوب فيه أنه قبر يحيى بن الأمير المؤيد بن الأمير قاسم بن غانم بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب، وساق بقية النسب كما سبق.

وذكر ابن حزم فى «الجمهرة» أبا الطيب هذا، وساق نسبه كما ذكرناه، إلاّ أنه أسقط فى النسخة التى رأيتها من «الجمهرة» قاسمًا بين عبد الرحمن وأبي الفاتك، وسمى أبا الفاتك عبد الله، وذكر فيها أن لعبد الرحمن هذا اثنين وعشرين ذَكَرًا، فذكرهم، وذكر أبا الطيب فيهم، ثم قال: سكنوا كلهم أذنة، حاشا نعمة وعبد الحميد وعبد الحليم، فإنهم سكنوا أَمَج بقرب مكة[1]. انتهى. ولعل سُكْناهم أذنةَ للخوف من أبي الفتوح، بسبب تأمّر أبي الطيب بعده، وأستبعد ـــ والله أعلم ـــ أن يكون الذى ولاه الحاكم عِوَض أبي الفتوح: أبا الطيب بن عبد الرحمن، لكون ابن حزم لم يذكر لأبي الطيب بن عبد الرحمن ولايته، والله أعلم.

---

(١) الجمهرة ـــ ص ٤٧.

ورأيت فى تاريخ النويرى ما يقتضى أن أبا الفتوح لما عصى على الحاكم، خرج عليه بمكة أخوه، لأنه حكى أن أبا الفتوح لما بلغه استمالة الحاكم لآل الجراح، قال لهم أبو الفتوح: إن أخى قد خرج بمكة، وأخاف أن يستأصل مُلكى بها، فأعادوه إلى مكة فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة. انتهى. وهذا هو الذى ذكرنا أنه يشهد لمن قال إن تاريخ عصيان أبى الفتوح سنة اثنتين، والله أعلم.

وولى مكة بعد أبى الفتوح ابنه: شُكْر بن أبى الفتوح، ودامت ولايته فيما علِمتُ إلى أن مات سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائة، وذكر شيخنا ابن خلدون أنه حارب أهل المدينة وملَكَها فى بعض حروبه، وجمع بين الحَرَمَين، قال: وذكر البيهقى وغيره: أنه ملك الحجاز ثلاثًا وعشرين سنة. انتهى. وذكر ابن حزم فى «الجمهرة» ما يفهم فى الجملة ولاية أبى الفتوح وابنه شُكْر لمكة، وذكر ما يقتضى أن عقبهم انقرض، وأن مكة وليها بعد شكر، عبد كان له، لأنه قال: وقد انقرض عقب جعفر المذكور، لأن أبا الفتوح لم يكن له ولد إلا شكر، ومات شكر ولم يولد له قط، وصار أمر مكة إلى عبد كان له[1]. انتهى.

وذكر صاحب «المرآة» عن محمد بن هلال الصابى ما يقتضى أن لشكر بنتًا، وسيأتى ذلك قريبًا، وهو يخالف ما ذكره ابن حزم، والله أعلم.

وولى مكة بعد شكر بنو أبى الطيب الحَسَنيُّون، ثم على بن محمد الصُّلَيْحى صاحب اليمن، ثم أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين[2] بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسنى، لأن صاحب «المرآة» قال فى أخبار سنة خمسٍ وخمسين وأربعمائة: وفيها دخل الصُّلَيْحى إلى مكة، واستعمل

---

(١) الجمهرة ـــ ص ٤٧.

(٢) فى متن طبعة الذهبى: «محمد بن الحسن» وبالهامش: فى طبعة تدمرى: «ابن الحسين» وهو خطأ يدل عليه ما بعده.

قلت: متى يكون تصحيح التراث بما بعد! بل يكون بنص صريح موثق وما ذهب إليه الذهبى خطأ، صوابه فى طبعة تدمرى ومثله فى غاية المرام ١/ ٥٠٩ وهو ينقل عن المصنف.

الجميل مع أهلها، وأظهر العدل والإحسان والأمن، وطابت قلوب الناس، ورخصت الأسعار، وكثرت له الأدعية.

ثم قال: وكسا البيت ثيابًا بيضًا، ورد بني شيبة عن قبيح أفعالهم، ورد إلى البيت من الحُليّ ما كان بنو أبي الطيب الحَسَنيون أخذوه لما ملكوا بعد شكر، وكانوا قد غيَّروا البيت والميزاب.

ثم قال بعد أن نقل عن محمد بن هلال الصابي بعض ما ذكره من دخول الصُّلَيحي إلى مكة، وما فعله من الجميل فيها: وأقام إلى يوم عاشوراء وراسله الحسينون، وكانوا قد أُبعدوا من مكة: اخْرُجُ من بلدنا ورتب منا من تختاره، فرتب محمد بن أبي هاشم في الإمارة، ورجع إلى اليمن[1]، ومحمد بن أبي هاشم صهر شكر على ابنته، وأمَّره على الجماعة وأصلح بين العشائر، واستخدم له العساكر، وأعطاه مالاً وخمسين فرسًا وسلاحًا، ثم قال: وفي رواية: أنه أقام بمكة إلى ربيع الأول، فوقع في أصحابه الوباء، فمات منهم سبعمائة رجل، ثم عاد إلى اليمن، لأن العلويين جمعوا عليه، ولم يبق معه إلا نفر يسير، فسار إلى اليمن، وأقام محمد بن أبي هاشم بمكة نائبًا عنه، فقصده الحَسَنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهَّاس، فلم يكن له به طاقة، فحاربهم وخرج من مكة فتبعوه، فرجع فضرب واحدًا منهم ضربة فقطع ذراعه وفرسه وجسده، ووصل إلى الأرض، فدُهشوا ورجعوا عنه، وكان تحته فرسٌ تسمى دنانير لا تكلّ ولا تملّ، وليس له في الدنيا شبيه، ومضى إلى وادي الينبُع، وقطع الطريق عن مكة والقافلة، ونهب بنو سليمان مكة، ومنع الصُّلَيحي الحج من اليمن، فَغَلَت الأسعار، فزادت البلية. انتهى.

ولعل بني أبي الطيب المشار إليهم في هذا الخبر من أولاد الطيب الذي ذكرنا نسبه، ولعل حمزة بن أبي وهاس المذكور في هذا الخبر أيضًا حفيد أبي الطيب المشار إليه، لأن ذلك يوافق ما في الحجر الذي رأيته بالمعلاة، والله أعلم.

---

(١) اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩.

وهذا الذى ذكره صاحب «المرآة» يتضمن ولاية ابن أبي الطيب لمكة بعد شكر، ثم ولاية الصُّلَيحي لها، ثم ولاية ابن أبي وهّاس.

وذكر شيخنا ابن خلدون ما يقتضى أن ابن أبي هاشم ولى مكة فى سنة أربع وخمسين، بعد أن قاتل السليمانيين قومُ شكر وغلبهم ونفاهم عن الحجاز، والله أعلم بذلك.

وعاد ابن أبي هاشم بعد خروجه من مكة إلى إمرتها، ودامت ولايته عليها فيما أحسب إلى أن مات فى سنة بضعٍ وثمانين وأربعمائة، إلا أنه خرج منها هاربًا من التركمان الذين استولوا عليها فى سنة أربعٍ وثمانين وأربعمائة، كما ذكر ابن الأثير وغيره.

ورأيت فى تاريخ ابن الأثير أن هؤلاء التُّركُمان طلبوا من ابن أبي هاشم أموال الكعبة التى أخذها، وأنهم نهبوا مكة، وكانت فتنة عظيمة. انتهى بالمعنى.

وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة، بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، ونال بسبب ذلك مالاً عظيمًا من السلطان ألب أرسلان السلجوقى، فإنه خطب له بمكة بعد القائم الخليفة العباسى، وصار بعد ذلك يخطب حينًا للمقتدى عبد الله ابن محمد الذخيرة بن القائم عبد الله العباسى، وحينًا للمستنصر العُبَيدى صاحب مصر، ويقدم فى ذلك من تكون صلته أعظم، ولعل ذلك من سبب إرسال التركمان إليه، وذكر شيخنا ابن خلدون أن مدة إمرته على مكة ثلاثون سنة، وأنه ملك المدينة، والله أعلم بذلك، وقد بالغ ابن الأثير فى ذمّ ابن أبي هاشم هذا، لأنه قال: لما ذكر وفاته: ولم يكن له ما يُمدَح به. انتهى. ولعل ذلك لنهبه الحاج فى سنة ست وثمانين وقتله منهم خلقًا كثيرًا، على ما ذكر ابن الأثير، ولأخذه حلية الكعبة فى سنة اثنتين وستين، والله أعلم.

وولى مكة بعده ابنه قاسم بن محمد مدة يسيرة.

ثم وليها بعده أَصْبَهْبَذْ بن سَارْتِكِين، لأنه فى هذه السنة استولى على مكة عَنْوة، وهرب منها قاسم المذكور، وأقام بها أصبهبذ إلى شوال سنة سبع وثمانين، ثم إن قاسمًا جمع عسكرًا وكسر أصبهبذ بعُسْفان، فانهزم أصبهبذ ومضى إلى الشام،

فدخل قاسم مكة، ودامت ولايته عليها فيما علمت حتى مات سنة ثمان عشرة وخمسمائة، هكذا ذكر وفاته ابن الأثير وغيره، ووجدت بخطة فيما نقلته من «تاريخ الإسلام» للذهبى أنه توفى سنة ثمان عشرة، ووجدت أيضًا ذلك بخطى فيما نقلته من تاريخ شيخنا ابن خلدون، وقال شيخنا ابن خلدون فى ترجمته: واستمرت إمرته ثلاثين سنة على الاضطراب. انتهى.

وولى مكة بعده ابنه فليتة بن قاسم، هكذا سماه ابن الأثير وغيره، وسماه الذهبى فى «تاريخ الإسلام» أبو فليتة، فى موضعين من تاريخه، ودامت ولايته حتى مات فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة.

وولى مكة بعده ابنه هاشم بن فليتة، ودامت ولايته حتى مات فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة، لأن ابن خلكان ذكر أن الفقيه عمارة الشاعر اليمنى حج فى هذه السنة، فسيَّره قاسم بن هاشم بن فليتة صاحب مكة رسولاً إلى الديار المصرية، فدخلها فى شهر رمضان سنة خمسين. انتهى.

وهذا يقتضى أن هاشمًا توفى فى هذه السنة، لأن قاسمًا ابنه إنما ولى بعده، فوجدت بخط بعض فقهاء المكيين ما يقتضى أن هاشمًا مات فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وأن قاسمًا ولى بعده، ولم يختلف عليه اثنان. انتهى. ودامت ولاية قاسم بن هاشم بعد أبيه إلى سنة ست وخمسين، لأنه فارق مكة متخوفًا من أمير الحاج العراقى وقت الموسم من هذه السنة، لإساءة السيرة فيها.

وولى مكة بعده عمه عيسى بن فليتة.

ثم إن قاسمًا استولى على مكة فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين، وأقام بها أيامًا يسيرة، ثم قُتل، ووجدت بخطّ بعض المكيين ما يقتضى أنه قُتل سنة ست وخمسين، والله أعلم، واستقر الأمر لعمه عيسى، ودامت ولاية عيسى فيما علمت على مكة، إلى أن مات سنة سبعين وخمسمائة، إلا أن أخاه مالك بن فليته كان نازعه فى الإمرة، واستولى على مكة نحو نصف يوم، لأنه دخل مكة فى يوم عاشوراء فى سنة ست وستين وخمسمائة، وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة إلى وقت الزوال، ثم خرج مالك واصطلحوا بعد ذلك.

فولى مكة بعد عيسى ابنه داود بن عيسى بن فليتة، بعهد من أبيه، ودامت ولايته إلى ليلة النصف من رجب، سنة إحدى وسبعين.

فوليها بعده أخوه مُكثر بن عيسى، ثم عُزل مُكثر فى موسم هذه السنة، وجرى بينه وبين طاشتكين أمير الركب العراقى حرب شديدة فى موسم هذه السنة، كان الظفر فيها للأمير طاشتكين.

ثم ولى مكةَ الأمير قاسم بن مهنا الحسينى أمير المدينة، وكان الخليفة المستضىء قد عقد له عليها الولاية بعد عزله المُكثر، وأقام مكة فى ولايته ثلاثة أيام، ثم إنه رأى من نفسه العجز عن القيام بإمرة مكة.

فولى مكة أمير الحاج فيها داود بن عيسى، وشرط عليه أن يُسقط جميع المُكُوس، وما عرفتُ إلى متى دامت ولاية داود هذا، وكان بعدها يتداول هو وأخوه مُكثر إمرةَ مكة، ثم انفرد بها مُكْثِر عشرَ سنين متوالية، آخرها سنة سبع وتسعين، على خلاف فى انقضاء دولة مكثر، وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم ولاية.

وولى مكة فى ولايته أو فى ولاية أخيه داود سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وذلك فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، لأنه فى هذه السنة قدم مكة ومنع من الأذان فى الحرم بحى على خير العمل، وقتل جماعة من العبيد كانوا يفسدون، وهرب منه أمير مكة إلى قلعة بأبى قُبَيْس، وشرط على العبيد أن لا يُؤذُوا الحاج، وضرب الدنانير والدراهم فيها باسم أخيه السلطان صلاح الدين.

ثم وليها بعد مُكثر: أبو عزيز قَتَادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى اليَنْبُعى فى سبع وتسعين وخمسمائة، وقيل: إن ولايته لمكة فى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وقيل: فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ودامت ولايته إلى أن مات فى سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ثمان عشرة وستمائة، فتكون ولايته عشرين سنة أو

نحوها، للاختلاف فى مبتداها، وكانت ولايته ممتدة إلى ينبُع وإلى حلى، وكان يحارب صاحب المدينة، ويغلب كل منهما الآخر حينًا، وولى مكة فى زمن ولاية قتادة آقباش الناصرى فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسى، إلا أنه لم يباشر إمرتها، وإنما مولاه عَقَد له على الحَرَمَين وإمرة الحج لِعظَم مكانته عنده، وقُتل بمكة بالمعلاة فى السنة التى مات فيها قَتَادة.

وولى مكة بعد قَتَادة ابنه حسن بن قَتَادة، وقتل أصحاب آقباش الناصرى لاتهامهم له بأنه واطأ راجح بن قَتَادة على أن يوليه مكة عوَض حسن، ودامت ولاية حسن إلى سنة تسع عشرة، وقيل: إلى عشرين وستمائة.

ووليها بعده الملك المسعود(١) واسمه يوسف، ويُلقَّب بأقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب اليمن، لأنه سار إليها وتحارب هو وحسن بن قَتَادة بالمسعى، فانهزم حسن وفارق مكة فيمن معه، ونهبها عسكر الملك المسعود إلى العصر، ودامت ولايته عليها إلى أن مات فى سنة ستٍّ وعشرين وستمائة(٢).

ووليها نيابة عن الملك المسعود نور الدين عمر بن على بن رسول الذى ولى السلطنة بعده ببلاد اليمن، وقصده حسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبُع، فخرج إليه نور الدين، وانكسر حسن.

وولى مكة للملك المسعود الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله الملكى المسعودى، لأنى وجدت مكتوبًا ببيع دار بمكة بأمر ياقوت المذكور، وترجم فيه بأمير الحاج والحرمين ومتولى الحرب بمكة ومدبر أحوال الجند بها والرعية، بالتولية الصحيحة الملكية المسعودية المتصلة بالأوامر الملكية الكاملية، وتاريخ المبيع ثالث جمادى الآخرة سنة خمسٍ وعشرين وستمائة، فاستفدنا من هذا ولاية ياقوت لمكة فى هذا التاريخ.

---

(١) شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ــ ص٣٢٥.
(٢) شفاء القلوب ــ ص٣٢٧.

وولى مكة بعد الملك المسعود والده الملك الكامل، ودامت ولايته إلى شهر ربيع الآخر سنة تسعٍ وعشرين.

ثم وليها نائب ابنه المسعود، ونائبه أيضًا على اليمن: نور الدين بن عمر بن علي بن رسول، بعد أن بويع بالسلطنة فى بلاد اليمن، لأنه بعث إلى مكة جيشًا معهم راجح بن قتادة الحَسَنى، فأخرجوا من مكة متوليها للملك الكامل طغتكين، وهرب إلى ينبُع، وعرف الملك الكامل بذلك، فجهز إليه جيشًا كثيفًا، مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ على ما قيل، ووصل طغتكين مع الجيش إلى مكة، فأخرجوا منها راجحًا ومن معه من أهل اليمن، واستولى عليها طغتكين، وقتل على الدرب كثيرًا من أهل مكة، لخذلانهم له فى النوبة الأولى، وكان استيلاؤه على مكة فى رمضان من هذه السنة.

وذكر ابن محفوظ ما يُوهم أن أمير مكة من قِبَل الملك الكامل الذى أخرجه عسكر صاحب اليمن وأخرجهم هو منها فى السنة المذكورة، غير طغتكين، لأنه قال: وفى سنة تسعٍ وعشرين وستمائة جهز الملك المنصور فى أولها جيشًا إلى مكة وراجح معه، فأخذها، وكان فيها أمير للملك الكامل يسمى شجاع الدين الطُّغتكيني، فهرب خارجًا إلى نخلة، وتوجه منها إلى يَنْبُع، وكان الملك الكامل توجه إليه بجيش، ثم جاء إلى مكة فى رمضان، فأخذها من نواب الملك المنصور، وقتل من أهل مكة ناسًا كثيرًا على الدرب، وكان الكسرة على مَن بمكة. انتهى.

وهذا الذى ذكره ابن محفوظ فى تسميته أمير مكة للكامل فى هذا التاريخ وهْم، لتفرُّده به فيما علمت، والقصة واحدة، والصواب أنه الأمير طغتكين، فقد سماه غير واحد: طغتكين، والله أعلم.

وقيل: إن فخر الدين بن الشيخ كان على مكة لما وصلها عسكر صاحب اليمن، فى سنة تسعٍ وعشرين، ثم وليها عسكر صاحب اليمن مع راجح بن قتادة بغير قتال فى صفر سنة ثلاثين، ثم وليها فى آخر هذه السنة عسكر الملك الكامل، وكان المتقدم على عسكر الملك الكامل أميرًا يقال له: الزاهد، وترك فى مكة أميرًا يقال له: ابن مجلى.

ثم وليها في سنة إحدى وثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن، مع راجح بن قَتَادة.

ثم وليها عسكر الملك الكامل، وكان عسكرًا كبيرًا فيه ألف فارس، وقيل: سبعمائة، وقيل: خمسمائة فارس وخمسة من الأمراء مقدمهم الأمير جَغْرِيل[1]، ودامت ولايته عليها للملك الكامل إلى سنة خمس وثلاثين.

ثم وليها الملك المنصور في هذه السنة، وكان سار إليها بنفسه، ودخلها بعد أن فارقها جَغْرِيل ومن معه، وكان دخول المنصور إلى مكة في رجب، وكان معه ألف فارس على ما قيل، ودامت ولايته عليها إلى سنة سبع وثلاثين، وقرر فيها: رتبة مائة وخمسين فارسًا، وقدَّم عليهم ابن الوليدى[2] وابن التعزى[3].

ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر، لأنه جهز إليها ألف فارس مع الشريف شيحه صاحب المدينة، واستولوا على مكة بغير قتال في سنة سبع وثلاثين.

ثم وليها عسكر الملك المنصور، بعد أن هرب منها شيحه ومن معه، لما سمعوا بقدوم عسكر صاحب اليمن.

ثم وليها عسكر الملك الصالح في سنة ثمان وثلاثين.

وممن وليها للملك الصالح: الأمير شهاب الدين أحمد التركماني.

ثم وليها الملك المنصور في سنة تسع وثلاثين، وسار إليها في هذه السنة بنفسه، ودخلها في رمضان بعد أن فارقها المصريون خوفًا منه، ودامت ولايته عليها حتى مات، وأمَّر على مكة في هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين الشلاح وابن فيروز،

---

(١) تحرف في الأصل والمطبوعتين إلى: «جفريل» بالفاء وصوابه لدى المقريزى في السلوك ١/ ٢٥٠.

(٢) تحرف في طبعة تدمرى إلى: «ابن الوليد» وصوابه من الأصل، ومثله لدى ابن فهد في غاية المرام ١/ ٦٠٣.

(٣) تحرف في المطبوعتين إلى: «التغرى» بالغين المعجمة والراء المهملة وصوابه من الأصل ومثله لدى ابن فهد في غاية المرام ١/ ٦٠٣، وانظر الخبر في غاية المرام ١/ ٦٠٣.

وجعل الشريف أبا سعد بن على بن قتادة الحَسَنى بالوادى مساعدًا لعسكره، وكان قد استدعاه من ينبع وأحسن إليه، واشترى منه قلعة ينبع، وأمره بخرابها حتى لا يبقى قرار للمصريين، واستمر مملوكه الشلاح على نيابة مكة إلى سنة ستٍّ وأربعين وستمائة، على ما ذكر بعض مؤرخي اليمن فى عصرنا.

ووليها للمنصور فى هذه السنة ابن المسيَّب، ووجدت بخط المَيُورقى أنّ ابن المسيب قدم مكة لعزل الشلاح فى منتصف ربيع الأول سنة خمسٍ وأربعين، وهذا يخالف ما سبق، والله أعلم.

وولى مكة بعد ابن المسيب أبو سعد حسن بن على بن قتادة الحَسَنى، بعد قبضه على ابن المسيب فى ذى القعدة، وقيل: فى شوال سنة سبعٍ وأربعين، ودامت ولايته إلى أن قتل لثلاثٍ خلون من شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة، وقيل: إنه قُتل فى رمضان منها.

ثم ولى مكة بعده أحد قَتَلَتِه جماز بن حسن بن قتادة الحَسَنى، ودامت ولايته إلى آخر يوم من ذى الحجة، سنة إحدى وخمسين.

ثم وليها بعد جماز عمه راجح بن قتادة الحَسَنى الذى كان يليها مع عسكر صاحب اليمن، ودامت ولايته عليها إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين.

ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح، ودامت ولايته إلى شوال سنة اثنتين وخمسين.

ثم وليها بعده إدريس بن قتادة وأبو نُمَىّ بن أبى سعد بن على بن قتادة، بعد قتالٍ مات فيه ثلاثة نفر، ودامت ولايتهما عليها إلى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

ثم وليها المبارز الحسين بن على بن برطاس، لأنّ الملك المظفر بن الملك المنصور صاحب اليمن جهز ابن برطاس إلى مكة فى مائتى فارس، وتقاتل مع

إدريس وأبي نُمَيّ ومن معهما، فكان الظفر لابن برطاس، ودامت ولايته عليها إلى يوم السبت لأربع ليالٍ بقين من المحرَّم سنة ثلاث وخمسين وستمائة[١].

ثم وليها إدريس وابن أخيه أبو نُمَيّ، لأنهم قاتلوا ابن برطاس في هذا التاريخ، وسُفكت الدماء بالحِجْر من المسجد الحرام، وأُسِر ابن برطاس، ففدى نفسه، وخرج ابن برطاس ومن معه من مكة.

ثم وليها أبو نُمَيّ بمفرده في سنة أربعٍ وخمسين، لما راح عمه إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة.

ثم عاد إدريس لمشاركة أبي نُمَيّ في الإمرة، لأن راجح بن قَتَادة جاء مع عمه إدريس، وأصلح بينه وبين أبي نُمَيّ على ذلك.

ثم ولي مكة أولاد حسن بن قتادة، وأقاموا بها ستة أيام من سنة ست وخمسين، بعد أن لزموا إدريس بن قتادة.

ثم جاء أبو نُمَيّ وأخرجهم منها، ولم يقتل من بينهم أحدًا، ودامت ولاية إدريس وأبي نُمَيّ على مكة إلى سنة سبعٍ وستين وستمائة.

ثم انفرد فيها أبو نُمَيّ بالإمرة قليلاً، ثم اصطلح مع إدريس، وعاد للإمرة في السنة المذكورة، ودامت ولايتهما إلى ربيع الأول سنة تسعٍ وستين وستمائة.

ثم انفرد بها إدريس أربعين يومًا، ثم قُتل بعدها في هذه السنة بُخُلَيْص.

ووليها أبو نُمَيّ ودامت ولايته عليها إلى سنة سبعين وستمائة.

ثم وليها في صفر منها جماز بن شيحة صاحب المدينة، وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة صاحب يَنْبُع.

ثم وليها أبو نُمَيّ بعد أربعين يومًا من سنة سبعين وستمائة، وأخرج منها المذكورين، ودامت ولايته عليها إلى سنة سبعٍ وثمانين وستمائة.

ثم وليها جماز بن شيحة صاحب المدينة، وأقام بها إلى آخر السنة وذلك مدة يسيرة.

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ٧٦.

ثم وليها أبو نُمَىّ ودامت ولايته عليها إلى قبل وفاته بيومين، وكانت وفاته يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة، وكانت إمرته على مكة خمسين سنة شريكًا ومستقلاً، وإمرته المستقلة تزيد على ثلاثين سنة يسيرًا، وذكر صاحب «بهجة الزمن» أن إمرته أزيد من خمسين سنة[١]، وفى ذلك نظر، بيناه فى ترجمته، ويظهر ذلك مما ذكرناه فى تاريخ ابتداء ولايته.

وأما إمرة عم إدريس التى اشترك فيها مع أبى نُمَىّ فنحو ثمانية عشر عامًا، وإمرة عمه المستقلة أربعون يومًا.

وولى مكة فى حال ولايتها للسلطان الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر، أمير يقال له شمس الدين مروان نائب الأمير عز الدين أمير جاندار، ولاه الملك الظاهر بسؤال إدريس وأبى نُمَىّ له فى ذلك، ليرجع أمرهما إليه، ويكون الحل والعقد على يديه، على ما ذكر مؤلف سيرة الملك الظاهر، وذلك فى السنة التى حج فيها الملك الظاهر سنة سبع وستين وستمائة، وخرج مروان هذا من مكة سنة ثمان وستين.

وولى مكة بعد أبى نُمَىّ ابناه حُمَيْضة ورُمَيْثة ابنا أبى نُمَىّ فى حياته، ودُعى لهما على قبة زمزم يوم الجمعة ثانى صفر سنة إحدى وسبعمائة، قبل وفاة أبيهما بيومين، ودامت ولايتهما إلى موسم هذه السنة، ثم قبض عليهما.

وولى عوضهما أخواهما أبو الغيث وعُطَيفة، وقيل: أبو الغيث ومحمد بن إدريس بن قتادة الحسنى، وكان المتولى لذلك الأمير بيبرس الجاشنكير الذى كان أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وصار سلطانًا بعده فى آخر سنة ثمان وسبعمائة، بموافقة من حجّ معه من الأمراء فى هذه السنة، تأديبًا لحُمَيْضة ورُمَيْثة على إساءتهما إلى أخويهما أبى الغيث وعُطَيفة.

ثم عاد حُمَيْضة ورُمَيْثة إلى إمرة مكة فى سنة ثلاث وسبعمائة، وقيل: فى سنة أربع وسبعمائة، بولاية من الملك الناصر صاحب مصر، ودامت ولايتهما إلى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، ثم وليها أبو الغيث بن أبى نُمَىّ بولاية من

---

(١) بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ـــ ص ٢٠٧، ٢٠٨.

الملك الناصر، وجهز له عسكرًا من مصر والشام، بعد أن عزل حُمَيْضة ورُمَيْثة لكثرة الشكوى إليه منهما، ولم يصل أبو الغيث والعسكر المجهز له إلى مكة، إلاَّ بعد أن فارقها حُمَيْضة ورُمَيْثة، ولم تطل ولاية أبي الغيث على مكة، لأنه بسوء تدبيره قصَّر في حق من جهَّز معه من العسكر، وخاف منهم، فكتب لهم بخطه باستغنائه عنهم، ففارقوه بعد شهرين، فلم يك بعد أن فارقوه إلاَّ جمعة حتى وصل إليه حُمَيْضة وحاربه، فغلب حُمَيْضةُ أبا الغيث، ولجأ إلى هُذَيْل بنخلة مكسورًا، وأرسل حُمَيْضة إلى السلطان الملك الناصر ليستعطفه، فلم يرض عنه، وأرسل أبو الغيث يستنصر السلطان فوعده بالنصر، ثم التقى الأخوان في رابع ذي الحجة سنة أربع عشرة، فأسر حُمَيْضةُ أبا الغيث، ثم قتله[1] ودامت ولايته على مكة إلى شعبان سنة خمس عشرة وسبعمائة.

ثم وليها رُمَيْثة في هذه السنة[2]، بولاية من الملك الناصر، وجهز معه عسكرًا كثيرًا، ولم يصلوا مكة إلاَّ بعد أن فارقها حُمَيضة، فقصدوه إلى الخلف والخليف، وكان لجأ إليه يستحصن به، فلم يظفروا به، وانهزم إلى العراق، وقصد خربندا، ودامت ولاية رُمَيْثة إلى انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أو أول سنة ثمان عشرة.

ثم وليها حُمَيْضة بعد رجوعه من العراق، وأخرج منها رُمَيْثة إلى نخلة بموافقة أهل مكة له على ذلك، ويقال: إن ذلك بموافقة رميثة أيضًا، ويقال: إنه قطع خطبة الملك الناصر، وخطب لصاحب العراق أبي سعيد بن خربندا، ولم تطل ولاية حُمَيْضة هذه، لأن الملك الناصر لما علم بفعْله جهّز إليه في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة جيشًا، وأمرهم أن لا يعودوا إلاَّ بحُمَيْضة، فلم يظفروا به، ودام مهججًا في البرية إلى أن قُتل سنة عشرين وسبعمائة، ولـمَّا انقضى الموسم من سنة ثمان عشرة قُبض على مقدم العسكر الأمير بهادر الإبراهيمي لاتهامه بالتقصير في القبض على حُمَيْضة، وعلى رُمَيْثة لاتهامه بأن ما يفعله أخوه من التشعيث بموافقته، وحُملا إلى القاهرة.

---

(١) إتحاف الورى ٣/ ١٥٣، ١٥٣.

(٢) إتحاف الورى ٣/ ١٥٣.

وولى مكة: عُطَيفة بن أبى نُمَىّ، بولاية من الملك الناصر، وجهز معه عسكرًا، وذلك فى المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة، ولما وصلوا إلى مكة كثر بها الأمن، والعدل، ورخصت الأسعار، ودامت ولاية عُطَيْفة على مكة إلى أوائل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، ولكن شاركه أخوه رميثة فى إمرة مكة فى بعض سنِيّ عُشْر الثلاثين وسبعمائة.

ثم انفرد رُمَيْثة بالإمرة بعد وصول العسكر الذى جهّزه الملك الناصر إلى مكة، بسبب قتل الأمير أَيْدَمُر[1] أمير جاندار بمكة، فى الرابع عشر من ذى الحجّة سنة ثلاثين وسبعمائة، وكان هذا العسكر نحو ستمائة فارس، ولما سمع بهم رُمَيْثة وعُطَيفة هربوا من مكة، ثم إن الأمراء أرسلوا إلى رُمَيْثة بأمان، فحضر إليهم فولوه مكة وأحسنوا إليه، وذلك فى ربيع الآخر أو جمادى من السنة المذكورة، ودامت ولايته بمفرده إلى سنة أربع وثلاثين.

ثم شاركه فيها أخوه عُطَيفة بلا قتال.

ثم انفرد رُمَيْثة بإمرتها بعد أن خرج منها عُطَيفة ليلة رحيل الحاجّ من مكة سنة أربع وثلاثين.

واستمر منفردًا إلى أن كان الموسم من سنة خمس وثلاثين، ثم شاركه عُطَيفة فى هذا التاريخ فى الإمرة، وتوافقا إلى أثناء سنة ستٍّ وثلاثين.

ثم حصلت بينهما وحشة، فأقام عُطَيفة بمكة ورُمَيْثة بالجديد[2] من وادى مَرّ.

---

(١) تحرف فى الأصل والمطبوعتين إلى: «ألدمر» وصوابه من الدليل الشافى لأبى المحاسن ١/ ١٧٠، ولديه موضحًا: «أيدمر بن عبد الله الناصر محمد بن قلاوون، كان أحد أمراء الألوف فى دولة أستاذه المذكور، إلى أن توجه إلى الحجاز فى سنة ثلاثين وسبعمائة فقُتل بمكة فى وقعة كانت بينه وبين الأشراف بنى حَسَن فى السنة المذكورة».

(٢) فى طبعة تدمرى والأصل: «بالحديد» بالحاء المهملة، وفى طبعة الذهبى: «بالجريد» بالراء المهملة، وجميع ذلك تحريف، وصوابه لدى المصنف فى العقد الثمين ٤/ ٤١٥ وابن فهد فى غاية المرام ٢/ ٩٣، ولدى جار الله ابن فهد فى حسن القرى ــ ص٦٨: «الجَديد: بفتح الجيم بعدها دال مكسورة، قرية تحت أرض غواس، فيها نخيل ومزارع للناس، وغالبها لصاحب مكة الآن، وهو الشريف أبو نمى محمد بن بركات».

ثم هاجم رُمَيْثة بعسكره مكة فى رمضان فى سنة ست وثلاثين، فلم يظفر، وخرج منها بعد أن قتل وزيره الزباع ــ بزاى معجمة وعين مهملة ــ وبعض أصحابه وعاد إلى الجديد، ثم اصطلحا فى سنة سبع وثلاثين.

ثم انفرد فيها رُمَيْثة بالإمرة، بعد أن حضر هو وأخوه عُطَيفة عند الملك الناصر بمصر، فعوّق عُطَيفة وبعث رُمَيْثة إلى مكة متوليًا، وأقام فى الولاية إلى أن تركها لولديه ثقبة وعجلان فى سنة أربع وأربعين، ولم يمض له ذلك وُلاة الأمر بمصر، وكتبوا له بالولاية.

فلما كانت سنة ست وأربعين وليها عجلان بن رُميثة بمفرده، بتوليته من الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم من أخيه الكامل شعبان، بعد وصول عجلان إلى القاهرة، ووصل منها إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة فى حياة أبيه، وقطع الدعاء لأبيه، ومات أبوه فى ذى القعدة من السنة المذكورة.

ودامت ولاية عجلان بمفرده إلى سنة ثمان وأربعين.

ثم وليها معه أخوه ثقبة، ودامت ولايتهما إلى سنة خمسين وسبعمائة، ثم استقل ثقبة بالإمرة فى هذه السنة لما توجه فيها عجلان إلى مصر، ثم استولى عجلان على مكة فى خامس شوال من سنة خمسين، ودامت ولايته إلى موسم سنة اثنتين وخمسين.

ثم وليها ثقبة مع أخيه عجلان فى موسم هذه السنة، بموافقة منهما على ذلك، وكان ثقبة قد وليها بمفرده فى هذه السنة، فلما وصلا إلى مكة فى ذى القعدة من هذه السنة، لم يمكّنه عجلان من البلاد، فأقام بخُلَيْص، حتى جاء مع الحاج، وأصلح أمير الحاج بينه وبين أخيه على المشاركة فى الإمرة.

ثم استقل ثقبة بالإمرة فى أثناء سنة ثلاث وخمسين، بعد قبضه على أخيه عجلان، واستمر ثقبة إلى أن قبض عليه فى موسم سنة أربع وخمسين.

فوليها بعده أخوه عجلان، واستمر عجلان منفردًا بالإمرة إلى أن اصطلح هو وأخوه ثقبة على الاشتراك فيها فى تاسع عشر المحرم سنة سبع وخمسين.

ثم انفرد ثقبة بالأمر فى ثالث عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة.

ثم وليها عجلان بمفرده فى موسم هذه السنة.

ثم اشتركا فى الإمرة فى موسم سنة ثمان وخمسين، ودامت ولايتهما إلى أن عُزلا فى أثناء سنة ستين وسبعمائة بأخيهما سند بن رُمَيْثَة، وابن عمهما محمد بن عُطَيْفة بن أبي نُمَيّ، وجهّز مع ابن عُطَيْفة من مصر عسكرًا فيه أربعة أمراء، مقدمهم الأمير جَرَكْتَمُر المارداني حاجب الحجاب[1] بالقاهرة، وكان وصولهم مع ابن عُطَيفة إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة ستين وسبعمائة، وكان سند باليمن مع إخوته، فوصل إلى مكة ولاءم الأمراء، ودامت ولايته وولاية ابن عُطَيفة إلى أن دخل الحاج من مكة فى سنة إحدى وستين وسبعمائة.

ثم زالت ولاية ابن عُطَيفة بإثر ذلك، وسبب زوالها أن بعض بنى حسن جرح بعض الترك الذين جهزهم الملك الناصر حسن بن الملك محمد بن قلاوون للإقامة بمكة، عوَض جركتمر ومن معه من الأحرار، لتأييد سند وابن عُطَيفة فى إمرة مكة، فتعصب للتركى الأتراك، وغضب للحَسَنى بنو حسن، وتخلّى محمد بن عُطَيْفة عن الفريقين، وظن أن أمره بمكة يكون مستقيمًا، وإن لم يكن العسكر بها مقيمًا، فقُدِّر أن الترك انكسروا، وفى المسجد حُصِروا، وبما خفّ من أموالهم رحلوا، فرحل ابن عُطَيفة فى أثرهم لتخوفه فى المقام بعدهم، بسبب ما كان بين ذوى عُطَيفة والقواد من القتل، هكذا ذكر لى رحيل ابن عُطَيفة بعد العسكر من يعتمد على خبره من أهل مكة، ووجدت بخط بعض أصحابنا، فيما نقله من خط ابن محفوظ، ما نصه بعد ذكره لهذه الحادثة: وراح الأمراء، وقعد محمد بن عُطَيْفة وسند فى البلاد. انتهى. والله أعلم بصحة ذلك.

وكان ثقبة جاء إلى مكة بإثر هذه الفتنة، واشترك مع أخيه سند فى هذه الإمرة، إلى أن مات فى شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «صاحب الحجاب» وهو تحريف قبيح، صوابه من الأصل.

وولى مكة فى هذه السنة عجلان، وكان بمصر معتقَلاً، فأطلقه الأمير يَلْبُغَا المعروف بالخاصكى، لما صار إليه تدبير المملكة، بعد قتل الملك الناصر حسن، وولى مكة معه فى الإمرة أخاه ثقبة، بسؤال عجلان، ووصل عجلان إلى مكة وثقبة عليل، ولم يدخل مكة حتى مات ثقبة، فولى معه فى الإمرة ابنه أحمد بن عجلان، وذلك فى شوال سنة اثنتين وستين، وجعل له ربع المتحصل يصرفه فى خاصة نفسه، وعلى عجلان كفاية العسكر، ثم إن سندًا استولى على جُدَّة ونازع فى الإمرة، فلم يتم له أمر، واخترمته المنيّة، ودامت ولاية عجلان وابنه إلى سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ثم انفرد أحمد بن عجلان بالإمرة بسؤال أبيه له فى ذلك على شروط شرطها: منها أن لا يقطع اسمه فى الخطبة، والدعاء على زمزم، فوفى له ابنه بذلك.

واستمر أحمد منفردًا بالإمرة، إلى أن وليها معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان فى سنة ثمانين وسبعمائة بسؤال أبيه على ما بلغنى، إلاَّ أن أباه لم يظهر لولاية محمد أثرًا لاستبداده بالأمر، وذلك لصِغَر سنّ ابنه، ودامت ولايتهما إلى أن مات أحمد ابن عجلان فى حادى وعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين.

ثم استقل محمد بن أحمد بالإمرة، حتى قُتل فى مستهل ذى الحجّة من هذه السنة، وكان عمه كبيش يدبر له الأمر، ولما قُتل هرب، وكان رأيه أن ابن أخيه لا يحضر لخدمة المحمل، فلم يسمع منه وحضر، فقُتل، ولكنه فاز بالشهادة.

ثم وليها بعد قتل محمد: عنان بن مغامس بن رُمَيْثة بن أبى نُمَىّ، واستولى على جُدّة أيضًا، ثم استولى على جُدّة كبيش بمن معه من العرب وغيرهم، ونهبت الأموال التى بجُدَّة للكارم[1] والغلال التى فيها لبعض الدولة بمصر، والتف عليهم

---

(١) فى المطبوعتين: «التى بجدة للحضارم» والمثبت رواية الأصل ومثلها لدى ابن فهد فى غاية المرام ٢/ ٢٠٦ وهو ينقل عن المصنف، والكارم: أى تجار الكارم، وهم تجار البهار والتوابل الواردة إلى مصر من الهند عن طريق ثغور اليمن، وهم كذلك أرباب المال والأعمال المصرفية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، وكان معظمهم من بلاد الكانم الإسلامية بالسودان الغربى، فنسبوا إلى أصلهم بعد تحريف اللفظ إلى الكارم.

للطمع بعض أصحاب عنان، ثم انتقلوا إلى الوادى، وعاث العبيد فى الطرقات، وعنان مقيم بمكة.

واشترك معه فى الإمرة بنو عمه: أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رُمَيْثة، ثم أشرك عنان فى الإمرة على بن مبارك، بعد مفارقته لكبيش ومن معه وملاءمته لعنان، وكان يُدْعَى لهم معه على زمزم، ورأى أن ذلك تقوية لأمره، فكان الأمر بخلاف ذلك، لكثرة ما حصل عليه من الاختلاف، ونُمىَ الخبر إلى السلطان بمصر، فعزل عنانًا وولى عوضه علىّ بن عجلان بن رُمَيْثة، ووصل الخبر بولايته فى شعبان سنة تسع وثمانين، وتوجه علىٌّ مع كبيش وآل عجلان ومن جمعوا إلى مكة، فلم يمكنهم منها عنان وأصحابه، واقتتلوا فى التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين بأذاخر، فقُتل كبيش وغيره ممن معه، ورجع آل عجلان إلى الوادى، ودخل عنان وأصحابه مكة، وأقاموا بها إلى أن كان الموسم من سنة تسع وثمانين، ثم فارقوها وقصدوا الزَّيْمَة من وادى نخلة، ودخل مكة علىٌّ بن عجلان وجماعته، وكان قد توجه معه، وقصد أذاخر والسلطان بمصر، فولاه نصف إمرة مكة، وولى عنانًا النصف الآخر، بشرط حضور عنان إلى خدمة المحمل المصرى، وبلغ عنان ذلك، فتهيأ للقاء المحمل، فلما كاد أن يصل إليه خاف من آل عجلان عنان، ففر وتبعه أصحابه إلى الزيمة، وبعد رحيل الحاج من مكة نزلوا الوادى، وشاركوا على ابن عجلان فى إمرة جدة، ثم سافر عنان إلى مصر فى أثناء سنة تسعين، واعتُقل بها فى السنة التى بعدها، واصطلح علىٌّ بن عجلان والأشراف، واستمر منفردًا بالإمرة إلى أن شاركه فيها عنان فى أثناء سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، بولاية من الملك الظاهر فى ابتداء دولته الثانية، ووصل إلى مكة من القاهرة فى نصف شعبان من السنة المذكورة، واصطلح مع آل عجلان، وكان معه القواد، ومع على الشرفاء، وكانوا غير متمكنين من القيام بمصالح البلد كما ينبغى، لمعارضة بنى حسن لهما فى ذلك، ودامت ولايتهم على هذه الصفة إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربعة وتسعين وسبعمائة.

ثم انفرد بها عليُّ بن عجلان، وسبب ذلك أن بعض جماعة هَمَّ بالفتك بعنان في المسعى، فلم يظفروا به لفراره منهم، ولم يدخل مكة إلاَّ بعد أن استُدعى هو وعلى بن عجلان للحضور إلى السلطان بمصر، ودخلها ليتجهز منها بعد أن أُخليت له من العبيد، وأقام بها مدة يسيرة، ثم خرج فتوجه إلى مصر، ولحقه عليُّ ابن عجلان، وترك بمكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد، وتخلّف عنان بمصر، وجاء عليٌّ إلى مكة في موسم سنة أربع وتسعين منفردًا بولاية مكة، ودامت ولايته عليها إلى أن استُشْهِد في تاسع شوال سنة سبع وتسعين.

وكان في غالب ولايته مغلوبًا مع الأشراف، وسبب ذلك أنه بعد شهر من وصوله من مصر، قبض على جماعة من أعيان الأشراف والقواد، ثم خُودع فيهم، فأطلقهم، وصاروا يشوشون عليه ويكلفونه ما لا تصل قدرته إليه، وأفضى الحال من تشويشهم عليه إلى أن قلَّ الأمان بمكة وجدة، فقصد التجار ينبُع، ولحق أهل مكة من ذلك شدة.

ولما قُتل قام بأمر مكة أخوه محمد بن عجلان مع العبيد، إلى أن وصل أخوه السيد الشريف حسن بن عجلان من الديار المصرية، بولاية مكة عوَض أخيه، وكان قدم مصر في سنة سبع وتسعين مُغاضبًا لأخيه، فاعتقله السلطان، ثم رضى عنه وولاه مكة بعد قتل أخيه، ودخل مكة في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين، وضبط أحوال البلاد وحسم مواد الفساد، وأخذ بثأر أخيه من الأشراف في حرب كان بينه وبينهم، بمكان من وادي مَرّ، يقال له الزَّبَارَة[1]، في يوم الثلاثاء خامس عشرين من شوال من السنة المذكورة، وكان المقتولون من الأشراف وجماعتهم نحو أربعين نفرًا، ولم يُقتل من عسكر السيد حسن إلاّ واحد أو اثنان.

واستمر منفردًا بالولاية إلى أن اشترك معه فيها ابنه السيد بركات، وذلك في سنة تسع وثمانمائة، ووصل توقيعه بذلك في موسم هذه السنة، وهو مؤرَّخ بشعبان منها.

---

(١) الزبارة: قرية لبني عمرو في وادي مر، تقع بعد التقاء النخلتين، وعندها أخذ الوادي اسمها.

ثم سعى لابنه السيد شهاب الدين أحمد بن حسن فى نصف الإمرة التى كانت معه، فأجيب إلى سؤاله، وولى نصف الإمرة شريكًا لأخيه، وولى أبوهما نيابة السلطنة بجميع بلاد الحجاز، وذلك فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وجرى توقيعهم بذلك فى أوائل النصف الثانى من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وصار يُدْعَى له ولولديه فى الخطبة بمكة، وعلى قبة زمزم، ويُدْعَى للسيد حسن بمفرده فى الخطبة بالمدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وسبب ذلك أنه كان ولى المدينة عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، عوَض أخيه ثابت بن نعير، فإنه كان ولى إمرتها فى هذه السنة، ومات ثابت فى صفر من هذه السنة قبل وصول توقيعه، واستمرت الخطبة باسم الشريف حسن بالمدينة النبوية إلى أن عُزِل عنها عجلان بابن عمه سليمان بن هبة الله بن جماز بن منصور، فى موسم سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وكان يقدَّم فى الخطبة على عجلان.

وفى هذا السنة أيضًا عُزل الشريف حسن وابناه عن ولايتهم، ولم يظهر لذلك أثر بمكة، لأن السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق أسَرَّ أمر عزلهم، ثم رضى عليهم بعد توجه الحجاج من القاهرة فى هذه السنة، فأعادهم إلى ولايتهم، وبعث إليهم بتقليد وخلَع صحبة خادمه الخاجّ فيروز الساقى، وكتب إلى أمير الحاج المصرى يأمره بالكفّ عن محاربتهم، فأخمد الله الفتنة بذلك، وبدا من الشريف حسن بعد دخول الحجاج إلى مكة أمور محمودة، من حرصه على الكف عن إذاية الحجيج، ولولا ذلك لعظُم عليهم البكاء والضجيج، والله يزيده توفيقًا ويسهل له إلى كل خير طريقًا، وتاريخ ولايتهم فى هذه السنة: الثانى عشر من ذى القعدة الحرام، ووصل الخبر بها فى آخر يوم من ذى القعدة، وولى السيد حسن المذكور تدبير الأمور والقيام بمصالح العسكر والبلاد، ودامت ولايتهم على ذلك إلى أثناء صفر سنة ثمان عشرة وثمانمائة.

ثم ولى مكة بعد ذلك السيد رُمَيْثة بن محمد بن عجلان بن رُمَيْثة، وما دخل مكة ولا دُعى له فى الخطبة، وعلى زمزم إلاّ فى العُشْر الأول من ذى الحجّة من

السنة المذكورة، وكانت قراءة توقيعه في يوم دخوله إلى مكة، وهو مستهلّ ذي الحجّة من السنة المذكورة، وتاريخه رابع عشر من صفر، وصرَّح فيه بأنه ولى نيابة السلطنة بالحجاز عِوَضًا عن عمه، وإمرة مكة عِوِضًا عن ابن عمه، والله يسدده وإلى الخير يرشده.

ثم عُزِل عن ذلك فى ثامن عشر من رمضان من سنة تسع عشرة وثمانمائة، وولى عمه السيد الشريف حسن بن عجلان دون ولديه إمرة مكة، ودخلها لابسًا خلعة السلطان الملك المؤيَّد نصره الله تعالى بالولاية، فى بكرة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شوال من هذه السنة، وبإثر طوافه بالبيت قُرئ توقيعه، وكان يومًا مشهودًا، وفى ليلة يوم الأربعاء المذكور فارق مكة السيد رُمَيْثة ومن معه بعد حرب شديدة، كانت بينهم وبين عسكر السيد حسن بالمَعْلاَة فى يوم الثلاثاء خامس عشرين شوال، استظهر فيه عسكر السيد حسن بن عجلان على من عاداهم، لأنهم لما أقبلوا من الأبطح ودنوا من باب المعلاة أزالوا من كان على الباب وقربه من أصحاب رُمَيْثة بالرمى بالنشّاب والأحجار، وعمد بعضهم إلى باب المعلاة فدهنه وأوقد تحته النار، فاحترق حتى سقط إلى الأرض، وقصد بعضهم طرف السور الذى يلى الجبل الشامى مما يلى المقبرة، فدخل منه جماعة من الترك وغيرهم، ورَقوا موضعًا مرتفعًا من الجبل، ورموا منه بالنشّاب والأحجار مَن كان داخل الدرب من أصحاب رُمَيْثة، فتعبوا لذلك كثيرًا، ونقب بعضهم ما يلى الجبل الذى هم فيه من السور نقبًا متسعًا حتى اتصل بالأرض، ودخل منه جماعة من الفرسان من عسكر السيد حسن إلى مكة، ولقيهم جماعة من أصحاب رُمَيْثة وقاتلوهم حتى أخرجوهم من السور، وقد حصل فى الفريقين جراحات، وهى فى أصحاب رُمَيْثة أكثر، وقصد بعض أصحاب حسن السور مما يلى بركة الصارم[1]

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «العارم» بالعين المهملة، وصوابه من الأصل ومثله لدى ابن فهد فى غاية المرام ٢/ ٣٠٦.

فنقبوه نقبًا متسعًا، ولم يتمكنوا من الدخول منه لأجل البركة، فإنها مهواة، ونقبوا موضعًا آخر فوقه[١].

ثم إنّ بعض الأعيان من أصحاب السيد حسن أجار[٢] من القتال، وكان السيد حسن كارهًا للقتال رحمة منه لمن مع رُمَيْثة من القوّاد العُمَرَة[٣] ولو أراد الدخول إلى مكة بكل عسكره من الموضع الذى دخل منه بعض عسكره لقدر على ذلك، وأمضى الجيرة[٤] بتَرْك القتال، وبإثر ذلك وصل إليه جماعة من الفقهاء والصالحين بمكة، ومعهم ربعات شريفة، وسألوه فى كف عسكره عن القتال، فأجاب إلى ذلك على أن يخرج من عَانَدَه من مكة، فمضى الفقهاء إليهم وأخبروهم بذلك، فتأخروا عنه إلى جوف مكة بعد أن توثقوا ممن أجار فى كف القتال[٥]، فدخل السيد حسن من السور بجميع عسكره، وخيَّم حول بركتى المعلاة، وأقام هناك حتى أصبح، وأَمَّنَ المعاندين له خمسة أيام توجهوا فى أثنائها إلى جهة اليمن[٦].

وفى صفر من سنة عشرين وثمانمائة أتى السيد رُمَيْثة خاضعًا لعمه واجتمعا بالشرف، فأكرم عمه وفادته، وتآلفا على الكرامة، فلله الحمد.

ثم فى أول سنة أربعٍ وعشرين وثمانمائة[٧] فوضت إمرة مكة للسيد حسن بن عجلان وابنه السيد زين الدين بركات، فى أول دولة الملك المظفر أحمد بن الملك

---

(١) غاية المرام ٢/ ٣٠٦.

(٢) فى طبعة تدمرى: «أجاز» ولدى الذهبى: «أضير» والمثبت رواية الأصل ومثلها لدى ابن فهد فى غاية المرام.

(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «القواد العجزة» وتبعه الذهبى فى هذا التحريف دون إعمال فكرٍ ورويّة، وصوابه من الأصل ومثله لدى ابن فهد فى غاية المرام ٢/ ٣٠٦.
والقوّاد العُمَرَة: جمع على غير قياس للعُمَرِيِّين، وهم طائفة من ذوى المكانة فى الحجاز منسوبون إلى عمر بن الخطاب.

(٤) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الخيرة» بالخاء المعجمة، وصوابه من الأصل وابن فهد فى غاية المرام.

(٥) فى طبعة تدمرى: «ممن أجاز من القتال» وفى طبعة الذهبى: «ممن أضار من القتال» وفى الأصل: «ممن أجار القتال» والمثبت رواية ابن فهد وهو ينقل عن المصنف.

(٦) غاية المرام ٢/ ٣٠٦.

(٧) غاية المرام ٢/ ٣٣٣.

المؤيد، وكتب عنه بذلك عهد شريف مؤرَّخ بمستَهَلّ صفر سنة أربعٍ وعشرين وثمانمائة، وجهز لهما تشريفين من خزانته الشريفة، ووصل ذلك مع العهد لمكة فى ثانى عشر ربيع الأول، وقرئ العهد بالمسجد الحرام بظلّ زمزم فى الحطيم، بحضور القُضاة والأعيان فى بكرة يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول، وقرئ بعد ذلك كتاب السلطان الملك المظفر، وهو يتضمن الإخبار بوفاة والده وعهده إليه بالسلطنة ومبايعة أهل الحل والعقد له بذلك، بعد وفاة أبيه وجلوسه على تخت المُلك، وغير ذلك من الأمور التى تُصنع للملوك، وتفويضه إمرة مكة للسيد حسن ابن عجلان وابنه السيد بركات، وحثهما على مصالح الرعية والتجار، وغير ذلك من مصالح المسلمين بمكة، وتاريخه الرابع عشر من صفر، وفيه أن وفاة الملك المؤيَّد فى يوم الاثنين ثانى المحرَّم، ولبس السيد بركات تشريفته وطاف عقب ذلك بالكعبة الشريفة والمؤذن يدعو له على حسب العادة فوق زمزم، وخرج من باب الصفا فركب ودار فى شوارع مكة، وكان أبوه إذ ذاك غائبًا بناحية الواديين من اليمن، ودامت ولاية السيد حسن بن عجلان وابنه السيد بركات إلى أوائل سنة سبعٍ وعشرين وثمانمائة.

ثم ولى إمرة مكة السيد على بن عنان بن مغامس بن رُمَيْثة الحَسَنى بمفرده، وتوجه إليها من مصر صحبة العسكر المنصور الأشرفى، واستولى على مكة بغير قتال، لأنّ السيد حسن وابنه وجماعتهم فارقوها، ودخل السيد علىّ بن عنان إلى مكة لابسًا خلعة الولاية، ضحوة يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة سبعٍ وعشرين وثمانمائة، وطاف بالكعبة المعظَّمة سبعًا، والمؤذّن يدعو له على زمزم، وبعد فراغه من صلاة الطواف قُرئ توقيعه بالولاية بظل زمزم، وفيه أنه ولى إمرة مكة عوَض السيد حسن بن عجلان، وركب بعد ذلك من باب الصفا، ودار فى شوارعَ مكة والخلعة عليه، ثم مضى فى ثالث يوم إلى جُدّة لتنحيل[1] ما وصل إليها من الهند وغير ذلك، ورفق بالقادمين، ودعا بالعسكر المنصور إلى مكة فى سابع

---

(١) التنحيل: إنزال التجارة من السفن إلى البر — وهى كلمة شائعة على ألسنة سكان جدة (هامش طبعة تدمرى).

جمادى الآخرة، وضُرِبت باسمه السكة، وابتدأت الخطبة باسمه فى سابع جمادى الأولى.

واستمر ابن عنان متوليًا إلى أول ذى الحجة سنة ثمان وعشرين، وفى هذا التاريخ وصل السيد حسن بن عجلان إلى مكة المشرَّفة بأمانٍ من صاحب مصر السلطان الأشرف برسباى، ودخل مكة لابسًا خلعة الولاية فى يوم الأربعاء رابع ذى الحجة من السنة، وفُوِّضت إليه إمرة مكة، وخُطِب له، وتوجه بعد الحج إلى مصر، فنال إكرامًا كثيرًا، وقُرِّر فى إمرة مكة فى العشرين من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين، وهو عليل، واستمر كذلك حتى توفى فى سادس عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة بالقاهرة، بعد أن تجهز للسفر إلى مكة.

ثم إن السلطان استدعى ولده السيد بركات بن حسن بن عجلان إلى مصر، فقدمها فى ثالث عشرين من رمضان، وفوّض إليه إمرة مكة عِوَضًا عن أبيه من سادس عشرين من رمضان من السنة، واستقر أخوه السيد إبراهيم نائبًا عنه، وخلع عليهما تشريفين، وتوجها إلى مكة فى عاشر شوال من السنة، فوصلوا إليها فى أوائل العُشْر الأوسط من ذى القعدة منها، وقُرِئ عهد الشريف بركات بالولاية ولبس الخلعة.

هذا ما علمناه من خبر وُلاه مكة فى الإسلام، وقد أوعبنا[1] فى تحصيل ذلك الاجتهاد، وما ذكرناه من ذلك غير وافٍ بكل المراد، لأنه خفى علينا جماعة من وُلاة مكة، وخصوصًا ولاتها من زمن المعتضد وإلى ابتداء ولاية الأشراف فى آخر خلافة المطيع العباسى، وخفى علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم وتاريخ انتهائها، ومع ذلك فهذا الذى ذكرناه من وُلاه مكة ليس له فى كتاب نظير، والذى لم نذكره من الوُلاة هو اليسير، وسبب الإقلال فى ذلك والتقصير ما ذكرناه من أنَّا لم نر مؤلفًا فى هذا المعنى نستضىء به، وذلك مع المقدور لعدم العناية بتدوين كل قضية من أحوال الوُلاة عند وقوعها، وقد شرحنا كثيرًا من

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «أوعينا» بالياء المثناة بعد العين، وهو تحريف قبيح صوابه من الأصل والجامع اللطيف ــ ص ٢٨٠.

أحوالهم، وما أجملناه من أخبارهم فى كتابنا المسمى «بالعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين» وفى مختصره المسمى: «عُجَالة القرى للراغب فى تاريخ أم القرى» فمن أراد معرفة ذلك فليراجع أحد الكتابين، فإنه يعلم من أحوالهم أمورًا كثيرة، وفى هذين الكتابين فوائد كثيرة مستغربة وأخبار مستغربة.

والحمد لله على التوفيق، ونسأله الهداية إلى أحسن طريق.

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر شيء من الحوادث المتعلقة بمكة في الإسلام

لا شك أن الأخبار فى هذه المعنى كثيرة جدًّا، وخفى علينا كثير من ذلك، لعدم العناية بتدوينه فى كل وقت، وقد سبق مما علمناه من ذلك أمور كثيرة فى مواضع من هذا الكتاب، بعضها فيما يتعلق بسور مكة فى الباب الأول من هذا الكتاب، وبعضها فيما يتعلق بأنصاب الحرم، وذلك فى الباب الثالث من هذا الكتاب [وبعضها فى الأخبار المتعلقة بالكعبة فى الباب السابع والباب الثامن من هذا الكتاب][1] وبعضها فى أخبار المقام، وذلك فى الباب السادس عشر من هذا الكتاب، وبعضها فى الأخبار المتعلقة بالحِجْر بسكون الجيم، وذلك فى الباب السابع عشر من هذا الكتاب، وبعضها فى الأَخبار المتعلقة بالمسجد الحرام، وذلك فى الباب الثامن عشر، والتاسع عشر من هذا الكتاب، وبعضها فى الأخبار المتعلقة بزمزم وسقاية العباس، وذلك فى الباب العشرين من هذا الكتاب، وبعضها فى الأخبار المتعلقة بالأماكن المباركة بمكة وظاهرها، وذلك فى الباب الحادى والعشرين من هذا الكتاب، وبعضها فى الأخبار المتعلقة بالأماكن التى لها تعلق بالمناسك، وذلك فى الباب الثانى والعشرين من هذا الكتاب، وبعضها فى الأخبار المتعلقة بالمآثر بمكة كالرُّبُط والمدارس وغير ذلك، وذلك فى الباب الثالث والعشرين من هذا الكتاب، وبعضها فى الأخبار المتعلقة بُولاة مكة فى الإسلام، وذلك فى الباب السابع والثلاثين من هذا الكتاب، وبعضها يأتى ذِكْره فى الأخبار المتعلقة بسيول مكة، وما كان فيها من الغلاء والرخص والوباء، وذلك فى الباب التاسع والثلاثين من هذا الكتاب، وبعضها أيضًا يأتى فى الأخبار المتعلقة بأسواق مكة، وذلك فى الباب الأربعين من هذا الكتاب.

والمقصود ذِكْره فى هذا الباب وهو الباب الثامن والثلاثون أخبار تتعلق بالحجاج، ولها تعلق بمكة أو باديتها، وحجّ جماعة من الخلفاء والملوك فى حال خلافتهم وملكهم، ومن خُطب له من الملوك وغيرهم فى خلافة بنى العباس، وما جرى

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

بسبب الخطبة بمكة بين ملوك مصر والعراق، وما أسقط من المكوسات المتعلقة بمكة، ورغبتنا فى ذِكْر ذلك تاريخ وقوعه، لا مناسبة كل حادثة لِما قبلها، مع مراعاتنا للاختصار فى جميع ما ذكرناه.

فمن الأخبار المقصود ذِكْرها هنا: أن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ ﷺ حجّ بالناس سنة اثنتى عشْرة من الهجرة، وهو الذى حج بالناس سنة تسعٍ من الهجرة[1].

ومنها: أن عمر بن الخطاب ﷺ حج بالناس فى جميع خلافته إلا السنة الأولى منها، وهى سنة ثلاث عشرة، فحج بالناس فيها عبد الرحمن بن عوف الزهرى ﷺ[2].

ومنها: أن عثمان بن عفان ﷺ حج بالناس فى جميع خلافته إلا فى السنة الأولى منها، وهى سنة أربعٍ وعشرين، فحجّ بالناس فيها عبد الرحمن بن عوف الزُّهرى ﷺ، وإلا السنة الأخيرة وهى سنة خمسٍ وثلاثين من الهجرة، حجّ بالناس فيها عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما[3].

ومنها: أنه فى سنة تسعٍ وثلاثين من الهجرة، كاد أن يقع بمكة قتال بين قُثَم بن العباس عامل مكة لعلىّ بن أبى طالب، وبين يزيد بن شجرة الرهاوى، الذى بعثه معاوية لإقامة الحج وأخذ البيعة له بمكة، ونفى عامل علىٍّ عنها، ثم وقع الصلح بينهما، على أن يعتزل كل منهما الصلاة بالناس، ويختار الناس من يصلى بهم ويحج بهم، فاختاروا شيبة بن عثمان الحجبى، فصلى بهم وحج بهم.

ومنها: أنه فى سنة أربعين من الهجرة وقف الناس بعَرَفَة فى اليوم الثامن، وضحوا فى اليوم التاسع، على ما ذكر العتيقى فى أمراء الموسم، لأنه قال: وأقام للناس الحجّ لسنة أربعين المغيرة بن شعبة ﷺ، بكتاب افتعله على لسان معاوية ﷺ، أنه ولاه الموسم، ثم خشى أن يفطن لذلك، فوقف بالناس يوم التروية على أنه

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٣٩٦.
(٢) مروج الذهب ٤/ ٣٩٦، المحبر ص ١٣.
(٣) مروج الذهب ٤/ ٣٩٧.

يوم عرفة، وضحوا يوم عرفة. انتهى. ونقل الذهبي فى «تاريخ الإسلام» عن اللَّيْث ابن سعد ما يدل لما ذكره العتيقى، وأفاد فى ذلك ما لم يُفِدْه العتيقى، لأنه قال فى أخبار سنة أربعين من الهجرة: حج بالناس المغيرة بن شعبة، ودعا لمعاوية، وقال الليث بن سعد: حج لمعاوية سنة أربعين، لأنه كان معتزلاً بالطائف، فافتعل كتابًا عام الجماعة، فقدَّم الحج يومًا خشية أن يجيء أمير، فتخلف عنه ابن عمر رضى الله عنهما، وصار معظم الناس مع ابن عمر رضى الله عنهما، قال الليث: قال نافع: فلقد رأيتنا ونحن غادون من مِنًى، وقد استقبلونا مفيضين من جَمْع، فأقمنا بعدهم ليلة. انتهى. وهذا إنْ صحّ عن المغيرة، فلعله صح عنده رؤية هلال ذى الحجة على وفق ما فعل، ولم يصح ذلك عند من خالفه، فتأخروا عنه لذلك، والله أعلم.

ومنها: أن معاوية بن أبى سفيان حجّ بالناس سنة أربعٍ وأربعين من الهجرة، وسنة خمسين منها على ما ذكر العتيقى.

ومنها: أنّ عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما حجّ بالناس تسع حجج ولاءً، أولها سنة ثلاث وستين، وآخرها سنة إحدى وسبعين على ما ذكر العتيقى، وكان فى سنة اثنتين وسبعين محصورًا، حصره الحجاج.

ومنها: أنه فى سنة ست وستين من الهجرة، وقف بعرفة أربعة ألوية: لواء ابن الزبير على الجماعة، ولواء لابن عامر على الخوارج، ولواء محمد بن الحنفية على الشيعة، ولواء لأهل الشام من مُضَر لبنى أمية، وذكر ذلك هكذا المسبحى قال: وحج بالناس عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما.

ومنها: أن عبد الملك بن مروان حج بالناس فى سنة خمسٍ وسبعين وفى سنة ثمانٍ وسبعين، على ما ذكر العتيقى.

ومنها: أن الوليد بن عبد الملك بن مروان حج بالناس سنة إحدى وتسعين، وفى سنة خمسٍ وتسعين على ما قيل.

ومنها: أنَّ سليمان بن عبد الملك بن مروان حجّ بالناس سنة تسعٍ وتسعين.

ومنها: أن هشام بن عبد الملك بن مروان حج بالناس سنة ست ومائة.

ومنها: أنه فى سنه تسعٍ وعشرين ومائة، بينما الناس بعرفة، ما شعروا إلاّ وقد طلعت عليهم أعلام وعمائم سود على رءوس الرماح، ففزع الناس حين رأوهم، وسألوهم عن حالهم، فأخبروهم بخلافهم مروان، وآل مروان، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو يومئذ على مكة والمدينة، وطلب منهم الهدنة، فقالوا: نحن بحجّنا أحق وعليه أشحّ، فصالحهم على أنهم جميعًا آمنون بعضهم من بعض، حتى ينفر الناس النفر الأول، فوقفوا بعرفة على حدة، ودفع بالناس عبد الواحد، ونزل بمنًى فى منـــزل السلطان، ونزل أبو حمزةَ الخارجيُّ مقدم الفريق الآخر بقرن الثعالب، فلما كان النفر الأول نفر فيه عبد الواحد وخلّى مكة، فدخلها أبو حمزة بغير قتال، وكان من أمره ما سبق فى باب الولاة بمكة.

ومنها: أن أبا جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس حج بالناس، على ما ذكر العتيقى فى سنة أربعين ومائة من الهجرة، وفى سنة أربعٍ وأربعين، وفى سنة سبعٍ وأربعين، وفى سنة اثنتين وخمسين من الهجرة، وهو الذى حج بالناس سنة ستٍّ وثلاثين، قبل أن تفضى إليه الخلافة، وفيها أفضت إليه، وأراد الحج بالناس فى سنة ثمان وخمسين ومائة من الهجرة، فحالت المَنية بينه وبين ذلك، بعد أن كاد يدخل مكةً، وكانت وفاته ببئر ميمون ظاهر مكة.

ومنها: أنّ المهدىّ محمد بن أبى جعفر المنصور العباسى حجّ بالناسِ سنة ستين ومائة من الهجرة، وفى سنة أربعٍ وستين ومائة من الهجرة، وفى كلّ منهما أمر بتوسعة المسجد الحرام، وفى الأولى جرد الكعبة مما عليها من الكسوة مخافة الثقل عليها، وكساها كسوة جديدة، وأنفق فى حجته الأولى فى الحرمين أموالاً عظيمة، يقال إنها ثلاثون ألف ألف درهم، وصل بها من العراق، وثلاثمائة ألف دينار وصلت إليه من مصر، ومائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن، ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب، وما ذكرناه من حجّ المهدىّ مرتين، سنة ستين وفى سنة أربعٍ وستين، ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه، وذكر أنه فى كل منهما أمر بالزيادة فى المسجد الحرام، ولم يذكر العتيقى إلاّ حجّته الأولى، وذكر أنه فى سنة أربع وستين

خرج إلى الحج، فرجع من العقبة لعلة أصابته، وهو أول خليفة حُمل إليه الثلج إلى مكة، وذلك فى حجته الأولى.

ومنها: أن هارون الرشيد بن المهدى العباسى حجّ بالناس، على ما ذكر العتيقى تسع حجج متفرقة، وذلك فى سنة سبعين ومائة، وسنة ثلاث وسبعين ومائة، وسنة أربع وسبعين ومائة، وسنة خمس وسبعين ومائة، وسنة سبع وسبعين ومائة، وسنة تسع وسبعين ومائة، وسنة إحدى وثمانين ومائة، وسنة ستّ وثمانين ومائة، وسنة ثمان وثمانين ومائة، وذكر ابن الأثير حجّ الرشيد بالناس فى هذه السنين، وذكر أنه فى سنة سبعين قسَّم بالحرمين عطاء كثيرًا، وأنه فى سنة ثلاث وسبعين أحرم بالحجّ من بغداد، وأنه فى سنة أربع وسبعين قسَّم فى الثانى مالاً كثيرًا، وأنه فى سنة تسع وسبعين مشى من مكة إلى منًى إلى عرفات، وشهد المشاعر كلها ماشيًا، وأنه اعتمر فى رمضان هذه السنة شكرًا لله تعالى على قتل الوليد بن طريف، وعاد إلى المدينة، فأقام بها إلى وقت الحج، وحجّ بالناس، وفعل ما سبق، وأنه فى سنة ستّ وثمانين بلغ عطاؤه فى الحرمين ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار، وجعل فى الكعبة العهد الذى عهده بين ولديه الأمين والمأمون، بعد أن عهد عليهما فى الكعبة بالوفاء، وأنه فى سنة ثمان وثمانين قسم أموالاً كثيرة، قال: وهى آخر حجّة حجّها فى قول بعضهم. انتهى. وهو آخر خليفة حج من العراق.

ومنها: أنه فى سنة تسع وتسعين ومائة، وقف الناس بعرفة بلا إمام، وصلّوا بلا خُطْبة، وسبب ذلك أن أبا السرايا داعية ابن طباطبا بعث حُسَيْنًا الأفطس للاستيلاء على مكة، وأقام الموسم بها، فلما آن وقت الحجّ فارق مكة واليها داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، ومن كان معه بها من شيعة بنى العباس مع قدرته على القتال والدفع، وافتعل كتابًا من المأمون بتولية ابنه محمد بن داود على صلاة الموسم، وقال له: اخرج فصلِّ بالناس بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبِتْ بمنى وصلِّ الصبح، ثم اركب دابتك فانزل طريق عَرَفَة، وخُذْ على يسارك فى شِعْب عمرو، حتى تأخذ طريق المُشَاش، حتى تلحقنى ببستان ابن عامر، ففعل ذلك، فلما زالت الشمس يوم عَرَفَة تدافع للصلاة قوم من

أهل مكة، وقيل لقاضى مكة: اخطب بالناس وصلِّ بهم، قال: فلمن أدعو؟ وقد هرب هؤلاء وظل هؤلاء على الدخول؟ فقيل له: لا تدع لأحد، فلم يفعل، وقدموا رجلاً فصلى بالناس الصلاتين بلا خطبة، ثم مضوا فوقفوا بعرفة، ثم دفعوا بغير إمام، ولما بلغ الأفطسَ خُلُوّ مكة من بنى العباس دخلها قبيل الغروب فى نحو عشرة من أصحابه، فطافوا وسعوا ومضوا إلى عرفة، فوقفوا بها ليلاً، وأتوا مزدلفة، فصلى حسين بالناس فيها صلاة الفجر، ودفع إلى منًى، وأقام بها أيام الحج، ثم أتى مكة ففعل فيها ما سبق ذِكْره فى باب الوُلاة من الأفعال القبيحة.

ومنها: أنه فى سنة مائتين من الهجرة نُهب الحجاج بستان ابن عامر، وسبب ذلك أن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق أخا على بن موسى الكاظم، بعد استيلائه على اليمن فى هذه السنة، وجه إلى اليمن رجلاً من ولد عقيل بن أبى طالب فى جُنْد ليحجّ بالناس، فسار العقيلى حتى أتى بستانَ ابن عامر، فبلغه أن أبا إسحاق المعتصم قد حج فى جماعة من القواد، فيهم حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان، وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن، فعلم العقيلى أنه لا يقوى بهم، فأقام ببستان ابن عامر، فاختار قافلة من الحاج ومعهم كسوة الكعبة وطيبها، فأخذوا أموال التجارة وكسوة الكعبة وطيبها، وقدم الحجاج مكة عُرَاةً منهوبين، فاستشار المعتصم أصحابه، قال الجُلُودىّ: أنا أكفيك ذلك، فانتخب مائة رجل، وسار إلى العقيلى فصبَّحهم، فقاتلهم، فانهزموا، وأسر أكثرهم، وأخذ كسوة الكعبة وأموال التجار إلا ما كان مع من هرب قبل ذلك، فرده، فأخذ الأسرى، فضرب كل واحد منهم عشرة أسواط، وأطلقهم، فرجعوا إلى اليمن يستطعمون الناس، فهلك أكثرهم فى الطريق. انتهى. وبستان ابن عامر هو ببطن نخلة كما سبق بيانه.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وعشرين ومائتين أصاب الناس فى الموقف حر شديد، ثم أصابهم مطر فيه بَرَدٌ، واشتدّ البرد عليهم بعد ساعة من ذلك الحر، وسقطت قطعة من الجبل عند جَمْرة العقبة، فقتلت جماعة من الحجاج. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وخمسين ومائتين لم يقف الناس بعرفة لا ليلاً ولا نهارًا، وقُتل فيها خلق كثير، وسبب ذلك أن إسماعيل بن يوسف العلوى السابق ذكْره فى باب الولاة بمكة، بعد ظهوره فيها فى هذه السنة، وما فعله فيها من الأفعال القبيحة بمكة والمدينة وجدة، وافى الموقف بعرفة وبها محمد بن إسماعيل بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر، وعيسى بن محمد المخزومى، وكان المعتز وجههما إليها، فقاتلهم إسماعيل، وقتل من الحجاج نحو ألف ومائة وسلب الناس وهربوا إلى مكة، ولم يقفوا بعرفة لا ليلاً ولا نهارًا، ووقف إسماعيل وأصحابه. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وستين ومائتين خاف الناس أن يبطُل الحجُّ، وسبب ذلك أنه فى هذه السنة وقع بين الجزارين والحناطين بمكة قتال يوم التروية، فخاف الناس أن يبطل الحج، ثم تحاجزوا إلى أن يحج الناس، وقتل منهم تسعة عشر رجلاً.

ومنها: أنه فى سنة ست وستين ومائتين، وثب الأعراب على كسوة الكعبة وانتهبوها، فصار بعضها إلى صاحب الزّنْج، وأصاب الحجاج فيها شدة شديدة.

ومنها: أنه فى سنة تسعٍ وستين ومائتين، كان قتال بين الحجاج المصريين أصحاب أحمد بن طولون، والعراقيين أصحاب أبى أحمد الموفق، وكان الظفر لأصحاب الموفق، وقد سبقت هذه الحادثة فى باب الوُلاة مبسوطة.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وتسعين ومائتين كانت وقيعة بين عَجّ بن حاجّ، وبين الأجناد بمنًى، ثانى عشر ذى الحجة، فقتل منهم جماعة، لأنهم طالبوا جائزة بيعة المقتدر، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر، وأصاب الحجاج فى عَوْدهم عطش عظيم، فمات منهم جماعة، وحُكى أن أحدهم كان يبول فى كفه ثم يشربه.

ومنها: أنه فى سنة أربع عشرة وثلاثمائة، وفى سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وفى سنة ست عشرة وثلاثمائة، لم يحج إلى مكة أحد من العراق، على ما ذكر العتيقى فى أخبار هذه الثلاث سنين، للخوف من القِرْمطى، وذكر ما يقتضى أن الحج فى

هذه السنين لم يبطل من مكة، وذكر أنهم، يعنى أهل مكة ـــ حجوا فى سنة أربع عشرة، على قلة من الناس وخوف.

ومنها: أن فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة، حج الناس من بغداد مع منصور الدَّيْلَمى، وسلموا فى طريق مكة من القرمطي، فوافاهم القرمطي بمكة، وأسرف فى قتلهم وأسرهم، وفعل فى الكعبة ومكة أفعالاً قبيحة، وقد ذكر أفعاله فى هذه السنة جماعة من أهل الأخبار، منهم أبو بكر عمر بن على بن القاسم الذهبى فى تاريخه، فيما حكاه عنه أبو عُبيد البكرى فى كتابه «المسالك والممالك» وأفاد فيما ذكره ما لم يُفده غيره، فاقتضى ذلك ذِكْرُنا لما ذكره بنصه، وذلك أنه قال: إن أبا طاهر القِرْمِطى وافى مكة يوم الاثنين لسبعٍ خَلَوْن من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، فى سبعمائة رجل من أصحابه، فقتل فى المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنساء، وهم متعلقون بأستار الكعبة وردم بهم زمزم، وفرش بهم المسجد، وما يليه، وقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خُراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفًا، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك، وأقام بمكة ستة أيام، ولم يقف أحد تلك السنة بعرفة، ولا وفًى نُسُكَها، وهى التى يقال لها سنة الحمامى[1].

وأخذ حُلىَّ الكعبة، وهتك أستارها، وكان سَدَنَةُ المسجد قد تقدموا إلى حمل المقام وتغييبه فى بعض شعاب مكة، فتألم لفقده، إذ كان طلبه، فعاد عند ذلك على الحجر الأسود فقلعه، وذكر من قلعه وتاريخ قلعه ما نقلناه عنه فى أخبار الحجر الأسود، ثم قال: ولم يأخذ الميزاب، وكان من الذهب الإبْريز[2]، وسبب ذلك أنه لم يقدر على قلعه أحد من القرامطة الذين على ظهر الكعبة، ورام خلعه شخص منهم، فأصيب من أبى قُبَيْس بسهم فى عجزه، فسقط فمات.

قال: ورمى الله القرمطىَّ فى جسده، وطال عذابه، حتى تقطعت أوصاله، وأراه الله تعالى عبرةً فى نفسه. انتهى.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «الحامى» وصوابه من الأصل.
(٢) الإبريز: الذهب الخالص.

وأما قول العتيقى فى أخبار هذه السنة: ولم يحج أحد من العراق، ففيه نظر، لأنه إن أراد بالعراق عراق العجم، فهو يخالف مقتضى قول الذهبى السابق «وقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خُراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفًا انتهى» وهذا يدل لحج أهل خُراسان وهم من عراق العجم، وإن أراد عراق العرب، فهو يخالف ما ذكره ابن الأثير، لأنه قال فى أخبار سنة سبع عشرة وثلاثمائة: حج بالناس منصور الديلمى هذه السنة، سار بهم من بغداد إلى مكة، فسلموا فى الطريق، فوافاهم أبو طاهر القرمطى بمكة يوم التروية، فذكر من أفعاله القبيحة بمكة بعض ما سبق ذكره.

ومنها: أنه فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة لم يحجّ ركب العراق، على ما ذكر الذهبى فى «تاريخ الإسلام».

ومنها: أنه فى سنة عشرين وثلاثمائة، بطل الحج من العراق، على ما ذكر العتيقى، والذهبى، وذكر العتيقى أنه فيها حج ناس من أهل المغرب واليمن.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة بطل الحج من بغداد، على ما ذكر العتيقى وابن الأثير، لاعتراض القِرْمطى لهم فى الطريق فيما بين القادسية والكوفة.

ومنها: أنه فى سنة أربعٍ وعشرين وثلاثمائة بطُل الحجّ من ناحية العراق، على ما ذكر العتيقى.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وعشرين بطل الحج من العراق، على ما ذكره العتيقى والذهبى.

ومنها: أنه فى سنة ست وعشرين بطل الحج من العراق، على ما ذكره الذهبى، وأما العتيقى فقال فى أخبار هذه السنة: وخرج من بغداد نفر يسير من الحجاج رجَّالة، وقوم اكتروا من العرب ونحروا فى مكة، وحجوا وعادوا على طريق الشام، وعاد منهم قوم على طريق الجادة. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، بطل الحج من العرق لبُعْد المتّقى عن العراق، واضطراب البلاد، على ما ذكر العتيقى.

ومنها: أنه فى سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمائة بطل الحج على ما ذكر العتيقى.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة، وسنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة، وسنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة، لم يحج أحد من العراق، على ما ذكر الذهبى فى «تاريخ الإسلام» وذكر التتيقى ما يقتضى خلاف ذلك، لأنه قال: وحج بالناس فى سنة خمسٍ وثلاثين وست وثلاثين وسبعٍ وثلاثين وثمانٍ وثلاثين وتسعٍ وثلاثين: عمر بن يحيى العلوى، بولاية السلطان له بذلك. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة أو فى التى قبلها كان بين الحجاج العراقيين والمصريين قتال بسبب الخطبة بمكة، على ما ذكر العتيقى، لأنه قال: وحج بالناس سنة أربعين وثلاثمائة، وسنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، أحمد بن الفضل بن عبد الملك من مكة، وعارضه أهل مصر مع عمر بن الحسن بن عبد العزيز، وصحَّت الصلاة لأحمد بن الفضل، وكان أمير الحاج فى بغداد عمر بن يحيى العلوى، ووقع بين عمر بن يحيى العلوى وابن الحسين محمد بن عبيد الله العلوى وكان حاجًّا، وبين المصريين قتال عظيم، وخطب أحمد بن الفضل بن عبد الملك على صناديق لسرقة المصريين المنبر بعرفة، وأقام الحجَّ عمر بن الحسن بن عبد العزيز بناحية بالأتراك والمصريين، وأقام لهم الحج(١). انتهى.

وذكر المسبحى ما يدل على أنَّ هذه القصة كانت فى سنة أربعين وثلاثمائة، لأنه قال فى أخبار هذه السنة: وحج بالعراقيين أحمد بن عمر بن يحيى العلوى، وخطب بهم أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمى، وحج بالمصريين أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد العزيز، وكانت سنة خلاف وفتنة حدثت بمكة. انتهى.

وذكر غيره ما يدل على أن ذلك فى سنة إحدى وأربعين، لأنه قال فى أخبار هذه السنة: وفيها كان حرب بين أصحاب مُعِزّ الدولة، وأصحاب ابن طُغْج، وكان الظفر لأصحاب مُعِزّ الدولة. انتهى.

ووقع مثل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين، وفى سنة ثلاث وأربعين، على ما ذكر ابن الأثير، لأنه قال فى أخبار سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة: فيها سيَّر الحجاج

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٣٩٧.

الشريفان أبو الحسن محمد بن عبد الله، وأبو عبد الله أحمد بن عمر بن يحيى العلويان، فجرى بينهما وبين عساكر المصريين من أصحاب ابن طُغْج حرب شديد، فكان الظفر لهما، فخطب لمعزّ الدولة بمكة، فلما خرجا من مكة لحقهما عساكر مصر، فقاتلهما فظفر بهم أيضًا.

وقال فى أخبار سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة: فيها وقعت الحرب بمكة بين أصحاب مُعزّ الدولة، وأصحابً ابن طُغْج من المصريين، فكانت الغَلَبَة لأصحاب مُعِز الدولة، فخطب بمكة والحجاز لركن الدولة ومُعِزّ الدولة وولده عز الدولة بختيار، وبعدهم لابن طُغْج. انتهى.

وذكر المسبّحى ما كان بين الفريقين فى سنة ثلاث وأربعين، وذكر ذلك غيره، وأفاد فى ذلك غير ما سبق، لأنه قال فى أخبار سنة ثلاث وأربعين: وكان بها أيضًا حرب عظيمة بين أصحاب معزّ الدولة بن بُوَيْه والإخشيدى بن محمد بن طُغْج صاحب الديار المصرية، ومنع أصحاب معزّ الدولة أصحاب الإخشيد من الصلاة بمِنًى، والخطبة، ومنع أصحاب الإخشيد أصحاب معزّ الدولة من الدخول إلى مكة، والطواف. انتهى باختصار.

ومنها: أنه كان يُدْعَى على المنابر بمكة والحجاز جميعه لكافور الإخشيدى صاحب مصر، ذكر هذه الحادثة الملك المؤيد صاحب حماة، والظاهر أنّ الدعاء لكافور بمكة كان فى سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة، لأنه ولى السلطنة فى هذه السنة، بعد موت ابن أستاذه على بن محمد بم طُغْج الإخشيدى، وكان هو المتولى لتدبير المملكة فى سلطنة ابن أستاذه المذكور، وسلطنة أخيه أبى القاسم أنوجور ومعناه بالعربى: محمود بن محمد بن طُغْج، ولعله كان يُدْعَى لكافور فى حال سلطنة المذكورين، لتوليه تدبير المملكة لهما، والله أعلم.

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وخمسين وثلاثمائة لم يحج أحد من الشام ولا من مصر، على ما ذكر الذهبى.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة خُطِب للمعز أبى تميم مَعَدّ بْنِ ابن المنصور[1] العُبَيْدى صاحبَ مصر بمكة والمدينة واليمن، وبطُلت الخطبة لبنى العباس، وفرق فيها قائد حج من مصر أموالاً عظيمة فى الحرمين، ذكر ذلك كله صاحب «المرآة» وذكر أن نقيب الطالبيين حجّ بالناس من بغداد فيها.

ومنها: على ما قال ابن الأثير فى أخبار سنة تسعٍ وخمسين وثلاثمائة: وفيها كانت الخطبة بمكة للمطيع لله، والقرامطة الهجريين، وخُطِب بالمدينة للمعزّ لدين الله العلوى، وخطب أبو أحمد الموسوى والد الشريف الرضى خارج المدينة للمطيع لله.

وذكر صاحب «المرآة» أن فيها خُطب للمطيع وللهجريين بعده بمكة، وأن الفاعل لذلك أبو أحمد النقيب الموسرى، وذكر أنه حج بالناس فى سنة ستين وثلاثمائة، وهذا يخالف ما ذكره العتيقى من انقطاع الحج فى هذه السنة، وفى سنة تسعٍ وخمسين لأنه قال: وبطُل الحجّ من العراق سنة تسعٍ وخمسين، وسنة ستين وثلاثمائة من العراق والمشرق، فلم يحج أحد من هذه الجهات، لاختلافٍ كان وقع من جهة القرامطة. انتهى.

ودامت الخطبة للمطيع بمكة والحجاز فيما علمت إلى سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة.

ومنها: أنه فى سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة خُطِب للمعز لدين الله صاحب مصر، بمكة والمدينة فى الموسم.

وفيها خرج بنو هلال وجمْع من العرب على الحُجَّاج، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وضاق الوقت وبطل الحج، ولم يسلم إلا من مضى مع الشريف أبى أحمد الموسوى والد الرضى على طريق المدينة، فتم حجهم. انتهى من تاريخ ابن الأثير.

ومنها: أنه فى سنة أربعٍ وستين وثلاثمائة بطل الحج من العراق، مع توجههم منه، لأنهم قدروا أنهم لا يدركون الحج، لأمر عرض لهم فى الطريق، فعدلوا إلى

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «أبى تميم معدّ بن المنصور» وصوابه من الأصل.

المدينة النبوية، فوقفوا بها، وذكر ذلك بالمعنى ابن الأثير، وأما العتيقى فقال فى أخبار هذه السنة: وحج بالناس سنة أربعٍ وستين وثلاثمائة ابن القمر صاحب القرامطة. انتهى.

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحج فى سنة خمسٍ وستين وثلاثمائة، من ناحية العراق والمشرق، باضطراب أمور البلاد. انتهى. وفى هذه السنة وهى سنة خمس وستين على ما ذكر صاحب «المرآة» حج بالناس علوى من جهة العزيز بن المعِزّ العُبَيْدى صاحب مصر، وخطب فيها بمكة والمدينة للعزيز. انتهى بالمعنى. وذكر غيره ما يوافق ذلك، وأن العزيز أرسل جيشًا فى هذه السنة، فحصروا مكة وضيقوا على أهلها.

ومنها: أنه فى سنة ست وستين وثلاثمائة، حجَّت جميلة بنت ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان حجًّا يُضرب به المثل فى التجمل وأفعال البر، لأنه كان معها أربعمائة محمل على لون واحد، فلم يعلم الناس فى أيها كانت، وكست المجاورين فى الحرمين، وأنفقت فيهم الأموال العظيمة، ولما شاهدت الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار من ضرْب أبيها. انتهى بالمعنى من «المرآة».

وقد ذكر حج هذه المرأة جماعة من أهل الأخبار، منهم الذهبى، لأنه قال فى أخبار سنة ست وستين: وفيها حجت جميلة بنت الملك ناصر الدولة بن حمدان، وصار حجها يُضرب به المثل، فإنها أغنت المجاورين، وقيل: كان معها أربعمائة محمل، لا يُدْرَى فى أيها هى، لكونهن كلهن فى الحسن والزينة نسبة، ونثرت على الكعبة لما دخلتها عشرة آلاف دينار. انتهى.

وقال غيره فى ذِكْر حجها: إنه كان معها عشرة آلاف جمل، وألف عجوز، ولم تحوج الناس إلى مأكول ولا مشروب، وحج معها الناس من أقطار الأرض، وأنفقت بمكة عشرين ألف دينار، وزوجت كل علوىٍّ وعلوية، وأنفقت بالمدينة مثلها، ثم قال: ويقال: إنها أنفقت فى هذه الحجة ألف ألف دينار، ومائة وخمسين ألف دينار، ولما رجعت إلى بغداد صادرها عَضُد الدولة بن بُوَيْه، واستصفى أموالها، ثم أراد حملها إليه، فخرجت مع رُسُله، وتحيّلت حتى ألقت نفسها فى

دجلة، وكانت من أزهد الناس وأعبدهم وأجراهم دمعة، فكانت تقوم نافلةَ الليل، وتسمع العِظات وتُكْثِر الصدقات. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة سبع وستين، على ما قال ابن الأثير: سيَّر العزيز بالله العلوىّ صاحب مصر وإفريقية أميرًا على الموسم ليحجّ بالناس، وكانت الخطبة له بمكة، وكان الأمير على الموسم باديس بن زيرى أخا يوسف بلكين خليفته بإفريقية؛ فلما وصل إلى مكة أتاه اللصوص بها، فقالوا له: نقبل منكم بخمسين ألف درهم، ولا تتعرض لنا، فقال لهم: أفعل ذلك، اجمعوا إلىَّ أصحابكم حتى يكون العقد مع جميعكم، فاجتمعوا، وكانوا نيفًا وثلاثين رجلاً، فقال: هل بقى منكم أحد؟ فحلفوا له أنه لم يبق منهم أحد، فقطع أيديهم كلهم. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة سبعين وثلاثمائة، خُطب بمكة والمدينة لصاحب مصر العزيز العُبَيدى دون الطائع العباسى، على ما ذكر صاحب «المرآة» وابن الأثير، إلاَّ أنه لم يقل دون الطائع.

ومنها: على ما قال صاحب «المرآة» فى أخبار سنة ثمانين وثلاثمائة: حج بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عُبَيد الله العلوى، نيابة عن الشريف أبى أحمد الموسوى، وكان لهم من سنة إحدى وسبعين لم يحج أحد من العراق، وبسبب الفِتَن والخُلْف من العراقيين والمصريين، وقيل: إنهم حجوا فى سنة اثنتين وسبعين مع أبى الفتح العلوى، وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، والله أعلم، وذكر العتيقى ما يخالف ذلك، لأنه قال: وحج بالناس سنة اثنتين وسبعين وثلاث وأربع وخمس وستّ وسبع وثمان وتسع وسبعين، وسنة ثمانين وثلاثمائة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن عبيد الله العلوى. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة لم يحج من العراق ولا من الشام أحد، على ما قال ابن الأثير، لأنه قال فى أخبار هذه السنة: فيها عاد الحَجّ من الثعلبية، ولم يحج من الشام والعراق أحد، وسبب عَوْدهم أنّ الأصفر أمير العرب اعترضهم وقال: إن الدراهم التى أرسلها السلطان عام أول كانت نُقْرَةً مَطْلِيّة

وأريد العَوَض، وكانت المخاطبة والمراسلة، فضاق الوقت على الحجاج فرجعوا. انتهى.

وأما الذهبى فقال فى أخبار هذه السنة: لم يحج من العراق ولا من الشام ولا من اليمن أحد على العادة، وحج الناس من مصر. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة بطل الحج على ما قال العتيقى، لأنه قال: وبطل الحج سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، لُبعد السلطان واختلاف بين العرب.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة لم يحج من العراق أحد، خوفًا من الأصفر الأعرابى، ذكر ذلكً هكذا صاحب «المرآة» وغيره، وذكر العتيقى ما يخالف ذلك، لأنه قال: وحجّ بالناس سنة ثلاثٍ وتسعين وأربعٍ وتسعين أبو الحارث بن محمد بن عمر بن يحيى العلوى. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة ستٍّ وتسعين وثلاثمائة، خُطب بمكة والمدينة للحاكم صاحب مصر على جارى العادة، وأُمِر الناس بالحرمين بالقيام عند ذِكْره بالحرمين، وكذلك كانت عادتهم بمصر والشام.

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وتسعين وثلاثمائة، لم يحج الركب العراقى مع توجههم، لاعتراض ابن الجراح لهم بالثعلبية، ومطالبته لهم بالمال، فرجعوا إلى بغداد لضيق الوقت عليهم، وحج الناس من مصر، وبعث الحاكم كسوة الكعبة ومالاً لأهل الحرمين، ذكر ذلك صاحب «المرآة» وغيره.

ومنها: أنه فى سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة لم يحج من العراق أحد، على ما ذكر صاحب «المرآة».

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحج من العراق سنة إحدى وأربعمائة، ورجع الحجاج من بغداد.

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحجّ فى سنة ثلاث وأربعمائة، بمسير رجل من القرامطة يُعرف بأبى عيسى المتنفقى والثائر الخويلدى[١]، وجماعة من العرب إلى ظاهر الكوفة، فحاصروها وانصرفوا، وقد فات الحجاج المسير، فعادوا من الكوفة إلى بغداد[٢]. انتهى.

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحج فى سنة ست وأربعمائة، لخراب الطريق واستيلاء العرب عليه، قال: وبطل الحجّ سنة سبعٍ وأربعمائة بتأخّر أهل خراسان. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة ثمانٍ وأربعمائة لم يحج أحد من العراق، على ما ذكره صاحب «المرآة» وغيره.

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحج فى سنة تسعٍ وأربعمائة فخرجوا من بغداد مع عمر بن مسلم، فاعترضتهم العرب فيما بين القصر والحاجر، والتمسوا منهم زيادة على رسومهم، فرجعوا من القصر وبطل الحج فى هذه السنة.

وبطل الحج فى سنة عشر وأربعمائة بتأخّرِ ورود أهل خراسان عن الحضور فى هذه السنة للحج.

وفى سنة إحدى عشرة وأربعمائة، بتأخر ورود أهل خراسان فى هذه السنة. انتهى. وذكر صاحب «المرآة» ما يوافق ذلك.

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحج فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، بتأخر ورود أهل خراسان. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة أربع عشرة وأربعمائة كان بمكة فتنة، قُتل فيها جماعة من الحجاج المصريين ونُهبوا بسببها، وتجرأ بعض الملاحدة على الحجر الأسود فضربه بدبوس، وقد ذكر هذه الحادثة جماعة من أهل الأخبار، منهم ابن الأثير،

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «أبى عيسى المتقفى والثاير الخويلدى» كما تحرف الثائر الخويلدى فى طبعة الذهبى إلى: «ابن عيسى... والثاير الخويلدى» وصوابه لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٢/ ٤٤٢.

(٢) إتحاف الورى ٢/ ٤٤٢.

لأنه قال فى أخبار سنة أربع عشرة وأربعمائة: ذكر الفتنة بمكة فى هذه السنة، كان يوم النفر الأول يوم جمعة، فقام رجل من مصر بإحدى يديه سيف مسلول، وبالأخرى دبوس، بعدما فرغ الإمام من الصلاة، فقصد ذلك الرجل الحجر الأسود يستلمه، فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس، وقال: إلى متى يُعبد الحجر الأسود ومحمد وعلى، فليمنعنى مانع من هذا، فإنى أريد أن أهدم البيت، فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه، وكاد يُفلت، فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله، وقطَّعه الناس وأحرقوه، وقُتل ممن اتُّهم بمصاحبته جماعة، وأُحرقوا، فثارت الفتنة، وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلاً، غير ما أُخفى منه، وألح الناس ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب، وعلى غيرهم فى طريق منًى إلى البلد، فلما ماج الناس واضطربوا، وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل، وقالوا: نحن مائة رجل، فضُربت أعناق هؤلاء الأربعة. انتهى باختصار. لما يتعلق بأمر الحجر الأسود.

وذكر الذهبى هذه الحادثة فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ونقل ذلك عن ابن الأثير عن محمد بن على بن عبد الرحمن العلوى، وذكر القصة بمعنى ما ذكر ابن الأثير، وزيادة منها أنه كان على باب المسجد عشرة من الفرسان، على أن ينصروا الذى ضرب الحجر، وأنه كان أحمر أشقر تام القامة جسيمًا، ونقل عن هلال بن المحسن أن الضارب للحجر كان ممن استغواهم الحاكم العُبَيْدى صاحب مصر، وأفسد أديانهم على ما قيل. انتهى.

وذكر بعضهم ما يوهم أنّ هذه الحادثة اتفقت فى سنة نيِّف وستين وأربعمائة، وهذا وهْم قطعًا، وفى الخبر الذى فيه ذلك أن القاتل للرجل الضارب للحجر رجل من أهل اليمن من السكاسك، فالله يثيبه.

ومنها: على ما قال العتيقى: أن الحج بطل من العراق، لتأخر أهل خراسان فى سنة خمس عشرة وفيما بعدها إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة إلا أنه قال فى سنة إحدى وعشرين: حج من الكوفة قوم من العرب قافلة كبيرة، ورجعوا سالمين إلى الكوفة فى آخر المحرَّم، وقال فى سنة اثنتين وعشرين: وحج من الكوفة قوم من

الرَّجّالة، ومات منهم خلق عظيم فى الطريق، وذكر الذهبى ما يوافق ذلك، إلاَّ أنه لم يذكر شيئًا فى سنة خمس عشرة، ولا فى سنة اثنتين وعشرين.

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحج فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، ورد أهل خراسان، وكان وصولهم إلى بغداد سلخ شوال، وتأخَّروا عن الخروج، وأقاموا إلى سلخ ذى القعدة، ورجعوا إلى خراسان، وحج قوم من الرجالة يسير. انتهى.

وقال الذهبى فى أخبار هذه السنة: ورد من مصر كسوة للكعبة وأموال للصدقة وصلات لأمير مكة، ولم يحج ركب العراق لفساد الطريق. انتهى. وقال ابن الأثير فى أخبار هذه السنة: خرجت العرب على حجاج البصرة فأخذوهم ونهبوهم، وحج الناس من سائر البلاد إلاَّ من العراق.

ومنها: على ما قال العتيقى: وبطل الحج فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة لتأخر ورود أهل خراسان فى هذه السنة، وخرج نفر يسير من الرجَّالة وعمر الطريق، وقال: وبطل الحج فى سنة خمس وعشرين وأربعمائة، لم يحج العراقيون ولا المصريون خوفًا من البادية، وحج أهل البصرة مع من يخفرهم، فغدروا بهم ونهبوهم. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة ست وعشرين وأربعمائة، لم يحج أحد من أهل العراق وخراسان.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، لم يحج أحد من أهل العراق، لفساد البلاد واختلاف الكلمة، وذكر هاتين الحادثتين هكذا ابن كثير.

ومنها: أنه فى سنة ثلاثين وأربعمائة، لم يحج فيها من العراق ومصر والشام أحد، ذكر ذلك هكذا الذهبى فى «تاريخ الإسلام» وأما ابن كثير، فقال فى أخبار هذه السنة: لم يحج فيها أحد من أهل العراق وخراسان. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، لم يحج فيها أحد من أهل العراق.

[ومنها: أنه فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة لم يحج فيها أحد، ولا فى اللواتى قبلها][1].

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائة لم يحج فيها أحد، ولا فى اللواتى قبلها.

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائة لم يحج أهل العراق فى هذا العام.

ومنها: أنه فى سنة تسعٍ وثلاثين وأربعمائة لم يحج أحد من ركب العراق فى هذا العام.

ومنها: أنه فى سنة أربعين وأربعمائة لم يحج أحد من أهل العراق، ذكر هذه الخمس الحوادث هكذا ابن كثير، وذكر ما يقتضى أنه لم يحج أحد من أهل العراق فى سنة إحدى وأربعين، وكذلك عام ثلاثة وأربعين، وكذلك عام ستة وأربعين، وكذلك عام ثمانية وأربعين.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة لم يحج أحد من أهل العراق فى هذه السنة، وكذلك سنة اثنتين وخمسين، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة، وذهبوا مع طائفة من الخفراء.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة لم يحج أحد فى هذه السنة، ذكر هذه الحادثة هكذا ابن كثير وذكر اللتين قبلها كما ذكرنا.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وخمسين وأربعمائة حج على بن محمد الصُّلَيْحى صاحب اليمن، وملك فيها مكة، وفعل فيها أفعالاً جميلة من العدل والإحسان، ومنع المفسدين.

قال محمد بن هلال الصابى: وورد فى صفر يعنى سنة ستٍّ وخمسين من الحج من ذكر دخول الصُّلَيْحى مكة فى سادس ذى الحجة، واستعماله الجميل مع أهلها، وإظهاره العدل فيها، وأنّ الحجاج كانوا آمنين أمنًا لم يعهدوا مثله، لإقامة السياسة، والهيبة، حتى كانوا يعتمرون ليلاً ونهارًا وأموالهم محفوظة، ورحالهم

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

محروسة، وتقدم بجلب الأقوات، فرخصت الأسعار وانتشرت له الألسن بالشكر، وأقام إلى يوم عاشوراء، ثم قال: وفى رواية أقام بمكة إلى ربيع الأول، وذكر ما سبق من تأميره مكة لمحمد بن أبي هاشم المقدّم ذكْره. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة أعيدت الخطبة العباسية بمكة، وخُطب فيها بمكة للسلطان ألب أرسلان السلجوقى مع القائم الخليفة العباسى، والفاعل لذلك محمد بن أبي هاشم أمير مكة، على ما ذكر غير واحد من أهل الأخبار، منهم ابن الأثير، لأنه قال: فى أخبار سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده إلى السلطان ألب أرسلان، يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم وللسلطان بمكة، وإسقاط خطبة العلوى صاحب مصر، وترك الأذان بحيّ على خير العمل، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعًا نفيسة، وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار، وقال: لو فعل أمير المدينة مهنا كذلك أعطيته عشرين ألف دينار، وكل سنة خمسة آلاف دينار. انتهى.

وذكر ابن كثير ما يقتضى أن الخطبة العباسية أعيدت بمكة قبل هذا التاريخ، لأنه قال فى أخبار سنة تسع وخمسين وأربعمائة: حج بالناس أبو الغنائم النقيب، وخطب بمكة للقائم بأمر الله العباسى. انتهى.

وذكر بعض مشايخنا فى تاريخه ما يقتضى أن ذلك وقع فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، بإشارة النقيب أبي الغنائم، محمد بن أبي هاشم، فعزله أهلهُ على ما فعل، لقطع الميرة من مصر عن مكة. انتهى بالمعنى. فهذه ثلاثة أقوال فى ابتداء الخطبة العباسية بمكة، والله أعلم بالصواب.

ومنها: أنه فى سنة سبع وستين قُطعت الخطبة العباسية بمكة، وأُعيدت خطبة المستنصر صاحب مصر، لإرساله هدية جليلة لابن أبي هاشم، ذكر ذلك ابن الأثير بالمعنى، قال: وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر. انتهى. وذكر ابن كثير أنّ إعادة الخطبة للمستنصر فى ذى الحجة من هذه السنة.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وستين وأربعمائة أعيدت الخطبة العباسية فى ذى الحجة منها، على ما ذكر ابن الأثير وابن كثير، إلا أنه لم يقل فى ذى الحجة.

ومنها: كانت بمكة فتنة بين أمير الحاج العراقى خُتُلُغ[1] التركى مُقْطَع الكوفة، وبين بعض العبيد، لأنه لما حج فى هذه السنة نزل فى بعض دُور مكة، فكبسه بعض العبيد، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وهزمهم هزيمة شنيعة، وكان بعد ذلك ينـــزل بالزاهر، ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرنا ابن الساعى، فيما نقله عنه ابن كثير.

ومنها: أنه فى سنة سبعين وأربعمائة أرسل وزير الخليفة العباسى من بغداد منبرًا هائلاً، عمله لتقام عليه الخطبة العباسية بمكة، فلما وصل المنبر إليها إذا الخطبة قد أُعيدت للمصريين، فكسر ذلك المنبر وحرق، ذكر ذلك ابن الجوزى، بمعنى ما ذكرناه، وذكر ذلك غيره.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، قُطعت خطبة المصريين بمكة، وخُطب فيها للمقتدى والسلطان.

ومنها: أنه فى سنة تسع وسبعين وأربعمائة، قُطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة، ذكر هاتين الحادثتين هكذا ابن كثير.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة خُطب بمكة للسلطان محمود بن السلطان ملكشاه السلجوقى، من بعد وفاة والده، وخُطب له أيضًا بالمدينة، وفى جميع ممالك أبيه.

ومنها: أنه فى سنة ست وثمانين وأربعمائة، على ما قال ابن الأثير فى أخبار هذه السنة: انقطع الحاج من العراق لأسباب أوجبت ذلك، وسار الحاج من دمشق مع أمير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها، فلما قضوا حَجَّهم وعادوا سائرين سيَّر أمير مكة وهو محمد بن أبى هاشم عسكرًا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرًا من أموالهم وجمالهم، فعادوا إليها وأخبروه، وسألوه أن يعيد إليهم ما أخذه

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «خليع» وصوابه من الأصل وابن كثير فى البداية والنهاية ١٢، ٨٥.

منهم، وشكوا إليه بُعْدَ ديارهم، فأعاد بعض ما أخذه منهم، فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة. انتهى باختصار. لما تم عليهم من البلاء في عَوْدهم من العرب، وأهلك الله ابن أبي هاشم في السنة التي بعد هذه السنة.

ومنها: أنه في سنة سبع وثمانين لم يحج فيها أحد من الناس، لاختلاف السلاطين.

ومنها: أنه في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة لم يحج أحد من أهل العراق فيها، ذكر هاتين الحادثتين هكذا ابن كثير.

ومنها: أنه في سنة تسع وثمانين وأربعمائة ذهب للحجاج وهم نازلون بقرب وادي نخلة، كثير من الأموال والدواب والأزواد، وذلك أنه أصابهم سيل عظيم فأغرقهم، ولم ينج منهم إلا من تعلق بالجبال.

ومنها: أنه في سنة ست عشرة وخمسمائة لم يحج الركب العراقي، على ما وجدت بخط بعض المكيين، وأما ابن كثير فقال: وفي سنة ست عشرة وخمسمائة حج الناس وفيه نظر.

ومنها: أنه في سنة ثلاثين وخمسمائة لم يحج الركب العراقي، على ما وجدت بخطّ بعض المكيين.

ومنها: أنه في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة لم يحج من العراق أحد على ما ذُكر في «المرآة».

ومنها: أنه في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة نهب أصحاب هاشم بن فليتة أمير مكة الحجاج، وهم في المسجد الحرام يطوفون ويصلون، ولن يرقبوا فيهم إلاًّ ولا ذمة، وذلك لوحشة بين أمير مكة وبين أمير الحاج، ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكره ابن الأثير وغيره.

ومنها: أنه في سنة أربع وأربعين وخمسمائة أقام الحجاج بمكة إلى انسلاخ ذي الحجة من هذه السنة، ونهبهم العرب بعد رحيلهم من مكة، في ثالث عشر المحرم سنة خمس وأربعين.

ومنها: أنه فى سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة حجّ السلطان نور الدين محمود ابن زنكى المعروف بالشهيد صاحب دمشق وغيرها.

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وخمسين وخمسمائة كانت فيها فتنة بين أهل مكة والحاج العراقى، سببها أن جماعة من عبيد مكة أفسدوا فى الحاج بمنًى، فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحاج فقتلوا منهم جماعة، ورجع من سلم إلى مكة، وجمعوا جموعًا وأغاروا على جمال الحاج، وأخذوا منها قريبًا من ألف جمل، فنادى أمير الحاج فى جنده بسلاحهم، ووقع القتال بينهم، فقتل جماعة ونُهب جماعة من الحجاج وأهل مكة، فرجع أمير الحاجّ ولم يدخل مكة، ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وأعاد كثير من الناس رجَّالة لقلة الجمال، ولقوا شدة، ورجع بعضهم قبل إكمال حجه، وهم الذين لم يدخلوا مكة يوم النحر للطواف والسعى، ذكر هذه الحادثة هكذا ابن الأثير.

وذكر صاحب «المنتظم» أن أمير مكة بعث إلى أمير الحاج يستعطفه ليرجع، فلم يفعل، ثم جاء أهل مكة بخرق الدم، فضرب لهم الطبول ليعلم أنهم قد أطاعوا. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وستين وخمسمائة أطلق الحاج من غرامة المكس، إكرامًا لصاحب عدن عمران بن محمد بن الزريع اليامى الهمدانى، فإنه حُمل إلى مكة فى هذه السنة ميتًا لكونه كان شديد الغرام إلى حج بيت الله الحرام واخترمه الحمام، قبل بلوغ المرام، ووُقف به بعرفات والمشعر الحرام، وصُلّى عليه خلف المقام، ودُفن بالمَعْلاة، فى السنة المذكورة.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وستين وخمسمائة بات الحجاج بعَرَفَة إلى الصبح، وخاف الناس خوفًا شديدًا لما كان بين أمير مكة عيسى بن فليتة وأخيه مالك، ولم يحجّ عيسى وحج مالك.

ومنها: أن السلطان نور الدين محمود بن زنكى المعروف بالشهيد صاحب دمشق، خُطب له بالحرمين واليمن، لما كان ملكها الملك المعظم توران شاه أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ذكر هذه الحادثة الملك المؤيد صاحب

حماة، وكان ملك توران شاه لليمن فى سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة، فتكون الخطبة للسلطان نور الدين بالحرمين فى هذه السنة.

ومنها: أنه فى سنة سبعين وخمسمائة بات الحاج العراقى بعرفة، ولم يبت بمزدلفة، ولم يصل إليها إلا فى يوم عرفة، ولما دخل أمير الحاجّ العراقى طاشتكين للوداع، همّ أهل مكة بكبسه، لمنازعةٍ جرت بين بعض جماعة أمير الحاجّ وبعض أهل مكة، وسالمهم أمير الحاج إلى أن خرج إلى الزاهر، ثم حصل بين الفريقين قتال يسير بالزاهر، بعد ذلك، قتل فيه من أصحاب أمير الحاجّ رجلان، وجرح أناس من أهل الحجاز.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة لم يتمكن الحجاج العراقيون من إقامة غالب مناسك الحج، لفتنة كانت بين أميرهم طاشتكين، وبين صاحب مكة مكثر بن عيسى، وكانت فتنة عظيمة اتفقت فيها أمور عجيبة، على ما ذكر غير واحد من أهل الأخبار، منهم ابن الأثير، لأنه قال فى أخبار هذه السنة: فى ذى الحجة كان بمكة حرب شديد بين أمير الحاج طاشتكين، وبين الأمير مكثر بن عيسى أمير مكة، وكان الخليفة قد أمر أمير الحاج بعزل مكثر وإقامة أخيه داود مقامه، وسبب ذلك أنه كان قد بنى قلعة على جبل أبى قُبَيْسٍ فلما سار الحاج من عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة، وإنما اجتازوا بها ولم يرموا الجمار إنما رمى بعضهم، وهو سائر، ونزلوا الأبطح، فخرج ناس من أهل مكة، فحاربهم وقتل من الفريقين جماعة، وصاح الناس: الغزاة! إلى مكة، فهجموا عليها، فهرب أمير مكة مكثر، فصعد إلى القلعة التى بناها على جبل أبى قُبَيْس، فحصروه بها، ففارقها وسار عن مكة، وولى أخوه داود الإمارة بها، ونُهب كثير من الحاج بمكة، وأخذوا من أموال التجار المقيمين بها شيئًا كثيرًا، وأحرقوا دورًا كثيرة.

ومن أعجب ما جرى أن إنسانًا زرّاقًا ضرب دارًا فيها بقارورة نفط فأحرقها، وكانت لأيتام فاحترق ما فيها، ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانًا آخر، فأتاه حجر فأصاب القارورة فكسرها، واحترق هو فيها، فبقى ثلاثة أيام يتعذب بالحريق، ثم مات. انتهى.

وقد سبق فى باب الولاة أن أمير المدينة قاسم بن مهنا الحسينى والى مكة فى هذه السنة بعد هرب مكثر، لكون الخليفة المستضىء العباسى عقد له الولاية على مكة، ولما رأى من نفسه العجز عن القيام بأمر مكة ولى فيها أمير الحاج أخا مكثر ابن داود بن عيسى، وهذا لا يفهم من كلام ابن الأثير، بل يفهم منه أن الخليفة ولى داود، وما ذكرناه من ولاية الخليفة مكة لأمير المدينة ذكره ابن الجوزى وكلام ابن الأثير يقتضى أن سبب عزل مكثر بناؤه القلعة على أبى قُبَيْس، وما أظن سبب عزله إلاَّ ما كان من تجرُّؤ أهل مكة على أمير الحاج فى السنة التى قبلها، فإنهم همُّوا بكبسه فيها، وفعلوا معه ما أوجب غيظه.

ووجدت بخط بعض المكيين أن الحجاج لما نزلوا الأبطح فى هذه السنة تقاتلوا مع أهل مكة فى يوم النحر، وثانيه وثالثه، وفى اليوم الرابع سلم أمير مكة الحصن لأمير الحاج، فهدمه بعد ذلك، وذكر أنه لم يحج من أهل مكة إلاَّ القليل، وذكر ما سبق من إحراق الدُّور بمكة ونهبها، وأن من الدور المنهوبة الدور التى على أطراف البلد من ناحية الـــمَعْلاَة.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أسقط المكس عن الحجاج إلى مكة فى البحر، على طريق عَيْذاب على ما ذكر أبو شامة فى «ذيل الروضتين» لأنه قال فى أخبار هذه السنة: كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حجاج المغرب على عدد الرءوس، بما ينسب إلى الضرائب والمكوس، ومن دخل منهم ولم يفعل ذلك حُبس حتى يفوته الوقوف بعرفة، ولو كان فقيرًا لا يملك شيئًا، فرأى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إسقاط ذلك، ويعوض عنه أمير مكة، فقرر معه أن يحمل إليه فى كل عام مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح إلى ساحل جُدَّة، ووقف على ذلك وقوفًا، وخلّد بها إلى قيام الساعة معروفًا، فانبسطت لذلك النفوس، وزاد السرور، وزال البؤس، وصار يرسل أيضًا للمجاورين بالحرمين من الفقراء والشرفاء، ومدحه على ذلك ابن جُبَير بقصيدة أولها:

رفعت مغارم مكس الحجاز ... بإنعامك الشامل الغامر

انتهى.

وذكر ابن جبير فى أخبار رحلته شيئًا من أخبار هذا المكس، فقال: إنه كان يؤخذ من كل إنسان سبعة دنانير مصرية ونصف، فإنْ عجز عن ذلك عوقب بأليم العذاب من تعليقه بالأنثيين وغير ذلك، وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب، فمن لم يؤدها ووصل جُدّة، ولم يعلّم على اسمه علامة الأداء عُذّب لها أضعاف العذاب بعيذاب إن لم يؤد، وكانت هذه البلية فى مدة دولة العُبيديين، وجعلوها معلومًا لأمير مكة، وأزالها الله تعالى على يد السلطان صلاح الدين، وعُوّض أمير مكة عن ذلك ألفى دينار وألف أردب قمح، وإقطاعات بصعيد مصر وجهة اليمن[1]. انتهى بالمعنى.

ومنها: أنه كان يُخطَب بمكة للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وما عرفت وقت ابتداء الخطبة له بمكة، وإنما ابن جبير ذكر فى أخبار رحلته، أنه كان يُخْطَب بمكة للناصر العباسى، ثم لمكثر صاحب مكة، ثم للسلطان صلاح الدين، وكانت رحلة ابن جبير سنة تسع وسبعين وخمسمائة[2].

ومنها: أنه فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ازدحم الحجاج فى الكعبة، فمات منهم أربعة وثلاثون نفرًا ذكر هذه الحادثة ابن القادسى[3]، وابن البُزُورى فى «ذيل المنتظم» لابن الجوزى.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كانت بعرفة فتنة بين الحجاج العراقيين والشاميين استظهر فيها العراقيون على الشاميين وقُتل من الشاميين جماعة ونُهبت أموالهم وسبيت نساؤهم، إلاّ أنهنّ رددن عليهم، وجُرح ابن المقدّم أمير الركب الشامى جراحات أفضت به إلى الموت فى يوم النحر، وسبب هذه الفتنة أنه لم يسهل على طاشتكين أمير الركب العراقى ما قصده ابن المقدم من الدفع من عرفات قبله، فنهاه عن ذلك، فلم يقبل ابن المقدم ذلك، فأفضى الحال إلى قتال الفريقين، فكان ما جرى.

---

(١) رحلة ابن جبير ص٢٦.
(٢) رحلة ابن جبير ص٧٢.
(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «ابن القادس» وصوابه من الأصل وغاية المرام ١/ ٥٢٠.

ومنها: على ما وجدت بخطّ ابن محفوظ فى أخبار سنة سبع وستمائة كانت فيها وقعة عظيمة بمنًى، بين الحاجّ العراقى وأهل مكة، وقتل فيها عبد للشريف قتادة يسمى بلالاً، وهى مشهورة بسنة بلال. انتهى. ولم أر من ذكر هذه الحادثة بين العراقيين وأهل مكة فى هذه السنة، وإنما رأيت فى أخبار هذه السنة أن قتادة صاحب مكة نهب الحاج اليمنى، ولو وقع بينه وبين الفريقين فتنة لذكر ذلك، والله أعلم.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وستمائة كان بمنىً ومكة فتنة عظيمة، قُتل فيها الحجاج العراقيون ونُهبوا نهبًا ذريعًا، وقد ذكر هذه الحادثة جماعة من أهل الأخبار، ولم يشرحوا من أمرها مثل ما شرحه أبو شامة المقدسى فى «ذيل الروضتين» فاقتضى ذلك ذكْرنا لما ذكره، ونُتْبع ذلك بما لم يذكره، ولما خُولف فيه، ونصّ ما ذكره أبو شامة فى أخبار هذه السنة: فيها نُهب الحاج العراقى، وكان حجّ بالناس من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت نيابة عن أبيه ومعه ابن أبى فراس يفقهه ويدبره، وحج من الشام الصمصام إسماعيل أخو سياروخ[1] النجمى على حاج دمشق، وعلى حاج القدس الشجاع على بن سلار، وكانت ربيعة خاتون أخت العادل فى الحج، فلما كان يوم النحر بمنىً بعدما رمى الناس الجمرة، وثب الإسماعيلية على رجل شريف من بنى عم قتادة أشبه الناس به، وظنوه إياه، فقتلوه عند الجمرة[2].

ويقال: إنّ الذى قتله كان مع أم جلال الدين، وثار عبيد مكة والأشراف، وصعدوا على الجبلين بمنىً، وهللوا وكبروا وضربوا الناس بالحجارة والمقاليع والنشاب، ونهبوا الناس يوم العيد والليلة واليوم الثانى، وقُتل من الفريقين جماعة، فقال ابن أبى فراس لمحمد بن ياقوت: ارحلوا بنا إلى الزاهر منـــزلة الشاميين، فلما حملت الأثقال على الجمال حمل قتادة أمير مكة والعبيد، فأخذوا الجميع إلاّ القليل[3].

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «شاروخ» وصوابه من الأصل والذيل على الروضتين.
(٢) الذيل على الروضتين ــ ص ٧٨.
(٣) الذيل على الروضتين ــ ص ٧٨.

وقال قتادة: ما كان المقصود إلاَّ أنا، والله لا أبقيت من حاجّ العراق أحدًا.

وكانت ربيعة خاتون بالزاهر ومعها ابن السلار وأخو سياروخ وحاج الشام، فجاء محمد بن ياقوت أمير الحج العراقي، فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيرًا بها، ومعه خاتون أم جلال الدين، فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار إلى قتادة تقول له: ما ذنب الناس قد قتلت القاتل، وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين، واستحللت الدماء فى الشهر الحرام فى الحرم والمال، وقالت له: قد عرفت مَن نحن، والله لئن لم تنته لأفعلن وأفعلنَّ، فجاء إليه ابن السلار فخوَّفه وهدَّده وقال: ارجع عن هذا وإلا قصدك الخليفة من العراق ونحن من الشام، فكف عنهم وطلب مائة ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفًا من أمير الحاج العراقى ومن خاتون أم جلال الدين، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون، بين قتيل وجريح ومسلوب وجائع وعريان(١).

وقال قتادة: ما فعل هذا إلاَّ الخليفة، ولئن عاد يقرب أحد من بغداد إلى هنا لأقتلن الجميع.

ويقال: إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألف ألف دينار، وأذن للناس فى الدخول إلى مكة، فدخل الأصحاء والأقوياء، فطافوا وأى طواف ومعظم الناس ما دخل، ورحلوا إلى المدينة ودخلوا بغداد على غاية الفقر والذل والهوان، ولم ينتطح فيها عنْزان(٢). انتهى.

وأما قول أبى شامة: ولم ينتطح فيها عنْزان، فسببه أن قتادة أرسل ولده راجحًا وجماعة من أصحابه إلى بغداد، فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة، والأكفان، فقبَّلوا العَتَبة، واعتذروا مما جرى على الحاج، فقبل عذرهم، ووصل لقتادة فى سنة تسع وستمائة مع الركب العراقى مال وخلع، ولم يظهر له إنكار عليه فيما تقدم من نهب الحاج، ولكنه استدرج باستدعائه بالحضور إلى بغداد فلم يفعل، وقال فى ذلك أبياتًا مشهورة، وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن الحجاج

---

(١) الذيل على الروضتين ـــ ص ٧٨.
(٢) ذيل الروضتين ٧٩.

العراقيين رحلوا من مِنًى ونزلوا على الحجاج الشاميين بمِنًى، ثم رحلوا جميعًا إلى الزاهر، لأنه قال بعد أن ذكر مبيت الحجاج بمنًى بأسْوَء حالٍ من خوف القتل والنهب فى الليلة التى تلى يوم النحر، فقال بعض الناس لأمير الحاج: انتقل بالناس إلى منـــزلة حجاج الشام، فأمر الناس بالرحيل، ثم قال بعد أن ذكر نهبهم فى حال رحلتهم: والتحق من سلم بحجاج الشام، فاجتمعوا بهم، ثم رحلوا إلى الزاهر. انتهى. وهذا يخالف ما ذكره أبو شامة، فإنّ كلامه يقتضى أن العراقيين لما رحلوا من مِنى نزلوا على الشاميين بالزاهر.

وذكر ابن الأثير أن القاتل للشريف بمنًى كان باطنيًا وذكر ابن سعيد المغربى هذه الحادثة فى تاريخه، وذكر فيها أن القاتل للشريف بمنًى شخص مجهول، فظنّ الأشراف أنه حَشيشىّ[1] فقتلوه، وذكر قتلهم للحجيج العراقيين ونهبهم لهم بمنى، ثم قال: وفعلوا مثل ذلك بمن كان من الحاج فى مكة، وذكر ما سبق فى أخذ أهل مكة ثلاثين ألف دينار من الحجّاج العراقيين على تمكينهم من دخول مكة، لطواف الإفاضة، وذكر ابن محفوظ هذه الحادثة، وذكر فيها أنّ القاتل للشريف بمنى حَشيشِىٌّ، وأنّ المقتول يسمّى هارون، ويكنى أبا عزيز، قال: وخرج من كان بمكة من نواب الخليفة ومن المجاورين، منتقلين من مكة إلى سائر الأقطار. انتهى باختصار.

ومنها: أنه فى سنة إحدى عشرة وستمائة حج الملك المعظَّم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وتصدق فى الحرمين بمال عظيم، وحمل المنقطعين، وزودهم، وأحسن إليهم، وجدّد البِرَك والمصانع، وراعى فى حجه ما يطلب فعله، ومما فعله من ذلك أنه بات بمِنى ليلة عرفة وصلى بها الصلوات الخمس، ثم سار إلى عرفة، ولما وصل إلى مكة تلقّاه قتادة وحضر فى خدمته، فقال له المعظّم: أين تنـــزل؟ فقال قتادة: هناك، وأشار بسوطه إلى الأبطح، فاستكثر ذلك منه المعظّم، لأنّ صاحب المدينة أنزل المعظّم فى داره بالمدينة، وسلم إليه مفاتيح المدينة، وبالغ

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «حشيش» وصوابه من الأصل ثم شرح العالمان الفاضلان هذا التحريف بالهامش!.

فى خدمته والإهداء إليه، ولأجل ذلك أعان المعظّم أمير المدينة بجيش حارب به قتادة.

ومنها: أنه كان يخطب بمكة للعادل أبى بكر بن أيوب صاحب مصر والشام، وأظن أن ذلك بعد ملك حفيده الملك المسعود بن الملك الكامل بن العادل لليمن، وكان ملكه لليمن فى سنة اثنتى عشرة وستمائة، وقيل: سنة إحدى عشرة وستمائة.

ومنها: أنه فى سنة تسع عشرة وستمائة، كان بمكة وقت الحج فتنة غُلّقت فيها أبواب مكة دون الحجاج، وقتل فيها أمير الحاج العراقيين آقباش[1] الناصرى وسبب ذلك أنه لما حجّ فى هذه السنة اجتمع به فى عرفات راجح بن قتادة، وسأله أن يوليه إمرة مكة لأن أباه مات فى هذه السنة فلم يجبه أقباش، وكان مع آقباش خِلَع وتقليد لحسن بن قتادة، فظن حسن أن آقباش ولّى أخاه، فأغلق أبواب مكة، ووقعت الفتنة بين حسن وأخيه، ومنع حسن الناس من الدخول إلى مكة، فركب آقباش من الشبيكة، وكان نزل بها بعد أيام منى ليسكّن الفتنة ويُصْلح بين الأخوين، فخرج أصحاب حسن من باب المَعْلاَة يقاتلونه، فقال: ما قصدى قتال، فلم يلتفتوا إليه، وانهزم أصحابه، وبقى وحده، فعُقِرت فرسه، فوقع إلى الأرض، فقتلوه وحملوا رأسه إلى حسن بن قتادة على رمح، فنصبه بالمسعى عند دار العباس، ثم ردّه إلى جسده ودفنوه بالمَعْلاَة.

وأراد حسن نهب الحاجّ العراقى، فمنعه أمير الحاج الشامى وخوّفه من الأخوين: الكامل ملك مصر والمعظّم ملك دمشق، فترك ذلك حسن، هذا ملخص بالمعنى مما ذكره أبو شامة فى خبر هذه الحادثة وذكر ما يدل على أن حسن لم يكن له علم بما صنعه أصحابه مع آقباش، لأنه قال: قلت: وكان فى حاجّ الشامى فى هذه السنة شيخنا فخر الدين أبو منصور بن عساكر، فأخبرنى بعض الحجاج فى ذلك العام أن حسن بن قتادة أمير مكة جاء إليه وهو نازل داخل مكة، فقال له:

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «أقباش».

قد أخبرت أنك خير أهل الشام، فأريد أن تسير معى إلى دارى فلعل ببركتك تزول هذه الشدة، فسار معه إلى داره جماعة من الدمشقيين، فأكلوا شيئًا، فما استتم خروجهم من عنده حتى قتل آقباش، وزال ذلك الاستيحاش. انتهى.

وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن هذه القضية كانت فى سنة ثمان عشرة وستمائة، وأن آقباش أجاب إلى تولية راجح، لأنه ذكر موت قتادة فى هذه السنة، ثم قال بعد شرح شىء من حاله: فلما سار حجاج العراق كان الأمير عليهم مملوكًا من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه آقباش، وكان حسن السيرة مع الحاج فى الطريق كثير الحماية، فقصده راجح بن قتادة وبذل له وللخليفة مالاً يساعده على ملك مكة، فأجابه إلى ذلك ووصلوا إلى مكة، فنـزلوا بالزاهر، وتقدم إلى مكة مقاتلاً لصاحبها حسن، وكان قد جمع جموعًا كثيرة من العرب وغيرها، فخرج إليه من مكة وقاتله، وتقدم أمير الحاجّ من بين عسكره منفردًا، وصعد جبلاً إدلالاً بنفسه، وأنه لا يقدّم أحد عليه، فاحتاط به أصحاب حسن وقتلوه، وعلّقوا رأسه فانهزم عسكر أمير الحاج، وأحاط أصحاب حسن بالحاجّ لينهبوهم، فأرسل إليهم حسن عمامته أمانًا للحاج، فعاد أصحابه عنهم ولم ينهبوا منهم شيئًا.

وسكن الناس، وأذن لهم فى دخول مكة، وفعل ما يريدون من الحج والبيع وغير ذلك، وأقاموا بمكة عشرة أيام، وعادوا فوصلوا إلى العراق سالمين، وعظم الأمر على الخليفة، فوصلته رُسُل حسن تعتذر وتطلب العفو منه، فأجيب إلى ذلك.

ومنها: أنه فى سنة سبع عشرة وستمائة لم يحج أحد من العجم بسبب التتار، على ما ذكره أبو شامة فى «ذيل الروضتين»[١].

ومنها: أنه فى سنة تسع عشرة وستمائة مات بالمسعى جماعة من الزحام، لكثرة الخلق الذين حجّوا فى هذه السنة من العراق والشام[٢].

(١) ذيل الروضتين ١٢٢.
(٢) ذيل الروضتين ١٣٢.

وفيها حج من اليمن صاحبها الملك المسعود، وبدا منه ما هو غير محمود، على ما ذكر أبو شامة لأنه قال: قال أبو المظفر يعنى سبط ابن الجوزى: وحج بالناس من اليمن أقسيس بن الملك الكامل، ولقبه المسعود، فى عسكر عظيم، فجاء إلى الجبل، وقد لبس هو وأصحابه السلاح، ومنع علم الخليفة أن يصعد به إلى الجبل، وأصعد علم أبيه الكامل وعلمه، وقال لأصحابه إنْ أطْلَعَ البغادِدةُ عَلَمَ الخليفة فاكسروه وانهبوه، ووقفوا تحت الجبل من الظهر إلى غروب الشمس يضربون الكوسات ويتعرّضون للعراقى، وينادون: يا ثارات ابن المقدم، فأرسل ابن أبى فراس أباه شيْخًا كبيرًا إلى أقسيس وأخبره بما يجب من طاعة الخليفة وما يلزمه فى ذلك من الشفاعات[1]، فيقال إنه أذن فى صعود العلم قبيل الغروب، وقيل: لم يأذن، قال: وبدا من أقسيس هذا فى تلك السنة جبروت عظيم، حكى لى شيخنا جمال الدين الحصيرى قال: رأيت أقسيسًا قد صعد على قبة زمزم، وهو يرمى حمام مكة بالبندق، قال: فرأيت غلمانه فى المسعى يضربون الناس بالسيوف فى أرجلهم، ويقولون: اسعوا قليلاً قليلاً فإنّ السلطان نائم سكران فى دار السلطنة التى بالمسعى، والدم يجرى من سيقان الناس[2].

قلت: واستولى أقسيس هذا على مكة وأعمالها، وأذلَّ المفسدين فيها وشتت شملهم، وهو الذى بنى القبة على مقام إبراهيم عليه السلام، وكثر الجلب إلى مكة من مصر واليمن فى أيامه، فرخصت الأسعار، ولعظم هيبته قلّت الأشرار وأمنت الطرق والديار. انتهى.

وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن حج الملك المسعود ومنعه من طلوع علم الخليفة كان فى سنة ثمان عشرة، لأنه قال فى أخبار سنة ثمان عشرة، بعد ذكره لشيء من خبر قتادة وابنه حسن، وخبر آقباش: وفى هذه السنة حج بحجاج الشام

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «الشناعة» وصوابه من الذيل على الروضتين ــ ص ١٣٢ ــ الذى ينقل عنه المصنف، ورواية الأصل: «الشفاعة».

(٢) الذيل الروضتين ــ ص ١٣٢.

كريم الدين الخلاطى، وحضر الملك المسعود[1] صاحب اليمن مكة، ومنع أعلام الخليفة من الطلوع إلى جبل عرفات، ومنع حاجّ العراق من الدخول إلى مكة يومًا واحدًا، ثم بعد ذلك لبس خلعة الخليفة، واتفق الأمر، وفتح باب مكة، وحج الناس، وطابت قلوبهم. انتهى.

وهذا الذى ذكره ابن الأثير من منع الملك المسعود للحاج العراقى من دخول مكة، لم أره لغيره، والله أعلم. انتهى.

ومنها: أن أبا شامة قال فى أخبار سنة إحدى وعشرين وستمائة، وهى أول السنين الأربع المتصلة التى وجد الحج فيها هنيئًا مريئًا من رخص الأسعار، والأمن فى الطريق الشامية وبالحرمين، أما فى المدينة فسببه أنّ أميرها كان من أتباع صاحب الشام الملك المعظم عيسى، فكان يدير الحرس على الحاج الشامى ليلاً، وأما بمكة فسببه أنها صارت فى المملكة الكاملية المسعودية، فانقمع بها المفسدون، وسهل على الحجاج أمر دخول الكعبة، فلم يزل بابها مفتوحًا ليلاً ونهارًا مدة مقام الحج فيها، وكان الكامل قد أرضى بنى شيبة سَدَنَة [الكعبة بمال أطلقه لهم عوضا عما كانوا يأخذونه بإغلاق الباب وفتحه لمن أرادوا وكان الناس ينالون من ذلك شدة][2]، ويزدحمون عند فتح الباب، ويتسلق بعضهم على رقاب بعض، لأن الباب مرتفع عن الأرض بنحو قامة رجل، فيقع بعضهم على بعض، فيموت بعض وينكسر بعض، ويشج بعض، فزال ذلك عن الناس تلك السنة وما بعدها مدة بقاء مكة فى المملكة الكاملية[3]. انتهى.

ومنها: أنه كان يُخطب بمكة للملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية، وأظنّ أنّ ذلك وقع بعد أن ملك ابنه الملك المسعود مكة، وقد سبق أنه ملك مكة بعد أبيه المسعود، وما جرى بين عساكره وعساكر صاحب اليمن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول فى أمر ولاية مكة، واستيلاء عسكر

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «المسعودى» وصوابه من الأصل.
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو من الأصل وأبى شامة.
(٣) الذيل على الروضتين ــ ص ١٤٢.

كل منهما عليها، وكان يُخطب لكل منهما فى حال استيلاء عسكره على مكة، والله أعلم.

ومنها: أنه فى سنة خمس وعشرين وستمائة، وفى سنة ست وعشرين، وسبع وعشرين وستمائة، لم يحج أحد من الشام فى هذه الثلاث سنين، على ما ذكر ابن كثير(١)، وذكر أبو شامة ما يدل لذلك، لأنه قال فى أخبار سنة أربع وعشرين: وانقطع ركب الحج بعدها، بسبب ما وقع بالشام من الاختلاف والفتن. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة أربع وعشرين(٢) وستمائة حج من ميّافارقين سلطانها الشهاب غازى بن العادل بن أبى بكر بن أيوب، وكان ثقله على ستمائة جمل، على ما ذكر سبط ابن الجوزى.

ومنها: أنه فى سنة تسع وعشرين وستمائة خُطب بمكة للملك المنصور نور الدين صاحب اليمن، وهى أول سنة خُطب له فيها بمكة، وكان يُخطب له فى المدة التى تكون فى ولاية عسكره.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة حج الملك المنصور نور الدين صاحب اليمن على النُّجُب حجًّا هنيًّا، ورجا أن يصله بمكة تقليد من الخليفة المستنصر العباسى وخلعة، لأنه كان سأل ذلك من المستنصر، وأهدى إليه هدية، فوعده المستنصر بإرسال ذلك إليه إلى عرفة، فلم يصله ذلك فى سنة حجه، ووصله فى التى بعدها.

ومنها: أنه فى سنة أربع وثلاثين وستمائة، على ما ذكر ابن البزُورى، لم يحجّ فيها ركب العراق، ولم يحج أيضًا العراقيون خمس سنين متوالية بعد هذه السنة، من سنة خمس وثلاثين إلى سنة أربعين، ذكر ذلك ابن البزورى فى ذيل المنتظم، ووجدت بخط ابن محفوظ ما يقتضى أن الحجاج العراقيين لم يحجوا سنة ثلاث

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٦٦.

(٢) كذا فى الأصل، ومثله فى طبعة تدمرى ومثله أيضًا لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٣/ ٤٣ فى أخبار سنة ٦٢٤هـ، وكذلك لدى أبى شامة فى الذيل على الروضتين فى أخبار سنة ٦٢٤، وفى طبعة الذهبى ٦٢٧هـ.

وثلاثين، لأنه قال فى أخبار سنة أربعين وستمائة: وحج العراقى فى تلك السنة، بعد أن أقام سبع سنين لم يحج. انتهى. ولا يستقيم ما ذكره من أن العراقى لم يحج سبع سنين إلا بأن يكون انقطع من الحج سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

ومنها: أن فى سنة سبع وثلاثين وستمائة خطب بمكة لصاحب مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل أخى الملك المسعود، وقد سبق ما كان بين عسكره وعسكر صاحب اليمن المنصور من استيلاء كل من العسكرين على مكة حينًا.

ومنها: أنه فى سنة تسع وثلاثين وستمائة حج الملك المنصور نور الدين عمر ابن على بن رسول صاحب اليمن، وصام رمضان فى هذه السنة بمكة، وفيها أبطل السلطان نور الدين المذكور عن مكة سائر المكوسات والجبايات والمظالم، وكتب بذلك مربّعة وجُعلت قبالة الحجر الأسود، ودامت هذه المربعة إلى أن قلعها ابن المسيب لما ولى بمكة فى سنة ست وأربعين وستمائة، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة.

ومنها: أنه فى سنة أربع وأربعين وستمائة، وسنة خمس وأربعين وستمائة، لم يحج الحاج العراقى على ما وجدت بخطّ ابن المحفوظ.

ومنها: على ما وجدت بخطه أن فى سنة خمسين وستمائة، فيها حجّ العراقى، ولم يذكر أنه حج فيما بين سنة خمس وأربعين وهذه السنة، وذلك مُشْعِرٌ بتخلف العراقى(١) عن الحجّ فى هذه السنة، والله أعلم.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة خطب بمكة لصاحب مصر الملك الأشرف موسى بن الملك الناصر يوسف بن الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل، ولأتابك الملك المعز أيبك التركمانى الصالحى، وفيها تسلطن أيبك المذكور فى شعبان.

---

(١) فى المطبوعتين: «العراق» والمثبت رواية الأصل.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة كادت أن تقع الفتنة بين أهل مكة والركب العراقى، وسكّن الفتنة الملك الناصر داود بن المعظم عيسى صاحب الكرك، بعد أن ركب أمير الحاج العراقى بمن معه للقتال، لأن الناصر اجتمع بأمير مكة، وأحضره إلى أمير الحاج مذعنًا بالطاعة، وقد حمل عمامته فى عنقه، فرضى أمير الحاج وخلع عليه، وزاده على ما جرت به العادات من الرسم، وقضى الناس حجتهم، وهم داعون للملك الناصر شاكرون صنعه.

ومنها: على ما وجدتُ بخط الشيخ أبى العباس المَيُورقى أنه لم يحج سنة خمس وخمسين وستمائة من الآفاق رَكْب سوى حجاج الحجاز. انتهى. وما عرفت المانع لحجاج مصر والشام من الحج فى هذه السنة، وأما العراقيون، فالمانع لهم التتار لإفسادهم فيها وقصدهم الاستيلاء على بغداد، وتم لهم ذلك فى سنة ست وخمسين، وقتلوا الخليفة المستعصم وغيره من الأعيان وغيرهم، وأسرفوا فى القتل، حتى قيل إن هولاكو ملك التتار أمر بعَدّ القتلى، فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكثر بعد هذه السنة انقطاع الحجاج العراقيين من الحج، ولا سيما فى بقية هذا القرن، فإنى لا أعلم من حجهم فى ذلك إلا اليسير، كما سيأتى بيانه، ولم يبق للحجاج العراقيين تقدم فى أمر الحج وفى مشاعره، كما كان لهم ذلك فى زمن الخلفاء العباسيين، لأن التتار بعد إزالتهم للخلافة العباسية من بغداد لم تكن لهم ولاية على الحرمين، وصار التقدم فى إقامة الحج بمشاعره لأمير الحاج المصرى، لكون السلطان بالديار المصرية نافذ الأمر فى الحرمين الشريفين، ويقوم بمصالحهما من كسوة البيت الحرام وغير ذلك.

وأول من قام بذلك بعد العباسيين والخلفاء من ملوك مصر الظاهر بيبرس البُنْدُقْدارى الصالحى، وقام بذلك بعده ملوك مصر، إلاّ أن كسوة الكعبة، صارت تُعمل من غلة قريةٍ ظاهر القاهرة، وَقَفَها الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، على كسوة الكعبة فى كل سنة، ومع ذلك فيُكتب فى كسوة الكعبة اسم السلطان بمصر.

وكان أمر بيبرس نافذًا فى الحجاز، وخُطب له به، وكذلك غالب مَن بَعْدَه من ملوك مصر، والذى أشك فى الخطبة لهم بمكة من ملوك مصر بعد الظاهر بيبرس أبناءه: السعيد، وسلامش، والعادل كتبغا، ولاجين المنصورى، ويغلب على ظنى أنه خُطب لجميعهم غير سلامش، إلا أنه ربما قُطعت خطبة بعضهم من مكة حينًا، وخُطب عِوَضه لصاحب اليمن، واتفق ذلك لصاحب مصر الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون الصالحى، ولا يبعد أن يكون اتفق قبل ذلك للمنصور قلاوون وللظاهر بيبرس وابنه السعيد، والله تعالى أعلم، لاضطراب حال أبى نُمَىّ أمير مكة فى المَيْل حينًا إلى صاحب اليمن، وحينًا إلى صاحب مصر ـــ وأما ملوك مصر بعد الأشرف خليل غير كُتُبغا ولاجين، فما علمت أن أحدًا منهم انقطعت خطبته من مكة، إلاَّ ما قيل من أن حُمَيْضة بن أبى نُمَىّ لما استولى على مكة بعد رجوعه من العراق، قطع خطبة الملك الناصر صاحب مصر، وخطب لملك العراق أبى سعيد بن خَرْبَنْدا، وذلك فى آخر سنة سبع عشرة، أو فى أول سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وبعض ملوك مصر هؤلاء لم يُخطب له بمكة، وهو المنصور عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق، لقصَر مدته، فإنها كانت سبعين يومًا فى مدة اختفاء أخيه الناصر فرج، وما اتفق أنه أرسل نجّابًا[1] على مكة يخبر بولايته، حتى يخطب له، ولكن وصل الخبر بذلك من غير نجّاب له، فترك الخطيب الخطبة للناصر، وصار يدعو لصاحب مصر بها، فلما عاد الناصر إلى السلطنة صرَّح باسمه فى الخطبة، وكان ذلك فى النصف الأول من سنة ثمان وثمانمائة، وكان للملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من نفوذ الكلمة بالحجاز ما لم يكن لأحد قبله من ملوك الترك بمصر، بسبب أن الملك الناصر المذكور أرهب أولاد أبى نُمَىّ بالولاية، والعزل لهم فى أمر مكة، والقبض على بعضهم، وتجهيز العساكر غير مرة إلى مكة لإصلاح أمرها، وتقوية من يوليه أمرها، وتم لملوك مصر بعد الملك الناصر مثل ما تم له من كثرة نفوذ أوامرهم بالحجاز، وانفردوا بالولاية فيه دون ملوك اليمن وغيرهم.

---

(١) هو رسول البريد.

ومنها: أنه فى سنة تسع وخمسين وستمائة حج الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن، وتصدق بصدقة جيدة عمت الناس، وغسل الكعبة بنفسه، وطيبها، ونثر عليها الذهب والفضة، وكسا البيت، وأقام بما يطلب من مصالح الحرم وأهله، وهو أول من كسا البيت بعد الخلفاء العباسيين، وقام بمصالح الحرم، وتولّى ذلك مع تولى مصر له فى سنين، وكان يخطب له فى مكة فى غالب مدة سلطنته وخطب بمكة من بعده لذريته ملوك اليمن إلى تاريخه بعد ملوك مصر.

ومنها: على ما قال الميورقى أنه لم تُرفع راية لملك من الملوك سنة ستين، كسنة خمسٍ وخمسين وستمائة. انتهى. منقولاً من خطه، وأراد بذلك وقت الوقوف بعرفة.

ومنها: أنه فى سنة ست وستين وستمائة، على ما قال الظهير الكازرونى فى ذيله: أمَّن الصاحب غرب طريق الحجاز، وتوجه الحاجّ من بغداد فى أمن. انتهى. وهذه السنة أول سنة حج فيها العراقيون بعد استيلاء التتار على بغداد فيما علمت.

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وستين وستمائة حج السلطان الظاهر بيبرس الصالحى صاحب مصر والشام، فى ثلاثمائة مملوك وجماعة من أعيان الخليفة وغيرهم، وتصدق فى الحرمين بمال عظيم، وأحسن إلى أمراء الحجاز، إلاَّ أمير المدينة جماز بن شيحة وابن أخيه مالك بن منيف، لأنهما لم يواجهاه خوفًا منه، وغسل الكعبة بنفسه، وزاد أميرى مكة إدريس بن قتادة وأبا نُمَىّ جملة من المال والغلال فى كل سنة بسبب تسبيل المسجد الحرام.

ومنها: على ما وجدتُ بخطّ ابن محفوظ أنّ فى سنة سبعٍ وستين وستمائة: لم يحج فيها أحد من مصر لا فى البر ولا فى البحر. انتهى.

ومنها: على ما قال الظهير الكازرونى فى أخبار سنة تسعٍ وستين وستمائة: وحج الناس من بغداد. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة أربعٍ وسبعين وستمائة أقام الحجاج بمكة ثانية عشر يومًا، وبالمدينة عشرة أيام، وهذا شيء لم يُعهدْ، ذكر هذه الحادثة ابن الجزرى.

ومنها: على ما وجدتُ بخطّ الميُورقي أنه فى يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة سنة سبعٍ وسبعين وستمائة ازدحم الحجاج فى خروجهم إلى العُمْرة من باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة، فمات بالزحمة جمع كثير يبلغون ثمانين نفرًا، وقال لنا مكى: عددتُ خمسة وأربعين ميتًا. انتهى باختصار. ووجدت هذه الحادثة بخط غيره، وذكر أنها فى ثالث عشر ذى الحجة، وأنها اتفقت حين خرج الحجاج إلى العُمرة من باب العُمْرة من المسجد الحرام.

ومنها: أنه فى سنة ثمانين وستمائة وقف الناس بعرفة يومين: يوم الجمعة والسبت احتياطًا، وذكر هذه الحادثة ابن الفركاح فى تاريخه.

ومنها: أنه فى سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة كان بين أبى نُمَىّ صاحب مكة وأمير الحاج المصرى علم الدين الباشقردى كلام، أفضى إلى أن أغلق أبو نُمَىّ أبواب مكة، ولم يمكّن أحدًا من دخولها، فلما كان يوم التروية أحرق الحجاج باب الـمَعْلاَة، ونقبوا السور، وهجموا على البلد، فهرب أبو نُمَىّ وجَمْعه، ودخل الناس مكة، ووقع الصلح بينهم وبين أهل مكة على يد الصاحب بدر الدين السنجارى، وذكر بعضهم أن سبب هذه الفتنة أن بعض أمراء بنى عقبة حج فى هذه السنة، وكان بينهم وبين أبى نُمَىّ معاداة، فتحيل أبو نُمَىّ أنه إنّما جاء ليأخذ مكة، وغلق أبوابها ولم يمكّن أحدًا من دخولها، فكان ما ذكرناه، وقد ذكر هذه الحادثة ابن الفركاح تاج الدين مفتى الشام، بمعنى ما ذكرناه مختصرًا، وقال بعد ذكره لها: إن من الحجاج فى هذه السنة بدر الدين بن جماعة، وأنه حدثه أن ابن العُجَيل، يعنى شيخ اليمن أحمد بن موسى، لم يحج فى هذه السنة، وقيل له فى ذلك فقال: السنة ما أحج، ولا بد أن تقع فتنة فى مكة، قال: وهذا من كرامته، نفعنا الله به.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وثمانين وستمائة، على ما ذكر ابن الفركاح، وصل من العراق ركب كبير، ولم يصل ركب اليمن، وإنما جاء منهم آحاد، ووقف

الناس يومين: يوم الجمعة ويوم السبت، لأنه ثبت عند القاضى جلال الدين ابن القاضى حسام الدين، وكان فى الركب الشامى: أنْ أول الشهر كان يوم الخميس. ولم يوافقه الشيخ محب الدين الطبرى شيخ مكة وفقيه الحجاز، وقال: كان أول الشهر الجمعة. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة تسع وثمانين وستمائة، على ما قال ابن الفركاح، كانت فيها فتنة بين الحجاج وأهل مكة، وتقاتلوا فى الحرم، وكان الأصل فى ذلك أجناد من المصريين، بسبب فرس، فانتهى الأمر إلى أن شُهرت السيوف بالحرم الشريف، نحوًا من عشرة آلاف سيف، ونُهبت جماعة من الحجاج وجماعة الحجازيين، وقُتل من الفريقين جمع كثير، قيل: فوق أربعين نفسًا، وجُرح خلق كثير، ولو أراد الأمير أبو نُمَىّ أخذ الجميع أخذهم، ولكنه تثبت. انتهى. وقال ابن الجزرى فى أخبار سنة تسع وثمانين وستمائة: وكان مع ركب الشام الأمير عبية أمير بنى عُقْبة، وكان بينه وبين أبى نُمَىّ صاحب مكة معاداة، فتخيل صاحب مكة أنه ما جاء إلا ليأخذ مكة شرَّفها الله، فغلق باب مكة ولم يمكن أحدًا من أصحاب عبية من الدخول إلى مكة، فطلعوا أصحاب عبية من جبال مكة، ودخلوها قهرًا، وأحرق المصريون باب مكة، ونهبوا من الدباغات الطاقات الأدم، وجرى كل قبيح من الفريقين، وقُتل من الطائفتين جماعة، ثم إنهم راسلوا صاحب مكة واتفقوا معه فدخلوا وطافوا حجهم، ثم قال: والذى حجّ بالناس من مصر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى. انتهى. وإنما ذكرنا هذا لأنه يخالف ما ذكره ابن الفركاح فى سبب الفتنة فى هذه السنة، والله أعلم، وذكر ابن محفوظ ما يخالف ما ذكره ابن الجزرى، فيمن كان أمير الحاج فى هذه السنة، لأنى وجدت بخطه أن فى تسع وثمانين وستمائة حج أمير يقال له الفارقانى، ووقع بينه وبين أهل مكة قتال عند درب الثنية. انتهى. ودرب الثنية هو درب الشبيكة بأسفل مكة.

ومنها: أن ابن محفوظ قال فى أخبار سنة اثنتين وتسعين وستمائة: ووقف الناس الاثنين والثلاثاء. انتهى.

ومنها: على ما وجدت بخط ابن محفوظ فى أخبار سنة ثلاث وتسعين وستمائة: وحصل بعرفة جفلة عظيمة شنيعة، وكان سببها أن بعض أولاد أبى نمىّ نهى مملوكًا فأخطأ عليه المملوك، فجفل الناس. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة أربع وتسعين حج فيها الملك المجاهد أنس ابن السلطان الملك العادل كُتُبغا المنصورى صاحب الديار المصرية والشامية، وحجّ فى خدمته جماعة من الأمراء والأُدُر السلطانية، وحصل لهم رفق كثير لأهل الحرمين، وشُكرت سيرة الملك أنس المذكور، وبذل المال لصاحب مكة وأتباعه، ويقال: إن الذى نال صاحب مكة منه نحو سبعين ألف درهم.

وحجّت فى هذه السنة عمة صاحب ماردين مع الركب الشامى، وكان لها محمل كبير وسبيل كثير، وتصدقت بمال كثير، وانتفع بها الحاج وأهل الحرمين وأمراء مكة والمدينة، وذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه ابن الجزرى وغيره.

ومنها: أنه فى سنة سبع وستمائة حج الخليفة أبو العباس أحمد ابن الأمير حسن بن على بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد بالله العباسى الملقب بالحاكم، ثانى الخلفاء العباسيين بعد المستعصم، وأول من أقام بمصر من الخلفاء العباسيين، وحج معه عياله، وأعطاه صاحب مصر المنصور لاجين سبعمائة ألف درهم، وحج فيها أمير العرب مُهَنّا بن عيسى بن مهنا، وشُكرت سيرته، لأنه تصدق بأشياء كثيرة، وحمل المنقطعين وأطعم العَيْش للناس كافة.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وتسعين وستمائة حصل للحاج تشويش بعرفات وهَوْشَة[1] فى نفس مكة، ونُهب خلق كثيرون، وأخذت ثيابهم التى عليهم، وقُتل خلق وجُرح جماعة، وقيل إن المقتولين فى هذه الفتنة أحد عشر نفرًا، وحصل لأبى نُمَىّ صاحب مكة من الجمال المنهوبة خمسمائة جمل، ذكر هذه الحادثة والتى قبلها بمعنى ما ذكرناه ابن الجزرى.

ومنها: أنه فى سنة تسع وتسعين وستمائة لم يحجّ أحد من الشام، وحجّ الناس من الديار المصرية، ذكر هذه الحادثة ابن الجزرى.

---

(١) هاش القوم هوشا: هاجوا واضطربوا.

ومنها: أنه فى سنة سبعمائة لم يحج فيها أحد من الشام، إلاَّ أنه خرج عن دمشق جماعة إلى غزة، ومن غزة إلى أيلة وصبحوا المصريين، ذكر ذلك البرزالى.

ومنها: أنه فى سنة ثلاثٍ وسبعمائة حجّ من مصر نائب السلطنة بها الأمير سيف الدين سلار، وحج معه خمسة وعشرون أميرًا، وتصدق سلار بصدقات كثيرة سدَّ بها فاقة ذوى الحاجات، وانتفع بها المجاورون بمكة وأهلها الأشراف وغيرهم، وفعل بالمدينة مثل ذلك، وكان قد جهز للصدقة فى البحر عشرة آلاف أردبّ قمح، وتصدّق الأمراء الذين حجوا معه، وتوجهوا إلى المدينة ثم إلى القدس، وتوجهوا منه إلى مصر فدخلوها مع دخول الركب المصرى، ذكر هذه الحادثة البرزالى بمعنى ما ذكرناه.

ومنها: أنه فى سنة أربعٍ وسبعمائة أبطل أمراء مكة حُمَيضة ورُمَيثة ابنا أبى نُمَىّ شيئًا من المكوس فى هذه السنة والتى قبلها.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وسبعمائة حج من مصر ونواحى الغرب ومن بلاد العراق والعجم خلق لا يحصيهم إلاَّ الله تعالى.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وسبعمائة كانت بمنًى جفلة عظيمة، وحصل الحرب بين المصريين والحجازيين، وكان مقدم الركب المصرى الأمير سيف الدين أبغية، وكان كافر النفس ومقدامًا على الجرائم سفك من السرو جماعة، وجعل عوض نحر البدن نحرهم(١)، ذكر هاتين الحادثتين هكذا صاحب «بهجة الزمن فى تاريخ اليمن» التاج عبد الباقى اليمانى، وذكر هذه الحادثة التى فى سنة أربعٍ بمعنى ما ذكرناه.

وذكر البرزالى ما يقتضى أن الفتنة التى كانت بين المصريين والحجازيين فى سنة خمسٍ، على ما ذكر صاحب «البهجة» لأنه قال فى أخبار سنة ست وسبعمائة، وشرح من أمرها ما لم يذكر صاحب «البهجة» لأنه قال فى أخبار سنة ست وسبعمائة: فيها كان أمير الركب المصرى سيف الدين أبغية فقحق

---

(١) بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ـــ ص ٢٤٥.

السلحدار، ثم قال: ووقع فى أيام الحج بِمنى قتل ونهب، وكان مبدأ ذلك هوشة وقعت فى السوق بمنى، ونهب شيء، ثم تفاقم الأمر، ولم يحصل ذلك إلاّ بالسوق خاصة، وانطلق العسكر خلف من فعل ذلك، فلم يعلم وهرب المكيون فى الجبال، وانطلق معهم جماعة من السرو إلى ذيل الجبل، فحصل فيهم [قتل] من العسكر، ووُسِّط منهم نفر يسير عند الجمرة، لتسكين الأمر، وإظهار الهيبة والقدرة، فسكن الناس ولكن بقى عندهم خوف ووجل[1].

ومنها: أنه فى سنة تسع وسبعمائة لم يحج من الشام أحد على العادة إلاّ أن طائفة يسيرة من التجار وأهل الحجاز، خرجوا من دمشق إلى غزة ومنها إلى أيلة واجتمعوا بالمصريين وصحبوهم، ذكر هذه الحادثة البرزالى[2].

ومنها: أنه فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، ومعه من خواص عسكره نحو أربعين أميرًا، ذكر ذلك البرزالى[3]، وذكر صاحب «بهجة الزمان» أنّ الملك الناصر المذكور حجّ فى هذه السنة فى مائة فارس وستة آلاف مملوك على الهجن، وسار من دمشق إلى مكة فى اثنتين وعشرين يومًا[4]. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة ستّ عشرة وسبعمائة حج فيها الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى نائب السلطنة المعظمة بالقاهرة، وتصدق بصدقات كثيرة بمكة والمدينة.

وحج أيضًا فى سنة عشرين وسبعمائة، ومشى فيها من مكة إلى عرفة، وحج أيضًا فى سنة ست وعشرين وسبعمائة ذكر ذلك ابن الجزرى.

ومنها: أنه فى سنة تسع عشرة وسبعمائة حج الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى، وحج معه من الأمراء نحو الخمسين من المقدمين الطَّبْلَخانات

---

(١) المقتفى للبرزالى ٣/ ٣٥١ وما بين حاصرتين منه.
(٢) تاريخ البرزالى ٣/ ٤٤٢.
(٣) تاريخ البرزالى ٤/ ٨٩.
(٤) بهجة الزمن — ص ٢٧٤.

والعَشْرَاوات وجماعة من أعيان دولته، وكان توجه من القاهرة فى تاسع ذى القعدة، وتصدق على أهل الحرمين، وأحسن وعمل معروفًا كثيرًا، وغسل الكعبة بيده، ذكر ذلك هذه الحادثة بمعنى ما ذكرنا الإمام النويرى فى تاريخه.

ومنها: أنه فى سنة عشرين وسبعمائة فعل الحاج سُنَّة من سُنن الحجّ متروكة من قبل، وهى أنهم صلوا الصلوات الخمس بمِنًى يوم التروية وليلة التاسع، وأقاموا بمنًى إلى أن أشرقت الشمس على ثبير، وتوجهوا إلى عرفة، ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه البرزالى[1] وابن الجزرى، قال: ووقف الناس بعرفة يوم الجمعة بلا خلاف، قال: وهذه تكملة مائة جمعة وقفها المسلمون من الهجرة النبوية إلى الآن، ونرجو الله تعالى أن تكون ألوفًا إلى يوم القيامة. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة عشرين وسبعمائة، على ما قال البرزالى: حضر الموقف عالم كثير من جميع الأقاليم والبلاد، قال الشيخ رضى الدين الطبرى إمام المقام: من مدة عمرى أحج ولم أر مثل هذه الوقفة، قال: وفيها حضر الركب العراقى فى محمل كثير، ومعهم محمل عليه ذهب كثير، وفيه لؤلؤ وجوهر، قُوِّم بمائة تومان ذهبًا، وحسبنا ذلك بمائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار من الذهب المصرى. انتهى. وذكر ابن الجزرى ذلك بالمعنى.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة حج من دمشق نائبها الأمير تنكز الناصرى.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة أبطل السلطان الملك الناصر المكس المتعلق بالمأكول فقط بمكة، وعوض صاحب مكة عُطَيفة عن ذلك ثلثى دمامين من صعيد مصر، ذكر ذلك البرزالى وابن الجزرى.

ومنها: أنه فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة حج ملك التكرور موسى، وحضر للحج معه أكثر من خمسة عشر ألفًا من التكاررة.

---

(١) تاريخ البرزالى ٤/ ٤٦٣.

ومنها: أنه فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقف الناس بعرفة يوم السبت ويوم الأحد، بسبب الاختلاف فى هلال ذى الحجة، وفيها رجع أكثر الركب المصرى بسبب قلة الماء فى المنازل، فلذلك قل الحاج المصرى، وحج العراقى وكان ركبًا كبيرًا، ذكر هذه الحوادث بمعنى ما ذكرناه البرزالى وابن الجزرى.

ومنها: أنه فى سنة سبع وعشرين وسبعمائة بات الحجاج الشاميون بمنى ليلة عرفة، ولم يَبِتْ بها المصريون، وكان المصريون قليلاً بالنسبة إلى العادة.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة حجّ العراقيون ومعهم تابوت جوبان نائب أبى سعيد بن خَرْبَنْدا ملك العراق، ليدفن بالتربة التى بناها بالمدينة عند باب الرحمة، فلم يدفن بها لعدم تمكين أمير المدينة من ذلك، حتى يأذن فيه صاحب مصر، وأحضروا تابوته فى الموقف بعرفة، ودخلوا به مكة ليلاً، وطافوا به حول البيت، ثم ذهبوا به إلى المدينة، فكان من أمره فيها ما ذكرناه، ذكر ذلك البرزالى بمعنى ما ذكرناه، وذكر أن الوقفة كانت يوم الجمعة باتفاق. انتهى. وذكر ابن محفوظ أن قدوم الركب العراقى بجوبان كان فى سنة سبع وعشرين والله أعلم.

ومنها: أنه فى سنة ثلاثين وسبعمائة كانت فتنة عظيمة بين الحجاج المصريين وأهل مكة، وقد شرح قاضى مكة شهاب الدين الطبرى شيئًا من خبرها فى كتاب كتبه إلى بعض أصحابه، لأن فيه: وينهى صدورها من حرم الله تعالى بعد توجه الركب السعيد على الحالة التى شاع ذكرها، ولا حيلة فى المقدر، والله ما لأحد من أهل الأمر ذنب لا من هؤلاء ولا من هؤلاء، وإنما الذنب للغاغة والرعاع والعبيد والنفرية، على سبب مطالبة من أخدام الأشراف العراقيين، بسبب عوائدهم، فلما حصلت ملاومة[1] أوجبت معاداة، فقامت الهوشة والخطيب على المنبر، وكان السيد سيف الدين عند أمير الركب جالسًا، فقام ليطفى النوبة من ناحية، فانتفخت من نواحى، وقام الأمير سيف الدين يساعده، فاتسع الخرق وهاج الناس فى بعضهم بعضًا فمات من مات وفات من فات، ولزم الأشراف مكانهم بجياد، ولم يخرج منهم أحد إلى القتال إلا من الخلس من الفريقين.

---

(١) لامه ملاومة: لام أحدهما الآخر.

وذكر هذه الحادثة الحافظ علم الدين البرزالى، وشرح من أمرها ما لم يشرحه القاضى شهاب الدين الطبرى، لأنه قال فى أخبار سنة ثلاثين وسبعمائة: ووصل كتاب عفيف الدين الطبرى يذكر فيه أمورًا مما وقع للحاج بمكة المشرفة، قال: وليس الخبر كالمعاينة، لما كان يوم الجمعة عند طلوع الخطيب المنبر، حصلت هَوْشَة ودخلت الخيل المسجد الحرام، وفيهم جماعة من بنى حسن ملبين غائرين، وتفرق الناس وركب الأمراء من المصريين، وكانوا ينظرون سماع الخطبة، فتركوها وركب الناس بعضهم بعضًا، ونُهبت الأسواق، وقُتل من الخلق جماعة من حجاج وغيرهم، ونهبت الأموال وصلينا نحن الجمعة والسيوف تعمل، وطفت أنا ورفيقى طواف الوداع جريًا، والقتل بين الترك والعبيد الحرامية من بنى حسن، وخرج الناس إلى المنـــزلة، واستُشْهد من الأمراء سيف الدين ألدمر أمير جاندار وولده خليل ومملوك لهم، وأمير عشرة يُعرف بابن التاجى، وجماعة نسوة، وغيرهم من الرجال، وسلمنا من القتل، وكانت الخيل فى أثرنا يضربون بالسيوف يمينًا وشمالاً، وما وصلنا إلى المنـــزلة وفى العين قطرة، ودخل الأمراء راجعين بعد الهرب إلى مكة لطلب بعض الثأر، وخرجوا فارين مرة أخرى، ثم بعد ساعة جاء الأمراء خائفين وبنو حسن وغلمانهم خلفهم، فلما أشرفوا على ثنية كَدَاء من أسفل مكة، فأمر بالرحيل، ولولا أن سلَّم الله الناس كانوا نزلوا عليهم ولم يبق من الحجاج مخبر، فوقف أمراء المصريين فى وجوههم، وأُمر بالرحيل، فاختبط الناس، وجعل أكثر الناس يتركون ما ثقل من أحمالهم، ونهب الحاج بعضه بعضًا، وكان فى جملة من راح جمل محمل لنا فيه جميع ما رزقنا الله من نفقة وثياب وزاد، واحتسبناه وحمدنا الله على سلامة أنفسنا. انتهى. وذكر النويرى هذه الحادثة فى تاريخه، وذكر فيها ما يوافق ما ذكره الطبرى، ثم قال: ووقع الخبر بذلك بالقاهرة يوم الجمعة يوم مقتله يعنى سيف الدين ألدمر جاندار مبوار ثم وصل الخبر بذلك مع المبشرين فى ثالث المحرم.

ومنها: أنه فى سنة ثلاثين وسبعمائة أيضًا حج الركب العراقى، ومعهم فيل، وما عرفت مقصد أبى سعيد بن خَرْبَنْدا ملك التتار بإرساله، وقد ذكر خبره

البرزالى نقلاً عن العفيف المطرى لأنه قال بعد ما سبق ذكره من خبر الفتنة: وكان ركب العراقى ركبًا صغيرًا، ووصل معهم فيل وقفوا به المواقف كلها، وتشاءم الناس منذ رأوه بالشر، فتم ما تم وحصل ما حصل، وكنا خائفين أن يقع بسببه شر، إذا وصل إلى المدينة المنورة، فوصل إلى أن بلغ الفريش بالتّصْغير[1] قبيل البيداء التي ينــزل منها إلى بئر الحرم من ذى الحُلَيفة، فجعل كلما أراد أن يقدم رجلاً تأخر مرة بعد مرة، فضربوه وطردوه، وكل ذلك يأبى إلاّ الرجوع القهقرى، إلى أن سقط إلى الأرض ميتًا فى يوم الأحد الرابع والعشرين من ذى الحجة، وذلك من معجزات النبى ﷺ، وهذا من غرائب العجائب، والحمد لله على ذلك، وقد ذكر خبره النويرى فى تاريخه بمعنى ما ذكره المطرى، وقال: وقيل إنه انصرف عليه من حين خروجه من العراق إلى أن مات زيادة على ثلاثين ألف درهم، وما علم مقصد أبى سعيد فى إرساله ذلك. انتهى.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة حج السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون، ومعه نحو سبعين أميرًا، وجماعة من أعيان الفقهاء وغيرهم بالقاهرة، وتصدق فى حجه على أهل الحرم من المجاورين والفقهاء.

ومنها: أنه فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة لم يحج الركب العراقى فى هذه السنة، لموت السلطان أبى سعيد بن خَرْبَنْدا ملك العراقيين، واختلاف الكلمة بعده، ودام انقطاع الحج من العراقيين سنين كثيرة على ما يأتى بيانه.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وقف الحجاج المصريون والشاميون بعرفة يومين: يوم الجمعة ويوم السبت، ووقف أهل مكة بالسبت، ولكنهم حضروا عرفة ليلة السبت.

ومنها: أنه فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة حج صاحب اليمن الملك المجاهد على بن الملك المؤيد داود بن المظفر، ولما حضر بعرفة كان فى خدمته الأشراف والقواد، وحموه من أن يتعرض له المصريون بسوء، وأطلعوا علمه جبل عرفة،

---

(١) فى طبعة تدمرى: «الفرش الصغير» ومثله فى الأصل، وفى طبعة الذهبى: «الفريش الصغير» وجميع ذلك تحريف صوابه لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٣/ ١٩٢.

وكان المصريون قد عزموا على منعه من ذلك، ومن نزول عرفة والوقوف عند الصخيرات بها، وكان الأشراف والقواد فى خدمته، إلى أن قضى مناسك الحج، وعم بصدقته أهل مكة، وكان دخوله إليها أول ذى الحجة، ورحل منها فى العشرين من ذى الحجة، ورام أن يكسو الكعبة ويقلع بابها ويركّب بابًا من عنده، فلم يمكّنه الأشراف من ذلك، فوجد عليهم فى ذلك.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة حصل بين أمير الحاج والأشراف قتال عظيم بعرفة، كان الظفرُ فيه للأشراف، وقُتل من الترك نحو ستة عشر نفرًا، وقُتل من جماعة الأشراف عدة نفر، ولم يتعرضوا للحجاج بنهب، وكان الوقعة من بعد العصر إلى الغروب، ووقف الناس مشوشين، وتوجه الأشراف بعد الوقعة إلى مكة، وتحصنوا بها، ولم يحضروا بمنًى فى أيامها، ورحل الحجاج جميعهم من منًى وقت الظهر من يوم النفر الأول، ونزلوا بباب الشبيكة، وأقاموا به ليلة، ثم رحلوا فى يوم النفر الثانى، ولم يعتمر أكثر الحجاج ولم يطوفوا طواف الوداع خوفًا على أنفسهم، وتُعرف هذه السنة بسنة المظلمة، لأن أهل مكة فى نفرهم من عرفة سلكوا الطريق التى تخرجهم على البئر المعروفة بالمظلمة، وهى غير الطريق التى سلكها الحجاج.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة حج العراقى بعد أن أقام إحدى عشر سنة لم يحج، وكان حاجًّا كثيرًا، وكان حاج مصر والشام قليلاً.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة حج الملك المجاهد صاحب اليمن وقُبض عليه بمنًى، وسبب ذلك أنه لم ينصف أمير مكة عجلان، ولا بنى حسن، ولا أمير الحاج المصرى بزلار، ولم يراع من المصريين إلاّ الأمير طاز، فأجمعوا عليه مع أمير مكة، وقصدوه فى صبح اليوم الثالث من أيام منًى إلى محطته، فقاتلهم أصحاب صاحب اليمن ساعة من نهار، ثم عظم عليهم الأمر باجتماع الناس عليهم للطمع فى النهب، فنهب محطة المجاهد عن آخرها بما فيها من الخزائن والخيول والبغال والجمال وغير ذلك، وكان من أسباب ذلك عدم ظهوره للقتال، فإنه لم يركب، ولم ينصب علمًا ولا دقّ طبلاً، وإنما صعد جبلاً بمنًى، فحصروه به

إلى قرب غروب الشمس، ثم سلَّم نفسه بأمان، فأخذ سيفه وأركب بغلاً واحتفظ به، وسافر مع المصريين تحت الحوطة، ولم يرم الجمار بمنى ولا ظهر بها، ولعله راعى فى ترك القتال حرمة الزمان والمكان، وهما جديران بالاحترام، وكان من خبره بعد وصوله إلى مصر أن صاحبها الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون أكرمه وسيَّره إلى بلده على طريق الحجاز، وفى خدمته بعض الأمراء، فلما كان بالدهناء قريبًا من يَنْبُع قبض عليه، لأن الأمير الذى فى خدمته نقل عنه إلى الدولة بمصر ما أوجب تغير خاطرهم عليه، وذهب به إلى الكرك فاعتقل بها مع الأمير «بيبغاروس» الذى كان نائبًا بالقاهرة، ثم أطلق بشفاعة الأمير يلبغا لأنه كان أطلق قبله، وزار المجاهد القدس والخليل، وجاء إلى مصر فتوجه منها إلى بلاده على طرق عَيْذَاب، فبلغ اليمن فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، ومنع الجلاَّب من السفر إلى مكة حنقًا على أهلها.

ومنها: أنه فى سنة خمسٍ وخمسين وسبعمائة لم يحج الركب العراقى، وحج فى التى بعدها، وهى سنة ستٍ وخمسين وسبعمائة، وكان حاجًّا قليلاً.

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وخمسين وسبعمائة وقف الناس بعَرَفَة يومين، وحصل للناس فى آخر اليوم مطر جيد سالت به الشعاب، فاستقى الحاج ودوابهم، وكان ذلك من الله رحمة لعباده، وكان الحج العراقى فى هذه السنة كثيرًا لم يعهد أن مثله حج من العراق، وحج فيها بعض العجم وتصدق بذهب كثير على أهل مكة والمدينة.

ومنها: أنه فى سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة حج العراقى وكان حاج مصر والشام قليلاً.

ومنها: أنه فى سنة تسعٍ وخمسين وسبعمائة رحل الحاج جميعهم من مِنًى وقت الظهر من يوم النَّفْر الأول، وكان الحاج قليلاً من مصر والشام والعراق.

ومنها: أنه فى جمادى الآخرة أو رجب سنة ستين وسبعمائة أسقط المكس المأخوذ من المأكولات بمكة من الحَبِّ والتمر والغنم والسمن وغير ذلك، وارتفع من مكة الجور والظلم وانتشر العدل والأمان، وذلك بسبب أن الملك الناصر

حسن صاحب مصر جهز إلى مكة عسكرًا لإصلاح أمرها وللإقامة بها مع من ولاه إمرة مكة وهما الشريفان محمد بن عُطَيْفة بن أبي نُمَيّ وسند بن رميثة بن أبي نُمَيّ، ودام هذا مدة مقام هذا العسكر بمكة، وذلك إلى آخر سنة إحدى وستين وسبعمائة.

ومنها: أنه فى سنة ستين وسبعمائة أيضًا وصل الركب العراقى، وكان وصوله قبل الوقت الذى يعهد فيه وصوله بيومين وهو الخامس من ذى الحجة.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وستين وسبعمائة كان بمكة فتنة بين أهلها من بنى حسن وبين التُّرْك الذين قدموا إلى مكة للإقامة بها فى موسم هذه السنة عوض الترك الذى كانوا قدموا مكة فى سنة ستين وسبعمائة، وسبب هذه الفتنة أن بعض الترك نزل فى الدار المعروفة بدار المضيف عند باب الصفا، فطالبه بالكراء بعض الأشراف من ذوى عليٍّ بن قتادة وحصل بينهما منازعات أفضى الحال فيها إلى أن ضرب التركى الشريف فقتله الشريف، فثار عليه الترك، فصاح، فحمى له بعض الشرفاء فصارت الفتنة، وقيل فى سبب الفتنة: إن بعض الترك أرادوا النـــزول فى دار المضيف، فعارضه فى ذلك بعض ذوى عليٍّ، وضربوهم، فشكوا ذلك إلى ابن قرا سنقر، وكانوا من جماعته، وكان إذ ذاك يطوف البيت الحرام مُحْرِمًا بعُمْرته، فقطع طوافه، ولبس السلاح، وثارت الفتنة، وركب الأشراف خيلاً للتُّرك كانت على باب الصفا ليسعوا عليها فى عُمْرتهم التى اعتمروها فى هذا اليوم، وقصد بنو حسن أجياد، واستولوا على إصطبل ابن قرا سنقر أحد مقدمى الترك المقيمين بمكة، وحصروا المقدم الآخر وهو الأمير المعروف بقندس فى منـــزلة دار الزباع بأجياد، وقاتلوا حتى غلبوه، ونجا بنفسه من موضع فى الدار، فاستجار ببعض نساء الأشراف، واجتمع الترك فى المدرسة المجاهدية وفى المسجد الحرام، وغلّقوا أبوابه عليهم، وعملوا عند المدرسة المجاهدية جسرًا من خشب يمنع بنى حسن من قصدهم، وأزالوا الظلّة التى على رأس الزقاق المقابل لباب أجياد، وقصدهم جماعة من بنى حسن إلى جهة المجاهدية، فرموهم بالنّشاب، ففر بنو حسن، ثم كر عليهم بعض من بنى حسن ثانية، فقتل منهم جماعة منهم الشريف مغامس بن رُمَيْثة، ثم

وصل الشريف ثُقْبة بن رُمَيْثة إلى مكة، بأثر الفتنة، فسكنها عن التُرْك، ووقع الاتفاق على أن ترحل الترك من مكة، فرحلوا بما خَفَّ من أموالهم، والتحقوا بالحجاج، فأدركوهم بينبع، وكانت هذه الفتنة بعد رحيل الحاج من مكة بيوم أو يومين.

ومنها: أنه في سنة ستٍّ وستين وسبعمائة رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حُسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر بإسقاط ما على الحج من المكوس بمكة في سائر ما يحمل إليها من المتاجر، سوى الكارم وتجار الهند وتجار العراق، وأسقط المكس المتعلق بالمأكولات، وبلغني أن المكس الذي كان يؤخذ من المأكولات بمكة مُدٌّ حبٍّ جدِّي، وهو مُدَّان مكيان من كل حِمْل حَبّ يصل من جدة، ومُدّ مكي وربع مكي من كل حمل حَب، يصل من جهة الطائف وبُجَيلة وثمانية دنانير مسعودية على كل حمل من التمر اللبان الذى يصل إلى مكة، وثلاثة دنانير مسعودية على كل حمل تمر محشي يصل إلى مكة، وستة مسعودية على كل شاة تصل إليها، وسُدس وثُمن ما يباع بمكة من السمن والعسل والخضر، وذلك أنه يحصي ثمنها مسعودية، فإذا عرف أخذ على كل خمسة دنانير دينار مسعودى، ويؤخذ أيضًا دينار مسعودي من ثُمن السلة التمر، إذا بيعت بالسوق من الثمار الذى باعها ليتعيش بها، والمأخوذ على التمر أولاً من جالبه إلى مكة، ويؤخذ شيء مما يباع في السوق من غير ما ذكرناه، وكان الناس يقاسون شدة، بحيث بلغني أن بعض الناس جلب شاة، فلم تساو المقدار المقرر عليها، فسمح[1] بها في ذلك، فلم يُقبل منه، فأزال الله تعالى جميع هذا الباطل على يد الأمير يلبغا المعروف بالخاصكي مدبر المملكة الشريفة في دولة الملك الأشرف شعبان المذكور، بتنبيه بعض أهل الخير له على ذلك، وعوض صاحب مكة عن ذلك ثمانية وستين ألف درهم من بيت المال المعمور بالقاهرة، وألف أردب قمح، وقدر ذلك في ديوان السلطان المذكور، وأمضى الولاة ذلك بالديار المصرية إلى

---

(١) تحرف في طبعة تدمرى إلى: «فمسح» وتبعه الذهبي في التحريف كما هو المعهود، وهو تحريف قبيح جدا، صوابه من الأصل.

تاريخه، وكتب خبر هذا الإسقاط فى أساطين بالمسجد الحرام فى جهة باب الصفا وغيره، ولما وقعت هذه الحسنة من الأمير يَلْبُغا المذكور طابت بها نفس صاحب مكة إذ ذاك الشريف عجلان بن رُمَيْثة الحسنى رحمه الله، وعمل بها هو ومن بعده من أمراء مكة أثابهم الله تعالى.

ومنها: أنه فى أثناء سنة عُشْر السبعين وسبعمائة بتقديم السين، خطب بمكة للسلطان الشيخ أويس بن الشيخ حسن الصغير صاحب بغداد وغيرها، بعد أن وصلت منه قناديل حسنة للكعبة، وهدية طائلة لأمير مكة عجلان، وهو الآمر لخطيب مكة بالخطبة له فكان الخطيب إذ ذاك جدى لأبى، قاضى مكة أبى الفضل النويرى، ثم تركت الخطبة لصاحب العراق، وما عرفت وقت ابتداء تركها، وخفى علىَّ كثير من خبر الحجاج العراقيين فى عُشْر السبعين وسبعمائة، وفى عُشْر الثمانين وسبعمائة، وفى عُشْر التسعين وسبعمائة، ويغلب على ظنى أن حجهم فى هذه الأعشار أكثر من انقطاعهم عن الحج فيها، والله أعلم.

ومنها: أنه فى سنة ثمانٍ وسبعين وسبعمائة كان الحجاج من مصر فى غاية من القلة، بسبب ما اتفق فى عقبة أيلة من ثورة الترك على الملك الأشرف شعبان صاحب مصر، وكان قد توجّه إلى الحج فى هذه السنة فى تجمّل كثير وفر إلى القاهرة، فتبعه الناس إلاَّ نفرًا يسيرًا، وكان من خبره أنه دخل فى القاهرة مختفيًا، لأن الأمراء الذى تركهم بها سلطنوا ولده المنصور عليًّا، وظفروا به بعد مدة يسيرة، واستشهد رحمه الله تعالى فى بقية السنة.

ومنها: أنه فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة حج محمل لصاحب اليمن الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد فى البر، وأراد بعض الأمراء المصريين توهين حرمة هذا المحمل، ولم يمكنهم من ذلك صاحب مكة الشريف أحمد بن عجلان، وكان أمير الحج مع هذا المحمل ابن السنبلى، وليس هذا المحمل أول محمل حج من اليمن، وقد رأيت ما يدل على أن فى السنة التى ولى فيها الملك المؤيد السلطنة ببلاد اليمن حج له محمل إلى مكة.

ومنها: أنه فى سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة كان بمكة فتنة فى أيام الموسم، وحج الناس خائفين، وسبب هذه الفتنة أن بعض الباطنية قتل أمير مكة محمد بن أحمد بن عجلان عندما حضر لخدمة المحمل المصرى على جارى عادات الأمراء أى أمراء الحجاز، وتولى بعده عنان بن مغامس بن رُمَيْثة إمرة مكة، وقصدها فى جماعته، ومعه أمير الحاج الماردينى، فحارب من كان بمكة من ذوى عجلان زمنًا يسيرًا، ثم انهزموا، واستولى عنان ومن معه على مكة.

ومنها: أنه فى سنة سبعٍ وتسعين وسبعمائة كان بمكة قتال ونهب فى الحجاج فى يوم التروية وفى ليلة عرفة بطريق عرفة، وسبب هذه الفتنة أن بعض القواد اختطف شيئًا فى المسجد الحرام، واحتمى ببعض أصحابه، فجرى بينهم وبين الحجاج مقاولة بالمسجد الحرام أفضت إلى مقاتلته، فشُهرت السيوف بالمسجد الحرام وصارت الفتنة به وبخارج المسجد، ونُهبت الأموال، وجاء أمير الحج الحلبى المعروف بابن الزين غائرًا من الأبطح فى خيل ورجل، فلقيه بعض القواد بأسفل مكة إلى جهة الشبيكة، وجرى بين الفريقين قتال كان الظفر فيه للقواد، وطمع[1] الحرامية فى الحجاج، فنهبوهم نهبًا ذريعًا فى خروجهم إلى منًى، وفى ليلة عرفة بالموضع المعروف بالمضيق بين عَرَفَة ومُزْدَلِفة وقتلوهم، وتعدى النهب إلى أهل مكة واليمن، وحج الناس خائفين، ورحل الحجاج أجمعهم فى يوم النفر الأول، وكان فى هذه السنة قدم مع الحجاج الشاميين محمل من حلب، ولم يعهد مثل ذلك فيما علمت إلا فى سنة سبعٍ وثمانين وسبعمائة، والله أعلم، وفيها حج العراقى بعد انقطاعه مدة، وكان قدومه يوم الصعود، وكان حاجًّا قليلاً جدًّا، يقال إنه كان فيه خمسمائة جمل.

ومنها: أنه فى سنة ثمانمائة حج محمل لصاحب اليمن الملك الأشرف مع طواشى من جهته وفى خدمته الشريف محمد بن عجلان، وحج معه جماعة من أعيان التجار والفقهاء المكيين وغيرهم، وحصل للحجاج الذين كانوا مع المحمل

---

(١) تحرف لدى تدمرى إلى: «وطمح» بالحاء المهملة، وتبعه الذهبى الذى ينقل عنه حرفيا غالبا فى تحريفه، وصوابه من الأصل.

اليمن عَطَشٌ بقرب مكة، مات فيه جماعة منهم، رحمهم الله تعالى، ووقف بعرفة مع المحامل، وكانت الوقفة يوم الجمعة.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وثمانمائة لم يحج من الشام أحد على الطريق المعتادة، وسبب ذلك أن تيمورلنك قصد البلاد الشامية فى هذه السنة واستولى عليها وأخربها، وكان ما حصل من الخراب بدمشق أكثر من غيرها من البلاد الشامية بسبب إحراق التمرلنكية[1] لها لما استولوا عليها، بعد أن فارقها الملك الناصر فرج، وقصد الديار المصرية لأمرٍ اقتضاه الحال، والتمرلنكية منازلون لدمشق، وكان استيلاء التترية على دمشق بصورة أمان، والتزام من أهل دمشق لهم بمال يؤدونه، لأنهم بعد رحيل السلطان من دمشق حصروا القلعة بدمشق وأخربوا بعضها، وكادوا يستولون عليها، فاقتضى ذلك خروج الشاميين إليهم لطلب الأمان والتزامهم لهم بالمال، ولما صار بأيديهم ما التزموا لهم به من المال وأكثر منه بكثير، فارقوا البلد، بعد أن أحرقوها فى ثالث شعبان من السنة المذكورة، ثم عُمِّرت القلعة والجامع الأموى ومواضع حوله من البلد وظاهرها عمارةً حسنة، وأكثر البلد متخرب إلى الآن، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومنها: أنه فى سنة ست وثمانمائة حج الركب الشامى على طريقته المعتادة، ومعه محمل، وكان قد بطل من سنة ثلاث وثمانمائة، وحج الشامى فى سنة سبع وثمانمائة كحجه فى سنة ست بمحمل وعلى طريقته المعتادة.

ومنها: أنه فى سنة سبع وثمانمائة حج العراقيون بمحمل من قِبَل متولّى بغداد من أولاد تيمورلنك، ومات تيمورلنك فى هذه السنة فى سابع عشر شعبان منها، بعلة الإسهال القولنجى[2].

ومنها: أنه فى سنة ثمان وثمانمائة لم يحج الشاميون على طريقتهم المعتادة ولا حج لهم محمل، وإنما حجّ فيها من الشام تجار، جاءوا من دمشق إلى غزّة ومنها إلى أَيْلَة ومنها إلى مكة.

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «التترية» وصوابه من الأصل.

(٢) الضوء اللامع ٣/ ٤٦، البدر الطالع ١/ ١٧٣.

ومنها: أنه فى سنة تسع وثمانمائة حج الشاميون بمحمل على طريقتهم المعتادة، وتخوف الناس أن يقع بين أميرهم وبين أمير الركب المصرى قتال، فسلّم الله، وسبب توقع القتال فى هذه السنة أن الأمير جكم بايع لنفسه بالسلطنة، وتلقب بالملك العادل، وخُطب له بحلب وغيرها من البلاد الشامية، حتى أنه خُطب له بدمشق، ولكن كان زمن الخطبة له بدمشق يسيرًا دون شهر، وأعيدت الخطبة بها للملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر صاحب مصر، وضُربت السكة باسم جكم، ورأيت دراهم مكتوبًا عليها اسمه، وكان ذلك من الأمير جكم فى هذا السنة أو فى آخرها أو فى أول التى بعدها، وقتل من سهم أصابه على غفلة منه فى حرب كان بينه وبين بعض التركمان.

ومنها: أنه فى سنة عشر وثمانمائة نفر الحجاج جميعهم فى النفر الأول، ولم يزر المدينة النبوية من الركب المصرى إلا القليل، وسار معظمهم مع أمير الحاج إلى ينبع، وسبب ذلك أن أمير الحج المصرى تخوف من أهل الشام أن يقصدوا الحجاج بسوء من جهة أيلة، بسبب القبض بمكة على أمير الركب الشامى فى هذه السنة، وكان صورة القبض عليه أن المصريين تكلموا مع أمير مكة فى القبض عليه، فقصده أمير مكة فى المسجد الحرام بعد طوافه يوم قدومه بالبيت، وقبل سعيه وأشار على أمير الحج الشامى بأن يمضى معه للسلام على أمير الحج المصرى، فلم يجد بدًا من الموافقة على ذلك لانفراده عن عسكره فسار إلى أمير الحج المصرى، فقبض عليه وحج معه محتفظًا به، وذهب به تحت الحَوْطَة إلى مصر، وكانت الوقفة يوم الجمعة.

ومنها: أنه فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة كان بين بنى حسن من أهل مكة وبين أمير الحاج المصرى مشاجرة عظيمة، أفضَتْ إلى قتل بعض الحجاج ونهبهم غير مرة، ولم يحج بسبب ذلك من أهل مكة إلا اليسير، وسبب هذه الفتنة أن صاحب مصر الملك الناصر فرج انحرف على الشريف حسن بن عجلان نائب السلطنة ببلاد الحجاز، فعزله عن ذلك، وعزل ابنيه عن إمرة مكة وأسرَّ ذلك إلى أمير الحج المصرى بَيْسَق، فاستعد للحرب، واستصحب معه أنواعًا من السلاح والمكاحل

والمدافع وغير ذلك، وورَّى بأنّ قصْدَه بذلك الدخول إلى اليمن، وبلغ الشريف حسن ذلك في عاشر ذي القعدة من السنة المذكورة، فجمع أعراب مكة وأهل الطائف ولِيَّة وغيرهم من عرب الشرق، على ما كان معه من بني حسن من الأشراف والقواد، وعَبيد أخيه أحمد بن عجلان وأولادهم وعوامّ مكة، وكان مَن معه على ما بلغني يزيدون على ستة آلاف نفر، منهم أربعة آلاف من الأعراب الذين استنفرهم، واجتمع عنده من الخيل نحو ستمائة على ما بلغني، وكان يكره القتال مخافة أن يصيب الحجاجَ سوءٌ من مَعَرَّة الجيش، وأشار بعض جماعته بأن يرسل إلى أمير الحاج من يعظّم عليه أمر الحرم وأهله، وأنه إذا كان قصْدُه القتال، فليتقدّم الحجيج قبله بيوم أو يتقدم هو قبلهم بيوم فيقع اللقاء، وبينما هم في الفكرة فيمن يؤدي هذه الرسالة إلى أمير الحاجّ إذ جاء الله بالفرج، وأزال عن الناس ما كان عندهم من الضِّيق والحَرَج، وذلك أن الملك الناصر بعث خادمه الخاص بخدمته فيروز الساقي إلى مكة بخِلَع وتقاليد للسيد حسن المذكور وولديه، بعَوْدهم إلى ولايتهم، ومنع أمير الحاج من التعرض لقتالهم، وكان وصول هذا الخبر إلى مكة في تاسع عشرين من ذي القعدة، أو في اليوم الموفي ثلاثين منه، وقدم إلى مكة جماعة من الحجاج من الترك وغيرهم، فلقيهم الشريف حسن بعسكره، وفي ليلة مستهل ذي الحجة بعث المقدم فيروز من يعلم بوصوله في هذه الليلة، فبعث الشريف حسن جماعة للقائه في باب الشبيكة، وكان هو قصد مكة من باب المَعْلاة، فلما رآه الموكَّلون بسور باب المَعْلاة صاحوا وظنوه عدوًّا، فارتجت البلد، وظن الناس أن ما ذُكر من خبر فيروز مكيدة، فقتل بعض من كان معه، ودخل البلد مكسورًا، فطيَّب خاطره الشريف حسن، ووعده بكل جميل، وقُرئ بحضوره التقليد الذي كان معه بعودة الشريف حسن وابنيه إلى ولايتهم، وسعى عند الشريف حسن في عدم التعرض لأمير الحاج، فأجاب إلى ذلك الشريف حسن، وشرط أن يسلم أمير الحج ما معه من السلاح وآلات الحرب، فأجاب أمير الحاج إلى ذلك بعد توقف، وشرط أن يكون برباط ربيع بأجياد، إلى أن تنقضي أيام الموسم، ثم يتسلم ذلك، فأجيب إلى ما ذكر، ودخل الحاج مكة في ثاني ذي

الحجة وقت الظهر، ودخل أمير الحاج فى ثالث ذى الحجة إلى مكة، فطاف بالبيت، وتقدم إلى الشريف حسن بأجياد فأحسن لقاءه، وأقام بمكة إلى أن خرج منها فى يوم التروية إلى منى بعد تقدمه طائفة من الحجاج، وبلغ الشريف حسن أن بعض ما جمعه من الأعراب عزموا على التعرض للحاج، فبعث إليهم من يزجرهم عن ذلك، فعصوا وانقلبوا على الحجيج، فقتلوا ونهبوا وعقروا الجمال عند المأزمين، وهو الموضع الذى تسميه الناس المضيق، وتوقف الشريف حسن هو وغالب من معه عن الحج، خيفة أن يقع بينهم وبين أمير الحج قتال، فيلحق الحجيج من ذلك مشقة، وحج ولد السيد أحمد بن حسن فى نفر قليل من خواصه وبسبب تخلفه عن الحج تخلف غالب أهل مكة.

وكنت ممن يسَّر الله له الحج فى هذا العام، ولما وصلنا إلى الموضع المعروف بالمأزمين وجدنا الجمال فيه معقورة، وكدْنا أن نرجع من الخوف، فقوَّى الله العزم وسلَّم، وله الحمد، وكان مما حملنا على العزم على الرجوع، أن بعض الأشراف لقينا قريبًا من المزدلفة، وأخبرنا أن الحاج فى أثرهم واصل، وسبب ذلك أن الحجاج لما خرجوا من مكة فى يوم التروية لم ينـــزلوا بمنًى، وساروا إلى عرفة فنـــزلوا بها، وثبت عند القاضى الحنفى بمكة أنَّ هذا اليوم هو اليوم التاسع من ذى الحجة، وكان هذا اليوم يوم التروية على رؤية أهل مكة، فاقتضى رأىُ أمير الحاج أن يقيم بالناس يومين بعرفة، وأن يدفع فى هذا اليوم إلى أن يبلغ الأعلام التى هى حد عرفة من جهة مكة، ويرجع إليها فيقيم اليوم الثانى، ففعل ذلك ورأى ذلك الشرفاء، فظنوا أن الحاج سائر إلى مِنًى.

وتعرض أهل الفساد للحاج فى توجههم من عرفة إلى منى، ونهبوهم وقتلوهم وجرحوهم، وذلك فى ليلة النحر، ولم نستطع أن نبيت بالْمُزْدَلِفة إلى الصباح، فرحلنا منها بعد أن أقمنا بها مقامًا تتأدّى به السنة، ووقع بمنًى فى ليلة النحر قتل ونهب، وفى ضُحَى يوم النحر شاع بين الناس بمكة وصول الشريف على بن مبارك ابن رُمَيْثة من مصر، وكان يذكر أنه يلى مكة مع أمير الحج، فاضطرب الناس بمكة، ومِنًى ثم سكنوا لما لم يصح ذلك، وفى آخر هذا اليوم دخل أمير الحج إلى

مكة، فطاف للإفاضة والوداع، وكان قد قدم للسعى فى يوم الصعود، وخرج من فوره إلى منى، وفى يوم النفر الأول اضطرب الناس بمنى، وظنوا أن الفتنة قامت بها، ثم لم يظهر لذلك أثر، ثم رحل الحاج بأجمعهم فى اليوم الثانى، أى فى يوم النفر الثانى، فلما وصلوا إلى الأبطح أمر أمير الحاج المصرى بأن يسلك الحجّاج المصريون شعب أذاخر، ويخرجون منه إلى وادى الزاهر، ففعلوا ذلك، ووصل إليه بالزاهر ما كان أودعه من السلاح بمكة، ولولا مراعاة الشريف حسن فى هذه الفتنة للحجيج، لَكثُر عليهم العويل مع الحزن الطويل، فالله تعالى يبقيه، ومن الشر يقيه.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة حج صاحب كاوة الملك المنصور حسن بن المؤيَّد سليمان بن الحسين، وتصدق على أعيان أهل الحرم، وزار بعد الحج، وركب البحر فى أثناء الطريق إلى بلاد اليمن ليتوصل منها إلى بلاده من عدن.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة أيضًا، لم يحجّ العراقيون من بغداد بمحمل على العادة، وكانوا قد حجوا على هذه الصفة ست سنين متوالية، أولها سنة سبع وثمانمائة، وآخرها سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وسبب بطلان الحج فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة أن فيها أو فى آخر التى قبلها تحارب السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد، وقرًا يوسف التركمانى فقُتل السلطان أحمد، وقيل: إنه فُقد، واستولى التركمانى على بغداد، ولم يقع منهم عناية لتجهيز الحجاج بمحمل على العادة، ودام انقطاع الحجاج العراقيين من بغداد سنين بعد سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، وحج فى هذه السنين من عراقى العجم جماعة على طريق الحسا والقطيف بلا محمل.

ومنها: أنه فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة أقام الحجاج المصريون والشاميون بمنى يومًا ملفقًا بعد يوم النفر الثانى، لرغبة التجار فى ذلك، وكانت الوقفة فى هذه السنة يوم الجمعة.

ومنها: أنه فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وثمانمائة خُطب بمكى للإمام المستعين بالله أمير المؤمنين أبى الفضل العباسى، ابن الخليفة المتوكل محمد ابن الخليفة المعتضد أبى بكر ابن الخليفة المستكفى أبى الربيع سليمان ابن الحاكم أبى العباس أحمد المقدم ذكره العباسى، وذلك لما أقيم فى مقام السلطنة بالديار المصرية والشامية، بعد قتل الملك الناصر فرج، ولم يتفق مثل ذلك لأحد من آبائه الذين بويعوا بالخلافة بمصر بعد المستعصم، لأنه وإن خُطب لمن قبله بديار مصر، فلم يكن لأحد منهم سكة، ولا يخرج عنه توقيع، وغير ذلك، إلا الإمام المستعين بالله، إلى أن عهد بالسلطنة إلى مولانا السلطان الملك المؤيَّد أبى النصر شيخ نصره الله فى مستهل شهر شعبان من هذه السنة، وقبل الخطبة للخليفة بمكة بيومين قرئ كتابه بتفويضه إلى الملك المؤيد تدبير الأمور بالممالك الشريفة، ولقبه فيه بنظام الملك، بعد أن ذكر فيه قتل الملك الناصر بسيف الشرع الشريف، وكان قتله فى ليلة السبت سابع عشر صفر من هذه السنة بدمشق، ودُعى للإمام المستعين بالله على زمزم بعد المغرب من ليلة الخميس الحادى والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، عوَض الملك الناصر، واستمر الدعاء له على زمزم فى كل ليلة إلى أن وصل كتاب الملك المؤيد يتضمن مبايعة الخليفة، وأهل الحل والعقد من أهل الدولة وغيرهم له بالسلطنة فى التاريخ المقدم ذكْره، فترك الدعاء للخليفة المستعين بالله على زمزم ودُعى له فى الخطبة قبل الملك المؤيد دعاء مختصرًا بالصلاح، ثم تُرك الدعاء له فى يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة ست عشرة وثمانمائة، لأن بعض من وُلِّى الخطابة بمكة رأى ذلك، ثم أعيد الدعاء له فى الخُطَب مختصرًا، كما كان يُفعل قبل الملك المؤيد فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة من السنة المذكورة، لما عاد إلى الخطابة من كان يصنع ذلك، ثم ترك الدعاء له لما عاد إلى الخطابة من كان ترك الدعاء له، لأن الدعاء للخليفة لم يُعهد بمكة فيما قيل من بعد المستعين، وحكى أيضًا أن أخاه داود أقيم عوضه فى الخلافة، ولُقب بالمعتصم، وذلك فى سنة سبع عشرة وثمانمائة، وفى ربيع الثانى منها تُرك الدعاء فى الخطابة

بمكة للمستعين بالله، وأول جمعة دُعى فيها بمكة للمؤيد يوم الجمعة السابع عشر من شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة، فالله تعالى يديم دولته ويُعْلى كلمته.

ومنها: أنه فى سنة ست عشرة وثمانمائة حج الناس من بغداد بمحمل على العادة، ومعه ناس من خُراسان، والذى جهَّز الحجاج من بغداد صاحبها ابن قُرا يوسف ودُعى له ولأبيه ولأخيه فى المسجد الحرام فى ليلة الجمعة سادس عشر ذى الحجة من السنة المذكورة، بعد الفراغ من قراءة الختمة الشريفة التى جرت العادة بقراءتها، لأجل صاحب بغداد، وكانت الوقفة بالجمعة.

ومنها: أنه فى سنة سبع عشرة وثمانمائة فى يوم الجمعة خامس ذى الحجة حصل فى المسجد الحرام فتنة عظيمة، انتُهِكَت فيها حُرْمة المسجد كثيرًا، لما حصل فيه من القتال بالسلاح والخيل، مع إراقة الدم فيه ورَوْث الخيل وطول مقامها فيه، وسبب ذلك أن أمير الحج المصرى أدّب بعض غلمانه القواد المعروفين بالعُمَرَة على حمله السلاح، لنَهْيه عن ذلك وسجنه، فرغب مواليه فى إطلاقه، فامتنع الأمير، فلما صُلِّيت الجمعة هاجم جماعة من القواد المسجدَ الحرام من باب إبراهيم راكبين خيولهم، وبعضهم لابس لأْمَةَ[1] الحرب، وبعضهم عار منها، وانتهوا إلى مقام الحنفية، فلقيهم الترك والحجاج، فاقتتلوا، فخرج أهل مكة من المسجد، فتبعهم الترك والحجاج، فقاتلوهم بسوق المعلاة بأسفل مكة، فظهر عليهم المصريون أيضًا، وانتهب بعض العوام من المصريين السوق المذكور، والسوق الذى بالمسعى، وبعضَ بيوت المكيين، فلما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد الحرام، إلاّ باب بنى شيبة، وباب الدريبة، والباب الذى عند المدرسة المجاهدية، لأن أمير الركب الأول ومن فى خدمته يدخلون منه إلى المسجد، ويخرجون لسُكناهم بالمدرسة المجاهدية، فسُمّرت أبواب المسجد الحرام كلها، خلا ما ذُكر، وأُدخلت خيل أمير الحاج إلى المسجد الحرام، وجُعلت بالرواق الشرقى قريبًا من منــزله برباط الشرابى، وهو منــزل أمير المحمل المصرى

(١) اللأْمَة: أداة الحرب كلها من رمح، وبيضة، ومغفر، وسيف، ودرع.

فى الغالب، وباتت الخيل فى المسجد حتى الصباح، وأوقدت فيه مشاعل الأمير ومشاعل المقامات الأربعة، وبات به جمع كثير من الحجاج المصريين فى وجل كثير، ورام بعض القواد ومن انضم إليه نَهْبَ الحجيج الذين بالأبطح وخارج المسجد، فأبى ذلك الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة، وانضم فى بكرة يوم السبت سادس ذى الحجة إلى القواد بموضع يقال له الطنبداوية بأسفل مكة قريبًا منها، وحضر إليه فى بكرة هذا اليوم جماعة من أعيان مكة والحجاج، فبدا منه ما يدل على كراهيته لما وقع من الفتنة ورغبته فى إخمادها، وبعثهم فى ذلك إلى أمير المحمل، فعرفوه بذلك، فبدا منه مثل ما بدا من صاحب مكة، وأجاب إلى ما سُئل فيه من إطلاق الذى أدبه على أن يفصل صاحب مكة ما يحصل به الطمأنينة للحجاج من الحث على رعايتهم، وغير ذلك، فوافق على ذلك صاحب مكة، وبعث ولده السيد أحمد إلى أمير المحمل، فخلع عليه، وسكنت الخواطر بذلك، وباع الناس واشتروا، وحصل فى الفريقين جراحات كثيرة، مات بها غير واحد من الفريقين، ولا أعلم أن المسجد الحرام انتُهِك نظير هذا الانتهاك من بعد الفتنة المعروفة بفتنة قندس، فى آخر سنة إحدى وستين وسبعمائة إلى تاريخه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ومنها: أنه فى هذه السنة حصل اختلاف كثير فى تعيين الوقفة، لأن جمعًا كثيرًا من القادمين إلى مكة فى البر والبحر وبعضًا من مكة، ذكروا أنهم رأوا هلال ذى الحجة ليلة الاثنين، ولم ير ذلك غالب أهل مكة ولا غالب الركب المصرى، فوقع الاتفاق على أن الناس يخرجون إلى عَرَفَة فى بكرة يوم الثلاثاء من ذى الحجة على مقتضى رؤية الثلاثاء، ففعلوا ذلك، وصار معظم الحاج إلى عرفة من غير نزول بمِنًى، فبلغوها بعد دخول وقت العصر، وتخلف غالب المكيين بمكة إلى وقت الظهر، وتوجهوا إلى عرفة من غير نزول بمِنى، فلما كانوا بالمأزمين: مأزمى عرفة، وتسمى الناس هذا الموضع: المضيق، خرج عليهم بعض الحرامية، فقتلوا وجرحوا ونهبوا وعقروا الجمال، وكنا بالقرب ممن أصابه هذا البلاء، فَلَطَفَ الله تعالى، ولم يُصبْنا مثل الذى أصابهم، ووصلنا إلى عرفة، ووصل بعدنا إليها أناس آخرون،

وأقمنا بها مع الحجاج بقية ليلة الأربعاء ويوم الأربعاء حتى الغروب، ونفرنا مع الحجاج إلى المُزْدَلِفة، وبتنا بها إلى قريب الفجر، وسرنا إلى منى حتى انتهينا إليها في بكرة يوم الخميس، وحصل بمنى في ليلة الأربعاء وليلة الخميس نهب كثير وجراحات في الناس، ولم يحج في هذه السنة من أهل مكة إلا القليل، ونفر الحجاج أجمعهم في بكرة يوم النفر الثاني، ونزلوا قريبًا من التنعيم، ولم يخرجوا بعد طوافهم للوداع إلا من باب السـمَعْلاَة، لإغلاق باب الشبيكة دونهم، وسافر الأمير وأعيان الحاج وهم متأثرون لذلك، ونسأل الله أن يحسن العاقبة، وفي هذه السنة حج ركب من بغداد بمحمل على العادة، ولم يعملوا في المسجد الحرام ختمة على العادة، لرحيلهم بأثر رحيل الحجاج المصريين والشاميين خوفًا من زيادة الغرامة في المكس.

ومنها: أنه في سنة ثمان عشرة وثمانمائة أقام الحجاج بمنى حتى طلعت الشمس على ثبير من يوم عرفة، وصلُّوا بها الصلوات الخمس وأحيوا هذه السُّنَّة بعد إماتتها دهرًا طويلاً، والله يثيب الساعي في ذلك، ومن شعائر الحج التي ينبغي إحياؤها أيضًا الخطبة بمنى، وهذه سُنَّة متروكة من دهر طويل جدًّا، وكان خطيب مكة الفقيه سليمان بن خليل يفعلها بعد الرمي، وفعلها بعده خطيب مكة ابن الأعمى قبل الرمي، وذلك في يوم النفر من سنة تسع وستين وستمائة، على ما ذكر الشيخ أبو العباس الميُورقي في تعاليقه، فيما ألفيته منقولاً بخطّ بعض أصحابنا من خط الميُورقي، وفعلها القاضي شهاب الدين أحمد بن ظَهيرة فيما بلغني، فعل ذلك في موسم سنة ستٍّ وثمانين وسبعمائة أو في سنة سبع وثمانين أو في كليهما، والله أعلم، وكان يذكر أن في موسم سنة ثمان عشرة وثمانمائة تقام هذه الشعيرة بمنى، فما تم ذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وفي كتب أصحابنا المالكية ما يقتضي أن الخطبة بمنى تكون في اليوم الحادي عشر قبل النفر الأول، والله أعلم.

ومنها: أنه في سنة ثمان عشرة حج العراقيون بمحمل من بغداد على العادة، وجرى حالهم كالسنة التي قبلها، وكذلك سنة تسع عشرة وثمانمائة، وكذلك سنة عشرين وثمانمائة، ولم يحج العراقيون من بغداد في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة،

ولعل سبب ذلك كما قيل من أن الملك الشاه رخ بن تيمورلنك أخذ تبريز من قُرا يوسف والد صاحب بغداد، أو الحرب الذى كان بين عسكر قُرا يوسف، وعسكر حلب من بلاد الشام، وكان الظفر لعسكر حلب، وقُتل ابن لقرا يوسف، قيل: هو صاحب بغداد، وقيل غيره وهو أصح، والله أعلم، وكان هذا الحرب فى أثناء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وفيها كانت الوقفة بالجمعة اتفاقًا، وكان يقال: إن الملك المؤيد صاحب مصر يحج فيها، فلم يتفق ذلك، ولعل سبب ذلك ما اتفق من إتيان عسكر قُرا يوسف حلب، والله أعلم.

ولم يحج العراقيون بمحمل من بغداذ على العادة فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ولا فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، ولا فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة وفى آخرها هلك قُرا يوسف بعد أن ثَبت عند الحُكّام بمصر زندقته وزندقة ولده محمد شاه صاحب بغداد.

وفيها قصد صاحب الشرق الملك الشاه رخ بن تيمورلنك فى عسكر كثير جدًّا لحربه.

ولم يحج العراقيون أيضًا من بغداد فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وحج فيها قفل من عقيل، وتوجه معهم من مكة جمع كثيرون من التجار، فنُهبوا نهبًا فاحشًا فيما بين وادى نخلة والطائف فى النصف الثانى من ذى الحجة منها، ورجع كثير من المنهوبين لمكة، فألبت عليهم الخواطر، وباع الناهبون ما انتهبوه بأبخس الأثمان.

ومنها: أنه فى يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وثمانمائة خُطب بمكة للملك المظفَّر أحمد بن الملك المؤيَّد أبى النصر شيخ، بعد مبايعته بالسلطنة بالديار المصرية وغيرها فى يوم موت والده، وقبل ذلك فى حياة والده بعهد منه، ووصل منه تقليد إمرة مكة للسيد حسن بن عجلان وابنه السيد بركات فقرئ فى الحطيم فى رابع عشر ربيع الأول.

ومنها: أنه فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة، على مقتضى رؤية أهل مكة هلال ذى الحجة، وهو الثالث منه على مقتضى رؤية أهل مصر واليمن هلال ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة خُطب بمكة للملك الظاهر أبى الفتح ططر، الذى كان

يدبر[1] دولة المظفر ابن الملك المؤيَّد، وكان قد سار به فى العسكر لدمشق، ثم طُلب وعاد منها لدمشق، وبويع بها فى يوم الجمعة تاسع عشر من شعبان من السنة المذكورة بالسلطنة، وخُطب له بديار مصر والشام، واستمرت الخطبة له بمكة إلى الثانى عشر من شهر ربيع الأول يوم الجمعة سنة خمسٍ وعشرين وثمانمائة، ثم تُركت الخطبة له لوفاته فى رابع ذى الحجة سنة أربعٍ وعشرين وثمانمائة بالقاهرة، فسلطنته ثلاثة أشهر وخمسة أيام.

ومنها: أنه فى سنة أربعٍ وعشرين وثمانمائة أقام الحجاج بمِنى بقية يوم التروية وليلة التاسع إلى أن طلعت الشمس منه، ثم ساروا إلى عرفة مع المحمل المصرى والشامى، ووقف الناس يوم الجمعة.

ومنها: أنه فى يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة خمسٍ وعشرين وثمانمائة خُطب بمكة للملك الصالح أبى الخير محمد بن الملك الظاهر أبى الفتح ططر، لأنّ والده عهد له بالسلطنة فى ثانى ذى الحجة من سنة أربعٍ وعشرين وثمانمائة، وأخذ له البيعة بالسلطنة على أهل الحل والعقد بمصر من الدولة وغيرهم، وتمت البيعة له بعد أبيه، وله من العمر نحو عشرة أعوام، فيما قيل، وأما المظفر فكان سنه لما بويع له بالسلطنة نحو سنتين فيما قيل، وقيل: نحو أربع سنين، والله أعلم.

ومنها: أنه فى يوم الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة خمسٍ وعشرين وثمانمائة خُطب بمكة للملك الأشرف أبى النصر برسباى الذى كان يدبر دولة الملك الصالح ابن الملك الظاهر، لتوليته السلطنة بديار مصر والشام عوَض الملك الصالح، بعد خلعه من ثامن شهر ربيع الآخر من هذه السنة، وقُطعت الخطبة للملك الصالح بمكة.

ومنها: أنه فى سنة ست وعشرين وثمانمائة بات الحجاج بمنى فى ليلة التاسع إلى طلوع الفجر أو قربه، ثم ساروا إلى عرفة فبلغوها بعد طلوع الشمس بقليل،

---

(١) فى المطبوعتين: «يدير» والمثبت رواية الأصل.

وسبب مبيتهم فيها خوف النهب، فسلموا فى ذهابهم ورجوعهم، لاعتناء الأمراء الذين حجوا فى هذه السنة بحراستهم، أثابهم الله تعالى.

وهذا آخر ما قصدنا ذكره من الحوادث فى هذا الباب، ونسأل الله أن يجزل لنا على ذلك الثواب، ولولا مُرَاعاتنا للاختصار فى ذِكرها لَطَال شرح أمرها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب التاسع والثلاثون

فى ذكر شىء من أمطار مكة وسيولها
فى الجاهلية والإسلام

وشىء من خبر الصواعق بمكة

وذكر شىء من أخبار الغلاء والرخص والوباء

رويـنـا بالسند المتقدم إلى الأزرقي قال: سيول مكة في الجاهلية: حدثني محمد ابن يحيى قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز قال: إن وادى مكة سال في الجاهلية سيلاً عظيمًا، وخُزاعة تلى الكعبة، وإن ذلك السيل هجم على أهل مكة، ودخل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة، ورمى الشجر بأسفل مكة، وجاء برجل وامرأة ميتين، فعُرفت المرأة، كانت تسكن بأعلى مكة، يقال لها فارة، ولم يعرف الرجل، فَبَنَتْ خُزاعة حوالى البيت بناءً، وأدارته عليه، وأدخلوا الحِجْر فيه ليحصّنوا البيت من السيل، فلم يزل ذلك البناء على حاله حتى بَنَتْ قريشٌ الكعبة، فسُمّي ذلك السيل: سيل فارة، وسمعت أنها امرأة من بنى بكر.

وبه قال الأزرقي: حدثني جدى عن سفيان عن عمرو بن دينار، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: حدثني أبي عن جدى[1] قال: جاء سيل في الجاهلية كسا ما بين الجبلين[2].

وبه قال الأزرقي: سيول وادى مكة في الإسلام.

حدثني جدى قال: وسال وادى مكة في الإسلام بأسيال عظام مشهورة عند أهل مكة.

منها سيل في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، يقال له: سيل أُمّ نَهْشَل، أقبل السيل حتى دخل المسجد الحرام من الوادى من أعلى مكة من طريق الردم، وبين الدارين، وكان ذلك السيل ذهب بأُمّ نهشل بنت عبيد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس، حتى استُخرجت منه بأسفل مكة، فسُمّي: سَيْل أمّ نهشل، واقتلع السيل المقام: مقام إبراهيم ﷺ، وذهب به حتى وُجد بأسفل مكة، وعيّن مكانه الذى كان فيه، وأُخذ فرُبط بلصق الكعبة بأستارها، وكُتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك، فجاء فزعًا، حتى رد المقام مكانه، ثم قال: فعمل عمر بن الخطاب

---

(١) تحرف في المطبوعتين إلى: «جدّه» وصوابه من الأصل والأزرقي الذى ينقل عنه المصنف.
(٢) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٦٦، ١٦٧.

ﷺ فى تلك السنة الردم الذى يقال له: ردْم عمر، وهو الردم الأعلى عند دار جحش بن رباب، التى يقال لها دار أبان بن عثمان، إلى دار بَبَّةَ[1]، فبناء بالضفائر[2] والصخر العظام، وكبسه، فسمعت جدّى يذكر أنه لم يَعْلُهُ سيل منذ ردمه عمر ﷺ إلى اليوم.

وقد جاء من بعده أسيال عظام، كل ذلك لا يعلوه منها شىء[3].

قال الأزرقى: ذكْر سَيْل الجُحاف، وما جاء فى ذلك، قال:

وكان سيل الجُحاف فى سنة ثمانين فى خلافة عبد الملك بن مروان، صبّح الحاجّ يومًا، وكان يوم التروية، وهم آمنون قارون، قد نزلوا إلى وادى مكة، واضطربوا الأبنية، ولم يكن عليهم من المطر إلا شىء يسير، إنما كانت السماء فى صدر الوادى، وكان عليهم من ذلك رشاش.

قال الأزرقى: قال جدى: حدثنى سفيان بن عُيَيْنَة عن عمرو بن دينار قال: لم يكن المطر عام الجحاف على مكة إلا شيئًا يسيرًا، وإنما كان شدته بأعلى الوادى، قال: فصبحهم يوم التروية بالغبش قبل صلاة الصبح، فذهب بهم وبمتاعهم، ودخل المسجد وأحاط بالكعبة، وجاء دفعة واحدة، وهدم الدور على الشوارع على الوادى، وقتل الهدم أناسًا كثيرًا، ورقى الناسُ الجبالَ، واعتصموا بها، فسُمّى ذلك الجحاف، وقال فيه عبد الله بن أبى عمّار[4]:

ولم تر عينى مثل يوم الاثنين ... أكثر محزونًا وأبكى للعين
إذ خرج المخبئات تَسْعَيْنَ ... سواندًا فى الجبلين يرقين

فكتب فى ذلك إلى عبد الملك بن مروان، ففزع لذلك، وبعث بمال عظيم، وكتب إلى عامله على مكة عبد الله بن سفيان المخزومى ـ ويقال: بل كان عامله

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «دار أبيه» وفى طبعة الذهبى إلى: «دار بيَّه» بالياء المثناة، وصوابه من الأصل والقاموس مادة (ب ب ب) وفيه: «ودار بَبَّةَ بمكة».
(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «بالعطائر» وصوابه من الأصل والأزرقى.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٦٧، ١٦٨.
(٤) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «أبى عمارة» وصوابه من الأصل.

الحارث بن خالد المخزومى ـ يأمر بعمل ضفائر الدُّور الشارعة على الوادى للناس من المال الذى بعث به، وعمل ردمًا على أفواه السكك يُحَصَّنُ بها دُور الناس من السيول، وبعث رجلاً نصرانيًا مهندسًا فى عمل ذلك، وعمل ضفائر المسجد الحرام، وضفائر الدور فى جَنَبَتَى الوادى، فكان من تلك الردم الردم الذى يقال له ردم الخزامية على فوهة بخط الخزامية، والردم الذى يقال له: ردم بنى جُمَح، وليس لهم، ولكنه لبنى قراد الفِهْرِيِّين، فغلب عليه ردم بنى جَمَح، وله يقول الشاعر:

سأملك عبرةً وأفيضُ أُخرى ... إذا جاوزتُ ردمَ بنى قُراد

قال: فأمر عامله بالصخر، فنُقلت له على العَجَل، وحفر الأرباض دون دُور الناس، فبناها به، وأحكمها من المال الذى بعثه، قالوا: فكانت الإبل والثيران تجر ذلك العجل، حتى ربما أنفق فى المسكن الصغير لبعض الناس مثل ثمنه مرات، ومن تلك الضفائر أشياء إلى اليوم قائمة على حالها من دار أبان بن عثمان التى هى ردم عمر ﷺ، وهَلُمّ جرًّا إلى دار ابن الجوار[١]، فتلك الضفائر التى فى أرباض[٢] تلك الدُّور كلها، مما عمل من ذلك المال، ومن ردم بنى جُمَح[٣] منحدرًا فى الشق الأيسر إلى أسفل مكة، وأشياء من ذلك هى على حالها، وأما ضفائر دار أويس التى بأسفل مكة ببطح نحر الوادى، فقد اختلف علينا فى أمرها، فقال بعضهم: هى من عمل عبد الملك، وقال آخرون: لا، بل هى من عمل أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما، وهو أثبتهما عندنا.

---

(١) كذا فى طبعة تدمرى، ومثله لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف، وفى طبعة الذهبى: «ابن الخوار» بالخاء، والكلمة فى الأصل غير معجمة.

(٢) فى طبعة الذهبى: «التى فى رباط» والمثبت رواية الأصل والأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «بن جمح» وصوابه من الأصل والأزرقى.

وكان جاء بعد ذلك سيل يقال له سَيْل المُخبّل في سنة أربعٍ وثمانين، وأصاب الناس عقبه مرض شديد في أجسادهم وألسنتهم، أصابهم منه شبه الخَبَل، فسمّي: المُخبِّل، وكان عظيمًا، دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة[1].

وكان بعد ذلك أيضًا سيل عظيم في سنة أربعٍ وثمانين ومائة، وحمّاد البربري أمير على مكة، دخل المسجد الحرام، وذهب بالناس وأمتعتهم، وغرق الوادي في أثره في خلافة الرشيد هارون.

وجاء سيل في سنة اثنتين ومائتين في خلافة المأمون، وعلى مكة يزيد بن محمد ابن حنظلة المخزومي، خليفة لحمدون بن علي بن عيسى بن ماهان، فدخل المسجدَ الحرام، وأحاط بالكعبة، وكان دون الحجر الأسود بذراع، ورُفع المقام عن مكانه لما خيف عليه أن يذهب به السيل، وهدم دُورًا من دور الناس، وذهب بناس كثير، وأصاب الناس بعده مرض شديد من وباء وموت فاشٍ، فسُمّي ذلك السيل: سيل ابن حنظلة[2].

ثم جاء بعد ذلك سيل في خلافة المأمون، هو أعظم من سيل ابن حنظلة في سنة ثمانٍ ومائتين في شوال، جاء والناس غافلون، فامتلأ السد الذي بالثقبة، فلما فاض انهدم السد، فجاء السيل الذي اجتمع فيه مع سيل السِّدْرة، وسيل ما أقبل من مِنى، فاجتمع ذلك كله، فجاء جملة، فاقتحم المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة، وبلغ الحجر الأسود، ورُفع المقام من مكانه لما خيف عليه أن يذهب به، فكُبس المسجد الحرام والوادي بالطين والبطحاء، وقلع صناديق الأسواق ومقاعدهم، وألقاها بأسفل مكة، وذهب بأناس كثيرين، وهدم دورًا كثيرة مما أشرف على الوادي، وكان أمير مكة يومئذ عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم، وعلى بريد مكة وصوافيها مبارك الطبري، وكان وافى تلك السنة للعُمْرة في شهر رمضان قوم من الحجاج من أهل خراسان وغيرهم كثير، فلما رأى الناس من الحجاج وأهل مكة ما في المسجد من الطين والتراب،

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٢٣٣.
(٢) الفاكهي ٣/ ١٠٩.

اجتمع الناس فكانوا يعملون بأيديهم ويستأجرون من أموالهم، حتى كانت النساء بالليل والعواتق يخرجن فينقلن التراب التماس الأجر والبَرَكَة، حتى رُفع من المسجد الحرام ونقل ما فيه، فرفع ذلك إلى المأمون، فأرسل بمال عظيم، وأمر أن يعمل به في المسجد، ويبطح ويعزق وادى مكة، فعزق منه وادى مكة، وعمّر المسجد الحرام وبطح، ثم لم يعزق وادى مكة، حتى كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين، فأمرت أم أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله باثنتى عشرة ألف دينار لعزقه، فعزق بها عزقًا مستوعبًا. انتهى. هذا ما ذكر الأزرقى من سيول وادى مكة فى الجاهلية والإسلام.

وذكر الفاكهى[(١)] السيول التى ذكرها الأزرقى أحصر مما ذكره، وذكر فى ذلك غير ما لم يذكره الأزرقى، لأنه ذكر أن السيل الذى يقال له المُخْبِل كان فى ولاية حمّاد البربرى على مكة، وهذا لا يُفهم من كلام الأزرقى.

وذكر أنّ السيل الذى يقال له: سيل ابن حنظلة كان عظيمًا امتلأ به الوادى وعلاه قيد رمح[(٢)]، وهذا أيضًا لا يُفهم من كلام الأزرقى، ونقل الفاكهى هذا عن أبيه إسحاق وابن العباس.

ومن أمطار مكة وسيولها التى كانت قبل الأزرقى ولم يذكرها، وما ذكره ابن جرير الطبرى فى تاريخه، لأن فيه فى أخبار سنة ثمان وثمانين من الهجرة، وعن صالح ابن كيسان قال: خرج عمر بن عبد العزيز تلكَ السنة، يعنى سنة ثمانٍ وثمانين، ومعه نفر من قريش أرسل إليهم بصلات، وظَهْر للحُمولة، وأحرموا معهُ من ذى الحُلَيْفة، وساق معه بُدْنًا، فلما كان بالشقير لقيهم نفر من قريش، منهم ابن أبى[(٣)] مُلَيْكة وغيره، فأخبروه أن مكة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش، وذلك أن المطر قَلّ، فقال عمر ﷺ: فالمَطْلَب هاهنا، تعالوا ندْعُ الله، قال: فرأيتهم دَعَوْا، ودعا معهم عمر ﷺ فألحّوا فى الدعاء، قال صالح: فلا والله إنْ وصلنا إلى البيت

(١) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ١٠٤ وما بعدها.
(٢) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «وعلاء بذراع».
(٣) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «ابن أبى بكر مليكة».

ذلك اليوم إلاّ مع المطر، حتى كان مع الليل، وسَكَبَت السماء وجاء سيل الوادى، فجاء أمر، فخافه أهل مكة، ومُطِرت عَرَفَة ومِنى وجَمْع، فما كانت إلاّ عُبْرًا، قال: وكانت مكة تلك السنة خصبة. انتهى. وذكر ابن الأثير هذا بالمعنى مختصرًا، وفيه أنهم لقوا عمر بالتنعيم، ولعل الشفير الذى وقع فيما نقلناه من تاريخ ابن جرير تصحيف من الكاتب، والله أعلم.

ومنها: سيل أبى شاكر فى ولاية هشام بن عبد الملك فى سنة عشرين ومائة، وأبو شاكر المنسوب إليه هذا السيل هو مسلمة[1] بن هشام بن عبد الملك، ولم يبين الفاكهى سبب تسمية هذا السيل بأبى شاكر، وذلك لأن أبا شاكر حج بالناس سنة تسع عشرة ومائة، على ما ذكر العتيقى وغيره، وجاء هذا السيل عقيب حج أبى شاكر، فسُمّى به، والله أعلم.

ومنها: سيل اللَّبيرى[2] فى خلافة المهدى العباسى سنة ستين ومائة، وكان هذا السيل ليومين بقيا من المحرَّم، وذكر هذين السيلين الفاكهى بمعنى ما ذكرناه[3].

ومن أمطار مكة وسيولها فى عصر الأزرقى أو بعده بقليل: سيل كان فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ودخل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة، وبلغ قريبًا من الركن الأسود، ورمى بالدُّور بأسفل مكة، وذهب بأمتعة الناس، وخرب منازلهم، وملأ المسجد غُثاءً ترابًا، حتى جرّ ما فى المسجد من التراب بالعجل[4].

ومنها: فى سنة اثنتين وستين ومائتين جاء سيل عظيم، ذهب بحصباء المسجد الحرام حتى عرا منها[5].

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «سلمة بن هشام» وصوابه من الأصل ومثله لدى المصنف فى الزهور المقتطفة ص٣٣٦ وإتحاف الورى ٢/ ١٥٢، وأخبار مكة للأزرقى ٢/ ٣١١.

(٢) اللبيرى: ساقط من طبعة ثندمرى، وورد محرفًا فى طبعة الذهبى، وبدون إعجام فى الأصل، وصوابه لدى المصنف فى الزهور المقتطفة ص٣٣٦، وأخبار مكة للفاكهى ٣/ ١٠٨، وفيه: «الليبرى» وإتحاف الورى ٢/ ٢٠٣.

(٣) أخبار مكة للفاكهى ٣/ ١٠٨.

(٤) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٣١١.

(٥) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٣١٢.

ومنها: فى سنة ثلاث وستين ومائتين، وذلك أن مكة مُطرت مطرًا شديدًا، حتى سال الوادى، ودخلَ السيل من أبواب المسجد، فامتلأ المسجد، ونبع الماء قريبًا من الحجر الأسود، ورُفع المقام من موضعه، وأُدخل فى الكعبة للخوف عليه من السيل، ذكر هذه السيول الفاكهى بهذا اللفظ، غير قليل منه فبالمعنى.

ومن أمطار مكة وسيولها بعد الأزرقى: ما ذكره إسحاق بن أحمد الخزاعى، راوى تاريخ الأزرقى، وأدخله فيه عقيب الخبر الذى فيه أنه يأتى على زمزم زمان تكون أعذب من النيل والفرات، لأنه قال: وقد رأينا ذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة، وسال واديها بأسيال عظام فى سنة تسع وسبعين، وسنة ثمانين ومائتين، فكثُر ماء زمزم، وارتفع حتى كان قريب رأسها، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلا سبع أذرع أو نحوها، وما رأيتها قط كذلك، ولا سمعت من يذكر أنه رآها كذلك، وعَذُبَتْ جدًّا حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التى يشربها أهلها(١). انتهى.

ومنها: ما ذكره المسعودى فى تاريخه فى أخبار سنة سبع وتسعين ومائتين، ونص كلامه: ورد الخبر إلى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الأربعة غرقت حين جرى الغرق فى الطواف، وفاضت بئر زمزم، وأن ذلك لم يُعهد فيما سلف من الزمان(٢). انتهى.

ومنها: أنه فى جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة وقع بمكة مطر سبعة أيام، وسقطت منه الدور وتضرر الناس من ذلك كثيرًا.

ومنها: على ما وجدتُ بخط الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بن البرهان الطبرى أنه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقع بمكة مطر سال منه وادى إبراهيم، ونزل مع الماء بَرَدٌ بقدر البيض، وُزن بميزان أخى زهير مائة درهم.

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٣٤٧.
(٢) مروج الذهب ٤/ ٣٠٧.

ومنها: على ما وجدتُ بخطه أنه فى سنة تسعٍ وستين وخمسمائة وقع بمكة مطر، وجاء سيل كبير، إلى أن دخل من باب بنى شيبة، ودخل دار الإمارة، ولم يُر سيل قط قبله دخل دار الإمارة. انتهى.

ومنها: على ما وجدت بخطه أنه فى سنة تسعٍ وسبعين وخمسمائة كثُرت الأمطار والسيول بمكة، سال وادى إبراهيم خمس مرات.

ومنها: على ما وجدت بخطه أنه فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة جاء سيل عظيم فى يوم الاثنين الثامن من صفر، ودخل الكعبة وأخذ إحدى فُرْضَتَى باب إبراهيم، وحمل منابر الخطبة ودرجة الكعبة، ووصل الماء إلى فوق القناديل التى فى وسط المسجد بكثير. انتهى.

ورأيت فى نسخة فى تاريخ الأزرقى فى حاشيته صورتها: جاء سيل فى يوم الاثنين لثمان خَلَوْن من صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وهدم دُورًا على حافَّتَىْ وادى مكة ودخل المسجد الحرام وعلى الحجر الأسود، ذراعين، ودخل الكعبة فبلغ قريبًا من الذراع، وأخذ فُرْضَتَىْ باب إبراهيم، وسال بهما. انتهى.

وفى هذه الزيادة على ما ذكر ابن البرهان كون السيل بلغ فى الكعبة قريبًا من ذراع، وكونه أخذ فُرْضَتَىْ باب إبراهيم، وكونه هدم دُورًا على جانب وادى مكة.

ومنها: سيل على رأس العشرين وستمائة، ذكر ذلك ابن مُسْدى فى مُعْجَم شيوخه، لكون هذا السيل أذهب إثبات بعض شيوخه، وذكر أنه طم بمكة.

ومنها: على ما وجدتُ بخطّ الشيخ أبى العباس الْمَيورقى أنه فى منتصف ذى القعدة عام عشرين وستمائة أتى سيل عظيم قارب دخولَ بيت الله الحرام، ولم يدخله. انتهى. ولعله السيل الذى ذكره ابن مسدى، والله أعلم.

ومنها: على ما وجدت بخطه سيل فى سنة إحدى وخمسين وستمائة.

ومنها: على ما وجدتُ بخطّه أيضًا أنه فى ليلة نصف شعبان سنة تسع وستين وستمائة أتى سيل لم يُسمع بمثله فى هذه الأعصار، بأثر سيل فى أول يوم الجمعة، يعنى رابع عشر شعبان هذه السنة، ودخل بيت الله الحرام شرّفه الله تعالى وألقى

كل زبالة كانت فى المـَعْلاَة فى الحرم، قدَّسه الله تعالى، قال لى الشيخ عبد الله بن محمد بن الشيخ أبى العباس محمد التونسى المعروف بالأعمى: لم يكن ليلة النصف من شعبان بالحَرَم أحد إلا أن الحرم بقى كالبحر، يموج منبره فيه، وما سمعت تلك الليلة مؤذنًا، لأنه بقى الناس من خوف الهدم والغرق فى أمر عظيم، حتى خُشى أنه ينسى كثير من الناس الفرض، فكيف بصلاة ليلة النصف من شعبان المكرَّمة، قال: وتوهمت أنا أنه طرْدٌ لأهل مكة عن بيته، لأنهم كانوا قد استعدوا على العادة لصلاة نصف شعبان، وأُخرجوا من صلاة الجمعة، فأتمها الإمام، ولم يُر تلك الليلة طائف إلا ما سُمع فى السحر برجل يطوف بالعوم، فتعجب الناس من قوته وجسارته، قال القلعى: إن الحجر الأسود لا يُستطاع إلا لمن كان عوَّامًا غطاسًا، وقال الفقيه يعقوب القاضى: حمل سيل مكة عالمًا عظيمًا، وطاحت الدور على عالم أيضًا. انتهى.

ومنها: سيل عظيم فى ليلة الأربعاء سادس عشر ذى الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة، ذكره قاضى مكة شهاب الدين الطبرى فى كتاب كتبه لبعض أصحابه بعد الحج فى هذه السنة، ونص المكتوب فى الكتاب فيما يتعلق بهذا السيل: وجاء الناس سيل عظيم بلا مطر ليلة الأربعاء سادس عشرين من ذى الحجة ملأ الفساقى التى عند الـمَعْلاَة، وعند مولد رسول الله ﷺ، وخرَّب البساتين وملأ الحرم، وأقام الماء فيه يومين، والعمل مستمر فيه يلزم الناس شُغْلٌ مدة كثيرة. انتهى.

ومنها: على ما ذكر البرزالى فى تاريخه أن فى آخر ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وقع بمكة أمطار وصواعق، وقعت صاعقة على أبى قُبَيْس فقتلت رجلاً، ووقع فى مسجد الخيف صاعقة فقتلت آخر، ووقع فى الجِعْرانة صاعقة فقتلت رجلين. انتهى.

ومن أخبار الصواعق: صاعقة وقعت بمكة قبل سنة سبعمائة، وبعد التسعين ــ بتقديم التاء ــ وستمائة هلك بها بعض مؤذنى الحرم.

ومنها: صاعقة وقعت فى المسجد الحرام، فقتلت خمسة نفر، وذلك فى سنة أربعٍ وخمسين ومائة، ذكر ذلك الواقدى فيما حكاه الذهبى عنه.

ومنها: على ما وجدتُ بخطّ ابن البرهان أنه فى ليلة الخميس العاشر من جُمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة دخل سيل عظيم إلى المسجد الحرام، وبلغ فى الكعبة شبرًا وأربع أصابع. انتهى. وقد ذكر هذا السيل ابن محفوظ فى تاريخه فقال: وفى تلك السنة يعنى سنة ثمان وثلاثين جاء سيل وادى إبراهيم، حتى أنه دخل المسجد الحرام، فطلع فى وسط الكعبة قدر ذراع، وبلغ الماء إلى القناديل التى بالأروقة، وبقيت المنابر منابر الخطبة ودرجة الكعبة كأنهم السفن، وكان ذلك ليلاً، وبَلّ جميع الكتب التى كانت فى قبة الكتب، وطرح فى الحرم ترابًا عظيمًا، وقعد الناس فى تقويمه مدة. انتهى. ورأيت مذكورًا بأبسط من هذا فى ورقة لا أعرف كاتبها، وإنما رأيت أن أذكر ذلك لما فيه من الفائدة، ونص المكتوب:

ولما كان عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة أحسن الله تقضّيه وعقباه ليلة الخميس عاشر جُمادى الأولى منه، الموافق خامس كانون الأول، قدَّر الله تعالى غيمًا ورُعُودًا مزعجة وبُرُوقًا مخيفة ومطرٌ وابل كأفواه القِرَب من علو، ثم وقعت السيول من كل جهة، وكان وبْلٌ بمكة شرفها الله تعالى وحماها، وكان معظم السيل من جهة البطحاء، ودخل الحرم الشريف من جميع الأبواب التى تليه من باب بنى شيبة إلى باب إبراهيم، وحفر فى الأبواب، وجعل حلول الأعمدة التى فى طريقه مقدار قامتين وأكثر، ولو لم يكن أساسات الأعمدة مُحْكمةً لكان رمى بها، وقلع من أبواب الحرم أماكن، وطاف بها الماء، فطاف بالمنابر كل واحدة إلى جهة، وبلغ عند الكعبة المعظّمة قامة وبسطة، ودخلها من خلل الباب، وعلا الماء فوق عتبتها أكثر من نصف ذراع بل شبرين، ووصل إلى قناديل المطاف، وعبر فى بعضها من فوقها فطفأها، وغرق بعض المجاورات من النساء اللواتى فى المساطب، وخرب بيوتًا كثيرة، وغرق بعض أهلها، وبعضهم مات تحت الردم، وكان أمرًا مهولاً قدرةَ قادرٍ يقول للشىء كُنْ فيكون، سبحانه وتعالى، ولو دام ذلك النَّوْء إلى

الصباح لَغَرِقت مكة، والعياذ بالله، وذكره أيضًا الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تاريخه بما يقتضى تعظيمه(١).

ولم يجئ مكةَ فيما علمتُ بعد هذا السيل سيل على نحو هذه الصفة، إلاّ سيلاً كان بمكة فى سنة اثنتين وثمانمائة، وذلك أنه فى آخر اليوم الثامن من جُمادى الأولى من هذه السنة، نشأت مخايل، واستهلت بالغيث ساعة بعد ساعة، وكان الحال هكذا فى اليوم التاسع من هذا الشهر، وفى آخره اشتد استهلال الغيث، واستمر الحال على ذلك إلى بعد المغرب من ليلة الخميس عاشر الشهر المذكور، فصار المطر يصب كأفواه القِرَب، وما شعر الناس إلاّ سيل وادى إبراهيم قد هجم مكة، فلما حاذى وادى أجياد خالطه السيل الذى جاء منه، وصار ذلك بحرًا زاخرًا، فدخل السيل المسجد الحرام من غالب أبوابه، وعَمَّه كلَّه، وكان عمقه فى المسجد خمسة أذرع، على ما ذكر لى بعض أصحابنا فى كتابه، لأنى كنت غائبًا عن مكة فى الرحلة الثانية منها، وذكر لى بعض مشايخنا أن عمقه فى جهة باب إبراهيم فوق قامة وبسطة، وأنه علا على عتبة باب الكعبة المعظمة قدر ذراع أو أكثر فيما قيل، ودخلها السيل من شق بابها الشريف، واحتمل درجة الكعبة المعظَّمة وألقاها عند باب إبراهيم، ولولا صدّ بعض العواميد لها لَحَمَلَها إلى حيث ينتهى، وأخرب عمودين فى المسجد الحرام عند باب العجلة، بما عليهما من العقود والسقف، ولولا ما لطف الله به من تصرُّفه من المسجد سريعًا لأخرب المسجد، لأنه كان يقد الأرض قدًّا، وأخرب دُورًا كثيرة بمكة، وسقط بعضها على سكانها فماتوا، وجملة من استُشهد بسببه على ما قيل نحو ستين نفرًا، وأفسد للناس من الأمتعة شيئًا كثيرًا، وأفسد فى المسجد مصاحف كثيرة، ولما أصبح الناس نادى بهم المؤذن لصلاة الصبح بالصلاة فى بيوتهم للمشقة العظيمة فى المشى فى الطرقات إلى المسجد الحرام، لأجل الوحل والطين، وامتلأ المسجد بذلك أيضًا، وكذلك صنع المؤذن لصلاة الصبح يوم الجمعة، ولم يخطب الخطيب يوم الجمعة إلا فى الجانب

---

(١) الزهور المقتطفة ص٣٣٨.

الشمالى من المسجد الحرام، لعدم تمكّنه من الخطبة فى الموضع الذى جرت العادة بخطبته فيه، وهو الركن الشامى لما فى هذا الموضع من الوحل والطين، وبلغنى أن ناسًا مكثوا يومين لا يتمكنون من الطواف لأجل ذلك إلا بمشقة، وبالجملة فكان سيلاً مَهُولاً، فسبحان الفعال لما يريد.

ومن سيول مكة المهولة بعد هذا السيل: سيل يدانيه لدخول المسجد الحرام، وارتفاعه فيه فوق الحجر الأسود حتى بلغ عتبة باب الكعبة الشريفة، وألقى درجتها عند منارة باب الحَزْوَرَة، وكان هجم هذا السيل على المسجد الحرام عقيب صلاة الصبح، من يوم السبت سابع عشرين من ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وكان المطر وقع بقوة عظيمة فى آخر هذه الليلة، فلما كان وقت صلاة الصبح، صلى الإمام الشافعى بالناس أمام زيادة دار الندوة بالجانب الشامى من المسجد الحرام، لتعذر الصلاة عليه بمقام إبراهيم عليه السلام وما يليه هناك، فلما انقضت صلاة الصبح حمل الفرَّاش الشمعة ليوصله للقبة المُعَدَّة لذلك، بين سقاية العباس وقبة زمزم، فإذا الماء فى صحن المسجد يعلوه قليلاً قليلاً، ولم يتمكن من إيصال الشمع للقبة إلا بعُسْر، وكان بعض أهل السقاية بها، فدخل عليه الماء من بابها، ثم زاد فرقى على دكة هناك، ثم زاد فرقى على صندوق وضعه فوق الدكة، فبلغه الماء، فخاف وخرج من السقاية فارًّا إلى صوب الصفا، وما نجا إلا بجهد، وكان السيل قد دخل المسجد من الأبواب التى بجهة باب الصفا، والأبواب التى بالجهة الشرقية، وهى التى فيها باب بنى شيبة، ومنه دخل الماء المسجد الحرام، وقلّ أن يُعهد دخول الماء منه، وصار المسجد مغمورًا بالماء الكثير المرتفع نحو القامة، وكان به خشب كالصندوق الكبير ليس له رأس يستره، كان فوق بعض الأساطين التى أزيلت فى هذه السنة لعمارتها، فأخذه بعض الناس وركب فيه، وصار يقذف به فيه، حتى أخرج به من السيل الجديد عند زمزم شخصًا كان بالسبيل متعلقًا ببعض شبابيك السبيل خوفًا من الغرق، لما دخل الماء السبيل، ووصلا فيه للمحل الذى أراداه، وفعل مثل ذلك بغير واحد، وما خرج السيل من المسجد حتى هُدمت عتبة باب إبراهيم لِعُلُوّها، وألقى السيل فى المسجد من الوحل

والطين والأوساخ ما كثر التعب لتنظيفه ونقله، وعَسُر قبل ذلك الانتفاع بالمسجد لأجله، وأفسد للناس أشياء كثيرة من المتاجر فى الدور التى بمسيل وادى مكة بناحية سوق الليل والصفا والمسفلة، وما مات فيه أحد فيه علمناه، ولكن مات فى هذه الليلة أربعة نفر بمكان يقال له الطنبداوية بأسفل مكة، بصاعقة وقعت عليهم هناك، فسبحان الفعال لما يريد، ومما تخرب بهذا السيل: موضع الدرب الجديد بسور باب الـمَعْلاَة وألقاه للأرض، وما بين هذا الباب والباب القديم، وذلك ثمانية وعشرون ذراعًا.

ومنها: سيل يقارب هذا السيل، دخل المسجد الحرام من أبوابها التى بالجانب اليمانى وقارب الحجر الأسود، زاده الله شرفًا، وألقى بالمسجد من الأوساخ والزبل شيئًا كثيرًا، وذلك بعد المغرب من ليلة ثالث جُمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة، عقيب مطر عظيم، وكان ابتداؤه بعد العصر من ثانى الشهر المذكور، وأخرب هذا السيل باب الماجن، وجانبًا كبيرًا من سُوره، ثم عُمِّر ذلك، والله أعلم.

ولا شك أن الأخبار فى هذا المعنى كثيرة، ولكن لم نظفر منها إلاّ بهذه النبْذة اليسيرة.

ذكر شيء من أخبار الغلاء والرخص والوباء بمكة المشرفة على ترتيب ذلك فى السنين

فمن ذلك: أنه فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، وقع بمكة غلاء، وأصاب الناس مجاعة شديدة، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمد الذُّرة بعشرين درهمًا، ذكر ذلك صاحب الكامل، ولم يبين مقدار المد، والله أعلم بذلك.

ومن ذلك أيضًا: أنه فى سنة إحدى وخمسين ومائتين بلغ الخبز بمكة ثلاث إواق بدرهم، ورطل اللحم بأربعة دراهم، وشربة ماء بثلاثة دراهم، ذكر ذلك صاحب «الكامل».

ومن ذلك: أنه فى سنة ستين ومائتين على ما قال صاحب «الكامل» أيضًا اشتد الغلاء فى عامَّة بلاد الإسلام، فانجلى من أهل مكة الكثير، ورحل عنها عاملها، ومن ذلك: أنه فى سنة ستٍّ وستين ومائتين على ما قال صاحب «الكامل» أيضًا: عم الغلاء سائر بلاد الإسلام من الحجاز والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك، إلا أنه لم يبلغ الشدة التى بالمدينة.

ومن ذلك: أنه فى سنة ثمانٍ وستين ومائتين على ما قال صاحب «الكامل» أيضًا صار الخبز بمكة أوقيتين بدرهم، وذكر أن سبب ذلك أن أبا المغيرة المخزومى صار إلى مكة، فجمع عاملها جمعًا احتمى بهم، فصار أبو المغيرة إلى المُشَاش عين مكة فغوَّرها، وإلى جُدَّة فنهب الطعام، وأحرق بيوت أهلها، ثم ذكر ما سبق من سعر الخبز.

ومن ذلك: أنه فى سنة أربعين وأربعمائة، على ما ذكر صاحب «الكامل» كان الغلاء والوباء عامًّا فى جميع البلاد، بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر، وغيرها من البلاد.

ومن ذلك: أنه فى سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة على ما قال صاحب «الكامل» أيضًا كان بمكة غلاء شديد، بلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربى، وتعذر وجوده، فأشرف الناس والحُجّاج على الهلاك، فأرسل الله عليهم من الجراد ما ملأ الأرض، فتعوض الناس به، ثم عاد الحجاج، فسهل الأمر على أهل مكة، قال: وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر على العادة، فلم يُحمل منها الطعام إلى مكة. انتهى.

ومن ذلك: أنه فى سنة ثمانٍ وأربعين، على ما ذكر صاحب «الكامل» عمَّ الوباء والغلاء سائر البلدان من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها.

ومن ذلك: أنه فى سنة سبعٍ وستين وخمسمائة، على ما وجدت بخط جمال الدين بن البرهان الطبرى، بلغ الخُبّ بمكة خمسة أمداد بدينار، ولم يجئ مير فى رجب، ولا فى شعبان، إلى أن وصلت جَلْبَتَان من صدقة مشحونتان من عند صلاح الدين رحمه الله، فأحييت المسلمين وفرجت عنهم. انتهى. وما عرفت مقدار

المُدّ المشار إليه، هل هو مُدّ الطائف، أو مُدّ أهل بجيلة وما والاها، الذى يقال له الزبيدى، وهو الأقرب، لأنه مُدّ المُيَّر المشار إليهم، وهم الجالبون للميرة إلى مكة، والله أعلم.

ومقدار هذا المُدّ ربعية، وهى ربع الربع المكى الذى يكتال الناس به الآن بمكة، ويبعد كل البعد أن يكون المُد المشار إليه فى هذه الحادثة، وفيما يُذكر من الحوادث المد المكى، لكثرته ويسارة الثمن عنه، إلا أن يكون الدينار المشار إليه ذَهَبًا، وهو بعيد، والله أعلم.

ومن ذلك: أنه فى سنة تسع وستين وخمسمائة، على ما وجدت بخط ابن البرهان أيضًا، بلغ الحَبّ فيها صاعًا بدينار، وصاعًا إلا ربع، وأكل [الناس][1] الدم والجلود والعظام، ومات أكثر الناس، فلما أن كان الثامن والعشرون من جمادى الآخرة، وجه الخليفة المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين بالصدقات لأهل مكة والمجاورين، وفرج عنهم، فرح الله عنه.

ثم قال بعد أن ذكر المطر الذى كان بمكة فى هذه السنة، وقد تقدم ذكره، وجاء فى شهر رجب الميرة، وابتاعوا الحَبّ ثلاثة أصوع ومُدَّيْن بدينار. انتهى.

والصاع هو الزبيدى فيما أحسب، وهو رُبع المُدّ المكى أو صاع طائفى، وهو نحو نصف المُدّ المكى، وفيه بُعْد، وليس هو الصاع المكى بلا ريب، لكثرته ويسارة الثمن، والله أعلم.

ومن ذلك: أنه على رأس سنة ستمائة، كان بمكة غلاء شديد ووباء، ذكر ذلك الشيخ أبو العباس المَيُورقى، لأنّى وجدت بخطّه أنّ القاضى عثمان بن عبد الواحد العسقلانى المكى، أخبره أنه ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة، قال: وهذا تاريخ غلاء مصر الكبير، بقى نحو سنتين، ثم كان بأثره غلاء الحجاز المعروف بحوطة نحو سنتين، ثم أمطر الله البلاد، ووقع وباء الميلة سنتين أيضًا على رأس الستمائة. انتهى.

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى.

ومن ذلك: أنه فى سنة ثلاثين وستمائة، أو فى التى بعدها كان بمكة غلاء يقال له غلاء ابن مجلى، لأن الميورقى قال: فيما وجدت بخطه، بعد أن ذكر فتنة كانت بمكة فى سنة تسع وعشرين وستمائة، ثم جاء غلاء ابن مجلى بأثر ذلك. انتهى. ولم يبيّن الميورقى ابن مجلى هذا، وهو أمير كان بمكة من جهة الملك الكامل.

ومن ذلك، على ما قال ابن محفوظ، فى سنة تسع وأربعين وستمائة: وقع بمكة غلاء عظيم، وأقام الغلاء سنة. انتهى.

ومن ذلك أنه فى عُشْر السبعين وستمائة، كان بمكة غلاء شديد، ذكره الميورقى، لأنى وجدت بخطه: واشتد الغلاء من آخر سنة ثلاث فى الموسم، واستمر سنة أربع وسنين، وتمادى إلى سنة خمس وستين ما لم يُسمع فى هذا العصر قط، قال: وسمعت على بن الحسين يتذاكر مع مسعود بن جميل[1]، فقالا: إن سنة الغلاء الكبير بالحجاز المعروفة بسنة حوطة، ما دامت، وذكر أنّ فوقها كانت الميلة بالطائف والحجاز، على رأس الستمائة، فوجدت الغلاء الكبير لما فرغ كانت حوطة، وذكر لى فى هذا الغلاء سنة أربع وستين شيخ مصرى، أن هذا الغلاء اليوم فى الحجاز بمصر مُضاعَفٌ على الغلاء الكبير الذى كان بمصر على قرب رأس الستمائة، أباد عالمًا من المصريين، وأكلوا فيه بعضهم بعضًا، وكان يتعجب من صبر أهل الحجاز، وعدم افتضاحهم بكثرة مروءتهم فى هذه الشدة، فصدق رسول الله ﷺ: الإيمان فى أهل الحجاز.

ووجدت بخطه: وفى أواخر جُمادى الآخرة سنة خمسٍ وستين وستمائة اشتد الخوف على البادية لتمام قحط السنين عليهم، وغلاء السعر بالطائف، وبلغ السعر فى مكة الشعير: ربع وثلثيه بدينار، وكان فى رمضان.

وبخطه أيضًا: الغلاء الدائم بالحجاز سنة ست وستين وستمائة.

ووجدت بخطه: سنة سبع وستين وستمائة رابع سنة من سنين جدب قحط الحجاز، وذكر حادثة فى هذه السنة.

---

(١) تحرف فى طبعة تدمرى إلى: «مع ابن مسعود» وصوابه من الأصل.

ووجدت بخطه: وقعت زلزلة على نحو ثُلُث الليل بالطائف، وبغتهم غُرَّة ربيع الأول سنة خامس قحط الحجاز سنة ثمانٍ وستين وستمائة، ثم جاءت الميرة سنة تسعٍ وستين فى ليةَ، وسنة سبعين.

ومن ذلك أنه فى سنة إحدى وسبعين وستمائة، كان بمكة فناء عظيم، قال المَيورقى: وسمعت الفقيه جمال الدين محمد بن أبى بكر التونسى إمام بنى عَوْف يقول: فى آخر رجب سنة إحدى وسبعين وستمائة قال الزوّار: خرج من مكة شرَّفها الله تعالى فى يوم واحد اثنان وعشرون جنازة، وفى يومٍ خمسون جنازة، وعَدَّ أهل مكة ما بين العُمْرَتَيْن من أول رجب إلى سبعٍ وعشرين من رجب نحو ألف جنازة.

ومن ذلك أنه فى سنة ست وسبعين وستمائة، كان الغلاء بمكة مستمرًّا، لأجل الفتنة التى كانت بين صاحب مكة وصاحب المدينة مع اتصال الجلاّب من سواحل اليمن وعَيْذاب وسواكن، ذكر ذلك زيد بن هاشم الحَسَنى وزير المدينة النبوية فى كتابٍ كتبه للمَيورقى، على ما وجدت بخطّه فيه.

ومن ذلك أنه فى سنة إحدى وتسعين وستمائة، على ما وجدت بخط ابن محفوظ، وكانت الحنطة ربعًا بدينار. انتهى. والربع المشار إليه هو الربع المُدّ المكى فى غالب الظنّ، والله أعلم.

ومن ذلك أنه فى سنة خمسٍ وتسعين وستمائة، على ما وجدت بخط ابن الجزرى الدمشقى فى تاريخه: وصلت الأخبار بأن الغلاء كان بمكة والحجاز، وأن غرارة القمح بيعت بألف ومائتى درهم. انتهى بالمعنى باختصار.

ولم يبين ابن الجزرى الغرارة المشار إليها، ويُحتَمَل أن تكون الغرارة الشامية، ومقدارها غرارتان مكّيّتان، ونحو نصف غرارة، ويُحتمل أن تكون الغرارة المكية، والأول أقرب، والله أعلم.

ومن ذلك أنه فى سنة سبعٍ وسبعمائة، على ما قال البرزالى فى تاريخه[1]: كان فى وسط هذه السنة بمكة غلاء شديد بيعت غرارة الحنطة بألف وخمسمائة درهم، والذُّرَة بأكثر من تسعمائة، وكان سبب الغلاء أن صاحب اليمن الملك المؤيَّد قطع الميرة عن مكة، لما بينه وبين صاحب مكة حُمَيْضة ورُمَيْثة ابنَىْ أبى نُمَىّ، ولم يزل الحال شديدًا إلى أن وصل الركب الرَّجَبِى، فنـزل السعر، ثم ورد من اليمن السبلات بعد منعها، فعاش الناس، وكان وصول الركْب الرَّجَبى مكة فى رمضان، وتوجَّهوا من القاهرة فى سابع عشر من رجب، فكان فيه فوق ألفى جمل وراحلة، وكان الماء فى هذه السنة يسيرًا يُحمل إليها من بطن مَرّ، ومن أبى عروة وغيره، وسبب ذلك قلة المطر بمكة سنين متوالية. انتهى. بالمعنى، والغرارة المشار إليها هى الغرارة الشامية فى غالب ظنى، والله أعلم.

ومن ذلك أنه فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، على ما قال البرزالى فى تاريخه، اشتد الغلاء بالحجاز بمكة وما حولها، فبلغ القمح الأردب المصرى مائتين وأربعين درهمًا، وأما التمر فعُدِم بالكلّية، والأسمان تلاشت، حتى قيل: إن السمن بلغت منه كل أوقية خمسة دراهم، واللحم كذلك، المَنّ بخمسة دراهم. انتهى بالمعنى. والوقية المشار إليها هى فى غالب ظنى الوقية المكية، ومقدارها رطلان مصريان ونصف رطل، ويقال: رطلان وثُلُث، والأول هو الذى عليه عمل الناس اليوم، والمن المشار إليه سبعة أرطال مصرية إلا ثُلُث، ويُحتَمل أن يكون المراد بالوقية الوقية الشامية، وهى خمسون درهمًا وفيه بُعْد، والله أعلم، والرطل المصرى مائة وأربعة وأربعون درهمًا.

ومن ذلك أنه فى سنة خمسٍ وعشرين وسبعمائة بيع القمح الأردب فى جُدَّة ساحل مكة، بمبلغ ثمانية عشر وسبعة عشر درهمًا كاملية، والشعير بمبلغ اثنى عشر، نقلت ذلك من خط ابن الجزرى فى تاريخه، وذكر أن المحدث شهاب الدين المعروف بابن القدسية أخبره بذلك، لما عاد من مجاورته بمكة فى هذه السنة.

---

(١) تاريخ البرزالى ٣/ ٣٧٢.

ومنها: أنه فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، على ما قال البرزالى فى تاريخه، نقلاً عن كتاب عفيف الدين المطرى أن مكة كانت فى غاية الطيبة والأمن والرخاء، القمح الأردب بأربعين درهمًا، والدقيق بثمانية، واللحم كل مَنٍّ بأربعة دراهم مسعودية، والعسل الحاجر المليح، كلّ مَنٍّ بدرهمَين، والسمن الوقية بثلاثة دراهم، والجُبْن كلّ مَنٍّ بدرهمين، وبها من الخير وكثرة المجاورين ما لا يسمع بمثله. انتهى. والمن المشار إليه هنا فى العسل والجبن ثلاثة أرطال مصرية.

ومن ذلك أنه فى سنة سبعٍ وسبعمائة، على ما قال ابن محفوظ، حصل على الناس غلاء عظيم فى أيام الموسم والحج، وابتيعت الغرارة الذُّرَة بمائة وأربعين، والحنطة بمائة وسبعين، والتمر بثلاثة دراهم المَنّ، والملح سُدْسية بدرهم كاملى، ثم قال: ودام الغلاء فى الناس شهرين بعد الحج. انتهى. ومَنٌّ التمر المشار إليه، هو ثلاثة أرطال مصرية.

ومن ذلك أنه فى سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة، على ما قال ابن محفوظ، وقع الغلاء فى الموسم، ولم يبيّن ابن محفوظ مقدار هذه الغلاء، والله أعلم بحقيقة ذلك.

ومن ذلك أنه فى سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة، كان الوباء الكبير بمكة وغيرها، وسائر الأقطار، وعظُم أمره بديار مصر.

ومن ذلك أنه فى سنة تسعٍ وخمسين وسبعمائة، على ما قال ابن محفوظ، حصل على الناس الغلاء فى المأكول جميعه، ولم يبيِّن ابن محفوظ مقدار هذا الغلاء، ثم قال: ورحلت الحواج جميعها فى اليوم الثالث وقت الظهر من منى. انتهى.

ومن ذلك أنه فى سنة ستين وسبعمائة، على ما ذكر ابن محفوظ، كان الغلاء مع الناس من أول السنة، وخلَتْ مكة خُلُوًّا عظيمًا، وتفرق الناس فى سائر الأقطار لأجل الغلاء وجَوْر الحكام بها. انتهى ملخصًا بالمعنى.

ومن ذلك أنه فى آخر هذه السنة، على ما أخبرنى به من اعتمد من الفقهاء المكيين، أن الغرارة الحنطة بيعت بمكة بستين درهمًا كاملية، بعد وصول العسكر من مصر إلى مكة فى هذا السنة، وذكر ابن محفوظ، أنه بعد وصول هذا العسكر إلى مكة أُسقط المكس فى سائر المأكولات، وارتفع من مكة الجَوْر والظُّلم، وانتشر

العدل والأمان. انتهى. وذلك لما أظهره مقدم العسكر الأمير جركتمر الماردينى من الأمور المقتضية لذلك، وقد ذكرنا شيئًا من خبر هذا العسكر فى ترجمة محمد بن عطيفة الحسينى، الذى قدِم مع هذا العسكر من مصر إلى مكة متوليًا إمرتها.

ومن ذلك أنه فى سنة ست وستين وسبعمائة، كان بمكة غلاء عظيم، حصل للناس منه مشقة عظيمة، بحيث أكل الناس الميتة على ما قيل، وذلك أنه وجد بمكة حمار ميت، وفيه أثر السكاكين، وأصيبت المواشى بالجَرَب، وتُعرف هذه السنة بسنة أُمّ الجَرَب، واستسقى الناس بالمسجد الحرام، فلم يُسْقَوا، وأُحضرت المواشى إلى المسجد للاستسقاء، وأدخلت فيه، ووُقِفت فى جهة باب العُمْرة إلى مقام المالكية، ثم فرج الله هذه الشدّة عن الناس بالأمير يَلْبُغَا العُمَرى المعروف بالخاصّكى مدبر المملكة الشريفة بالديار المصرية، تغمده الله برحمته، لأنه أرسل بقمح فُرّق على المجاورين بمكة، وذلك أن بعض خواصّه ممن أرسله لعمارة المسجد الحرام عرّفه بما الناس فيه من الشدة بمكة، فلما بلغه الخبر أمر من فوره بألف أردب قمح طيب، فجهزت إلى مكة فى البر، غير ما أمر بتجهيزه فى البحر، وفُرِّقت على من بها من الناس أحسن تفرقة، وما شعر الناس بها إلا وهى معهم.

ومن ذلك غلاء شديد وقع فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة بيعت فيه الحنطة الغرارة بمكة بخمسمائة درهم كاملية وأربعين درهمًا، وأكل الناس سائر الحبوب واختبزوها، ثم فرّج الله على الناس بصدقة قمح، أنفذها الملك الظاهر برقوق، رحمه الله.

وحصل فى هذه السنة أيضًا بمكة وباء، وبلغ الموتى فيه فى بعض الأيام أربعين على ما قيل.

ومن ذلك رخاء فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بيعت فيه الغرارة الحنطة بسبعين درهمًا كاملية فى زمن الموسم.

ومن ذلك غلاء كان بمكة فى آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد الحج، ولم يبلغ مقدار الغلاء الذى كان فى سنة ثلاث وتسعين، وإنما بلغت فيه الغرارة الحنطة ثلاثمائة درهم وثلاثين درهمًا.

ومن ذلك غلاء كان فى أثناء خمس وثمانمائة بيعت فيه الغرارة الحنطة بنحو خمسمائة درهم كاملية، والذُّرَة بنحو ثلاثمائة وخمسين كاملية، ودام ذلك أيامًا يسيرة، ثم فرج الله على الناس قريبًا بجلاّب وصلت من سواكن، وبلغ المَنّ السمن فى هذه السنة مائة وخمسين درهمًا كاملية، والمَنّ المشار إليه اثنتى عشرة أوقية، وقد تقدم مقدار الأوقية، وهذا أعلى قدر بلغ إليه سعر السمن فيما رأينا، وأرخص شىء بلغ إليه السمن فيما رأيناه أن بيع المَنّ السمن بنحو ثلاثين درهمًا كاملية، وخزنه الناس كثيرًا بهذا المقدار، وبلغ فى بعض السنين أيام الحجّ بمنًى دون ذلك.

وبلغنى عن بعض المشايخ أنه رأى السمن يباع بمكة، كلّ مَنّ سمن باثنى عشر درهمًا كاملية، كلّ أوقية بدرهم، قال: وخزنه الناس كثيرًا بهذا السعر، وأما القمح فلم نره بلغ فى الرُّخْص ما بلغ فى سنة ستٍّ وتسعين وسبعمائة، بيعت الغرارة الحنطة بسبعين درهمًا كاملية.

وبلغنى عن بعض المشايخ، أنه رآها بيعت بمكة بأربعين درهمًا كاملية، وهذا يقرب من الرُّخْص الذى نقله ابن الجَزَرى عن ابن القدسية، وأما الذُّرَة فرأيناها بيعت بمكة بأربعين درهمًا كاملية، وربما بيعت كل ثلاث غراير ذُرَة بمائة درهم كاملية وتسعين درهمًا، بتقديم التاء، وذلك بعد التسعين وسبعمائة، وهذا أرخص شىء رأيناه فى سعر الذُّرَة بمكة، ثم بلغت بعد ذلك نحو الستين والسبعين فى أوائل هذا القرن، ثم ارتفعت عن ذلك فى آخر سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وبلغت قريبًا من مائة وخمسين، ثم ارتفع سعرها وسعر الدَّخَن والحنطة والشعير والدقة، وسائر المأكولات فى آخر سنة خمس عشرة وثمانمائة.

وفى سنة ست عشرة وثمانمائة ارتفع ارتفاعًا لم يُعهد مثله، لأنّ الغرارة الحنطة بكَيْل مكّة قد بيعت فى الجملة بعشرين إفرنتيًا[1]، وبيعت مفرقة[2] بأزيد من عشرين، كما سيأتى بيانه.

---

(١) الإفرنتى: هو دينار من الذهب من ضرب الإفرنج، وقد تعامل الناس به فى أكثر مدائن من بلاد الروم، وبلاد الشرق والحجاز، ومصر والبلاد الشامية واليمن، وأصبح النقد الرائج والمطلوب فى المعاملات.

(٢) فى طبعة الذهبى: «بعرفة» وفى طبعة تدمرى: «مفرقًا» والمثبت رواية الأصل.

وكان ابتداء مشقة هذا الغلاء على الناس فى آخر شهر رمضان، عند استقبال عيد الفطر المبارك من سنة خمس عشرة وثمانمائة، بلغ ربع الحَب الحنطة فى هذا التاريخ اثنى عشر مسعوديًا، بعد أن كان بثمانية ونحوها، ثم صار يرتفع قليلاً قليلاً، حتى بلغ الربع ثمانية عشر مسعوديًا، ودام على ذلك إلى الموسم من سنة خمس عشرة وثمانمائة وربما بلغ فى ذى القعدة فى هذه السنة تسعة وعشرين مسعوديًا، وفى ذى القعدة أيضًا من هذه السنة بيع ربع الحَبّ الحنطة بأقل من ثمانية عشر مسعوديًا، عند وصول المراكب إلى مكة من اليمن، ولم يكن ذلك إلا أيامًا قليلة، ثم عاد السعر إلى الثمانية عشرة وأزيد، وسبب ذلك أن متولى أمن المراكب اليمانية القاضى أمين الدين مفلح التركى الملكى الناصرى، أعزّه الله، أمر ببيع بعض مما معه من الطعام، وأرخص فى البيع، وتصدق أيضًا ببعضه، ثم تُرك لاحتياجه إلى ما معه، وعندما حصل هذا النقص فى السعر، ترك الإمام القُنُوت فى الصلاة، وكان قد قنت فيها شهرًا أو نحوه، وكان ابتداء القنوت فى يوم الجمعة عاشر شوال سنة خمس عشرة، ولما وصل الحجاج فى هذه السنة تهافتوا على جميع المأكولات، فارتفعت الأسعار فى جميعها ارتفاعًا لم يُعهد مثله فى زمن الموسم، وأرخص ما بيع الحَبّ به بعد تكامل وُصل الأعراب من بُجَيْلة وغيرها الجالبين للأطعمة إلى مكة، كل غرارة مكسية بعشرة أفرنتية، وذلك فى اليوم السادس من ذى الحجة من هذه السنة، ثم ارتفعت الأسعار بعَرَفَة ومِنًى، فبيع الدقيق كل ويبة مصرية بإفرنتين وعشرة دراهم، وبإفرنتين وعشرين درهمًا والشعير كل ويبة بإفرنتين، والحَبّ كل ربع مُدّ مكّى بسبعة وعشرين درهمًا مسعودية، وتستقيم الغرارة من هذا السعر بتسعة عشر إفرنتيًا ونحوها، لأن الإفرنتى كان يباع فى زمن الموسم بمنًى بسبعة وخمسين مسعوديًا ونحوها، والغرارة هى أربعون رُبْعًا مكيًا، ونزل الإفرنتى إلى خمسين مسعوديًا ونحوها.

فلما توجه الحاج من مكة بيع الحَبّ الحنطة كلّ رُبع مُدّ مكّى بسبعة وعشرين مسعوديًا، ونزل الإفرنتى إلى خمسين مسعوديًا ونحوها، والمثقال الذهب الهرجى إلى ستين مسعوديًا أو نحوها، وتستقيم الغرارة على ما ذكرناه من سعر الحَبّ بإحدى

وعشرين أفرنتيًّا، وبأزيد، وبالمثاقيل بثمانية عشر مثقالاً، وبيعت الغرارة فى أثر سفر الحاج فى السوق بالمسعى بعشرين إفرنتيًّا، ودام سعر الحَبّ كل رُبْع بسبعة وعشرين مسعوديًّا، والذهب على ما ذكرناه من السعر، إلى أثناء المحرم من سنة ست عشرة وثمانمائة، ثم صار ينقص درهمًا ودرهمين، وشبه ذلك فى بقية المحرم وصفر، ثم نقص أكثر من ذلك عند طيب النخل وقت الصيف، من سنة ست عشرة وثمانمائة، وبيع الرُّبْع فى هذا التاريخ بنحو عشرين مسعوديًّا، لاكتفاء كثير من الناس بالبلح، ثم نزل بعد ذلك إلى ستة عشر مسعوديًّا ونحوها، ورأى الناس ذلك رخيصًا بالنسبة إلى ما كان عليه فى الموسم سنة خمس عشرة وثمانمائة وبعده، وهو غلاء بالنسبة إلى ما كانوا يعهدونه فى السعر فى الحنطة وغيرها، فى أول سنة خمس عشرة، والغرارة من حساب ستة عشر، بنحو من عشرة إفرنتية، لأن صرف الإفرنتى فى شهر رمضان سنة ست عشرة ستون مسعوديًّا ونحوها، وهى على ذلك فى شهر رمضان من سنة ست عشرة، وبيعت الدقسة بأثر الموسم، كل رُبْع باثنى عشر مسعودىّ، والشعير بمثل ذلك، والذُّرَة والدُّخَن سعرهما يقارب سعر الحنطة من ابتداء الغلاء، وإلى تاريخه، وبيع التمر بأثر الموسم كل مَنّ بتسعة مسعودية، وربما بيع بأكثر من ذلك فى الموسم، وبيع فيه الأُرُزّ بأربعة إفرنتية، الويبة والنَّوَى لعَلْف الجمال، كل ويبة مصرية بإفرنتى ورُبع.

ووقع الغلاء فى هذا الموسم فى الخُضَر أيضًا، حتى بيعت البطّيخة الكبيرة بإفرنتين وأزيد، بعَرَفَة ومِنى، وهذا شىء لم يُسمع به، وسبب هذا الغلاء مع المقدور قلة الغيث بمكة فى سنة خمس عشرة وثمانمائة عمّا يُعهد، ولم يصل إلى مكة مما كان يصل إليها من الذُّرَة من بلاد سواكن ومن اليمن، لغلاء وقع فيهما، ولا سيما بسواكن، فسبب الغلاء فيها أكل الجراد لزرع بلاد الداع التى يُحمل منها الذُّرَة إلى سواكن، فبلغ السعر فيها فى هذه السنة ست عشرة وثمانمائة، كل غرارة مكية ذُرَة بثلاثين مثقالاً ذهبًا، وهذا شىء لم يُعهد فيها مثله من دهرٍ طويل.

وسبب الغلاء ببلاد اليمن قلة الزرْع بها لقلة المطر، وصار أهل اليمن وأهل سواكن يجلبون الذُّرَة إليها من قرية يقال لها قَنَوْنَى[1]، بقرب حَلْى، ومنها أيضًا يُجلب ذلك إلى مكة، وما عرفت أن مثل هذه القرية الصغيرة تمير أهل اليمن وسواكن، فسبحان القادر على كل شيء، وهو المسئول فى اللُّطْف وكشف البلاء.

ووقع بعد ذلك بمكة غلاء كثير ورخص كثير.

فمن ذلك: أنه فى سنة تسع عشرة ـــ بتقديم التاء ـــ وثمانمائة، كانت الغرارة الحنطة اللُّقَيْمية المليحة بخمسة إفرنتية، والغرارة المابية، وهى نوع دنىء من الحنطة بأربعة إفرينتية، ورُبع الغرارة الذُّرَة بثلاثة إفرينتية، وبيعت فى وادى مَرّ بإفرنتين وستة دنانير مسعودية، وصرف الإفرينتى خمسة عشر دينارًا مسعودية بالوادى، والسمن كل وقية بسبعة مسعودية، ويستقيم المَنّ بإفرينتى وثُلُث ونحو ذلك، واللحم كل مَنٍّ ستة مسعودية، والتمر كلّ مَنٍّ بدرهمين مسعوديتين، وكان صرف الإفرينتى بمكة بأربعة وخمسين مسعوديًّا، وربما زاد قليلاً.

ومن ذلك غلاء وقع بعد الموسم من هذه السنة، وامتدّ إلى أوائل سنة عشرين وثمانمائة، ولم تطل مدته، وبلغت فيه الغرارة الذُّرَة ثلاثة عشر إفرنتيًّا.

ومن ذلك رخاء فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة فى الذُّرَة، بيعت الغرارة بمكة بثلاثة إفرينتية، وبجُدَّة بإفرنتين ورُبع، بإفرنتين ونصف، وبيع فى هذه السنة العسل كل سبعة أمنان بإفرينتى، ولم يُعْهَد مثل ذلك قبله فى العسل، من مدّة سنين، ثم غلا سعره وسعر الذُّرَة فى بقيّة سنة إحدى وعشرين، وفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، وبلغت فيه الغرارة الذُّرَة بمكة بثمانية إفرينتية، وكذلك الغرارة الدُّخن، وبلغت فيها الغرارة الحنطة اثنى عشرة إفرينتية، وكذلك الغرارة الدُّخن بلغت فيها الغرارة الحنطة: اثنى عشر إفرينتيًّا إلاّ رُبع إفرينتى، ثم نزلت إلى عشرة

---

(١) تحرف فى المطبوعتين إلى: «فنونا» بالفاء.

أفرنتي ودون ذلك، والذُّرَة والدَّخَن لم ينقص سعرهما عن الثمانية الإفرنتية، إلى جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، ونسأل الله اللطف.

ومن ذلك: أنه في سنة سبع وعشرين وثمانمائة حصل بمكة وباء عظيم عامٌّ، نقل الموتى فيه من كَبُر اسمه أو مكانه، يزيدون على الألفين أو يقاربون ذلك وكان كثيرًا ما تجتمع من الجنائز عقب صلاة الصبح أو العصر سبع أو أكثر، وكان يموت في كثير من الأيام بضعٌ وعشرون وفيما أشرنا إليه من هذا المعنى كفاية من أمر الغلاء والرخص والوباء بمكة المشرفة [وقد خفي علينا كثير من ذلك لعدم العناية في كل عصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم][١].

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو في الأصل.

الباب الأربعون

في ذكر الأصنام التي كانت بمكة وحولها
وشيء من خبرها

وذكر شيء من خبر أسواق مكة في الجاهلية والإسلام

وذكر شيء مما قيل من الشعر في الشوق إلى مكة المشرفة وذكر معالمها المنيفة

رويناً بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال: ما جاء فى أول من نَصَب الأصنام فى الكعبة والاستسقاء بالأزلام.

حدثنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى محمد بن إسحاق قال: إن البئر التى كانت فى الكعبة كانت على يمين مَن دخلها، وكان عمقها ثلاثة أذرع، يقال: إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حفراها ليكون فيها ماء يُهدَى للكعبة؛ فلم يزل كذلك حتى كان عمرو بن لحى، فقدم بصنم يقال له هُبَل من «هيت» من أرض الجزيرة، وكان هُبَل من أعظم أصنام قريش عندها، فنصبه على البئر فى بطن الكعبة، وأمر الناس بعبادته، فكان الرجل إذا قدِم من سفر، بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت، وحلق رأسه عنده، وهُبَل الذى يقول له أبو سفيان يوم أُحُد: (أُعْلُ هُبَل) أى أظهِرْ دِينَك، فقال النبىّ ﷺ: الله أعلى وأجل، وكان اسم البئر التى فى وسط الكعبة الأخسف، وكان العرب تسميها الأخشف، قال محمد بن إسحاق: وكان عند هُبَل فى الكعبة تسعة قداح، كل قدح منها فيه كتاب: قدْح فيه (العقل) إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم، ضربوا بالقداح السبعة عليهم، فعلى من خرج حمله، وقدح فيه (نعم) للأمر، إذا أرادوه يضرب به فى القداح، فإن خرج فيه (نعم) عملوا به، وقدح [فيه] «لا» فإذا أرادوا الأمر ضربوا بالقداح، وإذا خرج ذلك القدح، لم يفعلوا ذلك الأمر، وقدح فيه (منكم) وقدح فيه (ملصق) وقدح فيه: (من غيركم) وقدح فيه: المياه فإذا أرادوا أن يحفروا الماء ضربوا بالقداح، وفيها ذلك القدح، فحيث ما خرج عملوا به، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا، أو ينكحوا منكحًا، أو يدفنوا ميتًا، أو شكُّوا فى نسب أحد منهم، ذهبوا به إلى هُبَل، وبمائة درهم وجُزُور، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا، هذا فلان أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحقّ فيه، ثم يقولون لصاحب القداح: اضْرِبْ، فإنْ خرج «منكم» كان منهم وسطًا، وإن خرج عليه

«من غيركم» كان حليفًا، فإنْ خرج عليه «مُلْصَقًا» كان مُلْصَقًا على منزلته فيهم، لا نَسَبَ له ولا حلف، وإن خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعملون به «نعم» عملوا به، وإن خرج «لا» أخَّروه عامه ذلك، حتى يأتوا به مرة أخرى، ينتهون في أمرهم ذلك، إلى ما خرجت به القِداح، وكذلك فعل عبد المطلب بابنه حين أراد أن يذبحه.

وقال محمد بن إسحاق: كان هُبَل من حجر العقيق، على صورة إنسان، وكانت يده اليمنى مكسورة، فأدركته قريش، فجعلت له يدًا من ذهب، وكانت له خزانة للقُرْبان، وكانت له سبعة قِداح يُضرب بها على الميت والعُذْرة والنكاح، وكان قربانه مائة بعير، وكان له حاجب، وكانوا إذا جاءوا هُبَلَ بالقُرْبان ضربوا بالقدح وقالوا:

إنّا اختلفنا فهب السراحا ... ثلاثة يا هُبَل فصاحا
الميت والعُذْرة والنكاحا ... والبرء فى المرضى والصّحاحا
إنْ لم تَقُلْهُ فَمُرِ القِداحا[1]

ما جاء فى أول مَن نَصَبَ الأصنام وما كان من كَسْرها

وبالسند المتقدم إلى الأزرقي قال: حدثني جدّى عن سعيد بن سالم عن عثمان ابن ساج قال: حدثني محمد بن إسحاق أنّ جُرْهُمًا لما طَغَتْ في الحرم، دخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة، ففجر بها، ويقال: إنه قَبّلها فيها، فمُسِخا حجَرَين، واسم الرجل إساف بن بغاء، واسم المرأة نايلة بنت ذئب، فأُخرِجَا من الكعبة، ونُصب أحدهما على الصفا، والآخر على المَرْوَة، وإنّما نُصبا هناك ليعتبر بهما الناس ويُزْجَرُوا عن مثل ما ارتكبا، لما يرون من الحال التي صارا إليها، فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم، حتى صارا يُمسَّحان، يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة، إلى أن صارا وثَنَين يُعبدان، فلما كان عمرو بن لحى أمر الناس بعبادتهما

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١١٧ - ١١٩.

والتمسح بهما، وقال للناس: إن من كان قبلكم كَان يعبدهما، فكانا[١] كذلك، حتى كان قُصَىّ بن كِلاب، فصار أمر الحجابة إليه، وكذا أمْرُ مكّة، فحوّلهما من الصفا والمَرْوَة، فجعلَ أحدهما بلصق الكعبة، وجعل الآخر فى موضع زمزم، ويقال: جعلهما جميعًا موضع زمزم، وكان ينحر عندهما، وكان أهل الجاهلية يمرُّون بإساف ونائلة ويتمسحون بهما، وكان الطائف إذا طاف بالبيت يبدأ بإساف فيستلمه، فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها، فكان كذلك حتى كان يوم الفتح، فكسرهما رسول الله ﷺ مع ما كسر من الأصنام[٢].

وبه إلى الأزرقى قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد العزيز، عن ابن شهاب الدين، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، منها ما قد شُدّ بالرصاص، فطاف على راحلته هو يقول: «جاء الحق، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا» ويشير إليها، فما منها صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دُبُره، ولا أشار إلى دُبُره إلا وقع على وجهه، حتى وقعت كلها، وقال ابن إسحاق: ولما صلى النبى ﷺ الظهر يوم الفتح، أمر بالأصنام التى حول الكعبة كلها، فَجُمعت ثم حُرقت بالنار وكُسرت، وفى ذلك يقول فضالة بن عُمَير بن المُلوّح اللَّيثى فى ذكر يوم الفتح:

لو ما رأيت محمدًا وجنودَه ... بالفتح يوم تُكسر الأصنامُ
لَرَأَيْتَ نورَ الله أصبح بيّنًا ... والشِّرْكَ يغشَى وجْهَه الإظلامُ

حدثنى جدّى، حدثنى محمد بن إدريس عن الواقدى، عن ابن أبى سبرة عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما يزيد رسول الله ﷺ على أن يشير بالقضيب إلى الصنم، فيقع

---

(١) فى متن طبعة الذهبى: «فكان» وبالهامش: طبعة تدمرى: «فكانا» وهو تحريف.
قلت: بل التحريف هو ما فى طبعة الذهبى، والصواب ما لدى تدمرى، ومثله فى الأصل، وكذلك لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف، ومعنى فكانا أى الصنمين المذكورين فى الخبر.
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١/ ١١٩، ١٢٠.

لوجهه، ثم قال: وأمر بِهُبَلَ فكُسر، وهو واقف عليه، فقال الزبير بن العوّام لأبي سفيان: يا أبا سفيان بن حرب، قد كُسر هُبَل، أما إنك قد كنتَ منه في يوم أُحُد في غرور، حين تزعم أنه قد أنعم عليك، فقال أبو سفيان: دع هذا عنك يا بن العوّام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان. انتهى باختصار.

وبه إلى الأزرقي قال: حدثني جدي عن محمد بن إدريس عن الواقدي عن أشياخه، فذكر شيئًا من خبر إساف ونائلة: منها أنها بنت سهيل، وإساف بن عمرو، ثم قال: فلما كُسِرت الأصنام كسْرًا، فخرج من أحدهما امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها، عريانة ناشرة الشعر، تدعو بالويل، فقيل لرسول الله ﷺ في ذلك، فقال: تلك نائلة قد أيست أن تُعبَد في بلادكم أبدًا.

وذكر الواقدي عن أشياخه قال: نادى منادى رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة: من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يدع في بيته صنمًا إلاّ كسره، فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام، قال: وكان عكرمة بن أبي جهل حين أسلم لا يسمع بصنم في بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى يكسره، وكان أبو تجراة يعملها في الجاهلية ويبيعها، فلم يكن في قريش رجل بمكة إلاّ وفي بيته صنم.

قال الواقدي: وحدثني ابن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن بعض آل جُبَير بن مطعم عن جُبَير بن مطعم قال: لما كان يوم الفتح نادى منادى رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، فلا يتركن في بيته صنمًا إلا كسره أو أحرقه، وثمنه حرام، قال جُبَير: وكنت أرى قبل ذلك الأصنام يُطاف بها بمكة، فيشتريها أهل البدو، فيخرجون بها إلى بيوتهم، وما بقي رجل من قريش إلا وفي بيته صنم، إذا دخل يمسحه، وإذا خرج يمسحه تبرُّكًا به.

قال الواقدي: وأخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الحميد بن سهيل قال: لما أسلمت هند بنت عُتْبة، جعلت تضرب صنمًا في بيتها بالقَدُوم فِلْذَةً فِلْذَةً، وهي تقول: كنا منك في غُرُور.

وبه قال الأزرقي: باب ما جاء في الأصنام التي كانت على الصفا والمَرْوَة ومَن نَصَبَها، وما جاء في ذلك:

حدّثني جدّي قال: حدثنا سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن إسحاق قال: نصب عمرة بن لُحَيّ الخَلَصَة بأسفل مكة، فكانوا يُلبسونها القلائد، ويهدون لها الشعيرَ والحنطة، ويصبون عليها اللبن، ويذبحون لها، ويعلّقون عليها بَيْض النعام، ونصب على الصفا صنمًا يقال له: نهيك مجاود الريح، ونصب على المَرْوَة صنمًا يقال له: مُطْعِم الطير.

ذكر ما جاء في اللات والعُزّى وما جاء في بدئها كيف كان

حدّثني جدّي قال: حدّثني سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّ رجلاً ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف، يبيع السمن من الحاجّ إذا مرّوا، فَيَلُتُّ سَويقَهم، وكان ذا غنم، فسُمّيت صخرة اللاتّ، فمات، فلما فقده الناس، قال لهم عمرو بن لُحَيّ: إنّ ربكم كان اللات، فدخل في جوف الصخرة، وكانت العُزّى ثلاث شجرات بنخلة، وكان أول من دعا إلى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو: إن ربكم يتصيّف باللات لبرد الطائف، ويُشتي بالعُزّى لحرّ تِهامَة، وكان في كل واحدة شيطان يُعبد، فلما بعث الله محمدًا ﷺ بعث بعد الفتح خالدَ بن الوليد ﷺ إلى العُزّى ليقطعها فقطعها، ثم جاء إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: ما رأيت فيهن؟ قال: لا شيء، قال: ما قطعتهن فارجع فاقطع، فرجع فقطع، فوجد تحت أصلها امرأة ناشرة شعرها، قائمة عليهن كأنها تنوح عليهن، فرجع فقال: إني وجدت كذا وكذا، قال: صدقت.

حدّثني جدّي قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنا ابن إسحاق أن عمرو بن لُحَيّ اتّخذ العُزّى بنخلة، فكانوا إذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة، لم يحلوا حتى يأتوا العُزّى فيطوفون بها، ويحلون عندها، ويعكفون عندها يومًا، وكانت لخُزاعة، وكانت قريش وبنو كنانة كلّها تُعظّم العُزّى مع خُزاعة وجميع مُضَر، وكان سَدَنَتَها الذين يحجبونها بنو شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم.

وقال عثمان: وأخبرنا محمد بن السائب الكلبي قال: كانت بنو مضر وجشم وسعد بن بكر، وهم عجز هوازن يعبدون العُزَّى.

قال الكلبي: وكانت اللات والعُزَّى ومَنَاة في كلّ واحدة منهنّ شيطانة تكلمهم، وتراءى للسَّدَنَة وهم الحَجَبَة، وذلك من صنيع إبليس وأمره، ثم قال: وكان هدْمها لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان.

ذكر أسواق مكة في الجاهلية والإسلام

روينا في تاريخ الأزرقي خبرًا فيه حج الجاهلية ومواسمهم وأسماء الشهور، رواه بسنده إلى الكلبي، قال فيه: فإذا كان الحج في الشهر الذي يسمونه ذي الحجة، خرج الناس إلى مواسمهم، فيصبحون بعُكَاظ يوم هلال ذي القعدة، فيقيمون به عشرين ليلة، تقوم فيها أسواقهم بعُكَاظ، والناس على مراعيهم وراياتهم منحازين في المنازل، تضبط كلَّ قبيلة أشرافُها وقادتُها، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء، فيجتمعون في بطن السوق، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنَّة، فأقاموا بها [عشرًا وأسواقهم قائمة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز فأقاموا بها][1] ثمان ليال أسواقهم قائمة، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز إلى عرفة، فيترووِن ذلك اليوم من الماء بذي المجاز، وإنما سُمّي يوم التروية لترويهم من الماء بذي المجاز، ينادي بعضهم بعضًا، ترووا من الماء، لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ، وكان يوم التروية آخر أسواقهم، وإنما كان يحضر هذه المواسم بعُكَاظ ومَجنَّة وذي المجاز التجار، ومن كان يريد التجارة، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع، فإنه يخرج من أهله متى أراد، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية، فيتروى من الماء، فتنــزل الحُمْس أطرافَ المسجد الحرام من نمرة[2] يوم عَرَفَة، وتنـــزل الحِلَّة عَرَفَة، وكان النبي ﷺ في سنيّه التي دعا

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمري، وهو في الأصل.

(٢) تحرف في المطبوعتين إلى: «غُرَّة يوم عرفة» وصوابه من الأصل والأزرقي.

فيها بمكة قبل الهجرة لا يقف مع قريش والحُمْس فى طرف الحرم، وكان يقف مع الناس بعَرَفَة(١).

ثم قال: وكانوا لا يتبايعون فى يوم عَرَفَة، ولا أيام مِنًى، فلما أن جاء الله تعالى بالإسلام أحل الله ذلك لهم، فأنزل الله عز وجل فى كتابه: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (سورة البقرة: آية ١٩٨) وفى قراءة أُبىّ بن كعب: فى مواسم الحجّ، يعنى: مِنًى وعَرَفَة وعُكَاظ ومَجَنَّة وذا المجاز، فهذه مواسم الحجّ(٢).

ثم قال الكلبى: وكانت هذه الأسواق بعُكَاظ ومَجَنَّة وذى المجاز قائمة فى الإسلام، حتى كان حديثًا من الدهر.

فأما عُكَاظ فإنما تُركت عام خرج الحرورية بمكة مع أبى حمزة المختار بن عَوْف الأزدى الإباضى فى سنة تسعٍ وعشرين ومائة، خاف الناس أن ينتهبوا، وخافوا الفتنة، فتُركت حتى الآن.

ثم تركت المجَنَّة وذو المجاز بعد ذلك، واستغنوا بالأسواق بمكة ومِنًى وعَرَفَة.

وقال أبو الوليد الأزرقى: وعُكَاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء فى عمل الطائف على بريد منها، وهى سوق لقَيْس عَيْلان وثَقِيف، وأرضها لنصر، ومَجَنَّة سوق بأسفل مكة على بريد منها، وهى لكِنانة، وأرضها من أرض كِنانة، وهى التى يقول فيها بلال ﷺ:

ألا ليت شعْرى هل أبيتن ليلةً بفَخٍّ وحولى إذخر وجليل

وهل أرِدَنْ يومًا مياه مجَنَّة وهل تبدون لى شامة وطفيل

وشامة وطَفِيل: جبلان مُشْرِفان على مَجَنَّة، وذو المجاز: سوق لهُذَيْل عن يمين الموقف من عَرَفَة قريب من كَبْكَب على فرسخ من عَرَفَة، وحُبَاشَة سوق الأزد، وهى فى ديار الأوصام من بارق من صدر قَنَوْنَى وحَلْى من ناحية اليمن، وهى من مكة على ست ليالٍ، وهى آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية، وكان والى

(١) الأزرقى ١/ ١٨٧.
(٢) الأزرقى ١/ ١٨٨.

مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند، فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول شهر رجب متوالية، حتى قتلت الأزْد واليًا كان عليها، بعثه داود بن عيسى بن موسى فى سنة سبع وتسعين ومائة، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها، فخرّبها، وتركت إلى اليوم[1].

وإنما ترك ذكر حُبَاشة مع هذه الأسواق، لأنها لم تكن فى مواسم الحج ولا فى أشهره، وإنما كانت فى رجب[2]. انتهى باختصار.

وقد خُولف الأزرقى فيما ذكره فى مَجَنَّة وشامة وطفيل من وجوه:

منها: أن الفاكهى ذكر ما يقتضى أنّ مَجَنَّة فى غير المحل الذى سبق ذكره، لأنه قال: حدثنى عبد الملك بن محمد عن[3] زياد بن عبد الله عن ابن إسحاق قال: كانت عُكَاظ ومَجَنَّة وذو المجاز الأسواق التى يجتمع بها العرب للتجارة كل عام إذا حضر الموسم، يحج العرب فيها ويأمن بعضهم بعضًا حتى تنقضى أيامها، وكانت مَجَنَّة بمر الظهران إلى جبل يقال له: الأصفر، وكانت عُكَاظ فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له العنق، وكان ذو المجاز ناحية عَرَفَة إلى جانبها، قال عبد الملك: الأيسر، وإنما هو الأيمن إذا وقفت على الموقف. انتهى.

ومنها: أن كلام الأزرقى يقتضى أنّ مَجَنَّة على بريد من مكة.

وذكر القاضى عياض فى «المشارق» ما يخالف ذلك، لأنه قال: طَفيل وشامة جبلان على نحو من ثلاثين ميلاً من مكة. انتهى. ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقى أن شامة وطَفيل جبلان مشرفان على مَجَنَّة على ما ذكره الأزرقى، وإذا كانا كذلك وكانا من مكة على المقدار الذى ذكره القاضى عياض، وكانا مشرفَيْن على مَجَنَّة كما ذكر الأزرقى، فيكون مَجَنَّة من مكة على المقدار الذى ذكره القاضى، وهو نحو ثلاثين ميلاً، وذلك بريدان أو أزيد، فإن البريد اثنا عشر ميلاً، والعيان يشهد لصحّة ما ذكره القاضى فى شامة وطَفيل، لكون الجبلين

---

(١) الأزرقى ١/ ١٩٠.

(٢) الأزرقى ١/ ١٩٢.

(٣) تحرف فى المطبوعتين إلى: «عبد الملك بن محمد بن زياد وصوابه من الأصل.

المعروفين عند الناس: شامة وطَفيل من مكة على المقدار الذى ذكره القاضى عياض وغيره، وإذا كانا كذلك فيكون مَجَنَّة من مكة على بريدين، على مقتضى ما ذكر الأزرقى من أن شامة وطَفيل مشرفان على مَجَنة، ولعل الأزرقى أراد أن يكتب أنّ مَجَنَّة على بريدين من مكّة، فسَهَا عن الياء والنون، فكتب: بريد، والله أعلم.

وذكر المحب الطبرى ما يوافق ما ذكره القاضى عياض فى مقدار ما بين مكة وشامة وطَفيل، وسيأتى كلامه.

ومنها: أن كلام الأزرقى يقتضى أن شامة وطَفيل جبلان، وذكر ما يخالف ذلك، وحكى عنه ذلك القاضى عياض، أنه قال بعد لأن قال ما سبق ذكْره فى شامة وطَفيل، قال الخطابى: كنت أحسب أنهما جبلين حتى أُثبت لى أنهما عينان. انتهى.

وذكر المحبّ الطبرى ما ذكره الخطابى، ولم يعزه، ورجّح ما ذكره الأزرقى، لأنه قال: وشامة وطَفيل قيل: جبلان مشرفان على مَجَنَّة، وقيل عينان عندها، والأول أشهر، والمعروف عند العرب اليوم أن شامة وطَفيل جبلان على مرحلتين وأكثر من مكة، فى جهة اليمن. انتهى. وقول المحب: والمعروف إلى آخره، هو ما أشرنا إلى أنه يأتى ذِكْره من كلامه، ولا يبعد أن يسترجح كونهما جبلين، فإنهما لو كانا عينين لتمنّى بلال ورودَهما، كما تمنى ورودَ مياه مَجَنَّة، والله أعلم.

ومنها: أنّ الأزرقى قال: شامة بالميم، وكذا فى الصحيحين وغيرهما: وقيل فى شامة شابة بالباء، وذكر ذلك ابن الأثير، ورجحه الصاغانى، لأنّ المحبّ الطبرى قال: قال ابن الأثير رحمه الله: وبعضهم يقول شابة بالباء الموحدة، وهو جبل حجازى، وصحح هذا الوجه شيخنا رضيّ الدين الحسن الصاغانى اللُّغَوى. انتهى. ومَجَنَّة بفتح الميم وكسرها وبالفتح، قيدها الجبالى، والفتح أكثر على ما ذكر المحبّ الطبرى، لأنه قال: وبعضهم يكسر ميمها، والفتح أكثر، وهى زائدة. انتهى. ورأيت بخطّه فى نسخة من كتاب «القرى» ما يُشْكل مع ما ذكره الأزرقى فى جهة موضع مَجَنَّة، وصورة ما رأيته: ومَجَنَّة موضع بأعلى مكة على أميال، كان

يُقام للعرب بها سوق. انتهى. ووجه استشكال ذلك مع ما ذكره الأزرقى، أنّ الذى رأيته فى «القرى» يقتضى أنّ مَجَنَّة بأعلى مكة، وكلام الأزرقى يقتضى أنها بأسفل مكة، لقوله: ومَجَنَّة سوق بأسفل مكة، والظاهر أنّ الذى فى «القرى» سَبْق قلم من المؤلّف، والله أعلم.

ومَجَنَّة غير معروفة الآن، ورأيت من يتخيل أنها الموضع المعروف بالأطْواء فى طريق اليمن إلى مكة، وعلل ذلك، لأنها تُسمَّى عند العرب الخبيئة لطيب مائها، وفى ذلك نظر لما ذكره الأزرقى من أن شامة وطفيل جبلان مشرفان على مَجَنَّة، والجبلان المعروفان عند الناس شامة وطَفيل لا يشرفان على الموضع المعروف بالأطواء، لبُعْدهما منه، والله أعلم.

ذكر شىء مما قيل من الشعر من التشوق إلى مكة الشريفة وذكر معالمها المنيعة

أنشدنى المعمر بن محمد بن داود الصالحى إذنًا مُكاتبة، والأصيلة أم الحسن فاطمة بنت مفتى مكة شهاب الدين أحمد بن قاسم العمرى إذنًا مشافهة، أنّ الإمام المحدّث فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان المالكى أنشدهما إذنًا مشافهة، قال: أنشدنا الأديب أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن رشيد البغدادى قصيدة نفيسة سمّاها «الذهبية فى الحجة المكية والذروة المحمّدية» جاء فيها:

فيا أين أيام تولت على الحما ... وليلٍ مع العشّاق فيه سهرناه
ونحن لجيران المُحصَّب جيرة ... نوفى لهم حُسْن الوداد ونرعاه

ومنها قوله:

فهاتيك أيام الحياة وغيرها ... مَمات فيا ليت النَّوَى ما عَهِدْناه
ويا ليت عنا أُغمِض الدهر طرفه ... ويا ليت وقتا للفراق فقدناه
وترجع أيام المُحصَّب من منًى ... ويبدو ثراه للعيون وحَصْباه
ونسرح فيه العيش بين ثمامه ... ونستنشق الأرواحَ طيب خزاماه

ومنها قوله:

فشُدُّوا مطايانا إلى الرَّبْع ثانيًا فإنّ اهوى عن رَبْعهم ما ثنيناه
ففي رَبْعهم لله بيتٌ مبارك إليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيُغْفَر ذنبُه ويسقط عنه إثمه وخطاياه
وكم لذّة كم فرحة لطوّافه فلله ما أحلى الطواف وأهناه
نطوف كأنّا بالجنان نطوفها ولا هَمّ لا غَمّ جميعًا نفيناه
فيا شوقنا نحو الطّواف وطيبه فذلك طيب لا يُعبِّر معناه
فمن لم يذُقْهُ لم يذُقْ قطُّ لذّةً فذُقْه تذُقْ يا صاحِ ما نحن ذقْناه
ترى رجعة أو عودةً لطوافنا وذاك الحمَى قبل المنيّة نغشاه
فوالله لا ننسى الحمَى فقلوبُنا هناك تركناها فيا كيف ننساه
ووالله لا ننسى زمانَ مسيرنا إليه وكلّ الرّكْب يلتذّ مسراه
وقد نسيت أولادنا ونساؤنا وإخواننا والقلب عنهم شغلناه
تراءت لنا أعلام وصْلٍ على اللّوَى فمن ثَمّ أمسى القلب عنهم لويناه
جعلنا إله العرش نُصْب عيوننا ومن دونه خلف الظهور نبذناه
وسرنا نشقّ البيدَ للبلد الذي بجُهْد وشقٍّ للنفوس بلغناه
رجالاً وركْبانًا على كلّ ضامر ومن كلّ فجٍّ مُقْفِر قد أتيناه
نخوض إليه البحرَ والبرَّ والدُّجا ولا مقطع إلاّ إليه قطعناه
ونطوى الفلا من شدّة الشوق للّقا فنمشي الفلا نحكي السجل طويناه
ولا صدّنا عن قصدنا فقد أهلنا ولا هَجْر جار أو حبيب ألفناه
وأموالنا مبذولة ونفوسنا ولم نبغ شيئًا منهما منعناه

ومنها قوله:

عرفنا الذي نبغي ونطلب فضله فهان علينا كلُّ شيء بذلناه
ولو قيل إنّ النار دون مزاركم دفعنا إليها والعذول دفعناه

ومنها قوله:

ترادفت الأشواق واضطرم الحشا فمن ذاله صبر وتضرم أحشاه

وأسرى بنا الحادى وأمعن فى السَّرا ... وولى الكرى نوم الجفون نفيناه

ومنها قوله

نحجُّ لبيتٍ حجَّه الرُّسْلُ قبلنا ... لنشهد نفعًا فى الكتاب وُعدْناه

دعانا إليه الله عند بنائه ... فقلنا له لبيك داعٍ أجبناه

وما زال وفدُ الله يقصد مكّةً ... إلى أنْ بدا البيتُ العتيقُ ورُكْناه

فضجّت ضيوف الله بالذِّكْر والدُّعا ... وكبّرت الحجّاج حين رأيناه

وقد كادت الأرواح تُزْهق فرحة ... لما نحن من عظَم السرور وجدناه

وطفنا به سبْعًا رَمَلْنا ثلاثة ... وأربعة مشيًا كما قد أمرناه

كذلك طاف الهاشمى محمد ... طواف قُدُومٍ مثل ما طاف طفناه

وسالت دموعٌ من غمام جفوننا ... على ما مضى من إثْم ذنب كسبناه

ونحن ضيوف الله جئنا لبيته ... نريد القرى نبغى من اللهً حسناه

فنادى بنا أهلاً ضيوفى تباشروا ... وقَرُّوا عيونًا فالحجيج أضفناه

فأىّ قرى يعلو قُرانا لضيفنا ... وأىّ ثواب فوق ما قد أثبناه

ومنها قوله:

فطيبوا وسيروا وافرحوا وتباشروا ... وتيهوا وهُموا بابها قد فتحناه

ولا ذنب إلا قد غفرناه منكم ... وما كان من عَيْب عليكم سترناه

ومنها قوله:

ويوم منى سرْنا إلى الجبل الذى ... من البُعْد قد حيّاكما قد عهدناه

فلا حجّ إلاّ أن يكون بأرضه ... وقوف وهذا فى الصحاح رويناه

إليه فؤاد المرء يشعر بالهنا ... ولولاه ما كان الحجاز سلكناه

وبتنا بأقطار المُحَصّب من منى ... فيا طيب ليل بالمحصب بتناه

وسرنا إليه طالبين وقوفنا ... عليه ومن كل الوجوه أمَمْناه

على عَلَمَيْه للوقوف جلالة ... فلا زالتا تُخشَى وتُحْرَس أرجاه

وبينهما جزنا إليه برحمة ... فيا طيبها ليت الزحام رجحناه

ولما رأيناه تعالى عجيجنا ... نلبّى وبالتهليل منّا ملأناه

وفيه نزلنا بكْرةً بذنوبنا ... وما هو من ثقل المعاصي حملناه
وبعد زوال الشمس كان وقوفنا ... إلى الليل نبكي والدعا قد أطلناه

ومنها قوله:

على عرفات قد وقفنا بموقف ... به الذنب مغفور وفيه محوناه
وقد أقبل البارى علينا بوجهه ... وقال: أبشروا فالعفو فيكم نشرناه
وعنكم ضمنّا كلَّ تابعة جرت ... عليكم وأمَّا حقّنا قد وهبناه
أقلناكم من كلِّ ما قد جنَيْتم ... ومن كان ذا عُذْرٍ إلينا عذرناه

ومنها قوله:

وطُوبَى لمن ذاك المقام مقامه ... وبشراه في يوم التغابن بشراه
نرى موقفًا فيه الخزائن فتِّحت ... ووالى علينا الله منه عطاياه

ومنها قوله:

ودارت علينا الكأس بالوصل والرضا
سقينا شرابًا مثله ما سُقيناه
فإنْ شئت تُسقَى ما سُقينا على الحِمَى
فخلّي التواني واقصد محلاً حللناه

ومنها قوله:

فظل حجيج الله لِلَيلٍ واقفًا ... فقيل انفروا فالكلّ منكم قبلناه
أفيضوا وأنتم حامدون إلهكم ... إلى مشعرٍ جاء الكتاب بذكراه
وسيروا إليه واذكروا الله عنده ... فسرنا ومن بعد العشاء نزلناه
وفيه جمعنا مغربًا لعشائنا ... ترى عابد جمع بجمْع جمعناه
وبِتْنا به منه التقطنا جمارنا ... وربَّما ذكرناه على ما هداناه
ومنه أفَضْنا حيث ما الناس قبلنا ... أفاضوا وغفران الإله طلبناه
ونحو مِنَى ملْنا بها كان عيدنا ... ونلنا بها ما القلب كان تمناه
فمن منكم بالله عيَّد عيدَنا ... فعيد مِنَى ربّ البرية أعلاه
وفيها رمينا للعقاب جِمارنا ... ولا جرم إلاّ مع جمار رميناه

ومنها قوله:

وبالخَيْف أعطانا الإله أماننا ... وأذْهَبَ عنا كل ما نحن خفناه
وَرَدَتْ إلى البيت الحرام وفودُنا ... رجعنا لها كالطير حنَّ لمأواه
وطفنا طوافًا للإفاضة حوله ... ولُذْنا به بعد الجمار وزُرْناه
ومن بعد ما زُرْنا دخلناه دخلةً ... كأنّا دخلنا الخُلْدَ حين دخلناه
ونلنا أمان الله عند دخوله ... كما أخبر القرآن فيما قرأناه
فيا منـــزلاً قد كان أبرك منـــزلاً ... نزلناه في الدنيا وبيت وطئناه
ترى حجّة أخرى إليك ورحلة ... وذاك على ربّ العُلا نتمناه
فإخواننا ما كان أحلى دخولنا ... إليه ولبثنا في حماه لبثناه
فإخواننا أوحشتمونا هنيئًا لكم ... فيا ليتكم معنا وأنّا سكنّاه

ومنها قوله:

وبالحَجَر الميمون لُذْنا فإنّه ... لربّ السما في أرضه يمناه
نُقبّله من حبّنا لإلهنا ... فكم لثمة طيّ الطواف لثمناه
على لثمة للشُعْث والغُبْر رحمة ... فكم أشْعَثَ كم أغْبَرَ قد رحمناه
وذاك لنا يوم القيامة شاهد ... وفيه لنا عهد قديم عهدناه
ونستلم الركن اليماني طاعة ... ونستغفر المولى إذا ما لمسناه
ومُلْتَزَمٌ فيه التزمنا لذنبنا ... عهودًا وعفوا الله فيه لزمناه
وكم موقف فيه مُجابٌ لنا الدعا ... دعونا به والقصد فيه نويناه
وصلّى بأركان المقام حجيجُنا ... وفي زمزم ماء طَهُور وردناه
وفيه الشفا فيه بلوغ مرادنا ... لما نحن ننويه إذا ما شربناه
وبين الصفا والمَرْوَة الحاجّ قد سعى ... فإنّ تمام الحجّ تكميل مسعاه

ومنها قوله:

وبينا حجيج الله بالبيت مُحْدِق ... ورحمة ربّ العرش تدنو وتغشاه
تداعت رِفاق بالرحيل فما ترى ... سوى دمع عين بالدماء مزجناه
لفرقة بيت الله والحجر الذي ... لأجلهما شاقّ الأمور شققناه

وودّعت الحجّاج بيتَ إلهها وكلّهم تجرى من الحزن عيناه
فلله كم باك وصاحب حسرة يودّ بأنّ الله كان توفّاه
ولا شهد التوديعَ يومًا لبيته وإنّ فراقَ البيت مُرٌّ وجدناه
[فما فرقه إلا والله إنه أمرٌ وأدهى ذاك شيء خبرناه](1)

ومنها قوله:

ووالله لولا أن نؤمل عودةً لَذُقْنا طعامَ الموت حين فُجعْناه
ومن بعد ما طفنا طواف وداعنا رحلنا إلى قبر الحبيب ومَغْناه

وأنشدنى محمد بن محمد بن داود الصّالحى مكاتبةً، وفاطمة بنت أحمد الفقيه مشافهة بطيبة، أن أبا عمرو الإفريقى أنشدهما إذنًا قال: أنشدنا أبو اليُمْن بن عساكر نزيل مكة لنفسه، بقراءته عليه بمسجد الخَيْف بمنى قوله:

يا جيرتى بين الحَجُون إلى الصفا شوقى إليكم مُجْمَلٌ ومُفَصَّلُ
أهوى ديارَكم ولى بربوعها وجْدٌ يؤرِّقنى وعهدٌ أولُ
ويزيدنى فيها العَذُولُ صبابةً فيظَلّ يُغْرينى إذا ما يعذلُ
ويقول لى لو قد تبدلت الهوى فأقول: قد عز الغَدَاةَ تبدلُ
بالله قال لى: كيف تُحسن سلوتى عنها وحسن تصبُّرى هل يَجْمُلُ؟
هل فى البلاد محلة معروفة مثل المعرّف أو محلٌّ يحْلُل؟
أم فى الزمان كليلة النَّفْر التى فيها من الله العوارف تُجْزَلُ
أم مثل أيام تقضَّتْ فى منى غُمْرُ الزمان بها أغَرُّ محجَّلُ
فى جنب مجتمع الرفاق ومَنْزَع الأشواق حيّاها السحابُ المُسبلُ

وأنشدتنى أم الحسن فاطمة بنت مفتى مكة شهاب الدين أحمد بن قاسم الحرازى إذنًا مشافهة بطيبة، إن لم يكن سماعًا، قالت: أنشدنى جدى الإمام رضى الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبرى سماعًا قال: أنشدنا الإمام أبو بكر الإمام الحافظ محمد بن يوسف بن مسدى لنفسه من قصيدة له:

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

سقى تِهامةَ ما همى السحابُ به
سحًّا يسحّ وتَهْتانًا بتهتان
حيث اخجيج حجيجى إن تَخِذْتُ بها
رَبْعًا بِرَبْع وأخدانًا بأخدان

ومنها قوله:

أنكرت سلمى وأيامًا بذى سَلَم لوقفة بين تعريف وعرفان
[حيث الأراك خيام والنسيم صبًا يعبر فى شيح أفنان بأفنان][(١)]
والدار أهله من كل مغترب يعرو إليها بتهليل وقرآن
واسم الحبيب شعار العاشقين بهاتيك المشاعر من شيب وشُبّان
لبيك لبيك توحيدًا يوكِّده توابع الشوق فى سرّ وإعلان
وللإجابة سَمْعٌ ليس يشغله شأنٌ كثير من القول عن شأن
وينفرون إلى الزُّلْفَى بمزدَلف جمعًا بجمْعٍ ووجدانًا بوجدان
[من كل مستغفر مستقبل ثقة من الحبيب بإقبال وغفران][(٢)]
من لم يقف برسوم الموقفَيْن فما مشت به قطُّ للأحباب رِجْلان
وفى مِنًى للمُنَى ذاك المنال فلا تبعد بك الدار عن قرب وقربان

ومنها قوله:

وفى الإفاضة فيض الجود من ملك يلقى المسىء إذا استعفى بإحسان

ومنها قوله:

يا طائفين بنا إنّا نطوف بكم باعًا بباع ووجدانًا بوجدان
ورب ماش تبادرناه هروله إليه تلقاه بشرى قبل تلقان
أما الغريب وإنْ عزّ المكان فلا يبعدنك الوهم فى تقرير إمكان
من فاوض الركن قد فاوضته بيدى هذا يمينى فحيوها بأيمان

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل، والبيت فى طبعة الذهبى فيه سقط وتحريف، وقد اعتمدنا فى تكملته وتصويبه على رواية الأصل، والبيت من البسيط.
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

من يستجرْ فإنا بالمستجار له ... نعم المجير إذا يلجا لى الجانى

وعند ملتزم منّا لِمُلْتَزِمٍ ... لو شاء ما شاء منا غير منّان

ومنها قوله:

[ولى مقام أمين بالمقام فما ... نوفى فيه إلا كل أمان][(1)]

ولى بزمزم سر فيه زمزمة ... عنوانها عند أزمات وأزمان

ومنها قوله:

هذى الأمانى لا أيام ذى سَلَم ... دار الأمان فما دار بغمدان

كفانى الله تبديلاً بمظهرها ... حتى أغيب فى لَحْدى وأكفانى

وأنشدنى خالى قاضى الحَرَمَيْن محبّ الدين النّويرى، تغمّده الله برحمته سماعًا بالمسجد الحرام، أنّ القاضى عزّ الدين عبد العزيز بن القاضى بدر الدين بن جماعة الشافعى أنشده سماعًا، قال: أنشدنى والدى لنفسه، وأنشدنى عاليًا الإمامان أبو أحمد إبراهيم بن محمد اللّخمى وأبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد المصرى إذْنًا عن القاضى بدر الدين بن جماعة قال:

ما بال قلبى لا يقرُّ قَرارُه ... حتى يقضى من منى أوطارَه

ما ذاك إلاّ أنه من شوقه ... قد شام من وادى الحِمَى تذكاره

يا سائق الأظعان إنْ جُزْتَ الحِمَى ... سلّمْ على مَن بالمحَصّب داره

واشرح له ما يلتقى مشتاقه ... من فرط شوق أحرقته ناره

يصبو إذا ذُكِر الحطيمُ وزمزمُ ... والركنُ والبيتُ المكرم جاره

ويهيم من شوق يفتّت كبده ... إذ عَزّ ملقاه وطال مزاره

أنشدنى الرئيس شهاب الدين أحمد بن الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى بقراءتى عليه فى المسجد الأقصى بالرحلة الأولى أنّ الأستاذ أبا حيان محمد بن يوسف الأندلسى النحوى أنشدنى لنفسه قصيدة نبوية على وزن بانت سُعاد، قال فيها:

---

(١) ساقط من طبعة تدمرى، وهو فى الأصل.

وإذا قضيت غزاةً فأْتنفْ عملاً ... للحجّ والحجّ للإسلام تكميل

ثم قال بعد وصفه للحجاج:

يسوقهم طرب نحو الحجاز فهُمْ ... ذوو ارتياح على أكوارها ميل
شُعْثٌ رءوسُهم بُلْسٌ شفاهُهم ... خُوصٌ عيونهم غُرْثٌ مهازيل
حتى إذا لاح من بيت الإله لهم ... نور إذا هم على الغبرا أراجيل
يعفرون وجوهًا طال ما سهمت ... باكين حتى أديم الأرض مبلول
حفّوا بكعبة مولاهم فكعبُهم ... عالٍ بها لهم طوف وتقبيل
وبالصفا وقتهم صاف بسعيهم ... وفي منى لمناهم كان تنويل
تعرفوا عرفات واقفين بها ... لهم إلى الله تكبير وتهليل

وأنشدني العلامة الأديب المفتي برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بالقيراطي لنفسه إجازة من قصيدة، وأنشدنيها سماعًا قاضي مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة رحمة الله عليه، عن القيراطي سماعًا قال:

ثم أنشأت من جفوني سُحبًا ... أيّ نثر كالدّر من إنشاء
كم سكبناه بل سبكناه تبْرًا ... فاز منه ثَرَى الحما بالثراء
فإذا جئت المحصب فانْثرْ ... من يَوَاقيته على الحصباء
أقتى عيشًا مضى وتقضّى ... وتولّى على الصفا بالصفاء
ميت أحيا يناديك حيًا ... إنّما الميت ميت الأحياء
لا يملّ الثاوى هناك مقامًا ... ربّ ثاوٍ يملّ طول الثواء
[مرّ صُبْحًا هواؤه الرطب فينا ... فذكّرنا مجامع الأهواء](١)
بك داء فارحل وجُزْ بكَدَاء ... وهو داء من الذنوب كداء

ومنها قوله:

ما حَنَيْنا للمُنْحَنى الجِيدَ إلاّ ... واستقمنا بذلك الانحناء

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، واستدركته طبعة الندهى ولكنه ورد فيها مكسور الوزن مختل الأسلوب، والبيت من الخفيف.

ومنها قوله:

أنا ما لى عن مكة من براح وبها أشتفى من البرحاء

حبّذا الكعبة التى قد تبدّتْ وهى تزهو فى حلة سوداء

فصفا سترها مساء صباح وبياض الثنا صباح مساء

قبّل الخالَ لا أبا لك عَشْرًا يا أخا حيّها بغير إباء

واملإ الحجر باللآلى من الدمع ونزّهه عن عقيق الدماء

واشربنّ من شراب زمزم كاسًا دبّ منه السرور فى الأعضاء

فهى حقًا طعام طعم لجوع وبها للسقيم أى شفاء

فسقى المسجدَ الحرام غمامٌ ورعى عشّنا على البطحاء

كم حطمنا لدى الحطيم ذنوبًا كثرت عدّها عن الإحصاء

صاحِ قمْ طُفْ للإله سبعًا بيت رمى الفيل فيه بالدهماء

مُرْ بالمَرْوَتَيْن وارْقَ لترقى بجنان مراقى السعداء

واكْحل العينَ عند مسعاك بالمَيل ففيه شفاء ذاك العماء

ثم قف خاضعًا على عَرَفات علّ تُعْطَى عوارفَ الإعطاء

وارمها فى مِنى إلى جمرات جمرات اللّظَى بها فى انطفاء

وأنشدنا الإمام بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الصاحب رحمه الله، إجازةً لنفسه، وأنشدنى بذلك قاضى القضاة جمال الدين بن ظهيرة من لفظه عن ابن الصاحب هذا سماعًا، قال من قصيدة نبوية:

على الأبطح المكّى طيبُ سلامى وأزكى تحيّات كمسك ختام

وَسُقْيًا له من أدمُعٍ هوامع تجود بحفظ الودّ جودَ كرام

فذاك هو الحى الذى طاير المنى له فيه بالإطراب سجْعُ حمام

إذا ذكروا فى الحيّ طِيب حديثه خلعت على السُمّار ثوبَ منام

وإنْ ظفرت نفسى بلثم ترابه لبست بذاط اللّثْم خير لثام

منازل أفراحى وأُنْسى ولذتى وموسم أعيادى ودار هيام

إذا مرّ من بى نحوها نسمة الصبّا وجدت لها بردًا لحرّ أوامى

فتبعث فى الروحُ حتى أكاد أن ... أطير وقد قصّ الجناحِ سقامى
فلله عهد من معاهد إنه ... جديد ولو أبلى الممات عظامى
فهل لى إلى تلك المواطن عودة ... على رغم حسّادى وأهل ملامى
وأكحّل بالميل الأخيضر ناظرى ... بإثمد ركن البيت قبل حمام
وأنشد فى عيدى بقرب أحبتى ... ألا إنّ هذا اليوم فطْر صيامى
أديروا أديروا ماء زمزم خالصًا ... فذا خير كاس فى ألذّ مقام
ونادوا على رأسى بأبواب شاربى ... عُبَيْدٌ ذليل مُثْقَلٌ بأثام
عسى عطفة منكم عليه فإنه ... تعلق من إحسانكم بزمام

وقوله أيضًا:

فى مكة الوقت قد صفا لى ... بطيب جار لها ودار
وخفض عيش جوار ربى ... فذاك خفضى على الجوار

وقوله أيضًا:

ليل الحِمَى كلّه من طيبه سَحَر ... أحلى من النوم فيه عندنا السهر
يستلقط البرد من أنفاسه خلسًا ... يطفى بها نار أحشاء لها شرر
وتجتلى الكعبة الغرّاء فى خلع ... من الجمال على من فوقها الخَفَر
[دار الهوى برج أطيار القلوب ندا ... أكبادنا روضها الزاهى الربا العطر](١)
فغنّنى واسقنى من ماء زمزمها ... هذا هو العيش لا خمر ولا وتر

وقوله أيضًا:

وليل ببطحاء الحِمَى قد قطعته ... وطائر أنسى فى الهوى قد ترنّما
وطاف بكاسات الأمانى سرورنا ... فطيب عيش فى المقام وزمزما

وقوله أيضًا:

بمكة قد طابت مجاورتى ... فيا إلهى فاجعلها مدى العمر سرمدا
فأنت الذى أحللتنى ساحة الهوى ... وعودت قلبى عادةً فتعوّدا

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة تدمرى، وورد فى طبعة الذهبى مكسور الوزن مختل الأسلوب، وبعده فى الأصل بيت مختل الأسلوب وغير صحيح عروضيًا، لم نشأ ذكره لذلك.

وقوله أيضًا:

بمكة نلت الخير من كل جانب ودست على أمنية النفس بالنعل
فعن حرم الرحمن إن سرت قاصدًا فلا كنت من نفسي الكريمة في حل

وقوله مضمنًا:

مجاورتي بمكة نلت فيها أجلّ مناىَ من أقصى مرام
وما ظفر الفتى في الدهر يومًا بأطيب من مجاورة الكرام

والأشعار في التشوّق إلى هذه المشاعر الشريفة كثيرة، ونسأل الله تعالى أن يجعل أعيننا بدوام مشاهدها قديرة.

وقد انتهى الغرض الذى أردنا جمعه فى هذا الكتاب، ونسأل الله تعالى أن يجزل لنا فيه الثواب، وصلى الله على سيدنا محمد سيّد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين.

خاتمة المؤلف للكتاب

قال مؤلفه محمد بن أحمد بن على الحَسَنى الفاسى المكى المالكى، ألهمه الله رُشْده وأنجح قصده: كنت ألّفت هذا الكتاب على وجه أخصر من هذا، ثم زدت فيه أمورًا كثيرة مفيدة، تكون نحوًا من مقداره أولاً، وزدت فى أبوابه ستة عشر بابًا، لأنى استطلت الباب الأخير منه أولاً، وهو الباب الرابع والعشرون، فجعلته سبعة عشر بابًا، فصارت أبوابه أربعين بابًا، ولم يخل باب منها من زيادة مفيدة، وأصلحت فى كثير منها مواضع كثيرة ظهر لى أن غيرها أصوب منها، وذكرت فى بعض الأبواب ما كنت ذكرته فى غيره، مع الإعراض عما ذكرته فى الباب الذى كان فيه، لما رأيت فى ذلك من المناسبة، وكان أكثر ما زدته فيه، وما أصلحت فيه، وما ذكرته فى بعض الأبواب، معرضًا عن ذكرى له فى غيره... وجعلى للباب الأخير من التأليف الأول سبعة عشر بابًا، بعد خروج التأليف المختصر الأول من يدى إلى ديار مصر والمغرب واليمن والهند، ولأجل ذلك تعذّر علىّ أن أضع فيه ذلك، وكان اختصارى للمختصر الأول فى آخر سنة إحدى عشرة وثمانمائة، والزيادات فيه والإصلاح فى أوقات متفرقة من سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وفى سنة

ثلاث عشرة وثمانمائة، وفى سنة أربع عشرة وثمانمائة، وفى سنة خمس عشرة وثمانمائة، وفى سنة ست عشرة وثمانمائة، وما زدته فى سنة خمس عشرة وست عشرة، أكثر مما زدته فيما قبلها بكثير، وفى سنة ستّ عشرة جعلت أبوابه أربعين بابًا، وزدت فيه فوائد كثيرة أيضًا فى المحرّم وصفر من سنة سبع عشرة وثمانمائة بمكة، وزدت فيه فى شوال وذى القعدة من السنة المذكورة فوائد كثيرة، بمرسى جزيرة كَمَرَان، وفيما بينها وبين باب المَنْدب من البحر الملح ببلاد اليمن، وزدت فيه فى بقية هذه السنة، وفى سنة ثمان عشرة، وفى سنة تسع عشرة فوائد كثيرة أيضًا، وأنا حريص على أن ألحق فيه ما يناسب من المتجددات ومن الفوائد.

وأسأل الله تعالى تيسير ذلك، وأظنّ أنّ الزيادة فيه تقلّ جدًّا، لأن غالب ما زدته فيه أخذته من كتاب الفاكهى، فإنّى لم أظفر به إلاّ بعد ذلك، ومن تاريخى المسمّى بالعقْد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، لما فيه من أخبار وُلاة مكة، والحوادث التى ذكرتها فى الباب الذى فيه ذِكْر وُلاة مكة فى الإسلام، وقد أخذت من هذا الكتاب ومن كتاب الفاكهى ما يناسب أن يُذكر فى هذا الكتاب.

ونسأل الله تعالى تيسير القصد والتوفيق فيه للصواب، إنه كريم وهّاب.

وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنام، ورضى الله عن آله وأصحابه حُماة الإسلام، وحسبُنا الله ونعم الوكيل...

إلى هنا انتهى كتاب الفاسى

الكشافات العامة

١ – فهرس الأعلام(*)

(*) وهي التي لها صلة بأحداث مكة أو إسهامات بها.

(ن)

(هـ)

(و)

٢- فهرس الأماكن

(أ)

٣- فهرس مصادر التحقيق

إتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد، طبعة جامعة أم القرى بمكة ١٩٨٣م.

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦م.

الأحكام السلطانية للماوردي، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.

إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام للأسدي، دار الصحوة القاهرة ١٩٨٥.

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقي، دار الأندلس بيروت ١٩٨٣.

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٩٨٦.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة.

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، طبعة الشعب ١٩٧٠.

الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا لمغلطاي، دار القلم، دمشق ١٩٩٦م.

الاشتقاق لابن دريد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥.

الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للنهروالي، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م.

الأغاني للأصبهاني طبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

الإمامة والسياسة لابن قتيبة، دار المنتظر، بيروت ١٩٨٥.

الأنساب للسمعاني، بيروت ١٩٨٠.

بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٧٥م.

البداية والنهاية لابن كثير، مطبعة مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٨هـ.

بهجة الزمن في تاريخ اليمن لليماني، دار الحكمة اليمانية صنعاء، اليمن ١٩٨٨.

بهجة السهيج للصيورقي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م، ومخطوطة المكتبة الآصفية بحيدر آباد برقم ٣٩٩ تاريخ.

تاريخ الإسلام للذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧م.

تاريخ الرسل والملوك للطبري، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.

تاريخ الكعبة المعظمة لباسلامة، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ٢٠٠١م.

تحفة اللطائف فى فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف لابن فهد، نادى الطائف الأدبى، الطبعة الأولى.

تقريب التهذيب لابن حجر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦.

تهذيب الأسماء واللغات للنووى، المطبعة المنيرية بمصر.

تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للمزى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥.

توضيح المشتبه لابن ناصر الدين، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٣.

الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ٢٠٠٢.

الجرح والتعديل لابن أبى حاتم، حيدر آباد ١٣٧٣هـ.

جمهرة أنساب العرب لابن حزم، دار المعارف بمصر ١٩٧١.

حسن القرى فى أودية أم القرى لابن فهد، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١.

الدليل الشافى على المنهل الصافى لأبى المحاسن، طبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٧٩.

ديوان عمر بن أبى ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨.

الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك، للمقريزى مطبعة لجنة لتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٥.

الذيل على الروضتين لأبى شامة، دار الجيل، بيروت.

رحلة ابن جبير، دار مصر للطباعة ١٩٥٥.

الروض الأنف للسهيلى، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧.

الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة للفاسى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١.

السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى، مصر ١٩٣٤ وما بعدها.

سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى للعصامى، المكتبة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ.

السيرة النبوية لابن هشام، المكتبة العلمية، بيروت.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠.

شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب لأحمد بن إبراهيم الحنبلى، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٩٦.

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى، مكتبة القدسى، بالقاهرة ١٣٥٣هـ.

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، هجر القاهرة ١٩٩٢

طبقات الشعراء لابن سلام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

العبر فى خبر من غبر للذهبي، الكويت ١٩٦٠.

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦.

عجالة المبتدى وفضالة المنتهي للحازمي، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٢.

العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين للفاسي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٨.

العقد الفريد لابن عبد ربه، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤م.

العمدة فى صناعة الشعر نقده لابن رشيق القيرواني، مكتبة الخانجى بالقاهرة ٢٠٠٠.

عيون الأثر فى فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس، دار المعرفة بيروت.

غاية المرام فى أخبار البلد الحرام لابن فهد، طبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٦.

القاموس المحيط للفيروزابادى، الدار العربية للكتاب ١٩٨٠.

القرى لقاصد أم القرى للمحب الطبرى، طبعة مصطفى الحلبى، القاهرة ١٩٧٠.

كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، طبعة الخانجى، القاهرة ٢٠٠١.

كشف الظنون لحاجى خليفة، طبع إستانبول ١٣٦٠هـ.

كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩.

المحبر لابن حبيب دار الآفاق الجديدة، بيروت.

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨.

المسالك والممالك للبكرى، تحقيق أدريان فان ليوفن، وأندرى فيرى.

المسالك والممالك لابن خرداذبه، ليدن ١٨٨٩م.

المشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٦.

المعارف لابن قتيبة، طبعة دار المعارف بمصر، ١٩٨٣.

معجم البلدان لياقوت الحموى، طبعة دار صادر بيروت، ١٩٧٧.

معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع للبكرى، طبعة مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٩٦.

المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالى للبرزالى، المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٦.

ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة لابن رشيد، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٨.

منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، للسنجارى، طبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٩٨.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٩.

نزهة الألباب فى الألقاب لابن حجر، الرياض ١٩٨٥.

نسب قريش للزبيرى، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير، طبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣.

٤- فهرس موضوعات الكتاب

١- موضوعات الجزء الأول:

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

١ – موضوعات الجزء الثانى